«فهرسة الجزء الاول من شرح المقامات الحريرية للامام الشريشي»

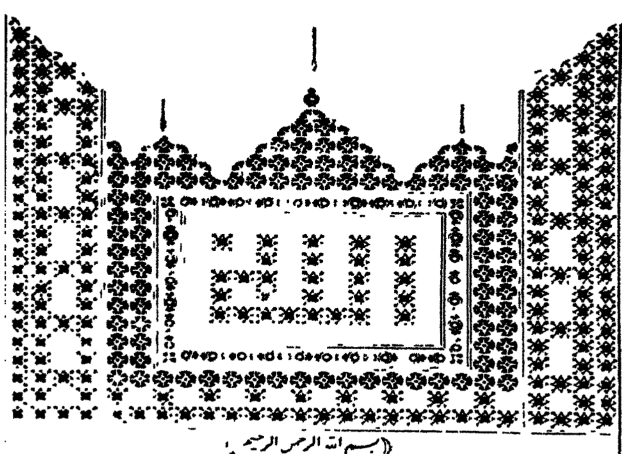
صحيفة

﴿تمت﴾

{الجزء الأول}
من شرح [illegible] للإمام
[illegible] أحمد بن [illegible]
[illegible] ابن عاشر
رحمه الله تعالى
آمين

{وهو الشرح الكبير من شروح ثلاثة له}

{الطبعة الأولى}
(بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر)
(المحمية سنة ١٣٠٦)
(هجرية)



((بسم الله الرحمن الرحيم))

قال الشيخ الاستاذ اللغوى النحوى أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن [illegible]
القيسى الشريشى تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جنانه [illegible]
الذى اختص هذه الامة بأفصح الالسنة وأوضح الاذهان وشرف لغاتها [illegible]
البلاغة والبيان وميزنا بين سائر الامم بالشعر المتفق النظم المعتدل الاوزان [illegible]
هداها وألسنة أطال فى شأو البلاغة مداها وأصلى على سيد المرسلين [illegible]
ختمت نبوته العامة النبوة ونسخت بشريعته الشرائع [illegible]
والمخصوص بعلو المكانة وعموم الديانة فى ولد آدم وعلى آله وأصحابه الذين [illegible]
المؤمنين بالعهود ونصروه ونقلوا شرعه الكريم [illegible]
رحمة وأجراً عظيما ورضى الله عن الامام المعصوم المهدى المعلوم [illegible]
بأداء الامانة والمشهور على تعاقب العصور بالرفعة والمكانة [illegible]
المرشدين أئمة الهدى والتالين له فى شرف ذلك المدى [illegible]
ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الائمة الراشدين [illegible] على
أعلامه ونصرا يصحب قلمه وحسامه وتأييداً [illegible]
الامصار فى سلك ملكه وتزدحم وفود الامم على [illegible] وتنطوى [illegible]
على اخلاص طاعته والانشاء لامره ﴿أما بعد﴾ فان اعلى أربح المكاسب وأرجح [illegible]
المراتب وأنصع المناقب وحرفة أهل الهمم من الامم ونحلة أهل الشرف من السلف [illegible]
سلكه الا جيد ماجد ولم يتوشح برده الاعطف جاد فى طلب الكمال جاهد ولم يستحق اسمه لا لواحد
الفذ بعد الواحد وهو وان تشعبت أفانينه وتنوعت دواوينه فعلم الادب علمه والاس الذى
ينبنى عليه كله والروح الذى يخب فى ميدان الطروس قلمه ولذلك كان أولى ما تسترجحه القرائح

واعلى

وأعلى ما تجنح اليه الجوانح فذوو الاخطار في سائر الاقطار يتنافسون في اقتنائه ويتصافنون
في عالي أثمانه ويرتاحون لانشاعه وتأليفه ويستريحون الى أعبائه المكدودة وتكاليفه فانه
زمام المنظوم والمنثور وقوام نطق الالسنة وفكر الصدور ومنشط المقال من عقال الفهاهة ومميز
الاقدار بالمهابة والنباهة ولم يزل في كل عصر من حملته بدر طالع وزهر غصن يانع وعلم ترنو اليه
أبصار وتومي اليه أصابع وصناعة البراعة بينهم تتمكن وتتناسل وتنويع البديع ينضبط
ويتصل والآخر يكد ذهنه في تتميم ما غادره الاول الى أن استدلت كفتاه وامتلأت صفحتاه
وراق مجتلاه ومجتناه وتناهى في الحسن والاحسان لفظه ومعناه وكان سحر البلغاء وخاتمة الادباء
أوثقهم بالاستحقاق وأولاهم بحمل قصب السباق والفذ الذي قد عقمت عن توأمه فيه العراق وفارس
ميدان البراعة ومالك زمام القرطاس واليراعة والملبي عند استدعائه درر الفقر بالسمع والطاعة
أبو محمد القاسم بن علي الحريري سقى الله ثراه صوب رحماه وكافأ احسانه في انشائه عليه بحسناه
وسلط لسان الاحسان ومد أضبات الانساب ومهد طرق الاجادة وقوى مدة الاودة ولم يبق في
البلاغة منعضبا ولا للزيادة مترقبا لاسيما في المقامات التي ابتدعها والحكايات التي نوعها وفرعها
والملح التي وشحها بدرر الفقر ورصعها وأبرز فيها سابقا وبز البلغاء وأتقنا وأتى بالمعنى الدقيق للفظ
الرقيق مطابقا وخلدها تاجا على هامة الادب وتقصارا في لبة العرب وروضة تحوم نفوس
المطامع عليها ولا تصل أيدي المطامع اليها ولما كانت من البراعة بهذا المحل الشهير وسارت
مسير النيرين بين مشاهير الجماهير جعلت الاعتناء بها أسهم همي والعكوف عليها حزم عزمي
والدؤوب في تتبع لغاتها وفتح مغلقاتها أتم همي وسيرت نحوها ناظر عيني والفكر الذي
لا يحول شيء بينه وبيني فبدأت بروايتها عن الشيوخ الثقات رغبة في اسنادها من أعلام هذه
الجهات حتى لا أنقل لفظا الا عن تحقيق ولا أثبت ضبطا الا من طريق فكان أول من أخذت
عنه روايتها وتلقيت منه درايتها ببلدي الشيخ الفقيه المقرئ أبو بكر بن أزهر الحجري حدثني بها
عن شيوخه الفقيه المحدث الراوية أبي القاسم بن عبدربه القيسي المعروف بابن جهور عن منشئها أبي
محمد الحريري وحدثني بها أيضا ببلدي الشيخ الفقيه الراوية عن شيوخه الفقيه المحدث الراوية أبو
بكر بن مالك الفهري عن ابن جهور المذكور وعن الشيخ الفقيه أبي الحجاج الابدي القضاعي كلاهما
عن أبي محمد الحريري وحدثني بها أيضا بالجزيرة الشيخ الفقيه المحدث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد
الله الحجري عن القضاعي وحدثني بها أيضا الكاتب الزاهد أبو الحسين بن جبير عن الشيخ الجليل
بركات ابن ابراهيم بن طاهر بن بركات القرشي المعروف بالخشوعي عن الحريري وحدثني بها أيضا
الشيخ الفقيه الاستاذ أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني بسنده بعد وقوفه رحمه الله على هذا
الشرح وأمره لي بتكميله وتلقيت بها جماعة من جلة الاشياخ أكثر في العدد ممن ذكرت لا يعدمني
واحد منهم افادة ضبطية أو لفظية ولا يفقدني زيادة هزلية أو وعظية فأخذتها أخذ متثبت عن
واع متمكن ثم لم أدع كتابا ألف في شرح ألفاظها وايضاح أغراضها وتبيين الانصاف بين انفصالها
واعتراضها الا أوعيته نظرا وحققته معتبرا ومختبرا وترددت في تفهمه وردا وصدرا وعكفت على
استيفائه بسيطا كان أو مختصرا حتى أتيت على جميع ما انتهى اليه وسعي ممن فسرها واستوعبت
عامة فوائده الممكنة بأسرها ولم أترك في كتاب منها فائدة الا استخرجتها ولا فريدة الا استدرجتها ولا
نكتة الا علقتها ولا غريبة الا استلحقتها ولا غادرت في موضع منها مستحسنا يشذ عن جمعي ولا
مستجادا ينبو عنه بصري أو سمعي فاجتمع من ذلك حفظا وخطا أعلاق جمة وفوائد لم تهتم بها قبلي همة ثم
لم أقنع بتبيين الدواوين ولا اقتصرت على توقيف التصانيف حتى لقيت بها صدور الامصار وعلماء
هذه الاعصار فباحثت وناقشت وتأولت وتداولت وطالبت المتحفظ بالاداء والمتيقظ بالابداء

حتى لم أبق فى قادحة زندا الا اقتدحته ولا مقفلا الا افتحته فتحصل لى من ذلك أيضا عيون سائبة النواظر وفنون قلما توجد فى مخبآت الدفاتر وأنا فى خلال ذلك ألتمس مزيدا ولا أسأم بحثا وتقييدا الى أن عثرت على شرح الفنجديهى للمقامات والفنجديهى هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودى من قرية فنجديه من عمل خراسان فرأيت فى شرحه الغاية المطلوبة والبغية المرغوبة والضالة التى كانت عنى الى هذا الاوان مطوية محجوبة فاستأنفت النظر ثانيا وشمرت عن ساعد الجد لا متكاسلا ولا وانيا وعاينت نور المعنى فى نور اللفظ فأصبحت مجتليا اجانيا فاستوعبته أيضا أبلغ استيعاب وقيدت من فوائده مالم أجد قبله فى كتاب وأخذت منه أحاديث مسندة أوردها وآثارا مرفوعة قيدها تليق بالباب الذى أوردت فيه وتورد مصححة اما الالفاظه واما لمعانيه وحذفت أسانيدها وان كان قد أوردها تخفيفا عمن يريد المتن ويبتغيه فتم لى بهذا الغرض استيفاء مقاصده واستيعاب فوائده وتركته مستلب المعانى مطروق المغانى كالروض ركدت ريحه والجسم قبض روحه فانضاف من فوائده هذا التأليف البديع الى الفوائد الملتقطة من الالسنة والمأخوذة من التصانيف المستحسنة روض كله زهر وسلك كله درر وآداب لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثر فاستخرت الله تعالى فى ضم ما انتشر من فوائدها ونظم ما انتثر من فرائدها والاعتناء بتأليف فى المقامات يغنى عن كل شرح تقدم فيها ولا يحوج الى سواه فى لفظ من ألفاظها ولا معنى من معانيها فتم من ذلك مجموع جامع وموضوع بارع أودعته من الروايات أصحها وأوضحها وأسلسها قيادا اللفظ وأسمحها وأولاها بالصواب فى مظان الاختلاف وأرجحها ونسبت المشكل منها الى قائله من جهابذة العلماء وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الاسماء وسبكت العبارة عن المعانى سبكا يدل على الالقاء والاصغاء وهذا الفصل وان سبقنى اليه من تقدمنى من الشارحين قبلى فلى فيه مزية ايراد اللفظ البعيد عن الاشكال والمطابقة بين الاقوال وأرباب الاقوال ثم زدت فى فوائد هذا التأليف التعريف بالامصار المذكورة فى المقامات على أوفى ما أمكننى من ذكر مواضعها وأقدارها واختطاطها ومن عقد صلحها أو تولى فتحها وهذه فوائد لا يخفى مكانها ولا ينكر استحسانها فالحاجة الى التعريف بالمكان تتلو الحاجة الى غوامض اللسان ثم استوعبت شرح الامثال ونسبتها جامعا بين القائلين والاقوال ولم أغفل منها الكثير الدور ولا القليل الاستعمال وهذا الفن لم يتتبعه أحد على الكمال وان ذكره فانما يذكره استطرادا بحسب الحال ثم استوفيت أيضا ذكر من وقع فيه من الرجال والنساء أتم استيفاء وعرفت المشتهرين من الآباء والابناء وبينت أنسابهم وأمكنتهم وأخبارهم وحرفتهم وآثارهم ومدتهم زيادة فى التتميم والاعتناء وهذا الفن أيضا لم يورده الشارحون حق ايراده ولا اعتمدوه بالتبليغ حق اعتماده وهو مهم فى الافادة وعلى معظمه فى الوقت وبعده الاعادة ثم زدت فيه فصلين مفيدين لم أر من اعتنى بهما ولا من قصد قصدهما سوى أبى سعيد الفنجديهى فى بعض المواضع فانه ألمح وألمع وأورد اليسير فاشفى ولا أقنع أحدهما تبيين مأخذ الحريرى فى الكلام واخراج الاحالات المودعة فيه من حيز الابهام والرد الى المنشا فى آية أو أثر أو خطبة أو خبر أو حكمة فائقة أو لفظة رائقة أو بيت نادر أو مثل سائر وهذا تتميم بين وتكميل متعين والفصل الثانى التنبيه على صناعة البديع وتوفيه أسمائه كالتجنيس والتتميم والترصيع والاتيان بهذا النوع من التبيين والتنبيه على الجميع وبسط أنواع الادب وافتنانه والاكثار من الشعر فى مظانه من الجد والهزل فى المواضع اللائقة باستحسانه ومقابلة كل باب بما يزيد فى حسنه وبيانه والجرى مع أبى محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه فمن تمام التصنيف رد الفرع الى أصله والجمع فى الترتيب بين الشكل وشكله فأتبعت المواعظ بما يزيدها أثرا فى القلوب وأردفت المسليات بما يعينها فى اجلاء الكروب

وسلكت

وسلكت هذه المسالك في سائر الاساليب وأنواع الضروب فان وجد في هذا الكتاب لفظ ظاهره الهزل أومعنى ينسب فيه الى العذل من وصف نوروغرو ذكر نديم وخمر أونعت حسن وحسن أومدح سماع وأذن فلان أبا محمد بدأ بأمر فتم وخص نوعا فعم مع أن صنعة الادب مبنية على الملح وخواطر الادباء جائشة بما سمح فجاء من هذا الترتيب الغريب ما يضرب في الاجادة بسهم مصيب ويثبت لي في الجد والدأب أوفى نصيب ثم رأيت الشارحين لها من أولى البصر كالفنجديهي وابن ظفر قد جردوا من شروحهم مختصرات وجيزة اقتصروا فيها على ايراد اللغات فحذوت حذوهم في مختصر أوردتها فيه على الكمال ووفيتها حقها من رفع الغلط وكشف الاشكال ولم أخل في تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه ولا حال من الاحوال فجاء غاية في هذا الباب مغنيا في اللغات الغريبة عن كل كتاب فان فاته هذا الاصل بضروب من الافادات وأنواع من الزيادات فلذلك افرع شفوف الاستيعاب في اللغات ومزية الاشتقاق والتصريف والشاهد من الشعر والآيات وكل ذلك بلطف الله تعالى وبسعد من شرفت كتابي بخدمته وبنيت تأليفي على أداء شكر نعمته ونصبت نفسي لأقف ببابه الاعلى وأتزين بلثم تربته فأنا العبد وهو المولى عماد الانام والظل الممدود على المسلمين والاسلام ونعمة الله التي هي من أفضل النعم الجسام منفق سوق المعارف ومفجر بحور المنن والعوارف المجير بفضله وعدله من المفاقر الفادحة والمخاوف سيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن امام الائمة الراشدين وولي عهده سيدنا الامير الاجل أبو يعقوب أيد الله سلطانهم وأبد بيضهم وحزبهم وجمع القلوب على الانقياد لهم والوجوه على التوجه قبلهم وهذا الكتاب وان كان المعبر عن حسنه والغاية الملتمسة في فنه والجامع لما افترق في سواه والمبرز بما رشحه من الزيادات وحلاه فانه لم يتم جماله ولا استوفى احتواؤه على الفوائد واشتماله الا ببركة مولانا الخليفة واقتران اسمه الكريم باسم ولي عهده المستحق للتقديم في هذه الصحيفة فالحمد لله على التوفيق لخدمتهم والمعونة على شكر نعمتهم والتعرض لخيري الدنيا والآخرة في ظل حرمتهم وقد بذلت في الخدمة جهدي وأبرزت من فوائد هذا التأليف أنفس ما عندي ولم أتعاط قياما بكل الواجب ولا وفاء بجميع الحق الراتب فالقول يقصر عن التحصيل وليس الى مطاولة الطود ومكاثرة اليم من سبيل وقد كنت حين أتممت هذا التأليف وألقيت عن كاهلي الاعباء التي له والتكليف وجلوته كالحسناء ألقت في المنصة النصيف كثرت خطابه الي من البلدان وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستحسان فقلت حتى يتشرف بلثم اليمين العليا ويختص بقبول امام الدين والدنيا فمن بابه الاسمى يلتقط دره المنظوم وببركاته يسطع مسكه العبيق المختوم وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خليفته المبارك الاهدى وبنجله المتقلد منه صفة وعهدا في شرح الخطبة كلمة كلمة وايضاحها حتى لا أدع لفظة مبهمة ثم أشرح المقامات على الولاء وأسأل الجمع بين الايجاز والاستيفاء ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم أفضل التسليم

(بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم انا نحمدك على
ما علمت

(شرح الصدر)

(اللهم انا نحمدك) اللهم اسم خصصته الميم المشددة في آخره بنداء الباري سبحانه والتزم معها حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفا عنه ولحل اللام في أوله لانه لا يلي حرف النداء لام التعريف الا في قولهم يا الله لتكون اللام الزائدة نائبة عن حرف أصلي وهي همزة اله فصارت كالاصلي وفي غير هذا الاسم تجرد اللام للزيادة في أول الاسم وبازائدة في أوله كذلك وهما جميعا لتخصيص الاسم وازالة شياع التنكير عنه فلما تقاربا في المعنى وتشابها في الزيادة وطلب كل واحد منهما أن يلي الاسم دون صاحبه

من البيان وألهمت من التبيان كما نحمدك على ما أسبغت من العطاء وأسبلت من الغطاء ونعوذ بك من شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن وفضوح الحصر

ترك استعمال الجمع بينهما فى أول الاسم الا فى ضرورة الشاعر لاقامة الوزن وأما اللام فى قولهم يا الله فلما كانت نائبة عن حرف أصلى خفيت زيادتها فلما زادوا الميم فى آخره فخمت اللام وشهرت معنى الزيادة فامتنعت يا من أوله الا عند الضرورة كامتناعها فى الرجل والغلام فلما كانت الميم هى الموجبة لمنع يا حل الاسم معها معنى يا فصار مختصا بالنداء ممتنعا من غيره ونحمدك معناه نثنى عليك بأتم وجوه الثناء كما هو فيدخل تحته الشكر والشكر ثناء يقابل به معروف وفى الحديث الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره والحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة والشكر ذكره بماله من أفعال جزيلة من قولهم دابة شكور اذا ظهر بها من السمن فوق ما تأكل من العلف ويقال أشكر من بروقة وهى شجرة معروفة تخصب بأدنى مطر ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد فى مقابلة الذم والشكر فى مقابلة الكفر فاختلاف نقيضيهما دليل على اختلافهما فى أنفسهما (البيان) وضوح المعنى وظهوره و(التبيان) تفهم المعنى وتبيينه والبيان منك لغيرك والتبيان منك لنفسك مثل التبيين تقول بينت الشئ لغيرى بيانا وتبينته أنا تبيانا وقد يقع التبيان بمعنى البيان حكى أبو منصور الازهرى رحمه الله بينت الشئ تبيينا وتبيانا قال تعالى تبيانا لكل شئ أى يبين لك فيه كل ما تحتاج اليه أنت وأمتك من أمر الدين فهو لفظ عام أريد به الخاص وقد يقع البيان لكثرة الكلام ويعد ذلك من النفاق قال النبى صلى الله عليه وسلم الحياء والعى شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق خرجه الترمذى وقال العى قلة الكلام والبذاء الفحش والبيان كثرة الكلام (ألهمت) نبهت عليه وفهمته و(أسبغت) أتممت وكثرت و(أسبلت) أطلت و(الغطاء) أراد به ستر الله على عبده (نعوذ) أى نستجير (شرة) حدة و(اللسن) حدة اللسان وادلاله على الكلام (فضول) زوائد (الهذر) اكثار الكلام بغير فائدة (معرة) شدة وصعوبة والمعرة العيب والعار وقيل هى كل ما يؤذيك وفلان يعر قومه أى يدخل عليهم مكروها يلطخهم به وأصله من العرة وهى الفعلة القبيحة أو من اعر وهو الجرب و(اللكن) احتباس اللسان عند الكلام (فضوح) شهرة وفضيحة (الحصر) العى وحصر حصرا اذا أعيا واستحيا أو ضاق صدره واستعاذ من شرة اللسن لانه من اقتدر على الكلام أداه الى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة الحق وفيه اثم على فاعله وأصل الشرة القلق والانتشار ومنه الشر وقد شر يشر ومنه شرر النار ثم استعاذ من ضدها وهى المعرة لان صاحبها لا يتم لفظه فيشين بذلك نفسه ويقصر عن مراده من البيان ثم قرن بها الحصر لان من يعتريه يتوالى عليه الوهل والخجل فلا يستطيع الكلام فيفتضح ويشتهر عيبه وهذا الفن من الكلام يسمى فى صنعة البديع المقابلة وأول من صدر به كتابا عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان فقال اللهم انا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العى والحصر وقديما تعوذوا بالله من شرهما ورغبوا اليه فى السلامة منهما وقد قال النمر بن تولب

أعذنى رب من حصر وعى ❋ ومن نفس أعالجها علاجا

﴿وقال محمد بن علقمة﴾

لقد وارى المقابر من شريك ❋ كثير تحلم وقليل عاب

صموتا فى المحافل غير عى ❋ جديرا حين ينطق بالصواب

ثم استرسل فى ذكر العى والبيان الى غاية بعيدة واستشهد على النوعين بآيتين بقوله تعالى سلقوكم بألسنة حداد وفى الضد بقوله تعالى أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فاحتذى الحريرى هذا الحذو فجاءت تشبيهاته أطبع وأصنع وزاد عليه بأن ابتدأ بحمد الله على نعمة البيان ثم استعاذ مما استعاذ منه الجاحظ وبيان المقابلة فى كلامه أنه قابل شرة بمعرة واللسن باللكن والهذر بالحصر فاذا

تفهمت مواقعها فى كلامه قست عليها ما يشبهها فى النظم والنثر وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة فقال هى أن يضع الشاعر ألفاظا يعتمد التوافق بين بعضها او بعض فى المخالفة فيأتى فى الموافق بما يوافق وفى المخالف بما يخالف وأنشد فى ذلك

فيا عجبا كيف اتفقنا فناصح * وفىّ ومطوى على الغش غادر

فجعل بازاء ناصح وفىّ غاشا غادرا ومثله

فتى تم فيه ما يسرّ صديقه * على انّ فيه ما يسوء الاعاديا

(نستكفى) معناه نسألك ونطلب منك أن تكفينا (الافتتان) وذلك ان يصاب بفتنة الاعجاب وأصل الفتنة اختبار الفضة بالنار وقال تعالى فى الاختبار وفتناك فتونا أى اختبرناك والفتين الفضة المحرقة والفتين أيضا الحجارة المحرقة وهى الحجارة يدلك بها الاقدام فى الحمام و(الاطراء) الاسترسال فى مدح الانسان بمحضره وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد الله ورسوله (اغضاء) تجاوز ومسامحة وأصله أن يبدو لك الشئ فتسدنى جفنيك وتقصر نظرك كأنك لم تره والاغضاء الاغماض وأغضيت عنه وأغمضت اذا تغافلت عنه (المسامح) الموافق لغرضك المتجاوز عن عيبك (الانتصاب) الظهور والاعتراض امام الشئ (ازراء) تقصير وتنقيص (القادح) العائب وقدحت الدود فى الاسنان والشجر أكلتها فكان فعل هذا العائب فى اعراض الناس فعل الدود فى الشجر والقادح أيضا الذى يضرب الزند بالحجر لتورى (هتك) شق وهتكت الستر خرقته (الفاضح) الذى يشهر عيوبك وفضحت الشئ كشفته (نستغفرك) نسألك المغفرة وهى من غفرت الشئ سترته (الشبهات) جمع شبهة وهى ما يشتبه عليك أمره و(الخطوات) جمع خطوة وهى ما بين القدمين (الخطط) جمع خطة وهى الطريق يخطه الرجل فى الارض يجعله حدا للشئ يحوزه ويعتمده والخطة بالضم المنزلة والمزية و(الخطيآت) الذنوب وهى من الخطا وجعل ما ساقه فى المقامات كانه شهوة اشتهى عملها ثم اشتبه عليه هل فى ذلك رضا الله أم سخطه فكأنه ساق شهوة الى سوق يجهل التبايع فيها فلعله فيها خاسر الصفقة فلهذا استغفر الله منها (الرشد) الهداية ورشده الله رشدا وأرشده هداه ورشد هو رشدا ورشادا اهتدى (متحليا) متصفا ومتزينا (مؤيدا) معانا وأصاب فى كلامه اصابة اذا نطق بالصواب ورمى فاصاب لم يخطئ وقوله تعالى رخاء حيث أصاب أى حيث أراد قال الفراء اختلفت أنا وعيسى النحوى فى الآية فقلت ما أحد أعلم بهذا من رؤبة قال فسرنا اليه فلقيناه يتوكأ على اثنين فقال أين تصيبان أى أين تريدان فقلت لصاحبى كفيت السؤال (ذائدة) دافعة (الزيغ) الميل وزاغ عن الحق مال عنه الى الباطل (العزيمة) الجد وعزم على الشئ جد فيه (قاهرة) غالبة و(هوى النفس) ما تحبه وتميل اليه (بصيرة) يقينا والبصيرة للقلب والبصر للعين (عرفان القدر) أى معرفة أقدارنا (الدراية) مصدر دريت الشئ دراية ودريا علمته (تعضدنا) تقوينا وعضده أعانه وكان له عضدا (الابانة) مصدر أبنت الشئ أى بينته (تعصمنا من الغواية) أى تمنعنا من الضلالة والفساد والغواية مصدر غوى غيا وغواية وغوى أيضا غواية وهما ضد رشد رشدا (الرواية) نقل الحديث من صاحبه الى طالبه (تصرفنا) تزيلنا (السفاهة) الجهل و(الفكاهة) المزاح وما تستريح به النفوس وهى فى الكلام كالفاكهة فى الطعام (حصائد الالسنة) شر كلامها وقطعها فى اعراض الناس وأراد ما جاء فى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أنا لنؤاخذ بما نتكلم فقال ثكلتك أمك يا معاذ هل يكب الناس فى النار على رؤسهم الا حصائد ألسنتهم فدعا الله أن يتم سعده بأن يؤمنه عادية الالسنة والحصائد فى الاصل جمع حصيدة وهى الحزمة من الزرع المحصودة فهى فعيلة بمعنى مفعولة والحصيد الشئ المحصود (نكفى) نمنع (غوائل) قواتل ومهلكات واحدها غائلة وغالته المنية أهلكته

ونستكفى بك الافتتان باطراء المادح واغضاء المسامح كما نستكفى بك الانتصاب لازراء القادح وهتك الفاضح ونستغفرك من سوق الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل الخطوات الى خطط الخطيآت ونستوهب منك توفيقا قائدا الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة واصابة ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك بها عرفان القدر وأن تسعدنا بالهداية الى الدراية وتعضدنا بالاعانة على الابانة وتعصمنا من الغواية فى الرواية وتصرفنا عن السفاهة فى الفكاهة حتى نأمن حصائد الالسنة ونكفى غوائل

الزخرفة فلا نرده مورد مأثمة
ولا نقف موقف مندمة
ولا نرهق بتبعة ولا معتبة
ولا نلجأ الى معذرة عن بادرة
اللهم فحقق لنا هذه المنية
وأنلنا هذه البغية ولا
تضحنا عن ظلك السابغ ولا
تجعلنا مضغة للماضغ فقد
مددنا اليك يد المسئلة
وبخعنا بالاستكانة لك
والمسكنة واستنزلنا كرمك
الجم ومنك الذى عم
بضراعة الطلب وبضاعة
الامل ثم بالتوسل بمحمد
سيد البشر والشفيع
المشفع فى المحشر الذى
ختمت به النبيين وأعليت
درجته فى عليين ووصفته
فى كتابك المبين فقلت
وأنت أصدق القائلين انه
لقول رسول كريم ذى
قوة عند ذى العرش مكين
مطاع ثم أمين اللهم فصل
عليه وعلى آله الهادين
وأصحابه الذين شادوا الدين
واجعلنا لهديه وهديهم
متبعين وانفعنا بمحبته
ومحبتهم أجمعين انك على
كل شئ قدير وبالاجابة
جدير (وبعد) فانه قد جرى
ببعض أندية

(الزخرفة) تزيين الباطل وأصلها تزيين الشئ بالزخرف وهو الذهب (نرد) نقصد (مورد مأثمة) موضع اثم والمورد أصله الموضع يشرب منه الماء (مندمة) ندم (نرهق) نتهم ونعاب والرهق العيب و (تبعة) خطيئة يتبعه ضرها بعد الموت (معتبة) سخط وهى من العتاب وهو تقبيح القول على جهة الاشفاق وأصله من عتبت الاديم أى رددته الى الدباغ ليصلح ومنه انما يعاتب الاديم ذو البشرة ويقال عتب علىّ فى كذا عتبا فأعتبته أى رجعت الى ما يريد وأرضيته وباء تبعة وتاء معتبة يكسران ويفتحان (نلجأ) نخرج (معذرة) اعتذار (بادرة) سقطة وزلة وقد بدرت الكلمة والفعلة خرجت من غير أن يدبر موقعها وفلان تخشى بوادره أى فلتاته (المنية) ما يتمنى و (البغية) ما يطلب (أنلنا) أعطنا (تضحنا) تكشفنا (ظلك السابغ) سترك المديد وأصل الظل الستر والموضع الذى لا تبلغه الشمس وفى حديث ضحا ظله أى عدم فانكشف موضعه للشمس (مضغة) لقمة وكل ما يمضغ لقمة و (الماضغ) هنا العائب الآكل اعراض الناس وجعل العرض حين يعيبه مضغة له قال النبى صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت باقوام لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم (المسئلة) الحاجة والفقر (بخعنا) أقررنا وبخع له بحقه أقر به وبخع نفسه قتلها غيظا ومنه فلعلك باخع نفسك والمتعدية بالباء غير المتعدية بنفسها (الاستكانة) الخضوع (والمسكنة) الفقر والذلة (استنزلنا) طلبنا أن تنزل علينا والاستنزال السؤال بتلطف و (الجم) الكثير (منك) احسانك (عم) شمل (ضراعة) ذلة (البضاعة) المال يتجر به (الامل) الرجاء يقول تجارتنا التى يحصل بها منك واحسانك رجاؤنا وتوكلنا عليك (التوسل) التقرب (البشر) الخلق وهو فى الاصل جمع بشرة وهى ظاهر الجلد وسموا بشرا لظهور أبشارهم خلافا لغيرهم من الحيوان (الشفيع) الطالب لغيره و (المشفع) الذى أعطى الشفاعة قال النبى صلى الله عليه وسلم خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين (المحشر) موضع اجتماع الناس يوم القيامة والمحشر أيضا الحشر وهو الاشبه باليوم (ختمت) جعلته خاتمهم أى آخرهم (درجته) منزلته (عليين) أعلى الجنة وكأنه جمع علية (المبين) المبين (رسول كريم) قيل هو جبريل وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (مكين) رفيع المنزلة (ثم) معناه هنالك قال الزجاجى هى اشارة الى ما كان متراخيا من الاماكن والاشهر أن المراد به فى الآية جبريل ولذا رجع الحريرى آخرا فأزال الآية من كتابه واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وليس رجوعه عن القول الضعيف الى المشهور بعيب بل هو حسن اذ كان الرجوع عن الخطا الى الصواب واجبا الا أن الثابت عند ابن جهور انه لقول رسول كريم قال ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل وهو الرسول لمحمد بالقرآن (ذى قوة) لانه قلع باحد جناحيه أربع مدائن لقوم لوط وهى سدوم وداموراء وصابوراء وعموراء فى كل مدينة مائة ألف انسان سوى ما فيها من الدواب والانعام (آله) أى أهله وأصله أأل فابدلت الهمزة ألفا وأكثر ما تضاف الى الظاهر وقد سمع اضافتها الى المضمر فى الشعر والكلام الفصيح خلافا لابى جعفر النحاس وأبى بكر الزبيدى فانهما منعا من اضافتها الى المضمر وأكثرهم على أن همزتها مبدلة من هاء أهل وصوابه انها أصل فى بابها من آل يؤل اذا رجع لانهم يرجعون اليه ويرجع اليهم (الهادين) المرشدين الى طريق الخير وقد هديته الطريق اذا أرشدته (شادوا) رفعوا وبنوا (هديه وهديهم) طريقته وطريقتهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه (جدير) حقيق (أندية) مجالس واحدها ندى والمندى والنادى والمنتدى مجلس القوم للحديث وقيل هو من الندى وهو

الكرم

الكرم لانهم يقصدون فيه فيعطون وقيل هو من النداء الذى هو الصوت لانه ينادى فيه بعضهم بعضا ليجتمعوا وقيل هو من الندى وهو العرق لان الداخل فيه يحتشم فيعرق و (الادب) معرفة الاخبار والاشعار وفلان أديب اذا كان متفننا مشاركا (ركدت) سكنت و (المقامات) المجالس واحدها مقامة والحديث يجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة ومجلسا لان المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس ولان المحدث يقوم ببعضه تارة ويجلس ببعضه أخرى قال الاعلم المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض على فعل الخير * ذكر البديع أبو منصور الثعالبى فى يتيمته فقال بديع الزمان هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى مفخر همذان ونادرة الفلك وبكر عطارد وفريد الدهر وغرة العصر ومن لم يلف نظيره فى ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ولم يدرك قرينه فى ظرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته ولم يروا أن أحدا بلغ مبلغه من لب الادب وسره وجاء بمثل اعجازه وسحره فانه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب فمنها أنه كان ينشد القصيدة لم يسمعها قط وهى أكثر من خمسين بيتا فيحفظها كلها ويوردها الى آخرها لا يخرم حرفا منها وينظر فى الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يعيدها عن ظهر قلبه هذا ويسردها سردا وكان يقترح عليه عمل قصيدة وانشاء رسالة فى معنى غريب وباب بديع فيفرغ منها فى الوقت والساعة والجواب عنها فيها وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخر سطوره ثم هلم جرا الى الاول ويخرجه كأحسن شئ وأملحه ويوشح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من انشائه فيقرأ من النظم النثر ومن النثر النظم ويعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الابيات الرشيقة ويقترح عليه كل عروض من النظم والنثر فيرتجله فى أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومجاراة الخاطر وكان مع هذا مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الظرف عظيم الخلق شريف النفس كريم العهد خالص الود حلو الصداقة مر العداوة فارق همذان سنة ثمانين وثلثمائة وهو مقتبل الشبيبة غض الحداثة وقد درس على أبى الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنفد علمه وورد حضرة الصاحب أبى القاسم بن عباد فتزود من ثمارها وحسن آثارها وولى نيسابور فى سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة فنشر بها بزه وأظهر طرزه وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندرى فى الكدية وغيرها وضمنها ما تشتهى الانفس من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام وجد يروق فيملك القلوب وهزل يشوق فيسحر العقول ثم ألقى عصاه بهراة فعاش فيها عيشة راضية وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله فلباه وفارق دنياه فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة فقامت نوادب الادب وانثلم حد القلم وبكاه الفضائل والافاضل ورثاه الاكارم مع المكارم على أن ما مات من لم يمت ذكره ولقد خلد من بقى على الايام نظمه ونثره والله عز وجل يتولاه بعفوه وغفرانه ويحييه بروحه وريحانه وذكر الحصرى رحمه الله فى كتاب الزهر أن الذى سبب للبديع رحمه الله تأليف مقاماته هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثا ذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره وانتخبها من معادن فكره على طبع العرب الجاهلية بألفاظ بعيدة حوشية فعارضه البديع بأربعمائة مقامة لطيفة الاغراض والمقاصد بديعة المصادر والموارد انتهى كلامه والذى قصد بها قلة امتاعه للسامع من حديثها وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطار فجاءت مقامات الحريرى أحفل وأجزل وأكمل فلذلك فضلت البديعية وقد صرح علماء الادب فى كتبهم بتفضيل البديع على نظرائه من أهل زمانه ولقبه بالبديع يدل على قدره الرفيع

وقلما أبصرت عيناك من رجل * الا ومعناه ان فكرت فى لقبه

(ترجمة بديع الزمان)

الادب الذى ركدت فى هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه ذكر المقامات التى ابتدعها بديع الزمان

وسئل بعض علماء الادب من أهل عصرنا عن الحريرى والبديع فقال لم يبلغ الحريرى ان يسمى بديع يوم فكيف يقارن بديع زمان وجرى ذكر مقاماته فى مجلس بعض أشياخنا وكان حافظا أديبا فقال مقامات البديع يحكى أنها ارتجال وان البديع كان يقول لاصحابه فى آخر مجلسه اقترحوا غرضا نبنى عليه مقامة فيقترحون ماشاؤا فيملى عليهم المقامة ارتجالا فى الغرض الذى اقترحوه وهذا أقوى دليل ان صح على فضل البديع (قوله علامة) أى كثير العلم وهى بنيت للمبالغة و(همذان) بفتح الميم ونقط الذال بلد بخراسان وقيل همذان من كور الجبل وبلد همذان واسع جليل القدر كثير الاقاليم والكور افتتح سنة ثلاث وعشرين ويشرب أهلها من عيون وأودية قال اليعقوبى من أراد من الدينور الى همذان سار متنزها الى موضع يقال له أسد آباذ مرحلتين ومن أسد آباذ الى مدينة همذان مرحلتان وهى كثيرة البرد وقال فيها ابن خالويه وهو همذانى واستوطن حلب عند بنى همذان

اذا همذان اعترّها البرد وانقضى * بزعمك أيلول وأنت مقيم
فعينالك عمشان وأنفك سائل * ووجهك مسودّ البياض بهيم
بلادا ذاما الصيف أقبل جنة * ولكنها عند الشتاء جحيم

ولبعضهم

همذان متلفة النفوس ببردها * والزمهرير وحرها مأمون
غلب الشتاء مصيفها وخريفها * فكأنما تموزها كانون

وكل الرواة يروونها همذان بفتح الميم ونقط الذال الا ابن اللبانة فانى رأيت فى شرحه همدان بسكون الميم ودال غير معجمة وهى قبيلة يمانية قال فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه

ولو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

والرواية الاولى أثبت (قوله عزا) أى نسب يقال عزيته عزيا وعزوته عزوا نسبته واعترى الى بنى فلان انتسب اليهم وأبو الفتح فى البديعية بمنزلة أبى زيد فى الحريرية وعيسى بمنزلة الحرث (نشأتها) صنعتها (روايتها) اسناد أحاديثها و(النكرة التى لا تتعرف) هى غير فى الاسماء (غنم) غنيمة وحكى الفنجديهى فى شرحه للمقامات ان الذى أشار عليه بها هو شرف الدين أنوشروان بن خالد وزير الخليفة أمره بانشاء المقامات وحكم عليه به وقيل أمره بها صاحب البصرة وواليها وقال سمعت الشيخ الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور البزار ببغداد يقول سمعت الشيخ الرئيس أبا محمد الحريرى يقول أبو زيد السروجى كان شحاذا بليغا ومكديا فصيحا ورد علينا البصرة فوقف يوما فى مسجد بنى حرام يتكلم ويسأل الناس شيأ وكان بعض الولاة حاضرا والمسجد غاص بالفضلاء فأعجبهم بفصاحته وحسن صناعته وملاحته وذكر أسر الروم ابنته كما ذكرنا فى المقامة الحرامية وهى الثامنة والاربعون قال فاجتمع عندى عشية ذلك اليوم جماعة من معارف فضلاء البصرة وعلمائها فحكيت لهم ماشاهدت من ذلك السائل وسمعت من لطافة عبارته فى تحصيل مراده وظرافة اشارته فى تسهيل ايراده فحكى كل واحد من جلسائى أنه شاهد من هذا السائل فى مسجده مثل ماشاهدت وانه سمع منه فى معنى آخر فصلا أحسن مما سمعت وكان يغير فى كل مسجد زيه وشكله ويظهر فى فنون احتياله فعجبوا من جريانه فى ميدانه وافتنانه فى احسانه قال الحريرى فابتدأت فى انشاء المقامة الحرامية تلك الليلة حاذيا حذوه فلما فرغت منها أقرأتها جماعة من الاعيان فاستحسنوها غاية الاستحسان وأنهوا ذلك الى وزير السلطان واقترحوا على أخواتها والله المستعان وهذا الذى ذكر الفنجديهى قد حدثنى بنحوه من يوثق به من الطلبة بسند يتصل بأبى محمد الحريرى وان الحريرى وقدم أهل البصرة بغداد فوجدوا بواسط أبا زيد السروجى فقال يا أهل البصرة أنتم تزعمون أنكم لا تكادون ولا تخدعون وقد والله مشيت على مساجدكم ومحاضركم فما تعذر على فيها موضع لم أجلب منافع أهله بضروب من المكر فلما بلغوا بغداذ أخبروا بالقصة وزير السلطان فأمر الحريرى بجمع

وعلامة همذان رحمه الله تعالى وعزا الى أبى الفتح الاسكندرى نشأتها والى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف فأشار من اشارته حكم وطاعته غنم الى أن انشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك الظالع شأو الضليع

المقامات لكن الذى ثبت عندنا هو ما حدثنى به الشيخ الفقيه أبو بكر بن أزهر أن الفقيه الراوية أبا القاسم بن جهور حدثه أن الحريرى حدثه أن قصة المقامة الثامنة والاربعين حق وان رجلا قام بمسجد بنى حرام فأظهر التوبة من ذنبه وسأل عن الوجه فى كفارته فقام رجل من بين الناس فذكر أمر ابنته فنظم الحريرى القصة وجعلها مقامة وانها أول مقامة أثبتت فى الكتاب وكان ابن جهور يقول ان الذى أشار اليه بها فى قوله فأشار من اشارته حكم هو المستظهر بالله العباسى وكان لهذا المستظهر رغبة فى الطلب وحظ من الادب وعناية بأهل العلم وحدث ابن جهور أنه دخل بغداد فى أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل حامل علم وكلهم قد أثبت أسماءهم السلطان فى الديوان وأجرى على كل واحد من المال بقدر حظه من العلم وكان ابن جهور يحدث أن الحريرى ألف المقامات كلها على الركاب وذلك ان المستظهر بالله لما أمره بصنعتها أخرج كالحافظ على العمال فكان يخرج فى الابردين يتمشى فى ضفتى دجلة والفرات ويصقل خاطره بنظر الخضرة والمياه فلم ينقض فصل العمل الا وقد اجتمع له مائتا مقامة تخلص منها خمسين وأتلف البواقى وصدر الكتاب ورفعه الى السلطان فبلغ عنده أسنى المراتب (قوله فذا كرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين أو نظم بيتا أو بيتين) قال أبو عمرو بن العلاء الانسان فى فسحة من عقله وفى سلامة من أفواه الناس ما لم يضع كتابا أو يقل شعرا وقال العتابى من صنع كتابا فقد استشرف للمدح والذم فان أحسن فقد استهدف للحسد والغيبة وان أساء فقد تعرض للشتم بكل لسان * غيره من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس وقال حسان

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على البرية ان كيسا وان حمقا

وان أحسن بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

(واستقلت) طلبت الاقالة (المقام) موضع القدمين وأنت قائم (بحار) يتحير (بفرط) بسبق (الوهم) الغلط (يسبر غور العقل) يختبر قدره ومنتهاه وأصله فى الجراحات يختبر غورها أى بعد قعرها والمسبار الحديدة التى يقاس بها مقدار غور الجراحة وسبرها قاسها به يفعل ذلك الطبيب للقصاص أو للدواء ويقال لحديدته السبار والمسبار والمسبر والمكحل والميل والمرود والمجراف (تبين) تتبين (يضطر) يلجأ (حاطب ليل) جامع الحطب بالظلام وهذا مثل لاكثم بن صيفى حكيم العرب ذكره أبو عبيد فى الامثال وقال انما شبهه بحاطب الليل لانه ربما نهشته الحية أو لسعته العقرب فى احتطابه ليلا فكذلك المهذار ربما أصابه فى اكثاره بعض ما يكره قال الفرزدق

كمحتطب ليلا أساود هضبة * أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبه

وأبين من تفسيره أن حاطب الليل لا يبصر ما يحتطب فهو يؤلف بين الحطب الكبير والصغير والقوى والضعيف والجيد والردئ فكذلك المكثار يأتى بالضعيف من الكلام والقوى والجيد والردئ فشبهه لذلك بالحاطب وأراد (بجالب رجل وخيل) ما أراد بحاطب الليل لان الراجل ضعيف والفارس قوى و (المكثار) الكثير الكلام قال النبى صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به ألا ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت (أقيل) أقيم ورفع (عثار) انكباب وسقوط واقالة العاثر ان ترفعه من سقطته ومنه الاقالة فى البيع ونحوه (يسعف) يؤاتى ويتيل الرغبة وأسعفت الرجل بمطلبه ساعدته عليه والاسعاف المصدر وساعفته مساعفة قضيت ارادته (ولا أعفى من المقالة) أى لم يعفنى من كلامه والحاحه وأعفيت الرجل وعافيته أزلت عنه ما يشق عليه وأصله الترك ومنه اعفاء اللحية وهو أن يتركها على حالها ومنه عفا الله عنك (لبيت) أجبت وقلت لبيك (أنشأت) ابتدأت وأخذت أفعل (أعانيه) أعالجه وأصلها من العناء وهو التعب (قريحة) ذهن وأصلها ماء البئر النابع عند

فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتا أو بيتين واستقلت من هذا المقام الذى فيه يحار الفهم ويفرط الوهم ويسبر غور العقل وتبين فيه قيمة المرء فى الفضل ويضطر صاحبه الى أن يكون كحاطب ليل أو جالب رجل وخيل وقلما سلم مكثار أو أقيل له عثار فلما لم يسعف بالاقالة ولا أعفى من المقالة لبيت دعوته تلبية المطيع وبذلت فى مطاوعته جهد المستطيع وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة

وفطنة خامدة وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين مقامة تحتوى على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره وملح الادب ونوادره الى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات ورصعته فيها من الامثال العربية واللطائف الادبية والاحاجى النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والاضاحيك الملهية مما أمليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي وأسندت روايته الى الحرث بن همام البصرى وما قصدت بالاحماض فيه الا تنشيط قارئيه وتكثير سواد طالبيه ولم أودعه من الاشعار الاجنبية الا بيتين فذين أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية وما عدا ذلك فخاطرى أبو عذره ومقتضب حلوه ومره هذا مع اعترافى بأن البديع رحمه الله سباق غايات وصاحب آيات وأن المتصدى بعده لانشاء مقامة ولو أوتى بلاغة قدامه لا يغترف الا من

حفرها ومنه القرحة للجراحة لان أصلها مادة وشبه الذهن بذلك لما يتولد عنه من المعانى (فطنة) ذكاء والفطن الذكى (خامدة) ساكنة وخمدت النار سكن لهبها (رويه) تدبر وروأت الامر تدبرت كيف تصنعه وأصل الرويه الهمز واستعملت بغير همز (ناضبه) جافة ونضب الماء غار فى الارض (ناصبه) متعبة وهم ناصب على معنى النسب أى ذو نصب ولو جاء على القياس لقيل منصب لان فعله أنصبه الهم وقال بشر تعناك هم من أميمة منصب * وجاء من الاخبار ما لا يكذب ونصب نصبا أعيا من التعب (جزله) غليظه ومتينه (غرر) جمع غرة وهى خيار الشئ ومنه غرة الفرس وهو البياض فى جبهته فجعلها للبيان مجازا (درره) جمع درة وهى الجوهرة العظيمة والكلام الحسن يشبه بالدرر والجواهر (ملح) جمع ملحة وهى مليح الكلام (نوادره) غرائبه (وشحتها) زينتها (الكنايات) ضرب من الالغاز وأصل الكنايه أن تذكر الشئ بغير لفظه اما الابهام على جليسك أو لتعظيم أو لتحقير فالابهام أن تذكر لفظا يفهم من ظاهره غير مرادك مثل قوله تعالى حاكيا عن هود عليه السلام حين قال له قومه انا نراك فى سفاهة قال ياقوم ليس بى سفاهة فليس فى اللفظ زيادة على نفى السفاهة وقد تضمن الكلام التكذيب لهم والتعظيم مثل كناية الرجل بأبى فلان تركك اسمه وعدل الى كنايته تعظيما له والتحقير أن يكون الشئ خسيسا فتأنف من ذكره فتذكره بغير اسمه مثل قوله تعالى كانا يأكلان الطعام فكنى عن الحدث بالاكل لما كان يتولد عنه (رصعته) نظمته وألصقت بعضه ببعض وتاج مرصع مزين بخرز وجوهر ينظم فيه (اللطائف) الرقائق والكلمة اللطيفه أى الرقيقة المعنى التى تحل فى القلب فتلطفه (الاحاجى) ضرب من الالغاز واحدها أحجية وهى قولك لصاحبك أخرج ما فى يدى ولك كذا تقول العرب أحاجيك ما فى يدى وحجياك ما فى يدى وهى من الحجى وهو العقل (الفتاوى اللغويه) أراد بها المسائل المائة التى فى الثانية والثلاثين والفتيا اظهار الشئ المسؤل عنه عند السؤال (المبتكرة) التى لم يسبق اليها وبكر وابتكر خرج بكرة ومنه الباكور وهو المبكر من كل شئ فى الادراك وبكر كل شئ أوله (المحبرة) المزينة وحبرت الشئ تحبيرا زينته وأصلها من الحبر وهى ثياب تصنع باليمن فيها رقوم وتزيين (أمليت) ألقيت وأمليت على الصبى ألقيت عليه ما يكتب (أسندت) رفعت (الاحماض) الانتقال من شئ الى شئ وأصله فى الابل ترعى الخلة وهى حلو المرعى فتمله فتنتقل الى الحمض تأكل منه فيذهب الحمض عن قلوبها استيلاء الحلاوة فتنشط بذلك على الرعى فيقال أحمض الرجل احماضا والعرب تقول الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها فاراد به تنقله فى المقامات من حكاية فائقة الى قضية رائقة ومن موعظة تبكى الى ملهية تسلى وفى ذلك تنشيط وترغيب فى قراءتها ونفى للملل والكسل عن قارئها (سواد) أشخاص ويسمى الشخص سوادا لانه يسود الارض بظله (أودعه) أضمنه (الاجنبيه) التى ليست من شعره والاجنبى من ليس بينك وبينه قرابة من الجنابة وهى البعد (فذين) منفردين هذا من شعر وهذا من آخر (توأمين) أخوين من شعر واحد (أسست) أصلت والاساس أصل الحائط (الحلوانيه والكرجيه) منسوبتان الى حلوان والكرج وهما بلدان (ماعدا) ماجاوز (خاطرى) ذهنى (أبو عذره) أى أول صانع له يقال للمرأة فلان أبو عذرها أى أول زوج تزوجها فوجدها عذراء فافتضها وأزال عذرتها أى ما بها من صعوبة (مقتضب) مقتطع (حلوه ومره) جيده ورديئه (غايات) جمع غاية وهى طلق الخيل والسباق منها الذى يجىء أبدا سابقا (المتصدى) المتعرض (بلاغه) فصاحة وأصلها أن يبلغ الانسان من الكلام والحجة ما أراد (قدامه) هو أبو الوليد بن جعفر كان بليغا مجيدا عالما بأسرار صنعة الكتابة ولوازمها وله كتاب يعرف بسر البلاغة فى الكتابة وترجمته تدل على متضمنه وله تحقيق فى صنع البديع يتميز به عن نظرائه وتدقيق فى كلام العرب يربى فيه على أكفائه وتحذيق فى علوم التعليم أضرم فيها شعلة ذكائه فلذلك سار المثل ببلاغته واتفق المتقدم والمتأخر على فضل براعته

(الفضالة) البقية من الماء وغيره وهي ما فضل عن الحاجة واغترفها أخذها بيده (يسرى ذلك المسرى) يقصد ذلك المقصد وأصل يسرى يسير بالليل (دلالته) تقدمه وهدايته وتفتح دالها وتكسر والفتح أكثر والدليل بالفلاة الذي يهدي القوم قصدهم (مبكاها) بكاها (صبابة) شوقا (هيج) حرك والبيتان لعدي بن الرقاع وقبلهما

ومما شجاني أنني كنت نائما * أعلل من فرط الكرى بالتنسم

إلى أن دعت ورقاء في غصن أيكة * تردد مبكاها بحسن الترنم

فلو قبل مبكاها وعدي هو أبو زيد بن مالك ينتهي إلى معاوية بن الحرث وهو عامله وينسب إلى الرقاع وهو جد جده وكان شاعرا مقدما عند بني أمية مداحا لهم خاصا بالوليد بن عبد الملك ومنزله بدمشق وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم وكان من أوصف الناس للمطية وكذا ذكره صاحب الأغاني في ترجمته وقال نوح بن جرير لأبيه من أنسب الناس قال ابن الرقاع في قوله

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا * فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكأنها بين النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

أقر الحريري ههنا للبديع بالفضل وجعله سباقا للغايات وما أحسن هذا الأدب منه مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ومن أدل دليل على ذلك أنه مذ ظهرت مقامات الحريري لم تستعمل مقامات البديع ثم إنه طبق استعمالها آفاق الأرض إلا أنه أسر هنا شيئا لأنه ختم كلامه بأن البديع بالتقدم فضله وهذا منه مذهب مستحسن ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده ثم لم ير لنفسه قدرا في قوله وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع فجعل نفسه كالفرس الأعرج الذي حريه إذا اجتهد دون مشي الصحيح وجعل البديع كالفرس العتيق الكامل القوة ثم لما بلغ إلى هذا الموضع بعد أسطار صرح في الظاهر للسامع بأن البديع سباق غايات وصاحب آيات وأومأ إلى من فطن أنما فضله بتقدم الزمان ثم خلط الكلام في الخفاء بين المتقدمين والمتأخرين ثم تناسى ذلك إلى آخر الكتاب في السابعة والأربعين وصرح هنالك بتفضيل المتأخر على المتقدم وتفضيله نفسه على البديع حيث يقول

إن يكن الاسكندري قبلي * فالطل قد يبدو أمام الوبل * والفضل للوابل لا للطل

ولو كان غيره من العلماء المنسوبين إلى سوء الأدب ورأى فضل مقاماته لذم البديع ونقص كتابه فكان ينعكس الذم عليه وكذا رأينا في الغالب من ادعى لنفسه فضلا وازدرى غيره أنه قلما يكون إلا ممقوتا فلما أظهر الحريري مدح البديع ووفاه قسطه من التفضيل والترفيع ولم ينظر نفسه إلا بطرف خفي قل من يتفطن له ستر الله عليه ورفع صيته ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة

فشرق حتى لم يجد ذكر مغرب * وغرب حتى لم يجد ذكر مشرق

فلا يذم كتابه إلا أحد الرجلين اللذين ذكرهما إما جاهل أو حاسد ومذهب الناس في تفضيل الحديث على القديم وأكثرهم على تفضيل القديم وقد أحسن حبيب حيث يقول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لأول منزل

(وقال رضي الله تعالى عنه)

لا زلت من شكري في حلة * لابسها ذو سلب فاخر

يقول من تقرع أسماعه * ما ترك الأول للآخر

(وذكر ابن شرف علة ذلك فقال)

فضالته ولا يسري ذلك المسرى الأبد لالته ولله در القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

قوله عسا بالسين أي اشتد وهذا البيت أورده صاحب المغني في الكلام على قد شاهدا على أن عسا متصرف وهو بمعنى اشتداه

(ذكر المفاضلة بين القديم والحديث)

أولع الناس بامتداح القديم * وبذم الحديث غير الذميم
ليس الا لانهم حسدوا الحي وما لوا الى العظام الرميم

والمتأخرين شعر كثير في تفضيلهم أنفسهم على المتقدمين من أحسنه قول المعري

واني وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

(وقال ابن عمار) أنا ابن عمار لا أخفى على أحد * الا على جاهل بالشمس والقمر
ان كان أخرني دهري فلا عجب * فوائد الكتب يستلحقن في الطرر

والذي ذكر أبو العباس في الكامل هو الحق قال وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق * وأما بيت عدي في الحمام فالحمام قد كثر ذكر العرب لها في أشعارها ولنا هنا بفصل منها ويروى عن علي رضي الله عنه أنه اشتكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال له اتخذ حماما تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلاة بتغريدها * ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام فانها تلهي الجن عن صبيانكم وروى جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر الى الحمام الاحمر والى الاترج وكان ابراهيم بن سيار يعجب بالحمام وكان اذا ذكرها يقول ان الله جمع فيها حسن المنظر وكريم المخبر تكفيك مؤنتها وتكثر لديك معونتها فهي للطارق عدة وللمستوطن لذة تطعم في الصحراء وتعود عليك بالسراء ويأنس الوحيد بحركاتها وتغنيه عن الاوتار بنغماتها وغيرها من الطير يستعجم وهي ناطقة وينفر عنك وهي داجنة وفي طباعها سكون الى الناس واستئناس بهم وهي طير عفيف يبقى الذكر بعد الانثى مفردا والانثى مثل ذلك مع شدة اتفاقهما على المحبة ان طار اطارا معا وان وقعا وقعا معا لها سرعة طيران لا تكاد تصيدها سباع الطير الاجدلة ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام وتغريد البلبل والورشان وقد ذكرت العرب من رقة تسجيعه ما يبعث التذكر ويولد الشجون ويهيج الاسى ويجدد رقة القلب حتى يجعل البكاء فرضا معها والتصابي لازما لاجلها وأعراب وادي القرى اذا ظفروا بشراب الطائف أتوا حوائط النخل عند استعلاء الظهيرة اذا صارت الوراشين والفواخت الى تلك الظلال فيشربون ويأنسون بتغريدهن ويقيمون ترجيع أصواتهن مقام المزامير والاوتار وأنا أسوق من المنظوم ما يوافق هذا النثر كقول أبي صخر الهذلي

(ذكر الحمام)

ولما دعت غوريةَ الايك سجعت * فسجع دمعي يستهل ويستري
يذكرني شجوي دعاء حمامة * ويبعث لوعات الصبابة في صدري
بكت حزنا رزء الهديل وشفني * فراق حبيب ضاق عن فقده صبري

(وأنشد الاصمعي فقال)

أيها البلبل المغرد في النخل غريبا من أهله حيرانا
افراقا تشكوه أم ظلت تدعو * فوق أفنان نحلة ورشانا
هاج لي صوتك المغرد شجوا * رب صوت يهيج الاحزانا

(وقال آخر) أحن الى حوائط ذات عرق * لتغريد الفواخت والحمام
ألم بها بكل فتى كريم * من الفتيان مخلوع الزمام

(وقال آخر) اذا غنت على الاغصان ورق * أجبناها باعمال المدام

(وقال آخر) سيغنيك عن مزمار آل محرق * وعن بعهم تغريد تلك الحمائم
بأيكة نظار تجاوبن بالضحى * على باسقات مائلات نواعم

(وأنشد أبو علي عفا الله تعالى عنه)

ومن بستان ابراهيم غنت * حمائم بينها فنن رطيب

وأرجو أن لا أكون فى هذا الهذر الذى أوردته والمورد الذى توردته كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه فألحق بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا على انى وان أغمض لى الفطن المتغابى

فقلت لها وقيت سهام رام * ورقط الريش مطعمها الحبوب
كما هيجت ذا حزن معنى * على أشجانه فبكى الغريب

(وقال نصيب)
لقد هتفت فى جنح ليل حمامة * تبكى على الفنن انى لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتنى بالبكاء الحمائم

(وأنشد أبو العباس لحميد بن ثور)
وما هاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما
محلاة طوق لم يكن من تميمة * ولا ضرب صواغ بكفيه درهما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع * لنائحة فى نوحها متلوما
اذا حركته الريح أو مال ميلة * تغنت عليه مائلا ومقوما
عجبت لها أنى يكون غناؤها * فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت أعجما

(وقال حبيب)
لتضعضعت عبرات عينك ان دعت * ورقاء حين تضعضع الاظلام
لا تنشجن لها فان بكاءها * ضحك وان بكاءك استغرام
هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

وسمع حبيب بخراسان غناء بالفارسية فلم يدر ما هو غير أنه شوقه فقال

حمدتك ليلة شرفت وطالت * أقام سهادها ومضى كراها
سمعت بها غناء كان أولى * بأن يقتاد نفسى من عناها
ومسمعة يحار السمع فيها * ولم تصممه لا يصمم صداها
ولم أفهم معانيها ولكن * ورت قلبى فلم أجهل شجاها
وظلت كأننى أعمى معنى * بحب الغانيات ولا يراها

يعنى بهذا الاعمى بشارا حيث يقول

ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم * الاذن كالعين توفى القلب ما كانا

(قوله الهذر الذى أوردته) أى الاكثار الذى أتيت به وقد تقدم المورد و(توردته) اقتحمته (الباحث) المفتش و(الظلف) للبقر والغنم كالحافر للخيل والحمير وهذا مثل للعرب وذلك أن ماعزة كانت لقوم فأرادوا ذبحها فلم يجدوا شفرة فنبشت بظلفها فى الارض فاستخرجت منها شفرة فذبحوها بها وقالوا بحثت عن حتفها بظلفها فسارت مثلا وقال الشاعر

وكانت كعنز السوء قامت بظلفها * الى مدية تحت الثرى تستثيرها

(وقال أبو الاسود)
فلا تك مثل الذى استخرجت * بأظلافها مدية أو بفيها
فقام اليها بها ذابح * ومن يدع يوما شعوبا يجيها

ولفظ المثل عند أبى عبيد كالعنز تبحث عن المدية (والجادع) القاطع الانف (والمارن) طرف الانف وأراد به قصيرا مولى جذيمة الابرش وقد ذكرنا قصته فى شرح الرابعة والعشرين ورجا المصنف أن لا يدركه من الضرر ما أدركهما من الضرر حين جنيا على أنفسهما وانتفع غيرهما (ضل سعيهم) خابت أعمالهم وأصل ضل تحير فلم يدر أين يتوجه وأصل السعى المشى بسرعة سمع أعرابى رجلا يقرأ قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا فقال أنا أعرفهم قيل له ومن هم قال الذين يبردون ويأكل غيرهم (أغمض) سامح وسد عينيه عما لم يرض و(الفطن) الذكى (المتغابى) المتجاهل عن الشئ وهو عارف به وهو مما يحمد به الرجل قال حبيب

ليس الغبيّ بسيد في قومه * لكنّ سيد قومه المتغابي

(ونضح) بالماء غسل (المحابي) الذي يفضلني على غيري وحباني اختصني بالعطية وأصل حاباه أن تعطيه وبعطيك وقد يكون في معنى حباه (الغمر) الجاهل (ذي غمر) صاحب عداوة (متجاهل) مستعمل للجهل وهو على خلافه يقول ان سدعينيه عن عيبي فطن ذو عقل وتغابي حين يبصرلي خطأ أو رأى لي ذلك العيب محب يفعل بغسله عنى لمحبته لكلامى فلا أخلص مع ذلك امامن جاهل بعيبى مالا يفهم أو من عارف يظهر لى عداوة وحسدا فيردحسنى قبيحا وهو عارف بحسنى فيشيع فى الناس أن المقامات أكاذيب وهو عارف بفضلها وما قصدها والغمر الحقد وصاحبه مذموم ولا أعرف من تعرض من الفصحاء لمدح حامله سوى ما يحكى أن عبد الملك بن صالح جيء به الى الرشيد فى قيوده فقال له يحيى بن خالد وأراد أن يبكته بلغنى أنك حقود فقال عبد الملك أيها الوزير ان كان الحقد هو بقاء الخير والشر انهما لباقيان فى صدرى وفى رواية أخرى انما صدرى خزانة تحفظ ما استودعت من خير أو شر فقال الرشيد والله ما رأيت أحدا احتج للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ففتح الباب لابن الرومى فقال يخاطب بعض من عابه بالحقد

لئن كنت فى حفظى لما أنا مودع * من الخير والشر انتحيت على عرضى
فما عابنى الا بفضل أمانة * ورب امرئ يزرى على خلق محض
ولولا الحقود المستكات لم يكن * لينقض وترا آخر الدهر ذو نقض
وما الحقد الا توأم الشكر فى الفتى * وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
فحيث ترى حقدا على ذى اساءة * فثم ترى شكرا على حسن العوض

ثم رجع الى الطريقة المثلى فانتحل المذهب الاعلى وقال يعيبه ضاربا بسهم البلاغة فى الوجهين

يا مادح الحقد محتالا له شبها * لقد سلكت اليه مسلكا وعثا
يا دافن الحقد فى ضعفى جوانحه * ساء الدفين الذى أضحت له جدثا
الحقد داء ردىء لا دواء له * يورى الصدور اذا ما جمره حرثا
فاستشفينه بصفح أو محادثة * فانما يبرئ المصدور ما نفثا
ان القبيح اذا أصلحت ظاهره * يعود ما لم منه مرة شعثا
كم زخرف القول ذو زور ولبسه * على القلوب ولكن قلما لبثا

(قوله يضع منى) أى يحط من منزلتى (الوضع) الكتاب (يندد) يشهر العيب وندد به اذا أسمعه المكروه (نقد الاشياء) فتش وبحث عليها (المعقول) العقل (أنعم) بالغ * وأصل النظم جعل حبات الجوهر فى خيطها وضمها فيه لغيرها ثم سمى بيت الشعر نظما لان الكلام فيه ملتصق بعضه ببعض كحب الجوهر والبيت يضمه كالخيط و (السلك) خيط الجوهر و (الافادات) الفوائد (سلك) قصد (الموضوعات) الكتب المؤلفة أى أدخلها مدخل هذه الكتب (العجماوات) البهائم وسميت واحدتها عجماء لان صوتها لا يفهم منه معنى و (الجمادات) ما عدا الحيوان وأراد ما ألف من الكتب مما لا حقيقة له فى الظاهر وقد ضمن الحكم الشافية فى الباطن مثل كتاب كليلة ودمنة وغيره مما ألف على السنة ما لا عقل له ولا روح وكذلك المقامات وان كان ظاهرها كذبا فالقصد بها تغرير الطالب وتهذيبه وتذكية عقله وأن يكتسب تجارب الدنيا من حكايات السروجى فيكون منتبها لما يطرأ عليه من النوازل فتؤمن على عقله الغفلة والخديعة الى ما ينضاف اليه من تعليم صنعة الكتابة والشعر فانها أعون شىء عليها * ومما يحكى على ألسنة البهائم ما جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا راع فى غنم عدا عليها الذئب فأخذ شاة منها فطلبه الراعى فالتفت اليه الذئب وقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى وبينما رجل يسوق

ونضح عنى المحب المحابى لا كاد أخلص من غمر جاهل أو ذى غمر متجاهل يضع منى لهذا الوضع ويندد بأنه من مناهى الشرع ومن نقد الاشياء بعين المعقول وأنعم النظر فى مبانى الاصول نظم هذه المقامات فى سلك الافادات وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات ولم يسمع

﴿ذكر الحقد ومدحه وذمه﴾

﴿حكايات على ألسنة البهائم﴾

بقرة قد حمل عليها اذ التفتت اليه فكلمته فقالت أنا لم أخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر السبع بسكون الباء أرض المحشر والسبع الفزع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وحتى يختبئ اليهودى وراء الحجر فيقول الحجر يا عبد الله يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله * قالوا خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالا وأرنبا فقال الاسد للذئب اقسم بيننا هذا فقال الحمار للملك والغزال لى والارنب للثعلب فرفع الاسد يده فضربه ضربة فاذا هو مجدل بين يديه ثم قال للثعلب اقسمها فقال الحمار يتغدى به الملك والغزال يتعشى به والارنب بين ذلك فقال الاسد ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء قال رأس هذا الذئب * وحدث الشعبى قال صاد رجل قبرة فقالت ما تريد أن تصنع بى قال أذبحك وآكلك فقالت والله ما أشبع من جوع وخير لك من أكلى أن أعلمك ثلاث خصال واحدة وأنا فى يدك والثانية وأنا على الشجرة والثالثة وأنا على الجبل قال هات قالت لا تلهفن على ما فات فخلى سبيلها فلما صارت على الشجرة قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون فلما صارت على الجبل قالت له يا شقى لو ذبحتنى أخرجت من حوصلتى درتين كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض الرجل على شفته تلهفا ثم قال هات الثالثة فقالت أنت قد نسيت ثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فات ولا تصدقن بما لا يكون انه سيكون أنا ولحمى ودمى وريشى لا يكون فى عشرون مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت وذهبت وأمثال هذه الملح أكثر من أن تحصى (قوله نبا سمعه) أى ارتفع وأصله فى السيف اذا ارتفع فلم يعض فى الضريبة (أثم) جعلهم أصحاب اثم (انعقاد العقود) أى ارتباط العقائد (حرج) اثم وأصل الحريج التضييق (للتنبيه) أى لينبه به الغافل الذهن فيجعله حاضر الخاطر (نحا منحى) قصد مقصد (التهذيب) التخليص وهذبت الطالب أخرجته وخلصته ورجل مهذب مخلص من العيوب * ويروى ندبوا انتدب فندب دعا وانتدب أجاب (وهدى) أرشد (صراط مستقيم) طريق معتدل ومن فعل ماذكر مأجور غير آثم لكنه مع هذا رضى أن يخلص ممن يتكلم فى كتابه بتعييب وأن يخرج من هذا الكتاب كفافا لا أجر ولا وزر بل نرجو له الاجر على نية الافادة والتعليم ان شاء الله تعالى (اعتضد) أستعين (أعتمد) اقتصد (أعتصم) أمتنع (يصم) يعيب (أسترشد) أستهدى (يرشد) يهدى ويدل على الخير و(المفزع) الملجأ وكذلك (الموئل) وتقول فزعت الى فلان اذا لجأت اليه واستعنت به ليحميك ويمنعك وفزعت منه خفته والمفزع الذى ذكره مصدر بمعنى الفزع وتقول وألت من ذلك اذا نجوت منه وأنت موئلى منه أى الذى تحمينى منه والمفزع الموئل والحصن تفزع اليه فيحميك من طالبك (أنيب) أرجع والانابة الرجوع الى الله تعالى والتوبة اليه

(شرح المقامة الاولى وهى الصنعانيه)

ان قيل لأى معنى اختار الحريرى حارثا وهماما وأبا زيد دون غيرهم من الاسماء فالجواب أنه انما قصدهم لانهم أصدق الاسماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المرفوع تسموا بأسماء الانبياء وأحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها الحرث وهمام وأقبحها حرب ومرة وصدقهما أنه ليس أحد الا وهو يحرث أى يحاول الكسب أو يهم بحاجته وأما أبو زيد فان صدق أنه انسان بعينه كما تقدم فى الصدر وقع الاكتفاء به وان لم يصدق فقد حكى أهل اللغة انه كنية الكبر وأنشد ابن قتيبة

أعار أبو زيد عيسى سلاحه * وحد سلاح الدهر للمرء كالم

وكنت اذا ما الكلب أنكر أهله * أفدى وحين الكلب جذلان نائم

سلاحه العصا وانكار الكلب أهله اذا لبسوا السلاح وجذلان نائم فى الجدب اذا ماتت المواشى فيشبع من لحومها وينام وقال ابن الاعرابى يقال للشيخ الكبير أبو زيد وأبو سعيد والسروجى فى

بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات أو أثم رواتها فى وقت من الاوقات ثم اذا كانت الاعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات فأى حرج على من أنشأها للتنبيه لا للتمويه ونحا بها منحى التهذيب لا الاكاذيب وهل هو فى ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم أو هدى الى صراط مستقيم
على أننى راض بأن أحمل الهوى
وأخلص منه لا على ولا ليا
وبالله أعتضد فيما أعتمد وأعتصم مما يصم وأسترشد الى ما يرشد فما المفزع الا اليه ولا الاستعانة الا به ولا التوفيق الا منه ولا الموئل الا هو عليه توكلت واليه أنيب وبه نستعين وهو نعم المعين
(المقامة الاولى الصنعانية)

الغالب انما يصفه بالكبر والهرم فوقعت التسمية لغوية وانما عنى بالحرث بن همام نفسه لانه ممن يحرث ويهم ولذلك نسبه الى البصرة وهي بلدة الحريري وانما وضع أبا زيد كنية للدهر لانه يصفه باشياء لا تليق الا بالدهر مثل قوله

وكل مسرح فيه ذنبي عائث * حتى كأني للانام وارث * سامهم وحامهم ويافث

(ومثل قوله) وورثت أرباب الارا * ئك والدرانك والسجوف

وهي كثيرة وفي الخمسين له كلام لا يليق الا بالدهر فجعل أخذ الحرث من أبي زيد كناية عن علم الحريري بما يوب من صروف الدهر (قوله اقتعدت) أي ركبت وأصله اتخذت قعدة أو قعودا وهما اسمان للبعير يقعد عليه راكبه (والغارب) مقدم سنام البعير و(الاغتراب) والغربة التحول في البلدان والبعد عن الاوطان وسيأتي ما أصلها وأراد لما اتخذت ظهر الغربة قعودا (أنأتني) أبعدتني (المتربة) الفقر (الاتراب) الاصحاب على سن واحدة (طوحت) رمت و(طوائح) نوائب وتقول طوحت بالرجل اذا رميت به الى الهلاك وقياس الطوائح المطاوح لانك تقول طوحت فهي مطوحة والجمع مطوحات ومطاوح قال أبو عبيد جاءت الطوائح على حذف الزيادة وردا الفعل الى أصله فانه من طاحت فهي طائحة والجمع طوائح قال أبو عمرو الشيباني جاءت على النسب مثل لابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر وذات تطويح قال الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

ومثله وأرسلنا الرياح لواقح تقديره ملاقح لانك تقول ألقحت الريح السحاب اذا جمعته وألقته وضارع مرتفع بمضمر تقديره يبكيه ضارع وهو الذليل (صنعاء) بلد باليمن وأضافها الى اليمن لان ثم صنعاء أخرى وهي قرية بدمشق وكان اسم صنعاء في القديم أزال قال ابن الكلبي والشرقي ولما وافتها الحبشة قالوا نعم أي انظر فسمي جبلها نعم فلما نظروا الى مدينتها ورأوها حصينة مبنية بالحجارة قالوا هذه صنعاء وتفسيرها حصينة فسميت صنعاء وحكى الهمذاني قال وأهل صنعاء يقولون في الاسلام انها القرية المحفوظة وانهم سمعوا هاتفا يقول في بعض أيام من حاربهم كل عليك يا أزال وأنا أتحنن عليك وأقدم قصور اليمن وأنبهها ذكرا وأبعدها صيتا غمدان وقصر أزال وهي صنعاء والذي أسس غمدان وابتدأ بناءه واحتفر بئره الذي هو اليوم سقاية لمسجد جامع صنعاء سام بن نوح عليه السلام على ما يذكره علماء صنعاء واليمن وذلك انه لما مات نوح اجتوى بعده السكنى في الارض الشمالية فأقبل طالعا في الجنوب يطلب أطيب البلاد حتى صار الى الاقليم الاول فوجد اليمن أطيبه مسكنا وصنعاء أطيب اليمن فوضع مقراته وهي الخيط الذي يقدر به البناء ويبنى على حده فوضع الاساس في ناحية فج غمدان في غربي الجبل فبنى الطير وهو اليوم معروف بصنعاء فلما ارتفع بعث الله طائرا فاختطف المقراة فطار بها وتبعه سام لينظر أين يقع فأم بها جنوب النعم من سفح نعم فوقع بها فلما اتبعه طار بها وطرحها على حرة غمدان فلما اقترت علم سام انه قد أمر بالبناء هنالك فأسس غمدان واحتفر بيده بئره المسمى كرامة ويستقى منها الى اليوم لكنها أجاج (خاوي الوفاض) فارغ المزاود ويقال خوى الرجل اذا سجد وترك بين جسده وبين الارض خوا وخوى البعير برك على هذه الحال والوفاض جمع وفضة وهي شبه الجراب وهي أيضا كنانة السهام اذا كانت من جلد لا خشب فان كانت من خشب مجلد أو غير مجلد فهي كنانة أو جعبة * ابن سيده في المحكم الوفضة خريطة يحمل فيها الراعي أداته وزاده والوفضة جعبة السهام * أبو منصور الازهري معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم انه أمر بصدقة توضع في الاوفاض انهم اخلاط الناس قال الفراء هم أهل الصفة * أبو عبيد هذا كله عندنا واحد لان أهل الصفة أخلاط من قبائل شتى ويمكن أن يكون مع كل واحد منهم وفضة فعلى هذا من قصر الوفضة على الجعبة وخطأ الحريري بأن الزاد لا يكون في الجعبة فهو

(ذكر مدينة صنعاء)

* حدث الحرث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب وأنأتني المتربة عن الاتراب طوحت بي طوائح الزمن الى صنعاء اليمن فدخلتها خاوي الوفاض

المنطق والجاهل باتساع اللغة (بادى الانفاض) ظاهر الفقر وقد أنفض اذا فنى زاده وأنفض الجراب اذا انتفض وسقط مافيه من بقية الزاد ومنه قولهم الانفاض يقطر الجلب أى فناء زادهم يجعل ابلهم قطارا أى مربوطة بعضها خلف بعض تساق الى السوق فتباع فيأ كلون ثمنها قال الهذلى

له ظبية وله عكة * اذا أنفض القوم لم ينفض

ظبية جريب صغير من جلد ظبى (بلغة) زاد المسافر يبلغ به من يومه الى غده (الجراب) وعاء من جلد يصنع للزاد (مضغه) لقمة (طفقت) أخذت وجعلت ومعناها ابتداء الفعل والدخول فيه (أجوب) أقطع وأخرق وجوب الارض قطعها بالمشى (الهائم) الحيران (أجول) أتصرف (حوماتها) جهاتها (الحائم) الطائر العاطش يحوم حول الماء أى يدور به (أرود) ألتمس (المسارح) مراعى البهائم (لمحاتى) نظراتى يريد المواضع التى يسرح عينيه فيها بالنظر (مسايح) مسالك أراد طرقه التى يسير فيها بالمشى بالغدوّ والعشى والسيح الماء الجارى على وجه الارض وتكون المسايح أيضا جمع مسيحة أو مسيحة وهى الطوفة من قولك سحت البيت أى طفت به فيكون على هذا فعائل ميمها أصلية وعلى الاول مفاعل (أخلق) أهين (ديباجتى) جلدة وجهى يريد انه يخلق وجهه بالمسئلة كما يخلق الثوب وهذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم المسئلة كدوح وخدوش فى وجه صاحبها وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال المسئلة بالرجل حتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه مزعة لحم أى قطعة (أبوح) أذكر (حاجتى) فقرى (تفرج) تزيل (غمتى) غمى وما يضيق نفسى (غلتى) عطشى (أدتنى) أوصلتنى (خاتمة المطاف) آخر المشى (هدتنى) دلتنى (والالطاف) حسن السؤل وفاتحته أراد به سؤالك من تلقى فى الطريق اذا دخلت بلدا غريبا فاذا سألت بتلطف أرشدت بسرعة فسؤالك هو الذى فتح لك الطريق ويقال لطف سؤال الرجل اذا رق لفظه ولم يكن فيه جفا فتقبله القلوب وألطف لرجل سؤاله اذا سألك بحنان وتلطف واللطف الرفق وألطفتك أيضا بررتك وأكرمتك فالالطاف مصدر ألطف ويروى الالطاف جمع لطف وهو الرفق يقال لطف الله بالعباد لطفا رفق بهم رفقا وهو راجع الى الاول (ناد) مجلس (رحيب) واسع (محتو) مشتمل (نحيب) بكاء (ولجت) دخلت (غابة الجمع) وسط الناس وأصل الغابة الشجر الملتف يغيب فيه من يدخله (لاسبر) لافتش وأراد دخلت بين الناس لاجرب وأعرف ما الذى أبكاهم وجلب دموعهم ويروى محلبة بالحاء وهى من الحلب يقال انحلبت عينه اذا سالت بالدمع (بهرة) وسط (شخت) دقيق ورقيق والشخت الحطب الرقيق (أهبة السياحة) آلة العبادة وهى مثل العصا وركوة الماء وثياب الصوف وغير ذلك (يطبع الاسجاع) أى يرتبها ويصنعها تقول طبعت الدرهم والسيف اذا صنعتهما وطبعت الكتاب اذا ختمته وكانت الملوك تكتب فى فصوص خواتمها لا اله الا الله والملك لله وتطبع بذلك كتبها وهذا المعنى أليق يطبع الاسجاع أى يزينها ويختمها بجواهر كلامه ومن روى لجواهر باللام فعلى يصنعها لا غير والتفسير على الروايتين أخذته عن أبى ذر والاسجاع الكلام المقفى له قافية كقافية الشعر وكان من كلام الكهان وهذه الموعظة التى فى المقامة من الاسجاع وسجعت الحمامة اذا غنت على طريقة واحدة (يقرع) يضرب (الاسماع) الآذان (زواجر) نواهى وزجره نهاه وانتهره (احاطت) حلقت (أخلاط) أصناف مختلطون (الزمر) الجماعات (الهالة) الدارة حول القمر من نوره والطفاوة الدارة حول الشمس والساهور غلاف القمر الذى يستتر فيه ما نقص منه (الاكمام) جمع كم وهو الغلاف الذى ينشق عن الثمر ويحيط به وسمى كما لانه يستر ما تحته والاكمام جمع قليل والكثير كمام والثمر حمل الاشجار (دلفت) قربت ودلف الشيخ فى مشيته اذا أسرع من ضعف فقارب خطوه (اقتبس من فوائده) ألتمس وأطلب أخذها واكتسابها و(الفرائد) شذور الذهب تفصل ما بين الجوهر (خب فى مجاله) أخذ فى كلامه والخب عدو سهل وهو الذى تسميه العامة السير وفرس مسيار والمجال للخيل

بادى الانفاض لا أملك بلغة ولا أجد فى جرابى مضغة فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول فى حوماتها جولان الحائم وأرود فى مسارح لمحاتى ومسايح غدواتى وروحاتى كريما أخلق له ديباجتى وأبوح اليه بحاجتى أو أديبا تفرج رؤيته غمتى وتروى روايته غلتى حتى أدتنى خاتمة المطاف وهدتنى فاتحة الالطاف الى ناد رحيب محتو على زحام ونحيب فولجت غابة الجمع لاسبر مجلبة الدمع فرأيت فى بهرة الحلقة شخصا شخت الخلقة عليه أهبة السياحة وله رنة النياحة وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وقد أحاطت به أخلاط الزمر احاطة الهالة بالقمر والاكمام بالثمر فدلفت اليه لاقتبس من فوائده والتقط بعض فرائده فسمعته يقول حين

موضع تصرفها وجريها (هدرت) صوتت (شقاشق) جمع شقشقة وهى النفاخة يخرجها فحل الابل من حلقه عند هياجه ورغائه يرجع فيها هديره شبه صوت الواعظ حين يرفعه ويزجر به الناس بصوت البعير يهيج ويتابع الهدير قال الاخطل

اذا هدرت شقاشقه ونشبت * له الاظفار ترك له الهدار

أراد نشبت وترك تخفف (السادر) الراكب هواه لا يرده شئ استطالة وبغيا ويقال للذى يطيل الجلوس فى الشمس حتى يتحير بصره قد سدر فهو سادر (فى غلوائه) ارتفاعه للشر ولجاجة فيه وهو من غلا يغلو فى الامر اذا جاز الحد فيقال يا أيها الاعمى الكثير اللجاج فى ركوب المعاصى هلا نظرت بعين البصيرة ورجعت عما أنت عليه من الضلال (السادل) المرخى (خيلائه) كبره (الجامح) الجارى الى غير غاية وقد جمح الفرس اذا أكب رأسه وجرى فى غير قصد فيريد انه أكثر الفساد حتى جرى منه فى غير طريق (الجانح) المائل (الخزعبلات) الاباطيل وهو ما يتراءى للانسان فى نومه من الخيال (تستمر) تدوم فى مرورك (غيك) ضلالك (تستمرئ) تستطيب من المرئ وهو ما يلتذ به من الطعام (بغيك) ظلمك (تتناهى) تبلغ النهاية ونهاية الشئ آخره (زهوك) كبرك وعجبك (اللهو) ما يشغل عن الخير من أنواع الطرب وقال القاضى أبو حفص بن عمر فى ذم الكبر وما يتعلق به

(ذم الكبر)

خب فى مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله أيها السادر فى غلوائه السادل ثوب خيلائه الجامح فى جهالاته الجانح الى خزعبلاته الام تستمر على غيك وتستمرئ مرعى بغيك وحتام تتناهى فى زهوك ولا تنتهى عن لهوك تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك وتستخفى من مملوكك وما تخفى خافية على مليكك أتظن أن

ولا تنسب الى كبر فهذا * أبوك الترب يحفظك انتسابا
ولا تحصب أخا كبر وقدم * على النفس الاعادى والصحابا
ولا تحبب محاباة بمدح * كفى بالمرء حوبا أن يحابى
وحاذر أن ترى فى القوم رأسا * ولا تنفس الذنوب وكن ذنابا
ترابا كن هنا فعساك أن لا * تمنى أن تكون غدا ترابا

(وقال أبو نواس) حذرتك الكبر لا يغشاك ميسمه * فانه ملبس نازعته الله *
يا بؤس جلد على جوف مجوفة * يحوى مقاذير ان كلمته تاها
برى عليك له فضلا يبين به * ان نال فى العاجل السلطان والجاها
آبى لا مقت نفسى عند نخوتها * فكيف آمن مقت الله اياها

(وقال أبو العتاهية) عجبت للانسان فى فخره * وهو غدا فى قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة * وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما * يرجو ولا تأخير ما يحذر

(قوله تبارز) أى تكاشف وتقابل والبارز الظاهر المنكشف و (الناصية) شعر مقدم الرأس (تجترئ) تقدم وتشجع والجرئ الشجاع المقدام (سيرتك) عادتك وجمعها سير وهى ما يعامل به الناس من خير أو شر وتقول سرت سيرة من خير أو شر اذا أحدثتها فعمل بها الناس بعدك فصارت عادة لهم ولذلك فسرنا السيرة بالعادة حيث وقعت وأصل السيرة هيئة فعل السير وذلك انك تقول جلس فلان جلسة بالفتح وهى المرة الواحدة من جلوسه واذا كسرت الجيم فهى هيئة جلوسه ومثله ركب ركبة والركبة هيئة ركوبه وتقول سار هذا الفعل سيرة والسيرة بالكسر هيئة سيره فى الناس من حسن أو قبح أو صواب أو خطا وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هيئة أعماله حيث كانت (تتوارى) تستتر (بمرأى رقيبك) أى بمنظر ربك أو بحيث يراك ورقيب الشئ حافظه وحارسه (مليكك) مالكك وأراد ان الانسان اذا خلا بريبة استتر بها عن أخيه وعبده حياء منهما ولا يستحى من ربه الذى يطلع على معاصيه ولا يخفى عليه خافية وأشار الى قوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم الآية وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

ان كنت تعلم ان الله يا عمر * يرى ويسمع ما تأتى وما تذر

وأنت فى غفلة من ذاك تركبها * نهاك عنه فأين الخوف والحذر
تجاهر الله اقداما عليه ومن * حيالة الناس تستخفي وتعتذر

(وقال نابغة بنى شيبان)

ان من يركب الفواحش سرا * حين يخلو بسره غير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه * شاهداه وربه ذو الجلال

(وقال أبو نواس) اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا أن ما يخفى عليه يغيب
لهونا لعمر الله حتى تراكمت * ذنوب على آثارهن ذنوب

(حالك) عزتك ومالك (آن) حان وقرب (ارتحالك) انتقالك (توبقك) تهلكك يقال أوبقته الذنوب أهلكته فوبق أى هلك وبق أيضا وقال أعشى همدان

استغفر الله أعمالى التى سلفت * من عثرة ان يعاقبنى بها أبق

(زلت) زلقت (معشرك) قومك (محشرك) موضعك الذى تحشر اليه (انتهجت) ركبت والنهج والمنهج والمنهاج الطريق الواضح (محجه) طريق من حجه يحجه اذا قصده (اهتدائك) استقامتك (معالجة) مداواة (فللت) كسرت (شباة) حد (اعتدائك) جورك وظلمك (قدعت) كففت قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس عدوك الذى ان قتلته كان لك نورا وان قتلك دخلت الجنة ولكن أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك * وقال الاصمعى كنا بطريق مكة فى بعض المنازل اذ وقفت علينا أعرابية فقالت أطعمونا مما أطعمكم الله فناولها بعض القوم شيأ فقالت له كبت الله لك كل عدو لك الا نفسك (قوله أما) حرف اخبار واستفتاح كألا (الحمام) الموت من حم الامر قضى (الميعاد) الموعد (ما اعدادك) ما استعددت له والاعداد مصدر أعد للامر اذا هيأ له ما يحتاج اليه من عدة يقول الموت هو الذى وعدت به أن يأتيك ولا بد فما استعددت له من أفعال البر وللفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران

يا صاح فى الموت لنا حكمة * بالغة لو أننا ننتفع
فاعمل له قبل مفاجاته * ويحصد الزارع ما قد زرع
لا حيلة تنجيك منه ولا * ذو وزر عنه به يمتنع
كم أمم أفناهم قبلنا * وشمل قوم شته فانصدع

(ولطبيب) فقد أيقنت بالموت نفسى لاننى * رأيت المنايا يخترمن حياتنا
فياليت أنى بعد موتى ومبعثى * أكون رفاتا لا على ولا ليا

(المشيب) الشيب يقال شاب رأسه شيبا ومشيبا (انذارك) اعلامك وأنذرك أعلمك بما تحذره وخوفك منه وأراد قوله تعالى وجاءكم النذير وانظر هذا المعنى فى الحادية والاربعين مستوفى نظما ونثرا (أعذارك) جمع عذر والاعذار بكسر الهمزة مصدر أعذر فى طلب الحاجة اذا بالغ فيها قال ابن القابلة السبتى وجنس قوافيه

الشيب فى مفرقى حلا * وعقد عهد الملاح حلا
وكان كالآبنوس رأسى * فاحتله عاجه فخلا
وحرمت وصلى الغوانى * وقلن قتل العميد حلا

(اللحد) حفرة فى جانب القبر ولحد الميت وألحده شق له فى جانب القبر وأصل اللفظة الميل و (مقيلك) مقامك وأصله النوم فى القائلة (قيلك) حديثك المقول وحجتك الواضحة والقول مصدر كالطحن والذبح والقيل اسم للمقول كالطحن بالكسر اسم للدقيق المطحون والذبح اسم للمذبوح * يعقوب القال والقيل اسمان لا مصدران * ابن سيده القيل فى الاصل مصدر وحكى الفارسى قاله قولا

قوله أما حرف اخبار الخ الظاهر ان هذا استفهام تقرير اه مصححه

ستنفعك حالك اذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك أعمالك أو يغنى عنك ندمك اذا زلت قدمك أو يعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهى أكبر أعدائك أما الحمام ميعادك فما اعدادك وبالمشيب انذارك فما أعذارك وفى اللحد مقيلك فما قيلك والى الله

مصيرك فمن نصيرك طالما
أيقظك الدهر فتناعست
وجذبك الوعظ فتقاعست
وتجلت لك العبر فتعاميت
وحصحص لك الحق فتماريت
وأذكرك الموت فتناسيت
وأمكنك أن تؤاسي فما
آسيت تؤثر فلسا توعيه
على ذكر تعيه وتختار
قصرا تعليه على بر توليه
وترغب عن هاد تستهديه
الى زاد تستهديه وتغلب حب
ثوب تشتهيه على ثواب
تشتريه يواقيت الصلات
أعلق بقلبك من مواقيت
الصلات

وقيلا مثل ذكره ذكرا والقال يجوز أن يكون مصدرا وأن سيبويه يحكى ذامه ذاما وعابه عابا الا أنه لم ينص على القال (مصيرك) رجوعك (نصير) معدول عن ناصر للمبالغة (تناعست) أى أظهرت أنك ناعس (جذبك) قادك بعنف ويقال جذب وجبذ وهى أقل من الاولى وصحفت العامة هذه الثانية وقالوا جبذ بدال غير منقوطة (تقاعست) تأخرت وتصعبت وتشبهت بالاقعس وهو الذى دخل ظهره وخرج صدره أى قادك الوعظ الى الخير فلم تنقد له والعرب تقول عزة قعساء كأنها تتقعس عن الذلة (تجلت) ظهرت و(العبر) ما يتخوف ويتعظ به عند رؤيته (حصحص) تبين من الحص وهو ذهاب الشعر فيتبين ما تحته والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة واذا اجتمع الامثال فى مثل هذا أبدلت العرب من الحرف الاوسط حرفا من جنس الحرف السابق ومثله حثحثت ورقرقت أصلهما حثثت ورققت هذا قول الكوفيين وقال البصريون هما لغتان تقاربتا اذ لا يبدل الحرف الا من مثله أو من مقاربه فى المخرج وهذه الحروف متباعدة لا يصح ابدالها (ماريت) شككت (تؤاسى) تعطى (تؤثر) تفضل (توعيه) تجعله فى وعاء (بر) احسان (توليه) تعطيه وتلصقه بمن تبره (هاد) مرشد لطريق الخير (ترغب) عنه أى تتركه (تستهديه) أى تسترشده وتسأله أن يهديك الى الخير و(تستهديه) الثانية تطلب أن يهدى لك هدية يقول تترك من يهديك الى طريق الخير فلا تسأله الهداية وتقصد أعراض الدنيا من الاطعمة وغيرها ترغب أن تعطى منها هدية قال الزاهد بن عمران

توقى وحاذر من قبول هدية * وان جاء نافيها الحديث المرغب
فقد حدثت بعد الرسول حوادث * تحذرنا منها وعنها ترغب
فكانت هديات الاوائل قبلها * تؤلف فيما بينهم وتحبب
فعادت بلايا يسرع المن نحوها * تفرق فيما بيننا وتجنب

(وله فى مثله)

احذر هدايا الناس تأمن من الشـ * ـن بها أو قول واش يشى
فقل من يهديك الامر و * من رغبة أو رهبة قد خشى
التبس الامر فلا تقدمن * واخش مقام الله فيمن خشى
كانت هدايا ثم عادت رشا * وفى الرشا الهلك لمن يرتشى
حذرنا منها نبى الهدى * اذ لعن الراشى والمرتشى

(الثواب) المكافأة على الفعل وأراد به ما يجازى الله به عبده على احسانه من الاجر وهو من ثاب يثوب اذا رجع وأثبت الرجل أعطيته الثواب وهو المكافأة على فعله (قوله يواقيت) أى جواهر (الصلات) العطايا (أعلق) ألصق (مواقيت) أوقات وهى جمع ميقات * ومما يستحسن من تجنيس الصلات والصلاة حكاية أحمد بن المدبر وكان اذا امدحه شاعر ولم يرض شعره قال لغلامه امض به الى المسجد فلا تفارقه حتى يصلى مائة ركعة ثم خله فتحاماه الشعراء الا الافراد المجيدين فجاء الحسين بن عبد الرحمن البصرى المعروف بالجمل فاستأذنه فى النشد فقال أعرفت الشرط قال نعم وأنشد

أردنا فى أبى حسن مديحا * كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلنا أكرم الثقلين طرا * ومن كفاه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن * جوائزه على المدح الصلاة
فقلت لهم وما تغنى صلاتى * عيالى انما تغنى الزكاة
فأما اذ أبى الا صلاتى * وعاقتنى الهموم الشاغلات
فيأمر لى بكسر الصاد منها * لعلى أن تنشطنى الصلات
فتصلح لى على هذا حياتى * ويصلح لى على هذا الممات

فضحك واستظرفه وأمر له بمائة دينار وقال من أين أخذت هذا قال من قول أبى تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

(قوله مغالاة الصدقات) أى الزيادة فى المهور وغاليت زدت فى ثمن السلعة ورددتها غالية والصدقات واحدتها صدقة وهى الصداق قال النبى صلى الله عليه وسلم من يمن المرأة تيسير صداقها وخطبتها قال عروة وأنا أقول من أول شؤمها أن يكثر صداقها (آثر) أفضل وأكثر أثرة (موالاة) متابعة (صحائف) جمع صحيفة وهى الورقة يكتب فيها من الرق والقرطاس (دعابة) مزاح وفى فلان دعابة وتداعب الرجلان تمازحا وفى الحديث كانت فيه صلى الله عليه وسلم دعابة وفى حديث جابر رضى الله عنه هلا بكرا تداعبها وتداعبك (الاقران) الاصحاب والامثال (تلاوة) قراءة وتلوته قرأته واختلفوا فى اشتقاق القرآن فقال أبو عبيدة سمى قرآنا لانه يجمع السور ويضمها قال الله تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه أى اذا جمعنا لك شيأ فضمه واعمل به وقال قطرب سمى قرآنا لان القارئ يظهره ويبينه ويلقيه من فيه من قول العرب ما قرأت الناقة سلاقط أى مارمت به وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قالوا يا رسول الله ما جلاؤها قال قراءة القرآن (العرف) أى المعروف (تنتهك) تبالغ فى تناوله بما لا يجوز (حماه) ما حمى منه ومنع وأصل الحمى موضع العشب يحميه الرجل لابله وانتهاكها استئصال عشبه بالرعى ونهكت الجلد وانتهكته اذا أخذته بشفرة حتى يرق ويضعف (النكر) المنكر (تحاماه) تباعد عنه (تزحزح عن الظلم) تنحى عنه غيرك وتزيله (وتغشاه) تأتيه وتباشره (تخشى) تخاف وقال ذو الرمة فى هذا المعنى وهو أحسن شعر قاله

يارب قد أسرفت نفسى وقد علمت * علما يقينا لقد أحصيت آثارى

يامخرج الروح من نفسى اذا احتضرت * وفارج الكرب زحزحنى عن النار

دعا لنفسه أن يكون من الفائزين لقوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (قوله تبا) أى خسرانا وهلاكا وتبت يده خسرت قال تعالى وما زادوهم غير تتبيب أى غير خسار وهلاك قال الشاعر

عرادة من بقية قوم لوط * ألا تبا لما عملوا تبابا

(ثنى) عطف ورد (انصبابه) جريه (يستفيق) يستريح وأفاق من المرض استراح (غراما) شدة حب لازم له غير مفارق ومنه سمى الغريم لملازمته التقاضى والحاحه فيه وقال تعالى ان عذابها كان غراما أى ملحا دائما ومنه انا لمغرمون وفلان مغرم بالنساء يحبهن ويلازمهن وقال حاتم

فما أكله ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان خفتها بغرام

أى بهلاك وملازمة (فرط صبابة) شدة شوق ومجاوزة حد فى ذلك (يروم) يطلب (صبابة) بقية الماء وهذا الشعر مستحسن القوافى ومثله فى ذلك قول الزاهد بن عمران وكثيرا ما كان يستشهد فى شعره من أدب المقامات

تبا لذى جهل دعا المبرة * وأجبته بترابه فأذاعها

منا وقد كافأته بهباته * وذخرتها عندى لمن أضاعها

فاقل اللئام من الرجال ولا تجب * مهما دعوك وجنبن أوضاعها

وقال آخر

يامن يضيع عمره * متماديا فى اللهو أمسك

واعلم بأنك لامحا * لة ذاهب كذهاب أمسك

(وللمنصور الفقيه فى الشعر المردف)

اذا كنت تزعم أن الفراق * فراق الحياة قريب قريب

وان المقدم مالا يفوت * على ما يفوت مصيب مصيب

وأنت على ذاك لا ترعوى * فأمرك عندى عجيب عجيب

(وقال) القاضى أبو حفص عمر فى معنى شعر الحريرى فى ذم الدنيا

ياراكدا فى طلاب دنيا * ليس لمن تصرع انتعاش

ومغالات الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحائف الالوان اشهى اليك من صحائف الاديان ودعابة الاقران آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتحمى عن النكر ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم أنشد

تبا لطالب دنيا
ثنى اليها انصبابه
ما يستفيق غراما
بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه
مما يروم صبابه

(ذكر ذم الدنيا)

لم تحش ناراهوى لظاها * لمن له نحوها انحياش
أعذر منك الفراش حالا * علمت ما يجهل الفراش
تطلبها لا تنام عين * عنها ولا يستقر جاش
من لك بالرى من شراب * يشتد من شربه العطاش
دعها فطلابها رعاع * طاشت بألبابهم فطاشوا
لم يردوها فهم رواء * ووار دوها هم العطاش
فاظمأ لترتوى وكن كقوم * سقوا بها غبة فعاشوا
كأن آمالنا ظباء * ونحن من حيرة خداش
ان لا تمالنا انبساطا * به لا عمارنا انكماش
كأن آجالنا صقور * ونحن من تحتها خشاش

(ولابن الرومى رحمه الله)

لعمرك ما الدنيا بدار اقامة * اذا زال عن عين اللبيب غطاؤها
فكيف بقاء الناس فيها وانما * ينال بأسباب الفناء بقاؤها

(وقال آخر) ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمرى عن قريب يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(ولابن سادة رحمه الله تعالى)

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

ثم انه لبد عجاجته وغيض مجاجته واعتضد شكوته وتأبط هراوته فلما رنت الجماعة الى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة مركزه أدخل كل منهم يده فى جيبه فأفعم له سجلا من سيبه وقال اصرف هذا فى نفقتك أو فرقه على رفقتك فقبله منهم مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليه مهيعه ويسرب من يتبعه لكى يجهل مربعه (قال الحرث بن همام) فاتبعته مواريا عنه عيانى وقفوت أثره من حيث لا يرانى حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة فأمهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه

(قوله ثم انه لبد عجاجته) أى سكن عبرته المرتفعة حتى لصقت بالارض (غيض) جفف (المجاجة) ما يلقى من فيه وقد مج الرجل ريقه اذا سال من حمق أو كبر وأراد بلبد عجاجته قطع كلامه الذى كان قد استرسل وأخذه من قول سليمان بن عبد الملك وقد تكلم وفد بين يديه فلم يصنعوا شيأ وتكلم بعدهم رجل قبيح المنظر فابلغ فقال سليمان كأن كلامه بعد كلامهم سحابة لبدت عجاجا وأراد بغيض مجاجته ما كان يسيل من عينيه وأنفه عند البكاء (اعتضدها) جعلها تحت عضده (والشكوة) ركوة الماء تصنع من جلد الثور أو الخروف و(تأبطها) جعلها تحت ابطه (هراوته) عصاه (رنت) نظرت (تحفزه) تهيئه وتجلته لا نصراف وتحفز وانحفز اذا كان جالسا على عقبيه متهيئا للقيام (تأهبه) استعداده (مزايلة) مفارقة (مركزه) موضعه الذى قام به (أفعم) ملأ وفعمت الشئ فعما ملأته (سجلا) دلوا (سيبه) عطائه معناه وهب لنا نصيبا من عطائه (رفقتك) أصحابك (مغضيا) مستحيا وأصلى أغضى كف بصره وضم جفنيه (انثنى) رجع وانعطف عن طريقه (مهيعه) طريقه البين (يسرب) يفرق فكأنه تفعل من السرب وهو الطريق كأنه يردهم من تشييعه فى طرق مختلفة أو يكون من لفظ السرب وهو الجحر فكأنه يغيبهم عنه حيث يقصد تعمية طريقه عليهم أو يكون من لفظ السارب وهو الذاهب فى الارض وقد سرب سروبا فكأنه يذهبهم فى كل ناحية ليجهل مكانه (مربعه) منزله فى الربيع خاصة والمربع المنزل فى كل وقت من ربعت المكان أقمت به (مواريا) ساترا (عيانى) شخصى أى تبعته مستخفيا بحيث لا يرانى (قفوته) اتبعته من جهة قفاه (انساب) دخل وأصل الانسياب جرى الحية على وجه الارض أو جرى الماء كذلك ولا يكون الانسياب الا على وجه الارض لا يقال انساب فى الجحر حدثنى به بعض من لقيت من أصحابنا وكان أضبط الناس للسان العرب قال وقول الحريرى انساب فيها وهم منه ولو قال انسام فيها لكان أمثل يشبهه بالسيف اذا وضع فى غمده (غرارة) غفلة (ريث) قدر (هجمت عليه) دخلت عليه فجأة ومنه هجم عليه الحر وهجمت عينه دخلت فى رأسه

محاذيا

(محاذيا) ملاصقا أو حاليا بحذائه (تلميذ) متعلم الصنعة (حنيذ) مشوى وحنذ اللحم حنذا شواه بحجارة محماة (نبيذ) أراد به خمرا (خبرك) أراد به أمرك الذى أنت عليه (مخبرك) أى باطنك وما يختبر منك * ومما ينتظم فى هذا النمط حكاية أبى نواس حين روى فى مجلس منصور ابن عمار يبكى فظن الناس أنه قد نسك فجعلوا يهنؤنه ويقولون نرجو لك من الله الخير فقال أنا أهون على الله من ذلك وليس كما تظنون ولكن أبكى لبكاء ذلك الغزال وغلام بالمجلس يبكى من وعظ منصور ثم قال لم أبك فى مجلس منصور * شوقا الى الجنة والحور

لكن بكائى لبكا شادن * تقيه نفسى كل محذور

تنتسب الالسن فى وصفه * الى مدى عجز وتقصير

وحضر أيضا مجلس بعض القصاص فقالوا له لعل الله قد أقبل بك فقال انما حضرت لاجل هذا الغزال ثم قال * خليانى والمعاصى * ودعا ذكر القصاص

واسقيانى الخمر صرفا * فى أباريق الرصاص

وعلى وجه غزال * طائع ليس بعاصى

بين فتيان كرام * قد تواصوا بالمعاصى

وعلى الله وان أفـ * ـرطت فى الذنب خلاصى

(قوله فزفر زفرة القيظ) الزفرة تنفس المهموم أو المغتاظ والقيظ شدة الحر شبه ما أبداه من شدة الغيظ بوهج الحر (يتميز) يتقطع ويتفرق (يحملق) يحد النظر والحملقة نظر الغضبان والحملاق باطن الجفن (يسطو) يصول ويتناولنى بالمكروه يقال سطا عليه وبه يسطو سطوا وسطوة اذا قهره وأذله (خبت ناره) سكنت حدة غيظه (توارى) تغطى واستتر (أواره) لهيبه ونار غيظه والاوار وهج النار (الخيصة) كساء فيه خطوط وقال يعقوب وأبو عبيد الخميصة كساء مربع أسود له علمان (الخبيصة) نوع من الحلواء وتسميه عامتنا الخبيز بارا وكنى به عن لذة العيش (الشص) حديدة معوجة يصاد بها الحوت وتسمى الصنارة (شبصة) تمرة رديئة ومن ملح قصاص البلدان ان أبا عبد الله الخواص كان يقول فى قصصه انما الناس مثل التمر فيهم الشيص والبرنى يارب اجعلنا برنيا ولا تجعلنا شيصا وقال قاص آخر ان فى الجنة لحم جدى ولحم خروف ولحم كل شئ بلا عظم مثل الشيص فى بلاد نا بلا نوى يريد أنه لا يحتقر شيأ فكل ما تحدله أخذه (أحبولة) آلة يصاد بها (أريغ) أطلب ما به سعب أخذه كانه يروغ من كذا وأصل راغ من كذا أى عدل عنه ورجع وهو يخفى رجوعه قال الفراء لا يقال للذى يرجع راغ يروغ الا أن يكون مخفيا لرجوعه قال الله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين أى رجع اليهم يضربهم مخفيا لرجوعه ومعنى باليمين أى بيمينه الذى حلف فى قوله تعالى وتالله لاكيدن أصنامكم أو يريد باليمين القوة وقال تعالى فراغ الى أهله فجاء بعجل أى رجع اليهم فى اخفاء منه لرجوعه (القنيص والقنيصة) الذكر والانثى مما يصاد من الوحش وهذا مثل وانما أراد ما يأخذه من الناس بالحيل (ألجأنى) أحوجنى (ولجت) دخلت (لطف) رفق وتلطف (عيصه) بيته وأصله الشجر الملتف و (الليث) الاسد (أهب) أخف (صرفه) تقلبه (نبضت) تحركت (فريصة) بضعة فى آخر الكتف تتحرك عند الفزع (شرعت) دخلت و (على) بمعنى فى نحو قولك كان ذلك على عهد فلان أى فى عهده (مورد) موضع الماء (يدنس) يوسخ ويعيب (عرضى) ذكرى (نفس حريصة) كثيرة الرغبة والطمع (النقيصة) الخصلة القبيحة يفعلها الرجل فينقص بها ومن أحسن ما قيل فى الدهر قول تميم بن المعز

يا دهر ما أقسالك من متلون * فى حالتيك وما أقلك منصفا

أتروح للنكس الجهول ممهدا * وعلى اللبيب الحر سيفا مرهفا

فوجدته محاذيا بالتلميذ على خبز سميذ وجدى حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا أيكون ذلك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الى حتى خفت أن يسطو على فلما أن خبت ناره وتوارى أواره أنشد شعرا

لبست الخميصة أبغى الخبيصه * وأنشبت شصى فى كل شيصه

وصيرت وعظى أحبولة * أريغ القنيص بها والقنيصه

وألجأنى الدهر حتى ولجت * بلطف احتيالى على الليث عيصه

على أننى لم أهب صرفه * ولا نبضت لى منه فريصه

ولا شرعت بى على مورد * يدنس عرضى نفس حريصه

ولو أنصف الدهر فى حكمه * لما ملك الحكم أهل النقيصه

ثم قال لى ادن فكل وان شئت فقم وقل فالتفت الى تلميذه وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الاذى لتخبرنى من ذا فقال هذا أبو زيد السروجى سراج الغرباء وتاج الادباء فانصرفت من حيث أتيت وقضيت العجب مما رأيت

﴿المقامة الثانية الحلوانية﴾

حكى الحرث بن همام قال كلفت مذ ميطت عنى التمائم ونيطت بى العمائم بأن أغشى معان الادب وأنضى اليه ركاب الطلب لاعلق منه بما يكون لى زينة بين الانام ومزنة عند الاوام وكنت افرط اللهج باقتباسه والطمع فى تقمص لباسه أباحث كل من جل وقل وأستسقى الوبل والطل وأتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان وقد بلوت الاخوان وسبرت الاوزان وخبرت ماشان وزان ألفيت بها أبا زيد السروجى يتقلب فى قوالب الانتساب

واذا صفوت كدرت شيمة باخل * واذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وان كرمت لاننى * أدرى بانك لاتدوم على الصفا
زمن اذا أعطى استرد عطاءه * واذا استقام بدا له فتحرفا
ماقام خيرك يازمان بشره * أولى بنا ماقل منك وماكفى

﴿ولادريس بن اليمانى﴾

ماذا أقول لدنيا لو ظفرت بها * أدبتها غضبا للعلم والادب *
شجا من اقذية الايام برح بى * بل بالعوالى وبالهندية القضب

(قوله ادن) أى اقرب (قل) أى قل ماشئت (التلميذ) الخادم والجمع التلاميذ قال لبيد
* تجلو التلاميذ لؤلؤا قشبا * أى تجلو التلاميذ لؤلؤا جديدا وطلبة العلم تلاميذ شيخهم (الاذى) الضرر (سراج) مصباح يريد أنه للغرباء مصباح يفخرون به ويهتدون بحيلته وللادباء تاج يتزينون به ويضعونه فوق رؤسهم (انصرفت) رجعت (قضيت العجب) أى أتممته كأنه قال قضيت حاجتى مما رأيت ويقال قضى نحبه من كذا أى بلغ مراده وقضى عليه القاضى أى قطع عليه والقاضى القاطع للامور المحكم لها وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين أى قطعهن وأحكم خلقهن ويكون قضى بمعنى عمل

﴿شرح المقامة الثانية وهى الحلوانية﴾

(كلفت) أى اشتد حبى والكلف شدة الحب والمبالغة فيه وفلان كلف بفلان أى مبالغ فى محبته و(مطيت) وأميطت أزيلت (التمائم) الاحراز (نيطت) علقت واذا بلغ الصبى الحلم عند العرب أزالوا الاحراز عن عنقه وألبس العمامة والازار وقلد السيف فأراد أحببت مذ بلغت الحلم مجالس الادباء (أغشى) أقصد وأدخل (المعان) المنزل أبو عبيد يقال البصرة معاننا أى منزلنا قال المعرى
* معان من أحبتنا معان * فالاول اسم موضع معلوم جنس به وجعله منزل أحبابه وقال بعضهم سمى معانا للمعاينة الناس فيه بعضهم بعضا أولان فيه أعيانا (أنضى) أهزل (الركاب) الابل وجعل للطلب ابلا مجازا واغمارا يريد أتعبت نفسى فرحلت الى طلبه على الابل (لاعلق) منه لاحصل منه على فائدة أتعلق بها (الانام) الخلق (مزنة) سحابة (الاوام) شدة العطش يريد أنه يتعب نفسه فى طلب الادب ليتزين به بين الناس ويعيش به اذا احتاج اليه (فرط اللهج) شدة الحب يقال قد لهج بالشئ اذا أكثر الحديث به لحبه فيه وحرصه عليه ولهج الفصيل بالرضاع اذا لج فيه (اقتباسه) اكتسابه (التقمص) لبس القميص (لباسه) ثيابه أى أطمع أن ألبس من ثيابه قميصا (أباحث) أسائل (جل) عظم (قل) حقر (استسقى الوبل والطل) أى أطلب منه السقى والوبل أشد المطر والطل أضعفه ويقال الركيك أضعف من الطل ومنه قيل للدنىء ركيك (أتعال) أشغل نفسى وأطمعها والعلالة الشئ اليسير و(عسى ولعل) معناهما الرجاء والطمع يريد أنه يسائل الجليل فى العلم والحقير ومن كثر علمه كان كالوبل أوقل كان كالطل واذا افتقد من يؤخذ عنه العلم رجى نفسه بوجوده وأطمعها والتعلل قطع الزمان بالعيش اليسير وقد تعلل بشرابه اذا أخذ منه قليلا قليلا فعنى أتعلل بعسى ولعل أذهب علة وجدى بالرجاء والطمع (حللت) نزلت (حلوان) بلدة بينها وبين مدينة بغداد أربع مراحل وهى من كور الجبل وسميت باسم بانيها وهو حلوان بن على بن الحاف بن قضاعة وهى مدينتان بينهما نهر عظيم مقداره فرسخ وهى مقابلة لطبرستان وهى جبلية سهلية بحرية لها زيتون ونخيل وبها قصب السكر وافتتحت فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (بلوت) جربت (الاخوان) الاصحاب (سبرت) فتشت (الاوزان) أقدار الناس (خبرت) جربت وعرفت (شان) عاب و(زان) زين يريد أنه دخلها وهو مجرب عارف بالناس (ألفيت) وجدت (يتقلب) يتنوع (قوالب) جمع قالب وقالب كل

ويخبط فى أساليب
الاكتساب فيدعى تارة
أنه من آل ساسان ويعتزى
مرة الى أقيال غسان ويبرز
طورا فى شعار الشعراء
ويلبس حينا كبر الكبراء
بيد أنه مع تلون حاله وتبين
محاله يتحلى برواء وروايه
ومداراة ودرايه وبلاغة
رائعه وبديهة مطاوعه
وآداب بارعه وقدم لاعلام
العلوم فارعه فكان لمحاسن
آلاته يلبس على علاته
ولسعة روايته يصبى الى
رؤيته ولخلابة عارضته
يرغب عن معارضته
ولعذوبة ايراده يسعف
بمراده فتعلقت بأهدابه
لخصائص آدابه ونافست
فى مصافاته لنفائس صفاته
﴿فكنت به أجلو همومى وأجتلى
زمانى طلق الوجه ملتمع الضيا﴾
﴿أرى قربه قربى ومغناه غنية
ورؤيته ريا ومحياه لى حيا﴾

شئ قياسه ومايصنع عليه (يخبط) يمشى والخبط المشى فى الارض على غير قصد كمشى الاعمى (أساليب) طرق واحدها أسلوب (آل ساسان) ملوك الفرس (يعتزى) ينتسب (أقيال) ملوك (غسان) قبيلة باليمن كان منها ملوك وغسان ماء كان شربا لولد مازن بن الازد بن الغوث فسموا به (يبرز) يظهر (طورا) حينا (شعار) ثياب والشعار ثوب يلى الجسد (كبر) تكبر يريد أنه لقى أبازيد بحلوان يتنوع بذلك فى أحوال المكدين ويجرى بذلك فى طرق اكتساب المعيشة فيدعى أنه من آل ساسان وأصل هذا ان الفرس كان فيهم الملك وكانت العرب تحت حكم ملوكهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لملكهم بكتاب يدعوهم به الى الاسلام مزقوه فدعا الله عليهم أن يمزقوا كل ممزق فأوقع بهم المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد حروب شديدة معظمها بالقادسية فلم يبق لهم فى الملك رسم وصاروا فى خلافة عثمان رضى الله عنه تحت حكم المسلمين وكانوا أهل دهاءة وجراءة وحروب ورماية فسكن من بقى منهم الامصار واستعربوا وتفقهوا فكان منهم من نفع الله به المسلمين وكان منهم أهل أهواء وبدع ونشأت منهم هذه الطائفة الخسيسة أهل الكدية فكانوا يطوفون على البلدان ويقولون نحن من بنى ساسان فينتسبون الى ملوكهم ثم يتذللون فى السؤال ويذكرون تلاعب الدهر بهم وانقلاب حال الملكة الى السؤال فيقع الاشفاق عليهم والميل بالرزق لهم حتى شعر بمكرهم وخديعتهم فطردوا وصار الناس اذا رأوا سائلا متمسكا قالوا ساسانى وقيل ان ساسان اسم رجل معين وهو أول من أسس الكدية فنسبوا اليه كما أن الطفيلى منسوب الى رجل اسمه طفيل وهو أول من تطفل فأراد أن أبازيد كان يتنوع فى أحواله فيتمسكن تارة ويدعى انه من ساسان ويتعاظم أخرى فينتسب الى غسان ويبرز مرة فى أحلاس الشعراء المكدين ويظهر ثانية فى ثياب فاخرة لباس الكبراء المثرين (قوله بيد أنه) أى غير (محاله) باطله والمحال مالا يمكن أن يتصور وهو مفعل من حال الشئ اذا تغير كانه زال عن وجهه (يتحلى) يتزين (رواء) نظافة وحسن منظر (مداراة) حسن سياسة فى صحبة وأصلها المخادعة (درايه) ودرية مصدر دريت (بلاغة) فصاحة (رائعه) معجبة من شاهدها ارتاع وتعجب (والبديهة) والبداهة الاخذ فى الكلام من غير فكرة وهى الارتجال (مطاوعه) منقادة (بارعه) فائقة تفضل غيرها (أعلام) جبال (فارعه) طائلة قد علتها واللام فى قوله لاعلام زائدة وزيادتها اذا تقدمت أحسن منها اذا تأخرت مثل ضربت زيدا ولزيد ضربت (آلاته) عدده وأراد به هذه الانواع التى قدمها التى تحلى بها (يلبس) يصاحب ويخالط (علاته) عيوبه التى ذكر من أنواع الغربة (سعة روايته) كثرة علمه ومايرويه (يصبى) يمال (خلابة) خداع وقد خلبه خلبا وخلابة خدعه (عارضته) قوة كلامه (معارضته) مقابلته ومناقضة كلامه وتقول رغبت عن الشئ تركته وتزهدت فيه ورغبت فيه اذا أحببته فيريد أنه لقوة كلامه وصلابته لا يتعرض أحد لجداله فهو يخادع به الناس حتى لا يعترض فيما يقول وقيل معنى فلان شديد المعارضة اذا أفحش وأسمع المكروه ورجل شديد العارضة أى لا تقرب ناحيته (ايراده) أخذه فى الكلام (يسعف) يساعد (أهدابه) أطراف ثوبه و(خصائص) الشئ مايختص به أى ينفرد (نافست) زايدت وغاليت (مصافاته) مصاحبته (نفائس) جمع نفيس وهو الرفيع من كل شئ يسمى نفيسا من النفس وهى العين حتى كانه لرفعته تتعلق به العين وقد قال المعرى

فالعين يسلم منها مارأت فنبت * عنه وتلحق ماتهوى من الصور

(قوله أجلو) أى اكشف (أجتلى) أنظر (طلق الوجه) مستبشرا والطلق ضد العابس (ملتمع) منير بادى اللمعان (قربى) نسبا و(مغناه) منزله من قولهم غنى بالمكان يغنى غنيانا اذا أقام به (غنية) غنى يقال غنى يغنى غنى فهو غنى اذا استغنى والاسم الغنية (ريا) شبعا من الماء ورويت من الماء ضد عطشت (محياه) حياته (حيا) مطر عام يقول انه كان بمصاحبته أبازيد يزول همه ويلقاه يبشر منه

فيرى قربه منه بالود كقرابة النسب وكان منزله لما يجد فيه من الخصب أو من غزارة العلم يرى أنه غناه واذا رآه زال عطشه للعلم أو للماء برؤيته وقصد تجنيس الالفاظ يبعد المعنى (لبثنا) أقمنا (برهة) مدة (ينشئ) يصنع ويبتدئ و(النزهة) أصلها التباعد عن الريب ثم كثرت حتى صارت الخروج للرياض للتفرج ثم استعملت فى المعانى فقيل نزه فلان فى آدابه وكنى بهذا عما يستفيده من علمه (يدرأ) يدفع (شبهة) اشكال والتباس (جدحت) حركت ومزجت والمجدح آلة يمزج بها المشروب الصعب الامتزاج (الاملاق) الفقر من الملقه وهى الصخرة الملساء فأملق كأنه صادف ملقة لا تنبت شيأ ولم يصادف خصبا بعد أن كان فى ترفه وغنى (أغراه) حرضه و(العراق) اختلفوا فيه فقال صاحب العين العراق العظم بلا لحم فان كان عليه لحم فهو عرق * ابن قتيبة يقال للعظم الذى عليه اللحم عراق وللخالى من اللحم عرق * أبو عبيد العراق القطعة من اللحم * أبو زيد قول العامة ثريدة العراق خطأ اذا كان العراق العظام وأنشد لرجل يطرد الطير عن زرعه فى عام جدب

عجبت من نفسى ومن اشفاقها * ومن طراد الطير عن أرزاقها
فى سنة قد كشفت عن ساقها * حمراء تبرى اللحم عن عراقها

* ابن الانبارى قول أبى عبيد هو الصواب لان العرب تقول أكلت العراق ولا تقول أكلت العظم وفى حديث أم اسحق العنزية فجعلت لا آكل العراق ولا أضعه فقولها لا آكل يدل على ان العراق لحم مفرد أو لحم على عظم * الاصمعى قيل لاعرابى أى الطعام أطيب قال ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات حفافين من البضع لها جناحان من العراق قيل كيف أكلك لها قال أصدع بهاتين يعنى السبابة والوسطى وأسند بهذين يعنى الابهام والخنصر وأجمع ما شذ منها بهذه يعنى البنصر وأضرب فيها ضرب ولى السوء فى مال اليتيم فهذا يدل على ان العراق قطع اللحم اذ كانت العرب لا تصف الثريد والاطعمة بكثرة العظام والعراق فى البيت الاكل تقول عرقت العظم عرقا أكلت ما عليه من اللحم والعظم معروق وهو بمنزلة سكت سكاتا (العراق) قال صاحب العين هو شاطئ البحر وبه سميت العراق لانها على شاطئ دجلة * ابن الاعرابى سمى عراقا لانه سفل عن نجد ودنا من البحر أخذ من عراق القربة وهو الخرز فى أسفلها *قطرب سمى عراقا لانه دنا من البحر وبه يناخ وينجد ويقال استعرقت ابلهم اذا أتت ذلك الموضع (لفظته) أى رمته و(معاوز) جمع معوز والمعوز هو العوز نفسه والمعوز بالكسر الثوب الخلق وجمعه معاوز و(الارفاق) مصدر أرفقته اذا أوصلت اليه نفعا يرتفق به ورفقته بمعناه فأراد بمعاوز الارفاق فقد ما يرتفق به و(المفاوز) جمع مفازة وهى الصحراء سميت مفازة على التفاؤل لان الرجل اذا قطعها فاز ونجا (الآفاق) نواحى الارض (نظمه) ضمه وجمعه (سلك) خيط (الرفاق) جمع رفقة وعنى بسلك الرفاق الطريق الذى ينتظمون فيه اذا أخذوا فى السير لانهم يمشون فيه واحدا بعد واحد فنظمهم الطريق وصار لهم كالسلك (خفوق) اضطراب وقد خفق خفقا وخفوقا و(الاخفاق) الخيبة ويقال غدا فأخفق اذا خاب ومثله فى الصائد صاد فأورق (شحذ) حد وسن وشحذ الرجل سيفه اذا ألح عليه بالتحديد ومنه قولهم للملح فى المسئلة شحاذ والعامة تصحفه فتقول شحات بالتاء (غرار) حد وأراد أنه لما عزم على الارتحال حد عزمته أى عول على السفر بجد و(العزمة) مصدر عزم اذا جد وجعل لها حدا مبالغة فى تعجيل السفر (ظعن) ذهب وارتحل (أزمه) جمع زمام وهو حبل من جلود يشد به فى حلقة مجعولة فى وتد أنف البعير فجعل تعلق قلوب أصحابه به عند فراقه وحنينهم اليه كأنه قد ربطها بأزمة وقادها معه فمن روى القلوب عادت الهاء من أزمته على السروجى ومن روى القلب عادت على القلب أو على السروجى والقلب لابن همام (قوله راقنى) أى أعجبنى وقد راق الشئ يروق روقا فهو رائق اذا أعجب (لاقنى) لصق بى وصحبنى (شاقنى) شوقنى (ساقنى لوصاله) دعانى لصحبته (لاح) ظهر (ند) فر وشرد (ند) مثل

ولبثنا على ذلك برهه
ينشئ لى كل يوم نزهه
ويدرأ عن قلبى شبهه
الى أن جدحت له يد
الاملاق كاس الفراق
وأغراه عدم العراق
بتطليق العراق ولفظته
معاوز الارفاق الى مفاوز
الآفاق ونظمه فى سلك الرفاق
خفوق راية الاخفاق فشحذ
للرحلة غرار عزمته وظعن
يقتاد القلب بأزمته
﴿فما راقنى من لاقنى بعد بعده
ولا شاقنى من ساقنى لوصاله﴾
﴿ولا لاح لى مذ ند ند لفضله

والجمع

والجمع أنداد (خلال) جمع خلة بالضم وهي الصداقة (خلاله) جمع خلة بالضم أيضا وهي الخصلة وهذا النمط في وصف الصديق وغيبته بارع ولابن عمران في ذلك

يامرحبا بصديق لست أبصره * الا تجدد لي أنس بمرآه
وان تغيب عن عيني فلم أره * فلي فؤاد بظهر الغيب يرعاه

(استسر) غاب واختفى وأصله في سرار الهلال في آخر الشهر وهو يستسر ليلة لا يظهر أو ليلتين و(العرين) بيت الاسد ومأواه (مبينا) معلما به يبين لي أين استقر (أبت) رجعت (منبت شعبتي) أي بلدة قرابتي التي نبذوا فيها بريدة البصرة والشعبة القرابة (دار كتبها) مدرسة العلم (منتدى) مجتمع (القاطنين) الساكنين وقطن بالمكان أقام فيه (كثه) كثيرة الاصول من غير طول

﴿ماقيل في طول اللحى﴾

ويقال للحية اذا قصر شعرها وكثر انها لكثة وقد كثت تكث كثاثة وكثوثة ورجل كث اللحية ولحية كثعومة اذا كثفت وقصرت وجعدت ورجل كثم اللحية واذا اعظمت وكثر شعرها قيل انه لذو عثنون وانه لهلوف فاذا كانت اللحية قليلة في الذقن ولم تكن في العارضين فذلك السنوط والسناط ورجل سناط بين السنط فاذا لم يكن في وجهه كثير شعر فذلك الثطط ورجل ثط ورجال ثطاط والسبلة مقدم اللحية ورجل مسبل وفلان خفيف العذارين وهما ما اتصل من شعر اللحية بالصدغ وهما العارضان وهما ما نبت في الخدين من الشعر على عوارض الاسنان قال رؤبة في لحية حوب بن قطن

هلوفة كأنها جوالق * نكداء لا بارك فيها الخالق
لها فضول ولها تفاتق * اذا الرياح العصف السوابق
طيرها طارت لها عقائق * ان الذي يحملها لمائق

(وأنشد أبو علي) وأنت امرؤ قد كثأت لك لحية * كأنك منها قاعد في جوالق

﴿ولاذو خلال حازمثل خلاله﴾
واستسر عني حينا لا أعرف له عرينا ولا أجد عنه مبينا فلما أبت من غربتي الى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين منهم والمتغربين فدخل ذو لحية كثه

وقال النبي صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء خفة لحيته وكانت عائشة رضي الله عنها تقسم فتقول لا والذي زين الرجال باللحى وتقول انه قسم الملائكة وقال الاحدب الصوفي سمعت طيار بن أحمد يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يارسول الله أشتهي لحية كبيرة فقال لي لحيتك جيدة وأنت محتاج الى عقل تام وقال صلى الله عليه وسلم اعتبروا عقل الرجل في ثلاث في طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وأتى برجل طويل اللحية معاوية فقال له أما اللحية فلا نسأل عنها فما نقش خاتمك فقال وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قال فما كنيتك فقال أبو الكوكب الدري قال لكل الرجل وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسواء وكان عبد الله بن عمر يقبض على لحيته ويأخذ ما زاد منها على قبضته * الحسن بن المثنى اذا رأيت رجلا له لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان في عقله شئ وكان المأمون جالسا مع ندمائه ببغداد مشرفا على دجلة وهم يتذاكرون أخبار الناس فقال المأمون ما طالت لحية انسان قط الا ونقص من عقله بقدر ما طال من لحيته وما رأيت عاقلا قط طويل اللحية فقال له بعض جلسائه ولا يرد على أمير المؤمنين قد يكون في طوال اللحى أيضا عقل فبينماهم يتذاكرون في هذا اذ أقبل رجل كبير اللحية حسن الهيئة فاخر الثياب فقال المأمون ما تقولون في هذا الرجل فقال بعضهم رجل عاقل وقال آخر يجب أن يكون هذا قاضيا فقال المأمون لبعض الخدم على بالرجل فلم يلبث ان أصعد اليه ووقف بين يديه فسلم فأجاد السلام فأجلسه المأمون واستنطقه فأحسن النطق فقال المأمون ما اسمك فقال علويه قال فما الكنية قال أبو حمدويه فضحك المأمون وغمز جلساءه ثم قال ما صنعتك قال فقيه أجيد الشرع في المسائل فقال له نسألك مسئلة فقال الرجل سل عما بدالك فقال له المأمون ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل فلما تسلمها المشتري وقضى الثمن ضرطت فخرج من استها بعرة ففقأت عين رجل على من توجب دية العين قال فنكت باصبعه في الارض طويلا ثم قال تجب على البائع دون المشتري

استكثرت ذلك لمامات الكرام وذهب الناس وغاضت المكارم وكسدت أسواق الادب أنت والله يابنى أمير الشعراء غدا بعدى فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت والله لهذا القول أسر لى مما وصل الى منهم قال البحترى أنشدت أبا تمام يوم شيأ من شعرى فأنشدنى بيت أوس

اذا مقرم منا ذ ناحد نابه * تخمط فينا ناب آخر مقرم

ثم قال يابنى نعيت الى نفسى فقلت أعيذك بالله من هذا فقال لى ان عمرى ليس بطول وقد نشأ مثلك لطىء أما علمت أن خالد بن صفوان المنقرى رأى شبيب بن شبة وهو من رهطه يتكلم فقال يابنى نعى الى نفسى احسانك فى كلامك لانا أهل بيت ما نشأ فينا قط خطيب الامات من قبله قال فمات أبو تمام بعد سنة من قوله هذا ومات البحترى سنة ثلاث وثمانين ومائتين * المبرد ذكرت للمتوكل المنازعة التى جرت بينى وبين أبى الفتح فى تأويلات فبعث الى عامله بالبصرة أن يحملنى اليه مكرها فوردت سر من رأى فأدخلت على المتوكل وفى المجلس البحترى وأبو العنبس الصمرى فأنشده البحترى قصيدة أولها

عن أى ثغر تبتسم * وبأى حكم تحتكم

حسن يضن بحسنه * والحسن أشبه بالكرم حتى بلغ

قل للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم

المرتضى بن المجتبى * والمنعم بن المنتقم

أما الرعية فهى من * أمنات عدلك فى حرم

ياباني المجد الذى * قد كان قوض فانهدم

اسلم لدين محمد * فاذا سلمت فقد سلم

نلنا الهدى بعد العمى * بل والغنى بعد العدم

ثم مشى القهقرى للانصراف فوثب أبو العنبس وقال ياسيدى تأمر برده فقد والله عارضته فأخذ ينشد فى ذلك

فى أى سلح ترتطم * وبأى كف تلتقم

أدخلت رأس البحترى * أبى عبادة فى الرحم

ووصله بما يشبهه من الشعر فضحك المتوكل حتى استلقى وقال يدفع الى أبى العنبس عشرة آلاف درهم فقال أبو الفتح ياأمير المؤمنين والبحترى الذى هجى وأسمع المكروه ينصرف خائبا قال ويدفع الى البحترى عشرة آلاف درهم قال ياسيدى وهذا البصرى الذى أشخصناه من بلده لايشركهم فيما حصلوه قال ويدفع له عشرة آلاف قال وانصرفنا كلنا فى شفاعة الهذلى ولم ينفع البحترى جده وحذقه وأما أبو الفرج فقال حدثنى جحظة عن أبى العنبس الصمرى قال كنت عند المتوكل والبحترى ينشده * عن أى ثغر تبتسم * وكان البحترى من أبغض الناس انشادا يتشادق ويتزاور فى مشيه مرة جانبا ومرة القهقرى ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى ويشير بكفيه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ثم يقبل على المستمعين ويقول لهم مالكم لاتقولون أحسنت هذا والله مالايحسن أحد ان يقول مثله فضجر المتوكل من ذلك وأقبل على فقال أما تسمع ياصمرى مايقول فقلت بلى ياسيدى فمر فيه بما أحببت فقال بحياتى أهجه على هذا الروى فقلت على البديهة

أدخلت رأسك فى الرحم * وعلمت أنك تنهزم

يابحترى حذار ويحك من قضاقضة ضغم

فلقد أسلت بواديك من الهجا سيل العرم

فبأى عرض تعتصم * وبهتكه جف القلم

لاصيرنك شهرة * بين المسيل الى العلم

ياابن الثقيلة والثقيل على قلوب ذوى النعم

وعلى الصغير مع الكبير من الموالي والحشم * وبعد هذا ما يقبح ذكره فغضب البحتري وخرج يعدو وجعلت أصيح به أدخلت رأسك في الرحم * وعلمت أنك تنهزم

والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عنه ومدح البحتري بعض الولاة فتوانى في حقه فانشده

ان الامير أطال الله مدته * يعطي من العرف مالم يعطه أحد

ينسى الذي كان من معروفه أبدا * من العباد ولا ينسى الذي يعد

فأعطاه خمسين ألف درهم وقال البيتان خير من القصيدة وقال الهذلي قيل للبحتري أيما أشعر أنت أو أبو تمام قال جيده خير من جيدي وردئي خير من رديئه وصدق أبو تمام لا يتعلق به أحد في جيده وربما اختل لفظه لا معناه والبحتري لا يختل لفظه وقيل له قد عثرت باحتذائك أبا تمام في شعرك فقال أيعاب على أن أتبع أبا تمام ما عملت بيتا قط حتى أخطر شعره ببالي وذكروا معنى تعاوره البحتري وأبو تمام فقال المبرد للبحتري أنت في هذا أشعر من أبي تمام فقال لا والله ذلك الرئيس الاستاذ والله ما أكلت الخبز الا به وقال عبد الله بن الحسن سألت المبرد عن أبي تمام والبحتري أيهما أشعر فقال لابي تمام استخراجات لطيفة ومعان ظريفة وجيده أجود من شعر البحتري ومن تقدمه من المحدثين وشعر البحتري أحسن استواء من شعره لأن البحتري يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن وأبو تمام يقول البيت النادر والبادر وهذا المعنى كان أعجب الى الاصمعي وما أشبهه الا بغائص يخرج الدرة والحشلبة وهي زجاجة توضع مكان الدرة ثم قال لابي تمام والبحتري من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الاوائل ماوجد وافيه مثله ثم قال والبحتري صم الشعر وله بيتان لو وضعا الى شعر زهير لجاز فيه وهما

فسافه السفيه وان تعدى * بأنجع فيك من حلم الحليم

متى أحفظت ذا كرم تخطى * اليك ببعض أفعال اللئيم

وذكر المبرد في هذا المجلس شعراله وقدمه على نظرائه

واذا ذكرت محاسن ابني صاعد * أدت اليك مخائل ابني مخلد

كالفرقدين اذا تأمل ناظر * لم يعل موضع فرقد عن فرقد

وقوله

من شاكر عني الخليفة للذي * أولاه من فضل ومن احسان

حتى لقد أفضلت من افضاله * ورأيت نهج الجود حيث رآني

وبعدهما

أغنت يداه يدي وشرد جوده * بخلي فأفقرني بما أغناني

وله أيضا في الفتح بن خاقان وقد نزل الى الاسد فقتله

حملت عليه السيف لا عطفك انثني * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وصمم لما لم يجد عنك مهربا

وله فيه

وما منع الفتح بن خاقان نيله * ولكنها الايام تعطي وتحرم

سحاب خطاني جوده وهو مسبل * وبحر عداني فيضه وهو مفعم

وبدر أضاء الارض شرقا ومغربا * وموضع رحلي منه أسود مظلم

أأشكو نداه بعدان وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وله أيضا في انتقاض صلح بين عشيرته

اذا ما الجرح رم على فساد * تبين فيه تفريط الطبيب

وللسهم السديد أشد حبا * الى الرامي من السهم المصيب

ومن جيد شعره

ولما التقينا واللوى موعد لنا * تبين رائي الدر حسنا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

فقال هل عثرت له فيما لحنته على بديع استملحته قال نعم قوله
كأنما تبسم عن لؤلؤ
منضد أو برد أو أقاح
فانه أبدع في التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب ولضيعة الادب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت في غير ضرم أين أنت من البيت النادر الجامع مشبهات الثغر وأنشد
نفسي الفداء لثغر راق مبسمه
وزانه شنب

والبحترى مكثر جدا وديوان شعره نسخ مختلفا بالزيادة والنقص لان شعره لا ينضبط لكثرته قال البحترى كنت أذم الشعر في حداثتي وكنت أرجع فيه الى الطبع ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه اليه واتكلت في تعريفه عليه فكان أول ما قال لي يا أبا عبادة تخير الاوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة جرت في الاوقات أن يقصد الانسان لتأليف الشئ وحفظه وقت السحر لان النفس تكون قد أخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم فان أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا وأكثر فيه بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا أخذت في مدح سيد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقاومه ونقص المعاني واحذر المجتمل منها واياك أن تشين شعرك بالالفاظ الهجنية وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل شعرا الا وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك الى قول الشعراء الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نجم النفس وجملة الحال أن تعتبر نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى فأعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة (قوله هل عثرت) معناه اطلعت (لحنته) نظرته (بديع) معنى لم يسبق غيره اليه من تشبيه أو تجنيس وشبههما مما ذكر من صنع البديع في الثالثة والعشرين والبدع احداث الشئ قبل أن يكون أولا والبدعة ما ابتدع من الدين والبديع المحدث العجيب وأبدع الرجل أتى ببديع من قول أو فعل وأبدع الله الاشياء وابتدعها خلقها بلا مثال (استملحته) وجدته مليحا (يبسم) يبدي بعض أسنانه عند الضحك (لؤلؤ) جوهر شبه به الاسنان وهذا البيت من شعره وقبله

بات نديما لي حتى الصباح * أغيد مجدول مكان الوشاح
فبت أفديه ولا أرعوى * لنهي ناه عنه أولحي لاح
أمزج كأسي بجنى ريقه * وانما أمزج راحا براح

كأنما يبسم البيت وبعده

سحر العيون النجل مستهلك * مالي وتوريد الخدود الملاح
قل لابي نوح شقيق العلا * ومعدن الجود وترب السماح
أعوذ بالفضل الجميل الذي * عودتني والنائل المستماح
من أن يصد الطرف عني وأن * أخيب من جدواك بعد النجاح
أشمت حسادي وأحرمتني * من سيبك المغتدي على المراح
فهل لانس بان من عودة * وهل لحال فسدت من صلاح
لست على سخطك جلد القوى * ولا على هجرك شاكي السلاح

(قوله المودع) المضمن وأودع الشئ صيره وديعة (استسمنت) حسبته سمينا وطلبت السمانة من هزيل (ورم) دمل والمعنى أنه يرميه بسوء الفهم وقد بين هذا أبو الطيب المتنبي فقال

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

(ونفخت في غير ضرم) مثل لطلب الشئ في غير موضعه ولفظ المثل نفخت أو تنفخ والضرم النار (الندر) والنادر الغريب (الثغر) الاسنان (مبسمه) موضع ابتسامه يعني الفم (الشنب) الماء القليل الجاري على الاسنان * الجرمي سمعت الاصمعي يقول الشنب برد الاسنان والفم فقلت أصحابنا يقولون حدتها حين تطلع فيراد بذلك حدتها وطراءتها اذا أتت عليها السنون تغيرت فقال ماهو الا بردها * ابن سيده قال الاصمعي سألت رؤبة عن الشنب ماهو فأخذ حبة رمان فأومأ الى بصيصها

ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد
وعن أقاح وعن طلع وعن
حبب

فاستجاده من حضر واستملاه واستعاده منه واستملاه وسئل لمن هذا البيت وهل حي قائله أو ميت فقال ايم الله للحق أحق أن يتبع وللصدق حقيق بأن يستمع انه يا قوم لنجيكم مذ اليوم قال فكان الجماعة ارتابت بعزوته وأبت تصديق دعوته فتوجس ما هجس في أفكارهم وفطن لما بطن من استنكارهم وحاذر أن يفرط اليه ذم فقرأ ان بعض الظن اثم ثم قال يا رواة القريض وأساة القول المريض ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل فيما غبر من الزمان عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان وها أنا قد عرضت خبيئي للاختبار وعرضت حقيبتي على الاعتبار فابتدر أحد من حضر وقال أعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فان آثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب وأنشد

فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

(ذكر النرجس وما قيل فيه)

(ناهيك) كافيك وتقول ناهيك بفلان أي قد انتهى الامر فيه الى الغاية ونهي الرجل من اللحم وانتهى اذا شبع منه واكتفى والنهي الغدير لانه ينتهي اليه ماء الوادي (يفتر) يكشف ويبسم (رطب) أي طري كما أخرج من أصدافه وفي اللؤلؤ اذ ذاك رطوبة وسطوع بياض فاذا أصابه الهوى ودام عليه صلب واذا تداولته الايدي باللمس وقدم تغير بياضه (الطلع) أول حمل النخلة وهو الفرخ فاذا انشق فهو الضحك وبه تشبه الاسنان في بياضه ثم الاغريض اذا افترق حبه وانما شبه الاسنان بالطلع وهو الفرخ لانه اذا انشق وجد ما فيه من حمل النخلة في غاية البياض ويقال له الوليع قال الشاعر

وتبسم عن لؤلؤ كالوليـ * ـع شقق عنه الرقاة الجفوفا

الجفوف جمع جف وهو قشر الفرخ ويقال له القيقاء والبلبلة وهو طيب الريح والرقاة الراقون الى أعلى النخل و(الحبب) تنضد الاسنان وقيل طرائق تظهر في الخمر عند مزجها بالماء فأما الفقاقيع التي تعلو الخمر عند المزج فهي الحباب بزيادة الالف قال المتلمس

عقار عتقت في الدن حتى * كأن حبابها حدق الجراد

وقال آخر

حمراء قانية اذا ما شعشعت * يبزو الى وجه النديم حبابها

(قوله استعاده) أي قال أعده علي (استملاه) طلب أن يكتبه (ايم الله) يمين يحلف به (نجيكم) محدثكم يعني نفسه (ارتابت) شكت والريب الشك (بعزوته) بنسبته أي بنسبته الى نفسه (دعوته) ادعاؤه أنه من قوله والدعوة بكسر الدال في النسب وبفتحها في الطعام (فتوجس) أي أحس وسمع (هجس) وقع وخطر (فطن) شعر (بطن) خفي يريد أنه فهم منهم انهم لم يصدقوه في ان الشعر له وأنكروا أن يقول مثله (حاذر) خاف (يفرط) يسبق (القريض) الشعر (أساة) أطباء واحدهم آس (القول المريض) الضعيف من قبل راويه (خلاصة) ما خلص منه و(جواهر) الارض مثل الحديد والنحاس وغيرهما فاذا عرض الجوهر على النار فما كان منه خالصا ازداد صفاء وجودة وما لم يكن خالصا فضحته النار وأظهرت عيبه و(السبك) الاختبار بالنار (تصدع) تشق (غبر) مضى هنا ويستعمل كثيرا بمعنى بقي وهو من الاضداد يقال غبر الشيء غبورا اذا بقي قال الله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أي الباقين (الامتحان) الاختبار والبحث وهذا المثل من أمثال الفرس ولهذا أبعد مدته حيث قال غبر من الزمان (خبيئي) مكتومي وما خبأته من علمي وأصل خبيئي الهمز فقلبت همزته ياء وأدغمت فيها الياء كما قلبت في خاسية وتقول عرضت الشيء على البيع وعرضته للبيع ان أتيت بعلى خففت الراء وان أتيت باللام شددتها (والحقيبة) وعاء يجعله الراكب خلفه و(الاعتبار) والاختبار واحد (قوله ابتدر) أي سبق بالكلام وبادر به (والمنوال) خشبة الحائك يريد ان البيت رفيع الصنعة في الشعر لم يصنع بيت مثله لان الثوب أنواع وصنعة الشعر تشبه نسج الثوب (سمحت) جادت (قريحة) ذهن (آثرت) فضلت (اختلاب القلوب) امالتها اليك بتصديقك والخداع بها عما تبديه وهو من الخلب وهو من غشاء القلب وعن أبي عبيدة وغيره قال ثعلب الخلب الذي بين الزيادة والكبد يقال خلبني حب فلان أي وصل حبه الى خلبي وفلان خلب نساء أي تخلبه النساء وخلاب يخلب الناس أي يذهب بقلوبهم وخلب جمعه خلبة وكله من الخلب قال اعرابي

من كان لم يدر ما حب جعلت له * أو كان في غفلة أو كان لم يجد

فالحب أوله روع وآخره * مثل الحرارة بين الخلب والكبد

(لؤلؤا) درا و(النرجس) نوار أصفر في نوره انكسار وفتور لا يكاد يرى له ورقة قائمة تشبه به العينان اذا كان في نظرهما فتور وقد تمادى انكار أدباء وقتنا تشبيه العين بهذا النوار الاصفر المعروف عندنا بالنرجس فأكثرهم ينكر أن يكون يقع به تشبيه لاجل صفرته وان ذكرته لاحد قال وأي صفرة في العين الا أن يكون بصاحبها علة اليرقان ويستهجن موضع التشبيه جدا وقد سألت عنه

بعض أشياخي في صغري وأنا أقرأ عليه كتاب الجمل وكان أديبا شاعرا فأنكر وقوع التشبيه بهذا النور الاصفر وقال لي النرجس عندهم بالمشرق نور يشبه نوار الفول وأكثر من لقيته يستبعد التشبيه بهذا الاصفر لاجل لونه وذلك لقلة تحصيلهم معرفة كلام العرب وتشبيهاتها والعرب توقع تشبيهاتها على الصورة دون المعنى وعلى المعنى دون الصورة وعليهما جميعا وهو أكمل وجوه التشبيه وانظر أقسام التشبيه في الثالثة والعشرين تقع على علم هذا وغيره باذن الله تعالى وتشبيه العيون بالسيوف والسهام انما المراد به المضاء والقطع ولا يلتفت في ذلك الى اللون وكذلك تشبيه العيون بالنرجس الاصفر اذا قصد ما فيه من الفتور واقع متمكن في التشبيه ألا ترى ابن المعتز التفت الى الفتور وحده حين قال وسنان قد خدع النعاس جفونه * فحكى بمقلته ذبول النرجس

والنرجس الذي يشبه به أهل المشرق العيون هو نبات له قضبان خضر في رؤسها أقماع يخرج منها نور ينبسط منه على الاقماع ورق أبيض في وسط البياض دائرة قائمة من ورق صغير هذه الصفة التي تقع في أشعارهم اذا ذكروا النرجس وبذلك وصفه كسرى أنوشروان فقال النرجس ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرذ أخضر أخذه بعضهم فقال فيه

وياقوتة صفراء في رأس درة * مركبة في قائم من زبرجد

كأن بهي الدر عقد نظامها * فريد أنيق قد اطاف بعسجد

وأنشد أبو عون الكاتب في كتاب التشبيه له فقال من جيد ما قيل في النرجس ما أنشده المبرد رحمه الله الله تعالى نرجسة لاحظني طرفها * تشبه دينارا على درهم

وقال عبيد الله بن عبد الله فيه

ترنو بأبصارها اليك كما * ترنو اذا خافت اليعافير

مثل اليواقيت قد تطمس على * زمرذ فوقهن كافور

كأنما اوا لعيون ترمقها * دراهم وسطها دنانير

(وقال أبو نواس) لدى نرجس غض القطاف كأنه * اذا ما منحناه العيون عيون

مخالفة في شكلهن وصفرة * مكان سواد والبياض جفون

أجاد التشبيه وكشف بذكر المخالفة قناع الشبهة وبين مواقع التشبيه غاية البيان وقال أبو عبد الملك ابن فرج في كتاب الحاس والمحسوس له وأحسن بيت أنشدنيه أبو جعفر البغدادي رحمه الله

مداهن در بين أوراق فضة * على قيس شبر أخضر كالزبرجد

(وقال أبو الفرج الببغاء)

ونرجس لم يعد مبيضه الـ * ـكاس ولا أصفره الراحا

تخال أحداق لجين حوت * من أصفر العسجد أقداحا

كأنما يهدي المحيي به * لطفا الى الارواح أرواحا

يغني عن الورد اذا ما رنا * ويخلف الورد اذا فاحا

وقال ابن المعتز كأن عيون النرجس الغض بيننا * مداهن در بينهن عقيق

اذا بلهن القطر خلت دموعه * بكاء عيون كحلهن خلوق

وقال الشاشي أخص الصفات التي * تناولها من كتب

عيون بلا أوجه * لها حدق من ذهب

وقال ابن الرومي يا نرجس الدنيا ترى أبدا * للافتراج ودائم النصب

ذهب العيون اذا مثلن لنا * درّ الجفون زبرجد القضب

وهذه الصفة التي أثبتها أهل المشرق للنرجس هي التي يصف بها أهل المغرب البهار قال ابن أبي عامر

فى جارية اسمها بهار حدق الحسان تقر لى وتغار * وتظل فى صفة البهار تحار
طلعت على قضبى عيون كأنها * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شئ بى اذا شبهتنى * درّ تمنطق سلكه ويسار
أهدى لنا قضب الزبرجد ساقه * وحباه أنفس عطره العطار
أنا نرجس حقا بهرت عقولهم * ببديع تركيبى فقيل بهار
بين أن البهار عندنا هو الذى تسميه أهل المشرق نرجسا وقال أبو جعفر بن مبرد
تأمل فقد شق البهار مغلسا * كمائمه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة * على أذرع ممدودة من زبرجد
(وقال القسطلى) بهار يروق بمسك ذكى * وصنع بديع وخلق عجب
غصون الزبرجد قد أورقت * بها فضة نورت بالذهب
(وقال القاضى أبو الحسن بن ليال)
وبهار يحكى كؤس لجين * حملتها أنامل من زبرجد
سامرتها الكواكب الزهر حتى * صورت وسطها كواكب عسجد
(وأنشد فى بعض أشياخنا)
انظر الى حسن البهار وغنجه * يرنو اليك بمقلتى وسنان
فكأنما هى راحة من فضة * قد ضمنت كأسا من العقيان
وكان نشر نسيمه غب الندى * يأتيك بالانفاس من بغدان
والذى تسميه أهل المغرب نرجسا تسميه أهل المشرق بهارا ولذلك قال الحريرى فى العاشرة وورد تى بالبهار دعافيها على الغلام بالحمى وأن ينعكس حمرة خده صفرة وقال حبيب فى ذلك
ان وجه الحمى لوجه صفيق * حين تسطو به نهارا جهارا
لم تشن وردوجنتيه ولكن * صيرت ورد وجنتيه بهار
وبلون النرجس يشبه أهل الاندلس المريض وقال أبو بكر الابيض
ياشاكيا صد فى عن مسه ألمى * طال اشتياقى به ليلا فلم أنم
تضاءل الدهر اشفاقا على قمر * رقيبه فى سماء المجد والكرم
لم أرض قلبى مكانا اذ حللت به * حتى خلطتك فى سودائه بدمى
أنت البهار ولا أدرى متى خلعت * عليك أيدى الليالى نرجس السقم
ولابن الزقاق وغزال ذى اعتدال الشفه * بعدما شق هواه الانفسا
جارت الحمى على وجنته * فاستحال الورد منه نرجسا
فثبت بما قدمناه ان نرجسهم بهارنا وان بهارهم نرجسنا وآكد ما يدل على صحته اشتراك البيت الذى أنشده أبو الفرج على النرجس مع بيت ابن برد فى لفظ واحد أخذ ابن برد منه صفة النرجس فقلبه لاسم البهار حين نظمه واعلم ان تشبيه العين بنرجسهم أبين لتعلقهم بالصورة وان تشبيهها بنرجسنا أدون لتعلقه بالمعنى وهو مع ذلك متمكن فى باب التشبيه وان اسم النرجس لابد فيه من صفرة وقد قال شاعر من المشرق وهو أحمد بن يونس الكاتب فى مناقضة ابن الرومى فى تفضيله النرجس على الورد
ان كنت تنكر ما ذكرنا بعدما * قامت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد
فلولا ما ذكرنا من أشعارهم لحكمنا بهذا البيت على ان نرجسهم هو نرجسنا ومذهب ابن الرومى فى تفضيله على الورد وهو القائل

وأحسن ما في الوجوه العيون * وأشبه شيء بها النرجس

والنفوس تتشوق الى رؤيته ترجسهم لانا لم نعلم نرجسا غير هذا الاصفر حتى نعلم عاذ كرناه أنه هو النوار المعروف وهم أيضا يتشوقون لمنظر نرجسنا ويدل على ذلك حكاية القاضي الفقيه أبي الحسن بن اللبان قال خرجت عشية لخارج اشبيلية أيام حداثتي وقراءتي بها فجلست في وسط واديها وبيدي كتاب أنظر فيه واذا رجل يحملق حوالي فاذا نظرت في الكتاب يأخذ ينشد للاشعار التي بين أيدينا نظائر من بديع الشعر فذاكرته فوجدته بحر أدب فسألته عن محفوظه فقال أحفظ خمسة عشر ألف بيت من الشعر فسألته هل تنظم شيأ فأنشدني في وصف فرس وزعم أنه قائلها

منع الحوافر أن يطن به الثرى * فكأنه في جريه متعلق

وكان أربعه توافق طرفه * فتكاد تسبقه الى ما يرمق

فاستعدت بيته وراجعته في قوله يطن فقلت له انما هو يطأ فلم يعرف اللفظ وانما تكلم بلا همز على لحن عامته فجربته في غيره فوجدت شعره من جهة الطبع وكثرة الحفظ لا من جهة العلم فسألته عن بلاده فقال أنا من العراق فقلت له فما السبب الذي جاء بك الى الاندلس فقال لي لأرى النرجس الاصفر المذكور في أشعاركم عيانا ودعاني الى الاطالة في ذكر النرجس رغبة أن أرفع عن غيري حيرة الشبهة التي أخذت فيها زمانا طويلا لا أجد من يرفعها عني والبيت الذي اقتضى النظم على أسلوبه هو لابي الفرج الغساني الدمشقي المعروف بالواواذ كره أبو منصور الثعالبي في يتيمته فقال أبو الفرج من حسان الدهر وصاغة الكلام ومن عجائب أمره انه كان مناديا بدار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه وما زال يشعر حتى جاد شعره ووقع لهماروق ويشوق ويفوق حتى تعلق بالعيوق وقال الفتح بن خاقان اني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت مجلسي لقيت خلافة جاريتي فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت ما بين شفتيها هواء لورقد المحموم فيه لأفاق وهذا مستطرف من كلام الفتح فقال الواوا مما به

سقى الله ليلا طاب اذ زار طيفه * فأفنيته حتى الصباح عناقا

بطيب نسيم منه يستجلب الكرى * فلو رقد المحموم فيه أفاقا

وله أيضا

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بي وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا عن ملاطفة * ما ضرلو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما من سيدي غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(وله في النحول)

وما أبقى الهوى والشوق مني * سوى روح تردد في خيال

خفيت عن العواذل أن تراني * كأن الروح مني في محال

(وله في الزرقة)

يا من هو الماء في تكوين خلقته * ومن هو الجمر في أفعال مقلته

ومن بزرقة سيف اللحظ طل دمي * والسيف ما فخره الا بزرقته

علمت انسان عيني أن يعوم فقد * جادت سباحته في بحر دمعته

وله أيضا

تملكت يا مهجتي مهجتي * وأسهرت يا ناظري ناظري

وما كان ذا أملي يا ملول * ولا هجس الهجر في خاطري

فجد بالوصال فدتك النفوس * فلست على الهجر بالقادر

وقيل تعلمت نظم القريض * فلقبني الناس بالشاعر

(وله من قصيدة)

يقمن لنا برق الثغور أدلة * اذا ما ضللنا في ظلام الذوائب

قال ومن بديع تشبيهاته قوله فأمطرت لؤلؤا من نرجس البيت ثم قال هذا البيت ضمنه خمس تشبيهات

بغير أداة التشبيه وذكر المتنبي منها أربعة فأجاد وهي ماضمنها قوله رحمه الله

بدت قمرا ومالت خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وللفقيه أبي محمد بن حزم خمس تشبيهات في بيت واحد ولا يقدر أحد على أكثر منه اذ لا يحتمل العروض ولا أبنية الاسماء أكثر من ذلك قال

خلوت بها والكأس ثالثة لنا * وجنح ظلام الليل قد مد واعتلج

فتاة عدمت العيش الا بقربها * وهل في ابتغاء العيش ويحك من حرج

كأني وهي والكاس والخمر والدجى * ثرى وحيا والدر والتبر والسبج

وقبل بيت الواوا

انسية لو بدت للشمس ماطلعت * للناظرين ولم تغرب على أحد

قالت وقد فتكت فينا لواحظها * ماان أرى لقتيل الحب من قود

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

ثم استمرت وقالت وهي ضاحكة * قوموا انظروا كيف فعل الظبي بالاسد

﴿وأول القصيدة﴾

لما وضعت على صدري يد اليد * وصحت في الليلة الظلماء وا كبدي

وقال أيضا

أتاني زائرا من كان يبدى * لي الهجر الطويل ولا يزور

فقال الناس لما أبصروه * ليهنك زارك القمر المنير

فقلت لهم ودمع العين يجرى * على خدى له در نثير

ولو نصبت رحى بازاء عيني * لكانت من مدامعها تدور

فلم يكن الا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب

سألت حين زارت نضو برقعها ال

قاني وايداع سمعي أطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا قمر

وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

(قوله لمح البصر) يعني نظر العين الى الشئ بسرعة ثم يغيب عنه بسرعة وأصل البصر الادراك بالعين (أغرب) أتى بغريب (نضو) كشف (القاني) الاحمر (ايداع سمعي) اعطاء أذني كانه جعله وديعة عنده (زحزحت) أزالت (الشفق) حمرة الشمس بعد الغروب (غشى) غطى (سنا) ضوء (عطر) فواح طيب التنفس وبيت الحريري في صنعة البديع فائق وان لم يأت بعدد تشبيهات بيت أبي الفرج وبيانه ان أبا الفرج يصف امرأة باكية فيقول انها نثرت دموعها على من قتلت من عشاقها فسقطت على خدها فبلته بدموعها وعضت على أصابعها المصبوغة بالحناء باسنانها فجعل البيت كله استعارة فقال فأمطرت لؤلؤا وهو يريد بكت دمعا وذكر نرجسا ووردا وهو يريد عينا وخدا وذكر عنابا وبردا وهو يريد أناملا وأسنانا فضمن تحت ألفاظه هذه المعاني وزاد فائدة التشبيه وهذا يفعله أهل القدرة على الشعر فقابل الحريري هذا بقوله فزحزحت شفقا وهو يريد نقابا أحمر وذكر سناقمر وهو يريد ضوء وجهها وذكر لؤلؤا من خاتم وهو يريد كلاما من فم والبيت الثاني في مقابلة بيت أبي الفرج والاول توطئة له وهو يصف امرأة زارته منتقبة فسألها أن تكشف عن وجهها وتحدثه فأزالت نقابها وأسمعته كلاما حسنا من فم عطر واللؤلؤ يشبه به الاسنان في مثل قوله كانما يبسم عن لؤلؤ رطب * وقوله يفتر عن لؤلؤ رطب ويشبه به الكلام في مثل قول البحتري

* ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه * وقول الحريري وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر ويشبه به الدمع كقول الواوا فأمطرت لؤلؤا وهو كثير ومن أحسنه قول الشاعر

ولما وقفنا للوداع ودمعها * ودمعي يشيران الصبابة والوجدا

بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعي * عقيقا وصار الكل في نحرها عقدا

﴿وقال ابن عبد ربه﴾ وكأنما غاص الاسى بجفونها * حتى أتاك باؤلؤ منثور

فأخذه الزيادي فحسنه فقال

ولم أر أحلى من تبسم أعين * غداة اللوى عن لؤلؤ كان كامنا

قال فوقعت استعارة التبسم للعين موقعا لطيفا واغماهو للثغر بسبب توسط اللؤلؤ الذى هو للعيون والثغور فقبل المعنى والحذاق يتحيلون فى أخذ المعانى بترك القافية والوزن كقول ابن شهيد

ولما فشا من دمعنا بعض سرنا * الى كاشحينا والقلوب كواتم

أمرنا بامساك الدموع جفوننا * ليشجى بما يطوى عذول ولائم

أبى دمعنا يجرى مخافة شامت * فنظمه بين المحاجر ناظم

وراق الهوى منا عيون كريمة * تلمحن حتى ما يروق المباسم

وقال ابن شهيد فى الامتحان فأحسن

ونبئت أقواما تجيش صدورهم * على وانى منهم فارغ الصدر

أصاخوا الى قولى فأسمعت صمهم * وغاصوا على سرى فأعياهم أمرى

فقال فريق ليس ذا الشعر شعره * وقال فريق ليمن الله ماندرى

فمن شاء فليخبر فانى لحاضر * ولا شئ أجلى للشكوك من الخبر

وينظر الى هذا الامتحان ونسبة شعره فيه الى الانتحال قصة أبى بكر بن تقى حين استهدى بعض اخوانه أقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك أبا بكر العلا قصبا * كأنما صاغها الصواغ من ورقه

يزهى بها الطرس حسنا ما نثرت به * مسك المداد على الكافور من ورقه

(فأجابه أبو بكر بن تقى فقال)

أرسلت نحوى ثلاثا من قنى سلب * ميادة تطعن القرطاس فى ورقه

فالخط ينكرها والخط يعرفها * والرق يخدمها بالرق فى عنقه

فحسده عليها بعض من سمعها ونسبه الى الانتحال فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الاول

وجاهل نسب الدعوى الى كلمى * لما رماه بمثل النبل فى حدقه

فقلت من حنق لما تعرض لى * من ذا الذى أخرج اليربوع من نفقه

ماذم شعرى وايم الله لى قسم * الا امرؤ ليست الاشعار من طرقه

الشعر يشهد أنى فى كواكبه * بل الصباح الذى ينشق فى أفقه

وخرج السلامى الى الموصل وهو صبى حين راهق البلوغ فوجد بها أبا عثمان الخالدى وأبا الفرج الببغاء وأبا الحسن التلعفرى وشيوخ الشعراء فلما رأوه عجبوا منه واتهموه فى شعره فقال الخالدى أنا أكفيكم أمره فاتخذ دعوة وجمع الشعراء والسلامى معهم فلما توسطوا الشراب أخذ فى التفتيش عن قدر بضاعته فجاء مطر شديد وثلج وبرد عم الارض كثرة فألقى أبو عثمان الخالدى نارنجا بين أيديهم على ذلك البرد وقال يا أصحابنا هل لكم فى أن نصف ذلك فقال السلامى ارتجالا

لله در الخالدى * الاوحد الندب الخطير

أهدى لماء المزن عند * جوده نارا السعير

حتى اذا صدر العتا * ب اليه من حنق الصدور

بعث اليه بعذره * من خاطرى أوفى السرور

لاتعذلوه فانما * أهدى الخدود الى الثغور

فأمسكوا عنه عند ذلك واعترفوا له بالفضل الا التلعفرى فانه أقام على قوله فيه حتى قال السلامى فيه

ياشاعر بشعوره لم يشعر * ما كنت أول طالب لم يظفر

لو كنت تعرف والد اتسمو به * لم تنتسب صفة الى التلعفرى

تاه ابن فاقة الفسوق على الورى * بقذال صفعان ونكهة أبخر
و بـلادة في الشعر تعـلم أنه * تيس ولو قصرت بطبع البحتري

وقال فيه

سما التلعفري الى وصالي * ونفس الكلب تكبر عن وصاله
ينافي خلقه خلقي وتأبى * فعالي أن تضاف الى فعاله
فصنعتي اللطيفة في لساني * وصنعته الخسيسة في قذاله
فان أشعر فما هو من رجالي * وان يصفع فما أنا من رجاله

وكان المنصور بن أبي عامر قد أثبت عنده الحسدة أن صاعدا اللغوي متهم في كل ما يورده من حديث أوشعر فأدخلت عليه يوما باكورة وردة لم تفتح أكمامها فقال فيها صاعد ارتجالا

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وقال ان هذين البيتين لغيره وأتى مجلس ابن برد وكان أحسن أهل وقته بديهة فوصف له ما جرى فقال

عشوت الى قصر عباسة * وقد صرع النوم حراسها

أبياتا ضمن فيها البيتين فكتبها ابن العريف بخط بصري وصار بها الى المنصور فاشتد غيظه وقال غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان لم يبق في موضع لي فيه سلطان فأخذ طبقا فيه ضروب من الانوار وعليه جوار باسمين على ركائب حصباؤها الدر والجوهر ودعاه في مجلس حافل وقال له هذا طبق فيه شيء ما توهمت أنه قدم بين يدي ملك قبلي فصفه فقال على البديهة

أبا عامر هل غير جدواك واكف * وأعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها عامر الحيا * حليا فمنها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * تظللها بالياسمين السقائف
فلم ترعيني في البلاد حديقة * تنقلها في الراحتين المناصف

والحكاية بطولها في القسم الرابع من الذخيرة * وخرج معه الى أرض الزهرة فدبده الى شيء من الترنجان يعبث به ورمى به الى صاعد معترضا بان يصفه فقال

لم أدر قبل ترنجان عبثت به * أن الزمرذ قضبان وأوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته * ياقوم حتى من الاشجار سراق
كانما الحاجب المنصور علمه * فعل الجميل فطابت منه أخلاق
من ليس يقعده عن سودد كرم * ولا يقوم له في سوقه ساق

وله أيضا

بعثت اليك من خيري داري * مخزمة كلون العقيق
توكل بالعكوف على التصابي * وتصطاد الخليع من الطريق

قوله وعليه جوار الخ كذا في الاصل الذي بايدينا ولعل فيه سقطا يظهر من الابيات بعده فتأمل وحرر

فحار الحاضرون لبداهته

(قوله لبداهته) أي لارتجاله وانشاده من غير فكرة و يقال بده به بدها وبديهة وبداهة اذا فاجأه وبده في كلامه اذا لم يتفكر فيه وفلان حسن البديهة والبداهة أي الارتجال والقول من غير تفكر وهو عندهم مما يمدح به وان كانت الاصابة غالبا في الروية واطالة الفكرة كما قال عبد الله بن وهب الراسبي للخوارج حين عقدوا له دعوا الرأي حتى يختمر فلا خير في الرأي الفطير والقول القصير وقال المنصور لكاتبه لا تبرم أمرا حتى تتفكر فان فكرة العاقل مرآته تريه حسنه من قبيحه وقال أيضا الحكمة نور الفكرة والصواب فرع الروية والتدبير فرع الهمة قال ابن الرومي

ان الروية نار الجد منضجة * وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لعاجلها * لكنه عاجل يمضي مع الريح

وقال أشجع في جعفر بن يحيى

يريد الملوك مدى جعفر * ولا يصنعون كما يصنع
وليس بأوسعهم في الغنى * ولكن معروفه أوسع
بداهته مثل تفكيره * متى تلقه فهو مستجمع

وقال فيه

بديهته وفكرته سواء * اذا التبست على الناس الامور

وقال ابراهيم بن العباس الصولي في الفضل بن سهل

يقضي الامور على بديهته * وتريه فكرته عواقبه
فيظل يوردها ويصدرها * فلنعم حاضره وغائبه

ودخل المأمون يوما بعض دواوينه فرأى غلاما جميل الصورة على أذنه قلم فقال من أنت ياغلام فقال أنا ياأمير المؤمنين الناشئ في دولتك والمتقلب في نعمتك والمؤمل بخدمتك الحسن بن رجاء خادمك فقال المأمون أحسنت ياغلام وبالاحسان في البديهة تفاضلت العقول ثم أمر ان ترفع مرتبته في الديوان (قوله بنزاهته) أي برفعته وبعده من التهمة بسرقة الشعر (آنس) أبصر (استئناسهم) أنسهم وتركهم الانكار (طرفة) نظرة وقد طرف بطرف طرفا اذا حرك جفنيه بعد النظر (دونكم) اغراء ومعناه خذوا حذركم واسمعوا (جد) تحقق (البين) الفراق (بنان) أصابع (الحصر) المنقطع عن الكلام عيا (ليل) أراد به نقابا أسود (صبح) وجه (أقلهما) رفعهما (غصن) قد (ضرست البلور) الاصابع (الدرر) الاسنان والظاهر من سياق هذين البيتين أنه قصد أن يزيدهم استئناسا بأنه غير مدع في الشعر ودل على هذا ظاهر الكلام قبل البيتين وبعدهما وهو قد أدرج معنى زائدا في البيت ولم يصرح به لما عليه في ذلك من التقصير عن درجة غيره وذلك انه لما لم يستوف مقابلة بيت أبي الفرج جرة ببيتيه المتقدمين استوفاها في هذا البيت الثاني لانه قابل أمطرت بساقطت واللؤلؤ باللؤلؤ والنرجس بالخاتم وهما العين والفم وحرة الخد بسنا القمر وبقي عليه زائد من قول أبي الفرج وعضت على العناب بالبرد فقابله في هذا البيت بقوله وضرست البلور بالدرر وجعلها تعض على أصابعها وهي بيض لانه يصف امرأة شعرت بفراق أحبابها فتركت الزينة واستعمال الحناء فلما حان فراقهم لبست ثياب الحزن وأقبلت تودعهم تلهفا وتندما على فراقهم ووصف الاصابع باللين والصبغ وذلك مذكور في العاشرة وجعلها لابسة السواد لان أهل المشرق يلبسونه لحزنهم وأهل الاندلس يلبسون البياض لحزنهم قال الشاعر

ألا يا أهل أندلس فطنتم * بلطفكم الى أمر عجيب
لبستم في مآتمكم بياضا * وجئتم منه في زي غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن * ولا حزن أشد من المشيب

وأنشد أبو عثمان الاسنابدي في أبيات المعاني له

أرعت مرابع مدراها على عجل * صنوبران أفرد المربع أبدا
واستبدلت من رياض الحزن مونقة * ثوب الامير الذي في ملكه قعدا

عنى بمرابع مدراها شعرها وبصنوبرين مقصا حلقته به وبرياض الحزن ثيابا ملونة وبثوب الامير ثوبا أسود لان ملوك بني العباس لباسهم السواد وعارض ابن لبال الحريري في أبياته فقال

ودعتها ومدامعي * تهل بالدمع الطليق
فبكت فأذرت أدمعا * في صفحة الخد الانيق
ومضت تعض بنانها * بين التلهف والشهيق

واعترفوا بنزاهته فلما آنس استئناسهم بكلامه وانصبابهم الى شعب اكرامه أطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين وأنشد

وأقبلت يوم جد البين في حلل * سود تعض بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صبح أقلهما * غصن وضرست البلور بالدرر

فرأيت دراساقطا * من نرجسين على شقيق
ورأيت مبيض اللجين * بعض محمر العقيق

وكما عارض بيت الحريري عارض قول البحتري المتقدم

يا بأبي ظبي اذا مارنا * أثخن قلبي وفؤادي جراح
يفتر عن طلع وعن جوهر * وفضة أو حبب أو أقاح

فزاد عليه بوصفين ومما يناظر ما تقدم من البكاء عند الفراق قول محمد بن يوسف

وكأنما أثر الدموع بخدها * طل تساقط فوق ورد يانع
عذب الفراق لنا قبيل وداعنا * ثم اجترعناه كسم ناقع

وقال ابن الرومي

لو كنت يوم الوداع شاهدنا * وهن يطفئن غلة الوجد
لم تر الا دموع باكية * تسفح من مقلة على خد
كأن تلك الدموع قطر ندى * يقطر من نرجس على ورد

وقال الناشئ

بكيت الفراق وقد راعني * بكاء الحبيب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(وقال أبو نواس)

تقول غداة البين احدى نسائهم * أي الكبد الحراء فسر ولي الصبر
وقد غلبتها عبرة فدموعها * على خدها حمر وفي نحرها صفر

يقول لون خدها أحمر فتشكلت الدمعة به حمراء ولون نحرها أصفر ماجي كما قال ذو الرمة

كأنها فضة قد مسها ذهب * فصار فيها اللون الدمع صفرته

وقيل للعباس بن محمد ما لون الماء فقال لون اناءه ولما ذكر الحريري الحلل السود على الجارية تذكرت ما قال أبو عثمان الناجم في جارية رأى عليها ثوبا أزرق

ماتعدت قبول حين جلت زيا شبيها بوجهها ذي الضياء
لبست أزرقا فجاءت بوجه * يشبه البدر في أديم السماء

ولابي جعفر بن برد في غلام بدا في ثوب لازوردي فقال

لما بدا في لازور * دي الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجما * ل وقلت ماهذا بشر
فأجابني لاتنكرن * ثوب السماء على القمر

وقال ابن المعتز في غلام عليه ديباج بنفسجي

وبنفسجي الثوب قتل محبه من حاله
الآن صرت البدر اذ * ألبست ثوب جماله

فحينئذ استسنى القوم قيمته واستغزروا ديمته وأجلوا عشرته وجلوا قشرته
(قال المخبر بهذه الحكاية) فلما رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته أمعنت النظر

(قوله استسنى) أي استعظم وقد سنو الرجل وسنا شرف وعظم (ديمته) كلامه بالشعر وهو دائم غير منقطع أو يريد بها فطنته التي تمده بما شاء من الشعر وأصل الديمة المطر الدائم واستغزروها استكثروها ووجدوها غزيرة (أجلوا عشرته) أي أحسنوا صحبته وعاشروه بالجميل (جلوا قشرته) أي حسنوها من لفظ الجمال أو يكون معناه جلوا من جلت الحساب وأجلته أي جمعته فكأنهم جمعوا له شيأ وكسوه وقشرته ثوبه لانه قدم أن هيئته كانت رثة فاحتاجوا أن يكسوه (تلهب جذوته) اشتعال جمرته واتقادها وأراد حدة ذهنه والجذوة النار في طرف العود (تألق) لمعان (جلوته) ما جلاه وكشفه من وجهه وتقول جلوت العروس جلوة اذا أزلت نقابها وأظهرت وجهها والجلوة بالكسر هيئة جلوه حين يجلي وأراد بتألق جلوته بريق وجهه (أمعنت) بالغت وأدمت

في توسمه وسرّحت الطرف
في ميسمه فاذا هو شيخنا
السروجي وقد أقر ليله
الدجوجي فهنأت نفسي
بورده وابتدرت استلام
يده وقلت له ما الذي
أحال حليتك حتى جهلت
معرفتك وأي شيء شيب
لحيتك حتى أنكرت
حليتك فأنشأ يقول
وقع الشوائب شيب
والدهر بالناس قلب
ان دان يوما لشخص
ففي غد يتقلب
فلا تثق بوميض
من برقه فهو خلب
واصبر اذا هو أضرى
بك الخطوب وألب
فما على التبر عار
في النار حين يقلب
ثم نهض مفارقا موضعه
ومستصحبا القلوب معه

(المقامة الثالثة الدينارية)

(روى الحرث بن همام) قال نظمني وأخدانا لي ناد لم يخب فيه مناد ولا كبا قدح زناد

النظر وأصله من أمعن في الارض اذا أبعد الذهاب فيها (توسمه) تظر سماته وهي علامته التي يعرف بها ويريد أنه أدام النظر في نعوته (سرّحت الطرف) أرسلت العين بالنظر وأصل الطرف تحرك العين عند النظر تقول طرفت العين طرفا والعين الجارحة والبصر ما تدركه بنظرها ثم سميت العين طرفا لذلك و (ميسمه) علامته (أقر) أبيض فصار مثل لون القمر (الدجوجي) الشديد السواد وأراد نبات شعره الاسود (قوله بوروده) أي بقدومه واتيانه تقول ورد علينا فلان اذا قدم عليك من بلد آخر والمورد مصدر ورد وهو بمعنى الورود لانه قدم أنه غاب عنه مدة لا يعرف له موضعا ولا يجد عنه مخبرا حيث قال واستترعني حينا فلما رآه ببلده بالبصرة فرح بقدومه وهنأ نفسه على ذلك (استلام) تقبيل اليد * ابن الانباري استلم الحجر معناه أخذه ومسه بيده واستلم افتعل من المسالمة يريد أخذ الحجر وضمه اليه أو يكون استفعل من اللأمة وهي السلاح يريد أنه حصن نفسه بمس الحجر من العذاب لان السلاح انما يلبس ليمتنع به ويتحصن (أحال) غير (حليتك) صفتك ولذلك احتاج أن يمعن النظر لما تغيرت صفاته التي كان يعرفه بها من الفتوة والشبيبة فلما رآه قد شاب شعره وتغيرت صفاته لم يعرفه الا بعد طول تأمل وقال الحلواني القيرواني

ولربّ باكية رأت في لمتي * وخز المشيب تألقت ضحكاته
قالت أغصننا قد علاه فلا أرى * زهر الرياض ونورت ورقاته
فأجبتها قارعت في جنب الهوى * صرف الزمان وهذه نكباته

(ولابن الجد)

نكرت نحولي وهو من فرط الاسى * لفراق اخوان عليّ كرام
وتعجبت للشيب لا تتعجبي * هذا غبار وقائع الايام

(قوله فأنشأ يقول) أي ابتدأ

(وأنشدوا)

أنشأت تطلب ما تغير قد تناشبت الاظافر

أي ابتدأت تطلب (الشوائب) أصله ما يقع في الماء الصافي من الاقذاء فيكدره فأراد ان أنكاد الدهر شيبته و (قلب) كثير التقلب فيحول من حال الى حال (دان) طاع وانقاد (يتقلب) يتحول عن الطاعة (وميض) لمع خفي (خلب) خداع لا ماء فيه وأراد لا تثق بالدهر اذا ما كسبت فيه شيأ من المال فانه يحول عليك ولا يترك لك منه شيأ (أضرى) أغرى وألصقها بك وأصل أضرى من ضراوة الكلب تقول ضري الكلب بالصيد اذا تعلم الصيد وأضريته أنا بمعنى عرضته للصيد و (الخطوب) الامور الشداد و (ألب) حشد أي اصبر للشدائد اذا أضراها الدهر بك وحشدها فما عليك في ذلك عيب كما ان الذهب يسبك بالنار وهو مع ذلك عزيز القدر و (التبر) الذهب قبل سبكه وانظر هذا المعنى عند قوله في السابعة والاربعين

وطالما أصلي الياقوت جمر غضى * ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

وزاد الآخر في المعنى فقال

اني أنا الذهب المحمي مخبره * يزيد في السبك للدينار دينارا

وأنشدوا

اصبر على نوب الزما * ن فهكذا مضت الدهور
فرح وحزن تارة * لا الحزن دام ولا السرور

(شرح المقامة الثالثة وهي الدينارية)

(نظمني) أي جمعني (أخدانا) أي أصحابا (ناد) مجلس (مناد) متكلم (كبا) شح ولم يبد نارا (قدح) ضرب (زناد) حديدة النار وزناد العرب من خشب وأكثر ما يكون من المرخ والعفار وانما هو أن يؤخذ عود قدر شبر فيثقب في وسطه ثقب لا ينفذ ويؤخذ عود آخر قدر ذراع فيحد طرفه ويجعل ذلك في الثقب ويضعه رجل بين رجليه فيديره ويفتله فيبدي النار فالاعلى زند والاسفل زندة والزناد

جمع زند (قوله ذكت) أى اشتعلت (عناد) خلاف يريد أن هؤلاء الاصحاب لحسن أدبهم ومناظرتهم ليس بينهم خلاف وهم علماء لايسقط من كلامهم شئ وليس فيهم جاهل فيكون كلامه قليل الاصابة و (الاناشيد) مايتناشدونه من الاشعار بينهم كان واحدها أنشودة وتجاذب أطرافها يريد المشاركة فى انشادها أى اذا أنشد أحدهم شعرا اليغرب به شاركوه فى انشاده لحفظهم الاشعار فكأنهم تجاذبوه كما يتجاذب باطراف الثوب و (الاسانيد) الاخبار المسندة الى أهلها وأصل (التوارد) مزاحمة الابل على شرب الماء فجعل مشاركتهم فى ضبط غرائب الاخبار كتوارد الابل على الماء و (الطرف) الغرائب والطرفة الشئ العجيب من كل شئ الذى لايوجد له نظير (سمل) ثوب خلق وأكثر ماتقول العرب ثوب أسمال وأخلاق فيوصف بالجمع لانه قطع متفرقة وسمل قليل وفى تبذل اللباس روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المتبذل الذى لايبالى بمالبس (قزل) عرج (قوله ياأخاير الذخائر) الاخاير جمع أخير كما يقال أكبر وأكابر والمستعمل خير وشر ولايقال أخير ولا أشر الا شاذا وان كان هو الاصل لكنه رفض استعماله وجاء الجمع على الاصل لانه يرد الشئ الى أصله وقال رؤبة * بلال خير الناس وابن الاخير * فنطق بالمستعمل لشهرته وباصله وهو قليل فاذا تعجبوا من ذلك قالوا ما أخير فلانا وما أشر فلانا والذخائر جمع ذخيرة وهى الشئ النفيس الغالى يصونه الانسان ويعتده لزمانه (البشائر) جمع بشارة وقد بشرت الرجل بشارة اذا أدخلت عليه السرور و (العشائر) جمع عشيرة وهى قرابة الرجل من قبيلته يقول أنتم أرفع الذخائر وخيرها وأنتم يستبشر من لقيكم برؤيتكم ويتيمن بلقائكم ويعلم أنكم تصلونه وتكرمونه ليستعطفهم بهذا الكلام (عموا صباحا) دعاء لهم بالنعمة فى الصباح أى جعلكم الله تنعمون فى صباحكم وعموا أمر من وعم يعم وهى فى معنى نعم ينعم (وأنعموا اصطباحا) أى طاب شربكم فى الصباح وتنعمتم به والاصطباح أن يصبحوا وهم يشربون (ندى) مجلس اجتماع أى هو شريف يقعد ويجتمع عنده (ندى) كرم (جدى) عطية (العقار) المال الذى لاينتقل كالنخل والدور والارضين (قرى) جمع قرية (مقار) جفان يقرى فيها الاضياف أى يطعمون فيها و (القرى) طعام الضيف (قطوب) عبوس (الخطوب) الشدائد (الحروب) القتال (الكروب) الهموم قال النبى صلى الله عليه وسلم مما أعلم انه لايقوله مكروب الافرج الله عنه كلمة أخى يونس فنادى فى الظلمات أن لااله الا أنت الآية ومن كلام ابن المعتز الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جزيلة وثواب مدخر وتطهير من ذنب وتنبيه من غفلة وتعريف بقدر النعمة ومرور على مقارعة الدهر واذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة * غيره لولا حوادث الايام لم يعرف صبر الكرام ولاجزع اللئام وقال أبو تمام

والحادثات وان أصابك بؤسها * فهو الذى أنباك كيف نعيمها

(الحسود) المتمنى اهلاك مالك واذا رأى لك خيرا تمنى ازالته يريد ان الحسود أتبع ماله بالعين حتى أهلكه وقلما يوجد الذى يرمى بالعين الا حسودا (انتياب) نزول وقصود (النوب) النوازل (قوله صفرت) أى خلت من الدراهم (الراحة) باطن الكف (قرعت) خلت من المال وصارت قرعاء و (الساحة) فناء الدار والساحة عند العرب الرحبة التى تحلق بها البيوت وأراد انها خلت من الابل والبقر والغنم وغير ذلك (غار المنبع) جف الماء النابع والمنبع موضع النبع (المربع) المنزل فى الربيع و (نبا) بأهله وجدوه نبوة أى ارتفاعا غير وطىء فلم تمكن الاقامة فيه (أقوى) خلا (المجمع) موضع الاجتماع (أقض) خشن وصار فيه القضض وهى الحجارة و (المضجع) موضع رقاده وأخذه من قول أبى ذؤيب

أم ما لجنبك لايلائم مضجعا * الا أقض عليك ذاك المضجع

وكنى بهذه الالفاظ عن تغير الاحوال وذهاب المال وساق الكلام مساق حكايات الاعراب منها أن

ولاذكت نار عناد فبينا نحن نتجاذب أطراف الاناشيد ونتوارد طرف الاسانيد اذ وقف بنا شخص عليه سمل وفى مشيته قزل فقال ياأخاير الذخائر وبشائر العشائر عموا صباحا وأنعموا اصطباحا وانظروا الى من كان ذا ندى وندى وجدة وجدى وعقار وقرى ومقار وقرى فما زال به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشرر شر الحسود وانتياب النوب السود حتى صفرت الراحة وقرعت الساحة وغار المنبع ونبا المربع وأقوى المجمع وأقض المضجع

واستحالت الحال وأعول العيال وخلت المرابط ورحم الغابط وأودى الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت

اعرابيا وقف بقوم فقال أشكو اليكم أيها الملأ زمانا أناخ على بكلكله بعد نعمة من البال وثروة من المال وغبطة من الحال اصمانى بديداه بنبل مصائبه عن قسى نوائبه فما ترك لى راغية أجتدى ضرعها ولا ثاغية أرتجى نفعها فهل فيكم من معين على صرفه أومعد على حتفه وقد ذكرنا منها جملة فى الثالثة والثلاثين وحكى أبو على فى نوادره حكاية عن أبى زيد اللغوى على لسان اعرابى يشبه كلام الحريرى هنا فى سياقه وكثير من الالفاظ فيقول ان المنبع الذى كنا نعيش به نحن وأموالنا قد ذهب فهلكنا بذهابه والمربع وهو موضع الخصب صار نبوة لا ينبت شيأ فلم تجد الابل ماترعاه فهلكت واذا هلك المال هلك صاحبه والمجالس التى كنا نجتمع فيها هلك أهلها فخلت ومضجعنا الذى كان موطأ بالفرش أقض فامتنع من الاضجاع عليه (قوله استحالت) تغيرت (وحال) الرجل ماهو عليه من خير أو شر أوغنى أوفقر والحال أيضا المال (أعول) بكى و (عيال) الرجل من يفتقر اليه فى مؤنته ونفقته واحدهم عيل (المرابط) المواضع التى تربط فيها الخيل وتحبس (الغابط) الذى يتمنى مثل مالك ولا ينقص منه شئ (أودى) هلك (الناطق) المال من الحيوان مثل الابل والبقر والغنم وكل مايملك من ذى روح سميت بذلك لاصواتها والناطق كل حيوان له صوت و (الصامت) الذهب والفضة والمتاع (رثى) بكى وأشفق (الشامت) الذى يسر بمصيبتك ومنه تشميت العاطس وهو ادخال السرور عليه بالدعاء وقد شمت به شماتا وشماتة فهو شامت اذا سر ببلاء ينزل به و (الحاسد) هو الحسود والحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء والارض أما فى السماء فحسد ابليس آدم وأما فى الارض فحسد قابيل هابيل وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس انهما قابيل وابليس فالحسد حمل ابليس على الكفر وحمل قابيل على قتل أخيه وقال على رضى الله عنه لاراحة لحسود ولا أخ لملول ولا محب لسيئ الخلق وقال رجل لخالد بن صفوان انى أحبك قال ومايمنعك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم يريد أن الحسد موكل بالادنين * الحسن البصرى مارأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد بنفس دائم وحزن لازم وغيرة لاتنفد * معاوية كل الناس أقدر على أن أرضيهم الا حاسد نعمة فانه لايرضيه الا زوالها * المبرد حدثنا الزيادى قال يقال ستة لاتخطئهم الكآبة فقير حديث عهد بغنى ومكثر يخاف على ماله التلف والحسود والحقود وطالب مرتبة فوق قدره وخليط أهل الادب وليس منهم قال الاصمعى اجتمع ثلاثة حساد فقال أحدهم لصاحبه مابلغ حسدك قال مااشتهيت أن يفعل بمسلم خير قط فقال الثانى أنت رجل صالح ولكنى مااشتهيت ان يفعل بى خير قط فقال الثالث مافى الارض خير منكما ولكنى مااشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قط قال وأنشد الشاعر

كل العداوة قد ترجى مودتها * الاعداوة من عاداك من حسد

وقال حبيب

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال القاضى ابن عمر

نهانى حلمى فما أظلم * وعز مكانى فما أظلم
ولابد من حاسد قلبه * بنور ماثرنا مظلم
رحمت حسودى على أنه * يعذب بى ثم لايرحم
فقانا الحسود ولسنا كما * يقول ولكن كما يعلم

وقال اليمانى

انى لأرحم حاسدى لفرط ما * ضمنت صدورهمو من الاوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار
لاذنب لى قد رمت كتم فواضلى * فكأنما برقعتها بنهار

(قوله رثى لنا الحاسد والشامت) قال النبى صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثا غنى قوم افتقر وعزيز قوم

ذل وفقيها يلعب به الجهال قال الشافعي خمسة من حوموت عزيز ذل وغني قل وحبيب مل وفصيح كل وفقيه ضل وقال الشافعي ومن حديث واثلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك فأخذه الحريري من قول الآخر

لم يبق الا نفس خافت * ومقلة انسانها باهت
ومغرم توقد احشاؤه * بالنار الا أنه ساكت
رق فما في جسمه مفصل * الا وفيه سقم ثابت
يرثى له الشامت مما به * ياويح من يرثى له الشامت

(قوله آل بنا) أي رجع بنا وقد آل يئيل ويؤول أي رجع (الموقع) المهلك من أوقع به ويحتمل أن يريد بالموقع الذي يحمله على الوقع ورجل موقع اذا اشتكى ألم رجليه (المدقع) الملصق بالدقعاء أي التراب أي لم يترك للانسان شيأ يبسطه غير التراب (احتذينا) انتعلنا (الوجى) توجع باطن القدمين من الحفاء يريد أنه لبس مكان النعال الحفاء حتى توجعت قدماه (الشجى) ما يعرض في الحلق وكنى بهذا عن سوء الحال لان الشجى ليس بغذاء انما هو مشقة وتعب ولكن بالغ في وصف سوء حاله فقال انه ينتعل ما لا ينتعل ويغتذي ما ليس بغذاء أي ليس ثم انتعال ولا غذاء (استبطنا) أي جعلناه في بطوننا (الجوى) فساد الجوف و(الاحشاء) اسقاط الجوف وما حشي به (الطوى) الجوع وقد طوى يطوى لان الاحشاء اذا امتلأت من الطعام انتشرت واذا فرغت منه انطوى بعضها على بعض و(السهاد) امتناع النوم من قول الشاعر

مالعيني كحلت بالسهاد * ولجنبي نابيا عن وسادي

(استوطنا) سكنا واتخذناه وطنا (الوهاد) ما انخفض من الارض (استوطأنا) وجدناه وطيأ (القتاد) شجر له شوك شديد يسمى عندنا حض الامير (الاقتاد) خشب الرحال يريد أنهم نسوا ركوب المطايا لبعد عهدهم بها ورجعوا الآن يمشون على الشوك فيجدونه وطيأ (الحين) الموت (المجتاح) من لفظ الجوائح يريد به المستأصل للاموال (استبطأنا) وجدناه بطيء المجيء (المتاح) المقدر يريد أن يوم موتهم تمنوه لشدة ما قاسوا وأبطأ عليهم (آس) طبيب يطب علة الفقر والجع الاساة (سمح) كريم و(المواسي) المعين وذكر عاصم في شرح قوله * يواسي في كريهته أخاه * ان معناه جعله اسوة نفسه فواس من الاسوة كأنه يشاركه في ماله ويقال آسيته وواسيته والاصل الهمز * المفضل معنى فلان يواسي فلانا يشاركه والمواساة المشاركة وآساه شاركه فيما هو فيه * مورج ما يواسيه أي ما يصيبه بخير أي أصلا * غيره معناه يعوضه من مودته وقرابته شيأ من الاوس وهو العوض قال الشاعر فلارمينك مشقصا * أوسا أويس من الهباله

والهبالة اسم ناقة أي أرميك بسهم يكون عوضا عن الناقة وكان أصله يؤاوسه فقدموا السين وهي لام الفعل وأخروا الواو وهي عينه فصار يؤاسوه فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فهو من المقلوب وان جعلته من أسوت الجرح اذا أصلحته فلا قلب فيه (قوله فوالذي استخرجني من قيلة) قيلة هي أم الاوس والخزرج وهي بنت الارقم الغسانية وانتسابه لها كانتسابه قبل الى أقيال غسان (أخاعيلة) صاحب فقر قال تعالى وان خفتم عيلة أي فقرا وقال صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والمسكنة (بيت ليلة) قوت يبيت عليه ليلة (أويت) أشفقت وحننت (مفاقره) جمع فقر على غير قياس ومثله مذاكير الرجل جمع ذكر ومحاسنه ومساويه (لويت) انعطفت (استنباط) استخراج و(الفقر) في النثر فواصله وهي مثل القوافي في النظم والفقر ما تقدم في المقامة من الكلام المفقر (أبرزت) أظهرت (حتما) واجبا يريد أنه قصد الى أن يحقق ما تقدم من الفصاحة في فقره ان كانت له أو انتحلها فقال ليختبره امتدح هذا الدينار بشعر (فانبرى) أي اعترض وتقدم (انتحال) ادعاء مع في

وآل بنا الدهر الموقع والفقر المدقع الى أن احتذينا الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا الجوى وطوينا الاحشاء على الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنا الوهاد واستوطأنا القتاد وتناسينا الاقتاد واستطبنا الحين المجتاح واستبطأنا اليوم المتاح فهل من حر آس أو سمح مواس فوالذي استخرجني من قيلة لقد أمسيت أخا عيلة لا أملك بيت ليلة (قال الحرث بن همام) فأويت لمفاقره ولويت الى استنباط فقره فأبرزت دينارا وقلت له اختبارا ان مدحته نظما فهو لك حتما فانبرى ينشد في الحال من غير انتحال

اكرم به أصفر راقت صفرته
جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته
قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعى خطرته
وحببت الى الانام غرته
كانما من القلوب نقرته
به يصول من حوته صرته
وان تفانت أو توانت عترته
ياحبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته
كم آمر به استتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته
وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أنزلته بدرته
ومستشيط تتلظى جمرته
أسر نجواه فلانت شرته
وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته
وحق مولى أبدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته
ثم بسط يده بعدما أنشده
وقال أنجز حر ماوعد وسح
خال اذ رعد فنبذت الدينار
اليه وقلت خذه غير مأسوف
عليه فوضعه فى فيه وقال
بارك اللهم فيه ثم شمر
للانثناء بعد توفية الثناء
(ذكر الوعد وانجازه)

شعر غيره يقال انتحل كذا أى ألزمه نفسه وجعله كالملك لما أخذ من النحلة وهى الهبة والعطية (قوله أكرم به) معناه ما أكرمه (راقت) أعجبت (جواب آفاق) قطاع بلاد (ترامت سفرته) بعدت غيبته وسمى السفر سفرا لانه يسفر عن أخلاق الرجال أى يكشفها ويوضحها أخذ من قولهم سفرت المرأة عن وجهها اذا كشفته وأظهرته ويقال للمكنسة مسفرة لانها تسفر التراب عن الموضع وسفر بيته كنسه (مأثورة) محدث بها (سمعته) ذكره المسموع (أودعت) ضمنت (أسرته) خطوط وجهه أراد نقشه وان بين اسطاره سر الغنى فمن ملكه ملك الغنى (قارنت) ساوت (النجح) ضد الخيبة (المساعى) المشى فى طلب الحوائج (الانام) الخلق (غرته) وجهه قيل لابى الزناد ما لك تحب الدراهم وهى تدنيك من الدنيا قال انها وان أدنتنى من الدنيا فقد صانتنى عنها و(النقرة) القطعة المسبوكة من الذهب والفضة قبل ان يطبع منها الدراهم والدنانير وأراد كانما قطعت نقرته من قلوب الناس لشدة حبهم فيه والنقرة انما تستعمل من الفضة واستعملها فى الذهب لقرب ما بينهما وأخذه من قول البحترى

فكل قلب اليه منصرف * كأنه من جميعها خلقا

أو من قول ابن الرومى

به أمست الاهواء يجمعها هوى * كأن نفوس الناس فى حبه نفس

أو من قول المتنبى فى خطه من كل قلب شهوة * حتى كأن مداده الاهواء

(يصول) يقهر ويغلب وصال الشجاع على قرنه والفحل على ابله والحمار على اتنه صولا اذا قهر وعلا وصاح بها (الصرة) الخرقة تصر فيها الدراهم و(حوته) ضمته يريد أن من ملك الدينار صال به على زمانه (تفانت) هلكت (توانت) أبطأت وضعفت عن نصرته (عترته) قرابته الادنون (نضاره) ذهبه (نضرته) حسنه (مغناته) منابه يقال فلان يغنى مغناتك أى ينوب منابك ويقوم مقامك يريد أنه ينوب عن الانسان فى المضايق وينصره (استتبت) تمت واستقامت والمستتب الطريق البين قال الشاعر * على مستتب كالمجرة تعمل * (امرته) ولايته (مترف) منعم (حسرته) تفجعه وحزنه (كرته) رجعته و(بدر تم) القمر ليلة الكمال ويريد به شخصا يشبه البدر فى حسنه ورفعته فاذا بعثت فى طلبه الدينار أنزلته عن مرتبته وتملكته و(البدرة) عشرة آلاف درهم (مستشيط) غضبان (تتلظى) تتلهب (جمرته) شدة غيظه (أسر) أخفى (نجواه) حديثه سرا (شرته) حدته وغضبه يقول كم من غضبان شديد الغيظ مثل حاكم يصول بصاحب جناية ويهدده فاذا رشى بالدينار وبعث اليه سرا أزال غضبه وسكن حدته (أسلمته) تركته (أسرته) قومه (مسرته) فرحه (أبدعته) أوجدته قبل أن يكون (فطرته) خلقته (التقى) الخوف (جلت) عظمت (قوله انجز حر ماوعد) هذا مثل قاله الحرث آكل المرار وهو جد امرئ القيس لصخر بن نهشل بن دارم وذلك أن الحرث قال يا صخر هل أدلك على غنيمة على أن لى خمسها قال نعم فدله على قوم من العرب فاغار عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا فحملهم صخر على أن يعطوا الحرث الخمس فابوا وكان طريقهم على صبعات وهى ثنية متضايقة فلما دنوا منها سار اليهم صخر حتى قعد على رأسها ومنعهم الجواز أو يعطوا الحرث الخمس فقال حزة اليربوعى والله لا نعطيه من غنيمتنا شيأ ومضى فى الثنية فحمل عليه صخر فقتله فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ففى ذلك يقول نهشل بن حرى بن ضمرة بن نهشل بن دارم

ونحن منعنا الجيش أن يتأوبوا * على صبعات والجياد بنا تجرى
حبسناهم حتى أقروا بحكمنا * وأدى أنفال الخميس الى صخر

فمعنى أنجز حر ما وعد أحضر وهيأ وقد نجز الشئ اذا حضر ولفظه لفظ الخبر ومعناه الامر أراد لينجز حر ما وعد (سح) صب وأمطر (خال) سحاب يخيل لك أن المطر فيه (رعد) صوت يقول لابن همام ان السحاب اذا سح الرعد سح بالمطر وأنت قد أسمعتنى ذكر الدينار ووعدتنى به فأنجز لى وعدى

(نبذت) رميت (ماسوف) محزون (بارك) أى صح البركة فيه وقولهم تبارك الله أى تقدس وتطهر وقيل هو تفاعل من البركة أى البركة تنال بذكر اسمك (الاثناء) الرجوع (توفية الثناء) كمال الشكر والمدح ومما قيل فى وصف الدينار ومدحه

ومقسم الوجنات يبرق وجهه * باد على وجناته عباد
جبل الانام على محبة حسنه * فكأنه رب وهم عباد

(وفى مقامات البديع فى وصفه)

ياحبذا فاقعة صفراء * مشرقة منقوشة قراء
يكاد أن يقطر منها الماء * قد أغرتها همة علياء
ياذا الذى بغيته الثناء * ماينقضى بقدرك الاطراء
امض على الله لك الجزاء

واذ قد فرغت من شرح ألفاظه فى انجاز الوعد فى المثل وما اتصل به فلنذكر مذاهبهم فى ذلك فأكثرهم على انجاز الوعد وقد ذكر فيما هو مستقبل * وبع آجلا منك بالعاجل * وقال واذا خيرت بين ذرة منقودة ودرة موعودة فمل الى النقد وقال جرير

انى لأرجو منك خيرا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل

وقال آخر ولا شك أن الخير منك سجية * ولكن خير الخير عندى المعجل

وقال آخر أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

و بعضهم يرى أن يكون بين الوعد والانجاز مهلة ومنه أن منصور بن زياد كلم يحيى بن خالد فى حاجة رجل فقال لى عده على قضاءها فقال منصور بن زياد وما يدعوك الى العدة مع القدرة فقال هذا قول من لا يعرف موقع الصنائع من القلوب ان الحاجة اذا لم يتقدمها وعد ينتظر به نجحها لم تحدث النفس بسرورها ان الوعد مطمع والانجاز طعام وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تختمر بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل قال ابن الكلبى لهشام بن عبد الملك يا أمير المؤمنين لا تصنع الى معروفا حتى تعدنى به فانه لم يأتنى منك سيب على غير وعد الا هان على قدره وقل منى شكره فقال له لم قلت ذلك وقد قال سيد قومك أبو مسلم الخولانى ان أنجح المعروف فى القلوب وأبرده على الاكباد معروف غير منتظر بوعد لا يكدره مطل و وعد المستهدى عيسى بن داب جارية ثم وهبها له فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيرى

ولا تيأسن من صالح أن تناله * وان كان بؤسا بين أيد تبادره

فقال يدفع لعبد الله جارية أخرى فقال الزبيرى

وأنجز خير الناس من قبل وعده * أراحك من مطل ومن طول كده

فقال له عيسى بن داب ماصنعت شيأ هلا قلت

حلاوة الفضل بوعد ينجز * لا خير فى العرف كنهب ينهز

فقال المهدى الوعد أحسن ما يكو * ن اذا تقدمه ضمان

وقال بعض البلغاء دع الوعد يركض ثلاثا فان كثير العطاء قبل الوعد قليل وجليله حقير وقال يحيى بن خالد من لم يبت مسرورا بوعد لم يجد للصنيعة مطعما وفيه يقول أبو قابوس النصرانى

رأيت يحيى أتم الله نعمته * عليه يأتى الذى لم يأته أحد
ينسى الذى كان من معروفه أبدا * الى الرجال ولا ينسى الذى يعد

وقال الحارثى وما روضة دارية أسدية * منمنمة زهراء ذات ثرى جعد
بأحسن من حر تقضى حاجة * لحر فأوفى بالنجاح مع الوعد

وقال ابن رشيق أحسنت فى تأخيرها منة * لولم تؤخر لم تكن كامله
وكيف لا يحسن تأخيرها * بعد يقينى أنها حاصله
وجنة الفردوس يدعى بها * آجلة للمرء لا عاجله

وقال رجل لابى عمرو بن العلاء وعدتنى بأمر فلم تنجزه فقال أبو عمرو ومن أولى منا بالعتب أنا والا أنت قال أنا فقال أبو عمرو لا والله بل أنا قال وكيف قال لانى وعدتك وعدا فأنت تفرح بالوعد فبت ليلتك جزلان مسرورا وبت أنا بهم الانجاز فبت ليلتى مفكرا مغموما بما عاق الدهر من بلوغ الارادة فيه فلقيتنى مدلا ولقيتك مستحيا واعتذر بعض الرؤساء لابى على البصرى من تأخر وعد فقال فى شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه (قوله فنشأت) أى ظهرت وبدت (فكاهة) مزاح (نشوة غرام) سكرة شوق والغرام الحب المعذب للقلب (ائتناف) استقبال (اغترام) غرم ثم ذكر أن يذمه ثم يضمه وقد نظمهما الزاهد بن عمران فى قوله

ان المؤنة والحساب كلاهما * قرنا بهذا الدرهم المذموم
كلف الانام بذمه وبضمه * فتعجبوا المذمم مضموم

فنشأت لى من فكاهته نشوة غرام سهلت على ائتناف اغترام فجردت دينارا آخر وقلت له هل لك فى أن تذمه ثم تضمه فأنشد مرتجلا وشدا عجلا
تباله من خادع مماذق أصفر ذى وجهين كالمنافق

(وقال ابن شرف فى الدينار والدرهم)
ألا رب شئ فيه من أحرف اسمه * نواه لنا عنه وزجر وانذار
فتنا بدينار وهمنا بدرهم * وآخر ذا هم وآخر ذا نار

وقال ابن رشيق صحفت دالين من دينار يلوح ودرهم
فقال لى ذلكم ذى * نار وذا قال ذرهم

وابن رشيق وابن شرف أديبا القيروان يجمعهما البلد والزمان وكانا مرة يتصاحبان ومرة يتباغضان وقال ابن رشيق فى مدح الدينار والدرهم

صديق المرء كالدينار طبعا * وكيف يفارق المرء الطباعا
تراه اذا أقام يقيم جاها * وان فارقته أجدى انتفاعا

أخذه من قول كشاجم ومريد من أباه * ومهين من أجله
فهو كالدينار لا يكرم الا من أذله

وقال آخر النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجارى
والمرء ما لم يفد من غيره ورعا * مقسم القلب بين الهم والنار

(قوله مرتجلا) أى غير مفكر (شدا) ابتدأ الغناء وطرب بنشيده (تبا) أى خسرا (مماذق) لا يصفو وده لصاحبه وقد مذق وده اذا لم يخلصه ومذق اللبن خلطه بالماء والمذيق المخلوط (أصفر ذى وجهين) قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ووقع هذا فى نثر البديع قال فى مخاطبة أبى الفتح عيسى أطعنا تريد قلت اى والله قال أخصب رائدك ولا ضل قائدك فتى عزمت قلت غداة غد فقال

صباح الله لا صبح انطلاق * وطير الوصل لا طير الفراق
وقال السعد لا يعدوك دأبا * يصاحبكم الى يوم التلاقى

فأين تريد قلت الوطن قال بلغت الوطن وقضيت الوطر فمتى العود قلت القابل فقال طويت الربط وثنيت الخبط فأين أنت من الكرم قلت بحيث أردت فقال اذا رجعك الله سالما من هذا الطريق فاستصحب لى عدوا فى ثياب صديق من تجار الصفر يدعو الى الكفر ويرقص على الظفر كدارة العين يحط ثقل الدين وينافق بوجهين فعلمت أنه يلتمس دينارا فقلت ذلك لك نقدا ومثله وعدا فأنشأ يقول رأيك فيما خطبت أعلى * لا زلت للمكرمات أهلا

صليت عوداودمت فردا * وطبت فرعاوطبت أصلا

ياواحد الدهر والمعالى * لالقى الدهر منك شكلا

قوله عدوافى ثياب صديق من قول أبى نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

(قوله الرامق) أى الناظر ورمقت الشئ رمقا أتبعت النظر اليه و (زينة المعشوق) التى فى الدينار نقشه وتزيينه و (لون العاشق) صفرته فالناظر فى الدينار يرى فى الظاهر زينته فيهواه فيقع على ماوقع عليه باطن العاشق من العذاب والغرام ويدل على ذلك صفرته الظاهرة عليه وقال ابن ظفر زينة المعشوق غرور ومدعاة الى التهور فى الغرام ولون العاشق وهو الاصفرار دليل على ما أسر من شاغف الكلف فالغافل ينظر من الدينار مثل زينة المعشوق مجردة عن عاقبتها فيصيده الهوى والعاقل ينظر منه الى لون العاشق فيستدل على باطن الجوى (ذوى الحقائق) يعنى أهل الرشد والعلم والذين ينظرون الى ما فى الدنيا بعين الحقيقة ثم لولا حب الدنيا ماسرق السارق فيستوجب قطع يده أو بعض أعضائه واليد يجب قطعها بربع دينار ذهب ومن ملح السرقة أن الجاحظ حكى أن رجلين كان أحدهما أيمن والآخر أعسر فكان الايمن يفخر على الاعسر فأخذا فى سرقة فقطعت أيمانهما فكان الاعسر يعمل بيساره أعماله كلها والايمن لا يستطيع أن يعمل بيساره شيأ ففخر الاعسر عليه بذلك فقال له الايمن ماعلمت أن للاعسر فضيلة الا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه (الفاسق) الخارج عن الطاعة الى ركوب المعصية أو عن الايمان الى الكفر أخذ من فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وقال قوم الفاسق الجائر واحتجوا بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أى جار عنه قال رؤبة

يهوين فى نجد وغور غائرا * فواسقا عن قصدها جوائرا

(اشمأز) انقبض (باخل) شحيح وبخيل أكثر من باخل (طارق) قاصد بليل (المطل) تأخير الحق الواجب وأصله من مطل القين الحديد فى النار اذا مده وطوله (العائق) الحابس وقد عاقه عن الشئ اذا حبسه (راشق) عائن وأصله الرامى فجعله للذى يصيب الناس بعينه و (استعيذ) قرئ عليه المعوذتان وهما قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (الخلائق) الطبائع واحدتها خليقة (الآبق) الهارب وأبق العبد يأبق اباقا اذا زال عن مولاه وفى معنى فراق الدينار قول الاخطل

ومعشوق يرقص كل يوم * ترى فى وجهه أبدا كلاما

اذا فارقته أجدى خيرا * ولا يجدى عليك اذا أقاما

وهذا من قول الحسن البصرى وقد رأى رجلا يقلب درهما فقال له أتعجب درهمك هذا قال نعم قال فانه ليس لك حتى يخرج من يدك (واها) تعجب معناه ما أعجب من يقذفه (حالق) جبل أملس منيف (ناجاه) حدثه سرا (الوامق) المحب وقد ومق يمق مقة (المحق) القائل الحق (قوله ما أغزر وبلك) أى ما أكثر بلاغتك و (أملك) ألزم وأحق يريد أن شرطك الذى شرطت من اعطائى دينارا آخر ان ذممته قد لزمك بذمى له والشرط أملك مثل وأول من قاله الافعى الجرهمى وكان حكما للعرب فتحاكم اليه خصمان فاشترط أحدهما وأراد أن لا يلتزمه فقال الافعى الشرط أملك وتقديره الشرط أملك لامرك منك (نفحته) رميته (عوذهما) ارقهما و (المثانى) أم القرآن سميت بذلك لانها تثنى فى الصلاة واختصها لانه أشار عليه أن يحمد الله على أخذ الدينار فكأنه قال اقرأ الحمد لله رب العالمين شكرا لله عليهما وتعويذا لهما وهذا كما قال ابن رشيق فى غلام جميل

معتدل القامة والقد * مورد الوجنة والخد

لو وضع الورد على خده * ما عرف الخد من الورد

يبدو بوصفين لعين الرامق
زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوى الحقائق
يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق
ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق
ولا شكا الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق
وشر ما فيه من الخلائق
ان ليس يغنى عنك فى المضايق
الا اذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق
ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق
لا رأى فى وصلك لى ففارق
فقلت له ما أغزر وبلك
فقال والشرط أملك
فنفحته بالدينار الثانى
وقلت له عوذهما بالمثانى
فألقاه فى فمه وقرنه

قل للذي يعجب من حسنه * اقرأ عليه سورة الحمد

وله في مثله

شكوت بالحب الى ظالمي * فقال لي مستهزئا ماهو

قلت غرام ثابت قال لي * اقرأ عليه قل هو الله

وقال أبو عبيد المثاني في كتاب الله ثلاثة أشياء القرآن سماه الله المثاني في قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وسمى الفاتحة مثاني في قوله سبعا من المثاني وروى عثمان وابن عباس وابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم ان المثاني من السور مادون المئين كأنها جعلت مبادي والتي تليها مثاني (قوله بتوأمه) أي بأخيه يعني الدينار الاول (انكفأ) انقلب وولى (مغداه) بكوره وسيره في الغدو (النادي وندواه) المجلس وكرم أهله ونريد أن نأتي بفصل في مدح الشئ وذمه على حكم ما مدح الحريري الدينار وذمه ونبين مذهب العرب وأهل الادب في ذلك فقد ألف ابن رشيق فيه كتابا جلبت في هذا الكتاب عيونه قال أبو عثمان الجاحظ العربي يعاف الشئ ويهجو به غيره فان ابتلي به فخر به ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به غيره فافهم هذا فان الناس يغلطون على العرب ويزعمون أنهم يمدحون بالشئ الذي يهجون به وهذا باطل ليس شئ الا وله وجهان فاذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين واذا ذموا ذكروا أقبح الوجهين قال ابن رشيق أكثر ما تجري هذه المدائح والمذام على جهة المنافقة لا على جهة المناصفة ومن باب المسامحة لا من باب المشاححة والا فالشئ لا يوافق ضده فيكون الحسن قبيحا في حالة واحدة والمدح والذم معنى واحد لكن لكل شئ كما ذكر الجاحظ مساو ومحاسن كما فعل عمرو بن الاهتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهده الزبرقان بن بدر على ما ادعاه من الشرف في قومه قال عمرو أجل يارسول الله انه مانع حوزته مطاع في أنديته شديد العارضة فقال الزبرقان أما والله لقد علم أكثر مما قال ولكن حسدني شرفي فقال عمرو أما وقد قال ما قال فوالله ما علمته الا ضيق العطن زمن المروأة لئيم الخال حديث الغنى فرأى الكراهة في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يارسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت وما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الثانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة * وكتب يزيد بن معاوية في صدر كتابه الى عبيد الله بن زياد وقد ولاه محاربة الحسين بن علي رضي الله عنهما وكان قبل ذلك سيء الرأي فيه أما بعد فان المسبوب يوما ممدوح وان الممدوح مسبوب يوما وروي ان عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعب شيأ قط فمر يوما بكلب ميت فقال أصحابه ما أنتن ريحه فقال عيسى عليه الصلاة والسلام ما أحسن بياض أسنانه وقالت للحسين بن منذر امرأة كيف سدت وأنت دميم بخيل فقال لاني سديد الرأي شديد الاقدام وقال مسلمة بن عبد الملك لاخيه هشام كيف تطمع في الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان فقال لاني حليم وأنا عفيف فسلم لعائبه ما ادعاه من مساويه وذكر من محاسنه مالم ينازع فيه * صعد خالد بن عبد الله القسري منبر مكة يوم الجمعة وهو أمير للوليد بن عبد الملك بن مروان فأثنى على الحجاج خيرا فلما كانت الجمعة الثانية وقد مات الوليد ورد عليه كتاب سليمان يأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه واظهار البراءة منه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان ابليس كان يظهر من طاعة الله عز وجل ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلا وكان الله قد علم من غشه ما خفي عن الملائكة فلما أراد الله فضيحته ابتلاه بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه منهم فلعنوه وان الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلا وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غله وغشه على ما خفي عنا فلما أراد فضيحته أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين فالعنوه لعنه الله ثم نزل ومر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي يشق البصرة فقال عبد الله ما أصلح هذا النهر لاهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الامير يتعلم العوم فيه صبيانهم ويكون

بتوأمه وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادي ونداه (قال الحرث بن همام) فناجاني قلبي بأنه أبو زيد وأن تعارجه لكيد

﴿مدح الشئ وذمه﴾

لسقائهم ولسبيل مياههم و يأتيهم بميرتهم ثم عاد ابن عامر فساير زيادا عليه فقال زياد ما أضر هذا النهر لاهل هذا المصر فقال أجل والله أيها الامير تنزمنه دورهم و تغرق فيه صبيانهم و يكثر لاجله بعوضهم ومدح الجاحظ العروض فقال هو ميزان الشعر ومعياره به يعرف الصحيح من السقيم والعليل من السليم وعليه مدار القريض والشعر وبه يسلم من الاود والكسر ثم ذمه فقال هو علم مولد وأدب مستبرد ومذهب مرفوض تستنكره العقول مستفعلن وفعول من غير فائدة ولا محصول ✽وكان العباس بن على عم المنصور يأخذ الكأس بيده ثم يقول لها أما المال فتبلعين وأما المروأة فتخلعين وأما الدين فتفسدين ويسكت ساعة ثم يقول أما النفس فتسمحين واما الهم فتطردين أفتراك منى تفلتين ثم يشربها وشكا أبو العيناء حاله الى عبد الله بن سليمان فقال أليس قد كتبنا لك الى ابراهيم بن المدبر قال كتبت الى رجل قد حصر من همته طول الفقر وذل الاسر ومعاناة محن الدهر وأخفقت فى طلبتى قال أنت اخترته قال وما على أعز الله الامير فى ذلك قد اختار موسى قومه سبعين رجلا وما كان منهم رشيد واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتبا فرجع الى المشركين مرتدا واختار على رضى الله عنه أبا موسى حاكما فحكم عليه (قوله فاستعدته) أى قلت له أعد على (عرفت بوشيك) أى عرفت بحسن كلامك وتزيينه (استقم) اعتدل وأزل عوجك (حييت) طال بقاؤك والتحية البقاء (حييت) عشت (والحوادث) ما يحدث من الخير والشر (بؤس) شدة العيش (رخاء) لينه وسعته (زعزع) ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه والزعزعة تحريك الشئ اذا أردت قلعه (رخاء) ريح لينة سريعة من الارخاء فى السير وهو عدو فوق التقريب وناقة مرخاء سريعة (القزل) أسوأ العرج وقد قزل قزلا و (هزل) هزلا ترك الجد فى قول أو فعل يقول كيف تحليت بالعرج ومثلك لا يهزل ولا يقع فى هذه النقيصة فهو يهزأ به فغضب عند ذلك (استسر بشره) زال عنه سماحه وطلاقة وجهه (تجلى) ظهر (ولى) ذهب (قوله أقرع) أى أضرب (الفرج) كشف الهم (ألقى حبلى على غاربى) أى أسرح وأمشى حيث أحببت والعرب تطلق هذا اللفظ فتقول للمرأة حبلك على غاربك أى أنت مسيبة فتوجهى حيث شئت لا مانع لك ولا حابس والغارب ما انحدر من السنام والحبل هو الذى يعقل به البعير فاذا سرحوه حلوا عقاله وألقوه على غاربه قال ابن الانبارى أصله أن يلقى حبل الناقة على غاربها فتفزع ولا ترعى اذا لم تره على الارض (أسلك مسلك) أى أدخل مدخل والمسلك الطريق (مرج) خلط الجد بالهزل (حرج) اثم والله تعالى أعلم

﴿شرح المقامة الرابعة وهى الدمياطية﴾

(قوله ظعنت) رحلت والظعن ضد الاقامة (دمياط) بلدينه و بين مصر ثلاثون فرسخا وهى على ساحل البحر الملح والى دمياط ينتهى ماء النيل فيفترق منه فيخرج بعضه الى بحيرة تنيس وهى بحيرة تجرى فيها السفن والمراكب العظام ويخرج بعضه الى البحر و بها تعمل الشروب وقد ذكرنا ذلك عند تنيس (قوله هياط) صياح وتهايط القوم اجتمعوا ودبروا أمورهم (مياط) دفاع أى كان عام هرج وخلاف (مرموق) منظور اليه (الرخاء) سعة المال (موموق) محبوب (أسحب) أجر (مطارف) ثياب لها أعلام فى أطرافها (أجتلى) أنظر (معارف) وجوه (السراء) الغنى والسرور (رافقت) صحبت فى السفر و (الصحب) الاصحاب (الشقاق) الخلاف ومعنى شقوا عصاه أزالوه وطرحوه والعرب تقول شق فلان العصا اذا ترك الطاعة وخرج مباينا قال أبو عبيد العصا تضرب مثلا للاجتماع وانشقاقها يضرب مثلا للافتراق الذى لا اجتماع بعده (أفاويق) جمع أفواق وأفواق جمع فواق وهو ما بين الحلبتين و (الوفاق) ترك الخلاف وقد وافقته موافقة ووفاقا (قوله لاحوا) ظهروا والعرب تضرب المثل بأسنان المشط وهو يقع على كل استواء فى أى حال كان وقال النبى

فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم فى مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت باكرام وحييت بين كرام فقلت أنا الحرث فكيف حالك والحوادث فقال أتقلب فى الحالين بؤس ورخاء وأنقلب مع الريحين زعزع ورخاء فقلت كيف ادعيت القزل وما مثلك من هزل فاستسر بشره الذى كان تجلى ثم أنشد حين ولى

تعارجت لا رغبة فى العرج
ولكن لاقرع باب الفرج
وألقى حبلى على غاربى
وأسلك مسلك من قد مرج
فان لامنى القوم قلت اعذروا
فليس على أعرج من حرج

﴿المقامة الرابعة الدمياطية﴾

أخبر الحرث بن همام قال ظعنت الى دمياط عام هياط ومياط وأنا يومئذ مرموق الرخاء مومومق الاخاء أسحب مطارف الثراء وأجتلى معارف السراء فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق وارتضعوا أفاويق الوفاق حتى لاحوا كأسنان المشط

صلى الله عليه وسلم الناس كأسنان المشط وانما يتفاضلون بالعافية فان أرادوا الاستواء فى الشر قالوا سواسية كأسنان الحمار وقال كثير يهجو ضمرة

فسائل بقومى كل أجرد سابح * وسل غفاريى بضمرة أو سخلا
سواء كأسنان الحمار فلا ترى * لذى كبرة منهم على ناشئ فضلا

(التآم) اجتماع واتفاق (الاهواء) جمع هوى وهو ما تحبه وتميل اليه النفس فأراد أن اغراضهم متفقة (النجاء) السير السريع (نرحل) نشد عليها الرحل ونشخص بها (هوجاء) ناقة سريعة كأنّ بها هوجا وهو الحمق لسرعة مشيها (وردنا منهلا) أتينا ماء ننزل عليه والنهل الشرب الاول والعلل الثانى وذلك أن الابل ترد الماء فتشرب منه ثم تخرج ترعى ساعة وتستريح وتسمى تلك الاستراحة فى الرعى التمرئة ثم ترد مرة أخرى فتشرب الماء فالشرب الاول نهل والثانى علل والمنهل موضع النهل والورود قصد الماء (اختلسنا) استرقنا (اللبث) الاقامة ومثله المكث أى لا يستقرون بموضع ينزلون فيه الا قليلا و (الركاب) الابل و (اعمالها) استعمالها (قنية الشباب) صغيرة السن وأراد أنها طويلة سوداء لا قمر فيها الا ان شعر الشباب أسود ويريد أنها أول الشهر فهى كالفتية والليلة أول الشهر سوداء (غدافية) منسوبة الى الغداف وهو الغراب لسواده و (الاهاب) الجلد وأراد لونها (أسرينا) مشينا بالليل يقال سرى وأسرى (نضا الليل شبابه) أى أزال ظلامه ونضا ثوبه جرده عنه ومثله (سلت خضابه) وأراد أن الصبح بيض الظلام بضوئه وسلت الشئ سلتا أزاله عما علق به والمرأة خضابها كذلك وسيأتى ذكر الصبح آخر المقامة وينظر الى سراه مع صحبه فى سواد الليل قول ابن شهاب

وفتو أسروا وقد حكف الليـ * ـل وأقعى مغدودف الاطناب
وكأن النجوم لما هدتهم * أشرقت كالعيون من أهداب
ينفرون جوز كل فلاة * جنح ليل جوزاؤه من ركاب
عن ذكرى لمدحهم فتاهوا * من حديثى فى عرض أمر عجاب
همة فى السماء تسحب ذيلا * من ذيول العلا وجد الركاب

ومما جاء فى سرى الليل قول عبد الصمد بن المعذل وهو من حسن الاستعارة

أقول وجنح الدجى ملبد * والليل فى كل فج يد
ونحن ضجيعان فى مسجد * فلله ما ضمن المسجد
فياليلة الوصل لا تبعدى * كما ليلة الهجر لا تبعد
ويا غد ان كنت لى راحما * فلا تدن من ليلتى ياغد

وقال ابن المعتز

يارب ليل حالك الجلباب * ملتحف خافقتى غراب

وما أحسن قول ابن شهيد فى وصف الليل

وبتنا نراعى الليل لم نطو برده * ولم يجن شيب الصبح من فرعه وخطا
تراه كملك الزنج من فرط كبره * اذا رام مشيا فى تأخره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد علق الجوزاء فى أذنه قرطا

وقال حبيب

اليك هتكنا جنح ليل كأنه * قد اكتحلت منه البلاد باثمد

وقال ذو الرمة

ودوية مثل السماء اعتسفتها * وقد صبغ الليل الحصى بسواد

وقال أيضا

وليل كجلباب العروس ادرعته * بأربعة والشخص فى العين واحد
أحم غدافى وأبيض صارم * وأعيس مهرى وأروع ماجد

وقال البحترى

ياخليلى بالهواجر من معـ * ـن بن عوف وبحتر بن عتود
اطلبا ثالثا سواى فانى * رابع العيس والدجى والبيد

فى الاستواء وكالنفس الواحدة فى التآم الاهواء وكأمم ذلك نسير النجاء ولا نرحل الا كل هوجاء واذا نزلنا منزلا أو وردنا منهلا اختلسنا اللبث ولم نطل المكث فعن لنا اعمال الركاب فى ليلة فتية الشباب غدافية الاهاب فأسرينا الى ان نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه حتى ملنا

(وقال السلامى)

البك طوى عرض البسيطة جاعلا * قطار المطايا أن يلوح لها القصر

وكنت وعزمى فى الظلام وصارمى * ثلاثة أشباح كما اجتمع النسر

وبشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

فالبيت الاول والثانى نحو بيت البحترى والبيت الثانى نحو بيت ذى الرمة فى التقسيم ويمثل هذا الكلام يمتدح الملوك والافلا ولما مدح عضد الدولة بلغه به من المكانة الغاية القصوى وفتن بشعره حتى كان يقول اذا رأيت السلامى فى مجلسى ظننت أن عطارد انزل من السماء وسنذكر من شعره مايحسن (قوله السرى) أى السير بالليل (الكرى) النوم (مخضلة) مبتلة بالندى (الربا) الكدى واحدها ربوة (معتلة الصبا) أى لينة الريح (مناخا) منزلا (العيس) الابل يخالط بياضها حمرة (محطا) منزلا يحط به الاحمال (التعريس) النزول بالليل فى آخره وهذا التخير الذى ذكر لهذه الارض منتزع من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كانت أرض مخصبة فتقصدوا فى السير وأعطوا الركاب حقها فان الله رفيق يحب الرفق واذا كانت مجدبة فأسلموا عليها وعليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل واياكم والتعريس على ظهر الطريق فانه مأوى الحيات ومدارج السباع (الخليط) الاصحاب (هدأ) سكن (الاطيط) أصوات الابل و (الغطيط) أصوات الناس النيام (صيتا) جهير الصوت (سميره) رفيقه الذى يسمر معه بالحديث (الرحال) منازل المسافرين سميت رحالا باسم الرحال التى توضع فيها والرحل اسم لما يحمله البعير من حمله وقتبه وما يوطأ به تحت الحمل (سيرتك) عادتك (جيلك) أهل عصرك (جيرتك) جيرانك (قوله أرعى) أى أحفظ (جار) تعدى ومال عن الحق قال صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه (ابذل) اعطى (صال) صاح مخوفا (الخليط) الصاحب ويقع للواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد وسمى بذلك لاختلاط الامر بين الصاحبين (الحميم) الاول الصديق المخاص والثانى الماء الحار (الشفيق) المحب (الشقيق) الاخ من الاب كانه شق معك ظهر أبيك ومن الام كانه شق معك بطن أمك (أفى للعشير) أعامل الصاحب بالوفاء (يكافئ بالعشير) يجازى بالعشر من فعلى والمكافأة المواساة (أستقل) أراه قليلا (الجزيل) الكثير (النزيل) الضيف والنزل مايعد للضيف من طعام وغيره (أغمر) اعطى (الزميل) الرديف (الجميل) الافعال الجميلة (أميرى) الحاكم على (الانيس) الذى يؤنسك بحديثه وفلان رئيس قومه أفضلهم وأعزهم (أودع) اعطى وديعة (معارفى) من يعرفنى (عوارفى) هباتى واحدها عارفة وهى اليد من النعمة (أولى مرافقى) أعطى مصاحبى فى السفر ومنه الرفقة لارتفاق بعضهم ببعض و (مرافقى) جمع مرفقة وهى المعونة وما يرتفق به و (القالى) المبغض وقليت الرجل قلى أبغضته (تسآلى) كثرة سؤالى (السالى) الناسى للمودة والتارك لها وسلوت عن الشئ أسلو سلوا وسلوة اذا تركته (اللفاء) النقصان وقال أبو على فى الايضاح اللفاء مادون الحق قال أبو زيد الطائى واسمه حرملة بن المنذر رحمه الله

فما أنا بالضعيف فتظلموه * ولاحظ اللفاء ولا الخسيس

(أقنع) أرضى والقناعة الرضا باليسير و (الجزاء) المكافأة وجازيته بما صنع مثل كافأته مكافأة و (الاجزاء) الانصباء تقسم على جماعة واحدها جزء وأقلها أنقصها (أتظلم) أشتكى من الظلم (لا أنقم) لا أنتقم تقول نقمت منه نقمة أى عاقبته فمعناه لا أعاقب صاحبى ولو بلغ فى الاضرار منى الغاية وتقول أيضا نقمت الشئ وأنقمته نقما ونقوما اذا أنكرته فمعناه على هذا لا أنكر على صاحبى ولو بالغ فى الاذى ويقال فى الانكار نقم ينقم (قوله ويك) معناه التعجب كأنه قال ما أعجبك أو عجبا لك وقيل أراد ويلك فحذف اللام (انما يضن بالضنين) وهذا مثل أول من قاله الاغلب العجلى وفسره أبو

السرى وملنا الى الكرى صادفنا أرضا مخضلة الربا معتلة الصبا فتخيرناها مناخا للعيس ومحطا للتعريس فلما حلها الخليط وهدأ بها الاطيط والغطيط سمعت صيتا من الرجال يقول لسميره فى الرحال كيف حكم سيرتك مع جيلك وجيرتك فقال أرعى الجار ولو جار وأبذل الوصال لمن صال وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط وأود الحميم ولو جرعنى الحميم وأفضل الشفيق على الشقيق وأفى للعشير وان لم يكافئ بالعشير وأستقل الجزيل للنزيل وأغمر الزميل بالجميل وأنزل سميرى منزلة أميرى وأحل أنيسى محل رئيسى وأودع معارفى عوارفى وأولى مرافقى مرافقى وألين مقالى للقالى وأديم تسآلى عن السالى وأرضى من الوفاء باللفاء واقنع من الجزاء باقل الاجزاء ولا أتظلم حين أظلم ولا أنقم ولو لدغنى الارقم فقال له صاحبه ويك يابنى انما يضن بالضنين وينافس فى الثمين لكن انا لا آلى

يخيب آمالي ولا أبالي بمن
صرم حبالي ولا أداري
من جهل مقداري ولا
أعطي زمامي من يخفر
ذمامي ولا أبذل ودادي
لاضدادي ولا أدع
ايعادي للمعادي ولا
أغرس الايادي في أرض
الاعادي ولا أسمح
بمواساتي لمن يفرح
بمساآتي ولا أرى التفاتي الى
من يشمت بوفاتي ولا أخص
بحبائي الا أحبائي ولا أستطب
لدائي غير ودائي ولا أملك
خلتي من لا يسد خلتي
ولا أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي
ولا أخاص دعائي لمن لا
يفعم وعائي ولا أفرغ
ثنائي على من يفرغ
انائي ومن حكم بان
أبذل وتخزن وألين وتخشن
وأذوب وتجمد وأذكو وتخمد
لا والله بل نتوازن في المقال
وزن المثقال ونتحاذى في
الفعال حذو النعال حتى
نأمن التغابن ونكفى
التضاغن والا فلم أعلك
وتعلني وأقلك وتستقلني
واجترح لك وتجرحني
وأسرح اليك وتسرحني
وكيف يجتلب انصاف
بضيم وأنى تشرق شمس مع
غيم ومتى أصحب ود بعسف
وأي حر رضي بخطة خسف
ولله أبوك حيث يقول
جزيت من أعلق بي وده
جزاء من يبني على أسه
وكلت للخل كما كال لي * على وفاء الكيل أو بخسه ولم أخسره وشر الورى * من يومه أخسر من أمسه وكل من يطلب عندي جنى بيد
فماله الا جنى غرسه لا أبتغي الغبن ولا أنثني * بصفقة المغبون في حسه ولست بالموجب حقا لمن * لا يوجب الحق على نفسه

عبيد فقال معناه تمسك باخاءمن تمسك باخائك وبيانه أن الضنين البخيل و يضن يبخل فيقول انما أتمسك وأتعلق بصاحب تمسك بي وعرف حقي فأنا أبخل به على غيري أن يشركني في صحبته كما يبخل بي هو على غيره وقيل الضنين في المثل هو الشئ المضنون به لنفاسته فمعناه انما يبخل بالشئ النفيس الرفيع (المواتي) المساعد الموافق (العاتي) المتكبر الصعب الخلق و (المراعاة) المحافظة للود و (أسم) اجعلها سمة أي علامة (اصافي) أخاص له ودي (يأبى) يمنع (انصافي) أي اعطائي الحق من نفسه (أواخي) أصير له أخا وأتخذه صديقا (يلغي) يترك ويطرح (الاواخي) أسباب الود واحدها آخية وأصل الآخية عروة من حبل تشد في وتد أو على حجر تحت الارض وتبقى العروة على وجه الارض فيربط فيها حبل الدابة فيمسكها (آمالي) أعاون وأصلها الهمزة تقول مالأته على الامر أمالئه اذا عاونته وساعدته ومنه والله ماقتلت عثمان ولا مالأت في قتله فخفف الهمزة ليوافق (آمالي) وهو جمع أمل وهو الرجاء (صرم حبالي) قطع أسباب وصالي وهم يكنون بالحبل عن الودلان الود يربط القلوب ويؤلفها كالحبل فيما يربط به (قوله أداري) أسوس وأحسن صحبته و (الزمام) حبل من جلود يربط في حلقة في أنف البعير (يخفر ذمامي) ينقض عهدي أي لا أنقاد لمن لا عهد له (ودادي) حبي وهو من واده وهو الذي لا يكون الا من اثنين فوضعه موضع ودي ويقال أيضا في الحب حباب مثل وداد قال الشاعر * أداء عراني من حبابك أم سحر * (أضدادي) أعدائي المناقضين لافعالي (ايعادي) تهديدي وتخويفي (الايادي) النعم (وواسيته) مواساة جعلته أسوة نفسي في مالي فقاسمته فيه (مساآتي) أحزاني ومايسوءني (التفاتي) نظري وانعطافي الى جهته (يشمت) يسر (وفاتي) موتي (أخص) أفرد (حبائي) عطائي (أحبائي) جمع حبيب (أستطب) أطلب طبه (خلتي) صداقتي (يسد خلتي) يصلح فقري (أخلص) أجعله خالصا (يفعم) يملأ (أفرغ ثنائي) أصب مدحي وأكسوه أو يكون أفرغه أبلغ آخره (قوله تخزن) أي تحبس (أذكو) أضيء يقال (خمدت) النار اذا سكن لهبها وذكت اتقدت و (المثقال) الصنجة التي يوزن بها سميت بذلك لانها تثقل مايوزن بها في الكفة الثانية (تحاذى) نتشابه (والفعال) بفتح الفاء اسم للفعل الحسن والقبيح ولا يقال بكسرها الا في مصدر فاعل قال ابن الاعرابي الفعال فعل الواحد من الخير والشر والفعال بالكسر الفعل بين الاثنين (حذو) مشابهة والعرب تقول في الشيئين يشتبهان هما حذو النعل بالنعل أي كل واحد من النعلين تقطع على قالب أختها ومنه قول الهذلي وتأمل السبب الذي أحذو له * وانظر بمثل حذائه فاحذوني (التغابن) الغبن (نكفى) نمنع (التضاغن) العداوة وتضاغن الرجلان اعتقد كل واحد منهما لصاحبه ضغنا وهو الحقد (أعلك) أسقيك عللا أي مرة بعد أخرى (تعلني) تمرضني (أقلك) أرفعك (تستقلني) تحقرني (أجترح) اكتسب (أسرح) أرعى عليك وأجلب عليك الرزق بالغداة والعشي (تسرحني) تهملني (ضيم) ذل (أنى) كيف (تشرق) تضيء من أشرقت وتشرق تطلع من شرقت (غيم) سحاب (أصحب) أنقاد (بعسف) بجور وأصل العسف ركوب الامر بغير تدبير و (الخطة) المنزلة والمرتبة و (الخسف) الاذلال والنقصان ومنه خسف الارض والخاسف المهزول ويقال باتوا على الخسف أي جياعا ليس لهم شئ يتقوتون به والخسف للدابة أن تبيت بغير علف (قوله أعلق) بمعنى علق أي الصق (أسه) أصل بنائه يقول من علق بقلبي وده جعلت ذلك الود أسا بقلبي وبنيت عليه ودي فان أسس في قلبي ودا سليما بنيت له عليه مثله وان غشني في ود غششته والهاء في أسه ترجع الى من أي من نصحني في صحبته نصحته و (الخل) الصاحب (بخسه) نقصه (أخسره) أنقصه (الورى) الخلق من الناس (الجنى) مايجنى من الثمرة (أبتغي الغبن) أطلب الخداع (أنثني) أرجع و (صفقة المغبون) بيعة المخدوع (حسه) فهمه والحس صوت حركة الحي و (الصفقة) في الاصل مصدر يقال صفق

ورب مذاق الهوى خالى
أصدقه الود على لبسه
ومادرى من جهله أننى
أقضى غريمى الدين من جنسه
فاهجر من استغبالك هبر القلى
وهبه كالملحود فى رمسه
والبس لمن فى وصله لبسة
لباس من يرغب عن انسه
ولا ترج الود ممن يرى
انك محتاج الى فلسه
(قال الحرث بن همام) فلما

بيده يصفق صفقا اذا ضرب باحداهما على الاخرى وكانت صفقة البيع عند العرب أن يضرب المشترى بيده على يد البائع فان رضى البيع قبض على يد المشترى وانعقد البيع وان لم يرض أرسل يده ثم صاروا يقولون رضى الصفقة اذا رضى البيع ثم سمى عقد البيع صفقة (مذاق) خلاط غير مخلص (الهوى) الحب و (خالنى) حسبنى (لبسه) تخليطه وتلبيسه (غريمى) صاحب دينى (من جنسه) من نوع ما أعطانى (استغبالك) استجهالك (القلى) البغض (هبه) احسبه (الملحود) المدفون (رمسه) قبره وينظر الى بيته قول ابن الرومى

من تصدى لاخيه * بالغنى فهو أخوه
فان احتاج اليه * راءمنه مايسوه
يكرم المثرى فان أملق أقصاه بنوه
أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر أخوه
فان احتجت اليه * ساعة مجك فوه

ووجد على حجر مكتوبا

كل من أحوجك الدهر اليه * وتعرضت له هنت عليه

وهذان المذهبان اللذان ذكرهما الحريرى مبنيان على آيتين من كتاب الله تعالى الاولى قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين والثانية قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل قال النبى صلى الله عليه وسلم لا خير فى صحبة من لا يرى لك من الحق مثل الذى ترى له وللشعراء القدماء والمحدثين فى المذهبين شعر كثير قال المقنع الكندى فى المذهب الاول

وان الذى بينى وبين بنى أبى * وبين بنى عمى لمختلف جدا
أراهم الى نصرى بطاء وان هم * دعونى الى نصر أتيتهم شدا
وان أكلوا لحمى وفرت لحومهم * وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم * وان هم هووا غيى هويت لهم رشدا
وان زجروا طيرا بنحس يمر بى * زجرت لهم طيرا يمر بهم سعدا
لهم جل مالى ان تتابع لى غنى * وان قل مالى لم أكلفهم رفدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم * وليس يسود القوم من يحمل الحقدا

وقال معن بن أوس المدنى فى المذهب الثانى

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وكنت اذا ما صاحب رام خلقتى * وبدل سوأ بالذى كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن ولم أدم * على ذاك الا ريثما أتحول

(وقال ابراهيم بن العباس الصولى)

أميل مع الزمان الى ابن عمى * وآخذ للصديق من الشقيق
وان ألفيتنى حرا مطاعا * فانك واجدى عبد الصديق
أفرق بين معروفى وبينى * وأجمع بين مالى والحقوق
وكنت اذا الصديق أراد غيظى * وأشرقنى على شرق بريق
غفرت ذنوبه وصفحت عنه * مخافة أن أعيش بلا صديق

وكلف ابراهيم بن العباس بعض اخوانه مقاطعة صديق فقال له

انى متى أحمل بحقـ * ـدك لا أضربه سوا كا
ومتى أطعتك فى أخيـ * ـك أطعت فيك غدا أخاكا
حتى أرى متقسما * يومى لذا وغـدا لذا كا

وقال أبو الفتح البستى فى المذهب الثانى

فان تزرنى أزرك أوان * تقف ببابى أقف ببابك
والله لا كنت فى حسابى * الا اذا كنت فى حسابك

أين هذا من قول البستى أيضا وقد خالف فيه خلافا شديدا ولا نازعه أحد فيه ولا سبقه اليه اذ يقول

وانى لاختص بعض الرجال * وان كان فدما ثقيلا عياما
* فان الجبين على انه * وخيم ثقيل يشهى الطعاما

ولابن شرف بع من جفاك ولا تبخل بسلعته * واطلب به بدلا ان رام تبديلا

وهو كثير وبما ذكرت يستدل على الباب (قوله وعيت) أى حفظت (تقت) أى اشتقت (عينهما) شخصهما (لاح) ظهر (ابن ذكاء) هو الصبح وذكاء هى الشمس ويقال للصبح ابن ذكاء لانه من ضوئها (ألحف) غطى (الجو) الهواء بين السماء والارض أراد ان الصبح غطى نواحى السماء بضوئه ومن حسن التشبيه فى ضوء الصبح قول ذى الرمة

وقد لاح للسارى الذى كمل السرى * على أخريات الليـل فتق مشهر
كلون الحصان الابيض البطن قائما * تمايل عنه الجل واللون أشقر

شبه اختلاط الضوء بالظلمة بالفرس الاشقر الابيض البطن وقال ابن المعتز

وساق يجعل المنديل منه * مكان حمائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل باد * كطرف أشـقر ملقى الجـلال

(وقال أبو يوسف الرمادى)

وليلة أنس قد أمرنا ظلامها * بأوجه راح تستنير فترشف
الى ان بدا ضوء الصباح كانما * تحمل لقمان وأقبل يوسف

(قوله غدوت) أى بكرت (استقلال) ارتفاع وقيام و (الركاب) الابل واحدتها راحلة (ولا اغتداء الغراب) أى ولا مثل اغتدائه فحذف مثل المنصوبة بلا وأقام اغتداء مقامها لان لا لا تنصب المعارف وأراد انى اغتدائى كان قبل أن يغتدى الغراب والغراب أكثر الطير بكورا وهذا وما شابهه فى هذا الكتاب مثل قوله ولا كيد فرعون موسى ولا انهلال السحب ولا عمرو بن عبيد اذا طلبت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من المشبه به ولم يأت هذا الا عن العرب تقول العرب فتى ولا كمالك فيريدون أن مالكا أفضل من الفتى ومثله مرعى ولا كالسعدان أى ان المرعى فاضل فى طيبه ولكن السعدان أفضل منه ومثله ماء ولا كصداء فصداء أفضل من ذلك الماء على طيبه فهذا مذهب العرب فى ذكر لا بين المشبهين وأما قول الحريرى غدوت ولا اغتداء الغراب فيريد أن غدوى أبكر من اغتداء الغراب وكذلك ولا انهلال السحب وهو يريد أن جودهم فوق جود السحاب لان كلام العرب فلان أبكر من الغراب وأجود من السحاب ولا يقولون السحاب أجود من فلان ولا الغراب أبكر من فلان ولا فائدة فى ذلك واذا حققت لفظه ولا فى تشبيه الحريرى على ما يجب لها فى كلام العرب انقلب المعنى وانما اللفظ من كلام عامة العراق فاستعملها لانها عندهم متعارفة وليست بعربية ومثل هذا قد جوزه المولدون فى أشعارهم وجاء منه فى مقامات البديع كثير ويستعمل أهل فاس فى مغربنا لفظة ولا فى تشبيهاتهم كثيرا جدا على حد استعمال الحريرى لها ولا يستعملها أهل الاندلس وقال الفنجديهى الرفع فى قوله ولا اغتداء الغراب أكثر مبالغة فى التشبيه من النصب (قوله أستقرى) أى

وعيت ما دار بينهما تقت
الى أن أعرف عينهما فلما
لاح ابن ذكاء وألحف
الجو الضياء غدوت قبل
استقلال الركاب ولا
اغتداء الغراب وجعلت
أستقرى

أتتبع (صوب) جهة وناحية (الليلى) الذى سمع بالليل (أتوسم) أتعرف وأنظر سمتها (الجلى) البين (لمحت) رأيت (بردان رثان) ثوبان خلقان (نجيا ليلتى) أى المتحدثان فيها وجعلهما متحدثين مع الليلة مجازا لما أوقعا الحديث فيها كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار ولا يمكران انما يمكر فيهما فنسب ذلك المكر اليهما (صاحبا روايتى) أى اللذان أروى عنهما هذه القصة (كاف) محب (دماثتهما) سهولتهما والدماثة سهولة الارض وكل ما وطئته وسهلته أو ذللته بيدك فهو دمث (راث) بال مشفق (ورثاثتهما) سوء حالهما (أبحته) جعلته له مباحا (كثرى وقلى) أى كثير مالى وقليله (طفقت) أخذت (أسير) أمشى (السيارة) القوم الذين يسيرون فى الاسفار (أهز الاعواد) استعارة وأراد أنه يستعطف لهما أصحاب الاموال فيواسونهم فكنى عنهم بالاعواد وقد كرر هذا المعنى نظما حين قال

قصدتمو الشيخ يبغى جنى * عوده ما زال مهزوزا

وقال الشاعر فى مثله

الا يكن ورق غضا أراح به * للمعتفين فانى لين العود

أراد ان لا أكن كثير المال فانى كريم والورق المال غير الصامت وأراح به اهتز به من الاريحية وراح الشجر أتى بورق فى آخر الصيف لا أصل لها ويقال لها الخلفة والرمل (قوله غمرا) أى أعطيا (النضلان) العطايا (الخلان) الاصحاب و (قوله وكالمعرس) المعرس موضع النزول آخر الليل (نتنور) ننظر النيران (القرى) طعام الضيف (كيسه) وعاء دراهمه والكيس خريطة تسع خمسمائة درهم والبدرة تسع عشرة آلاف درهم قال حبيب

من بعد ما صارت هنيدة صرمة * والبدرة انجلاء صارت بوسا

(قوله انجلاء بوسه) انكشاف فقره (درنى) وسخى و (رسخ) الشئ فى الارض رسوخا غاب فيها ورسخ العالم فى العلم دخل فيه (أستحم) أدخل الحمام واستحم الرجل اغتسل بالحميم وهو الماء الحار (أقضى) أقطع وأزيل وقضيت الشئ صنعته (المهم) أراد به فرض الصلاة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان أهم أموركم عندى الصلاة فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع وقيل المهم الوسخ لان الامر المهم هو الذى فى القلب منه هم وشغل وقد ذكر ان الذى أوجب عليه قصد الحمام هو ما عليه من الوسخ فيكون قوله وأقضى هذا المهم من قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وقد أهمنى الشئ فهو مهم وهذا القول أوفق بمراده وللزاهد بن عمران رحمه الله وقد استبطأ فى دخول الحمام

ياصاح عهدى بالحمام قد بعدا * فلا تلمنى فيه ان طلبت مدى

قارعت فيه العدا فى معرك لجب * دحض تزل به الاقدام قد بعدا

عدا أثرن برأسى حين ثرن به * توقدا وأعادت جلده جلدا

قطلت مستأصلا بالقتل أجمعها * فلم أدع والدا منها ولا ولدا

ثم انثنيت معافى ناعما جذلا * مظفرا أستزيد الواحد الصمدا

ورأى نفسه ممتدا بين يدى الحكاك فقال

أأغتر ان مد فى العمر لى * وأرجى المتاب الى قابل

وأغفل والموت لى طالب * حثيث كذئب الفضا القاتل

كأنى بى هكذا ميتا * تحكم فى يد الغاسل

وله أيضا

شكوت للدهر حسن ما صنعا * طريد مجد تحيتى رفعا

ياحسن حمامنا وقد غربت * شمس الضحى فيه بعد ما متعا

أيقن ان الهلال راكبه * فضاء للحاضرين واتسعا

فانعم أبا عامر بنعمته * واعجب لامرين فيه قد جمعا

صوب الصوت الليلى وأتوسم الوجوه بالنظر الجلى الى أن لمحت أبا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان رثان فعلمت انهما نجيا ليلتى وصاحبا روايتى فقصدتهما قصد كلف بدماثتهما راث لرثاثتهما وأبحتهما التحول الى رحلى والتحكم فى كثرى وقلى وطفقت أسير بين السيارة فضلهما وأهز الاعواد المثمرة لهما الى أن غمرا بالنضلان واتخذا من الخلان وكالمعرس نتبين منه بنيان القرى ونتنور نيران القرى فلما رأى أبو زيد امتلاء كيسه وانجلاء بوسه قال لى ان بدنى قد اتسخ ودرنى قد رسخ أفتأذن لى فى قصد قرية لاستحم وأقضى هذا المهم

نيرانه من زنادكم قدحت * وماؤه من بنانكم نبعا

ولبعضهم فى حمام كانت مضاوئه من زجاج أحمر وفى سمائه حمرة وبياض

تحيرت من طيب حمامنا * نخيل لى ان فيه الفلق

فمن حمرة فوقنا وابيضاض * تخد الحبيب اذا ما عرق

رأى الدهر ما سد من حسنه * فسد كوى سقفه بالشفق

ودخل الحمام أبو جعفر الطليطلى وأبو بكر بن تقى رحمهما الله تعالى فقال أبو جعفر

ياحسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن

ماء ونار حواهما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

ونظر فيه الى غلام وسيم فقال

هل استمالك ميال القوام وقد * سالت عليه من الحمام انداء

كالغصن باشر حر النار من كثب * فظل يقطر من اعطافه الماء

وقال آخر حمامنا فيه فصل القيظ محتدم * وفيه للبرد سر غير ذى ضرر

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

وقال ابن رشيق ومما قلته على عقب وداع

ولم أدخل الحمام ساعة بينهم * لاجل نعيم قد رضيت ببوسى

ولكن لتجرى عبرتى مطمئنة * فابكى ولا يدرى بذلك جليسى

وقال آخر وحمام كأن النار فيه * مسعرة بنيران الجحيم

دخلت أنا ومن أهواه فيه * فعاد لنا كجنات النعيم

وقال آخر فى ذم حمام

وحمام سوء وخيم الهوا * قليل المياه كثير الزحام

فما للقيام به من قعود * ولا للقعود به من قيام

حنياته عطفات القسى * وقطراته صائبات السهام

وقال آخر فى تعجيل الخروج منه

خذ من الحمام واخرج * قبل أن يأخذ منك

حدثاً عنه والا * حدث الحمام عنك

وقال ابن رشيق ومرتهن لدى الحمام أضحى * وحالاه لاصحاب السعير

اذا سئموا العذاب أو استغاثوا * أغاثوهم بباب الزمهرير

كذلك حاله حرا وبردا * ببيت الحوض أو بيت الطهور

وطال به انتظار مواعديه * فقد زاد الشقى على النظير

وله أيضا سأشكر للحمام يدا وعودة * أيادى بيضا ما لهن ثمين

جلاك على عينى عريان حاسرا * فرحت بتطليق وأنت ثمين

وطهر قلبى من هواك ببارد * ومغن فقرا الجفن وهو محنين

فقلت اذا شئت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحمام يذكر جهنم وينقى الدرن * وقال على رضى الله عنه بئس البيت الحمام تكشف فيه العورات وترتفع فيه الاصوات ولا يقرأ فيه آية من كتاب الله تعالى ودخله بعض الامراء مع الرقاشى فقال له امدحه فقال يذهب الشفافة ويعقب النظافة ويهش النعمة ويطيب النغمة فقال ذمه فقال يهتك الاستار ويؤلف الاقذار ويذهب بالوقار (قوله اذا شئت فالسرعة السرعة) يقول اذا شئت أن تقصد الحمام فالزم السرعة وعجل الرجعة وكررهما تأكيدا

والفعل

والفعل الناصب لهما يلزم اضماره مع التكرير فاذا أفردت جاز اظهار الفعل ونظيرهما قول العرب الطريق الطريق والاسد الاسد وقال الشاعر * خل الطريق لمن يبني المنار له * فلما سقط التكرير ساغ له اظهار الفعل (مطلى) مصدر بمعنى طلوعى أهل الحجاز يفتحون لامه فى المصدر وغيرهم يكسرها (ارتداد طرفك) أى رجوع نظرك (استن استنان الجواد) جرى كما يجرى الفرس وانما يقال استن فى كلامهم اذا جرى فى غير طريق بتحريف ومنه قولهم استنت الفصال حتى القرعاء يريدون جرت الفصال وهى تلعب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فاستنت شرفا أو شرفين وقال الشاعر يذكر طعنة تخرج دمها فى جهة

بمستنة كاستنان الخروف * وقد قطع الحبل بالمرود

أراد المهر ويقال لمخروف وفلو وقد فسر استنت الفصال بأن معناه أحسن رعيتها حتى كأنه صقلها والجواد الفرس الكريم (المضمار) الطلق تجرى فيه الخيل سمى مضمارا لان الخيل تضمر فيه وذلك ان العرب كانت تسمن الخيل فتستخرجها الى المضمار فتجريها طلقا قدر ما تحتمل ثم تزيدها يوما آخر فى الجرى على ذلك ثم لا تزال تزيدها فى الطلق كل يوم حتى تجرى بها الاميال فيسيل عرق الخيل بذلك الجرى ويشتد لحمها بذلك التضمير قال زهير

تضمر بالاصائل كل يوم * تسن على سنابكها القرون

القرون دفع العرق واحدها قرن وقوله (بدار بدار) أى سبقا سبقا وهو معدول عن أبدر فيقول لابنه أبدر بالجرى واسبق الى الحمام (تخل) تحسب (غرر) خدع (نرقبه) أى ننتظر من أين يجيء ويرى و(رقبة) أهلة (الاعياد) وما أحسن قول ابن الرقاق فى هذه الرقبة

وشهر أدرنا لارتقاب هلاله * جفونا الى نحو السماء موائلا
الى أن بدا أحوى المدامع أحور * يجر لأذيال الشباب غلائلا
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * بمن قد حوى طيب الشمول شمائلا
أتطلبك الابصار فى الجو ناقصا * وأنت كذا تمشى على الارض كاملا

وله فى معناه

لله شهر ما نظرت هلاله * الا كنون أو كعطفة لام
حتى تبدى لى أغن مهفهف * بضيائه ينجاب كل ظلام
فطفقت أهتف بالانام ضللتم * وغلطتم فى عدة الايام
ما جاءنا شهر لأول ليلة * مذ كانت الدنيا ببدر تمام

(نستطلعه) أى نلتمس طلوعه (الطلائع) الباحثون عليه (والرواد) الطالبون له وأصل الطلائع الباحثون عن أخبار العدو والراصدون فى الطرقات الواحد طليعة وأصل الرواد الطالبون للمرعى (هرم) شاخ ومعناه قارب أن يتم (ينهار) ينهدم و(الجرف) ما يأكله الوادى استعاره للنهار (لاحت) ظهرت و(الاطمار) الثياب الخلقة أراد ان ثوب الشمس وهو ضوءها قد تغير وبلى عند الغروب وبعضهم يستعمل هذه الاستعارات فى الشتاء وغروب الشمس ومما يستغرب من ذلك قول العلوى الاصبهانى

ومجلس شرب جئته متطربا * عشيا وعين الشمس فى الافق تنعس

وقال ابن الرومى

كأن جنوح الشمس ثم غروبها * وقد جعلت فى مجنح الليل تمرض
تخاوص عين صد أجفانها الكرى * يرنق منها النوم وهى تغمض

وقال أيضا

اذا رنقت شمس الاصيل وقبضت * على الافق الغربى ورسا مصعا
وودعت الدنيا لتقضى نحبها * وشول باقى عمرها فتشعشعا
ولاحظت الانوار وهى مريضة * وقد وضعت خدا على الارض أضرعا

(قوله رقبة أهلة) عبارة غيره كما ترقب أهلة الاعياد وهى أوضح

فقال سنجد مطلى عليك أسرع من ارتداد طرفك اليك ثم استن استنان الجواد فى المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم نخل انه غرر وطلب المفر فلبثنا نرقبه رقبة الاعياد ونستطلعه بالطلائع والرواد الى ان هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار فلما طال مدى الانتظار ولاحت الشمس فى الاطمار قلت

لاصحابى قد تناهينا فى المهلة وتمادينا فى الرحلة الى أن أضعنا الزمان وبان ان الرحيل قد مان فتأهبوا للظعن ولا تلاووا على خضراء الدمن ونهضت لاحدج راحلتى وأتحمل لرحلتى فوجدت أبازيد قد

كما لاحظت عوادة عين مدنف * توجع من أوصابه ما توجعا

أخبرنى ابن منصور قال خرجت بخارج فاس عشية مع فتى وراق فنظر الى صفرة الشمس واستنشق برد النسيم وأنشدنى مرتجلا

انظر الى الشمس فى الاصيل * كأنها وجنتا عليل
ورق هذا النسيم حتى * كأنما يشتكى نحولى

وقال ابن الزقاق وعشية لبست ملاء شقيق * تزهى بلون للخدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما * أبقى الحياء بوجنتى معشوق
لو استطيع شربتها كلفا بها * وعدلت فيها عن كؤس رحيق

وقال ابن سراج

والشمس تنفض زعفرانا بالربا * وتبث مسكتها على الغيطان

وما أحسن قول الرضا فى معناه

وعشى أنس للسرور وقد بدا * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت ولم تملك يمينك ردها * فوددت يا موسى لوانك يوشع

وقال ابن الرومى فى طلوع الشمس من خلل السحاب وذكر امرأة

تريك بياض غرتها ووجها * كقرن الشمس أغسق ثم زالا
أصاب خصاصة فبدا كليلا * كلا وانفل سائره انفلالا

قوله بدا كليلا اشارة الى انه عند ما بدا غاب بسرعة وأذكر كلا فى المقامة التاسعة والثلاثين وقال ابن المعتز فى نحوه تظل الشمس ترمقنا بلحظ * مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يريد نكاح بكر

(قوله تناهينا) أى بلغنا النهاية و(المهلة) التراخى يقول قد تراخينا فى انتظاره حتى بلغنا الغاية فى ذلك (تمادينا فى الرحلة) هذا على حذف مضاف للعلم به تقديره تمادينا فى ترك الرحلة وانتظارها ومثل هذا الحذف جائز فى النظم والنثر وأنشد أبو على

أنا النذير لكم منى مجاهرة * كى لا ألام على نهى وانذارى

أى على ترك النهى والانذار وقال آخر

وأهلك مهر أبيك الدوا * وليس له من طعام نصيب

أى فقد الدواء وجاء فى القرآن واسأل القرية التى كنا فيها أى أهل القرية وهى أشد قوة من قريتك أى من أهل قريتك ومثل هذا كثير فى القرآن والكلام الفصيح مما لا يتم المعنى الا بتقديره فالذى غلط الحريرى فقال لو تمادت بهم الرحلة لكانوا فى سير متصل قد جهل الكلام الفصيح فأراد طالت بنا هذه السفرة وتمادى الشئ فهو متماد اذا طال فيه المدى وهو الغاية البعيدة يقول تأخرنا عن السفر اليوم لتمادينا فى انتظاره فطالت علينا السفرة لعطلة السفر حتى أضعنا اليوم الذى انتظرناه فيه حيث لم نسافر فيه و(الزمان) اليوم (بان) تبين (مان) كذب يقال منه مان يمين مينا وأمامانه يمونه مونا فقام بمؤنته (قوله فتأهبوا) استعدوا (الظعن) الرحيل (ولا تلاووا) تعرجوا (خضراء الدمن) عشب المزابل هى حسنة المنظر سيئة المخبر واذا يبست لم ينتفع بعودها لخوره وضعفه فشبه بها أبازيد لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحته وسوء باطنه فى كذبه واخلاف وعده حتى عطلهم عن سفرهم نهارا فى انتظاره قال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن فقيل له وما خضراء الدمن فقال الجارية الحسناء فى المنبت السوء (قوله احدج) أى اجعل عليها الحدج وهو مركب من مراكب النساء وأراد أرحل الناقة (وراحلته) ناقته (أتحمل لرحلتى) أوقر جملى للرحيل يقال

تحمل القوم اذا عيوا أحمالهم وارتحلوا و (القتب) خشب الرحل (قوله ساعدا) أى ذوا ما يستعين به (مساعدا) موافقا (نأينك) بعدت عنك (أشر) بطر وعدم شكر يقال أشر الرجل يأشر أشرا اذا بطر قال الاخطل يذكر بنى أمية

أعطاكم الله جدا تنصرون به * لاجد الاصغير بعد محتقر

لم يأشروا فيه اذ كانوا مواليه * ولو يكون لقوم غيرهم أشروا

(قوله مذلم أزل) أى مذبنت وجدت (انتشر) ذهب (عتب) لام وسخط فعله (خرافه) حديثه الملهى وحديث خرافة مثل سائر على ألسنة الناس فى القديم والحديث يضرب لكل حديث لاحقيقة له ووقع فى أمثال المفضل بسند يصل الى عائشة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم حدثنى حديث خرافة فقال رحم الله خرافة كان رجلا صالحا فاخبرنى أنه خرج ذات ليلة فلقى ثلاثة نفر من الجن فسبوه فقال أحدهم نعفو عنه وقال آخر نقتله وقال آخر نستعبده فبينماهم يتشاورون فى أمره اذ ورد عليهم رجل فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام قال وما أنتم قالوا نفر من الجن أسرنا هذا فنحن نأتمر فى أمره فقال ان حدثتكم حديثا عجيبا أتشركوننى فيه قالوا نعم قال انى كنت ذا نعمة فزالت وركبنى دين فخرجت هاربا فاصابنى عطش شديد فسرت الى بئر فنزلت لاشرب فصاح صائح من البئر مه فخرجت منها ولم أشرب فغلبنى العطش فعدت فصاح بى ثم عدت الثالثة فشربت ولم ألتفت اليه فقال اللهم ان كان رجلا فحوله امرأة وان كان امرأة فحولها رجلا فاذا أنا امرأة فأتيت مدينة فتزوجنى رجل فولدت منه ولدين ثم عدت الى بلدى فمررت بالبئر التى شربت منها فنزلت فصاح بى كما صاح فى الاول فشربت ولم ألتفت له فدعا كالاول فعدت رجلا كما كنت فأتيت بلدى فتزوجت امرأة فولدت منها ولدين فلى ابنان من ظهرى وابنان من بطنى فقالوا ان هذا لعجيب أنت شريكنا فبينماهم يتشاورون اذ ورد عليهم ثور يطير فلما جاوزهم اذا رجل بيده خشبة وهو يحضر فى أثره فوقف عليهم فسلم فردوا وسألهم فردوا عليه مثل ردهم على صاحبهم فقال ان حدثتكم بحديث أعجب من هذا أتشركوننى فيه قالوا نعم قال كان لى عم وكان موسرا وكانت له ابنة جميلة وكنا سبعة اخوة وكان لعمى عجل يربيه فانفلت فقال أيكم يرده فابنتى له فاخذت خشبتى هذه واتزرت ثم حضرت فى أثره وأنا غلام وقد شبت فلا أنا ألحقه ولا هو يكل فقالوا ان هذا لعجب اقعد فانت شريكنا فبينماهم يتشاورون اذ ورد عليهم رجل على فرس أنثى وخلفه غلام على فرس ذكر فسلم كما سلم صاحبا فردوا عليه كردهم على صاحبيه فسألهم فاخبروه الخبر فقال لهم ان حدثتكم بحديث أغرب من هذا أتشركوننى فيه فقالوا نعم قال كانت لى أم خبيثة ثم قال للفرس الانثى الذى تحته أكذلك فقالت برأسها نعم قال وكنت أتهمها بهذا العبد وأشار الى الفرس الذى تحت غلامه أهكذا فقال برأسه نعم فوجهت بغلامى هذا الراكب ذات يوم فى بعض حاجاتى فحبسته عندها فأغفى فرأى فى منامه كأنها صاحت صيحة فاذا هى بجرذ قد خرج فقالت اسجد فسجد ثم قالت اكرب فكرب ثم قالت ادرس فدرس ثم دعت برحى فطحنت قدح سويق فأتت به الغلام فقالت له ائت به مولاك فأتانى به فاحتلت عليهما حتى سقيتهما القدح فاذا هى فرس أنثى واذا هو فرس ذكر فقال أكذلك قالت الفرس الانثى برأسها نعم وقال الفرس الذكر برأسه نعم فقالوا ان هذا أعجب شئ سمعناه أنت شريكنا فأجمع رأيهم فأعتقوا خرافة فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بهذا الحديث فما جاء من الاحاديث المعالبة نسب الى خرافة صاحب الحديث (قوله آقته) أى ضرره (ظعنا) رحلنا (اعتاض) استبدل

﴿شرح المقامة الخامسة وهى الكوفية﴾

(سمرت بالكوفة) الكوفة بلد بالعراق مشهور بينه و بين بغداد ثلاثون فرسخا وسميت كوفة لاستدارتها أخذت من الكوفان وهى الرملة الشديدة البياض وقيل سميت كوفة لاجتماع الناس

﴿ذكر حديث خرافة﴾

كتب على القتب
يامن غدا لى ساعدا
ومساعدا دون البشر
لاتحسبن انى نأيـ * ـتك عن ملال أو أشر
لكننى مذلم أزل
ممن اذا طعم انتشر
قال فأقرأت الجماعة القتب
ليعذره من كان عتب
فاعجبوا بخرافته
وتعوذوا من آفته ثم انا
ظعنا ولم ندر من اعتاض عنا

﴿المقامة الخامسة الكوفية﴾

(حكى الحرث بن همام) قال سمرت بالكوفة فى ليلة

فيها من قولهم تكوف الرمل تكوفا اذا ركب بعضه بعضا وقيل سميت كوفة لانها قطعت من البلاد من قولهم أعطيت فلانا كيفة أى قطعة وكفت أكيف كيفا قطعت والكوفة فعلة منه قلبت الياء واوا للضمة التى قبلها وهى مدينة العراق الكبرى والمصر الاعظم وقبة الاسلام ودار هجرة المسلمين وأول مدينة اختطها المسلمون بالعراق وذكر شيخنا أبو الحسن بن جبير فى رحلته حاجا انه دخل الكوفة فى أول محرم سنة تسع وتسعين وخمسمائة فقال هى مدينة كبيرة قد استولى الخراب على أكثرها فالغامر منها أقل من الخراب ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها وهى لا تزال تضر بها وكفاك بتعاقب الايام والليالى ماحقا ومفنيا وبناؤها بالآجر خاصة ولا سور لها والجامع العتيق آخرها مما يلى شرق البلد ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق وهو جامع كبير فى الجانب القبلى منه خمس أبلطة وفى سائر الجوانب بلاطان متسعتان وهى على أعمدة من السوارى المصنوعة من صميم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة مفرغة بالرصاص ولا قسى عليها وهى فى نهاية من الطول متصلة بسقف المسجد قصار العيون فى تفاوت ارتفاعها فما روى فى الارض مسجد أعلى سقفا منه ولا أطول أعمدة ولهذا الجامع آثار كثيرة منها بيت بازاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال انه كان مصلى الخليل ابراهيم عليه السلام وعليه ستر أسود صونا له ومنه يخرج الخطيب لابسا ثياب السواد للخطبة والناس يزدحمون على هذا البيت للصلاة فيه وبمقربة هذا البيت عن يمين القبلة محراب أغلق عليه بأعواد الساج كأنه مسجد صغير مرتفع عن صحن البلاط هو محراب على بن أبى طالب رضى الله عنه وفيه ضربه الشقى عبد الرحمن بن ملجم فالناس يصلون فيه باكين داعين وفى الزاوية من البلاط القبلى المتصل بآخر البلاط الغربى شبه مسجد صغير أغلق عليه بأعواد الساج وهو مفار التنور الذى كان آية نوح عليه السلام و يتصل بالجدار القبلى فضاء يقال انه كان منشأ السفينة ومع هذا الفضاء دار على بن أبى طالب رضى الله عنه تلقيناهذه الآثار من أشياخ البلد وفى الشرقية بيت فيه قبر مسلم بن عقيل وفى جوف الجامع سقاية كبيرة فيها ثلاثة أحواض وفى غربى المدينة على مقدار فرسخ المشهد الشهير حيث بركت ناقة على رضى الله عنه وهو محمول عليها ميتا وفيه قبره والله تعالى أعلم بصحة ذلك والفرات فى الجانب الشرقى على قدر نصف فرسخ والجانب الشرقى كله حدائق نخل ملتفة يتصل سوادها امتداد البصر (قوله مرت) أى ذهب نوى (الاديم) الجلد وأراد ان لون الليلة فيه سواد وبياض لان قمرها ناقص ولذلك جعله (كتعويذ من لجين) وهو حرز فضة يستعمل مستديرا استدارة القمر و بعض الدائرة فارغ فيربط فى الدائرة خيط فيعلق فى أعناق الصبيان وقال فيه السكردای

قم سلّ همى بالمدا * م ففيه همّ قد أمضه
أو ماترى قمر السما * ء كأنه تعويذ فضه
فاذا ألمّ به المحا * ق تخاله فى الخدّ عضه

وعلى معنى البيت الآخر قال اسمعيل القاضى يصف الهلال

اسقنى قبل صاحبى * واخش صرف النوائب
فالهلال الذى يلو * ح خلال الغياهب
مثل فخ اللجين صيـ * ـغ لصيد الكواكب

وقال القاضى أبو محمد عبد الوهاب

لما رأيت الهلال منطويا * فى غرة الفجر قارن الزهره
شبهته والعيان يشهد لى * بصولجان أوفى لضرب كره

وقال القاضى أبو الحسين بن لبال

أديمها ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين مع رققة

انظر الى الهلال اذ * لاح بهى المنظر
كزورق من فضة * وسط لجين أخضر

أخذه من قول ابن المعتز

أهلا بفطر قد أنار هلاله * فالآن فاغد الى المدام وبكر
وانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وله أيضا

أهلا وسهلا بالناى والعود * وشرب كأس بكف مقدود
قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سرى الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لاكل عنقود

وقد شبهه ابن المعتز بقلامة الظفر فأحسن حيث يقول

وجاءنى فى قميص الليل مستترا * يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحه * مثل القلامة قد قدت من الظفر

(وأخذه من قول الاعرابى)

كان ابن مزنتها جانحا * فسيط لدى الافق من خنصر

ابن مزنتها الهلال والفسيط قلامة الظفر (قوله غذوا) أى ربوا به وجعل غذاءهم واللبان للآدميات واللبن للآدميات وغيرهن (سحبوا) جروا (سحبان) فصيح العرب واقطره فى السادسة عشرة (ذيل النسيان) طرفه يريد أنهم بفصاحتهم أنسوا ذكر سحبان فكأنهم جروا عليه ثوب النسيان حتى غطوه ولم يذكره أحد من هؤلاء وأصل ذلك ان يسحب ذيل الثوب على أثر ليخفى كقول امرئ القيس * تعفى بذيل الدرع ان جئت موئلى * وكقوله

خرجت بها تمشى تجر وراءنا * على أثرينا ذيل مرط مرحل

(قوله يحفظ عنه) أى هم علماء يروون العلم فيحفظ عنهم (يتحفظ) يتحذر وأخذ هذا من قول سليمان الارت لعبد الملك قد أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وتبطنت العذراء فلم يبق لى من لذتى الا صديق أطرح فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ فهذا الذى طلبه سليمان وجده الحريرى فى أصحابه وأصل التحفظ الاجتهاد فى حفظ الشئ وقلة الغفلة فى الامور كانه على حذر وأنشد ثعلب

انى لابغض عاشقا متحفظا * لم تتهمه أعين وقلوب

(قوله يميل الرفيق اليه) تقول ملت الى فلان اذا أحببته وتقربت منه وملت عنه اذا كرهته وبعدت عنه والرفيق الصاحب يرتفق به فى السفر (قوله استهوانا) هوى بنا وشغلنا و(السمر) الحديث يسمر عليه وذكر الحريرى أن أصل السمر ظل القمر والسمر الحديث ومنه أخذ السميرة وغالب أحوال السمار أنهم يتحدثون فى ظل القمر وذكر هذا فى تفسير الرابعة والاربعين وهو الاصل ثم اتسع فيه فصار الجلوس بالليل للحديث يسمى سمرا على أى حال اتفق (روق) ضرب رواقه والرواق الثوب يستظل به من الشمس يريد ان الليل ضرب عليهم من ظلامه رواقا فحجب عنهم به القمر و(البهيم) الخالص السواد والبهيم الخالص من كل لون و(التهويم) النوم بالليل والتغوير النوم فى القائلة وقد هوم الرجل اذا أسقط النعاس رأسه فانتبه بسقوطه فرفعه خفة يقتته سجود الرأس من النعاس قال ذو الرمة فى ذلك وأشعث مثل السيف قد لاح جسمه * وجيف هموم والمهاوى الاباعد

سقاه نعاس كأس سكر فرأسه * لدين الكرى فى آخر الليل ساجد

ويقال خفق رأسه فهو خافق قال ذو الرمة

وخافق الرأس فوق الرحل قلت له * دع بالزمام وجوز الليل مركوم

(وقال الرصافى فأحسن)

غذوا بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان مافيهم الامن يحفظ عنه ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق اليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر الى أن غرب القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم سمعنا من

ومجدين فى السرى قد تعاطوا * غمرات الكرى بغير كؤس

جنحوا وانحنوا على العيس حتى * خلتهم يلثمون أيدى العيس

نبذوا الغمض وهو حلو الى أن * وجدوه سلافة فى الرؤس

الباب نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا من الملم فى الليل المدلهم فقال

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا
ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذى اكفهرا
الى ذراكم شعثا مغبرا
أخا سفار طال واسبطرا
حتى انثنى محقوقفا مصفرا
مثل هلال الافق حين افترا
وقد عرا فناءكم معترا
وأمكم دون الانام طرا
يبغى قرى منكم ومستقرا
فدونكم ضيفا قنوعا حرا
يرضى بما احلولى وما أمرا
وينثنى عنكم ينث البرا

(قال الحرث بن همام) فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذى أحلنى ذراكم لا تلمظت بقراكم أو تضمنوا الى أن لا تتخذونى كلا ولا تجشموا لأجلى أكلا فرب أكلة

(قوله نبأة) أى صوت (مستنبح) يحكى نباح الكلاب وكان الرجل اذا تلف بالليل بالصحرا ولم يدر أين يتوجه حاكى بصوته نباح الكلاب فان كان قريبا من العمران نبحت لنباحه كلاب الحى فسمع أصواتها فقصد الحى فتسمى العرب من يفعل هذا المستنبح وأنشد أبو على فى نوادره

ومستنبح بات الصدى يستتيهه * فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر

رفعت له نارا ثقوبا زنادها * يليح الى السارى هلم الى قدر

(وقال حسان بن ماثل)

ومستنبح فى جنح ليل دعوته * بمشبوبة فى رأس صمد مقابل

فقلت له أقبل فانك راشد * وان على النار الندى وابن ماثل

وقد أنشد أبو تمام فى حماسته فى باب الاضياف فى المستنبح ما فيه كفاية فلينظر هنالك (قوله تلتها) أى تبعتها (صكة) دفعة (مستفتح) طالب فتح الباب (الملم) الزائر (المدلهم) الشديد السواد من الدهمة ولامه زائدة (المغنى) المنزل (وقيتم) كفيتم واتماد عالهم بهذا الان فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يوشك قلوب الناس أن تملأ شرا حتى يجرى الشر فضلا بين الناس فلا يجد قلبا يدخله (اكفهر) تراكم ظلامه وكثر (ذراكم) منزلكم وكنكم وكل ما استترت به من ريح أو مطر أو شمس فهو ذرا (شعثا) متغير الشعر والشعث ترك غسل الرأس حتى يتغير (مغبرا) عليه الغبار وفى الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وسخت ثيابه فقال أما وجد هذا ما ينقى به ثيابه ورأى رجلا شعث الرأس فقال أما وجد هذا ما يسكن به شعره (أخا سفار) صاحب أسفار أى ملازم لها (اسبطر) امتد وطال سفره (انثنى) رجع وعاد (محقوقفا) منحنيا (الافق) ناحية السماء (افتر) انفتحت أطرافه ولم يتقارب كأنه فرهذا من هذا ومنه فرت الدابة وافتر ضحك وشبه انحناءه من السفر بدائرة القمر الناقص وأكثر ما يوقعون هذا التشبيه فى الانحناء من الكبر قال الشاعر

تقوس بعد طول العمر ظهرى * وداستنى الليالى أى دوس

فأمشى والعصا تهوى أمامى * كأن قوامها وتر لقوسى

وقال ابن ليال

قوس ظهرى المشيب والكبر * والدهر يا عمرو كله عبر

كأننى والعصا تدب معى * قوس لها وهى فى يدى وتر

(قوله عرا) قصد (فناءكم) منزلكم وفناء الدار ما أحاط بها من الارض لخمته (معترا) قاصد الطالب معروفكم (أمكم) قصدكم (طرا) أجمع (يبغى قرى) يطلب طعاما (احلولى) اشتدت حلاوته (ينث) يفشى وينشر (البر) الاحسان (قوله خلبنا) أى خدعنا (علمنا ما وراء برقه) يريد ان ما أبدى لهم من الكلام الفصيح دلهم على ما عنده من العلم كما أن البرق اذا ظهر ولمع علم ما وراءه من المطر (ابتدرنا) استبقنا (الترحاب) قولهم مرحبا مرحبا (هيا هيا) أى سق سق (هلم ما تهيا) أى أحضر ما تيسر (لا تلمظت بقراكم) تذوقت بطعامكم وأصل التلمظ تتبع اللسان ما بقى من الطعام فى الفم بعد الاكل (كلا) ثقيلا وفلان كل على أهله اذا لم يكفهم مؤنة نفسه والكل الاعياء وجمعه كلول وعلى فلان كل كثير قال النابغة الجعدى

رأيتم بنى سعد كلولا كثيرة * شهيدى بذاك ابنا حمار بن احمرا

(تجشموا) تكلفوا (أكلا) طعاما و(الاكلة) الغداء والعشاء والاصل فى هذا ان الاكل بالفتح

مصدر أكل وبالضم ما أكل والاكلة بالفتح المرة الواحدة وبالضم اللقمة وبالكسر هيئة الاكل (هاضت) أضعفت وأدخلت عليه هيضة وهى القيء والاسهال وأصل المثل رب أكلة تمنع أكلات وقال ابن هرمة

وربت أكلة منعت أخاها * بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى بشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

و(المآكل) جمع مأكلة أو مأكل وهى الاكل وهى أيضا ما يؤكل (سام التكاليف) أى عرض مضيفه الى تكلف ما يشق عليه و(الاذى) الضرر و(المضيف) صاحب المنزل (يفضى) يؤول (سار سائره) انتشر التحدث به ومشى فى الناس (خير العشاء سوافره) بواكره أى ما أكل منه بضوء النهار واحدها سافرة والسافرة المرأة التى سفرت نقابها عن وجهها أى كشفته فكأن اللقمة اذا أبصرتها عند أكلها قد سفرت الظلام عن نفسها وتجمع على سوافر على هذا المعنى حكى أبو بكر بن شعبان النحوى قال دخلت على محمد اليزيدى وهو يتغدى فقال يا أبا بكر خير الغداء بواكره خير العشاء ماذا فقلت لا أدرى فقال دخلت على حسين بن الخادم وهو يتغدى فقال يا أبا سليمان خير الغداء بواكره خير العشاء ماذا فقلت لا أدرى فقال كنت بحضرة الرشيد وهو يتغدى فدخل الاصمعى فقال يا أصمعى خير الغداء بواكره خير العشاء ماذا فقال بواصره يعنى ما يبصر من الطعام قبل الظلام وحكى أبو يعقوب فى الغداء التأخير فقال قال الحكيم وقيل هو لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه من سره النساء ولا نساء (٢) فليبكر الغداء وليباكر العشاء وليخفف الرداء يريد ثقل الدين (التعشى) أكل العشاء وهو ما يؤكل بالعشى (يعشى) يورث العشا وهو سواد البصر ليلا قال ابن دريد

وأرى العشا فى العين أكـ * ـثر ما يكون من العشاء

أراد من تأخير العشاء لان أكل الطعام بالليل يحدث ضعف البصر أكثر من غيره وقال كشاجم

* ونديم مخالف * لا يشاء الذى أشا
هو فى التحول لى أخ * وعدو اذا انتشى
اقترحت العشاء بو * ماعليه فأدهشا
ساعة ثم قال لى * العشا يورث العشا

كأن هذا التطبب أخذه كشاجم من قول الصاحب بن عباد قال الصاحب ما أخجلنى أحد كأبى الحسن البديهى فانه كان عندى فقدمت اليه فاكهة فأمعن فى المشمش فقلت المشمش يلطخ المعدة فقال لا يعجبنى المضيف اذا تطبب فوددت أنى لم أقلها وورد النهى عن ترك العشاء فى حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا العشاء ولو بكف حشف وان تركه مهرمه وقوله (تحول دون الهجوع) أى تمنع من النوم وجاء فى الحديث النهى عن التكلف قال سفيان ذهبت أنا وصاحب لى الى سلمان فقال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف لتكلفت لكم ثم جاء بالخبز وملح فقال صاحبى لو كان فى ملحنا صعتر فبعث سلمان مطهرته فأرهنها فجاء بصعتر فلما أكلا قال صاحبى الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت لم تكن مطهرتى مرهونة وجاء فى حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم الادام الخل وكفى بالمرء اثما أن يسخط ما قرب اليه (٣) الهجوع أى النوم (قوله عقيدتنا) أى ما انعقدت عليه نياتنا ويقال رميت عن القوس ولا يقال رميت بها الا أن ترميها من يدك (لا جرم) بمعنى حقا ولا بد ولا محالة (السبط) السهل (راج) تيسر (أذكى) أوقد (السراج) المصباح (تأملته) نظرته (ليهنئكم) أى ليسركم (الوارد) القاصد (المغنم البارد) الهنى الذى يغنم دون قتال ولا تعب (أفل) غاب (الشعرى) كوكب معروف وهما شعريان العبور والغميصاء سموها عبورا لانهم يزعمون أنها عبرت المجرة وسموا الاخرى الغميصاء لانها بكت على أختها حتى غمصت عينها أى خفيت (استسر)

هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر الاضياف من سام التكليف وآذى المضيف خصوصا اذى يتعلق بالاجسام ويفضى الى الاسقام وما قيل فى المثل الذى سار سائره خير العشاء سوافره الا ليعجل التعشى ويجتنب أكل الليل الذى يعشى اللهم الا أن تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع (قال) فكأنه اطلع على ارادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لا جرم أنا آنسناه بالتزام الشرط وأثنينا على خلقه السبط ولما أحضر الغلام ما راج وأذكى بيننا السراج تأملته فاذا هو أبو زيد فقلت لصحبى ليهنئكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فان يكن أفل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر أو استسر بدر

(٢) قوله من سره النساء الخ ينظر المعنى والاستشهاد اه

٣ قوله الهجوع أى النوم هذا مكرر مع ما تقدم له فى أول شرح هذه الجملة اه

٢ قوله ثلاثة أنجم الخ الذى فى القاموس انها كوكبان بينهما قدر شبر وفيهما لطخ بياض كأنه قطعة سحاب وهى أنف الاسد اه

النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا المسرة فيهم وطارت السنة عن مآقيهم ورفضوا الدعة التى كانوا نووها وثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طووها وأبو زيد مكب على اعمال يديه حتى اذا استرفع ما لديه قلت له أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك أو عجيبة من عجائب اسفارك فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤن ولا رواه الراوون وان من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم ومصيرى الى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه فى مسرح مسراه فقال ان مرامى الغربة لفظتنى الى هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبوسى وجراب كفؤاد أم موسى

﴿ذكر قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام﴾

غاب وخفى (النثرة) (٢) ثلاثة أنجم مجتمعة (تبلج) ظهر وأضاء (النثر) ضد النظم يقول ان غاب قمر السماء الذى يتحدث بضوئه فهذا أبو زيد قمر الفصاحة قد طلع فجدد احاديثكم ودعوا النوم (سرت) مشت (حميا المسرة) شدة السرور والحميا حدة الخمر وتسمى الخمر الحميا (السنة) أخف من النوم (مآقيهم) عيونهم والمأق طرف العين من جهة الانف (رفضوا) تركوا (الفكاهة) الحديث الظرف وأصلها المزاح ومنه قولهم لاتمازحن صبيا ولا تفاكهن أمة قال ابن الانبارى المعنى لاتمازحن الا أنه استسمج اعادة اللفظ فأتى بلفظ فى مثل معناه مخالف للفظه وتفاكهن مشتق من الفكاهة وهى المزاح وقال طرفة

وان امرأ لم يعف يوما فكاهة * لمن لم يرد سوأ به لجهول

ووصف أبو العيناء ابن أبى دواد فقال له هزل يؤتم به وجد يتقدم الجد و بين ذلك فكاهة تستملح ودعابة تستظرف ومزح مصادره ثلاثة مزح ومزاح ومزاحة * اليزيدى المزاح بالكسر لاغير أبو عمرو وما ذكره اليزيدى مصدر مازحت مزاحا وممازحة (قوله مكب) أى مائل الرأس (اعمال يديه) استعمالهما بالاكل و (استرفع) أمر برفعه و يروى استفرغ أى أتم (أطرفنا) أى حدثنا بطرفة وهى الحديث المستملح والطرفة عند العرب الشئ المحدث الذى لم يكن عرف وجاء فلان بطرفة وشئ طريف وهو مشتق من الطريف والطارف وهما المال المستحدث الذى جمعه الرجل واكتسبه والتالد ما ورثه عن الآباء قال الشاعر

وأصبح مالى من طريف وتالد * لغيرى وكان المال بالامس ماليا

(أسمارك) جمع سمر وهو الحديث يسمر عليه (قوله ما لم يره الراؤن) أى الناظرون اليه وقوله (ولا رواه الراوون) أى حفظه الحافظون (عاينته) شاهدته ورأيته بعينى (انتيابكم) قصدكم (مصيرى) رجوعى (مرآه) رؤيته (مسرح) حيث يسرح ويمشى (مسراه) سيره بالليل (مرامى) قواذف (التربة) البلدة (مجاعة) جوع (بوسى) ضرر (جراب) وعاء الزاد (كفؤاد أم موسى) فارغا لقوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا وسمى موسى لانهم وجدوه بين ماء وشجر ومو بالقبطية هو الماء وشا هو الشجر فعربت فجعلت الشين سينا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ولم يزل بنو اسرائيل من عهد يوسف عليه السلام تحت أيدى الفراعنة وهم على بقايا من دين ابراهيم عليه السلام المشروع له واسحق و يعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام حتى كان فرعون الذى بعث موسى عليه السلام اليه ولم يكن منهم فرعون أعتى على الله منه ولا أطول عمرا وكان شديد الغلظة سيئ الملكة واسمه الوليد بن مصعب وكان اتخذ بنى اسرائيل خولا فصنف منهم يبنون وصنف يحرثون ومن لا عمل له وظف عليه الجزية فرأى فى منامه أن نارا أقبلت من المقدس فأحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فسأل عن رؤياه فقيل له يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو اسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مصر فأمر بقتل كل مولود يولد فى بنى اسرائيل فجمع القوابل وعهد اليهن بذلك فذبح الولدان وعذب الحبالى حتى يطرحن ما فى بطونهن حتى كاد يفنيهم فقيل له انهم خولك وانك ان تفنهم ينقطع النسل فأمر بقتل الغلمان عاما و يستحيون عاما فولد هرون فى السنة التى يستحيون فيها وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها فلما وضعته أمه حزنت لشأنه فأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم وهو النيل ولا تخافى ولا تحزنى فعملت تابوتا وجعلته فيه وألقته فى اليم وقالت لاخته قصيه أى اقتفى أثره فحمله الماء حتى أدخله بين أشجار تحت قصر فرعون فخرج جوارى فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية امرأة فرعون وهى بنت مزاحم اسرائيلية فكشفت عنه التابوت فرأته فرحمته وأخذته وأخبرت به فرعون فأراد أن يذبحه وخشى أن يكون المولود الذى حذر منه فلم تزل به آسية حتى تركه لها وذلك

قوله

قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فاللام من ليكون للعاقبة ولم يكن لفرعون ولد فاتخذه له ولدا فارتاد واله المرضعات فلم يقبل ثدي واحدة منهن ولما غاب أمره عن أمه كاد قلبها يطير وجدا عليه فبعثت أخته كأنها تلتمس رضاعه فلما رأت أسفهم عليه حيث لا يقبل على مرضعة وذلك قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم فقالوا لها دلينا على ذلك فذهبت فجاءت بامه فلما رأته كادت لشدة حبها فيه وفرحها به أن تقول هو ابني وتفتضح فعصمها الله من ذلك وذلك قوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها فاعطته ثديها فأخذ يرضعه فربته في قصر فرعون فلما تحرك عرضته آسية على فرعون فلما أخذه مد موسى يده الى لحيته فنتفها فقال فرعون على بالذباحين فانما هو هذا فقالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه فانه صبي لا يعقل ودعت له بجمر وياقوت فطرح جبريل عليه السلام يده في النار فوضعها موسى عليه السلام في فمه فأحرقته فتركه فرعون فكبر في حجره فلما ترعرع تبناه فكان يركب مراكبه ويلبس ملابسه ويدعى ابن فرعون ثم ان موسى عليه السلام أخبر أن فرعون قد ركب فركب اثره فادركه ببلد منف فدخلها وقد أخليت لفرعون وليس في طرقها أحد فرأى اسرائيليا مع قبطي يقتتلان فاستغاثه الاسرائيلي فوكز القبطي فقضى عليه فكان من قصته معهما ما قص الله تعالى في كتابه حتى خرج خائفا يترقب الى مدين وأما رجوعه منها الى فرعون بأنه رسول الله الى أن غرق فرعون في البحر وجنوده فمذكور في الثامنة عشرة (قوله نهضت) أى مشيت (سجا الدجى) سكن بالظلام وغطى كل شئ (الوجى) الحفاء (أرتاد) أطلب (مضيفا) منزلا وأضافه أنزله وضافه نزل به فهو ضيفه أى النازل به (أقتاد) أقود (حادى السغب) سائق الجوع (حييتم) طابت حياتكم والتحية البقاء (خفض) لين وخفض عيشه خفضا اذا أخصب (خضل) ناعم وخضل الشئ يخضل خضلا ابتل (ابن سبيل) خاطر طريق وهو الغريب وسمى الغريب ابن السبيل لانه اذا ظهر على قوم لا يعرفونه لم يعرف له نسب الا السبيل الذى جلبه و (مرمل) لا زاد له وأرمل القوم فنى زادهم ومن أبيات اللغز فى ابن السبيل

ونحن ابن من لا ينكر الناس فضله * وليس له فى الناس من طالب وترا
فان تحفظوا فينا أبانا تحفظا * رعيتم والا أوقدت ناركم شرا

أى سبيتم فى كل مكان كما قال الآخر

وانت الذى شيبتنى قبل شيبتى * وأوقدت لى نارا بكل مكان
(ومنها أيضا) واحيانا يكون كبير سن * وأحيانا يكون من الشباب
ومنسوب الى من لم يلده * كذلك الله أنزل فى الكتاب

(قوله نضو سرى) أى هزيل من مشى الليل فى الاسفار و (خابط ليل) الذى يمشى فيه على غير هداية (أليل) شديد السواد (جوى الحشى) فاسد الجوف من الجوع وهو (الطوى مشتمل) منضم أى قد انضم جوفه على الجوع ففسدت أحشاؤه (موئل) ملجا من وألت الى كذا أى لجأت (دجا) ألبس (جنح) سواد (المسبل) المطبق (تململ) تقلب وتوجع و (الربع) المنزل و (المنهل) موضع الماء * ويقال ألقى عصاه اذا ترك السير وأقام وروى الاصمعى عن بعض البصريين انه قال سميت العصا عصا لان اليد والاصابع تشتمل عليها وهو من قول العرب عصوت القوم اذا جمعتهم على خير أو شر ويقال عصى بالسيف يعصى اذا ضرب به كما يضرب بالعصا (بشر) طلاقة وجه (برز) خرج (جوذر) ظبى وأصله ولد الغزالة (الشوذر) ثوب قصير و (الشيخ الذى سن القرى) هو ابراهيم عليه السلام واختصه بلقب الشيخ لانه أول من شاب ولما رأى الشيب قال يارب ما هذا فاوحى الله اليه يا ابراهيم هذا وقار فقال يارب زدنى وقارا وشاب وهو ابن مائة وخمسين سنة وذلك انه لما ولدت سارة اسحق قال الكنعانيون

فنهضت حين سجا الدجى
على ما بى من الوجى لارتاد
مضيفا أو أقتاد رغيفا
فساقنى حادى السغب
والقضاء المكنى أبا العجب
الى أن وقفت على باب
دار فقلت على بدار
حييتم يا أهل هذا المنزل
وعشتم فى خفض عيش
خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل
نضو سرى خابط ليل أليل
جوى الحشى على الطوى
مشتمل
ما ذاق مذ يومان طعم مأكل
ولا له فى أرضكم من موئل
وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة فى تململ
فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لى ألق عصاك وادخل
وابشر ببشر وقرى معجل
قال فبرز الى جوذر عليه
شوذر وقال
وحرمة الشيخ الذى سن
القرى

ألا تعجبون لهذا الشيخ والعجوز وجدا غلاما فقبنياه فصور الله اسحق على صورة ابراهيم عليهما السلام فلم يفصل بينهما فوشم الله ابراهيم بالشيب (قوله سن) ابتدأ وجعله سنة وهو أول من ضيف الضيف وأطعم المساكين وقص شاربه وقلم اظفاره واستحد واستاك وفرق شعره ومضمض واستنثر واستنجى بالماء (واسس المحجوج) أي بنى اساس البيت الحرام و (ام القرى) مكة و (الطارق) الآتي بالليل و (المناخ) موضع البروك (يقرى) يضيف (الكرى) النوم (برى أعظمه) أي أزال اللحم عنها (انبرى) اعترض وقال حبيب في أن أول من قرى الضيف ابراهيم عليه السلام

للجود سهم حين يقسم العلا * لا ربه المكدى ولا المسهوم
و بيان ذلك أن أول من قرى * وحبا خليل الله ابراهيم

وقال أبو بحر صفوان بن ادريس في فتى اسمه ابراهيم وذكر لفظ المقامات وأبدع ماشاء حيث قال

أسمي من سن القرى رفقا بمن * يضنى عليك صبابة وغراما
أنا ضيف حسنك فاصطنعني انه * ضيف الهوى يستوجب الاكراما
لما نظرت نجوم خيلان بدت * في صحن وجنتك استفدت مقاما
أفنيت جسم الصب شوقا مثلما * أفنى سميك قبلك الاصناما
يازهرة سكنت فؤادي غضة * اني تبوأت اللهيب كماما
حتى كأن الحب قال لاضلعي * يانار كوني بردا له وسلاما

وقال أبو بكر بن ميمون فيما يتعلق بهذه النار

أباقاسم والهوى جنة * واني من حرها لم أفق
تقحمت جاحم نار الحشى * وخضت بحار سواد الحدق
أكنت الخليل وكنت الكليم * أمنت الجوى وأمنت الغرق

وأسس المحجوج في أم القرى
ماعندنا الطارق اذا عرا
سوى الحديث والمناخ في الذرا
وكيف يقرى من نفى عنه الكرى
طوى برى أعظمه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرت ما ترى
فقلت ما أصنع بمنزل قفر

انظر الى الاضياف في الرابعة والاربعين (قوله بمنزل قفر) كأن هذا المنزل هو الذي وصفه الآخر حيث يقول

ليس اغلاقي لبابي أن لي * فيه ما أخشى عليه السرقا
انما أغلقه كي لا يرى * سوء حالي من يمر الطرقا
منزل أوطنه الفقر فلو * يدخل السارق فيه سرقا

انما أخذ الحريري هذا المعنى من قصة يزيد المدني وكان من أهل الملح فاستضافه أعرابي فقال ماعندنا الا الاسودان فقال الاعرابي خير كثير فقال لعلك تظنهما التمر والماء والله ماهما الا الليل والحرة فلم يكن ليزيد دار الا الحرة وهي أرض سوداء فيها حجارة سود وهي مقبرة المدينة والقبور المجصصة بالليل موحشة فما ظنك بقبور وسود البناء في أرض سوداء في ظلمة الليل كيف حال من يكون هذا قراه فبهذا البلاء أعرض يزيد عن ضيافة الاعرابي ونحو هذا من أقوال المازحين قول أبي الشمقمق ويروى عن وهب عابد قرطبة

برزت من المنازل والقباب * فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي * سماء الله أوقطع السحاب
لاني لم أجد مصراع بيت * يكون من السحاب الى التراب
ولا انشق الثرى عن عود نحت * أؤمل أن أشد به ثيابي
ولا خفت الاباق على عبيدي * ولا خفت الهلاك على دوابي
وفي ذا راحة وفراغ بال * فدأب الدهر ذا أبدا ودابي

(وقال آخر)

ولما التمست الرزق فاعجز حبله * فلم يصف لي من بحره العذب مشرب
خطبت من الاعدام احدى بناته * فزوجنيها الفقر اذ جئت أخطب

فأولدتها الحرب الشق فماله * على الارض غيري والدحين بنسب
فلونهت في البيداء والليل مسبل * عليّ جناحيه لما لاح كوكب
ولو خفت شرا فاستترت بظلمة * لاقبل ضوء الشمس من حيث تغرب
ولو جاد انسان علي بدرهم * لرحت الى رحلي وفي الكف عقرب
ولو قطر الناس الدنانير لم يكن * بشئ سوى الحصباء رأسي تحصب
وان يقترف ذنبا بعرفة مذنب * فاتي برأسي ذلك الذنب يعصب
وان أرخيرا في الانام فنازح * وان أرشرا فهو مني مقرب
أمامي من الحرمات جيش عرمرم * ومنه ورائي جحفل حين أركب

(وقال آخر)
لو ركبت البحار صارت أجاجا * لاترى في متونها أمواجا
ولواني وضعت ياقوتة حمراء في راحتي لصارت زجاجا
ولواني وردت عذبا فراتا * عاد لاشك فيه ملحا أجاجا

ومنزل حلف فقر ولكن
يافتي ما اسمك فقد فتنتني
فهمك فقال اسمي زيد
ومنشئ فيد

(وقال آخر)
لو وردت البحار أطلب ماء * جف قبل الورود ماء البحار
أو مسست العود النضير بكفي * لذوى بعد بهجة واخضرار
أو رمى بأسمي النجوم الدراري * لاتروى ضوءها عن الابصار
ولواني بعت القناديل يوما * أدغم الليل في ضياء النهار

(وقال شواش)
كسدت شواشينا وقل معاشنا * فسعودنا مقرونة بنحوس
فكأنما قطعت رؤس الناس أو * خلقوا الشقونا بغير رؤس

قيل لابي الشمقمق ابشر فانا روينا في الحديث العارون في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة فأنشأ يقول

أنا في حال تعالى الله ربي أي حال
ليس لي شئ اذا قيل لمن هذا قلت ذالي
فأراضي الله فرشي * والسموات ظلالي
ولقد أفلست حتى * حل أكلي لعيالي
من رأى شيأ محالا * فأنا عين المحال
لو بقي في الناس حر * لم أكن في مثل حالي

(قوله منزل) أي مضيف (حلف) صاحب (منشئ) موضعي الذي نشأت فيه و (فيد) بلد مشهور في نصف المسافة التي بين مكة وبغداد وفيها عين ماء وينزلها عمال طريق مكة وأهلها طيئ وهم في سفح جبلهم المعروف بسلمى وقد ذكرها زهير في قوله

ثم استمروا وقالوا ان مشربكم * ماء بشرقي سلمى فيد أو ركك

قال الزجاجي سميت بفيد بن حام وهو أول من نزلها قال ويقول أهل العراق هي من قولهم فاد الرجل يفيد فيدا اذا مات أو من قولهم استفاد فائدة وقلما يقولون أفاد فائدة والفيد أيضا نور الزعفران قال شيخنا ابن جرير رضي الله عنه انه خرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضحوة يوم السبت الثامن من المحرم سنة سبع وتسعين مع أمير الحاج وصبحوا فيدا يوم الاحد في اليوم الرابع عشر من خروجهم ثم وصفها فقال هي مصر كبير منفرج في بسيط من الارض ممتد حوله ربض لطيف به سور عتيق وهو معمور بسكان من الاعراب يتعيشون من الحاج في التجارات والمبايعات وغير ذلك من المرافق وفيها ينزل بعض الحاج بعض أزوادهم اعتدادا للارمال من الزاد عند انصرافهم يتركونها

وردت هذه المدرة أمس مع أخوالى من بنى عبس فقلت له زدنى ايضاحا عشت ونعشت فقال أخبرتنى أمى برة وهى كاسمها برة انها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس منها الاثقال وكان باقعة على مايقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف أحى هو فيتوقع أم أودع اللحد البلقع قال أبو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدى وصدفنى عن التعرف اليه صفريدى ففصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم ياأولى الالباب بأعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب فقال أثبتوها فى عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الاوراق فما سير مثلها فى الآفاق فأحضرنا الدواة وأساودها ورقشنا الحكاية على ماسردها ثم استبطناه عن مرتآه فى استضمام فتاه فقال اذا ثقل ردنى خف على ان أكفل ابنى فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال ألفناه لك فى الحال فقال وكيف لا يقنعنى نصاب وهل يحتقر قدره الا مصاب (قال الراوى) فالتزم منه كل منا قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع واستنفد فى الثناء الوسع حتى اننا استطلنا القول واستقللنا

عند معارفهم بها وهى نصف الطريق من بغداد الى مكة أو أقل يسيرا ومنها الى الكوفة اثناعشر يوما فى طريق سهلة ودخلها أمير الحاج على تعبية وأهبة ارهابا للمجتمعين بها من الاعراب لئلا يداخلهم الطمع فى الحاج فهم لا يجدون اليهم سبيلا والمياه كثيرة فى آبارها تمدها عيون تحت الارض وامتلأت أيدى الحجاج القادمين من أغنام العرب بالمبايعة فلم يبق حية ولا ظلالة الا والى جانبها كبش أو كبشان بحسب الوجد فعمت جميع المحلة الغنم واللبن والسمن والعسل فأكلوا واحتملوا وكان ذلك اليوم عيدا للركب قال وبهذه المحلة العراقية وما انضاف اليها من الخراسانية والموصلية وسائر جهات الآفاق صحبة أمير الحاج جمع لا يحصى عددهم الا الله تعالى يغص بهم البسيط الافيح ويضيق بهم المهمه الفضفض فترى الارض تميد بهم ميدا وتموج بجمعهم موجا فتبصر بهم بحرا طامى العباب ماؤه السراب وسفينه الركاب وشراعه الظلال المرفوعة والقباب يسير سير السحاب متداخلا بعضها على بعض فتعاين تزاحما فى البراح المنفسح يهول ويروع واصطكاكا كالمبيع التجارات فيه بعضها ببعض مقروع فمن لم يشاهد هذا السفر العراقى لم يشاهد عجبا يتحدث به ويتحف السامع بغرائبه والقدرة والقوة لله وحده وحسبك ان النازل فى منزل من هذه المحلة متى خرج لبعض حاجاته ولم يكن له دلالة على موضعه ضل وتلف وعاد منشودا بجملة الضوال وربما اضطر به الحال الى الوصول لمضرب الامير ورفع المسئلة اليه فيأمر أحد المنشدين ممن أعد لذلك أن يردفه خلفه على جمل ويطوف به المحلة مناديا باسم جماله وبلده الى أن يؤديه الى رفقته وعجائب هذه المحلة كثيرة ولاهلها من اليسار ما يغنيهم على ماهم بسبيله وماذكرنا أمر هذه المحلة الا ليستدل على ان فيها بلدا فى غاية القوة والعمارة حيث أمد هذا الجمع الكثير والجم الغفير بما تقدم من أنواع الارزاق وان قبائل طيئ متوفرة بحيث تطلع الى الغارة على مثل هذه المحلة والملك لله وحده مفنى الجميع بعد كمال العدة (قوله وردت) أى أتيت (المدرة) البلد (عبس) قبيلة (ايضاحا) بيانا (نعشت) جبرت و(برة) الاول اسمها والثانى صفتها يريد أنها مكرمة كثيرة البر (نكحت) تزوجت (عام الغارة) أى عام أغار عليهم عدوهم (ماوان) بلدة (سراة) سادة (آنس) أبصر (الاثقال) الامتلاء بالولد (باقعة) داهية ويقال انه الذى جال بقاع الارض وعرف خيرها وشرها * قال ابن الانبارى رحمه الله فلان باقعة أى داهية حذر محتال حاذق والباقعة عند العرب الطائر الحذر المحتال الذى يشرب الماء من المباقع ولا يرد المشارع والمياه المحصورة خوفا من أن يحتال عليه فيصطاد ثم شبه به كل حذر محتال (هلم جرا) معناه الى الآن قال ابن الانبارى هلم جرا سيروا على هينتكم أى تثبتوا على سيركم ولا تجهدوا أنفسكم ولا تشقوا عليها أخذ من الجر فى السوق وهو ان تترك الغنم والبقر ترعى فى السير وينتصب جرا فى قول الكوفيين على المصدر لان فى هلم معنى جر وفى قول البصريين هو مصدر فى موضع الحال تقديره هلم جارين أى متثبتين قياسا على جاء عبد الله مشيا وأقبل ركضا وجاء وأقبل عند الكوفيين بمعنى مشى وركض وقال بعضهم ينصب على التمييز (يتوقع) ينتظر (أودع) أدخل (اللحد البلقع) اللحد الخالى (صدفنى) أمالنى (التعرف) أن يعرفه انه أبوه (صفريدى) فراغها من الدراهم (فصلت) زلت (مرضوضة) مدقوقة مكسورة (مفضوضة) مفترقة (أولى الالباب) أهل العقول (العجاب) مبالغة فى العجب (خلدوها) أى اثبتوا اسكنها (الآفاق) البلدات وجهات الارض جميعها (أساودها) أقلامها (رقشنا) كتبنا (على ماسردها) أى كما حكاها وتكلم بها (استبطناه) سألناه وطلبنا منه معرفة باطنه (مرتآه) رأيه وغرضه (ردنى) كمى (أكفل) أضم (نصاب) عشرون دينارا (ألفناه) جمعناه (يقنعنى) يكفينى (مصاب) مجنون (قوله قسطا) أى نصيبا (قطا) كتابا (الصنع) الفعل الجميل (استنفد) استتم (الوسع) الطاقة ووسع الرجل قدر ما يجد من مال أو كلام أو غير ذلك وهو من السعة أى أتى غاية ما يمكنه من الثناء (استطلنا) استكثرنا ووجدناه كثيرا طويلا والطول الانعام

والفضل

والفضل أى رأينا ما أنعمنا به عليه قليلا و (الوشى) ثياب مرقومة بألوان شتى من الحرير و (الحبر) ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة والحبر تصنع باليمن فشبه حسن حديثه بالوشى وانه قصر بالحبر لحسن فنونه وقال ابن الرقاق وكان وصف الليلة والصحاب الذى سامرهم أبو زيد وزاد عليه بالشجاعة

لله ليلتنا التى استجدى بها * فلق الصباح لسرية الاظلام

طرأت على مع النجوم بأنجم * من فتيـة بيض الوجوه كرام

ان حوربوا فزعوا الى بيض الظبا * أو خوطبوا فزعوا الى الاقلام

فترى البلاغة ان نظرت اليهم * والبأس بين يراعة وحسام

(جشر) طلع (قضيناها) أتممناها (شوائبها) ما ينكدها ويكدرها (الذوائب) الشعر الطويل الاسود وأراد به ظلام الليل وجعل فيه بياض الصبح بمنزلة الشيب فى سواد الشعر قال ابن دريد

أما ترى رأسى حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجى

(انفطر) انشق وطلع (عودها) بياض صبحها ويقال انفطر القضيب اذا بدا نبات ورقه وقال امرؤ القيس * تكرعوبة البانة المنفطر * (قرن الغزالة) شعاعها وحاجبها والغزالة من أسماء الشمس وأسماؤها كثيرة ذكرها يعقوب وغيره وذكر منها عشرة خمسة بالهاء وهى الغزالة والخارجة والجونة ومهاة والالهة وخمسة بغير الهاء وهى الشمس والسراج والصبح وذكاء ويوح (طمر) وثب (الغزالة) الظبية (انهض) أى قم (الصلات) العطايا (نستنض) نستحضر والناض المال الحاضر (الاحالات) الديون التى وعدوه بها (استطارت) توسعت وانتشرت (صدوع) شقوق و (الحنين) الشوق والرحمة (وصلت جناحه) أى مشيت معه ويدى فى يده وجناح الرجل يده (سنيت) يسرت (نجاحه) قضاء حاجته (احرز العين) حصل المال و (صرته) خرقة دراهمه (برقت) لمعت (أسارير) طرق الوجه ومنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج تبرق أسارير وجهه ويقال لها الاسرة ويقال لخطوط الكف الاسرة وقد جمعهما التهامى فى لفظ واحد فى قوله يبدى أسرة وجهه ويمينه * فى ساعة لاعسار والايسار (مسرته) سروره أراد انطلق وجهه سرورا بالمال (خطا) مشى و (النجيب) الجيد العقل الكريم الاصل (قوله أنا نشه) أى أكلمه (تغرغرت) امتلأت (تطنى) حسب (خلت) حسبت (يستسر) يخفى (مكرى) خدعى (يحيل) يلبس ويشبه (عرسى) زوجتى (فنون) أنواع (أبدعت فيها) أحدثتها ولم أقتد بغيرى فيها (يحكها) يحدث بها (حاكها) نسجها وقال منها الاصمعى مذكور فى المقامة الاربعين وأما الكميت الشاعر فهو ابن زيد الاسدى وهو شاعر مجيد مكثر جيد اودبوان شعره مستعمل مشهور ولما قال قصائده الهاشميات قصد البصرة فأتى الفرزدق فقال يا أبا فراس أنا ابن أخيك فقال ومن أنت فانتسب له فقال صدقت وما حاجتك قال أنت شيخ مضر وشاعرها وأحببت ان أعرض عليك ما قلت فان كان حسنا أمرتنى باذاعته وان كان غير ذلك أمرتنى بستره قال يا ابن أخى احسب شعرك على قدر عقلك فقل راشدا فأنشده

طربت وما شوقا الى البيض أطرب * وما لعبا منى وذو الشيب يلعب

قال بلى فالعب فأنشده ولم تلهنى دار ولا رسم منزل * ولم يتطربنى بنان مخضب

قال لم لا يتطربك اذا فقال ولا أنا ممن يزجر الطير همه * أصاح غراب أم تكلم ثعلب

قال أنت ممن و يحك والى من تسمو قال

ولا السانحات البارحات عشية * أمر سليم القرن أم مر اعضب

قال أما هذا فقد احسنت فيه قال

ولكن الى أهل الفضائل والنهى * وخير بنى حواء والخير يطلب

الطول ثم انه نشر من وشى السمر ما أزرى بالحبر الى أن أظل التنوير وجشر الصبح المنير فقضيناها ليلة غابت شوائبها الى ان شابت ذوائبها وكمل سعودها الى ان انفطر عودها ولما ذرقرن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات ونستنض الاحالات فقد استطارت صدوع كبدى من الحنين الى ولدى فوصلت جناحه حتى سنيت نجاحه فحين أحرز العين فى صرته برقت أسارير مسرته وقال لى جزيت خيرا عن خطا قدميك والله خليفتى عليك فقلت أريد أن أتبعك لاشاهد ولدك النجيب وأناشده لكى يجيب فنظر الى نظرة الخادع الى المخدوع وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع وأنشد

يا من تظنى السراب ماء * لما رويت الذى رويت

ما خلت أن يستسر مكرى * وأن يحيل الذى عنيت

والله ما برة بعرسى * ولا لى ابن به اكتنيت

وانما لى فنون سحر * أبدعت فيها وما اقتديت

لم يحكها الاصمعى فيما

قال فمن هم ويحك فقال الى النفر البيض الذين بحبهم * الى الله فيما نابنى أتقرب
فقال أرحني ويحك من هؤلاء فقال

بنى هاشم رهط النبى فاننى * بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

فقال لله درك يا بنى فقد أصبت وأحسنت اذ عدلت عن الزعانف والاوباش اذا لا يصرد سهمك ولا يشلب قولك ثم مر فيها فقال أظهر وأشهر فأنت أشعر من مضى وأشعر من بقى فحينئذ قدم المدينة فأتى عبد الله بن الحسين فأنشده فقال يا أبا المستهل ان لى ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها وقد أشهدت لك بها شهودا فقال بأبى أنت وأمى كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال ولا والله ما قلت فيكم شيأ الا لله وما كنت لآخذ فى شىء جعلته لله ثمنا فلما أبى عليه أخذ متزره فدفعه الى أربعة غلمان فجعل يدور به دور بنى هاشم ويقول هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم وعرض دمه لبنى أمية فأثيبوه ما قدرتم فاجتمع له من حلى النساء ومن الدنانير والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم فجاء بها الى الكميت فقال يا أبا المستهل أتيناك بجهد المقل ونحن فى دولة عدونا فاستعن بهذا على دهرك فقال بأبى أنت وأمى قد أكثرتم وأطبتم وما أردت بمدحى اياكم الا الله فاردده الى أهله فجهد به كل حيلة فأبى وقال أما اذا أبيت ان تقبل فان رأيت أن تقول شعرا تغضب به بين النزارية والتميمية لعل فتنة تحدث فنخرج بين أضغانها فقال قصيدته التى أولها

الا حييت عنا يا مدينا * وهل باس فقول المسلمينا

فعرض فيها وصاح باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم مثل قوله

لنا قمر السماء وكل نجم * يشير اليه أيدى المهتدينا
وما ضربت هجان بنى نزار * هوائج من فحول الاعجمينا
وما حملوا الحمير على هجان * مضمرة فيلقوا مبغلينا

ومشت فى العرب فافتخرت نزار على اليمن واليمن على نزار وثارت العصبية فى البادية والحاضرة وتحزب الناس فتعصب مروان بن محمد لقومه من نزار على اليمن فانحرفت عنه الى الدعوة العباسية وكان الكميت سبب ذلك وكان لامتداحه بنى هاشم وتعريضه ببنى أمية يطلبه خلفاء بنى أمية فهرب منهم عشرين سنة فجد هشام بن عبد الملك فى طلبه ولم يجده ولم يستقر للكميت قرار من خوفه وكان لمسلمة ابن عبد الملك حاجة عند هشام يقضيها له لا يرده فيها فخرج مسلمة لبعض صيوده فأتاه الناس يسلمون عليه فأتاه الكميت ومسلمة لا يعرفه فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد

قف بالديار وقوف زائر * وتأن انك غير صاغر

حتى انتهى الى قوله

يا مسلم بن أبى الوليد * لظننت انى شئت ناشر
علقت حبالى من حبا * لك ذمة الجار المجاور
فالآن صرت الى أمية * والامور لها مصاير
والآن كنت به المصيب * كمهتد بالامس حائر

فقال مسلمة سبحان الله من هذا الذى أقبل من أخريات الناس ثم بدأنا بالسلام ثم قال أما بعد ثم بدأنا بالشعر قبل الكميت فأعجب بفصاحته فسأله عما كان فيه من طول غيبته فذكر له سخط هشام عليه فضمن له أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام وهشام لا يعرفه فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال هشام نعم الحمد لله من هذا قال الكميت مبتدئا الحمد ومبتدعه الذى خص بالحمد نفسه وأمر به ملائكته وجعله فاتحة كتابه ومنتهى شكره وكلام أهل جنته أحمده حمد من علم يقينا وأبصر مستبينا وأشهد بما شهد به لنفسه قائما بالقسط وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده العربى ورسوله النبى الامى الذى أرسله والناس فى هفوات حيرة ومدلهمة ظلمة عند

استقرار

استقرار أبهة الضلالة فبلغ عن الله ما أمر به حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم ثم انى يا أمير المؤمنين
تهت فى حيرة وحرت فى سكرة أهاب بى داعيها فأجابه غاويها فامطوطيت فى الضلالة حائدا عن الحق
قائلا بغير الصدق فهذا مقام العائذ بك ومنطق التائب ومبصر الهدى بعد طول العمى يا أمير
المؤمنين كم من عاثر أقلتم عثرته ومجترم عفوتم عن جرمه فقال هشام وقد علم انه الكميت من سن
لك هذه الغواية وأهاب بك فى العماية قال الذى أخرج آدم من الجنة فنسى ولم يجد له عزما وأنت
يا أمير المؤمنين أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد الغموس فيها فبصرت وحقن بك دماء قوم اشرب
خوفك قلوبهم لما يعلمون من حزمك وعزمك وبصيرتك وعز أسك وثبات جأشك وأنت مستغن
برأيك عن رأى ذوى الالباب برأى أريب وحلم مصيب فأطال الله لامير المؤمنين البقاء وأتم
عليه النعماء ودفع به الاعداء فرضى عنه وأمر له بمال كثير فهذه منزلة الكميت من الشعر
والخطابة خلافا لمن يقول القافية جلبته فى المقامات وغيره من الشعراء كان أولى بموضعه (قوله
حاكها) أى نسجها يريد أن الكميت ممن يصنع الشعر ولا يقوله على طبعه فلذلك قال حاكها وسأل
بعض الخلفاء جريرا عن النابغة وزهير فقال بنيران الشعر وسدياه والعلماء بالشعر يسمون صناع
الشعر عبيد الشعر مثل زهير وابنه كعب والحطيئة وعدى بن الرقاع والكميت (قوله
تخذتها) أى اتخذتها يقال تخذ يتخذ بمنزلة اتخذ يتخذ وخفف عنه حذفوا ألف الوصل من اتخذ والتاء
الاولى الساكنة التى هى فاء الفعل فبقى تخذ ومثله اتقى يتقى وتقى يتقى حذفت ألفه وتاؤه الاولى
وليس يطرد هذا التخفيف وانما جاء فى اتخذ واتقى واتجه واتسع فقالوا اتقى وتخذ وتجه وتسع
(وصلة) أى موصلة (تعافيتها) تكارهتها وهى تفاعلت من عفت الشئ أعافه عيافا أى كرهته
(حالت) تغيرت (أحو) أجع (مهد) اقبل وسهل (أجرمت) أذنبت لنفسى (جنيت) (أذنبت)
لغيرى أراد ان كان عذرى بينا فاقبله وان كنت ظالما فتجاوز واسمح (أودع) ضمن وجعل فيه
(الغضى) شجر جمره يثبت فى النار

﴿شرح المقامة السادسة وهى المراغية﴾

وتعرف بالخيفاء (ديوان النظر) أى مجلس المناظرة (المراغة) بلدة من كور اذربيجان (البراعة)
القلم قبل أن يبرى ويسوى فاذا برى وسوى قيل له قلم وبقى عليه الاسم الاول وهو البراعة والبراع
القصب (أرباب البراعة) أصحاب اصالة الرأى والبارع الاصيل الجيد الرأى ويقال برع يبرع
بروعا وبراعة اذا فاق فى السودد (ينقح) يحسن ويخلص (الانشاء) الكتابة (خلف) بقى (السلف)
المتقدمون وسلفوا ذهبوا وتقدموا (يبتدع) يحدث (طريقة) حالة موصوفة وطريقة فلان
كذا أى حالته التى هو عليها (غراء) واضحة مشهورة لم يقل أحد مثلها وغرة الشئ أوله (يفترع)
يفتض (عذراء) بكرا سميت عذراء لصعوبة جماعها وتعذر الشئ تصعب وافتراع البكر ادماؤها
وازالتها تصعب منها وكل ما أدميته فقد فرعته وافترعته فمعنى يفترع رسالة عذراء أى يأتى برسالة
قد تصعب طريقها على غيره فاقتدر هو على سلوك طريقها والاتيان بها (المفلق) الفصيح المعرب
الذى يأتى بالفلق وهو الشئ العجيب (الاوان) الوقت (العيال) من يتكل فى مؤنته على غيره
ولا يقوم بنفسه وعال الرجل عيلة اذا افتقر وعلته عولا قمت بمؤنته ويريد أن كتاب هذا الزمان عيال
على من تقدمهم حيث افتقروا الى الاخذ من كلامهم وقد وعدنا أن نذكر سحبان فيما يأتى ان شاء
الله تعالى (الكهل) التام الخلق بين الشاب والشيخ (الحاشية) طرف المجلس و(الحاشية) اتباع
الاتباع وخدمة القوم وأصلها رذال المال وصغاره * قال يعقوب الحاشية والحواشى والحشو
صغار الابل وأنشد * جلتها والاخر الحواشيا * (شط) جرى (شوطهم) طلقهم (نثروا) القوا
عليها (العجوة) التمرة الطيبة (والنجوة) الرديئة هكذا كان يفسرها شيخنا أبو بكر بن أزهر عن ابن

حكى ولا حاكها الكميت
تخذتها وصلة الى ما
تجنيه كفى متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت
حالى ولم أحو ما حويت
فهد العذر أو فسامح
ان كنت أجرمت أو جنيت
ثم انه ودعنى ومضى
وأودع قلبى جمر الغضى

(المقامة السادسة المراغية)

(روى الحرث بن همام)
قال حضرت ديوان النظر
بالمراغة وقد جرى بذكر
البلاغة فأجمع من حضر
من فرسان اليراعة
وأرباب البراعة على أنه
لم يبق من ينقح الانشاء
ويتصرف فيه كيف شاء
ولا خلف بعد السلف من
يبتدع طريقة غراء أو
يفترع رسالة عذراء وان
المفلق من كتاب هذا
الاوان المتمكن من
أزمة البيان كالعيال
على الاوائل ولو ملك
فصاحة سحبان وائل
وكان بالمجلس كهل جالس
فى الحاشية عند مواقف
الحاشية فكان كلما شط القوم
فى شوطهم ونثروا العجوة
والنجوة

من نوطهم ينبئ تخازر
طرفه وتشامخ أنفه أنه
مخرنبق لينباع ومجرمز
سيمد الباع ونابض يبرى
النبال ورابض يبغى النضال
فلما نثلت الكنائن وفاءت
السكائن وركدت الزعازع
وكفّ المنازع وسكنت
الزماجر وسكت المزجور
والزاجر أقبل على الجماعة
وقال لقد جئتم شيأ ادّا وجرتم
عن القصد جدًّا وعظمتم
العظام الرفات وافتتم فى
الميل الى من فات وغمصتم
جيلكم الذين فيهم لكم
اللدات ومعهم انعقدت
المودّات أنسيتم يا جهابذة
النقد وموابذة الحلّ
والعقد ما أبرزته طوارف
القرائح وبرز فيه الجذع
على القارح من العبارات
المهذبة والاستعارات
المستعذبة والرسائل
الموشحة والاساجيع
المستملحة وهل للقدماء
اذا أنعم النظر من حضر
غير المعانى المطروقة
الموارد

جهور وما وجدت فى كتاب لغة ان النجوة اسم للتمرة الرديئة وقد بحث عنها بعض أصحابنا غاية البحث فى كل كتاب يتهم فيه ذكر النخل والتمر فأخبرنى أنه ما وجد لها ذكرا وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم فى التمر الردىء لا أنها لغة عربية فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده لان البصرة أكثر بلاد الله نخلا فيسمون كل نوع من التمر باسم والتمر تكثر أنواعه عندهم ورأيت أكثر أهل سجلماسة لا يكادون يحصون أنواعه لكثرتها ورأيت بها نوعا من التمر زعموا أنه لا يطيب أبدا وانما همه له أن ينكمش على نواه فلا تجد الا جلدا يابسا على النواة فيه لفونه المعز فيحتمل أن يكون مثل هذا فى نخل البصرة يسمى نجوة ويقابل بالعجوة التى هى أشرف التمر وأطيبه وأما من فسر النجوة هنا بالمرتفع من الارض فلا معنى له * الفنجديهى النجوة قيل انها لقاطة التمر اذا سقطت لا يبالى بها فان صحت روايتها فكأنها سميت بالنجوة التى هى العذرة (نوطهم) وعاء تمرهم قال أبو حنيفة النوطة الجلة الصغيرة من جلال التمر والجلة الوعاء الذى يكنز فيه التمر وكل وعاء له علاقة فهو نوطة والجمع نوط وقد ناطه ينوطه اذا علقه فأراد ألقوا الكلمة الجيدة والرديئة من كلامهم (ينبئ) يخبر (تخازر طرفه) كسر عينيه بالنظر وتخازر نظر بمؤخر عينيه وهو نظر المنكر للشئ (تشامخ) ارتفاع وهو فعل المستحقر للشئ (مخرنبق) متهيئ (لينباع) لينهض وفسره أبو عبيد فى الامثال فقال المخرنبق المطرق الساكت لينباع ليثب اذا أصاب فرصة قال ومعناه أنه سكت لداهية يريدها وقيل المخرنبق الساكت على السوء لينباع ليظهر الذى فى ظنه من الشر (مجرمز) منقبض وهو كقول النابغة

وقالت يا قوم ان الليث منقبض * على براثنه للوثبة الضارى

فأخذه ابن الرومى فقال

سكن سكونا كان رهنا بوثبة * عماس كذاك الليث للوثب يلبد

(نابض) رام ويقال أنبض القوس اذا جذب وترها ثم أطلقه لتختبر شدتها ونبض العرق تحرك فيكون نابض على النسب أو على حذف الزائد * الفنجديهى أورد أبو الحسين بن فارس اللغوى فى كتابه المجمل ان نبض لغة فى أنبض وهما بمعنى واحد قال الشاعر

فان أباها مقسم بيمينه * لئن نبضت كنى فانى لنابض

فصح بهذا قوله (رابض) لاطئ بالارض وربضت الشاة اضطجعت (يبغى النضال) أى يطلب المراماة وأراد أنه يريد أن يلقى عليهم المسائل ليجاذبوه (قوله نثلت) أى نفضت وصب ما فيها (الكنائن) الجعاب وهى أوعية السهام (فاءت) رجعت (السكائن) جمع سكينة وهو الوقار يريد أتم أهل المجلس كلامهم فسكتوا (ركدت) سكنت (الزعازع) الرياح الشديدة المزلزلة واحدها زعزع (كف المنازع) أمسك المخالف يريد انقطع كلامه (ادا) أمرا فظيعا منكرا (جرتم عن القصد) خرجتم عن الاستقامة (جدا) كثيرا (الرفات) البالية (افتتم) فعلتم ما لا يجب وتجاوزتم فيه ويقال افتات الرجل افتعل من الفوات وفات ذهب وعدم (غمصتم) حقرتم وغطيتم (جيلكم) أهل عصركم (اللدات) جمع لدة وهو الذى ولد معك (جهابذة) حذاق الواحد جهبذ (النقد) معرفة الكلام نقده ميزه وأصله من ميز الدراهم الجيدة من الرديئة (موابذة) حكام والموبذ الكثير الجاه من الفرس مثل الوزير والقائد (أبرزته) أظهرته (طوارف) جديدات وغريبات (القرائح) الاذهان (برز) غلب (الجذع) من الخيل ابن سنتين (القارح) ابن خمس أى غلب فيه الحديث العصر القديم (عبارات) جمع عبارة وهى التفسير وعبرت عن فلان تكلمت عنه وكنت لسانه (المهذبة) المخلصة من العيب و(الاستعارة) أن تعير اللفظ ما يستحقه غيره وهى من العارية (الموشحة) المزينة (الاساجيع) جمع أسجوعة وهى الكلام المربوط بقافية (أنعم) بالغ (المطروقة) التى نزل عليها

(المعقولة)

(المعقولة) المربوطة (الشوارد) الفارة يقول ليس للقدماء الا المعانى التى قصدها المتأخرون كما قصدها المتقدمون وقيدها المتأخرون بالكتاب كما قيدها المتقدمون فكان تقييدها سببا لان مشت فى الاقطار فعرفت وحفظت (المأثورة) المحدث بها (الصادر) الخارج عن الماء و(الوارد) الداخل اليه وذكرهنا ان الصادر يتقدم الوارد وذلك أنا اذا افرضنا موضع ما. لا يمكن وروده الا واحدا بعد واحد فالصادر يسبق الوارد على ماذكره فى المقامة قال الحريرى فى درة الغواص ان الخواص يقولون هذا أمر يعرفه الصادر والوارد ووجه الكلام أن يقال الوارد والصادر لانه مأخوذ من الورد والصدر ولما كان الورد يقدم الصدر وجب أن يقدم لفظ الوارد على الصادر وهذا كما ترى الورد يقدم الصدر فى حق واحد يقال ورد الماء ثم صدر عنه وأما فى حق اثنين كما قدمناه كما ذكره فى هذه المقامة فالصادر يتقدم الوارد وقول الناس هذا أمر يعرفه الصادر والوارد فى حق اثنين فهم فيه على صواب ومحال أن يكون المثل فى حق واحد لان الشئ لا يعطف على نفسه ولو كان الوارد على زعمه يتقدم الصادر لجاز تقديم الصادر عليه لان الواو لا تعطى رتبة يقول لا نحدث بكلمهم ونظمهم ونثرهم لفضلهم علينا لكن لسبقهم لنا (أنشا) كتب (وشى) زين ورقم (عبر) تكلم أو فسر (حبر) حسن (أوجز) اختصر (أعجز) أى عجز عن فعله غيره (أسهب) أطال الكلام (أذهب) جاء بالذهب وأصل أسهب حفر بئرا بعيدة القعر وأذهب صادف معدن الذهب فى حفير (بده) ارتجل ولم يتفكر (شده) حير من يتعاطى منزلته (اخترع) قال مالم يسبق اليه (خرع) شقق المعانى (قوله ناظورة) أى كبير القوم ومقدمهم الذى ينظرون اليه (الديوان) دار الكتاب وموضع اجتماعهم والديوان الزمام يكون فيه أسماء الجند وأرزاقهم وأصله دوان فقلبت واوه الاولى ياء لانكسار ماقبلها ودل عليه دواوين فى جمعه وهو اسم أعجمى عرب والاصل فى تسميته ان كسرى أمر الكتاب أن يجمعوا له فى دار ويعملوا حساب السواد فى ثلاثة أيام وأعجلهم فيه فأخذوا فى ذلك واطلع عليهم لينظر ما يصنعون فنظر اليهم يحسبون بأسرع ما يمكن وينسخون كذلك فعجب من كثرة حركتهم فقال أرى ديوانه ومعناه شياطين ثم سمى موضعهم ديوانا ثم استعملته العرب وجعل كل محصل من كلام أو شعر ديوانا (قارع) ضارب وكاسر (الصفاة) الصخرة الملساء استعارها للصعب من الكلام (قريع) سيد (الصفات) النعوت التى تقدم أنه يعرف بفعلها و(قرن مجالك) صاحب كلامك الذى تجول فيه يعنى نفسه (قرين جدالك) صاحب مجادلتك والقرن بالكسر الذى يماثلك فى شدة أو خصام أو علم وان لم يكن بينكما معرفة وقرينك صاحبك الذى لا يفارقك كأنه قرن معك والمجال الموضع الذى تراض فيه الخيل (رض) سس ولين (النجيب) الفحل الكريم من الابل وعنى نفسه (ادع مجيبا) يقول سنى ثم ادعنى استجب لك (ترى عجيبا) فى حسن جوابى (البغاث) صغار الطير (يستنسر) يصير نسرا يقول نحن أهل علم ومعارف فلا تجوز علينا المخاوف والعرب تقول فى أمثالها ان البغاث فى أرضنا يستنسر أى يرجع الضعيف قويا بالعز نا وحمايتنا له ممن يريده وقيل فى البغاث انه ذكر الرخم وقيل البغاث كل ما يصاد من الطير والجوارح كل ما يصيد والرهام مالا يصيد ولا يصاد كالخطاف وغيره (الفضة) الحصى البيض الصغار ويقال لها بالقض والقضيض بالقاف والضاد ومعناه جاء بالكبير والصغير والقضيض صغار الحصى وما تكسر منه وقالوا جاؤا قضهم بقضيضهم أى كلهم (استهدف) صار هدفا وهو الغرض للسهم (النضال) المراماة (العضال) الذى لا يبرأ منه (استثار) حرك (نقع) غبار (الامتحان) الاختبار (يقذ) يقع فى عينه القذى وهو ما يسقط فى العين يقول من صار غرضا للالسنة قل أن يسلم ومن صار طالبا لمناظرة أهل المعارف أهين وأفحم (المفاضح) المخزيات واشتهار العيوب (وسم) علامة (قدحه) سهمه يريد قداح الميسر وكان كل رجل يعمل فى قدحه علامة يعرف بها قال دريد بن الصمة

المعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم الموالد لا لتقدم الصادر على الوارد وانى لاعرف الآن من اذا أنشا وشى واذا عبر حبر وان أسهب أذهب واذا أوجز أعجز وان بده شده ومتى اخترع خرع فقال له ناظورة الديوان وعين أولئك الاعيان من قارع هذه الصفات وقريع هذه الصفات فقال انه قرن مجالك وقرين جدالك واذا شئت ذاك فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له ياهذا ان البغاث بارضنا لا يستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والقضة متيسر وقل من استهدف للنضال فخلص من الداء العضال أو استثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للمفاضح ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ أعرف بوسم قدحه

وأصغر من قداح النبع فرع * به علمان من عقب وضرس

الضرس العض بالضرس وسنذكر فى الثالثة والاربعين قداح العرب (سيتفرى) سينكشف (قوله تناجت) أى تحدثت سرا (يسبر) يقاس (قليبه) بئره (بعمد) يقصد (تقليبه) تجريبه (ذروه) اتركوه (حصتى) نصيبى (قصتى) خبرى وجعل لمسئلته حجرا يرميه به مجازا (عضلة) صعبة (العقد) جمع عقدة يريد أن عقدها صعب الحل (محك المنتقد) وهو حجر يقاس به جيد الفضة والذهب من الردىء أراد ان مسئلته نهاية فى الصعوبة والعضلة كل مسئلة شديدة لايهتدى لمثلها ولا يوقف على جوابها من قولهم داء عضال ومعضل اذا كان شديدا لايهتدى لدوائه ولا يوقف على علاجه وعضلت المرأة تعضيلا نشب ولدها فى بطنها وعضلت الدجاجة ببيضتها كذلك وفلان عضلة من العضل أى داهية لايهتدى لمكره (قوله الزعامه) أى الرياسة (وأبو نعامة) هو قطرى بن الفجاءة التميمى الخارجى وكان له فرس يكنى بها فى الحرب ويكنى فى السلم أبا محمد وقطرى منسوب الى قطر موضع قريب من عمير وكان فارسا شجاعا شاعرا مجيدا وكان رئيس الخوارج وسلموا عليه بأمير المؤمنين عشرين سنة وكان خطيبا فصيحا وله خطبة فى ذم الدنيا انتهى فيها من البلاغة الى الغاية وأولها أما بعد فانى أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وداءت بالقليل وتحابيت بالعاجل وتحلت بالامانى وتزينت بالغرور لا تدوم زهرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زائلة نافدة بائدة لاتعدو اذا هى تناهت الى أمنية الرغبة منها والرضا عنها أن تكون كما قال تعالى كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا ومنها وكم واثق بها قد فجعته وذى طمأنينة اليها قد صرعته وذى احتيال فيها قد خدعته وكم من ذى أهبة فيها قد صيرته حقيرا وذى نخوة قد ردته ذليلا وذى تاج قد كبته لليدين والفم سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها أجاج وحلوها صبر مليكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدى الحكم العدل ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ومن جيد شعره فى وقعة دولاب

لعمرك انى فى الحياة لزاهد * وفى العيش مالم ألق أم حكيم

من الخفرات البيض لم ير مثلها * شفاء لذى بثولا لسقيم

لعمرك انى يوم ألطم وجهها * على نائبات الدهر جد لئيم

ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت * طعان فتى فى الحرب غير ذميم

غداة طغت علمان بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم

فلم أر يوما كان أكثر مقطعا * يمج دما من فائض وكليم

وضاربة خدا كريما على فتى * أغر نجيب الامهات كريم

أصيب بدولاب ولم تك موطنا * له أرض دولاب ودير حميم

فلو شهدتنى يوم ذاك وخيلنا * تبيح من الكفار كل حريم

رأت فتية باعوا الاله نفوسهم * بجنات عدن عنده ونعيم

وأم حكيم التى شبب بها كانت معه فى عسكر الاباضية وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجها وأحسنهم بدينه متمسكا وكان قطرى يحبها ويجلها وأخبر من شاهدها فى تلك الحروب انها كانت ترتجز فتقول أحمل رأسا قد سئمت حمله * وقد مللت دهنه وغسله * الافتى يحمل عنى ثقله

والخوارج يفدونها بالآباء والامهات وخطبها جماعة من أشراف الخوارج فردتهم وقالت

الا ان وجها حسن الله خلقه * لأجدر ان يلفى به الحسن جامعا

وأكرم هذا الجرم عن أن يناله * نورك فخل همه أن يجامعا

وسيتفرى الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر قليبه ويعمد فيه تقليبه فقال أحدهم ذروه فى حصتى لارميه بحجر قصتى فانها عضلة العقد ومحك المنتقد فقلدوه فى هذا الامر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة فاقبل على الكهل وقال اعلم انى

أين هذه من أم خارجة واسمها عمرة بنت سعد كان يقال لها خطب فتقول نكح وضرب بها المثل فقيل أسرع من نكاح أم خارجة وأين هى من حفيدة قطرى صاحبها حكى الاصبهانى عن اسمعيل بن المباحر قال خرجت أنا والسيد الحميرى سكارى فلقينا بنت الفجاءة بن عمر بن قطرى بن الفجاءة وكانت امرأة برزة حسناء فوافقها السيد وأنشدها من شعره فأعجب كل واحد منهما صاحبه ثم خطبها فقالت كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق قال يكون كنكاح أم خارجة قيل لها خطب قالت نكح فاستضحكت وقالت تنظر فى هذا وعلى ذلك فمن أنت قال

ان تسأليني بقومى تسألى رجلا * فى ذروة المجد من أجواد ذى يمن

ثم الولاء الذى أرجو النجاة به * من كية النار للهادى أبى حسن

فقالت لا شئ أعجب من هذا يمان وتميمة ورافضى وأباضية فكيف يجتمعان فقال بحسن رأيك فى تحشد نفسك ولا يذكر أحد نا سلفا ولا مذهبا قالت أفليس التزويج اذا علم انكشفت معه الستور قال وأنا أعرض عليك أخرى قالت وماهى قال المتعة التى لا يعلم بها أحد قالت تلك أخت الزنا قال أعيذك بالله ان تكفرى بعد ايمانك قالت وكيف قال انها قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة قالت أستخير الله وأقلدك اذ كنت صاحب قياس وتفتيش فانصرفت معه وبات معرسا بها وبلغ أهلها من الخوارج أمرها فتوعدوها بالقتل فجحدت وقالوا أتزوجت بكافر فكانت تختلف اليه مرة وتواصله وقوله تقليد الخوارج أبا نعامة لما قتل الزبير بن على أمير الخوارج ادار وا أمرهم فأرادوا تولية عبيد بن هلال اليشكرى فقال ألا أدلكم على من هو خير منى لكم من يطاعن فى قبل ويحمى عن دبر عليكم بقطرى بن الفجاءة المازنى فبايعوه (قوله أوالى) أى ألازم وأتخذه وليا (أرقح) أصلح يقال رقح من عيشه اذا أصلح منه قال الشاعر

يترك مارقح من عيشه * يعبث فيه همج هامج

الهمج البعوض ثم قيل لأرذال الناس همج (الحالى) المزين بالحلى (أودى) عوجى (سعة) كثرة (ذات يدى) أى مالى (عددى) عيالى (حاذى) ظهرى وفلان خفيف الحاذ أى قليل العيال وأصل الحاذ مؤخر الفخذين (نفد رذاذى) فرغ قليل مالى والرذاذ المطر الضعيف (أممته) قصدته (أرجائى) جهاتى وبلادى (رجائى) أملى (روائى) حسن هيئتى وحالى (اروائى) ازالة عطشى (هش) خف ورجل هش بسام طليق الوجه (للوفادة) القدوم عليه (وارتاح) طرب واهتز (الافادة) تكسيب الفوائد (المراح) بفتح الميم المشى والانصراف و(المراح) بالضم الموضع الذى تروح اليه الابل وتروح منه أو تراح اليه أى تساق بالعشى و(المراح) بالكسر النشاط والخفة وقد مرح مرحا لعب من الفرح (كاهل) ما بين فروع الكتفين استعارة للنشاط (أزمعت) عزمت (بتاتا) زادا (شتاتا) مالا متفرقا (تنشئ) تصنع وتكتب (امام ارتحالك) قبل سفرك (تودعها) تضمنها وتجعل فيها (يعجن) ينقطن وأعجمت الكتاب أزلت عنه عجمته (قط) لفظة موضوعة لما مضى من الدهر وجعل الحريرى قول الخواص لا أكلمه قط من أفحش الخطا لتناقض الكلام قال وذلك ان العرب تستعمل لفظة قط فيما مضى من الزمان كما تستعمل لفظة أبدا فيما يستقبل فيقولون ما كلمته قط ولا أكلمه أبدا والمعنى ما كلمته فيما انقطع من عمرى لانه من قططت الشئ اذا قطعته ومنه قط القلم اذا قطع طرفه وفيما يؤثر من شجاعة على رضى الله عنه أنه كان اذا استقبل قد واذا استدبر قط فالقد قطع الشئ طولا والقط قطعه عرضا يقول تصنع رسالة تضمنها حالك يكون تركيبها من كلمة يعم حروفها النقط وكلمة لا ينقط منها حرف وبهذا المعنى سميت المقامة الخيفاء لان الاخيف من الخيل الذى احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء (استأنيت) أمهلت وأخرت (أحار) رد وراجع (نبهت) أيقظت (سنة) حولا (سنة) نوما (قاطبة) جماعة (قطب) وجهه اذا عبسه (صدعت) أوضحت

أوالى هذا الوالى وأرقح حالى بالبيان الحالى وكنت استعين على تقويم أودى فى بلدى بسعة ذات يدى مع قلة عددى فلما ثقل حاذى ونفد رذاذى أممته من أرجائى برجائى ودعوته لاعادة روائى واروائى فهش للوفادة وارتاح وغدا بالافادة وراح فلما استأذنته فى المراح الى المراح على كاهل المراح قال قد أزمعت أن لا أزودك بتاتا ولا أجمع لك شتاتا أو تنشئ لى أمام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك حروف احدى كلمتيها يعمها النقط وحروف الاخرى لم يعجن قط وقد استأنيت بيانى حولا فما أحار قولا ونبهت فكرى سنة فما ازداد الا سنة واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب فان كنت صدعت عن وصفك

وأظهرت وأصل الصدع الشق (باليقين) بالحق الواضح (آية) علامة قال ابن الانباري رحمه الله في قولهم آية من القرآن ثلاثة أوجه قيل انها علامة لانقطاع الكلام قبلها وبعدها واحتج أبو عبيدة لذلك بقول الشاعر * بآية ما تحبون الطعاما * وبقول النابغة

توهمت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

الثاني سميت آية لانها جماعة حروف قال أبو عمرو خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم الثالث سميت آية لانها عجب من العجائب فالآية العجب (قوله استسعيت) طلبت سعيه أي جريه و (اليعبوب) الفرس السريع (استسقيت) استمطرت وطلبت سقياه و (الاسكوب) المطر الكثير (باريها) صانعها وكل هذه أمثال ويريد أنا أهل لكل ما طلبت وأول من قال أعط القوس باريها الحطيئة وذلك أنه دخل على سعيد بن العاص وهو يقري الناس فأكل أكلا جافيا وخرج الناس فأقام وأتاه الحاجب ليخرجه فامتنع وقال أترغب بهم عن مجالستي اني بنفسي عنهم لارغب فقال له سعيد دعه ثم تذاكروا الشعر والشعراء فقال لهم الحطيئة والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ولو أعطيتم القوس باريها وقعتم على ما تريدون فقال له سعيد فمن أشعر العرب قال الذي يقول

لا أعد الاقتار عدما ولكن * فقد من قد رزئته الاعدام

الى آخر القصيدة قال فمن قائلها قال أبو دواد الايادي قال ثم من قال ثم أنا والله لحسبك عندي رهبة أو رغبة أنا اذا رفعت احدى رجلي على الاخرى وعويت في اثر القوافي كما يعوي الفصيل الصادي اثر أمه قال ومن أنت قال الحطيئة قال حياك الله يا أبا مليكة ألا أعلمتنا بمكانك ولم تحملنا على الجهل بك فتضييع حقك ونبخسك قسطك وأدناه ووصله قال الشاعر

يا باري القوس بريا ليس يحسنه * لا تظلم القوس أعط القوس باريها

(ريث) مقدار وبطء (استجم) استكثر (قريحته) طبيعته والقريحة في الاصل أول ماء البئر النابع واستجمها تركها حتى تكثر (استدر) استنزل درها وهو لبنها و (اللقحة) الناقة ذات اللبن يريد أقام قليلا يفكر ويختار ما يقول ومثل هذه الحالة ذكروا ان صديقا لكلثوم العتابي أتاه يوما فقال له اصنع لي رسالة فاستمد مدة ثم علق القلم فقال له صاحبه ما أرى بلاغتك الا شاردة عنك فقال له العتابي اني لما تناولت القلم تداعت علي المعاني من كل جهة فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع الى موضعه وهذا مثل قول امرئ القيس ويقال انه قالها وهو ابن عشر سنين

أذود القوافي عني ذيادا * ذياد غلام غوي جوادا

فلما كثرن وعنينه * تخير منها جوادا جيادا

فأعزل مرجانها جانبا * وآخذ من درها المستجادا

(وقال عريف القوافي)

أبيت بأبواب القوافي كأنما * أصادي بها سربا من الوحش نزعا

عواصي الا ما جعلت وراءها * عصا مربد تغشى وجوها وأذرعا

اذا خفت أن تروى علي رددتها * وراء التراقي خشية أن تطلعا

باليقين فأت بآية ان كنت من الصادقين فقال له لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت أسكوبا وأعطيت القوس باريها وأسكنت الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم قريحته واستدر لقحته وقال ألق دواتك واقرب

أصادي أداري وجعل القوافي تقتحم عليه كالابل وهو يضربها بعصاه حتى يختار جيادها (قوله ألق) أي اجعل فيها الليقة تقول لقت الدواة فهي مليقة وألقتها فهي ملاقة وجمع الليقة ليق ويقال للصوفة قبل أن تبل بالمداد البوهة والمرارة فاذا بلت بالمداد سميت ليقة وقد يقال لها ليقة قبل أن تبل سميت بما تؤول اليه كما قيل للكبش ذبيح وللصيد رمية فان كانت قطنة فهي العطبة والكرسفة وكرسفت الدواة كرسفة والقطن كله يقال له العطب والكرسف ويقال للمداد نفس ونقس والكسر أفصح وقيل الفتح مصدر نقستها جعلت فيها نقسا والحبر من المداد بالكسر لا غير

والحبر

والحبر بالفتح والكسر العالم وقال بعضهم سمى المداد حبرا باسم العالم كأنهم أرادوا مداد حبر فحذفوا ولو كان ما قالوه صحيحا لقالوا للمداد حبر بالفتح والاشبه أن يسمى حبرا لانه يحسن الكتابة من قولهم حبرت الشئ اذا حسنته ويقال للجمال حبر وسبر فالمداد حبر كقولك مداد زينة وجمال أو يكون من الحبر والحبار وهو الاثر فيسمى بذلك لتأثيره فى الكتاب ويقال مددت الدواة أمدها مدا اذا جعلت فيها مدادا فان كان فيها مداد فزدت عليه قلت أمددتها فاذا أمرته أن يأخذ من المداد بالقلم قلت استمدد فان سألته أن يعطيك على القلم مدادا قلت أمددلى من دواتك واستمددته أناسألته أن يمدنى وقال الخليل مدنى وأمدنى أعطنى من مداد دواتك وكل شئ زاد فى شئ فهو مداد له وأمهت الدواة وموهتها اذا جعلت فيها ماء والامر من ذلك كله أمه وموه دواتك واشتقاق الدواة من الدواء لان بها اصلاح أمر الكتاب وبعض الشعراء اشتقها من دوى الرجل يدوى دويا اذا صار فى جوفه الداء قال

أما الدواة فأدوى حملها جسدى * وحرف الخط تحريف من القلم

﴿كلام لطيف يتعلق بالدواة والمداد والقلم﴾
وخذ أداتك واكتب
الكريم ثبت الله جيش
سعودك يزين واللوم

ووزنها فعلة تحركت الياء وقبلها فتحة فقلبت ألفا وتجمع دويات كقناة وقنوات ودوى كقناة وقنى ويقال أدويت فأنا مدو اتخذت دواة ويقال للذى يبيعها دواء كخياط واذا أمرت من يتخذها قلت أدود واة ويقال لمن يحملها ويمسكها دواء ويقال لها الدواة والرقيم والنون ويقال هو القلم والمزبر بالزاى والمذبر من زبرت وذبرت أى كتبت ومن فرق بينهما قال زبرت بالزاى أى كتبت وذبرت أى قرأت وسمى قلما لانه قلم أى قطع وسوى كما يقلم الظفر وكل عود قطع وحز رأسه وعلم بعلامة فهو قلم قال الله تعالى اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وكانت سهاما فيها أسماؤهم مكتوبة ويقال للذى يقلم به مقلم وللذى يبرى به مبرى ولما سقط عن البرى والتقليم القلامة والبراية وقيل لاعرابى ما القلم ففكر ساعة وجعل يقلب أصابعه ثم قال لا أدرى فقيل له توهمه فى نفسك قال هو عود قلم من جوانبه كتقليم الاظفار ويقال لعقده الكعوب واحدها كعب ولما بينها الانابيب واحدها انبوب ويستعملان فى الرمح وفى كل عود فيه عقد والعقدة التى تشتبه تسمى الابنة وجمعها أبن فان كان فى العود أو القصبة تأكل قيل فيه قادح ونقد ويقال لباطنه الشحمة ولظاهره الليط فان قشرت منه قشرة قلت لبطت من القلم لبطة فان أخذت شحمته بالسكين قيل شحمته أشحمه فان أفرطت فى أخذها قلت بطنته تبطينا فهو مبطن وحفرته فهو محفور فان تركت شحمته قلت أشحمته اشحاما ويقال لغشائه الذى عليه الغلاف واللحاء والقشر فاذا نزعتها منه قيل قشرته وبشرته ولحوته ونجوته وسحوته ويقال فى ثلاثتها بالياء ومحقته وجلمته وجلفته ورسقته ونقحته مشددان ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما السنان والشعيرتان واحدهما سن وشعيرة فاذا قطع طرفه وهيئ للكتابة قيل قططته أقطه قطا وقصمته أقصمه قصما والمقط بالكسر ما يقط عليه وبالفتح الموضع الذى يقط من رأسه فان جعلت احدى سنيه أطول من الاخرى قلت قلم محرف وقد حرفته تحريفا فان سويتهما قلت قلم مبسوط فان سمع له صوت عند الكتابة فذلك الصريف والصرير والرشيق ويقال للقصب اليراع والاباء الواحد يراعة وأباءة وقيل الآباء أطراف القلم أى القصب ويقال للقطن الذى يوجد فى بطنها البيلم والقيصف والقيسع واحدته بيلمة وقيصفة وقيسعة وان كان فى القصب تأكل قيل فيه قادح ونقد وكذلك العود والسن والقرن فان كان فيها عوج فذلك الدر (قوله خذ أداتك) أى قلمك وقال ابن طاهر الكاتب له ألق دواتك وأطل سن قلمك وفرق بين السطور وتوسط بين الحروف وقال ابن عبد ربه ينبغى للكاتب أن يصلح آلته التى لابد له منها وأداته التى لا تتم صناعته الابها وهى دواته فليبتم ربها اصلاحها ثم ليتخير من أنابيب القصب أقلها عقدا وأكثفها لحما وأصلبها قشرا وأعدلها استواء ويجعل لقرطاسه سكينا حادا ليكون عونا له على برى أقلامه ويبريها من ناحية نبات القصب واعلم أن محل

القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس نظم هذا أحد الشعراء فقال

عسك الفارس رمحا بيد * وأنا أمسك فيها قصبه
فكلانا فارس فى شأنه * انما الاقلام رمح الكتبه

وقال أبو الفتح البستى

ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمى هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

رأى جعفر بن يحيى خطا فاستحسنه فقال الخط خيط الحكمة ينظم فيه منثورها ويفصل فيه شذورها ومن كتاب لجعفر بن يحيى الى محمد بن الليث يستوصفه الخط أما بعد فليكن قلمك محرفا لا متينا ولا رقيقا ضيق القلب فابره بريا مستويا كمقار الحمامة اعطف بطنه ورقق شفرتيه وليكن قرطاسك رقيقا مستوى النسج مخرج السحاءة مستويا من أحد الطرفين الى آخره فليست تستقيم السطور الا فيما كان كذلك وليكن أكثر مطك فى أطراف القرطاس الذى فيه يسارك وأقله فى الوسط ولا تمط فى الطرف الآخر والمط نصف الخط ولا يقوى عليه الا العاقل قال العتابى سألنى الاصمعى فى دار الرشيد أى الانابيب للكتابة أصلح وعليها أصبر فقلت له ما نشف بالهجير ماؤه وستره من تلويحه غشاؤه من الدرية الظهور النيرة القشور الفضية الكسور قال فأى نوع من البرى أصوب وأكتب فقلت له البرية المستوية القطة التى عن عينها برية تأتى معها الجة عند المدة والمطة للهواء فى شقها صفيق وللريح فى جوفها خريق والمداد فى خرطومها رقيق فبقى شاخصا الى لا يجد جوابا وقال الحسن بن وهب يحتاج الكاتب الى خلال جودة برى القلم واطالة جلفته وتحريف قطته وحسن التأنى لامتطاء الانامل وارسال المدة بعد اشباع الحروف واستواء الرسوم وحلاوة المقاطع وقال بعض الكتاب عطروا دفاتركم بجيد الحبر فان الكتب غوان والحبر غوال وقال بعض الكتاب أيضا

وما روض الربيع وقد زهاه * ندى الاسحار بأرج بالغداة
بأضوع أو بأسطع من نسيم * تؤديه الافاوه من دواة

كان هذا يفادى من قول الآخر

دعى فى الكتابة لا روى * له فيها يعد ولا بديه
كأن دواته من ريق فيه * تلاق فريحها أبدا كريه

ونظر جعفر بن محمد الى فتى على ثيابه أثر مداد وهو يستره فقال له

لا تجزعن من المداد فانه * عطر الرجال وحلية الكتاب

(ولبعضهم يهجو كاتبا)

حمار فى الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب فى زياد
فدع عنك الكتابة لست منها * ولو لطخت نفسك بالمداد

وقال كشاجم لو راقيد عى الكتابة

وزعمت أنك فى الكتابة مدرك * شأوى فقلت رماحها أقلام
هيهات تلك صناعة ممزوجة * فيها ضياء واضح وظلام
هذا الحديد سلاح أبطال الوغى * وبه يجيء دماء الاجسام

وقال أبو العيناء كنت عند ابراهيم بن العباس وهو يكتب كتابا فسقطت من القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه فتعجبت فقال لا تعجب المال فرع والقلم أصل والاصل أحوج الى المراعاة من الفرع وبهذ السواد جاءت هذه الثياب ثم أطرق قليلا وقال

اذا ما الفكر ولد حسن لفظ * وأسلمه الوجود الى العيان
ووشاه فنمنمه جواد * فصيح فى المقال بلا لسان
ترى حلل البيان منشرات * تجلى بينها صور المعانى

وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب فاعتمد عليه اعتمادا شديدا فصر القلم فى يده فأنشد

اذا ما التقينا وانتضينا صوارما * يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط فى القرطاس منها بدائع * كمثل اللآلى نظمها ونثيرها
تقود أبيات البيان بفطنة * تكشف عن وجه البلاغة نورها
تظل المنايا والعطايا شوارعا * تدور بما شئنا وتمضى أمورها
اذا ما خطوب الدهر أرخت ستورها * تجلت بنا عما يسر ستورها

وأتى رجل وكيعا فقال رجل يمت اليك بحرمة فقال له وما حرمتك قال له كنت تكتب بمحبرتى عند الاعمش فوثب وكيع الى منزله ثم أخرج منه دنانيرا فقتها وقال له اعذرنى فما أملك غيرها ودفعها اليه وقال أبو الحسن بن ليال فى محبرة آبنوس

وخديمة للعلم فى أحشائها * كلف بجمع حلاله وحرامه
لبست رداء الليل ثم توشحت * بنجومه وتتوجت بهلاله

وحدثنى عن شيخى الفقيه أبى عبد الله بن زرقون ابنه الفقيه أبو الحسن قال حدثنى أبى أنه كان بسبتة أيام الشبيبة والطلب فى مجلس جمع من طلبة الادب فتعرض لهم رجل بمحبرة صنعها وأراد أن يقصد بها الوالى على حسنها وكانت محبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة فأطرقوا يروون فبادرهم أبو الطالب بن أبى ركب فقال

جاءتك من غرر العلا زنجية * فى حلة من حليه تتبختر
سوداء صفراء الحلى كأنها * ليل تطرزه نجوم تزهر

فاستحسنهما من حضر ورأوا أنه قد أربى على الغاية فيما عنه صدر فكتبا للرجل فى رقعة فبعد ما سار بها قليلا رجع فابرزها قلم صفر مذهبا ورغب أن يضمن ذكره فى منظوم يضاف الى البيتين فأطرقوا يروون فى ذلك فبادرهم أبو طالب المذكور فقال

كملت بأصفر من نجار حليها * تخفيه أحيانا وحينا يظهر
خرسان الا حين يرضع ثديها * فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

(وقال آخر يصف دواة وأقلاما)

قد بعثنا اليك أم العطايا * والمنايا زنجية الاحساب
فى حشاها من غير حرب حراب * وهى أمضى من نافذات الحراب

وأحسن ما قيل فى القلم قول حبيب يصف قلم محمد بن عبد الملك الزيات

لك القلم الاعلى الذى بسنانه * تصاب من المرء الكلى والمفاصل
له الخلوات اللاء لولا نجيها * لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الافاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابل
فصيح اذا استنطقته وهو راكب * وأعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت * عليه شعاب الفكر وهى حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت * لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الذكى وأقبلت * أعاليه فى القرطاس وهى أسافل

وقد رفدته الخنصران وسددت * ثلاث نواحيه الثلاث الا نامل
رأيت جليلا شأنه وهو مرهف * ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل

(وقال أبو الفتح البستى)

اذا أقسم الابطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة * مدى الدهر ان الله أقسم بالقلم

وقال البحترى
تعنو له وزراء الملك راغمة * وعادة السيف أن يستخدم القلما

(وقال أبو العباس التنوخى)

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لاشئ يقابله * مازال يتبع مايجرى به القلم
بذا قضى الله للاقلام مذ بريت * أن السيوف لها مذ أرهفت خدم

(وناقضه أبو الطيب المتنبى فقال)

حتى رجعت وأقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به * فانما نحن للاسياف كالخدم

وقال الصولى فاخر صاحب سيف صاحب قلم فقال صاحب القلم أنا أكتب بلا غرر وأنت تقتل على خطر فقال صاحب السيف القلم خادم السيف ان تم مداده والا فالى السيف معاده قال الصولى وقال بعض اليونانيين الدين والدنيا تحت شيئين سيف وقلم والسيف تحت القلم وفى ذلك يقول جرير النميرى

أتحقرنى ولست لذاك أهلا * وتدنى الاصغرين من الدوات
جهابذة وكتاب وليسوا * بفرسان الكتيبة والطعان
ستذكرنى وتعرفنى اذاما * تلاقى الحلقتان من البطان

وقال كشاجم
هنيأ لاصحاب السيوف بطالة * تقضى بها أيامهم فى التنعم
وكم فيهم من دائم الامن لم يرع * بحرب ولم ينهر لقرن مصمم
وكل ذوى الاقلام فى كل ساعة * سيوفهم ليست تجف من الدم

وقال آخر
قوم اذا أخذوا الاقلام من قصب * ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا * مالا ينال بحد المشرفيات

(وقال البحترى يصف كلام الحسن بن وهب وأقلامه)

واذا تألق فى العيون كلامه الـ * ـمحمود خلت لسانه من عضبه
واذا دجت أقلامه ثم انحنت * برقت مصابيح الدجى فى كتبه
فاللفظ يقرب فهمه فى بعده * مناو يبعد نيله من قربه
حكم فسائحها خلال بنانه * متدفق وقليبها من قلبه
فكأنها والسمع معقود لها * شخص الحبيب بدا العين محبه

(وقال على بن الجهم فى رقعة جاءته بخط جارية)

مارقعة جاءتك مثنية * كأنها خد على خد
نثر سواد فى بياض كما * ذر فتيت المسك فى الورد
ساهمة الاسطر مصروفة * عن وجهة الهزل الى الجد
ياكاتبا أسلمنى عتبه * اليه حسبى منك ماعندى

(وقال البحترى فى ابن الزيات)

قد تصرفت فى الكتابة حتى * عطل الناس ذكر عبد الحميد
فى نظام من البلاغة ما شك امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضا * حك فى رونق الربيع الجديد
ما أعيرت منه بطون القراطيـ * ـس وما حلت ظهور البريد
حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنبن ظلمة التعقيد
فالعذارى غدون فى الحلل الصفـ * ـر اذا رحن فى الخطوب السود

قال المأمون لمحمد بن داود ان شاركك فى اللفظ فقد تاركك فى الخط فقال يا أمير المؤمنين ان من أعظم آيات النبى صلى الله عليه وسلم أنه أدى عن الله تعالى رسالته وحفظ وحيه وهو أمى لا يعرف من فنون الخط فنا ولا يقرأ من حروفها حرفا وبقى ذلك فى أهله فهم يشرفون بالشرف الكريم فى نقص الخط كما يشرف غيرهم بزيادته وان أمير المؤمنين أخص الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم والوارث لموضعه والمتقلد لنهيه ولامره فتعلقت به المشابهة الجليلة وتناهت اليه الفضيلة فقال المأمون يا محمد لقد تركتنى لا آسى على الكتابة ولو كنت أميا قد ذكرنا من آلات الكتابة نثرا ونظما ما فيه كفاية وفى السادسة والعشرين من النظم فى أوصاف الكتاب ما يستحسن وينتظم عما أوردناها وانما أخرج الحريرى رسالته الخيفاء من هذه الاوصاف المنظومة فى الرسائل التى قدمناها آنفا لما ذكره من أن جمع الكتاب قطب لانشائها وباب لما فيها من لزوم نقط لفظة وترك أخرى وهى على ما بها من التكلف وانقة المعانى أنيقة المبانى ولوغيره تعاطاها لاظلمت معانيها وتداعت مبانيها فلله هو لقد كان منقادا له صعب الكلام بأيسر مرام وما هو فى محاولة البلاغة الا كما قال ابن حبيب فى سليمان بن وهب

مرح نطقه اذا ما استمرت * عقد العى فى لسان الخطيب
ومصيب شواكل الامر فيه * مشكلات ملكن لب اللبيب
لا تعنى بكل شئ ولكن * ما عجيب فى عينه بعجيب

(قوله غض الدهر جفن حسودك) يقال غض جفنه أى سد عينه دعاء عليه بالعمى يقول الكريم يزين صاحبه واللؤم وهو البخل يشينه ويعيبه ثم دعا له بدوام السعد وثبوته وبعمى عين الحسود حتى لا يبصر ما أعطى الممدوح من النعم فيأخذها بالعين (الاروع) السيد الكريم وهو الذى قصد وقيل الاروع الحديد النفس وقيل الذى يروعك بجماله (يثيب) يجازى قاصده (والمعور) البادى العورة وهو الفارس يظهر فى طعنه خلل وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة ومن جملة عيوبه البخل حتى يخيب قاصده لانه قابل به الاروع وهو التام الجسيم الجهير الصوت قال الشاعر

يواخى لئيم الناس كل ملائم * وينطق بالعوراء من كان معورا

(الحلاحل) السيد الذى يحل به الناس كثيرا (يضيف) ينزل الاضياف ويكرمهم (والماحل) البخيل شبه بالبلد الماحل وهو الجدب فكأن الماحل الذى لا يوجد عنده خير يقال أمحل البلد وبلد ماحل وذو محل مثل لابن وتامر والماحل النمام يقال محل به الى السلطان اذا وشى به وهو الذى (يحيف) على الحقيقة والماحل أيضا المخاصم وقد ماحلته وماحلنى (يغذى) يطعم (والمحك) اللجوج وهو مقابل السمح الخلق (يقذى) يجعل فى العين قذى أى يضر قاصده ويؤلمه (ينجى) يخلص صاحبه من الذم وتقدم المطال (ينقى) يغسل العيب (والالطاط) الامتناع من فعل الخير ويقال لط وألط اذا ذهب ولط الشئ وألطه اذا ستره (يخزى) يهين (اطراح) ترك (ذى الحرمة) أى صاحبها والحرمة ما لا يحل تركه لضياع ومن قصدك فقد دخل فى حرمك فتركه ليس من المروأة (غى) فساد وضلال (محرمة) منع (بنى الآمال) أهل الرجاء الذين يرجون خيره ويأملونه

غض الدهر جفن حسودك
يشين والاروع يثيب
والمعور يخيب والحلاحل
يضيف والماحل يحيف
والسمح يغذى والمحك
يقذى والعطاء ينجى
والمطال يشجى والدعاء
يقى والمدح ينقى والحر
يجزى والالطاط يخزى
واطراح ذى الحرمة غى
ومحرمة بنى الآمال

(بغى) ظلم (ضن) بخل (غبين) مخدوع فى رأيه (ضنين) بخيل يقول ما يضن بماله من هو سديد النظر ولا المصيب الرأى انما يبخل به من هو فاسد النظر مغبون فى رأيه (نحزن) حبس ماله (قبض راحه) ضم كفه على ما فيها وهذه كناية عن المنع والبخل و(التقى) الذى يقى نفسه من العذاب بعمله الصالح من وقيت نفسى أقيها واختلف فى وزنه فقيل فعول وأصلها وقوى فأبدلوا من الواو تاء لقرب مخرجيهما ومن الواو الثانية ياء وأدغموها فى الياء وكسروا القاف لتصح الياء والاختيار أن يكون وزنه فعيلا وأصله تقيى فأدغموا الياء فى الياء والدليل على صحته جمعهم له على أتقياء كولى وأولياء ومن قال انه فعول قال لما أشبه فعيلا جمع جمعه (قوله ما فتئ) أى ما زال (يفى) يصدق ويكون وفيا (آراؤك) جمع رأى (تشفى) تزيل الهم عن قلب وليك وتبرئ مرض قاصدك من فقره يصفه بجودة الرأى وحسن النظر فيما يصلح به أحوال أصحابه وقصاده (هلالك يضى) يصفه بطلاقة الوجه واضاءته عند السؤال قال زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وكما قال أبو بكر فى الطلاقة

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

خلافا للسيئ الخلق الذى يقطب وجهه عند اللقاء واللئيم الذى اذا سئل انزوى وتقبض (يغضى) يسمح (آلاؤك) نعمك (أعداؤك تثنى) يقول لكثير المادحين لك والناشرين لفضلك لم يمكن أعداءك وحسادك ذمك لتكذيب الناس اياهم فصاروا يثنون عليك مع من يثنى * ويحكى ان اعرابيا استضاف حاتما فلم ينزله فبات جائعا مقرورا فلما كان فى السحر ركب راحلته وانصرف فتقدمه حاتم فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكرا فقال له من كان أبا مثواك البارحة قال حاتم قال فكيف كان مبيتك عنده قال خير مبيت نحر لى ناقة فأطعمنى لحما عبيطا وأسقانى الخمر وعلف راحلتى وسرت من عنده بخير حال فقال له أنا حاتم والله لا تبرح حتى ترى ما وصفت فرده وقال له ما حملك على الكذب فقال له الاعرابى ان الناس كلهم يثنون عليك بالجود ولو ذكرت شرا كنت أكذب فرجعت مضطرا الى قولهم ابقاء على نفسى لا عليك وقد تقدم قول البحترى فى هذا المعنى

أأشكو نداه بعد ما وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وقال حبيب

فان أنا لم يحمدك عنى صاغرا * عدوك فاعلم اننى غير حامد

بسباقة تنساق من غير سائق * وتنقاد فى الآفاق من غير قائد

أفادت صديقا من عدو وغادرت * أقارب دنيا من رجال أباعد

محلفة لما ترد أذن سامع * فتصدر الا عن يمين وشاهد

وهذه القصيدة من كلامه يمدح بها محمد بن الهيثم يقول يسمع عدوك اطنابى فى مدحك فيمدحك صاغرا فكيف وليك فأمدحك بقصيدة تقطع الارض ليست بابل تساق ولا بخيل تقاد فترد العدو صديقا والبعيد قريبا ولا يسمعها أحد الا ويحلف أنه لم يسمع مثلها فيشهد له بالصدق (قوله وسوددك يبنى) أى يرفع لك مجدا وشرفا (حسامك يفنى) أى سيفك يقطع ويفنى أعداءك (مواصلك يجتنى) أى من زارك وواصلك اجتنى نعمك ومواهبك (يقتنى) أى يكتسب (سماؤك تغيث) أى تأتى بالغيث وهو المطر فيستغيث الناس به من الجدب (سماحك يغيث) أى جودك وحسن خلقك يفرج كرب المهموم وتقول غوث الرجل أى قال واغوثاه وأغثته أغيثه اذا فرجت عنه ما يشتكى منه (درك يفيض) عطاؤك يشمل أى لبنك يملأ الاناء ويفيض عليه يريد أن عطاءه يكثر لسائله (وردك يغيض) أى منعك يذهب الرزق وغاض الماء غار فى الارض (مؤملك) راجيك و(الفىء) الظل بعد الزوال يريد ان عمره قد أدبر فشبه نفسه بالفىء الذاهب (أملك بظن) أى قصدك رجاء و(حرصه

بغى وما ضن الاغبين ولا غبن الاضنين ولا خزن الاشقى ولا قبض راحه تقى وما فتئ وعدك يفى وآراؤك تشفى وهلالك يضى وحلمك يغضى وآلاؤك تغنى وأعداؤك تثنى وسوددك يبنى وحسامك يفنى ومواصلك يجتنى ومادحك يقتنى وسماحك يغيث وسماؤك تغيث ودرك يفيض وردك يغيض ومؤملك شيخ حكاه فىء ولم يبق لى شىء آملك بظن حرصه

يثب) أي طمعه يتزايد فيجعله في غاية من القلق (نخب) مختارة (مهورها) حقوقها يقول مدحك بخب في ملئه فوجبت حقوقها الحسنها وجودتها ومما ينظر الى هذه المعارضة قول الشاعر

وخذ جدى بجودك ذا بهذا * كلانا اليوم أربح صيرفي
لاصبح من نوالك في رياش * وتصبح من مقالى في حلى

وقال حبيب

وحلة كساها * كالحلى في التهابه
فاستبطت مديحا * كالارى في نصابه
فراح في ثيابي * ورحت في ثيابه

(وقال ابن شهيد في ضيف له)

ومالنفك معشوقا لثواء بحمده * ببشر وترحيب وبسط لسان
الى أن تشهى البين من ذات نفسه * وحن الى الاهلين حنة حان
فأتبعته ماسد خلة حاله * وأتبعني ذكرا بكل مكان

يثب ومدحك نخب مهورها تجب ومرامه بحف وأواصره تشف واطراؤه يجتذب وملامه يجتنب ووراءه ضفف مسهم شظف وحصهم جنف وعمهم قشف وهو في دمع يجيب ووله يذيب وهم تضيف وكمد نيف لمأمول خيب واهمال شيب وعدو نيب وهدو تغيب ولم يزغ وده فيغضب ولاخبث عوده فيقضب ولانفث صدره فينفض ولانشز وصله فيبغض وما يقتضي كرمك نبذ حرمه فيبض أمله بتخفيف ألمه ينث حمدك بين عالمه بقيت

(قوله ومرامه بحف) أي مطلبه بسهل عليك (أواصره) جمع آصرة وهي صلة الرحم والاصر الموضع الحابس من قولهم أصرت فلانا على الشئ آصره اصرا اذا حبسته عليه وعطفته ويقال ماتأصرني على فلان آصرة أي ماتحبسني عليه حابسة ولا تعطفني عليه عاطفة ذكره ابن الانبارى وذكر الحريرى في الدرة ان اشتقاق أواصر القرابة والعهد من المأصر بكسر الصاد ومعناه الموضع الحابس المار عليه فسميت أواصر لانها تعطف على مايجب رعايته من المودة والرحم *وقال وحكى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الاعرابى فتحادثنا فحكى أبو نصر أن أبا الاسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثياب رثة فكساه ثيابا جديدة من غير ان يسأله أو استكساه فخرج وهو يقول

كساك ولم تستكسه فحمدته * فتى ماجد يعطى الجزيل و ياصر
وان أحق الناس ان كنت مادحا * بمدحك من أعطاك والعرض وافر

فقال ابن الاعرابى وناصر بالنون فقال له أبو نصر دعني ياهذا وياصرى وعليك بناصرك يريد ياصر يعطف (قوله تشف) أي تزيد وتفضل غيرها يقول ان الاسباب التى توجب عطفك وحنانك على كثيرة منها الشيخ والضعف وكثرة العيال وجودة المدح والعهود السابقة التى بينى وبينك (أطراؤه يجتذب) أي مدحه يتجاذبه الناس و يحرصون على تحصيله لجودته وأصل الاطراء المدح في الوجه فهو بمشاهدته كانه مدح طرى أو ظهرت عليه طراوة (ملامه يجتنب) ذمه يخاف و يبعد منه فيرثى عليه يقول ان الذى رجاك شيخ مسن فقير قصدك بيقين أنك من أهل الكرم فطمعه لذلك يزيد لما ارتجى من معروفك وأهدى اليك من مدائحه عرائس وجبت عليك حقوقها ومرامه سهل عليك ولد يك علق تقوم مقام القرابة وتزيد على ذلك وله مدح يرغب فيه وذم يرهب منه (ووراءه ضفف) أي خلفه كثرة عيال من ضف الطعام ضفا اذا كثر القوم عليه وضف العيش اشتد و (الشظف) سوء الحال (حصهم) عراهم ونتف ريشهم (جنف) ميل الدهر عليهم (قشف) بؤس عيش (يجيب) يساعد (وله) هم وحيرة (يذيب) يذهب اللحم (تضيف) نزل به ومال اليه (كمد) حزن قارب الموت (نيف) زاد على المعهود (لمأمول) أي لمقصود مرجو (اهمال) تضييع وتسييب (نيب) عض باسنانه (وهدو تغيب) أي سكوت وأمن زال عنه (يزغ) يمل (نفث صدره) أي تكلم بشر ونفث بزق من داء في صدره ومنه المثل لابد للمصدور أن ينفث (ينفض) أي يضرب و يبعد (نشز) ارتفع وزال (يقتضى) يتضمن و يلزم (نبذ) طرح (حرمه) جمع حرمة (يبض أمله) أي أسعد رجاءه ورده أبيض بعطائك الذى يخفف ألمه و يزيل وجعه (ينث) ينتشر (عالمه) ناسه وأهل زمانه (بقيت) عشت وطال

لاماطـة شجب واعطاء
نشب ومداواة شجن
ومراعاة يفن موصولا
بخفض وسرور غض
ماغشي معهد غي أو خشي
وهم غبي والسلام فلما
فرغ من املاء رسالته
وجلى في هيجاء البلاغة عن
بسالته أرضته الجماعة
فعلا وقولا وأوسعته
حفاوة وطولا ثم سئل من
أي الشعوب نجاره وفي أي
الشعاب وجاره فقال
غسان أسرتي الصميمه
وسروج تربتي القديمه
فالبيت مثل الشمس اش *
راقا ومنزلة جسيمه
والربع كالفردوس مط *
يبه ومنزهة وقيمه
واها العيش كان لي
فيها ولذات عميمه
أيام أسحب مطرفي
في روضها ماضي العزيمه
أختال في برد الشبا
ب وأجتلي النعم الوسيمه
لا أتقي نوب الزما
ن ولا حوادثه الملمه
فلو ان كربا متلف
لتلفت من كربي المقيمه
أو يفتدى عيش مضى
لفدته مهجتي الكريمه
فالموت خير للفتى
من عيشه عيش البهيمه
تقتاده برة الصغا
ر الى العظيمة والهضيمه
ويرى السباع تنوشها
أيدي الضباع المستضيمه
(ذكر الضبع)

بفاؤك (اماطة شجب) ازالة هلاك وتنحيته (نشب) مال (شجن) حزن والشجن أيضا الحاجة (مراعاة) حفظ (يفن) شيخ كبير (موصولا) أي متصلا (بخفض) عيش هنى (غض) ناعم جديد (غشي) قصد ودخل (معهد) موضع يعهد به جلوسه (وهم غبي) غلط جاهل (قوله أملاء رسالته) ى القائها عليه ليكتبها (جلى) كشف (الهيجاء) الحرب وهى من الهيج وهو الحركة والاضطراب (بسالته) شجاعته (أوسعته) كثرت له (حفاوة) اكرام و(الطول) الانعام (الشعوب) القبائل واحدها شعب بفتح الشين وهو الاب الكبير * ثعلب الشعب الاب الاكبر الذي ينتهون اليه والقبيلة دونه (نجاره) أصله (الشعاب) الطرق في الجبال (وجاره) جحره وأراد بيته لانهم سألوه من أى قبيلة هو وعن مسكنه في أى موضع هو (قوله غسان أسرتي) أى هذه القبيلة أصلي وقرابتي (الصميمة) الصريحة الخالصة (تربتي) بلدتي (اشراقا) ضياء ونقاء من العيب (جسيمة) عظيمة (الفردوس) الجنة سميت بذلك لعرائشها والفردوس المعرش من الكرم (مطيبة) أى سروج مثل الجنة في طيب الهواء وفي نزهتها وحسنها وفي قدرها وأراد بالبيت غسان وبالربع سروج أو يريد بيته في غسان في الشرف كالشمس ومنزله في سروج كالجنة في طيبها ونزهتها وقد قال في أخرى

من رآها قال مرمى * جنة الدنيا سروج

ومثل قوله في البيت مثل الشمس قول أبي الطمحان القيسي

واني من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(وقال حسان بن ثابت)

بيض الوجوه مضيئة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

وزاد عليه في الاضاءة والاشراق جحة بن الضرب فقال

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت * لنورهم الشمس المنيرة والبدر

وزاد عليه أبو الطيب وعلى الناس في علو الهمة وتبعيد منازلها من منازل الكواكب حيث يقول

وعزمة بعثتها همة زحل * من تحتها بمكان الترب من زحل

وزحل أرفع من الشمس ومن سائر الكواكب منزلة وهذا من غلو المتنبي الذي يخرج به عن الناس حتى يعاب لانه لو جعلها مع زحل في منزلة واحدة كما جعل الحريري منزلته مع الشمس لكان قد بلغ النهاية وزاد على غيره فلم يكتف بذلك حتى جعلها تعلو على زحل كما يعلو زحل على الارض ومن هذا الافراط في شعره كثير وأكثر النقاد يعيبون عليه وبعد هذا فمحزاته في الشعر زاد بها على المتقدمين والمتأخرين عند الاكثر فلا يجاري في كثير منها (واها) تعجبا كأنه قال ما أعجب ما كان عيشي بها (عميمة) كثيرة (أسحب مطرفي) أى أجر ثوبي المعلم في طرفيه اعجابا بنفسي (أختال) أمشي الخيلاء متكبرا (برد الشباب) ثوب الفتوة (أجتلي) أنظر (الوسيمة) الحسان و(النوب والحوادث) والنوازل والمصائب كلها بمعنى واحد وهو ما ينوب الانسان أو يحدث عليه أو ينزل به أو يصيبه من البلاء بعد العافية (الملمة) التي تأتي بما يلام عليه (كربي المقيمة) همومي الثابتة (مهجتي) نفسي وأصلها دم القلب (تقتاده) تسوقه (برة) حلقة من صفر تجعل في وترة أنف البعير يذلل بها (الصغار) الذلة (العظيمة) داهية يستعظم أمرها (والهضيمة) المحقرة لشأنه عند الناس فيريد بالبهيمة البعير الذي يقاد ويذلل بالبرة وبالعظيمة سؤاله الناس وبالهضيمة احتقارهم له اذا سألهم فيردونه خائبا (والسباع) هنا الاسود (تنوشها) تتناولها وتخدشها (والضباع) جمع ضبع وهو نوع من سباع الارض وهي مصادة في الحلقة لسبع الاندلس لانها عظيمة الكفل والفخذين رقيقة الصدر وهذا

السبع أو ل عظيم العجز والضبع عظيم البطن ولذلك سمى حضاجر بالجمع والحضجر العظيم البطن والحضجر الوطب الكبير من اللبن ويشبه به العظيم البطن وهى عرجاء مثل هذا السبع ويضرب بحمقها المثل فيقال أحمق من ضبع وأحمق من أم عامر وهى كنيتها * ومن حمقها ان الصائد يدخل وجارها فيقول لها خامرى أم عامر ومعناه الجئى الى أقصى مغارك واستترى فتنقبض فيقول لها أم عامر ليست فى وجارها ثم يقول ابشرى أم عامر بكمر الرجال أبشرى أم عامر بشاة هزلاء وجراد عضلاء فتمد يديها ورجليها فيوثقها ويشد عراقيبها بحبال فلا تتحرك ولو شاءت ان تقتله لأمكنها ولا يدخل عليها الا عريانا وان دخل بثوب قتلته ثم يخرج لاصحابه بالحبال وهم على فم الوجار باسلحتهم فيخرجونها بالجر من قعر الوجار ويقتلونها * ومن حمقها انها تترك جراءها اذا خرجت تلتمس ما تأكل فتجد جراء أخرى قد خرجت أيضا لذلك وتركت جراءها فترضع أولاد غيرها وتترك أولادها فربما ضاعت جراؤها فأكلها الذئب قال الشاعر

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت * بنى بطنها هذا الضلال عن القصد

قال أبو زيد والضباع لا تفترس شيأ انما تأكل الجيف وتنبش القبور عن الموتى وربما اجتمعت الجماعة منها على حمار فأكلته وليس لها بالنهار كبير عمل قال الهذلى

تبيت الليل لا يخفى عليها * حمار حيث جرولا قتيل

(قوله المستضيمة) أى المذلة والضيم الذل يضرب المثل لتلاعب الزمان بالناس بالاسود والضباع فقال ان الضباع المحتقرة عند الاسود تتناول الاسود بالضرر وكذلك الزمان يرفع الحقير والهجين ويكثر رزقه ويضع الرفيع ويقتر عليه ويملك الهجناء والاراذل الخطط الجسام ويجرع النبلاء والاعيان غصص الخازى وكؤس الحمام وهذه أحوال مشاهدة تنسب الى الدهر لوقوعها فيه وقدرها البارى عز وجل اختبار العباده وليبصر العقلاء جريان أحكامه فى خلقه وان الكل تحت قهره وان كل انسان من أهل الحزم والرأى عاجز عن ادراك مالم يقدرله وقال محمد بن الفضل

هانت الدنيا على الله فأعطاها اللئاما

فهم فيها يعيشو * ن ويلحون الكراما

(وقال المعرى فى معنى بيت الحريرى)

ومن صحب الليالى علمته * خداع الالف والقيل المحالا

وغيرت الخطوب عليه حتى * تريه الذر يحملن الجبالا

(وقال يزيد المهلبى يرثى المتوكل)

علتك أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد

وأصبح الناس فوضى يعجبون به * ليثا صريعا تندى حوله النقد

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب

من لم يعاين أبا نصر وقاتله * فما رأى ضبعا فى شدقه سبع

فيم الشماتة اعلانا بأسد وغى * افناهم الصبر اذ أبقاكم الجزع

هكذا ينظم حر الكلام ويعتذر لموت الكرام وتنفى عنهم شماتة اللئام وقد أحسن الاعتذار أيضا لابى نصر بأغرب من هذا وجعله قاتل نفسه اذ لا نظير له فى شجاعته فيقتله وانما قتله أمر الله الذى لا يغالب كما قال أبو الطيب

ألا انما كانت وفاة محمد * دليلا على أن ليس لله غالب

وكذلك قوله فان ترم عن عمر توانى به المدى * لما بك حتى لم يجد فيك مصرعا

فما كنت الا السيف لاقى ضريبة * فقطعها حتى انثنى فتقطعا

أي لم يقتل حتى قتل أعداءه وأبو نصر هو محمد بن حميد قتله بابك الخرمي ومما قال فيه حبيب وهو أشجع بيت قيل قوله

ونفس تعاف العار حتى كأنما * هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أخمصك الحشر

(قوله والذنب للايام) نسب الذنب اليها لوقوع المكروه فيها كما تقدم (تنب) ترتفع (شـ٩٠) طبيعة أي لولا شؤم الايام لم تتغير الطباع أي لو استقامت هي لاستقامت أحوال الناس فيها فكان كل نسان يدرك منها على قدر منزلته * ومما قيل في ذم الزمان مما يوافق هذا المعنى ان عبد الملك بن مروان سأل مسلمة بن يزيد وكان من المعمرين فقال أي الملوك رأيت أكمل وأي الزمان رأيت أفضل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا أو ذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواما وكلهم يذم زمانه لانه يبلي جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم * أبو جعفر الشيباني قال أتانا يوما أبو مياس الشاعر ونحن في جماعة فقال ما أنتم فيه قلنا نذكر الزمان وفساده قال كلا ان الزمان وعاء وما ألقي فيه من خير أو شر كان على حاله ثم أنشأ يقول

(ذم الزمان) والذنب للايام لولا شؤمها لم تنب شيمه ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمه

أرى حللا تصان على رجال * واخلاقا تذال ولا تصان
يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وقال آخر

أيا دهـران كنت عاديتنا * فها قد صنعت بنا ما كفاكا
جعلت الشرار علينا خيارا * وأوليتنا بعد وجه قفاكا

(وقال أبو العتاهية)

كفاك عن الدنيا الذميمة مخبرا * غنى باخليها واقتار كرامها
وأن رجال النفع تحت مداسها * وان رجال الضر فوق سنامها

(وقال ابن لنكك)

يازمانا ألبس الاحرار ذلا ومهانه * لست عندي بزمان * انما أنت زمانه

وقال ابن الرومي

دهر علا قدر الوضيع به * وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا ويطفو فوقه جيفه

وكرره فقال

قالت علا الناس الا أنت قلت لها * كذاك يسفل في الميزان ما رجحا

وقال آخر

رب يوم بكيت فيه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

وقال آخر

لم أبك من زمن نكد أساء به * الا بكيت عليه حين أفقده
ولا جزعت على ميت فجعت به * الا ظللت بسكى القبر أحسده
ولا ذممت زمانا في تقلبه * الا وفي زمني قد صرت أحمده

(وقال ابن أبي عيزارة)

عتبت على سلم فلما فقدته * وجربت أقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تفويت غيره * فكان كبرء بعد طول من السقم

(وأنشد المبرد)

حياة أبي العباس زيدت بقربه * أخا ثقة قاس الامور وجربا
ونعتب أحيانا عليه ولو قضى * لكنا على الباقي من الناس اعتبا

قال عروة بن الزبير الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم أخذه أبو الطيب فقال

وشبه الشئ منجذب اليه * واشبهنا بدنيانا الطغام
ولو لم يعل الا ذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

ودهر ناسه ناس صغار * وان كانت لهم جثث عظام

وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

الطغام السفلة (قوله نما) أى ارتفع ووصل (اللآلى) الدرر (سامه) كلفه (ينضوى) ينضم و (احشائه) خاصته (يلى ديوان انشائه) يتولى دار كتابته أى يكون هو الذى ينشئ الكتب وينسخها الكتاب وتنفذ الى البلاد (أحسبه) كفاه (الحباء) العطاء (ظلفه) منعه (الاباء) الامتناع وقد أبيت من كذا أى امتنعت منه ويكنى به عن نزاهة النفس (عود شجرته) يريد انه كان عرفه قبل أن يتكلم وأن يعرف نفسه و (ايناع الثمرة) ادراكها ونضج ثمرتها (ايماض جفنه) اشارة عينه (عضبه) سيفه (جفنه) غمده أى أشار على أن أستره (بطين) مملوء (الخرج) وعاء معلوم وهذا كقول الشاعر

يبيتون بالدهنا خفافا عيابهم * ويخرجن من دارين بجر الحقائب

وقد أخذ هذا اللفظ فى مقامة أخرى فقال حتى آل ذا عيبة خضراء وحقيبة بجراء

أى مملوأة والى هذا المعنى أشار نصيب فى قوله

أقول لركب قافلين رأيتهم * قفا ذات أوشال ومولاك قارب

قفوا اخبرونى عن سليمان اننى * لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

ثناؤها عليه ان بدت للناس مملوءة من معروفه فأتى أبو العتاهية فراد المعنى بيانا بقوله

ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا

فاذا أتين بنا أتين مخفة * واذا رجعن بنا رجعن ثقالا

(قوله فصل) أى زال وتنحى (الفلج) الظفر بما أراد (الرعاية) حفظ الصحبة (لاحيا) لائما (رفض) ترك (مترنما) مطربا أى لما خرج بمتلئ الوعاء ظافرا بما أراد لمته على ترك خدمة الامير التى كلفه فأنشد معتذرا (المتربة) أى الفقر (المرتبة) المنزلة الرفيعة وهذا البيت ينظر الى حكاية الاصمعى وقد روى راكبا حمارا فقيل له ابعد براذين الخلفاء تركب هذا فقال متمثلا

ولما أبت الا اطرافا بودها * وتكديرها الشرب الذى كان صافيا

شربنا برنق من هواها مكدر * وليس يعاف الرنق من كان صاديا

يقول هذا وأملك دينى ونفسى أحب الى من ذلك مع ذهابهما أطرف الشئ وتطرفه استفاده وقيل استجاده (نبوة) ارتفاع وقلة ثبات (معتبة) سخط (يالها) تعجب كانه قال يا عجبا لها ما أشدها (يرب) يصلح ويقوى (الصنيع) الفعل الجميل (يشيد) يرفع ويتم (رتبه) بناه وهيأه (السراب) ما يظهر نصف النهار كانه ماء (اشتبه) أشكل (الحالم) من يرى فى منامه رؤيا وقد حلم يحلم و (الروع) الفزع يقول مثل المترفه بالخطة السلطانية كحالم رأى نفسه فى النوم أميرا فانتبه فى أيدى أعاديه أسيرا أو رأى نفسه بين غزلان ورياحين فانتبه لزئير أسود ولصفير ثعابين وكذلك الامراء ان رفعوا الخديم ببعض انعامهم كدروه بتعجيل انتقامهم ومما يجرى فى هذا النمط قول الشاعر

الى الله أشكو كل يوم وليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام

فان كان شرا كان لاشك واقعا * وان كان خيرا كان أضغاث أحلام

أخذ المعنى هذا الشاعر من قول أشعب الطماع قال رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل قيل وكيف ذلك قال كنت أرانى أحمل بدرة فمن ثقلها كنت أسلح فى ثيابى فانتبهت فاذا السلح ولا بدرة قال الفنجديهى ومن أحسن ما سمعت فى هذا المعنى أبيات لطيفة المعانى ظريفة المبانى شرفنى بانشادها واملائها على السيد الاجل أبو المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين بقاهرة مصر لبعضهم

ثم ان خبره نما الى الوالى فلا قاه باللآلى وسامه أن ينضوى الى أحشائه ويلى ديوان انشائه فأحسبه الحباء وظلفه عن الولاية الاباء (قال الراوى) وكنت عرفت عود شجرته قبل ايناع ثمرته وكدت أنبه على علو قدره قبل استنارة بدره فأوحى الى بايماض جفنه أن لا أجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزا بالفلج شيعته قاضيا حق الرعاية ولاحيا له على رفض الولاية فأعرض متبسما وأنشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربه
أحب الى من المرتبه

لان الولاة لهم نبوة
ومعتبة يالها معتبه

وما فيهم من يرب الصنيع
ولا من يشيد ما رتبه

فلا يخدعنك لموع السراب
ولا تأت أمرا اذا ما اشتبه

فكم حالم سره حلمه
وأدركه الروع لما انتبه

وزارني طيف من أهوى على وجل * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيل لي * نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

ومن ملح هذا الباب ان ابن عبدل دخل على بشر بن مروان لما ولي الكوفة فقال أيها الامير اني رأيت رؤيا فأذن لي بقصها فقال قل فقال

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد * في ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت انك رعتني بوليدة * مغنوجة حسن على قيامها
وببدرة حملت الي وبغلة * شهباء ناجية يصل لجامها

فقال له بشر كل شيء رأيته فهو عندك الا البغلة فانها دهماء فقال امرأتي طالق ثلاثا ان كنت رأيتها الا دهماء ولكني غلطت قال البطين الشاعر قدمت على علي بن يحيى الارميني فكتبت اليه

رأيت في النوم أني راكب فرسا * ولي غلام وفي كفي دنانير
فجئت مستبشرا مستشعرا فرحا * وعند مثلك لي بالفعل تبشير

فوقع في أسفل كتابي أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ثم أمر لي بكل ما رأيته في منامي

(المقامة السابعة البرقعيدية) (حكى الحرث بن همام) قال أزمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك المدينة أو أشهد بها يوم الزينة فلما أظل بفرضه ونفله وأجلب بخيله ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم جمع المصلى وانتظم وأخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين

﴿شرح المقامة السابعة وهي البرقعيدية﴾

(أزمعت الشخوص) أي عزمت على الخروج (برقعيد) بلد بينه وبين الموصل عشرون فرسخا (شمت) نظرت وبريد (برق عيد) مقدمات العيد التي ينظر الناس بها في أسبابه سأل رجل الجنيد لماذا سمي يوم العيد فقال لان آدم لما خرج من الجنة واهبط الى الارض ثم تاب الله عليه فرده الى الجنة كان في ذلك اليوم فقيل له يوم عيد لانه أعيد الى الجنة فيه قال ابن الانباري رحمه الله معنى يوم العيد الذي يعود فيه الفرح والسرور والعيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن واصله العود لانه من عاد يعود فلما سكنت الواو وكسر ما قبلها قلبت ياء فصارت من باب ميزان وميقات وهما من الوزن والوقت وكذلك الياء اذا سكنت وانضم ما قبلها قلبت واوا مثل موسر وموقن وهما من أيسر وأيقن ويقولون في الجمع مياسر (المدينة) البلد من أخذها من مدن بالمكان يمدن اذا أقام فيه فهي فعيلة والجمع مدائن بالهمز والميم أصلية والياء زائدة ومن أخذها من دان يدين فالميم زائدة والياء أصلية وهي مفعولة ويقال دنت الرجل ملكته ودنت له أطعت ويقال للامة مدينة لانها مملوكة قال الشاعر

ثوت وثوى في كرمها ابن مدينة * يظل على مسحاته يتوكل

يعني عبدا (يوم الزينة) يوم العيد لتزين الناس فيه (قوله أظل) أي قرب ودنا حتى دخلنا في ظله (بفرضه) يعني زكاة الفطر (ونفله) يعني صلاة العيد * الفنجديهي فرض العيد صدقة الفطر ونفل العيد مثل الصلاة والغسل ولبس الجديد من الثياب * ابن عمر رضي الله عنهما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر أو شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين * ابن عباس رضي الله عنهما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان لجبر الصيام من اللغو والرفث طعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعدها فهي صدقة من الصدقات (أجلب بخيله ورجله) أي جمع أصحاب الخيل والرجالة وجاء بهم ضرب به المثل لاقباله وتصميمه على المجيء (لبس) لباس وجاء في لبس الجديد حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبي مهنته لجمعته ولعيده * جابر كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها في العيدين ويوم الجمعة (برزت) خرجت (التأم) انضم والتصق (المصلى) موضع صلاة العيد (الزحام) الضيق لكثرة الناس (الكظم) تضييق النفس من شدة الزحام (شملتين) عباءتين والشملة نوع من الاكسية وقيل لها شملة لانها

صاحبها يشتمل بها أى يديرها حواليه (محجوب) مستور (المقلتين) العينين أراد انه أعمى (اعتضد) علقها فى عضده (استقاد) جعلها تقوده (السعلاة) أنثى الغول وذكرها يسمى الكعنكع وأنشدوا
غولا ترا عى شرسا كعنكعا والغول جن مسكنها الصحارى تتراءى للانسان كأنها انسان فلا يزال يتبعها حتى يضل الطريق فيهلك (قوله متهافت) أى متساقط لضعفه وتهافت الشئ فى يدى تناثر (خافت) خفى الصوت وقد خفت الرجل اذا ظهر عليه الضعف من مرض أو جوع أو غير ذلك وأصل خفت مات هزالا (فرغ) أتم (أجال) مشى وصرف (خمسه) أصابعه (فى وعائه) يعنى الخلاة التى اعتضدها وهى تعليقة يعلقها السائل فى عنقه أو ذراعه ويجعل فيها ما يعطى من الصدقة (أبرز) أخرج (أوان) وقت (الفراغ) قلة الشغل (ناولهن) أعطاهن (الحيزبون) المسنة القوية الخلق (تتوسم) تنظر (الزبون) المخدوع عنه لفعول بمعنى مفعول وهو من ألفاظ أهل المشرق وأراد به الكثير الصدقة (آنست) أبصرت (ندى) كرم (أتاح) ساق (القدر المعتوب) الملوم (قوله موقوذا) أى مشرفا على الموت من شدة الاوجاع والاوجال والموقوذة فى القرآن المقتولة بالخشب والوقذ شدة الضرب (أوجال) مخاوف (ممنوا) مبتلى (محتال) ماكر كثير الحيلة (مختال) متكبر (مغتال) مهلك (خوان) كثير الخيانة* ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يوجد فى آخر الزمان درهم من حلال أو أخ يوثق به (قال) مبغض (اقلالى) فقرى (اعمال) جد وبحث تقول أعملت الشئ فى الشئ اذا جعلته يعمل فيه و(العمال) عامل وكل شئ (تضليع) افساد (أعمال) جمع عمل يريد انه مطلوب يبحث على اعماله اذا أتى بها مجموعة فتنقض اعماله وتصيرله اضلاعا بعد اجتماعها وذلك فساد لها ويحتمل أن يكون التضليع من ضلعت مع فلان أى ملت معه فاعماله تميل عن طرقها فتفسد وقيل تضليع الاعمال تثقيلها قال الازهرى رحمه الله ضلع الدين ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله وفى الحديث أعوذ بالله من ضلع الدين (أصلى) احترق (أذحال) احقاد وعداوات (امحال) فقر (ترحال) سفر ونقلة من بلد الى بلد (أخطر) امشى متبخترا وقد خطر الرجل اذا أقبل بيديه وأدبر بهما وهى مشية الشبان (بال) خلق (اخطر فى بال) أمر على بال أحد ولا خاطره (جار) مال عن الحق ولم يعدل (اطفا) أمات (أطفالى) أولادى ومثله (أشبالى) *الفنجديهى يقول ليت الدهر لما ظلم أولادى وجار عليهم اماتهم لأتخلص فان مقاساة الولائد سبب الوقوع فى المصائد قال ابن عيينة قلت لصياد أى طائر أسرع الى مصايدكم قال الذى يزق يعنى الذى يطعم ولده (اغلالى) قيودى و(الاعلال) جمع عل وهو القراد الضخم وهو الذى يلصق بأفخاذ الدواب وهو كثير التشبث والالتصاق لا يقلع الا بجهد فيريد بالاغلال أولاده لانهم قيوده فلا يسرح بسببهم وبالاعلال انهم قد تعلقوا به يطلبون ما عنده وقال الشاعر يصف ناقته *ولو ظل فى أوصالها العل يرتقى* ويقال للقراد الطلح والقينق والحبير والعل والبرام والقرشوم والبود فى بعض اللغات (جهزت) أرسلت (آل) قريب وآل أهل أو يكون آل أميرا وسائسا قال عمر رضى الله عنه أنا وابل علينا أى سنا الناس وساسنا غيرنا فيكون على هذا مقلوبا من آئل كما قيل سار فى سائر (مسحب) طريق يقول لولا ذل الاولاد ما قصدت واليا ولا جررت ذيلى فى طريق ذل ويقال سحب ذيله سحبا اذا جره والمسحب موضع جره ثوبه (محرابى) مسجدى (أحرى) أحق بى (أسمالى) أثوابى الخلقة و(أسمى لى) أعزلى وأرفع لقدرى (أثقالى) همومى أو ديونى أو كثرة عيالى واحدها ثقل وثقل الشئ ثقلا ضد خف وأثقل الرجل كثر عياله (بلبالى) حزنى والبلبال وسواس الهموم (سربال) قميص و(السروال) معروف وفى الحديث أن امرأة سقطت من على حمار فأعرض النبى صلى الله عليه وسلم بوجهه عنها فقالوا انها متسرولة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمتسرولات من أمتى ثلاثا يا أيها الناس اتخذوا السراويلات فانها من أستر ثيابكم وحصنوا بها نساءكم اذا خرجن ومن ملح الصاحب بن عباد أن

محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه الخلاة واستقاد لعجوز كالسعلاة فوقف وقفة متهافت وحيا تحية خافت ولما فرغ من دعائه أجال خمسه فى وعائه فأبرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ فى أوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون وأمرها بأن تتوسم الزبون فمن آنست ندى يديه ألقت ورقة منهن لديه فأتاح لى القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب

لقد أصبحت موقوذا
باوجاع وأوجال
وممنوا بمحتال
ومختال ومغتال
وخوان من الاخوا
ن قال لى لاقلالى
واعمال من العما
ل فى تضليع أعمالى
فكم أصلى بأذحال
وأمحال وترحال
وكم أخطر فى بال
ولا أخطر فى بال
فليت الدهر لما جا
ر أطفالى أطفالى
فلولا أن أشبالى
ى اغلالى وأعلالى
لما جهزت آمالى
الى آل ولا والى
ولا جررت أذيالى
على مسحب اذلالى
فمحرابى أحرى بى
وأسمالى أسمى لى
فهل حر يرى تخفيـ
ـف أثقالى بمثقال
ويطفى حر بلبالى
بسربال وسروال

بعض الشعراء كتب له أيا من عطاياه تعطى الغنى * الى راحتى من نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائرين * كساً لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون فى * ثياب من الخز الا أنا

فقال الصاحب قرأت فى أخبار معن بن زائدة أن رجلا قال له احملنى أيها الامير فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ثم قال له لو علمت ان الله خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد أمر نالك من الخز بجبة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمنا لباسا غير هذا من الخز لاعطيناكه ثم أمر بادخاله الى الخزانة وصب تلك الخلع عليه وأخبار الصاحب مستظرفة كثيرة الملح (قوله ملحمها) ناسجها ولما جعل الشعر حلة جعل لها ناسجا وراقما (ناجانى) حدثنى (الوصلة) الموصلة (استعرضت) أى نظرت وعرضتها على نفسى (تقت) اشتقت (أفتانى) أعلمنى (الحلوان) أجر الكهان وأراد اجرة العراف وهو الذى يعرف بالتلائف المتفطة أربابها فيفتكونها منه بما اتفقوا عليه فذهب مالك أن من عرف اللقطة وكان من شانه أخذ الجعل على مثل ذلك فله أجرة مثله والشافعى لا يوجب له حقا سواء كان من شأنه أن يعرف باللقطة أولم يكن تعب فى ذلك أولم يتعب الا أن يشترط قبل الطلب (رصدتها) ارتقبتها (تستقرى) تتبع واقتريت الارض واستقريتها تتبعتها مئاملا (تستوكف) تستمطر (ينجع) ينفع ويؤثر يقال نجعت الحاجة اذا انقضت ونجح طالبها اذا لم يخب وأنجح أشهر يقول ان مشيها عليهم لم يقض حاجتها ولا نفعها وقصد (يرشح الاناء) كرم الكف يقول لم يرشح لها كف بعطية (أكدى) خاب وصعب ويقال أكدى الحافر وهو أن يحفر البئر بطلب الماء فاذا بلغ الى الصلابة ويئس من الماء ولم يقدر على الحفر قيل له أكدى فهو مكد والكدية هى الصلابة التى يتعذر حفرها (استعطافها) تليينها القلوب (كدها) أتعبها (مطافها) مشيها وطوفها على الناس ويحسن أن ينشد هنا فى حالها لابى نواس

اذا لم يعنك الله فيما تريده * فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك فى كل مسلك * ضللت ولو أن السماك دليل

غيره
اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

(عاذت) تعوذت ولاذت (الاسترجاع) قولهم انا لله وانا اليه راجعون وفى حديث أم سلمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم ما قال أحد عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا استجيب له (ارتجاع) رد (تعج) تميل وترجع (بقعتى) موضعى (آبت) رجعت (الحرمان) الخيبة والمنع (تحامل) مشقات وتحاملت فى الامر تكلفته على مشقة (أفوض) ارد (لا حول) أى لا حيلة يقال ماله حيلة ولا حول وماله احتيال ولا محتال ولا محالة ولا محيلة كله بمعنى ويقال ماله محال بالفتح أى حول ومحال بالكسر أى مكر * ثعلب هو من قولهم محل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك ومحل به القرآن شهد عليه بالتقصير وقال الفراء المحالة على ثلاثة أقسام هى الحيلة والتى تجعل على رأس البئر كالبكرة وواحدة محال الظهر وهى فقاره ويقال أخذت فى الحولقة والحوقلة اذا قلت لا حول ولا قوة الا بالله وينتصب لا حول ولا قوة بالتبرئة وان شئت رفعتهما بالابتداء وبالله خبر قوة وحذفت خبر لا حول لدلالة الثانى عليه وان شئت رفعت حولا بالابتداء ونصبت قوة بالتبرئة وان شئت نصبت حولا بالتبرئة ورفعت قوة بالعطف على موضع لا حول وان شئت نصبت قوة بالتنوين عطفا على اللفظ (قوله صاف) أى خالص الود (مصاف) صادق فى وده (معين) ماء كثير يريد صاحب كرم كثير (معين) يعين بماله (المساوى) ضد المحاسن واحدها سوء على غير قياس وقيل لا واحد لها (بدا) ظهر (الثمين) النفيس الغالى الثمن يقول ان الناس قد استووا فى الافعال السيئة وأراد قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا استووا اهلكوا

(قال الحرث بن همام) فلما استعرضت حلة الابيات تقت الى معرفة ملحمها وراقمها فناجانى الفكر بأن الوصلة اليه الجعز وأفتانى بأن حلوان المعرف يجوز فرصدتها وهى تستقرى الصفوف صفا صفا وتستوكف الاكف كفا كفا وما ان نجح لها عناء ولا رشح على يدها اناء فلما أكدى استعطافها وكدها مطافها عاذت بالاسترجاع ومالت الى ارتجاع الرقاع وأنساها الشيطان ذكر رقعتى فلم تعج الى بقعتى وآبت الى الشيخ باكية للحرمان شاكية تحامل الزمان فقال انا لله وأفوض أمرى الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم أنشد
لم يبق صاف ولا مصاف
ولا معين ولا معين
وفى المساوى بدا التساوى
فلا أمين ولا ثمين

ومعناه ان الناس فى الغالب انما يتساوون فى الشر ولا تجدهم كلهم فضلاء لان الخير قليل قال أبو العباس التطيلى فيما يتعلق بهذا المعنى

والناس كالناس الا ان تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالايك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل بالثمر

وقال التهامى ومن الرجال معالم ومجاهل * ومن النجوم غوامض ودرارى
ولربما اعتضد الحليم بجاهل * لاخير فى يمنى بغير يسار
والناس مشتبهون فى ايرادهم * وتفاضل الاقوام بالاصدار

(قوله عديها) أى طمعيها (استعدتها) رددتها (غالت) أهلكت واستعار للتضييع يدا مجازا (تعسا) هلكا والتعس الدعاء أن لا تقال عثرته (يالكاع) يالئيمة يا منتنة واللكاع ومخ الفرج واللكع ولد الحمار (القنص) الصيد (الحبالة) الشبكة وصفة الحبالة أن يعمد لحبل من شعر مخلوط بيسير من صوف فذلك أقوى له فيعقد فى أحد طرفيه عين يجرى فيها الحبل ويربط فى الطرف الثانى خشبة وربما حددوا طرفها ثم يأتون الى الطريق الذى يدخل منه الصيد الى الماء فيحفرون فيه حفرة فيغطونها بورق الشجر وشبهها ويفتحون عليها عين الحبل ثم يغطونها بالتراب والزبل حتى تصير فى طبع الارض واذا أقبل الصيد للماء فوضع يده أو رجله فى الحفرة سقطت به وانضم على يده أو رجله الحبل فيثب فازعا ويفر فتتبعه تلك الخشبة فكلما انتفض أقبلت عليه فتضربه فى يديه ورجليه وبطنه وظهره فتوهى أعضاءه وربما كسرت يديه أو رجليه فلا يسير بها قدر ميل حتى يقف موقوذا منهافيأتيه الصائد فيأخذه وأنواع الحبالة كثيرة (قوله القبس) يريد به نور المصباح و(الذبالة) الفتيلة (ضغث) حزمة من حشيش صغيرة وأصلها جماعة القضبان وشبهها من النبات يجمعها أصل واحد وكل ما جمعت عليه كفك من حشيش أو عيدان فانتزعته من أصله ضغث (ابالة) حزمة كبيرة والضغث على الابالة مثل حزمة الحطاب اذا حملها للبيع وجعل فوقها حزمة صغيرة لنفسه فالكبيرة ابالة والصغيرة ضغث فكأنه قال انها خسارة على خسارة ويقال لها ابالة وابيل وابيلة وبيل وبيلة وضغث على ابالة مثل أخذه من قول الشاعر فى كل يوم من ذؤاله * ضغث يزيد على اباله

﴿وقال آخر وذكر ناقته﴾

ردت عوارى غيطان الفلا ونجت * بمثل ابالة من خالص الشعر

﴿وهذا مثل قول حبيب﴾

فكم جزع وادجب ذروة غارب * وبالامس كانت أسكنه جوانبه

(قوله انصاعت) أى ذهبت نافرة وانثنت مسرعة وكل ما ثنيته ولويته بسرعة فقد صعته صوعا وكذلك اذا جمعته وفرقته فذهب عنك بسرعة وصاع الشجاع القوم فى الحرب اذا جمعهم بهيبته ثم صدمهم ففروا اسراعا متفرقين وكل نافر مسرع منصاع قال ذو الرمة فى الحمر

فرت من الرامى فانصاعت * والويل هجيراه والحرب

(تقتص) أى تتبع (مدرجها) طريقها التى مشت فيها لتفريق الرقاع ويقال درج الشيخ والصبى درجا ودرجانا اذا تقاربت خطاهما والمدرج الموضع الذى درجا فيه والمدرجة قارعة الطريق (تنشد) تطلب من نشدت الضالة و(مدرجها) رفعتها ويقال أدرجت الكتاب والثوب طويتهما (القطعة) عند أهل المشرق الواحدة من صرف يعرفونه الخندوس يعمدون الى دراهمه فيقطعونها قطعا فهى صرفهم وبها يتصدقون فأراد أنه قرن برقعة الشعر درهما وقطعة من الخندوس وقال لها ان خبرتنى بقائل الشعر فخذى الدرهم أجرة وان أبيت أن تعرفينى به فخذى القطعة صدقة وانصرفى (المشوف) المصقول المجلو والمشوف الجلاء و(المعلم) المنقوش ونقشه علامته وقيل هو

ثم قال لها منى النفس وعديها واجمعى الرقاع وعديها فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع قد غالت احدى الرقاع فقال تعسا لك يالكاع أنحرم و يحك القنص والحبالة والقبس والذبالة انها لضغث على ابالة فانصاعت تقتص مدرجها وتنشد مدرجها فلما دانتنى قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها ان رغبت فى المشوف المعلم وأشرت الى الدرهم

الذى عليه علامة الملك وأخذه من قول عنترة

ولقد شربت من المدامة بعدما * ركد الهواجر بالمشوف المعلم

(بوحى) تكلمى (المبهم) المغلق الملبس (أبيت) امتنعت (امرحى) اذهبى (استخلاص) تخليص واستخلص الشئ جعله خالصا (التم) الكامل (والابلج) النقى الابيض وفعله ابلاج كاحمار (الهم) الكبير الذى يهم به من رآه وشيخ هم مسن والهم الرقيق النحيف وهو من همته النار اذا أذابته وهممت الشحم أذبته (استطلعتها طلعه) استخبرتها خبره وسألتها أن تطلعنى عليه وتقول استطلعت طلع الشئ اذا حاولت الاطلاع عليه وأردت معرفة خبره الذى تطلع منه عليه وطلع بالكسر (بردته) ثوبه (وشى) زين ورقم (خطفت) أخذت بسرعة (الباشق) من جوارح الطير (مرقت) خرجت بسرعة (الراشق) الذى يرشق الصيد أى ينشبه ويكون الراشق بمعنى المرشوق كقوله تعالى من ماء دافق أى مدفوق (قوله خالج) أى داخل وجاذب (تأجج) اشتعل (كربى) همى والتأجج التفعل من الاجيج وهو تصويت النار والهبها اذا اشتعلت وعظمت (آثرت) اخترت وفضلت وآثرته بكذا فضلته به والايثار المصدر (أفاجيه) آتيه فجأة وهو لا يشعر (أناجيه) أحدثه (أعجم) أجرب (فراستى) نظرى وجعل لها عودا مجازا (تخطى رقاب الجمع) الجواز على أعناق الناس خرج الترمذى فى النهى عن ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم (عفت) كرهت (يتأذى) يصيبهم أذى (يسرى) يصل (اللوم) ضد الحمد وهو أن تأخذ الانسان بلسانك ذما لما فعل (سدكت) التصقت ولزمت (قيد عيانى) غرض نظرى أى قيدت نظرى فيه (انقضت) تمت (حقت الوثبة) أى وجبت القفزة اليه (خففت) أسرعت (توسمته) نظرته (التحام) التصاق وانغلاق (ألمعيتى) ذكائى وصدق ظنى والالمعى هو الذى يظن بك الظن ولا يخطئ وهو اليلمعى من اللمعان كانه يلمع لذكائه وجودة فطنته وقال أوس

الالمعىّ الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا

فلا يبين أحد الالمعىّ بأحسن مما بينه أوس فاذا سئلت ما الالمعى فانشد بيته تأت بالجواب الشافى و (الفراسة) ان تنظر الشئ فتستدل بظاهره على باطنه وبما حضر على ما غاب وقيل الالمعية ان ترى الشئ على بعد فتعرفه وتحققه والفراسة أن ترى الرجل بين يديك فتحكم عليه بما أضمر أو بما يريد أن يفعله فالالمعية فى البعد والفراسة فى القرب وكيف اختلفت الالمعية والفراسة فالظن الصادق يجمع بينهما و (ابن عباس) رضى الله عنه هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى يكنى أبا العباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف فى السنة التى مات فيها ما بين ثمان وستين فى الاقل وأربع وسبعين فى الاكثر وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات ربانى هذه الامة وضرب على قبره فسطاط روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهمّ علمه الحكمة وتأويل القرآن وفى حديث آخر اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين وفى حديث آخر اللهم زده علما وفقها وفى حديث آخر اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وكلها أحاديث صحاح وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره مع وفور جلة الصحابة رضى الله عنهم وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول ابن عباس فتى الكهول له لسان سئول وقلب عقول * عبد الله بن عبد الله ما رأيت أحدا كان أعلم بالسنة ولا أجلد رأيا ولا أثبت نظرا من ابن عباس ولقد كان عمر يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين * عمرو بن دينار ما رأيت مجلسا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس الحلال والحرام والعربية والانساب والشعر * عطاء كان ناس يأتون ابن عباس فى الشعر والانساب وناس يأتون لايام العرب ووقائعها وناس يأتون للعلم والفقه فما منهم صنف الا يقبل

فبوحى بالسر المبهم وان أبيت أن تشرحى فخذى اقطعه وامرحى فالت الى استخلاص البدر التم والابلج الهم وقالت دع جدالك وسل عما بدالك فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته فقالت ان الشيخ من أهل سروج وهو الذى وشى الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق ومرقت مروق السهم الراشق فخالج قلبى ان أبا زيد هو المشار اليه وتأجج كربى لمصابه بناظريه وآثرت ان أفاجيه وأناجيه لاعجم عود فراستى فيه وما كنت لاصل اليه الا بتخطى رقاب الجمع المنهى عنه فى الشرع وعفت أن يتأذى بى قوم أو يسرى الىّ لوم فسدكت بمكانى وجعلت شخصه قيد عيانى الى ان انقضت الخطبة وحقت الوثبة فخففت اليه وتوسمته على التحام جفنيه فاذا ألمعيتى ألمعية ابن عباس

عليهم بما يشاؤن * مسروق كنت اذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس فاذا تكلم قلت أفصح الناس فاذا تحدث قلت أعلم الناس * أبو وائل خطبنا ابن عباس رضى الله عنهما وهو على الموسم فافتتح سورة فجعل يقرأ و يفسر فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله لو سمعته فارس والترك والروم لاسلمت * طاوس أدركت نحو خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكروا ابن عباس فخالفوه فلم يزل يقودهم حتى ينتهوا الى قوله * ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس ولو أدرك اسناننا ما عاشره منا رجل * يزيد الاصم خرج معاوية حاجا ومعه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم * القاسم بن محمد ما رأيت فى مجلس ابن عباس باطلا قط وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه وكان أصحابه يسمونه الحبر والبحر وذكر أبو العباس فى الكامل أن عمر بن أبى ربيعة أنشده قصيدته

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

فحفظها من سمعها وهى ثمانون بيتا * مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما رأيت جبريل عليه السلام عند النبى صلى الله عليه وسلم مرتين ودعالى بالحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وروى عنه أنه رأى رجلا مع النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فسأل عنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أرأيته قال نعم قال ذاك جبريل أما انك ستفقد بصرك فعمى بعد ذلك فى آخر عمره وهو القائل فى ذلك ويروى لحسان رضى الله عنهما

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلب ذكى وعقل غير ذى دخل * وفى فمى صارم كالسيف مأثور

نظر اليه الحطيئة فى مجلس عمر رضى الله عنهما فقال من هذا الذى برع الناس بعلمه ونزل عنهم بسنه فقيل له عبد الله بن عباس وقال فيه حسان بن ثابت رضى الله عنهما

اذا ما ابن عباس بدا لك وجهه * رأيت له فى كل أحواله فضلا
اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بمنتظمات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع * لذى اربة فى القول جدا ولا هزلا
سموت الى العليا بغير مشقة * فنلت ذراها لا دنيا ولا وغلا

ونظر اليه معاوية يوما يتكلم معه فاتبعه بصره فقال متمثلا

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * مصيب ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان اذا انتحى * وينظر فى أعطافه نظر الصقر

وروى أن طائرا أبيض خرج من قبره فتأولوه علمه خرج الى الناس وقيل دخل قبره طائر أبيض فقيل هو بصره قال أبو الزبير مات ابن عباس رضى الله عنهما بالطائف فجاء طائر أبيض فدخل فى نعشه حين حمل فما روئى خارجا منه وفضائله كثيرة مشهورة فلنقف منها على هذا القدر (وأما اياس) فهو أبو واثلة بن معاوية بن قرة بن اياس بن هلال بن رباب المزنى قاضى البصرة وسبب قضائه أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب الى عدى بن ارطاة عامله على البصرة ان اجمع اياس بن معاوية المزنى والقاسم بن ربيعة الحارثى فول القضاء أنفذهما وأفقههما فجمع بينهما فقال كل واحد ان صاحبه أنفذ وأفقه فقال له اياس سل عنى وعن القاسم فقيهى المصر الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتيهما واياس لا يأتيهما فعلم القاسم أنه ان سألهما أشارا به فقال القاسم لا تسأل عنى ولا عنه فوالله الذى لا اله الا هو ان اياسا الافقه منى وأعلم بالقضاء منى فان كنت كاذبا فما عليك أن لا توليني وأنا كاذب وان كنت صادقا فينبغى لك أن تقبل قولى فقال له اياس انك جئت برجل فوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال له عدى أما انك اذ فهمتها فانت لها

وفراستى فراسة اياس فعرفته حينئذ شخصى وآثرته بأحد قصى

﴿ترجمة اياس القاضى﴾

فاستقضاه وقال اياس رحمه الله أرسل الى ابن هبيرة فأتيته فسألنى فسكت فلما أطلت قال هيه قلت سل عما بدا لك قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال أتفرض الفرائض قلت نعم قال أتعرف من أيام العرب شيأ قلت نعم قال أتعرف من أيام العجم شيأ قلت أنا بها أعرف قال انى أريد أن أستعين بك على عملى قلت ان فى خصالا ثلاثا لا أصلح معها للعمل قال ماهى قلت أنا دميم كما ترى وأنا عيى وأنا حديد قال أما دمامتك فانى لا أريد ان أحاسن بك الناس وأما العى فانى أراك تعرب عن نفسك وأما الحدة فان السوط يقومك قم فولانى القضاء وأعطانى عشرة آلاف درهم فهى أول مال تمولته ودخل عليه عدى بن ارطاة فى مجلس القضاء وعدى أمير البصرة وكان أعرابى الطبع فقال ياهناه أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع منى قال للاستماع جلست قال انى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال وشرطت لاهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال فى حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من حكمت قال بأن لا تخرجها قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك وأول ماظهر من ذكائه أنه دخل دمشق وهو غلام فتقدم مع شيخ عند قاضيها فصال اياس بحدته على الشيخ فقال له القاضى انه شيخ كبير فخفض كلامك فقال له اياس الحق أكبر منه فقال له القاضى اسكت فقال ومن ينطق بحجتى فقال له القاضى ما أراك تقول حقا فقال له اياس لا اله الا الله أحق هذا أم باطل فدخل القاضى من فوره الى عبد الملك بن مروان فأعلمه بما رأى من ذكائه فقال له عبد الملك اخرج فاحكم بينهما وأخرجه الآن من دمشق الى بلاده لئلا يفسد على أهل الشام ولما دخل عبد الملك البصرة رأى اياسا وهو صبى وخلفه أربعة من القراء أصحاب الطيالسة واياس يقدمهم فقال عبد الملك أف لهذه العثانين أما فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث ثم التفت اليه وقال كم سنك فقال سنى أطال الله بقاء الامير سن اسامة بن زيد بن حارثة حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر فقال تقدم بارك الله فيك وكان سنه سبع عشرة سنة * وأما ذكاؤه وفراسته فقد ألف فى ذلك المدائنى كتابا سماه كتاب زكن اياس والزكن التشبيه يقال زكن عليهم وزكم شبه وخيل وقيل الزكن الظن والتفرس ومن زكنه أنه اختصم اليه رجلان فى قطيفتين حمراء وخضراء فقال أحدهما دخلت الحوض لاغتسل ووضعت قطيفتى ثم جاء هذا ووضع قطيفته بجنب قطيفتى ثم دخل واغتسل فخرج قبلى وأخذ قطيفتى فتبعته فزعم أنها قطيفته فقال ألك بينة قال لا قال ائتونى بمشط فأتى به فسرح رأس هذا ثم هذا فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ومن رأس الآخر اخضر فقضى بالاخضر لصاحب الاخضر وبالاحمر لصاحب الاحمر وأتى المدينة فصلى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزكنه أهله حتى صاروا فرقتين فرقة تزعم أنه معلم وأخرى تزعم أنه قاض ثم وجهوا اليه رجلا فاخبره خبرهم فقال أصاب الذين ذكروا انى قاض ورويدا أخبرك عن القوم أما الذى من صفته كذا فهو كذا وأما الذى يليه فهو كذا وأما ذاك الشيخ فانه نجار فقال الرجل فى كلهم والله أصبت الا فى الشيخ فانه من قريش فقال اياس وان كان من قريش فقام الرجل الى أصحابه فقال قد جئتكم من عند أعجب الناس والله ان منكم من أحد الا أخبرنى بصناعته الا هذا فزعم أنه نجار فقال صدق والله انى لانجر عيدان جوارى يعنى عود المزمار ونظر الى ثلاث نسوة فزعن من شئ فقال هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر فسئلن فوجدت كذلك فسئل من أين علم ذلك فقال لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع لها فوضعت المرضع على ثديها والحامل على بطنها والبكر على فرجها وسمع نباح كلب لم يره فقال هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر فنظر فكان كما قال فقيل له فى ذلك فقال سمعت عند نباحه دويا ثم سمعت بعده صدى يجيبه فعلمت أنه عند بئر * ومن فراسته أنه رأى أثر اعتلاف بعير فقال هذا بعير أعور فنظروا فكان كما قال فقيل له فى ذلك فقال لانى وجدت اعتلافه من جهة واحدة ولما صار ذكاؤه يضرب به المثل كما يضرب

بجود حاتم وحلم الاحنف وشجاعة عمرو بن معديكرب تظمهم حبيب فى بيت جمع فضلهم المتفرق للعباس بن المأمون فقال

اقدام عمرو فى سماحة حاتم * فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

وتوفى سنة ثنتين وعشرين ومائة وأخباره كثيرة وفيما أوردناه كفاية (قوله أهبت به) أى دعوته وأصل أهاب دعا لنفسه من بعد وقيل الاهابة دعاء الابل للشرب (والقرص) رغيف صغير سمى قرصا كأنه قرص من العجين أى قطع والتقريص التقطيع (هش) خف فرحا و (العارفة) يريد النعمة وهى المعروف (لبى) أجاب وقال لبيك ومصدره تلبية وهى تفعلة من الالباب وهو اللزوم ولب بالمكان وألب به أقام وأصله لبب بثلاث باآت فأبدلوا الآخرة ياء استثقالا لاجتماع الامثال كما قالوا تظنيت وتعطيت فالياء فيهما بدل من مثل الحرف الذى قبلها ثم اتبعوا الابدال فى المصدر وهى تلبية فياؤه باء وقولهم لبيك معناه اجابة بعد اجابة ولزوما لطاعتك بعد لزوم (رغفان) جمع رغيف يريد أنه لما سمع بذكر الخبز فكان الخبز دعاه فاجابه (زمامه) مقوده (امامه) هاديه (الاثافى) حجارة القدر وهى ثلاث والعرب تقول رماه الله بثالثة الاثافى يعنون بها الجبل لانهم يجعلون حجرين ويلصقونهما بالجبل فيقوم الجبل مقام الحجر الثالث واحدتها اثفية بالتشديد وقد تخفف وقد أثفيت القدر وأثفتها وثفيتها وتسمى العرب أثافى الحديد المنصب (الرقيب) الحافظ يريد الله تعالى (استحلس وكنى) أى دخل بيتى وجلس على حلسه وهو ما يبسط تحت بسطه يقيها الارض وفلان حلس بيته أى لازم القعود فيه وفى الحديث كن فى الفتنة حلس بيتك أى لا تدخل فيها والحلس كساء يلى ظهر البعير تحت البرذعة و يلزمه فشبه الذين يعرفون الشئ ويلزمونه بالحلس ومنه قولهم لست من أحلاسها أى من أصحابها العارفين بها ومنه بنو فلان أحلاس الخيل أى الذين يضمرونها و يلزمون ظهورها واحلاس القوافى المجيدون فى نظم الشعر والوكنة الثقبة فى الحائط يسكنها الطائر وقيل هى الموضع من الشجرة وغيرها يقع عليه للمبيت وهى الوكن ووكن الطائر وكنا فهو واكن اذا حضن على فرخه فلزم وكنته (عجالة مكنتى) ما تعجل وأمكن من الطعام (محجوز) ممنوع وحجزت الشئ حزته ومنعته وحجزت بين الشيئين حجزا فانا حاجز اذا جعلت بينهما حائلا والمفعول محجوز ومنه الحجاز لانها أرض حجزت بين نجد والسراة (كريمتيه) عينيه وفى الحديث قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من عبد أذهب الله كريمتيه الا كان ثوابه عند الله الجنة قالوا وما كريمتاه قال عيناه (رأرأ) قلبهما وأدارهما ادارة كثيرة و (توأمتاه) كريمتاه وقوله (مسح كريمتيه) يريد أنه حكهما بكفه فانتفض عنهما ما كان الصقهما به حتى التصما وقيل رأرأ أدار العين وحدد نظرها وتوأمتاه عيناه وفى الغريب المصنف رأرأت المرأة بعينها ولألأت اذا برقت عينها وأنشد ابن الاعرابى

عجبت من الحور الكريم نجارها * ترأرئ بالعينين للرجل الحبل

الحبل الداهية (الفرقدان) نجمان منيران فى بنات نعش (ابتهجت) فرحت (سيره) عاداته (يلقنى قرار) يحبسنى سكون وطمأنينة (التعامى) استعمال العمى (المعامى) الطرق المجهولة وقيل القفار البعيدة التى تعمى فيها الآثار فلا يهتدى فيها (الموامى) القفار واحدها موماة (ايغالك) ابعادك ومبالغة دخولك (المرامى) المقاصد والبلاد التى ترميه الى بلاد أخر يقول سألته ما الذى دعاك الى استعمالك العمى مع دخولك لطلبك لرزق فى المشقات وجوب البلاد البعيدة فلم تجد لنفسك حيلة حتى تشبهت بالعميان (تظاهر) استعان و (اللكنة) احتباس اللسان يريد لما امتلأ فمه بالطعام لم ينسرح لسانه بالكلام فوجد بذلك علة لقطع الجواب فكانت اللكنة أعانته على ذلك (اللهنة) الطعام المعجل للضيف قبل الغداء وكل ما عجلته قبل ادراك الطعام لهنة ولهنت الضيف عللته بذلك (قضى وطره) أتم حاجته من الاكل والوطر المراد ولا فعل له (اتأر) تابع نظره وحدده

وأهبت به الى قرصى فهش لعارفتى وعرفانى ولبى دعوة رغفانى وانطلق وبيدى زمامه وظلى امامه والعجوز ثالثة الاثافى والرقيب الذى لا يخفى عليه خافى فلما استحلس وكنى وأحضرته عجالة مكنتى قال لى ياحارث أمعنا ثالث فقلت ليس الا العجوز قال ما دونها سر محجوز ثم مسح كريمتيه ورأرأ بتوأمتيه فاذا سراجا وجهه يقدان كأنهما الفرقدان فابتهجت بسلامة بصره وعجبت من غرائب سيره ولم يلقنى قرار ولا طاوعنى اصطبار حتى سألته ما دعاك الى التعامى مع سيرك فى المعامى وجوبك الموامى وايغالك فى المرامى فتظاهر باللكنة وتشاغل باللهنة حتى اذا قضى وطره أتأر الى نظره وأنشد

(الورى) الخلق (انحائه) اغراضه (ومقاصده) والنحو كالقصد (لاغرو) لاعجب (يحذو حذوه) أى يفعل فعله وهذا الاعتذار عن التعامى حسن وقد تقدم اعتذار ابن عباس رضى الله عنهما عنه ومما يعزى للحصرى فى ذلك

وقالوا قد عميت فقلت كلا * فانى اليوم أبصر من بصير
سواد العين زار سواد قلبى * ليجتمعا على فهم الامور

(أخذه من قول بشار)

اذا ولد المولود أعمى وجدته * وجدك أهدى من بصير وأجولا
عميت جنينا والذكاء من العمى * فجئت عجيب الظن للعلم معقلا
وغاض ضياء العين للقلب فاغتدى * بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه * بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

وقال بشار

قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدى لكم يهون
تالله ما فى البلاد شئ * تأسى على فقده العيون

وعكس هذا المعنى أبو العيناء حين سأله المتوكل ما أشد ما عليك فى ذهاب بصرك قال ما حرمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك * ومما يستملح من هذا الباب نشأ أعمى بين أعورين فاذا مشيا أو قعدا الذى عور هذا اعور هذا نشأ بينهما أعمى وقال المتنبى يمدح العور ويذمه فى بيت واحد

أيا ابن كروس يا نصف أعمى * وان تفخر فيا نصف البصير

فاذا انضم ابن كروس الى مثله نشأ بينهما أعمى قال الشاعر

وبينا أبدا أعمى نؤلفه * قد يخلق الله عميانا من العور

وقال آخر

ألم ترنى وعمرا حين نغدو * الى الحاجات ليس لنا نظير
أسايره على عينى يديه * وفيما بيننا رجل ضرير

(وقال آخر فى أعور وعوراء تعاشقا)

هى عوراء باليمين وهذا * أعور بالشمال وافق شنا
بين شخصيهما ضرير اذا ما * قعدت عن شماله تتغنى

(فأما قول جميل اليشكرى فى صفة الذئب)

وأعور من نعماه ان شاء مرة * وان شاء من يسراه ما كان راقدا
لقد فزت دون العور أوس برتبة * وأعطيت نابا يفلق الصخر باردا

فانما وصفه بشدة الحذر وذكر العور على معنى الاستعارة كما قال حميد بن ثور

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى المنايا فهو يقظان نائم

وقال ابن المعذل

أشتهى فى المقلة القبلا * لا كثيرا يشبه الحولا
واحمرار الخد من خجل * اننى أستحسن الخجلا

وقال آخر

وأحول ذى حركة * عملا يبقى بركه

يريد انه يرى من الشئ اثنين كما قال الآخر

فقد جعلت أرى الشخصين أربعة * والواحد اثنين مما بورك البصر

لان هذا يصف الكبر واعتذر القاضى أبو محمد عبد الوهاب عن الحول فاحسن حيث يقول

حمدت الهى اذ بليت بحبها * وبى حول يغنى عن النظر الشزر
نظرت اليها والرقيب يظننى * نظرت اليه فاسترحت من العذر

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى
عن الرشد فى انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل انى أخو عمى
ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده

(ذكر العمى وما يتعلق به)

لحوله رفع عنه ثقل مؤنة التكلف الذى ذكر الآخر حين قال

ولما التقينا والعيون نواظر * وليس لنا رسل سوى الطرف للطرف
تنزهت فى خديك من تطرحسنى * ومازلت أخفى الودّ ضعفا على ضعفى
فان غفل الواشون فزت بنظرة * وان نظروا نحوى نظرت الى كفى

فلذلك حمد الله على الحول وقال الناشى فى هذا المعنى فأحسن

يتساقلان اللفظ من جفنيهما * فكأنما يتناهضان كابا
واذا سهت عين الرقيب تحالست * كفاهما خلس السلام سلابا

وللقاضى أبى محمد أنشدنا بعض أشياخنا عبد الوهاب البيت الثانى والآخر من القطعة الثانية وكان كثيرا ما يحرضنا بها على الطلب ويسلينا عن الغربة

ومحجوبة فى الخدر عن كل ناظر * ولو برزت بالليل ما ضل من يسرى
أقول لها والدمع يغلب صبرها * أعدّى لفقدى ما استطعت من الصبر
سأنفق ريعان الشبيبة آنفا * على طلب العلياء أو طلب الاجر
أليس من الحرمان ان لياليا * تمرّ بلا نفع وتحسب من عمرى

ولم ينشدنا البيت الاول ولا الاوسط وهما من القطعة وأما كلام الحريرى الذى فرغنا من شرحه فهو منقول من مقامة البديع يقول على لسان عيسى بن هشام ثم فارقهم وتبعته وعرفت انه لسرعة ماعرف الدينار فلما تظمتنا خلوة مددت يدى الى يسرى عضده فقلت والله لتريني سرك أولاهتكن سترك ففتح عن توأميه وحدر لثامه عن وجهه فاذا والله أبو الفتح الاسكندرى فقلت له أنت أبو الفتح فقال

أنا أبو قلمون * فى كل لون أكون * اختر من الكسب دونا * فان دهرك دون
زج الزمان بحمق * ان الزمان زبون * لا تكذبن بعقل * ما العقل الا الجنون

وعتب الحريرى على العمى فائق فى النثر وشعره فى الاعتذار عنه رائق فى النظم وهو على انطباعه فى القصيد اذا أتى بالبيتين أتى بالعجب وهو فى ذلك كما قيل فى أبى منصور الفقيه اذا رمى بزجيه قتل (قوله المخدع) هو بيت داخل بيت قال ابن الانبارى هو الخزانة فى جانب البيت وهو من خدع اذا توارى واستتر وانخدعه انخداعا أخفاه فمن ضم ميم مخدع فهو من أخدع ومن فتح فهو من خدع وخدع الضب فى جحره خدعا دخله خوفا من صائده (الغسول) الاشنان وهو انقاوة ويقال أيضا الغاسول وكل ما غسلت به ثوبك أو رأسك فهو غسل وغسول (يروق) يعجب و(الطرف) العين و(ينقى) ينظف و(البشرة) ظاهر الجلد و(النكهة) رائحة الفم ونكهت الرجل أنكهه وأنكهه والفتح أقل واستنكهته كله شممت فاه قال الشاعر

نكهت مجالدا فشممت منه * كريح الكلب مات حديث عهد

و(اللثة) اللحم على الاسنان (لطيف الظرف) نقى الوعاء (أريج العرف) عطر الرائحة والارج فوح الطيب وأرج المسك فاح (فتى الدق) طرى الكسر (ناعم) حسن قد بولغ فى سحقه يريد انه فى الحال الذى يسحق يستعمل (الناشق) الشام (والذرور والكافور) من أنواع الطيب والذرور هو المعروف بالذريرة والذرور أيضا غبار يذرّ فى العين وكله مأخوذ من الذر وهو التفرق لان أجزاءه تفرقت عند سحقه وفعله ذرّ واسمه ذرور والكافور مأخوذ من الكفر وهو التغطية فلشدة فوحه وحدته يستر رائحة غيره من الطيب و(اللامس) الذى يمسه بيده (الخلالة) عويد رقيق يخرج به الطعام من خلل الاسنان (انيقة الشكل) معجبة الهيئة وشكل الشئ هيئته التى هو عليها و(مدعاة) داعية والهاء للمبالغة (نحافة الصب) رقة العاشق و(العضب) السيف القاطع (آلة) عدة وأداة

ثم قال انهض الى المخدع فأتنى بغسول يروق الطرف ينقى الكف وينعم البشرة ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوى المعدة وليكن نظيف الظرف أريج العرف فتى الدق ناعم السحق يحسبه اللامس ذرورا ويخاله الناشق كافورا واقرن به خلالة نقية الاصل محبوبة الوصل أنيقة الشكل مدعاة الى الاكل

يريد انها محددة مصقولة مثل آلة الحرب ويروى آلة بالتشديد وهى الحربة (لدونة) لين (نحافة الصب) ليس هو تشبيها حقيقيا وانما أراد انها أخذت من العاشق نحافته ومن العضب صقالته ومن الغصن لدونته ولو شبه الخلالة فى الرقة بالعاشق ونحوله لكان جائزا وكان من التشبيه المقلوب وكلاهما بديع فى بابه والخلالة التى ذكر أصلها نبات لشجير فى الصيف وتطلع له رؤس يكون فى الواحد منها عدة من قضبان رقاق فيمسك الرجل منها فى جيبه وأينما أكل طعاما نزع منها قضيبا فتخلل به ويعرف هذا النبات عندنا بالبستينج فيحتمل أن يكون هذا بعينه هو الذى عندهم فى المشرق والافصح فته التى وصفت موجودة فى لبستينج من الرقة والصفاء واللين والحدة وجاء فى الحديث النهى عن التخلل بعود الآس والرمان والقصب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نقوا أفواهكم بالخلال فانها مسكن الملكين الكاتبين الحافظين وان قلمهما اللسان ومدادهما الريق وليس عليهما شئ أشد من فضول الطعام * أبو أيوب قال صلى الله عليه وسلم حبذا المتخللون فى الوضوء والطعام * أبو هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم من أكل فليتخلل فما تخلل فليلفظ وما لاك بلسانه فليبتلع والخلالة اذا بلغت من رقتها أن تقع بين الاسنان فالعاشق اذا بلغ الغاية فى النحول هو الذى يشبه بها كما قال فى التاسعة فى وصف الصبى الهزيل من الجوع ولى منه سلالة كأنها خلالة وأخذه من قول ديك الجن

ارحم اليوم ذلتى وخضوعى * فلقد صرت ناحلا كالخلال

وقال أبو الطيب روح ترددى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

فذكر أن ثوبه على بدن لم يتبين للناظر والتشبيه المقلوب عندهم شئ مستظرف ومذهب مستحسن كما قال ذو الرمة ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقد جللته المظلمات الحنادس

فقلب التشبيه لان العادة أن تشبه الاعجاز بكثبان الرمل كما قال الآخر

* مثل قضيب تحته كثيب * وكما قال الآخر

وبيض نضيرات الوجوه كأنما * تأزرن دون الازر رملات عالج

وأخذه وجوّد الصنعة حبيب حيث قال

كم أحرزت قضب الهندى مصلتة * تهتز من قضب تهتز من كثب

علق قوله من قضب تهتز بأحرزت يلح لك بديع صنعته بسرعة فانه أراد كم أحرزت قضب الهند وهى السيوف اذا أصلتت من أغمادها وهزت من قضب أى قدود نساء تهتز من كثب أى أكفال شبه أكداس رمال وما أعذب وأظرف قول البحترى

أين الغزال المستعير من النقا * كفلا ومن نور الاقاحى مبسما

فهذا هو الذى جرت به العادة فى التشبيه فقلب ذو الرمة العرف والعادة فشبه كثبان النقا بأكفال النساء وتبعه خالد الكاتب وغيره حدث جحظة قال حدثنى خالد الكاتب قال جاءنى يوما رسول ابراهيم ابن المهدى فسرت اليه فرأيت رجلا اسود على فرش قد غاص فيها فاستجلسنى وقال أنشدنى من شعرك فأنشدته رأت منه عينى منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنير على الارض

عشية حيانى بورد كأنه * خدود أضيفت بعضهن الى بعض

وناولنى كأسا كأن حبابها * دموعى لما صد عن مقلتى غمضى

وراح وفعل الراح فى حركاته * كفعل نسيم الريح فى الغصن الغض

فزحف حتى صار فى ثلثى الفراش وقال يا فتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود فزدنى فأنشدته عاتبت نفسى فى هوا * ك فلم أجدها تقبل

وأطعت داعيها اليـ * ـك ولم أطع من يعذل

لها بنحافة الصب وصقالة العضب وآلة الحرب ولدونة الغصن الرطب

لا والذى جعل الوجو * ه لحسن وجهك مثل
لا قلت ان الصبر عنـ * ـك من التصابى أجمل

فزحف حتى انحدر من الفراش ثم قال زدنى فأنشدته

عش فحبك سريعا قاتلى * والضنا ان لم تصلنى واصلى
فانا بين اكتئاب وضنا * تركانى كالقضيب الذابل
فبكى العاذل لى من رحمة * فبكائى لبكاء العاذل

فاستخف طربا ثم قال يا مليق كم معك لنفقتنا قال ثمانية وخمسون دينارا قال اقسمها بينى و بين خالد فدفع الى نصفها وقد سبق الى قوله كأنه خدود قال المفضل دخلت على الرشيد و بين يديه طبق ورد وعنده جارية مليحة شاعرة أديبة قد أهديت اليه فقال يا مفضل قل فى هذا الورد شيأ تشبهه به فأنشأت أقول

كأنه خد معشوق يقبله * فم الحبيب وقد أبقى به خجلا

وقالت الجارية
كأنه لون خدى حين تدفعنى * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال يا مفضل قم فاخرج فان هذه الماجنة قد هيجتنا فقمت وأرخيت الستور ولقد أحسن ابن الرقاق فى قوله

ورياض من الشقائق أضحت * تتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها * زاهرت تروق لون الراح
قلت ماذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال البحترى
فى طلعة الشمس شئ من ملاحتها * وللقضيب نصيب من تثنيها

وقال ابن المعتز
سقتنى فى ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيت فى ليلين فى الشعر والدجى * وشمسين من خمر وخد حبيب

وأستطرد الى قلب التشبيه من مبالغة النحول الذى ذكرنا فأقول اذا صار جسم العاشق من النحول يوصف بمثل قول الشاعر

أخلنى الحب فلو زج بى * فى مقلة النائم لم ينتبه
قد كان لى فيما مضى خاتم * والآن لو شئت تمنطقت به

و بمثل قول أبى بكر بن دريد

ان الذى أبقيت من جسمه * يا متلف الصب ولم يشعر
صبابة لو أنها قطرة * تجول فى جفنك لم تقطر

صار جسم الهلال على نحافته أكبر من جسم الصب باضعاف فيقلب التشبيه وكذلك اذا أولع فى وصف الاكفال بالعظم صغرت عندها الكثبان فينقلب التشبيه وقد ترجم ابن جنى فى خصائصه ترجمة فقال هذا باب من غلبة الاصول الفروع ثم أنشد بعض ما أنشدناه وقربها مماثل من العربية حسان تشبيه الباب وللمتقدمين والمتأخرين فى النحول شعر كثير ويستحسن فى ذلك قول المجنون

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر * مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب
ألا انما غادرت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب

أخذه المؤمل فقال
قد صرت من ضعفى الى حالة * تجرى لها آماق حسادى
يكاد جسمى من نحول الضنا * تحمله أنفاس عوادى

وزاد خالد الكاتب فجعله لا يدرك الا بالوهم فقال

يا من تجاهل عما كان يعمله * عمدا و باح بسر كان يكتمه
غدا خليلك نضوا لا حراك به * لم يبق من جسمه الا توهمه

فزاد ابن المعتز وجعله يخفى على الموت فقال

مسهدخانه التفريق فى أمله * أضناه سيده ظلما بر تحله
فدق حتى لوان الدهر قادله * حتفا لما أبصرته مقلتا أجله

فاعدمه المتنبى واستريح منه فقال

أراك حسبت السلك جسمى فعقته * عليك بدر من لقاء الترائب
ولو قلم ألقيت فى شق رأسه * من السقم ما غيرت من خط كاتب

(قوله أدرأ) أى أزيل (الغمر) الوداد (أهم) أظن ويذهب وهمى (تظنيت) حسبت وأبدل احدى نونى ظن ياء تخفيفا للتضعيف (مضر) هزأ (الملتمس) المطلوب (الجو) هنا داخل البيت (أجفلا) هربا وأسرعا (قوله استشطت) اشتد غضبى (مكره) خداعه (أوغلت) بالغت وباعدت (قس) غمس (عرج به) طلع به (عنان) بفتح العين سحاب والعنانة السحابة وأعنت السماء صار لها عنان والله الموفق للصواب

﴿شرح المقامة الثامنة وهى المعرية﴾

(معرة النعمان) هى بلدة بالشأم والنعمان اسم جبل مطل عليها والمعرة اسم البلدة فأضيفت اليه ولها سبعة أبواب وعلى جبل منها دير سمعان فيه قبر عمر بن عبد العزيز وقبر شيث بن آدم عند باب شيث منها وداخلها قبر يوشع بن نون وله يوم حفيل فى كل عام والى المعرة ينسب الشاعر المعرى قال شيخنا ابن جبير انه خرج من قنسرين يريد حمص قال فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المعرة وهى سوادكلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهى من أخصب البلاد وأكثرها أرزاقا ووراءها جبل لبنان وهو سامى الارتفاع ممتد الطول متصل من البحر الى البحر وفى سفح الجبل حصون للملحدة الاسماعيلية فرقة مرقت من الاسلام وادعت الالهية قيض لهم شيطان يعرف بسنان خدعهم بأباطيل وخيالات موه عليهم باستعمالها وسحرهم بمحالها فاتخذوه الها يعبدونه ويبذلون الانفس دونه وحصلوا من طاعته بحيث يأمر أحدهم بالتردى من شاهق جبل فيتردى المأمور والله يضل من يشاء (قوله الاطيبان) أى الاكل والنكاح أى هو شيخ مسن وقيل الاطيبان النوم والنكاح وقيل طيب النكاح وطيب النكهة * أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم الاطيبان التمر واللبن وسئل شيخ مسن من العرب عن حاله فقال ذهب منى الاطيبان السير والاثر وبقى الارطبان الضراط والسعال و(البان) شجر تشبه بقضبانه القدود الناعمة (المتقاضى) أى المتحاكم اليه الذى يطلب من الحاكم قضاءه وعونه على خصمه وهذا الغرض الذى ذكره ضرب من الالغاز لانه مشى كلامه فى وصف جارية وغلام وقد ضمن الكلام وصف ابرة ومرود (مملوكة) يعنى الابرة جعلها مملوكة لانها مما يتمول (رشيقة القد) معتدلة القامة (أسيلة) ملساء خدّ الابرة شق فيه ثقبها وأصل الخد شق مستطيل فى الارض والاسالة ملاسة مع طول (صبور على الكد) أى صابرة على المشقة والتعب وفعول بمعنى فاعل يمتنع من الحاق الهاء به اذا وقع صفة لمؤنث قال عنترة

انى امرؤ سمح الخليقة ماجد * لا أتبع النفس اللجوج هواها

ومنه امرأة شكور وصبور ولجوج ولحن أبو محمد خواص العراق بقولهم شكورة ولجوجة وصبورة وقال ان هذه التاء انما تدخل فى فعول اذا كانت بمعنى مفعول نحو ناقة ركوبة وشاة حلوبة قال وذكر النحويون فى امتناع الهاء من فعول بمعنى فاعل للمؤنث عللا أجودها أن الصفات الموضوعة للمبالغة نقلت عن بابها لتدل على المعنى الذى تخصصت به فأسقطت الهاء من صبور وقناة معطار ونظائره كما ألحقت بصفة المذكر فى رجل علامة ونسابة لتدل على تحقيق المبالغة وتؤذن بحدوث معنى زائد فى الصفة وامتناع الهاء المذكورة أصل مطرد الا عدوة فانهم ألحقوه بصديقة والشئ فى أصول

قال فنهضت فيما أمر لا درأ عنه الغمر ولم أهم الى أنه قصد أن يخدع بادخالى المخدع ولا تظنيت أنه سخر من الرسول فى استدعا الخلالة والغسول فلما عدت بالملتمس فى أقرب من رجع النفس وجدت الجو قد خلا والشيخ والشيخة قد أجفلا فاستشطت من مكره غضبا وأوغلت فى اثره طلبا فكان كمن قس فى الماء أو عرج به الى عنان السماء

﴿المقامة الثامنة المعرية﴾

(أخبر الحرث بن همام) قال رأيت من أعاجيب الزمان أن تقدم خصمان الى قاضى معرة النعمان أحدهما قد ذهب منه الاطيبان والآخر كأنه قضيب البان فقال الشيخ أيد الله القاضى كما أيد به المتقاضى انه كانت لى مملوكة رشيقة القد أسيلة الخد صبور على الكد

العربية يحمل على ضدّه ونقيضه كما يحمل على نظيره ورسيله (تخب) تثب فى الثوب بسرعة (النهد) الفرس الضخم (أطوارا) احيانا ومهدها مئبر الخائط الذى يمسك فيه ابرته (تموز) أحد الشهور وهو يوليه و(البرد) أن يبردها الحدّاد بالمبرد ليقوّمها و يعدّلها فالبرد هنا فعل صانعها قال ابن ظفر ذهب بالبرد الى ماطبع عليه الحديد من البرد فى القيظ (قوله ذات عقل وعنان) أراد بالعنان الخيط لانها ترسل فى الخياطة والعقل شدّها بالخيط حين تمسك فى الثوب (سنان) طرفها المسنون أى المحدّد (كف بنان) الكف والتضريب شيآن معروفان فى الخياطة فيريد ان الخائط يقلب التضريب بأصابعه وهى البنان و يكفه بالابرة (فم) يريد ثقب الابرة (تلدغ) تضرب الاصبع و(اللسان النضناض) للحية والنضنضة قيل هى صوت الحية وقيل حركة لسانها وانما اختلف فيها لان الحية اذا ضيق عليها فتحت فاها وصفرت وحركت لسانها فيقال نضنضت وشبه طرف الابرة بلسان الحية لكثرة حركته فى الثوب وما أحسن قول الشاعر فى تشبيه لسان الافعى بنور السراج

وقنديل كأن النور منه * محيا من أحب اذا تجلى

أشار على الدجى بلسان أفعى * فشمر ذيله فرقا وولى

وقال ابن الصباغ الصقلى فى شمعة

يطعن صدر الدجى بعالية * صنوبرى لسان كوكبها

حكية باللسان لاحسة * ما أدركت من سواد غيهبها

وللبيتين الاولين حكاية مستظرفة حدّثنى بها غير واحد من الطلبة أردت ترك ذكرها الامرين لشهرتها ولانى وجدت البيتين مثبتين فى بعض النسخ من القلائد لاحد رجالها ثم عزم علىّ بعض الادباء أن أذكرها فذكرت على اختصار فائدتها وذلك ان الشاعر المعروف بالبكى الهجاء دخل عليه فى ليلة ماطرة ذات رعد وبرق فى بيت فندق دواب شخص فى الظلام لا يعرفه وعلى البكى بقية من سلهامة خلقة لا يوارية غيرها وعلى الثانى بقية من قيص قد اسود من طول البلى وكثرة الاوساخ حتى لا يعرف رائيه من أى ثوب هو وقد بلل كل واحد منهما المطر وهما فى بلاء من الفقر والجوع والبرد فرق لهما خادم الفندق فدخل عليهما بقنديل فعندما نظر كل واحد منهما صاحبه تأسى به ورأى أنه قد وجد لنفسه نظيرا فى الشقاء فقال البكى لجليسه أى شئ أنت فقال شاعر وشؤم الادب بلغ بى ما ترى قال فأجز فقال * وقنديل كأن النور منه * فقال الآخر * محيا من أحب اذا تجلى * فقال البكى * أشار على الدجى بلسان أفعى * فقال الآخر * فشمر ذيله فرقا وولى * فقال له البكى وقد أعجب به بمن تعرف فقال بعنق البرة قال له وأنا البكى فجعلا يتناظران بقية ليلتهما فى أيهما أكثر حرمانا حتى أصبحا وكانا بتلمسان فقال عنق البرة للبكى هلم لنقترع أينا يقيم هنا وأينا يرتحل فانا ان بقينا فى موضع واحد أدرك الناس من شؤمنا ما يؤدى بهم الى الهلاك فاقترعا فخرجت قرعة البكى بالرحيل فارتحل ونزل بفاس فحل باهلها من بلائه ما قد شهر ولمن كان البيتان فلقد أجاد وأحسن ماشاء (قوله ترفل فى ذيل فضفاض) أى تمشى فى خيط طويل (تجلى فى سواد وبياض) أى تبرز فى خيط أسود لخياطة السواد وأبيض لخياطة البياض (تسق) أراد سقى الحداد لها اذا أخرجها من النار ألقاها فى الماء لتصلب (ناصحة) خائطة والنصاح الخيط ونصحت الثوب خطته (خدعة) تخدع الخائط كثيرا فتخيط وجه الثوب الاعلى وتترك الاسفل والهاء فى هذه الصفات للمبالغة (خبأة طلعة) يصف حالها فى الخياطة حين تختبئ فى الثوب ثم تطلع فى يد الخائط (مطبوعة) أى مصنوعة لينتفع بها (مطواعة فى الضيق والسعة) يريد اذا دفعتها فى الثوب دخلت فيه سواء اتسع موضع دخولها أو ضاق (اذا قطعت وصلت) يريد اذا قطعت الثوب وفصلته ألفته (فصلتها عنك) نحيتها وجعلتها فى مئبرها (خدمتك) أى صرفتها فيما تحتاج من خياطة ثيابك

تخب أحيانا كالنهد
وترقد أطوارا فى المهد
وتجسد فى تموز مس البرد
ذات عقل وعنان وحد
وسنان وكف بنان
وفم بلا أسنان تلدغ
بلسان نضناض وترفل
فى ذيل فضفاض وتجلى فى
سواد وبياض وتسقى
ولكن من غير حياض
ناصحة خدعة خبأة طلعة
مطبوعة على المنفعة
ومطواعة فى الضيق
والسعة اذا قطعت وصلت
ومتى فصلتها عنك انفصلت
وطالما خدمتك

نجملت وربما جنت عليك فآلمت ومللت وان هذا الفتى استخدمنيها لغرض فأخدمته اياها بلا عوض على أن يجتنى نفعها ولا يكلفها الا وسعها فأولج فيها متاعه وأطال بها استمتاعه ثم أعادها الىّ وقد أفضاها وبذل عنها قيمة لا أرضاها فقال الحدث أما الشيخ فأصدق من القطا وأما الافضاء ففرط عن خطا وقد رهنته عن أرش ما أوهنته مملوكا لى متناسب الطرفين منتسبا الى القين نقيا من الدرن والشين يقارن محله سواد العين يفشى الاحسان ويشى الاستحسان ويغذى الانسان ويتحامى اللسان ان سوّد جاد أو وسم أجاد واذا زوّد وهب الزاد ومتى استزيد زاد لا يستقر بمغنى وقلما ينكح الامثنى يسخو بموجوده ويسمو عند جوده وينقاد مع قرينته وان لم تكن من طينته ويستمتع بزينته وان لم يطمع فى لينته فقال لهما القاضى اما أن تبينا والا فبينا فابتدر الغلام وقال

أعارنى ابرة لأرفو أطما

(جلت) ألفت قطع الثوب (جنت عليك فآلمت) أى ضربتك فأوجعتك وصيرتك ذا ألم (مللت) أى جعلتك متقلبا لشدة الوجع (قوله استخدمنيها) أى طلب منى خدمتها (لغرض) حاجة وأصل الغرض ماقصدته سهام الرامى ثم سميت الحاجة غرضا لانها قصدت بالرغبة فيها (وسعها) طاقتها وقدر ماتحتمل مما تكلف (أولج فيها متاعه) أى أدخل فيها خيطه (أفضاها) خرق عينها وفى المرأة خلط مسلكيها من أفضيت الى الشئ وصلت الى متسعه ومنه القوم فوضى أى متسعون مختلطون (بذل) أعطى (القطا) طائر يصيح قطا قطا فسمى بصياحه وبما يفهم من صوته ولذلك تسميه العرب الصدوق ويقال أنسب من قطاة لانها اذا صاحت عرفت وقال الشاعر

تدعو القطا وبه تدعى اذا انتسبت * ياصدقها حين تدعوها فتنتسب

حمراء مقبلة سكاء مدبرة * للماء فى النحر منها نوطة عجب

(وقال الكميت)

لا تكذب القول ان قالت قطا صدقت * اذ كل ذى نسبة لابد ينتحل

وقال أبو وجزة مازلن ينسبن وهنا كل صادقة * باتت تباشر عرما غير أزواج

يريد أن الحمير وردت الماء ليلا فأثارت القطا عن أفاحيصه فصاحت قطا قطا فذلك انتسابه وجعلها صادقة لصياحها قطا والعرم بيضها لان فيها سوادا وبياضا وبيض القطا افراد ثلاثة أو خمسة قال مزاحم العقيلى فى القطا وفراخها

فلما دعته بالقطاة أجابها * بمثل الذى قالت له لم يبدّل

وقال المعرى عرفت جدودك اذ نطقت وطالما * لفظ القطا فأبان عن أنسابها

وقال الاصمعى القطا لا تصيح الا اذا رأت الماء فاذا عدم الماء وسمعت العرب صياح القطا فرحوا به وعرفوا قرب الماء من بعده وقيل سمى قطا لثقل مشيه يقال قطا الرجل يقطو اذا ثقل مشيه (قوله فرط) أى سبق (عن خطا) أى عن غير تعمد (رهنته) أعطيته رهنا وأرهنتك أعطيتك ما ترهنه و(الارش) قيمة العيب أى دية الجرح مأخوذ من أرش بين القوم لان الارش يختصم فى قدره (أوهنته) أفسدته ووهن الشئ يوهن ويهن ضعف وأوهنته أنا اذا أضعفته (مملوكا) يعنى المرود (متناسب الطرفين) أى هذا الطرف مثل هذا الطرف تكتحل بأيهما شئت (القين) الحداد الذى صنعه (الدرن) وسخ الحديد والشين العيب أى هو مصقول معتدل ليس فيه اعوجاج ولا عيب (يقارن محله سواد العين) أى عند التكحل به (يفشى) يحدث ويظهر * واحسان الكحل فى العين لا يخفى (يشى الاستحسان) أى يشئ لناظر العين استحسان الكحل فى العين و(الانسان) انسان العين يغذيه بالكحل والانسان السواد الذى فى وسط العين اذا رأيته رأيت فيه شخصا والشخص هو الانسان فسمى السواد به (يتحامى) يبعد عنه يريد انه يكحل العين ولا يقرب من الفم (قوله سوّد) أى جعل فيه الكحل (جاد) أعطاه العين (وسم) العين بالكحل (أجاد) عمله فيها (قلما ينكح الامثنى) أى لا ينكح عينا واحدة فى الغالب وقد نظم هذا النثر فى الثانية والاربعين (جوده) أى يجود بكحله للعين (ويسمو) يطلع للعين ويجعل له الكحل غذاء لانه يأخذ ويرتفع به للعين (قرينته) مكحلته (من طينته) من جنسه (زينته) تزيينه للعين (يطمع فى لينته) أى لا يطمع أن يكون الحديد لينا وكل لفظة فسربها المرود والابرة لها لفظ فى ظاهرها غير ما فسرت به (تبينا) توضحا وتفسرا حديثكما المبهم الملغز (فبينا) ابعدا وارتفعا (قوله أرفو) أى أخيط ويروى لأرفأ يقال رفأت الثوب ارفؤه ورفوته أرفوه والرفو من أدق أنواع الخياطة وهو نسج الخرق فى الثوب حتى يعود كأنه لم يكن فيه خرق وقال ابن القابلة السبتى فى غلام رفاء

يارافيا قطع كل ثوب * ويارشا حبه اعتمادى

عسى بخيط الوصال ترفو * ماقطع الهجر من فؤادى

﴿وقال الحلواني في خياط﴾

رب خياط فتنت به * فتنة أوهت قوى جلدي
لاعب بالخيط يفتله * أتراه ظنه جسدي
ليت أني كنت فأري * بسين ذاك الدر والسبرد
فعلت بالثوب ابرته * فعل سهم الشوق في خلدي
وجرى المقراض في يده * جري عينيه على كبدي

ومن مجون أبي نواس انه كان يؤاكل اسمعيل بن أبي سهل فعرضت له على مائدة رقاقة في جانبها خرق قد ضم فمها باحدى يديه ونقرها بالاخرى فانفرجت وقال وهو يضحك أخبز كم هو فوه فلما خرج قال

خبز اسمعيل كالوشى اذا ما انشق يرفا
عجبا من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
ان رفاءك هذا * ألطف الامة كفا
فاذا قابل بالنصف من الخبزة نصفا
ألطف الصنعة حتى * لا ترى مغرزا شق
مثل ماجاء من التنور ماغادر حرفا

و(الاطمار) الثياب الخلقة واحدها طمر (عفاها البلى) غيرها القدم ودرسها (وسودها) بالاوساخ حتى صارت في طبع الثوب فتى غسلت لم تزل ومما قالت الشعراء في الاطمار البالية مما يستحسن قول الحمدوني في طيلسان وهبه له أحمد بن حرب المهلبي

يا ابن حرب أطلت همي برفوي * طيلسانا قد كنت عنه غنيا
فهو في الرفو آل فرعون في العر * ض على النار بكرة وعشيا

وقال أيضا فيه
طيلسان لابن حرب * يتداعى لامساسا
قد طوى قرنا فقرنا * وأناسا فاناسا
لبس الايام حتى * لم تدع فيه لباسا
غاب تحت الحس حتى * لا يرى الا قياسا

وقال فيه أيضا
قل لابن حرب مقالة العاتب * ولست فيما أقول بالكاذب
أما رأيت الرفاء يحزنني * برفوه طيلسانك الذاهب
أفناه جور البلى عليه كما * أفنى الهوى عمر خالد الكاتب

وقال فيه أيضا
ان ابن حرب جاد لي كاسيا * بطيلسان هرم قشعم
انظر الى كثرة تمزيقه * كأنما مرق في مأتم
رفوي له هو ورميم كمن * يبني بناء فوق مستهدم
يصدعه اللحظ باعماضه * صدع فؤاد العاشق المغرم
يذكرني كثرة تمزيقه * تفرق الناس عن الموسم

وقال فيه أيضا
يا ابن حرب كسوتني طيلسانا * مل من صحبة الزمان وصدا
طال ترداده الى الرفو حتى * لو بعثناه وحده لتهدى
فحسبنا نسج العناكب قد جشـ * ـن الى ضعف طيلسانك شدا

وقال أيضا فيه
يا قاتل الله ابن حرب لقد * أطال اتعابي على عمد
بطيلسان خلت ان البلى * يطلبه بالوتر والحقد
أجد في رفوي له والبلى * يلهو به في الهزل والجد

را عفاها البلى وسودها

ان أتهم الرافى فى رفوه * مضى به التمزيق فى نجد
غنيته لما مضى راحلا * تركتنى ياواحدى وحدى

والحمدونى هو اسمعيل بن ابراهيم بن حمدويه نسب الى جده وهو من أهل ميسان وكان حلو التصرف مليح الافتنان وهو القائل

من كان فى الدنيا له شارة * فنحن من نظارة الدنا
نلحظها من كسب حسرة * كاننا لفظ بلا معنى

(وقال ابن الرومى فى طيلسانه)

ولى طيلسان ناحل غير انه * ثبوت لهبات الرياح الزعازع
* وماذاك الا انه متهتك * يخلى سبيل الريح غير منازع
أراه لضوء الشمس بالعين رؤية * ويمنعنى من لمسه بالاصابع
شكا ثقل اسم الطيلسان لضعفه * فسميته ساجا فهل ذاك نافعى

(وقال ابن سارة فى فروة)

أودت بذات يدى فروة أرنب * كفؤاد عروة فى الضنا والرقة
يتجشم الرفاء فى ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
لو أن ما أنفقت فى ترقيعها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت باسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

وله فيها أيضا

لى فروة وصفى لجانحتى بها * يأتيك بين مقرط ومشنف
عطلت كتب أبى عبيد بالذى * ألفت فيها من غريب مصنف
بسطوعلى الغرم فى ترقيعها * سطو الغرام على فؤاد المدنف
فأنا وفروى خوف تمزيقى لها * أحكى معاوية لجنب الاحنف

وله فى طيلسانه

وطيلسان هرم يحتمى * عليه أكل الخل والبقل
كان كسى اذا انضمنا * عليه خوف الريح فى غل

(ولبعض أصحابه فيه)

على منكب ابن على سهل * تقطعه لحظات المقل
اذا غيم الجو أبصرته * رهين الذبول بكف البلل
نسوا طيلسان ابن حرب به * وصاروا به يضربون المثل

وله فى غفارته

لاحمد بن على * غفارة كالسراب
ان هب أدنى نسيم * تمر مر السحاب

فانخرمت فى يدى على خطا منى لما جذبت مقودها
فلم يرالشيخ أن يسامحنى بأرشها اذ رأى تأودها
بل قال هات ارة تماثلها أوقيمة بعدان تجودها
واعتاق ميلى رهنا لديه وناهيك بها سبة تزودها
فالعين مرهى لرهنه ويدى تقصر عن أن تفك مرودها
فاسبر بذا الشرح غور مسكنتى وارث لمن لم يكن تعودها
فأقبل القاضى على الشيخ وقال ايه بغير تمويه فقال أقسمت بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين

والشعر فى هذا الباب كثير (قوله انخرمت) أى انكسرت (مقودها) خيطها (تأودها) انكسارها وأصله الاعوجاج (اعتاق ميلى) حبس مرودى (ناهيك) كافيك ومعناه المبالغة كانه بلغ النهاية فى العيب الذى فعل (سبة) عيب يسب به (مرهى) خالية من الكحل وقدمره الرجل مرها اذا لم يتعهد الكحل والمرهى من النساء البيضاء البينة الزرق الذى يختص الكحل فى زرقها (اسبر) قس (غور) غاية وقدر (ارث) ارحم وتوجع (ايه) كلمة يستزاد بها الحديث (والتمويه) الكذب وهو فى الحديث كالتعمية وقد موه عليه اذا خيل له انه على شئ وهو على ضده وأصل التمويه الصقل كان على ألفاظه المموهة صقالة وهو من لفظ الماء (المشعر) المزدلفة وهو جمع سمى مشعرا لانه من علامات الحج وكل علامات الحج مشاعر والمشعر والمنسك موضع ذبح الهدى بمكة المفضل سمى مشعرا لانه أشعر أنه حرام كالبيت (الناسكين) الحجاج الذين يشعرون الهدى وما ينحر نسك ونسك ينسك منسكا ونسكا

ونسكا

خيف منى لوساعفتنى الايام لم يرق * مرتهنا ميله الذى رهنا ولا تصديت أبتغى بدلا * من ابرة غالها ولاثمنا

لكن قوس الخطوب ترشقنى
بعصميات من ههنا وهنا
وخبر حالى تخبر حالته
ضرا و بؤسا وغربة وضنا
قد عدل الدهر بيننا فانا
نظيره فى الشقاء وهو أنا
لاهو يسطيع فك مرهونه
لما غدا فى يدى مرتهنا
ولا مجالى لضيق ذات يدى
فيه اتساع للعفو حين جنى
فهذه قصتى وقصته
فانظر الينا وبيننا ولنا
فلما وعى القاضى قصصهما
وتبين خصاصتهما
وتخصصهما أبرز لهما
دينارا من تحت مصلاه
وقال لهما اقطعا به الخصام
وافصلاه فتلقفه الشيخ
دون الحدث واستخلصه
على وجه الجد لا العبث
وقال للحدث نصفه لى
بسهم مبرتى وسهمك لى
عن أرش ابرتى ولست
عن الحق أميل فقم وخذ
الميل فعرا الحدث لما
حدث اكتئاب واكفهر
على سمائه سحاب وجم
له القاضى وهيج أسفه على
الدينار الماضى الا أنه جبر
بال الفتى وبلباله بدريهمات
رضخ بها له وقال لهما
اجتنبا المعاملات وادرآ
المخاصمات ولا تحضرانى
فى المحاكمات فما عندى
كيس الغرامات فنهضا من
عنده فرحين برفده
مفصحين بحمده والقاضى
ما يخبو ضجره مذ بض
حجره ولا ينصل كمده مذ رشح من جلده حتى اذا أفاق

ونسكا اذا ذبح النسك وأصلها ذبائح الجاهلية ثم سميت الاضاحى والهدى بمكة نسكا بها والناسك أيضا الزاهد (خيف) موضع بمنى (قوله ساعفتنى) ساعدتنى (تصديت) تعرضت (غالها) أهلكها (الخطوب) الامور الشداد (ترشقنى) تصيبنى (بعصميات) بسهام قاتلة (بؤس) شدة حال (ضنا) ضعف ومرض (وهو أنا) أى هو مثلى فى ضيق الحال (مجالى) موضع تصرفى (ذات يدى) مالى وذات اليد ما يملك (العفو) الغفران (جنى) أذنب (قصتى) حديثى يقول فانظر الينا بعين الشفقة والرحمة وأصلح بيننا بما نتصرف به شاكرين لك وهب لنا ما نأتى به عليك وجعل انظر عاملا فى الجميع لان من وجوه النظر الاصلاح بينهم والتكرم عليهم (قصصهما) أى حديثهما وهو جمع قصة (خصاصتهما) فقرهما (تخصصهما) رفعتهما وانقباضهما وقد تخصص الرجل اذا انقبض عن العامة وتشبه بالخاصة (أبرز) أخرج (مصلاه) بساطه الذى يصلى عليه (افصلاه) اقطعاه وأزيلاه (استخلصه) حازه لنفسه خالصا (الجد) التحقيق (العبث) الهزل (سهم) نصيب (مبرتى) اكرامى الذى وصلنى به القاضى (أميل) أخرج وأعدل عنه (عرا) قصد ونزل به (حدث) ظهر (اكتئاب) حزن وهم (وجم) غضب والوجوم السكوت على غضب (هيج) حرك (أسفه) حزنه (باله) فكره (بلباله) حزنه ووسواسه (رضخ) كثر العطاء (اجتنبا) باعدا (المعاملات) المعاوضات والعوارى (ادرآ) ادفعا (كيس) وعاء الدراهم (رفده) عطاؤه (يخبو ضجره) يسكن غضبه (بض حجره) رشحت كفه قال الاخطل

كف اليدين من العطية ممسك * ما ان تبض صفاته ببلال

(ينصل كمده) يزول حزنه و (الجلد) الصخر الصلب كنى به عن كفه وأنه بخيل ويد البخيل تشبه بالحجر وقال جرير

كأنما خلقت كفاه من حجر * فليس بين يديه والندى عمل
يرى التيمم فى بر وفى بحر * مخافة أن يرى فى كفه بلل

(وقال ابن عبد ربه)

يراعه غرنى منها وميض سنا * حتى مددت اليه الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنما صيغ من لؤم ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

أين هذه الاكف من التى ذكرها جبيهة بن المضرب حين قال

أناس اذا ما الدهر أظلم وجهه * فأيديهم بيض وأوجههم غر
يصونون أحسابا ومجدا مؤثلا * ببذل أكف دونها المزن والبحر
فلو لامس الصخر الاصم أكفهم * أفاض ينابيع الندى ذلك الصخر

(وقال أبو الشيص)

ان الامان من الزمان وريبه * يا عقب شط ابحرك الفياض
بحر يلوذ المعتفون بسيله * فعم الجداول مترع الاعراض
لابى محمد المؤمل راحتا * ملك الى أعلى العلا نهاض
فيد تدفق بالغنى لصديقه * ويد على الاعداء سم قاض

وقال أبو تمام

تعود بسط الكف حتى لو انه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله

وقال البحترى

قد قلت للغيث الركام ولج فى * ابراقه وألح فى ارعاده
لا تعرضن لجعفر متشبها * بندى يديه فلست من أنداده
الله شرفه وأعلى ذكره * ورآه غيث بلاده وعباده

(وقال ابن الرومى)

مقبل ظهر الكف وهاب بطنها * لها راحة فيها الحطيم وزمزم
فظاهرها للناس ركن مقبل * وباطنها عين من الجود غيلم

قوله (غشيته) أي ذهاب عقله بان يغمى عليه و(غاشيته) زواره ومن يغشى موضعه (أشرب) دوخل (حسي) ادراكي وفهمي (نبأني) حدثني وأخبرني (حدسي) ظني قال الفراء رحمه الله حدست أحدس اذا قلت في الشئ برأيك * غيره حدست ظننت ظنا بلغت منه غاية الشئ في عدده أو وزنه وأصله من قول العرب بلغت الحداس أي الشئ الذي تطلب غايته و(الدهاء) في الرجل الحذق والتبصر في الاشياء (لاخصما ادعاء) أي ليس بينهما دعاو على الحقيقة فيختصمان فيها (سبرهما) اختبارهما (استنباط) استخراج (نحرير) حاذق (زمرته) جماعته وجعله (شرارة) لنفوذ ذهنه واتقاده ولذلك يسمى نحريرا أي ماهرا بالاشياء كلها كأنه لادراكه وفهمه بالاشياء ينحرها بباطنه الصادق (خبئهما) خفي ما عندهما (قفاهما) أتبعهما (والعون) الشرطي لانه يعين من يتصرف له (مثلا) وقفا يقال مثل الشئ فهو ماثل اذا قام وانتصب واذا لطئ بالارض أو ذهب وهو من الاضداد (سن بكركما) حقيقة خبركما والبكر الفتي من الابل وسنه مبلغ عمره لانه بالسن يعرف كم بلغ من العمر ولفظ المثل صدقني سن بكره وروى البكري عن ابن الاعرابي أن رجلا سام رجلا بكرا على ان يشتريه مسنا فقال البائع هذا جمل بكر له وقال المشتري هذا بكر فقال البائع بل هو مسن فبينما هما يتنازعان اذ نفر البكر فقال صاحبه ليسكن نفاره هدع هدع وهي كلمة من العرب يسكن بها صغار الابل عند نفارها ولا تقال للكبار فقال المشتري عند ذلك صدقني سن بكره (تبعة) شرحت في الصدر (أحجم) تأخر فزعا (أقدم) تقدم متشجعا (استقال) طلب الاقالة (الشبل) ولد الاسد (الخبر) التجربة والخبرة (تعدت) ظلمت والمتعدي الظالم المجاوز الحد في الظلم (مال بنا) أي حطنا (نجتدي) نسأل الناس الجدا وهو العطاء (ندى الراحة) كريم الكف و(جعد الكف) ضده وأراد نسأل كل كريم سهل العطاء وكل لئيم صعبه وأصل الجعودة انقباض الشعر ثم استعيرت لقبض الكف من اللؤم ومثله مغلول اليد أي كان يده محبوسة بغل اللؤم والسائل كأنه يحاول بسطها بالجود فيجدها محبوسة بغل اللؤم وفي الكتاب العزيز ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك فهذا نهي عن البخل ولا تبسطها كل البسط فهذا نهي عن التبذير وقال حبيب في قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الازدي ويذكر الجعودة وهي

يرى الوعد أحدى العار اذ هو لم تكن * مواهبه تأتي مقدمة الوعد
فلو كان ما يعطيه غيثا لأمطرت * سحائبه من غير برق ولا رعد
من القوم جعد أبيض الوجه والندى * وليس بنان يجتدى منه بالجعد

وقال البحتري سنتني عن معاشر لا أسمي * أوليهم الاعداء سبابي
من جعاد الاكف غير جعاد * وغضاب الوجوه غير غضاب
خطر واخطرة الجهام وساروا * في نواحي الظنون سير السحاب

(وقال أيضا في نحوه)

وخلفني الزمان على أناس * وجوههم وأيديهم حديد
لهم حلل حسن فهن بيض * وأخلاق قبحن فهن سود
اناس لو تأملهم لبيد * بكى الخلف الذي يشكى لبيد

(قوله الدد) ضد الجد وهو اللهو واللعب وقال النبي صلى الله عليه وسلم لست من دد ولا الدد مني أي لست من باطل ولا الباطل مني (أجدى) نفع (الحظ) البخت والنصيب (والصدى) العطشان وأراد أن حظه في الدنيا قليل فهو يسعى له ليجلب رزقا يكثر به حظه (تنفد) تتم (أنكد) مشوم وكل ما جلب شرا

فهو

قوله غيلم بالغين المعجمة المفتوحة منبع الماء كما في القاموس اه

غشيته أقبل على غاشيته وقال قد أشرب حسي ونبأني حدسي أنهما صاحبا دهاء لاخصما ادعاء فكيف السبيل الى سبرهما واستنباط سرهما فقال له نحرير زمرته وشرارة جمرته انه لن يتم استخراج خبئهما الا بهما فقفاهما عونا يرجعهما اليه فلما مثلا بين يديه قال لهما اصدقاني سن بكركما ولكما الامان من تبعة مكركما فأحجم الحدث واستقال وأقدم الشيخ وقال

أنا السروجي وهذا ولدي * والشبل في المخبر مثل الاسد
وما تعدت يده ولا يدي * في ابرة يوما ولا في مرود
وانما الدهر المسيء المعتدي * مال بنا حتى غدونا نجتدي
كل ندى الراحة عذب المورد * وكل جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكل مقصد * بالجد آن أجدى وبالدد
لنجلب الرشح الى الحظ الصدى * وننفد العمر بعيش أنكد

فهو أنكد ونكدو (المرصد) الموضع الذى ترتقب فيه من تريد أخذه وقد رصدته رصدا ترقبته (يفاج) يأت على غفلة وأصل فاجا بالهمز فسهله (قوله لله درك) أى ما أحسن كلامك والدر أصله اللبن وكأنه سمى بحكاية صوته عند الحلب ولله أصله القسم ولا تدخل اللام فى القسم الا على اسم الله تعالى والتعجب معها لازم فاذا قال الذى يسمع صوت الحلب لصاحب الناقة لله درك فكأنه قال والله ان درك هذا الكثير ثم استعير للفصيح فى كلامه ولكل من أحسن فى شئ فكأنه قيل ما أحسن ما جئت به وقيل معناه لله اللبن الذى شربته من أمك قال الفراء رحمه الله ربما قالوا در درك ولم يقولوا لله درك وأنشد

درّ درّ الشباب والشعر الاسـ * ـود والضامرات تحت الرجال

(قوله نفثات) أى كلمات (واها) عجبا و (المنذر) المعلم بما يخاف (تماكر) تخادع (سطوة) بطشة (المتحكم) الذى يتحكم بما شاء فيمتثل حكمه (مسيطر) أمير مسلط (يقيل) يغفر الزلة (أوان) وقت (عاهده) حالفه (مشورته) أخذ رأيه (الارتداع) الكف (تلبيس) تخليط (صورته) قصته (فصل) زال (الختر) الخداع (يلمع) يضئ يريد أنه انفصل عنه وعلى وجهه علامة الغدر وان يمينه التى حلف له كاذبة وأول من نظم هذا المعنى فى اليمين الشماخ حين قال

أتتنى تميم قضها بقضيضها * تمسح حولى بالبقيع سبالها

يقولون لى احلف ولست بحالف * أخادعهم عنها لكيما أنالها

ففرجت هم النفس عنى بحلفة * كما شقت الشقراء عنى جلالها

ومن الملح فى اليمين الفاجرة قول ابن الرومى

وانى لذو حلف كاذب * اذا ما اضطررت وفى الحال ضيق

وهل من جناح على معسر * يدافع بالله ما لا يطيق

وقال فيه أيضا

اذا حاث على ضيق ديونى * وباكرنى التجار وخوفونى

دفعتهم بمن لو شاء أدى * حقوقهم اليهم منذ حين

ولدعبل

سألونى اليمين فارتعت عنها * كى يغروا بذلك الارتياع

ثم أرسلتها كمنحدر السيـ * ـل تدلى من المكان اليفاع

﴿وأنشد أبو على﴾

لا شئ يدفع حق خصم شاغب * الا تكلف عبيدة بن سميذع

يمضى اليمين على اليمين لحاجة * مضغ الجموح على اللجام المقدع

فاذا يذكر حلفة أصغى لها * واذا يذكر بالتقى لم يسمع

(قوله تصاريف) أراد التصرف بالجولات فى البلدان و (الاسفار) الاول جمع السفر فى البلاد والثانى جمع سفر وهو الكتاب قال الفراء رحمه الله الاسفار الكتب العظام و (التصانيف) التآليف المنوعة والمصنف الذى فيه أنواع شتى

﴿شرح المقامة التاسعة وهى الاسكندرية﴾

(طما) بك قلبك وهمك طموا وطميا اذ هبا بك وطحا الله الارض ودحاها بسطها * ابن الانبارى طحا قلبه فى الهوى واللهو اذا تطاول وتمادى قال طرفة * طحا بك قلب فى الحسان طروب * (مرح الشباب) نشاط الفتوة (جبت) قطعت ومشيت (فرغانة) مدينة فى أقصى خراسان وكان فيها بيت يسمى هيكل الشمس بناه فارس الملك وخربه المعتصم وبها قتل قتيبة بن مسلم الباهلى أمير خراسان سنة ثلاث وخمسين وبينها وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخا قال اليعقوبى من سمرقند الى أسروشنة خمس مراحل شرقا ومن أسروشنة الى فرغانة مرحلتان ومدينة فرغانة التى ينزلها الملك يقال لها كاسان وهى مدينة جليلة القدر عظيمة الامر وكل هذه المدن مضافة الى عمل سمرقند

والموت من بعد لنا بالمرصد
ان لم يفاج اليوم فاجا فى غد
فقال له القاضى لله درك
فما أعذب نفثات فيك
وواها لك لولا خداع فيك
وانى لك لمن المنذرين
وعليك من الحذرين
فلا تماكر بعدها الحاكمين
واتق سطوة المتحكمين
فما كل مسيطر يقيل ولا
كل أوان يسمع القيل
فعاهده الشيخ على اتباع
مشورته والارتداع عن
تلبيس صورته وفصل عن
جهته والختر يلمع من جبهته
(قال الحرث بن همام) فلم
أر أعجب منها فى تصاريف
الاسفار ولا قرأت مثلها
فى تصانيف الاسفار

(المقامة التاسعة الاسكندرية)

(قال الحرث بن همام)
طحا بى مرح الشباب
وهوى الاكتساب الى
أن جبت ما بين فرغانة

وكان أنوشروان بنى فرغانة ونقل اليها من كل بيت قوما وسماها ازهرخانه أى من كل بيت (وغانه) بلد من بلاد السودان واليها ينتهى التجار والمدخل اليها من سجلماسة ومن سجلماسة اليها مسافة ثلاثة أشهر ومن غانة الى سجلماسة شهر ونصف ودون ذلك وسبب ذلك أن الرفاق تتجهز اليها من سجلماسة بالامتاع والاثقال فتباع فى غانة بالتبر فن سافروا اليها بثلاثين جملا يرجع منها بثلاثة أجمال أو بجملين واحد لركوبهم وثان للماء بسبب المفازة التى فى طريقها حدثنى غير واحد من تجارها أنهم يقطعون المفازة فى ستة عشر يوما لا يرون فيها ماء الا على ظهور الابل فأثمان أجمال الثلاثين جملا يجتمع فيها من التبر ما يجعل فى حزودوا حد فيطوون المراحل للخفة وغانة بلد مملكة السودان وانتشر الاسلام فى أهلها وبها مدارس للعلم وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والامن وكثرة المتاجر فيشترون بها خدما للتسرى ويقيمون بها عند أميرها فى غاية الكرامة والخدم فيها قد جعل الله فيهن من الخصال الكريمة فى خلقهن وخلقهن فوق المراد من ملاسة الابدان وتفتق السواد وحسن العينين واعتدال الانوف وبياض الاسنان وطيب الروائح وكان ابن الرومى وصف واحدة منهن بقوله

تذكرك المسك والغوالى والـ ـشذوات النسيم والعبق
ليست من العبس الاكف ولا الـ ـفلح الشفاه الخبائث العرق
أكسبها الحب أنها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق
يفتر ذاك السواد عن يقق * من ثغرها كاللآلئ النسق
كأنها والمزاح يضحكها * ليل تعرى دجاه عن فلق
* لها حر يستعير وقدته * من قلب صب وصدر ذى حنق
يزداد ضيقا على المراس كما * تزداد ضيقا أنشوطة الوهق
غصن من الآبنوس ركب فى * مؤزر مجب ومنتطق

(وقال الشريف الرضى)

أحبك يالون السواد فاننى * رأيتك فى العينين والقلب توأما
وما كان سهم العين لولا سوادها * ليبلغ حبات القلوب اذا رمى
اذا كنت تهوى الظبى ألمى فلا تلم * جنونى على الظبى الذى كله لمى

(وقال ابن مسلمة)

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مشغوف على من * يراها كلها فى العين خالا

وله أيضا

لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

ولابن رباح

وسوداء الاديم اذا تبدت * يرى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظرى فصبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه

ولابن رشيق

دعابك الحسن فاستجيبى * يامسك فى صبغة وطيب
تيهى على البيض واستطيلى * تيه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون * كمقلة الشادن الربيب
فانما النور عن سواد * فى أعين الناس والقلوب

قال ابن رشيق أخذته من قول الآخر أنشده الجاحظ

مشبهات الشباب والمسك تفديهن نفسى من الردى والخطوب

أخوض الغمار لاجنى الثمار وأقتحم الاخطار لكى أدرك الاوطار

ذكر السفر والحض عليه وترك العجز

كيف يهوى الفتى اللبيب وصال الـ * ـبيض والبيض مشبهات المشيب

وأخذ بيته الآخر من قول الآخر أنشده الجاحظ

وان سواد العين فى العين نورها * وما لبياض العين نور فيعلم

فأخذه أيضا أبو الطيب فقال فى كافور وأحسن

فجاءت به انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها وأماقيا

ولابن الجهم

وعائب للسمر من جهله * مفضل للبيض ذى محك

قولوا له عنى أما تستحى * من يجعل الكافور كالمسك

والسابق لهذا المعنى أبو حفص الشطرنجى والناس تبع له حيث قال

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده

لاشك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحده

(على بن العباس بن الاحنف معاصره قال)

أحب النساء السود من أجل نكتم * ومن أجلها أحببت ما كان أسودا

فجئنى بمثل المسك أطيب نكهة * وجئنى بمثل الليل أطيب مرقدا

(أخذ بيته الاول من قول ابن الاعرابى)

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

(وقال ابن الرومى فى تفضيل السواد على البياض)

وبعض ما فضل السواد به * والحق ذو سلم وذو نفق

أن لا تعيب السواد حلكته * وقد يعاب البياض بالبهق

وهذه الاقوال كلها على استحسانها اعتذارات واقتدارات من الشعراء على تحسين القبيح والامر المجمع عليه تفضيل البياض قال الجاحظ العرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن أصل ما يبنون عليه أمرهم ذمه وأنشد

لهم ديباجة عرفت قديما * بياض فى الوجوه وفى الجلود

(وأحسن كشاجم فيما قصد اليه بقوله)

يا مشبها فى فعله لونه * لم تعد ما أوجبت القسمه

خلقك من خلقك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

(قوله جبت ما بين فرغانة وغانة) ما ههنا بمعنى الذى كأنه قال جبت الذى بين فرغانة التى هى أقصى المشرق وغانة التى هى أقصى المغرب من البلاد والقفار والبحار لكسب المال فما هى التى أوجبت لما بين البلدتين مما ذكر أن يعم بالمشى ولو سقطت ما لم يلزم العموم وكأنه يشير بهذا التبعيد الى قول حبيب

سلى هل عمرت القفر وهو سباسب * وغادرت ربعى من ركابى سباسبا

وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق * وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

(قوله أخوض الغمار) أى أدخل المياه الغزيرة فاجوزها (أقتحم الاخطار) أى أترامى فى المخاوف والخطر الغرر و(الاوطار) الحاجات وقال أبو عمرو القصطلى فيما يتعلق بهذا

تخوفنى طول السفار وانني * لتقبيل كف العامرى سفير

دعينى أرد ماء المفاوز آجنا * الى حيث ماء المكرمات غير

ألم تعلمى أن الثواء هو التوى * وأن بيوت العاجزين قبور

وأن خطيرات المهالك ضمن * لراكبها أن الجزاء خطير

(وقال النابغة الجعدي)

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه * شكا الفقر أولام الصديق فأكثرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

(وقال ابن سارة)

سافر فان الفتى من بات مفتتحا * قفل النجاح بمفتاح من السفر
ان شئت خضرتها يا ابن الرجاء فكن * في طي غمرالفيافي نائي الحضر
ولا يصدنك عن أمر تصعبه * قد ينبع الكوثر السلسال من حجر
لابد أن يقع المطلوب في شرك * ولو بنى وكره في دارة القمر

ومما ينتظم في باب الحض على السفر وترك العجز قولهم لا ينبغي للعاقل أن يكون الا في احدى المنزلتين اما في الغاية من طلب الدنيا واما في الغاية من تركها ولا ينبغي للعاقل أن يرى الا في أحد مكانين اما مع الملوك مكرما واما مع العباد متبتلا ولا يعد الغرم غرما اذا ساق غنما ولا الغنم غنما اذا ساق غرما ونظم هذا المعري فقال

ذر الدنيا اذا لم تحظ فيها * وكن فيها كثيرا أو قليلا
وأصبح واحد الرجلين اما * مليكا في العشائر أو أبيلا

الابيل الراهب وفي كتاب الهند من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب وفي التوراة ابن آدم خلقت من الحركة الى الحركة فتحرك وأنا معك وفي بعض الكتب امدد يدك الى باب من العمل أفتح لك بابا من الرزق وقالوا من ضعف عن عمله اتكل على رزق غيره وقال علي رضي الله عنه الحرص مقدمة المكون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس ما المروأة فيكم قالوا العفة والحرفة وروى عكرمة وراءنهر بلخ فقيل له ما جاء بك ههنا فقال بناتي وقال رجل لمعروف الكرخي يا أبا محفوظ أتحرك لطلب الرزق أم أجلس قال لا بل تحرك فانه أصلح لك فقال أتقول هذا قال وما أنا قلته ولكن الله عز وجل أمر به قال لمريم عليها السلام وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ولو شاء لانزله عليها وأنشد الثعالبي

ألم تر أن الله أوحى لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

وقال موسى بن عمران عليه السلام لا تملوا السفر فاني أدركت فيه مالم يدركه أحد يريد أن الله كلمه ونظم هذا المعنى حبيب فقال

فان موسى صلى على روحه الله صلاة كثيرة القدس
صار نبيا وعظم بغيته * في جذوة للصلاء والقبس

قال المأمون لا شئ ألذ من السفر في كفاية لانك تحل كل يوم في محلة لم تحلها وتعاشر قوما لم تعاشرهم *الثعالبي من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الامصار وبدائع الاقطار ومحاسن الآثار ما يزيده علما بقدرة الله ويدعوه الى شكر نعمته وفي الاثر الصحيح سافروا تصحوا وتغنموا * آخر السفر يشد الابدان وينشط الكسلان ويشهي الطعام * آخر ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك قال ابن رشيق كتبت الى بعض اخواني مثل الرجل القاعد أعزك الله كمثل الماء الراكد ان ترك تغير وان تحرك تكدر ومثل المسافر كالسحاب الماطر هؤلاء يدعونه رحمة وهؤلاء يدعونه نقمة فاذا اتصلت أيامه ثقل مقامه وكثر لوامه فاجمع لنفسك فرحة الغيبة وفرحة الاوبة والسلام وقال ابن رشيق

غب عن بلادك وارج حسن مغبة * ان كنت حقا تشتكي الاقلالا

فالبدر

* فالبدر لم يجحف به ادباره * ان لا يسافر يطلب الاقبالا

وقال أبو الطيب وما بلد الانسان غير الموافق * ولا أهله الادنون غير الاصادق

وقال البحترى واذا ماتنكرت لى بلاد * أو صديق فان بى بالخيار

وقال أبو الطيب اذا لم أجد فى بلدة ما أريده * فعندى لاخرى غربة وركاب

(وقال ابراهيم بن العباس الصولى)

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة * نزوع نفس الى أهل وأوطان

تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا بأهل وجيرانا بجيران

أى لا يمنعنك الشوق الى الوطن فى الغربة من الاستمتاع بلذة العيش فالارض واحدة والناس جنس واحد وفى غيرا لحماسة

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة * من أن تبدل أوطانا بأوطان

يرفع خفض أى لا يمنعنك عيشك الهنى فى بلدك أن تجول فى البلدان وترى الناس فتستفيد البرهة والتجربة قالوا المسافر يسمع العجائب ويكشف التجارب ويجلب المكاسب أوحش أهلك اذا كان انسك فى ايحاشهم واهجر وطنك اذا نبت نفسك عنه قيل لاعشى بكر الى كم ذا الاغتراب أما ترضى بالدعة قال لو دامت الشمس عليكم يومين لمللتموها أخذه حبيب فقال

وطول مقام المرء فى الحى مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

وقال الحكماء لا تنال الراحة الا بالتعب ولا تدرك الدعة الا بالنصب وقال حبيب

على أننى لم أحو وفرا مجمعا * ففزت به الا بشمل مبدد

ولم تعط الايام يوما مسكنا * ألذ به الا بنوم مشرد

وقال ابن عبد ربه هل يجول فى عقل أو يمثل فى وهم أو يصح فى قياس أن يحصد زرع بغير بذر أو يثمر مال بغير طلب أو تجنى ثمرة بغير غرس أو يورى زند بغير قدح وقد يكون الاكداء مع الكد والخيبة مع الغيبة وقال الشاعر

ومازلت أقطع عرض البلاد * من المشرقين الى المغربين

وأدرع الخوف تحت الدجى * وأستصحب الجدى والفرقدين

وأطوى وأنشر ثوب الهموم * الى أن رجعت بخفى حنين

(وقال ابن رشيق)

يعطى الفتى فينال فى دعة * مالم ينل بالكد والتعب

فاطلب لنفسك فضل راحتها * اذ ليست الاشياء بالطلب

ان كان لا رزق بلا سبب * فرجاء ربك أعظم السبب

(وقال محمد بن بشير)

قد يرزق الخافض المقيم وما * شد لعيس رحلا ولا قتبا

ويحرم المال ذو المطية والرحل ومن لا يزال مغتربا

(وقال آخر) قد يرزق المرء لم تتعب رواحله * ويحرم الرزق بالاسفار والتعب

انى وعمرك ما أحصى ذوى حق * الرزق أعدى بهم من لاصق الجرب

ولآخر ألا رب باغى حاجة لا ينالها * وآخر قد تقضى له وهو جالس

آخر قد يرزق المرء لا من حسن حيلته * ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى

ما مسنى من غنى يوم ولا عدم * الا وقولى فيه الحمد لله

آخر   لو كان بالّلب يزداد اللبيب غنى * لكان كل لبيب مثل كافور
لكنه الرزق بالقسطاس من حكم * يقصي اللبيب ويعطي كل مأخور

ومثل هذا قليل في كثير وانما يحكم بالاغلب والنجح مع الطلب أكثر والحرمان للعاجز أصحب وشرح حبيب هذا المعنى فقال

همّ الفتى في الارض أغصان المنى * غرست وليست كل حين تورق

وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء أنه يلزم الاديب الاريب اذا دخل البلد الغريب أن يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الادب اماما وجعلته لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوي الاجساد بالارواح فبينما أنا عند حاكم الاسكندرية

أوصى بعض الحكماء ابنه وأراد سفرا فقال انك تدخل بلدا لا تعرفه ولا يعرفك أهله فتمسك بوصيتي تنفق بها عليك بحسن الشمائل فانها تدل على الحرية ونقاء الاطراف فانها تشهد بالملوكية وتظافة البزة فانها تشهد بالنش في النعمة وطيب الرائحة فانها تظهر المروأة والادب الجميل فانه يكسب المحبة وليكن عقلك دون دينك وقولك دون فعلك ولباسك دون قدرك والزم الحياء والانفة فانك ان استحييت من الفظاظة اجتنبت الخساسة وان أنفت من الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة (قوله لقفت) أخذت واللقف أخذ ما يرمى اليك بيدك (ثقفت) قيدت ويمدح الرجل الحازم به فيقال فلان ثقف لقف و (الاريب) العاقل وقد أرب ارابة وأربا صار أريبا والاريب من أربت العقدة أربا شددتها (يستميل) يستنزل ويدعوه أن يميل اليه (يستخلص مراضيه) أي يحوزها لنفسه ومراضيه ما يرضى القاضي ويوافقه وهو جمع مرضاة ويقال صلة الرحم مرضاة للرب أي يرضيه بها يقول العاقل اذا دخل بلدة استعطف قاضيها لنفسه بحسن التخدم له حتى يخف عليه (ليشتد) ليتقوى (جور) ظلم (اماما) قدوة (زماما) حبلا أقودها به (ولجت) دخلت (عرينة) بلدة وأصلها بيت الاسد (الراح) اسم الخمر وأبهم علي بن الرومي مم اشتق اسمها حين قال

والله ما أدري لأية علة * يدعونها في الراح باسم الراح
ألريحها أم روحها تحت الحشا * أم لارتياح نديمها المرتاح

وانظر الامتزاج الذي ذكر في الخامسة والاربعين (عنايته) اعتناؤه به واهتمامه (الاسكندرية) مدينة عظيمة من بلاد مصر بناها الاسكندر ذو القرنين وهو الذي مشى مشارق الارض ومغاربها قال السدي لما سأل أهل الكتاب النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين قال سأخبركم كما تجدونه مكتوبا عندكم ان أول أمره أنه غلام من الروم أعطي ملكا فسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عندها مدينة يقال لها الاسكندرية وقال الهمداني ذو القرنين ينسب اليه التاريخ قبل الاسلام ومؤدبه ارسطاطاليس الحكيم وكان ملكه الذي بلغ فيه أقصى المشرق والمغرب خمسة عشر عاما والاسكندرية لما بناها رخمها بالرخام الابيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام واذا كانت ليلة مقمرة يدخل الخياط الخيط في خرق الابرة من بياض رخامها وقيل انها مكثت سبعين عاما لا يدخلها أحد الا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض جصها ورخامها ولم يحتج لها في تلك المدة الى سراج بالليل من ضيائها وقيل كانت ثلاث مدن يحيط بجميعها سور قال ابن جبير ما شهدنا بلدا أوسع مسالك ولا أعلى بناء ولا أعتق ولا أحفل من الاسكندرية وأسواقها في نهاية الاحتفال ومن أعجب ما في وضعها ان بناءها تحت الارض كبنائها فوق وأعتق لان الماء اذا جاء من النيل يخترق جميع آبارها وأزقتها تحت الارض فتتصل الآبار بعضها ببعض ويمد بعضها بعضا وعاينا فيها من سواري الرخام وألواحه كبرا وعلوا واتساقا وحسنا ما لا يتخيل الا بالوهم حتى انك تلقى بعض سواريها يغص بها الجو صعودا لا يدرى معناها ولا لأي شيء وضعت الا ما يتحدث أنه كان عليها من قديم الزمان مبان للفلاسفة وأهل الرياسة ومن أعظم عجائبها المنار آية للمتوسمين وهداية للمسافرين الا هو ما اهتدوا في البحر الى بر الاسكندرية يظهر على أزيد من سبعين ميلا ومبناه في نهاية العتاقة والوثاقة طولا وعرضا زاحم الجو سموا وارتفاعا يقصر عنه الوصف وينحسر دونه الطرف الخبر عنه

يضيق والمشاهدة له تتسع ذرعنا أحد جوانبه الاربع فالفيناه فيه نيفا وخمسين باعا ويذكر أن فى طوله أزيد من مائة وخمسين قامة وأما داخله فرأى هائل اتساع معارج ودواخل وكثرة مساكن حتى ان الوالج فى مسالكه ربما ضل وفى أعلاه مسجد موصوف بالبركة فيتبرك الناس بالصلاة فيه طلعنا اليه وشهدنا من شأن مبناه عجبا لا يستوفيه وصف واصف والله تعالى لا يخليه من عزة الاسلام (قوله عشية عرية) أى باردة (يفضه) يفرقه (ذوى الفاقات) أهل الفقر والحاجات (عفرية) يقال رجل عفرية وعفر وعفير اذا كان صحيحا شديدا موثق الخلق أخذ من عفر الارض وهو التراب أى من علق به عفره بالارض ومنه ليث عفرين أى ليث ليوث معفر لفريسته قال الخليل رجل عفار بين العفارة اذا وصف بالشيطنة والعفير أيضا الظريف الكيس ويقال للشيطان عفريت وعفرية وعفارية وقرئ قال عفرية من الجن وفى الحديث ان الله ليبغض العفريت النفريت قيل هو الجموع المنوع وقال أبو عثمان النهدى دخل رجل عظيم الجسم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له متى عهدك بالحمى قال ما أعرفها قال فبالصداع قال ما أدرى ما هو قال أفاصبت بمالك قال لا قال أفرزئت بولدك قال لا فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض العفريت النفريت وهو الذى لا يرزأ فى بدنه ولا يصاب فى ماله وقوله (تعتله) أى تسوقه بعنف وكذلك تدعه (مصيبة) لهاصبى (جرثومة) أصل وكذلك أرومة (ميسمى) علامتى (الصون) الصيانة والانقباض (شيمتى) طبيعتى (الهون) الرفق (بون) بعد (بناة) جمع بان و(المجد) الشرف الضخم وأصله من الابل المواجد وهى التى امتلأت بطونها من الرعى وعظمت وأمجدها راعيها اذا رعاها بحيث تمجد ومجدت هى تمجد رعت فامتلأت وحكى الاصمعى قال أتيت شعبة يوما وعنده حماد بن سلمة وهما يتكلمان فى حديث فقال شعبة يا أبا سلمة هذا الفتى الذى ذكرت لك فقال حماد يا بنى كيف تنشد بيت الحطيئة أولئك قوم فانشدت القصيدة من أولها

الا طرقتنا بعد ما هجعت هند * وقد سرن خمسا واتلأبّ بها النجد

الى ان بلغت قوله

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا

فقال لى حماد يا بنى ان العرب تقول بنى يبنى بناء فى العمران ويقولون فى الشرف بنا يبنو بنا فانشد هذا البيت أحسنوا البنا فعرفت قدر حماد من ذلك فما كنت أنشد الا كالفتى (قوله أرباب الجد) أى أصحاب السعد والمال والعرب تقول لفلان جد فى الدنيا أى حظ وبخت قال امرؤ القيس

* وقاهم جدهم ببنى أبيهم * وقال آخر

عش بجد ولا يضرك نوك * انما عيش من ترى بالجدود

وجدّ الرجل صار له جد وأجده الله جعل له جدا وما كنت ذا جد ولقد جددت تجد ورجل جديد حظيظ من الجد والحظ أبو عبيد قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى ولا ينفع ذا الغنى منك غناه انما تنفعه طاعته يعقوب أى من كان له حظ فى الدنيا لم ينفعه ذلك فى الآخرة (بكتهم) قطع كلامهم واهانهم (عاف) كره (وصلتهم) اتصالهم به والوصلة سبب التواصل وهى فى الآدميين ما يصل واحدا بآخر من حب وغيره والوصلة بالفتح ما جعلته بين عود وعود أو حبل وحبل فوصلتهما به (صلتهم) عطيتهم (حلفة) يمين (يصاهر) يخاتن (حرفة) صنعة ومكسب وهى فعلة من الحرف وهو الحرمان والمحارف المحروم كأن صاحبها منع الرزق فصار يعالج كسبه أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الكسب كسب يد العامل اذا نصح سهل بن سعد رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة ومن النساء الغزل (قوله قيض) أى قدر وساق (نصبى) تعبى (ووصبى) مرضى ونصب الرجل نصبا أعيا من التعب ووصب وصبا أتعبه المرض فهو نصب

فى عشية عرية وقد أحضر مال الصدقات ليفضه على ذوى الفاقات اذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصبية فقالت أيد الله القاضى وأدام به التراضى انى امرأة من أكرم جرثومة وأطهر أرومة وأشرف خؤولة وعمومة ميسمى الصون وشيمتى الهون وخلقى نعم العون وبينى وبين جاراتى بون وكان أبى اذا خطبنى بناة المجد وأرباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم وصلتهم واحتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة أن لا يصاهر غير ذى حرفة فقيض القدر لنصبى ووصبى أن حضر هذا

ووصب (الخدعة) الكثير الخداع لغيره وبسكون الدال الذي يخدعه غيره كثيرا التحريك للفاعل
والسكون للمفعول فيما يأتي على فعلة من الصفات (نادى) مجلس (رهطه) قومه وهو اسم لجماعة
من ثلاثة الى عشرة ويجمع أرهط وأراهط (وفق شرطه) أى موافق ما اشترط (نظم درة) يريد أنه
جوهري ينظم سلوك اللؤلؤ (بدرة) عشرة آلاف درهم وأراد بالدرة هنا الكلمة ويعبر بها عن
الحكمة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاتدعوا الدرة فى أفواه الكلاب يعنى العلم (اغتر) انخدع وهو
افتعل من الغرور (زخرفة محاله) تزيين باطله أصل زخرف زين الشئ بالزخرف وهو الذهب (كاسى)
بيتى وأصله للظبى وهو من قوله تعالى الجوار الكنس تشبيها لها بالظباء على ماذكره ابن قتيبة ويقال له
كاس ومكنس من الكنس كأن الظبية قد كنست مرقدها ووطأته (رحلنى) نقلنى وحملنى على الرحل
(كسره) بيته وأصله جانب بيت الشعر أو الخباء لان جانب الخباء قد انكسر عن يمينه (أسره) حبسه
(قعدة) كثير القعود (جثمة) كثير الجثوم وهو ملازمة الموضع (ضجعة) كثير الاضطجاع وهو
الامتداد على الارض للنوم (نومة) كثير النوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم المقت
من الله فذكر الذي يكثر النوم بالنهار ولم يأخذ من الليل شيأ وفى حديث آخر خير أهل شر الزمان
مؤمن نومة أبو عبيدة هو الخامل الذكر الذي لا يعرف الشر وأهله فتريد أنه عاجز قد لازم بيتها فان
تصرفت فيه اعترضها ممتدا فلا تجد معه راحة (رياش) ثياب فعال من الريش لانها تكسو البدن كما
يكسو الريش الطائر (زى) هيئة حسنة من اللباس (أثاث) متاع (رى) حالة حسنة وأصله الهمز
فسهل وأدغم ليوافق زيا قال ابن الانبارى الاثاث المتاع والرئى والرؤاء المنظر وماله رؤاء أى ماله
منظر ولا لسان والحرفان من رأيت أرى (مابرح) ما زال (الهضم) النقصان (الخضم) الاكل بالفم
كله و(القضم) الاكل بأطراف الاسنان (مزق) قطع وأفسد (حالى) غناى ويروى مالى مكان حالى
ومافيه بمعنى الذي كأنه قال فرق الذي لى ورواية ابن ظفر بالى بالباء وقال والبال الخاطر ومالهذا الشئ
بال اذا حقرته والبال كالخلد تقول خطر ببالى كما تقول خطر بخلدى ونفسى وكان هذا هو الاصل
والبال الحال أيضا ومنه قوله ✲ وخالف بال أهل الدار بالى ✲ (عسره) أى فقره (الراحة)
القرار والعيش الهنى وأراد (بأنق من الراحة) خلو الكف من الشعر (مخبأ) ستر (بوس) شدة وفقر
(عطر) طيب (ولا عطر بعد عروس) مثل يضرب لتأخير الشئ عن وقت الحاجة اليه وأصله ان رجلا
تزوج امرأة فوجدها تفلة فقال لها أين عطرك فقالت خبأته لغير هذا الوقت فقال لها لامخبأ لعطر بعد
عروس وبهذا اللفظ روى أبو زيد الانصارى المثل ✲ البكرى عروس رجل كانت عنده ابنة عم له
فمات عنها فتزوجها بعده ابن عم لها آخر وهى كارهة وانطلق بها الى أهله وقد زودها طيبا فى سفط فمر بها
بقبر عروس فأقبلت تبكيه وترفع صوتها وتقول ياعروس الاعراس وياشديد الباس مع أشياء لايعلمها
الناس فانتهرها زوجها وقال ماتلك الاشياء فقالت كان عن المكارم غير نعاس يعمل السيف صبيحة
الباس ثم قالت ياعروس الاعراس الازهر الكريم المحضر مع اشياء كانت تذكر فازداد زوجها
غضبا وقال ماتلك الاشياء فقالت كان عيوفا للخنى والمنكر طيب النكهة غير أبخر ثم أخذت السفط
وكسرته على قبر عروس ثم قالت لاعطر بعد عروس فذهب مثلا فقال زوجها ارجعى الى أهلك أنت
طالق فقالت اذا انصرفت مغتبطة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان عروسا هذا رجل من هذيل
وامرأته هذلية اسمها أسماء (قوله براعتك) أى جودة تدبيرك (سلالة) ولد صغير كما سل من بطن أمه
ولهذا سمى ولد الناقة عند النتاج قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى سليل ثم اتسعوا فى السلالة فقالوا فلان
كريم السلالة و(الخلالة) عود ينقى به الاضراس من الطعام شبهت ولدها به فى رقته (ترقأ) تنقطع
(الطوى) الجوع وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت (تعجم) تختبر
(دعواه) ما ادعاه من الصنعة وعجمت العود عضضته بأسنانك لتعلم قوته من ضعفه (وعيت) حفظت

الخدعة نادى أبى فأقسم
بين رهطه انه وفق شرطه
وادعى أنه طالما نظم درة
الى درة فباعهما ببدرة
فاغتر أبى بزخرفة محاله
وزوجنيه قبل اختبار حاله
فلما استخرجنى من كاسى
ورحلنى عن أناسى ونقلنى الى
كسره وحصلنى تحت أسره
وجدته قعدة جثمة وألفيته
ضجعة نومة وكنت صحبته
برياش وزى وأثاث ورى
فما برح يبيعه فى سوق
الهضم ويتلف ثمنه فى
الخضم والقضم الى أن
مزق حالى بأسره وأنفق
مالى فى عسره فلما أنسانى
طعم الراحة وغادر بيتى
أنقى من الراحة قلت له ياهذا
انه لامخبأ بعد بوس ولا
عطر بعد عروس فانهض
للاكتساب بصناعتك
واجننى ثمرة براعتك فزعم
ان صناعته قد رميت
بالكساد لما ظهر فى
الارض من الفساد ولى
منه سلالة كأنه خلالة
وكلانا ما ينال معه شبعة
ولا ترقأ له من الطوى دمعة
وقد قدته اليك وأحضرته
لديك لتعجم عود دعواه
وتحكم بيننا بما أراك الله
فأقبل القاضي عليه وقال
له قد وعيت

قصص عرسك فبردن الآن عن نفسك والا كشفت عن لبسك وأمرت بحبسك فأطرق اطراق الافعوان ثم شمر للسرب العوان وقال

اسمع حديثي فانه عجب * يضحك من شرحه و ينتحب
أنا امرؤ ليس في خصائصه * عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها * والاصل غسان حين أنتسب
وشغلي الدرس والتبحر في الا * علم طلابي وحبذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي * منه يصاغ القريض والخطب
أغوص في لجة البيان فأخ * تار اللآلي منها وانتخب
وأجتني اليانع الجني من ال * قول وغيري للعود يحتطب
وآخذ اللفظ فضة فاذا * ماصغته قيل انه ذهب
وكنت من قبل أمتري نشبا * بالادب المنتقى وأحتلب
ويمتطي أخمصي لحرمته * مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات الى * ربعي فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به * اكسد شئ في سوقه الادب
لاعرض ابنائه يصان ولا * يرقب فيهم آل ولا سبب
كأنهم في عراصهم جيف * يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما منيت به * من الليالي وصرفها عجب

(قصص عرسك) حديث زوجتك (برهن) أظهر حجتك والبرهان الحجة (لبسك) تخليطك والتباس أمرك (أطرق) امال رأسه الى الارض ساكتا (الافعوان) ذكر الافاعي وهذا منقول من قول المتلمس

فأطرق اطراق الشجاع ولو رأى * مساغا لنابيه الشجاع لصمما

ووقع لنا في رواية لنابا وهي لغة (شمر) احتزم (العوان) التي قوتل فيها مرة بعد أخرى وهي أشد والمرأة العوان التي علت في السن ولم تهرم والعوان الثيب كانت ذات زوج أولم تكن وعونت المرأة تعوينا والجمع عون (قوله ينتحب) أي يبكي ونحب نحيبا أعلن بالبكاء (خصائصه) فضائله وما يختص به من الافعال المحمودة (ريب) شكوك (التبحر) التوسع (طلابي) أي طلبي انما هو العلم وذكر التبحر واللآلي والغوص وغير ذلك مجازا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما انتعل رجل قط ولا تخفف ولا لبس ثوبا ليغدو في طلب علم يتعلمه الا غفر الله له حيث يخطو عتبة بيته روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انتعل ليتعلم خيرا غفر الله له قبل ان يخطو * ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم الغدو والرواح في تعليم العلم خير عند الله من الجهاد في سبيله * ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من خرج يطلب بابا من العلم ليرد به ضلالا الى هدى أو باطلا الى حق كان كعبادة متعبد أربعين سنة (قوله يصاغ) أي يصنع (القريض) الشعر (أغوص) أغيب في الماء الى قعره (واللجة) معظم الماء جعله للبيان مجازا (اللآلي) جمع لؤلؤة (انتخب) اختار وقال المسيب بن علي في وصف الغائص وانتخابه الدرة وتشبيه المرأة بها

كجمانة البحري جاء بها * غواصها من لجة البحر
نصف النهار الماء غامره * وشريكه بالغيب ما يدري
فأصاب منيته فجاء بها * صدفية كمضيئة الجمر
يعطى بها ثمنا فيمنعها * ويقول صاحبه ألا تشري
وترى الصراري يسجدون لها * ويضمها بيديه للنحر

(وقال عبد الرحمن بن حسان)

وهي بيضاء مثل جوهرة الغواص ميزت من جوهر مكنون

(وقال النابغة)

أو درة صدفية غواصها * بهج متى يرها يهل ويسجد

(قوله اليانع) أي الناعم (الجني) الطري (أمتري نشبا) أي أستخرج مالا ومريت ضرع الناقة مسحته وحككته ليدر اللبن والنشب قيل هو العقار ومالا ينقل وكان مالكه قد نشب اليه حيث لا ينتقل به كالذي ماله الماشية أو الذهب والفضة (المنتقى) المختار وروى المقتنى وهو المكتسب و يقال احتلب وحلب حلبا والحليب اللبن وهو الحلاب والحلاب أيضا الاناء يحلب فيه وأصله السيلان وتحلب الضرع سال وانحلبت عينه سال دمعها (يمتطي) يركب (أخمصي) باطن قدمي وهو ماضمر منها وارتفع عن الارض (لحرمته) أي لرفعته وشرفه (مراتبا) منازلا والمرتبة منزلة الشرف من الرتب وهو ما أشرف من الارض (والرتب) جمع رتبة وهي بمعنى المرتبة وأصل الرتب الدرج تقطع في الجبل ليصعد بها الى أعلى الجبل ومنه رتب كلامه اذا أتبع بعضه بعضا على نظام واعتدال (زفت) جاءت من زففت العروس الى زوجها اذا أهديتها له (الصلات) العطايا (ربعي) منزلي (لم أرض كل من يهب) أي لا أرضى أن أكون تحت منه كل أحد (من يعلق) معنى من استفهام ٣ (يرقب) يرعى (الآل) قرابة والآل بقاء عهد و (سبب) معرفة وصحبة والسبب العلم ومنه وآتيناه من كل شئ سببا وأصله الحبل ثم يستعمل في كل ما ربط شيأ بشئ من كلام أو غيره (عراصهم) مواضعهم وأصل العرصة فناء الدار يقال لب الرجل يلب لبابة ورجل ملبوب موصوف باللبابة ولب كل شئ من الثمار ولبابه داخله ولب كل شئ خالصه (منيت) ابتليت وقدر لي (صرفها) تقلبها وتصرفها بما يكره (ذرعي)

٣ قوله معنى من استفهام الظاهر ان من موصولة وعبارة غيره أي ان من يتعلق به الامل ويرجى منه النوال لا يستعمل الادب والمعارف حتى صار ذلك كالسلعة الكاسدة عنده اه بالحرف اه مصححه

وضاق ذرعي لضيق ذات يدي * وساورتني الهموم والكرب وقادني دهري المليم الى * سلوك ما يستشينه الحسب

فبعت حتى لم يبق لي لبد
ولا بتات اليه أنقلب
وادنت حتى أثقلت سالفتي
بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشى على سغب
خمسا فلما أمضني لسغب
لم أر الا جهازها عرضا
أجول في بيعه وأضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة
والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت اذ عبثت به
حد التراضي فيحدث الغضب
فان يكن غاظها توهمها
أن بناني بالنظم تكتسب
أو أنني اذ عزمت خطبتها
زخرفت قولي لينجح الارب
فو الذي سارت الرفاق الى
كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من شيمي
ولا شعاري التمويه والكذب
ولا يدي مذ نشأت نيط بها
الا مواضي البراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا
كفي وشعري المنظوم لا السخب
فهذه الحرفة المشار الى
ما كنت أحوي بها واجتلب
فأذن لشرحي كما أذنت لها
ولا تراقب واحكم بما يجب
(قال) فلما أحكم ماشاده وأكمل انشاده عطف القاضي الى الفتاة بعد أن شغف بالابيات وقال أما انه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الاحكام انقراض جيل الكرام أو ميل الايام الى اللئام وانى لاخال بعلك صدوقا في الكلام بريا من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرح عن المحض وبين مصداق النظم وتبين انه الرغبة
معروق العظم واعنات المعذر ملامة وحبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة

كناية عن صدري وخلقي وأصل الذرع كيل الشئ بالذراع ثم صار مثلا يقال ضاق ذرعي بكذا اذا لم تحتمله وضاق تصرفك فيه (ذات يدي) أي مالي (ساورتني) واثبتني (الكرب) الهموم وكررها لاختلاف اللفظ (المليم) الذي أتى بما يلام عليه (سلوك) دخول (يستشينه) يستعيبه والشين العيب (لبد) شئ لا قليل ولا كثير وأصله الصوف وأكثر ما يستعمل مع دو حامع سبد يقال ما عنده سبد ولا لبد أي لا شعر ولا صوف ويراد بهما نفي الابل والغنم ثم صار نفيا لكل شئ من المال (بتات) زاد (أنقلب) أرجع (ادنت) أخذت بالدين وفي حديث عمر فادان معرضا (والسالفة) صفحة العنق يريد ان هذا الدين لثقله ومقاساة همومه فوق العطب و(العطب) الذي هو الهلاك دونه في الشدة *عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يذل عبده ابتلاه بالدين وجعله في عنقه وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والدين فانه هم بالليل ومذلة بالنهار وروى جابر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين (الحشى) اسقاط الجوف (سغب) جوع (أمضني) أحرقني (جهازها) متاعها الذي جاءتني به والجهاز متاع البيت يريد شوارها (عرضا) أراد عرضا فحركه ضرورة والعرض الامتعة هنا أخبرني بهذا من يوثق به في اللغة والعرض خلاف النقد مشهور في اللغة وفي العين العرض بفتح الراء كثرة المال فيقول لما لم يبق لي مال لم أر مالا الا جهازها فيكون على هذا أتم معنى ويخرج عن الضرورة التي ألزمته ذلك التحريك (أجول) أتصرف (أضطرب) أكثر التردد والتصرف (عبرى) باكية (مكتئب) حزين (عبثت) لعبت وتحكمت فيه يقول ما تصرفت في بيعه الا برضا منها ومني٤ (قوله توهمها) أي ظنها (خطبتها) مراسلتها في النكاح (لينجح الارب) لتقضى الحاجة (تستحثها) تستعجلها (النجب) الابل الكرام (المكر) الخداع (المحصنات) العفائف (شيمي) طبائعي (شعاري) علامتي (التمويه) تقدم في الثامنة (نيط) علق وناط الشئ نوطا علقه (البراع) الاقلام و(المواضي) المسرعة في الكتابة يريد انه فصيح لا يتوقف قلمه (السخب) جمع سخاب وهي قلادة قرنفل ليس فيها جوهر ولا لؤلؤ وقال ابن ظفر السخب العقود من اللؤلؤ وغيره ومن الطيب أيضا (أحوي) أحوز وأجمع (فأذن) اسمع (لا تراقب) لا تراع منا أحدا ولا تؤثره على صاحبه (واحكم) بيننا (بما يجب) وأخذ معنى الابيات المتقدمة من قول ابن هرمة

انى امرؤ لا أصوغ الحلي تعمله * كفاي لكن لساني صائغ الكلم

وقال آخر

وانى لنظام القلائد للعلا * ولست بنظام القلائد للنحر

(قوله أحكم) أي أتقن (شاده) بناه وزينه وشاد البناء أطاله وعمله بالشيد وهو الجص ويقال فيه أشاد ويقال شاد عمله بالشيد وأشاده أطاله وهو الاول وأشاد الحديث رفعه و(عطف) ثنى عنقه وردها وكل ما تثنيه من عنق أو جارحة أو عود فقد عطفته (شغف) أعجب (انقراض) انقطاع وهلاك (جيل) صنف وجيلك أهل عصرك (بعلك) زوجك وبعل الرجل بعولة تزوج و(القرض) السلف أراد به ما أعطته من ثمن جهازها سلفا صرح) بين (وصرح عن المحض) مثل يضرب لسر الامر اذا انكشف وقالوا أمر صراح أي منكشف ظاهر والصريح من اللبن المحض الخالص الذي لا رغوة فيه قال الشاعر * وتحت الرغوة اللبن الصريح * ثم قالوا لكل شئ خالص صريح وقوله (بين مصداق النظم) يريد ان نظمه انما هو للشعر لا للجوهر (معروق) لا لحم على عظمه أي هو فقير (اعنات) مشقة (المعذر) الذي يجهد نفسه في الشئ ثم لا يستطيعه يقال قد أعذر أي قد بين عذره انه لا يقدر عليه وعذر فهو معذر اذا قصر في طلب الشئ وقال تعالى وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقال ابن دريد *حكم المعذر غير حكم المعذر* (الملامة والمأثمة) اللوم والاثم و(المعسر) الفقير و(الزهادة) قلة

٤ قوله ومنى لا حاجة اليه اه مصححه

وانتظار الفرج بالصبر عبادة فلوجي الى خدرك واعذري أباعذرك ونهنهي عن غربك وسلمي لقضاء ربك ثم انه فرض لهما في الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبصة وقال لهما تعللا بهذه العلالة وتنديا بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكده فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الاسار وهزة الموسر بعد الاعسار (قال الراوي) وكنت عرفت انه أبوزيد ساعة بزغت شمسه ونزغت عرسه وكدت أفصح عن افتنانه واثمار أفنانه ثم أشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزويق لسانه فلا يرى عند عرفانه أن يرشحه لاحسانه فأحجمت عن القول احجام المرتاب وطويت ذكره كطي السجل للكتاب الا أني قلت بعد ما فصل ووصل الى ما وصل لو أن لنا من ينطلق في اثره لأتانا بفص خبره وبما ينشر من حبره فأتبعه القاضي أحد أمنائه وأمره بالتجسس عن أنبائه فما لبث أن رجع متدهدها وقهقر مقهقها فقال له القاضي مهيم يا أبا مريم فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما أنشأ لي طربا فقال له ماذا رأيت وما الذي وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول كدت أصلى ببليه * من وقاح شهريه وأزور السجن لولا * حاكم الاسكندريه

الرغبة قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاع واحتاج فكتمه الناس وأنزله بالله كان حقا على الله ان يفتح عليه رزق سنة من حلال وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصبر أهل بيت على جهد ثلاثا الا أتاهم الله عز وجل برزق (خدرك) بيتك وأصله الستر يكون خلفه الجارية المحجوبة (أباعذرك) زوجك المفتض لك (نهنهي) كفي (غربك) حد لسانك وقيل معنى نهنهي من غربك أي غيضي من دموعك والغرب فيض الدمع والاول أشبه (سلمي) انقادي (فرض) أي أوجب (حصة) نصيب (ناولهما) اعطاهما (قبصة) ما أخذت بأطراف أصابعك (العلالة) الشئ القليل (تعللا) خذا منه شيأ بعد شئ وكذلك (تنديا) وأصل العلالة بقية الماء في الاناء وبقية اللبن في الضرع بعد الحلب قال الراجز * يرضعها الدرة والعلاله * و (البلالة) الندى القليل يبل وجه الارض (كيد) مكر (كده) جهده وأنشد أبو محجن الثقفي

عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خليقته أمر

عسى ما ترى أن لا يدوم وأن ترى * له فرجا مما ألح به الدهر

اذا اشتد عسر فارج يسرا فانه * قضى الله ان العسر يتبعه اليسر

(الاسار) الحبل يشد به الاسير (هزة) طرب (الموسر) الغني (الاعسار) الفقر وسئل حكيم أي الاشياء أحلى قال النصرة على العدو بعد الهزيمة والاستغناء بعد الحاجة والغلبة للمتكلم (قوله بزغت) أي طلعت (ونزغت) نشزت وقابلته بالشر والذكر القبيح وأراد انه عرفه حين ساقته زوجته الى القاضي (أفصح) أبين (افتنانه) تنوعه (اثمار) اخراج الثمر وهو حمل كل شجرة (أفنانه) أغصانه (أشفقت) خفت (عثور) ظهور عثر على الامر اطلع عليه (بهتانه) باطله وكذبه (تزويق) تزيين وهو من الزاووق الذي يعرفه العامة بالزواق أي انه تزيين في الظاهر وليس له ثبات (عرفانه) تقدم معرفته (يرشحه) يهيئه وفلان يرشح لكذا أي يؤهل له من رشحت الام ولدها باللبن اذا جعلته في فيه شيأ بعد شئ حتى يقوى وقيل الترشيح التربية وقيل هو تحنن الام على ولدها من الشدة (أحجمت) تأخرت (المرتاب) صاحب الريبة (طويت) سترت (السجل) الورق و (الكتاب) المكتوب فيها وقوله تعالى كطي السجل للكتاب قيل السجل اسم كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل ملك في السماء الثالثة ترفع اليه الحفظة أعمال العباد كل خميس واثنين (فصل) زال وانفصل (بفص خبره) بحقيقة أمره (ينشر) يظهر (حبره) حسن كلامه وأصله ثياب يمانية مزينة ونشرها حلها من طيها (التجسس) البحث (أنبائه) أخباره (مالبث) أي ما أقام والمعنى ما أبطأ شيأ حتى رجع (متدهدها) متحركا والتدهده تدفق الحجر من أعلى الى أسفل (قهقر) رجع الى خلف (مقهقها) مبالغا في الضحك والقهقهة حكاية صوت الضاحك (مهيم) كلمة استفهام معناها ما الامر (عاينت) رأيت (أنشأ) أحدث وتقديره سمعت شيأ أحدث لي ذلك الشئ المسموع الطرب ولا يكون أنشأ فعلا لابي زيد انما هو فعل لما من قوله ما أنشأ (وعيت) حفظت (يصفق بيديه) يضرب بكفيه (يخالف بين رجليه) يعبث بهما في مشيه فيضع كل رجل موضع الاخرى وهي من أنواع الرقص أراد أنه يضرب بكفيه ويرقص (يغرد) يغني (بملء شدقيه) أي بصوت شديد يملأ به أشداقه وملء القدح قدر ما يعلوه * أبو يعقوب يقال أعطني ملء القدح ماء وأعطني ملأيه وأعطني ثلاثة أملائه (أصلى ببليه) أي قربت أن أحترق بها وأتصلى بها والبلية المصيبة يبتلى بها (وقاح) جمع وقاحة وهي صلابة الوجه وأصلها من الحافر الصلب وقال بعضهم في صلابة الوجه

لا يعمل المبرد في وجهه * بل وجهه يعمل في المبرد

فجعل وجهه لصلابته يؤثر في الحديد (شهرية) أي شديدة القحة قال الاصمعي سألت اعرابيا وقد

فضحك القاضي حتى هوت دنينه وزوت سكينته فلما فاء الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين حرم حبسي على المتأدبين ثم قال لذلك الامين عليّ به فانطلق مجدّا في طلبه ثم عاد بعد لأيٍ مخبرا بنأيه فقال له القاضي أما انه لو حضر لكفي الحذر ثم لأوليته ما هو به أولى ولأريته أن الآخرة خير له من الاولى (قال الحرث ابن همام) فلما رأيت صغو القاضي اليه وفوت ثمرة التنبيه عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار والكسعيّ لما استبان النهار

خرج من الصلاة ماقرأ الامام قال ما أدري الا انه وقع بين موسى وفرعون شمرية (هوت) سقطت (دنينه) قلنسوته وهذه اللفظة انما وقعت في المقامات بفتح الدال وكسر النون ودنينته بنونين لتوافق سكينته والصحيح حذف نونها الثانية وكسر الاولى وهي قلنسوة محدّدة الطرف يلبسها القضاة والاكابر وليست من كلام العرب انما هي من الالفاظ المستعملة في العراق وقد استعملها شعراؤهم قال ابن لنكك

نفسي تقيك أبا الهندام يا أملي ✽ اني بكل الذي ترضاه لي راضي
ما كان أرى فقيها اذ ظفرت به ✽ فكيف ألبسته دنية القاضي

وقال الصابي

وفوقه دنيةٌ ✽ تذهب طورا وتجي

(زوت) زالت وخفيت (سكينته) وقاره وأصل زوى في الشئ الذي فيه بلل وندوة فيجف بلله فاستعاره للسكينة (فاء) رجع (وعقب) اتبع (الاستغراب) كثرة الضحك حتى تدمع العينان أراد انه أتبع ضحكه (الاستغفار) ليكون كفارة له وهذا الذي حكي عن القاضي يحكى مثاله عن الحجاج يقال انه كان استغرب ضحكا فوالى من الاستغفار وقال عبد الله بن مسعود في كتاب الله آيتان ما أصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله الا غفر له الاولى قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الآية والثانية قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه الآية قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه من قال أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحيّ القيوم وأتوب اليه خمس مرات غفر له ولو فر من الزحف ✽ شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي وأنا عبدك (٣) أصبحت على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شرّ ما صنعت أبوء بنعمتك عليّ وذنوبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت وأصل غفر واستغفر غطى قال قطرب اللهم اغفر لنا ذنوبنا أي غطها من قول العرب غفرت المتاع في الوعاء اغفره غفرا أي غطيته ثعلب غفر الرجل في مرضه يغفر غفرا أي نكس فكأن المرض غطى عليه وقال الاصمعي رحمه الله اللهم اغفر لنا ذنوبنا أي استرها علينا ومنه اصبغ ثوبك فانه أغفر للوسخ أي أستر وهذه معان متقاربة (قوله عليّ به) أي جئني به (مجدا) مجتهدا في طلبه (لأي) ابطائه (نأيه) بعده (الحذر) الخوف (أوليته) بمعنى وليته وأعطيته (أولى) أحق يريد انه لو رجع اليه كان يصله في المرة الثانية بما هو خير مما وصله به أول مرة (قوله صغو) أي ميل (فوت) ذهاب (التنبيه) الاعلام (غشيتني) غطتني ولحقتني (أبان) طلق (النوار) بنت عم الفرزدق وزوجه (استبان) تبين وقال الشاعر

لو ان صدور الامر يبرز للفتى ✽ كاعقابه لم تلفه يتندم

(٣) قوله أصبحت على عهدك الخ كذا بالاصل ولعله رواية ولا تخفى الرواية المشهورة اه مصححه

﴿ترجمة الفرزدق﴾

والفرزدق اسمه همام بن غالب بن صعصعة دارمي من أشراف تميم والفرزدق لقب به لجهومة وجهه وغلظه والفرزدق قطع العجين وقيل الرغيف الضخم ✽ وخبره مع النوار بنت أعين المحاسبي أنه خطبها رجل من قريش أو من دارم فبعثت الى الفرزدق أن يكون وليها اذ كان ابن عمها فقال ان بالشأم من هو أقرب اليك مني ولاء وأنا احذر من أن يقدم منهم قادم فينكر ذلك عليّ فأشهدي انك جعلت أمرك اليّ فجعلت له أمرها أن يزوجها ممن يرى وأشهدت له بذلك فقال لها أرسلي الى القوم أزوجك من خطيبك فلما غص مسجد بني مجاشع بني تميم جاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد علمتم أن النوار ولتني أمرها وأشهدكم اني قد زوجتها من نفسي فنشزت عليه ونافرته من البصرة الى عبد الله بن الزبير بمكة حين أعياها أمراء البصرة ان يطلقوها منه وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء من شره فلم يقدر أحد على حملها حتى تحمل قوم من بني عدي يقال لهم بنو بشير الى مكة فصحبتهم النوار فقال الفرزدق

وقد مضت مني النوار الذي ارتضى ✽ به قبلها الازواج خاب رحيلها
أطاعت بني أم البشير فأصبحت ✽ على شارف ورقاء صعب ذلولها

وان

وان امرأ يسعى ليفسد زوجتي * كساع الى أسد الشرى (٣) يستبيلها
ومن دون أحوال الاسود بسالة * وبسطة أيد يمنع الضيم طولها
وان أمير المؤمنين لعالم * بناويعا وصى العباد رسولها

ثم ارتحل فى اثرها حتى وصلا مكة فنزلت النوار على بنت منظور بن زيان زوجة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ونزل الفرزدق على ابنه حمزة وقال

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتى * ان المنوه باسمه الموثوق
بأبى عمارة خير من وطئ الحصا * وجرت له فى الصالحين عروق
بين الحوارى الاغر وهاشم * ثم الخليفة بعد والصديق

فكان كل ما أصلح حمزة بن عبد الله من شأن الفرزدق نهارا أفسدته بنت منظور ليلا حتى غلبت النوار وقضى ابن الزبير عليه فقال

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زيانا
ليس الشفيع الذى يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

فلما سمع ابن الزبير شعره توقف فى أمره فلقيه يوما بباب المسجد فضمه الى الحائط حتى كادت تزهق نفس الفرزدق وكان ابن الزبير فى غاية من القوة ثم هزه وتركه خائفا ثم دخل على النوار فقال لها اما أن تمى زواج ابن عمك والا قتلته وأرحت المسلمين من شر لسانه فقالت له ولا بد ان تقتله قال ولا بد فعطفها عليه رحم القرابة وقالت لا والله لا أدعه للقتل قد رضيته فتزوجها فحكم عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم فسأل هل بمكة أحد يعينه فدل على سلم بن زياد وكان ابن الزبير قد حبسه فقال

دعى مغلق الابواب دون فعالهم * ومرى بمسرى فى هبيب الى سلم
الى من يرى المعروف سهلا سبيله * ويفعل أفعال الكرام التى تنمى

ثم دخل على سلم وأنشده القصيدة فقال هى لك ومثلها النفقة فقبض عشرين ألفا فدفع مهرها فدخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عديلان فى محمل وكانت أبدا تخالفه وتسبه لانها كانت صالحة الدين وكان هو ردىء الدين زانيا قاذفا للمحصنات فكانت تكرهه * ومن ملح أخبارها أنه راود امرأة شريفة على نفسها فامتنعت عليه فتهددها بالهجاء فاستعانت بالنوار فقالت واعديه ليلة ثم أعلمينى ففعلت وجاءت النوار فدخلت الحجلة مع المرأة فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية فأطفأت السراج وبادر الحجلة والنوار فيها وهو لا يشك انها صاحبة الدار فواقعها فلما فرغ قالت له يا عدو الله يا فاسق فعرفها وعلم انه قد خدع فقال لها وأنت هى يا سبحان الله ما أطيبك حراما وأردك حلالا فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبغضها فحدث أبو معقل راويته قال قال لى الفرزدق يوما امض بنا الى حلقة الحسن فانى أريد أن أطلق النوار فقلت انى أخاف ان تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه قال امض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت يا أبا سعيد قال بخير كيف أصبحت يا أبا فراس قال لتعلمن أن النوار طالق منى ثلاثا فقال الحسن وأصحابه قد سمعنا قال فانطلقنا فقال الفرزدق يا هذا ان فى قلبى من النوار شيأ فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت يدى ونفسى * لأصبح لى على القدر اختيار
وكنت كفاقئ عينيه عمدا * فأصبح ما يضئ له نهار

وتوفى سنة عشر ومائة وفيها مات جرير وابن سيرين والحسن فقالت امرأة بصرية كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه وأضاف جريرا الى البصرة لكثرة قدومه اليها ومسكنه باليمامة واخباره تطول

(٣) قوله يستبيلها) أى يأخذ بولها فى يده كما فى الصحاح اه مصححه

(ترجمة الكسعي)

واعاذ كرناه منها ما تعلق بالموارد معه * وأما الكسعي فرجل منسوب الى كسع قبيلة باليمن واسمه محارب ابن قيس وبه دامته يضرب المثل يقال اندم من الكسعي وقيل انه من بني سعد بن ذبيان وقيل اسمه عامر بن الحرث ومن حديثه أنه كان يرعى ابلا بواد كثير العشب والخط فبينما هو يرعاها بصر بنبعة على صخرة فقال ينبغي أن تكون هذه قوسا فجعل يتعهدها ويقومها حتى أدركت فقطعها فلما جفت اتخذ منها قوسا وأنشأ يقول

يارب وفقني لنحت قوسي * فانها من لذتي لنفسي
وانفع بقوسي ولدي وعرسي * انحتها صفراء مثل الورس
صلداء ليست كالقسي النكس

ثم دهنها وخطمها بوتر واتخذ من برايتها خمسة أسهم وجعل يقلبها في كفه وينشد

هن ورب أسهم حسان * يلذ للرامي بها البنان
كانما قومها ميزان * فابشروا بالخصب يا صبيان
ان لم يعقني الشؤم والحرمان

(المقامة العاشرة الرحبية)
(حكى الحرث بن همام)

ثم أتى قترة على موارد حمر فكمن فيها فمر به قطيع فرمى عيرا منها بسهم فأمخطه أي نفذه وجازه وأصاب الجبل فأورى نارا فظن أنه أخطأ فأنشأ يقول

أعوذ بالله العزيز الرحمن * من نكد الجد معا والحرمان
مالي رأيت السهم بين الصوان * يوري شرارا مثل لون العقيان
فأخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا فأمخطه السهم فصنع صنيعه الاول فأنشأ يقول

لابارك الرحمن في رمي القتر * أعوذ بالخالق من شر القدر
أأمخط السهم لارهاق الضرر * أم ذاك من سوء احتيال ونظر
أم ليس يغني حذر عند قدر

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا فأمخطه السهم فصنع صنيعه الاول فأنشأ يقول

مابال سهمي يوقد الحباحبا * قد كنت أرجو أن يكون صائبا
فأخطأ العير وولى جانبا * فصار رأيي فيه رأيا خائبا

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا بسهم فأمخطه السهم وصنع ما صنع أولا فأنشأ يقول

ياأسفا للشؤم والجد النكد * في قوس صدق لم تزين بأود
أخلف ماأرجو لأهل وولد * فيها ولم يغن الحذار والجلد
نخاب ظن الاهل جمعا والولد

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا بسهم فأمخطه السهم وصنع كما صنع أولا فأنشأ يقول

أبعد خمس قد حفظت عدها * أحمل قوسي وأريد ردها
أخزى الاله لينها وشدها * والله لاتسلم مني بعدها
ولا أرجي ماحييت رفدها

ثم أخذ القوس فكسرها على حجر وبات فلما أصبح أبصر الاعيار الخمسة مطروحة حوله فأسف وندم على كسر القوس وعض على ابهامه فقطعها تلهفا وأنشأ يقول

ندمت ندامة لو أن نفسي * تطاوعني اذا لقطعت خمسي
تبين لي سفاه الرأي مني * لعمر أبيك حين كسرت قوسي

(شرح المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية)

(هتف بى) أى دعانى يقال هتف بى هتفا وهتافا دعاه وهتفت الحمامة مدت صوتها و (الشوق) تحرك الحب يريد أن شوقه الى الرحبة يهيج عليه حتى سار اليها وجعل له داعيا مجازا (والرحبة) مدينة شهيرة من عمالة الفرات بناها مالك بن طوق ووليها فنسبت اليه واليها تنسب الثياب الرحبية وتعرف برحبة الشأم وهى على يسار الطريق هى والرقة فى استقبالك الفرات جائيا من حران وهى فى آخر ديار ربيعة وأول بلاد الشأم والفرات بين ديار ربيعة والشأم فاذا عبرته صرت فى حد الشام و (مالك) كنيته أبو كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعيد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب وقال حبيب يمدحه ويذكر الرحبة

يامال قد علمت ربيعة أنه * ما كان مثلك فى الاراقم أرقم
طالت يدى لما رأيتك سالما * وأنبخ عن خدى ذاك العظلم
وشممت ترب الرحبة العبق الثرى * وشفى صداى البحر منها الخضرم
كم حل فى أكنافها من معدم * أمسى بها يأوى اليه المعدم

وقال فيه

رأته فى النوم عتاب فقال لها * ذووا الفراسة هذا صفوة الكرم
فجاء والنسب الوضاح جابه * كأنه بهمة فيه من البهم
طعان عمرو بن كلثوم ونابله * ان السيور التى قدت من الادم
لو كان يأمل عمرو مثله خلفا * من صلبه لم يجد للموت من ألم

يقول هذا فى اتصاله بنسب عمرو بن كلثوم وأين هذا من قول دعبل يهجوه

الناس كلهم يعدو لحاجته * ما بين ذى فرح منه ومهموم
ومالك ظل مشغولا بنسبته * يروم منها بناء غير مهدوم
يبنى بيوتا خرابا لا أنيس بها * ما بين طوق الى عمرو بن كلثوم

وكان ملكا شجاعا جوادا ممدوحا أميرا على الجزيرة مسكن قومه بنى تغلب (قوله لبينه) أى أجبته (ممتطيا) راكبا (شملة) ناقة سريعة (منتضيا) مجردا (عزمة مشمعلة) أى عزمة سريعة لا توانى فيها (المراسى) هى محابس السفينة (أمراسى) حبالى يريد أنه استعد للاقامة وترك السفر وضرب لذلك المثل بالقاء المراسى وشد الامراس (برزت) خرجت وظهرت (سبت) حلق ومتى دخل أهل المشرق الحمام حلقوا رؤسهم (أفرغ) وضع ليصنع و (القالب) الذى تطبع فيه الدراهم ودرهم مفرغ اذا أذيبت فضته وصبت فى قالبه فيريد أن هذا الغلام لافراط حسنه أفرغ فى قالب الجمال * ونذكر فى هذه المقامة من أوصاف الحسن والجمال ما أمكن ونضيف الى ذلك ما قيل فى الغلمان من الاشعار الحسان مما يليق بهذا المكان وندعهما من كل مقامة يقع فيها ذكر الغلمان قال ابن عبدربه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب كما تضرب فى بيضة الادحى وقال أعرابى

وما اطيبت من صفراء خالية * كالعاج صفرها الاكنان والطيب

وقال آخر

كأن لون البيض فى الادحى * لونك لولا صفرة الجادى

يريد أنها تضمخ بالجادى وهو الزعفران وصفرة النعمة لا تبلغ صفرته وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء قال الاعشى

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعراره

العرار البهار وقال الحريرى فى الدرة فأما قولهم فى الحسن أحمر فمعناه أنه لا يكتسب ما فيه من الجمال الا بتحمل مشقة يحمر منها الوجه كما قالوا السنة الحمراء للمجدبة وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر وأما قوله

قال هتف بى داعى الشوق الى رحبة مالك بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة فلما ألقيت بها المراسى وشددت أمراسى وبرزت من الحمام بعد سبت راسى رأيت غلاما أفرغ فى قالب الجمال وألبس من الحسن حلة الكمال

ذكر الحسن والجمال وما قيل فى الغلمان الحسان

هبان عليها حمرة فى بياضها * تروق لها العينان والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن فى حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقالوا فى الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب فالجميلة التى تأخذ بصرك جملة فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة من الجميل وهو الشحم والمليحة البيضاء من الملحة وهى البياض والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته وقال عدى بن زيد فى تلون الوجه

حمرة خلط صفرة فى بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

(وقال ابن عبد ربه فى ذلك)

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا

واذا نظرت الى محاسن وجهه * ألفيت وجهك فى سناه غريقا

يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وأعاد معنى * درا يعود من الحياء عقيقا * فى بيت آخر فقال وأحسن

كم سوسن لطف الحياء بلونه * فأصاره وردا على وجناته

قالت امرأة خالد بن صفوان لخالد لقد أصبحت جميلا قال وكيف ذاك وما فى رداء الحسن ولا عموده ولا برنسه قالت وما ذاك قال عموده الشطاط ورداؤه البياض وبرنسه سواد الشعر وقالوا الحلاوة فى العينين والجمال فى الانف والحسن فى الوجه والملاحة فى الفم وقال بعضهم الظرف فى القد والبراعة فى الجيد والرقة فى الاطراف والخصر والشأن كله فى الكلام والمدار على العقل وقال على ابن عبيد الريحانى الحسن تناسب الصورة وزينته اعتدال الحركة ثم ما لا يحسن اللسان الترجمة عنه من خفة الروح والقبول وسئل عن اختياره من الحسن فقال أما ما يمكن نعته فخلتان وثلاثة بينهما ليست من صفة اللسان تعجبنى صورة أكثر نعتها الملاحة وبراعة بفصاحة والخلة الثالثة نسميها مراح الروح وشكل النفس وملهبة الشوق وبمقدار تمكن الثالثة من القلب يستحكم سلطان الهوى على العقل فهذه زبدة هذا الباب وأحسن الحسن ما لم يجلب بتزيين وتضييق وتحلية وترويق وأطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة ومزاج معتدل وثغر نقى قال امرؤ القيس

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

ويحكى ان سيبويه كان يقرأ على الخليل بن أحمد متنقبا لئلا يشغله بحسنه عن تعلمه ومعنى سيبويه بالفارسية رائحة التفاح وكان يقال انه أطيب الناس رائحة ومع تحفظ الخليل وورعه فكان اذا استأذن عليه سيبويه يقول مرحبا بزائر لا يمل وكان أبو حاتم السجستانى يختم القرآن فى كل أسبوع ويتصدق كل يوم بدينار ومع هذا الفضل كان يميل بحبه الى ابى العباس المبرد وكان أبو العباس يلزم حلقته وهو غلام وسيم فقال فيه

ماذا لقيت اليوم من * متمجن خنث الكلام

وقف الجمال بوجهه * فسمت له حدق الانام

حركاته وسكونه * يجنى بها ثمر الاثام

واذا خلوت بمثله * وعزمت فيه على اعترام

لم أعد أفعال العفا * ف وذاك آكد للغرام

نفسى فداؤك يا أبا الـ * ـعباس يا أجل اعتصام

فارحم أخاك فانه * نزر الكرى بادى السقام

الشطاط كسحاب وكتاب الطول أو حسن القوام أو اعتداله قاله المجد اه مصححه

وأناله مادون الحرا * م فليس يرغب في الحرام

والولوع في الجمال سجية ركبها الله في الاولياء وأكابر العلماء فمن دونهم من السوقة والغوغاء وعلى قدر زكاء الارض يطيب زرعها وعلى قدر طيب التربة يطيب نبعها فمنها العذب والاجاج وما بينهما وعلى قدر شرف النفس يكون حبها فمنه المستحسن ومنه المستقبح

* وكل اناء بالذي فيه ينضح * وفي كتاب الوشاح العشق اذا تزين بالعفاف فهو معنى شريف ويتلو قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فمن اتقى الله فهو خليل وذهبت طائفة من المتكلمين البغداديين الى ان الله تعالى انما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه وليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله تعالى لانه لا مثل له ولا نظير وهو خالقهم غير محتاج اليهم ورازقهم مبتدئ المنن عليهم فاذا أوجبوا على أنفسهم طاعة لسواه كان هو تعالى أولى ان يتبع رضاه قالوا ولا ينبغي للعاقل ولا للجاهل أن ينكر علاقة شخص بشخص وحنين شكل الى شكل ومؤالفة الف الى الف فالقلوب صافية قابلة والعيون اليها ناقلة وقالوا لا عاشق على الاغلب الا موفور النعماء مكفي كد المعيشة لانه من فراغ نفسه ورقة حاشيته وقد قيل ان جميلا وبثينة لو قعدا الليلتين دون غداء وعشاء لبزق كل واحد منهما في وجه صاحبه * ومن شرط المعشوق ان يكون ممن يؤيس ويطمع ويستتر ويلمع ويبدو ويحجب ويلين ويصعب ويرضى ويسخط ويقرب ويشحط كما قال أبو الطيب

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه * وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

وبين الرضا والسخط والقرب والنوى * مجال لدمع المقلة المترقرق

والحسن أول سعادة المرء ورائد اليمن وسائق النجح لان الله تعالى بلطف الحكمة وبشرف الابداع والصنعة لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من الآفات الاعن فضل الاحتفاء ولم يطابقها من الاخلاق الا عما يناسب جمالها من العقل والصفاء وقلما تجد الخلق الا تبعا للخلقة تناسبا يطرد وأصلا لا ينعكس واجماعا لا ينفرد وما خلق الله نبيا قط الا وقد بهر أهل زمانه بحسنه واحسانه فاذا نظرته لاول وهلة رأيته أحسنهم صورة وأتقنهم بنية فهو أولى مرتبة وأعلى منقبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق وورد عليه وفد عبد القيس وفيه غلام وضيء الوجه فاقعده وراء ظهره وقال انما أتى داود من النظر وقد أكثر الشعراء في وصف الحسن فمن أحسن ذلك ما قال علي بن بسام وكأنه يصف الفتى الذي ذكره الحريري

يا من تسربل بالملاحة وارتدى * فعليه تعتكف العيون اذا بدا

فيرى هلالا زاهرا ويرى قضيـ * ـبا ناضرا ويرى كثيبا أملدا

فاذا نهضت ترجحا واذا سفر * ت تبلجا واذا مشيت تأودا

فترى الجبين كتاج ملك زانه * در تراه مفرقا ومنضدا

ويجول ذاك الرشح في أقطاره * كالياسمين جرى به قطر الندا

الوجه فضي أحاط بوجنتي * ذهب فأنبت عارضين زبرجدا

وفم عقيق تضمن لؤلؤا * رطبا ونظم فوق ذاك زمردا

﴿ولابي اسحق الخفاجي﴾

وأغيد أهدى نرجسا من محاجر * وثنى فأبدى سوسنا من سوالف

وقد ماج في عطفيه ماء شبيبة * يعب ولا أمواج غير الروادف

تطلع مثل الرمح بسطة قامة * وفتكة ألحاظ ولين معاطف

ولابن وكيع

يا من اذا لاحت محاسن وجهه * غفرت بدائعها جميع ذنوبه

ان كان في تعذيب قلبي راحة * لك فاجتهد بالله في تعذيبه

﴿ولابي اسحق الخفاجي﴾

يارب وضاح الجبين كأنما * رسم العذار بصفحتيه كتاب
تغرى بطلعته العيون ملاحة * وتبيت تعشق عقله الالباب
جعلت عليه من الصباح علالة * ندى ومن شفق السحاب نقاب

ولابي نواس

أساء فزادته الاساءة حظوة * حبيب على ما كان فهو حبيب
يعد على الواشيان ذنوبه * ومن أين للوجه الجميل ذنوب

﴿ولابي اسحق الخفاجي﴾

تعلقته نشوان من خمر ريقه * له رشفها دوني ولي دونها السكر
ترقرق ماء مقلتاى ووجهه * ويذكى على قلبي ووجنته الجمر
أرق نسيبي فيه رقة حسنه * فلم أدر أيا قبلها منهما السحر
وطبنا معا ثغرا وشعرا كأنما * له منطق ثغر ولي ثغره شعر

وقد اعتلق شيخ بردنه يدعى أنه قتل بابنه والغلام ينكر عرقته ويكبر قرقته والخصام بينهما متطاير الشرار والزحام عليهما يجمع بين الاخيار والاشرار الى ان تراضيا بعد اشتطاط اللدد بالتسافر الى والى البلد وكان ممن يزن بالهنات ويغلب حب البنين على البنات فأسرعا الى

(قوله وقد اعتلق شيخ بردنه) أي تعلق بكمه واطراف ثوبه (قتل) قتل والقتل ان تأتي رجلا آمنا منك وتقتله أو تكمن له في موضع لا يعرف بك فاذا أتاك قتلته ثم سمى من هجم على الامور العظام فاتكا فاذا أدخلت رجلا منزلك أو موضعا لا مغيث له فيه فقتلته فذلك الغيلة فان كان رجلا يخافك فأمنته وآنسته حتى أمنك ثم قتلته فذلك الغدر (عرقته) معرفته (يكبر) يراه أمرا كبيرا (قرقته) تهمته وقد قرفته بذنب اذا حملته عليه واتهمته به وشبه ما يلحق كل واحد منهما من أذى صاحبه بشرر النار (اشتطاط اللدد) اشتداد الخصام (التسافر) التحاكم (يزن بالهنات) يتهم بالقبائح والهنات الدواهي والهن والهنة من الكنايات العامة التي يكنى بها عن كل شيء ولا يقتصر بها على شيء دون شيء (قوله ويغلب حب البنين على البنات) * نذكر ههنا من الولاة المتهمين بهذه الهنات ما يليق بالموضع قال أهل الاخبار ان القاضي يحيي بن أكثم كان مشتهرا بحب الغلمان وان أهل البصرة رفعوا بأمره الى المأمون قبل اتصاله به وقالوا فيه انه قد أفسد أولادهم وظهرت منه الفواحش وانه القائل في صفة الغلمان

أربعة تعشق ألحاظهم * فمنهم من يعشقهم ساهره
فواحد دنياه في وجهه * منافق ليست له آخره
وآخر دنياه منقوصة * من خلفه آخره وافره
وثالث فاز بكلتيهما * قد جمع الدنيا مع الآخره
ورابع قد ضاع ما بينهم * ليست له دنيا ولا آخره

فاستعظمها المأمون وعزله عنهم ثم اتصل بعد ذلك يحيي بالمأمون ونادمه فخرج معه في يوم عيد وقد ركب الجند أمامه ويحيي يحادثه ويضاحكه فنظر الى غلام أمرد من أولاد الجند في غاية الفراهة عليه ثوب حرير أخضر ودرع موشاة من زرة بالذهب فالتفت الى يحيي وقال له ما تقول في هذه البضاعة فقال يا أمير المؤمنين ان هذا القبيح من امام مثلك مع فقيه مثلي قال فمن الذي يقول

قاض يرى الحد في الزناة ولا * يرى على من يلوط من باس

قال من عليه لعنة الله وغضبه ابن أبي نعيم الذي يقول

أميرنا يرتشي وحاكمنا * يلوط والشر بينما راس

قاض يرى الحد البيت وبعده

لا أحسب الموت ينقضي وعلى الامة وال لآل عباس

قال وصحيح هذا قال نعم قال ينفى الى السند وانما مازحتك ثم قال المأمون في الغلام

أيها الراكب ثوبا * من حرير وحديد
جئت للعيد وفي وجـ * ـهك للأعين عيد
أنت جندي ولكن * فيك للحسن جنود

(وفي يحيى يقول ابن أبي نعيم)

ياليت يحيى لم تلده أكمه * ولم تطأ أرض العراق قدمه
ألوط قاض في البلاد نعلمه * أي دواة لم يلقها قلمه
وأي بحر لم يلجه أرقمه

وهذا كقول الآخر * يدخل الأفعى الى حبس الأسد * ويحيى خراساني من مرو وبلغ من تحكمه على المأمون ان فرض لاربعمائة غلام مرد واختارهم حسان الوجوه يركبون لركوبه فقال راشد بن اسحق

خليلي انظرا متعجبين * لأظرف منظر نقلاه عيني
لفرض ليس يقبل فيه الا * أسيل الخد اوالمقلتين
يقودهم الى الهيجاء قاض * شديد الطعن بالرمح الرديني
اذا شهد الوغى منهم غلام * تجدّل لليدين وللجبين
وبات الشيخ مضنيا عليه * وصدغاه تحاذي الركبتين

وقال فيه

وكنا نرتجي أن نرى العدل بيننا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * اذا كان قاضي المسلمين يلوط

وكان القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي مولعا بالغلمان وكان له غلام اسمه نسيم في نهاية من الحسن وكان يؤثره على سائر غلمانه ويخصه بتقريبه واستخدامه فكتب اليه بعض من يأنس به

هل عليّ لامه مدغمة * لاضطرار الشعر في ميم نسيم

فوقع تحت البيت نعم ولم لا وسنذكر من شعره في هذه المقامة ما يستملح وممن كان يميل الى الغلمان من الامراء أبو العشائر الهمذاني الذي يقول فيه المتنبي

فيا بحر البحور ولا أورّي * ويا ملك الملوك ولا أحاشي
كأنك ناظر في كل قلب * فما يخفى عليك محل غاش

(قال بعض الرواة) دخلت على أبي العشائر أعوده من علة فقلت ما يجد الامير فاشار الى غلام قائم بين يديه كأن رضوان قد غفل عنه فأبق من الجنة ثم أنشأ يقول

اسقم هذا الغلام جسمي * بما بعينيه من سقام
فتور عينيه من دلال * أهدى فتورا الى عظامي
وامتزجت روحه بروحي * تمازج الماء بالمدام

(ولأبي العشائر)

سطا علينا رشا حاز الجمال سطا * ظبي من الجنة الفردوس قد هبطا
له عذاران قد خطا بوجنته * فاستوقفا فوق خديه وما انبسطا
وظل يخطو فقال الكل من شغف * ياليته في سواد الناظرين خطا

ومع هذا الميل كان نزيه النفس رفيع الهمة سليم الناحية وكان في الجود غاية وفي الشجاعة نهاية وفي الشعر آية واذا كان المتنبي الذي هو أشعر الناس عند الأكثر يقول حين عوتب في آخر أيامه على فتور شعره قد تجوزت في شعري وأعفيت طبعي واغتنمت الراحة مذ فارقت آل حمدان ومنهم الذي يقول يعني أبا العشائر

أأنا الفوارس لو رأيت مواقفى * والخيل من تحت الاسنة تخط
لقرأت منها ما تخط يد الوغى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

فهكذا تستعار المعانى البديعة فى الالفاظ الرفيعة فأظنك بمن يثنى عليه المتنبى هذا الثناء* ومن وصف غلاما فأحسن الامير تميم بن المعز صاحب مصر حيث قال

وبات ضجيعى منه أهيف ناعم * وأدعج وسنان وألعس أشنب
كأن الدجى من لون صدغيه طالع * وشمس الضحى فى صحن خديه تغرب

وقال أيضا

يا ليلة بات فيها البدر معتنقى * وكانت الشمس فيها بعض جلاسى
وبت مستغنيا بالثغر عن قدح * وبالخدود عن التفاح والآس

وقال أيضا

ورد الخدود أرق من * ورد الرياض وأنعم
هذا تنشقه الانو * ف وذا يقبله الفم
فاذا عدلت فأفضل الـ * ـوردين ورد يلثم

ندونه كالسليك

(ترجمة السليك بن السلكة)

(قوله ندونه) أى مجلسه و(السليك) هو ابن السلكة معروف بامه وكانت أمه سوداء شديدة السواد وكان هو أسود وأبوه عمرو بن سنان بن عمير بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم السعدى التميمى وكان يسبق الخيل على رجليه وكان من العدائين ومن رجلى العرب وهم الذين يسعون على أقدامهم ويسبقون الخيل فيستغنون بأرجلهم عنها وكان من أشجع الناس وكان لا يغير الا وحده وكان يقال له الرئبال وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معد يكرب فقال أى العرب كان أبغض لك أن تلقاه فقال أما من معد فعدى بن فزارة ومرة بن ذبيان وكلاب ابن عامر وشيبان بن بكر وشق بن عبد القيس والاراقم من تغلب ثم لو جلت بفرسى على مياه سعد ماخفت هيج أحد مالم يلقنى حراها أو عبداها فقال أما حراها فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحرث ابن شهاب وأما عبداها فعنترة الفوارس وسليك المقانب وأما عدوته المذكورة فيقال انه أحاط به عدوه فقز قزوة عد فيها أربع وعشرون خطوة وعد أيضا فى قزوة للشنفرى احدى وعشرون خطوة ويقال فى المثل أعدى من الشنفرى وأعدى من السليك فأما الشنفرى فانه أغار على بجيلة مع تأبط شرا وعمرو بن براق فرصدتهم بجيلة على الماء فقال تأبط شرا انى بالماء رصدا فقالا ليس عليه أحد ولا بد من وروده فورد الشنفرى ثم عمرو فقال تأبط شرا القوم انما يريدوننى فلذلك لم يعرضوا لكما واذا وردت أنا الماء فسيشدون على وبأسروننى فاذهب ياشنفرى كأنك تهرب وكن فى أصل ذلك القرن فاذا سمعتنى أقول خذوا خذوا فتعال فاطلقنى وقال لعمرو وانى سآمرك أن تستأسر لهم فلا تبعد ولا تمكنهم من نفسك ثم ورد الماء فشدوا عليه وكتفوه وفعلا ما أمرهما فقال تأبط شرا يا معشر بجيلة هل لكم فى أن تيسروا فداءنا وتستأسر لكم ابن براق قالوا نعم فقال ياعمرو وهل لك أن تستأسر وياسرونا فى الفداء قال حتى أروض نفسى شوطا أو شوطين فجرى الاول كالريح والثانى كالخيل ثم أراد أن يجرى ثالثا فجعل يقع ويقوم فشلا بطءهم بذلك فقال لهم تأبط شرا خذوا خذوا فأسرعوا اليه بأجمعهم وهوى الشنفرى كالريح فقطع وثاقه ثم أحضر واثلاثتهم فنجوا فقال تأبط شرا من قصيدة

ليلة صاحوا وأغروا بى سراعهم * بالعيكتين لدى عمرو بن براق
لاشئ أسرع منى غير ذى عذر * أو ذى جناح بجنب البرد خفاق

فالثلاثة عداؤن والمثل مقصور على الشنفرى وأما السليك فرأته طلائع جيش لبكر بن وائل جاؤا مجردين ليغيروا على تميم فقالوا ان علم السليك بنا أنذر قومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين فلما صاحا خرج يمحص كأنه ظبى فطارداه يوما أجمع ثم قالا اذا كان الليل أعيا فنأخذه ووجدا أثر بوله

في عدوته فلما حضراه جدد الشيخ دعواه واستدعى عدواه فاستنطق الغلام

قد خد في الارض فقالا قاتله الله ما أشد متنه فتبعاه ليلتهما فلما أصبحا وجداه قد عثر باصل شجرة فندر منها لمكان قدمه وسقطت قوسه في جريه فانحطمت فوجدا قطعة منها قد ارتزت بالارض فقالا ما بعد هذا شيء والله لا نبعناه بعد هذا ومر السليك الى أهله فأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية فقال

يكذبني العمران عمرو بن جندب * وعمرو بن سعد والمكذب أكذب

ثكلتكما ان لم أكن قد رأيتها * كراديس يهديها الى الحي موكب

كراديس فيها الحوفزان وحوله * فوارس همام متى يدع يركبوا

فصدقه قوم فنجوا وكذبه آخرون فورد عليهم الجيش فاكتسحهم ومن شعر السليك يرثي فرسه وكان يقال لها النحام وأنشدها المبرد في باب التشبيه من الكامل

كأن قوائم النحام لما * تحمل صحبتي أصلا محار

علا قرماء عالية شواه * كأن بياض غرته خمار

وما يدريك ما فقري اليه * اذا ما القوم ولوا أو أغاروا

ويحضر فوق جهد الحضر نصا * يصيدك نافلا والمخ رار

أي يصيدلك ونافلا ثانيا ورار ذائب من الهزال وحكاية السليك عن أبي عبيدة وحكاية الشنفري عنه وعن الشيباني وكلتاهما على اختصار ونزل على جماعة من كنانة ضيفا فأكرموه وجعلوا له ابلا كثيرة وأعطوه اياها وكان قد كبر وشاخ وذهبت قوته وانتقص عدوه فقالوا له ان رأيت أن ترينا ما بقي من عدوك قال نعم ابغوا الى أربعين شابا وأتوني بدرع ثقيلة عظيمة فأتوا بها واختاروا من شبانهم أربعين أقوياء عدائين فلبس سليك الدرع ثم قال للشبان الحقوني ثم عدا عدوا وسطا وعدا الشبان وراءه جهدهم فلم يلحقوه حتى غاب عنهم ثم كر راجعا حتى عاد الى القوم وحده يخطر والدرع عليه وسبق الشبان وخرج في ليلة مقمرة يطلب الاغارة فغلب عليه النوم آخر الليل فبينما هو نائم ملتف بكساء جثم عليه رجل مثله شديد البأس عظيم القوة وأمسك على يديه ومنعه التحرك وجعل يلمزه ويؤذيه ويقول له استأسر يا خبيث فاجتهد سليك حتى خلص احدى يديه فضم الرجل اليه ضمة وعصره عصرة فضرط فقال له أضرطا وأنت الاعلى فأرسلها مثلا فلما تخلص منه قال له من أنت قال أنا رجل افتقرت فقلت لاخرجن ولا أرجع الى أهلي حتى آتيهم وأنا غني فقال له السليك انطلق معي فانطلقا فوجدا ثالثا قصته قصتهما فاصطحبوا حتى أتوا واديا بالمراد فلما أشرفوا عليه اذا فيه نعم قد ملأ نواحيه من كثرته فقال لهما السليك كونا قريبا مني حتى آتي الرعاء فأعلم علم الحي أهو قريب أم بعيد فان كان قريبا رجعت وان كان بعيدا أوحيت اليكما بقولي فأغيرا فأتى الرعاء فاستخبرهم عن الحي فأخبروه ببعد الحي وانهم ان طلبوا لم يدركوا فقال للرعاء ألا أغنيكم قالوا بلى فرفع صوته فغنى

يا صاحبي ألا لا حي في الوادي * سوى عبيد وآم بين أذواد

أتنظران قريبا ريث غفلتهم * أم تغدوان فان الربح للغادي

فلما سمعا ذلك أتياه وطردوا الابل فذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوا بالابل قال ابن الاعرابي آم مقلوب آيم وهم العزاب جمع أمة وكان السليك من أدل الناس بالارض وأعلمهم بمسالكها وكان يستودع الماء بيض النعام في الشتاء ويدفنه في المفاوز العظيمة فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل أغار على ربيعة وشرب من ذلك الماء وكان يقول اللهم اني أعوذ بك من الخيبة وأما الهيبة فلا هيبة (قوله عدوته) العدوة بالكسر الحالة وبالفتح المرة الواحدة فيريد الحريري أن امرأ عهما الى الوالي كان كعدوة السليك (واستدعى عدواه) أي طلب اعانته وأعداه الحاكم أعانه (استنطق) أمره أن ينطق وقد بين سر هذا الاستنطاق في الرابعة والثلاثين عند شراء الغلام قال ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لانظر أين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته وكذلك لم

وقدفتنه بمحاسن غرته
وطرعقله بتصفيف طرته
فقال انها أفيكة أفاك على
غيرسفاك وعضيهة محتال
على من ليس بمغتال فقال
الوالى للشيخ ان شهدلك
عدلان من المسلمين والا
فاستوف منه اليمين فقال
الشيخ انه جدله خاسيا وأفاح
دمه خاليا فأنى لى شاهد
ولم يكن ثم مشاهد ولكن
ولنى تلقينه اليمين ليبين
لك أيصدق أم يمين فقال
له أنت المالك لذلك مع
وجدك المتهالك على ابنك
الهالك فقال الشيخ للغلام
قل والذى زين الجباه
بالطرر والعيون بالحور

يرد الوالى أن يستنطقه ليقول حجته بل ليعلم حلاوته من صورته التى فتنته وقد ذكرنا ان فائدة الحسن انما تدور على اللسان وهذا الاستنطاق هو الذى ذهب بابراهيم بن سيار النظام الذى هو امام فى علم الكلام الى علاقة غلام وذلك أنه لقى غلاما جميل الوجه مقبول الصورة فاستحسنه وتصور فيه الصورة الباطنة المناسبة لخلقته الظاهرة فقال له يا غلام انه لولا ماسبق من قول الحكماء لما جعلوا السبيل لمثلى الى مثلك بقولهم لا ينبغى لاحد أن يصغر عن أن يقول ولا أن يكبر عن أن يقال له لما أنست الى مخاطبتك ولا انشرح صدرى الى محادثتك لكنه سبب الاخاء وعقد المودة ومحلك من قلبى محل الروح من جسد الجبان فقال له الغلام وهو لا يعرفه لئن قلت ذلك أيها الرجل لقد قال استاذنا ابراهيم بن سيار النظام الطباع تجاذب ماشاكلها بالمجانسة وتميل الى ماقارنها بالموافقة وكيانى مائل الى كيانك بكليتى ولو كان الذى أنطوى عليه لك عرضا لم أعتد به ودا ولكنه جوهر جسمى فبقاؤه ببقاء النفس وعدمه بعدمها وأقول كما قال الهذلى

قسبينى أى بكم كلف * ثم اصنعى ماشئت عن علم

فقال له النظام انما كلمتك بما سمعت وأنت عندى حسن الصورة غلام ولولا أن محلك محل مقيم وأصحابه فى الجدل ماتعرضت لك ثم اعتلقه النظام بعد وقال فيه جريا على عله

توهمه طرفى فآلم خده * فصار مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحه كفى فآلم كفه * فمن لمس كفى فى أنامله عقر
ومر بفكرى خاطرا فجرحته * ولم أر خلقا قط تجرحه الفكر

وقال فيه أيضا
واذا تأمل فى الزجاجة ظله * جرحته لحظة مقلة الظل

وقال فيه أيضا
أفرغ من نور سماوى * مصور فى جسم انسى
وافتقر الحسن الى حسنه * فجل عن تحديد كيفى

وقال فيه
يامشرقا ملأ العيو * ن فلحظها ما يستقل
أوفى على شمس الضحى * حتى كأن الشمس ظل
أتريد قتلى عامدا * وكقتل مثلى مايحل

فصرف فى شعره من صناعته وأبدع فى تخيله ببراعته (قوله غرته) أى وجهه (طر) أى قطع وأذهب (تصفيف طرته) شعره المعتدل على جبهته (أفيكة أفاك) كذبة كذاب (سفاك) قتال (عضيهة) بهتان وباطل (مغتال) قاتل الغيلة (استوف) استكمل (جدله) صرعه والقاه على الجدد القوهى الارض (خاسيا) متباعدا ممنوع الكلام كانه قهره ومنعه أن يصيح عند قتله ولذلك لم يجد عليه شاهدا وأصله الهمز فسهله ليوافق خاليا ان أخذته من خسأت الكلب وان أخذته من خسى البصر اذا كل فلا تسهيل فيه ومعناه قريب من الاول أى انه أضعفه بالضرب حتى لم يستطع الكلام ثم قتله (أفاح دمه) بحاء مهملة أراقه قال أبو زيد فى نوادره أفحت دمه ففاح فيحا وفيحانا وأنشد

نحن قتلنا الملك الجحاحا * ولم ندع لسارح مراحا * ولا ديارا أو دما مفاحا

* وقال أبو حاتم * أراد ودما مفاحا أى مهراقا (خاليا) بمعنى منفردا (أنى) بمعنى كيف (مشاهد) من شاهد حاله وحضر عليها (ولنى) مكنى (تلقينه) تفهيمه والقاءه عليه (يمين) يكذب (وجدك) حزنك (المتهالك) الكثير التفاوت وتهالكت المرأة عليه تراخت عليه وتكاسلت قال الاعشى

تهالك حتى ينكر المرء عقله * وتسبى الحكيم ذا الحجى بالتنقل

(قوله والذى زين الجباه بالطرر) الى آخر يمينه انما ذكر صفات الحسن شيأ بعد شئ ليرى هذا الوالى كمال الغلام فيشتد حبه فيه فاذا ذكر صفة من صفاته نبه الوالى بذكرها على النظر اليها فوجدها كما يصف فهو الآن فى هذه اليمين يحلو محاسن الغلام عليه (الطرر) جمع طرة وهو

اعتدال الشعر على الجبهة والطرة عندهم أن يقطع للجارية من مقدم ناصيتها حتى لا يبلغ الشعر حاجبيها فيبقى ما بين شعر ناصيتها وحاجبيها من جبهتها نقيا والشعر عليها معتدل كطرة الثوب ثم تسمى الشعور والحسان طررا * أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث فاتنات الشعر الحسن والوجه الحسن والصوت الحسن * عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملائكة السماء يسبحون بذوائب النساء وبلحى الرجال فيقولون سبحان الذى زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها وقالوا الشعر الحسن يزيد الوجه حسنا وجمالا وقال ابن صارمة وكأنه وصف طرة هذا الغلام يصف بها أبا الفضل بن الاعلم وكان من أجمل الناس وأذكرهم فى علم النحو والادب وقرأ النحو قبل أن يلتحى فقال فيه

أكرم بجعفر اللبيب فانه * مازال يوضح مشكل الايضاح

ماء الجمال بخده مترقرق * فالعين منه تجول فى ضحضاح

ما خده جرحته عينى انما * صبغت غلالته دماء جراح

لله زبرجد فى عسجد * فى جوهر فى كوثر فى راح

ذى طرة سبجية ذى غرة * عاجية كالليل والاصباح

رشأ له خد الثرى ولحظه * أبدا شريك الموت فى الارواح

* ونذكر بعد هذا الحور فى العينين وهو شدة بياض البياض وسواد الكحل وكل ذلك عندهم ممدوح وقد أكثر الشعراء من وصف ذلك حتى لو تركنا ذكره لشهرته لكان لنا فيه عذر على أنا نلم ببعض ما قيل فى ذلك وأما ما يزهد فيه من ذلك وقل ذكره فى أشعارهم فالزرق على انه قد جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الزرق فى العينين يمن وقال معاوية لصفارى العبدى انك أحمر قال والذهب أحمر قال انك لازرق قال والبازى أزرق ولبعض أصحابنا

احبك أن قالوا بعينيك زرقة * كذلك عتاق الطير زرق عيونها

﴿وقال الصنوبرى﴾

قالوا به زرقة فقلت لهم * بذاك تمت خصاله البهيه

ما كحل العين مثل زرقتها * كم بين ياقوتة الى سبجه

وقال آخر

ما مثل ذا الظبى فى الظباء * الازرق الازرق القباء

يجول فى مقلتيه طرفى * فى زرقة الماء والسماء

يا آبى الشقر ما عليهم * من ذلك النور والبهاء

شقرة شعر على بياض * شعاع شمس على هواء

وكل هذا اعتذار جاء على وفق مدح سواد الالوان ولسواد الالوان فى التاسعة فصل مستطرف فقف عليه واختلفوا فى الحور فقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض بياض العين فى شدة سواد سوادها وقال أبو عمرو الطيبة الحوراء السوداء العين التى ليس فى عينها بياض ولا يكون هذا فى الانس انما يكون فى الوحوش وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العين أم كبرت واشتقاق ح و ر يدل على صحة قول يعقوب وأبى عبيدة لانهم انما يوقعونه فى الغالب على البياض مثل الدقيق الحوارى للدرمك الشديد البياض ونحوه وقلما يتفق شدة بياض العين الا مع شدة سوادها الا ترى أن بياضها مع الزرق ليس هناك فى النقاء وقال القاضى التنوخى فى أحور

حور بعينيه أطال تحيرى * ترك الدموع بخدى المتعصفر

غصن تأود فوق غصن من نقا * ليل تبلج عن نهار مسفر

كالشمس الا أنه متنفس * عن مسكة متبسم عن جوهر

(والبلج) أن يكون ما بين الحاجبين نقيا من الشعر وهو من علامات السيادة عند العرب ويتمدح به ويتيمن بصاحبه ويتطير بمقرون الحاجبين ويقال أبلج وأبلد وهي البلجة والبلدة قال كثير

جميل المحيا أبلج الوجه واضح * حليم اذا ما ازلزلته الزلازل

(الفلج) أن يكون بين منابت الاسنان تباعد وقد فلج ثغره فلجا وهو مستحب في الثغر قال وجيه الدولة وهو مما يليق بهذا الموضع لذكره أوصافا ذكرها الحريري رحمه الله هنا

اذا عدم الروض المنور ناظري * أرانيه ظبي فاتر الطرف أدعج

فصدغاه ريحاني وعيناه نرجسي * ومن ثغره لي اقحوان مفلج

وواحربا من حسن وردتي خده * يطيف به من عارضيه بنفسج

(الجفون) أغطية العيون ثم تسمى العين جفنا مجازا و(السقم) فتور العين ومن حسن التشبيه في ذلك قول أبي نواس

فطب بحديث من نديم مساعد * وساقية بين المراهق والحلم

ضعيفة كر الطرف تحسب انها * قريبة عهد بالافاقة من سقم

وقال أيضا وشادن قال لي لما رأى سقمي * وضعف جسمي والدمع الذي انسجما

أخذت دمعك من لفظي وجسمك من * خصري وسقمك من طرفي الذي سقما

والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والانوف بالشمم والخدود باللهب

﴿وقال ابن الرومي﴾

قلبي من الطرف السقيم سقيم * لو أن من أشكو اليه رحيم

﴿وقال ابن الزقاق﴾

ومقلة شادن أودت بجسمي * كأن السقم لي ولها لباس

يسل اللحظ منها مشرفيا * لقتلي ثم يغمده النعاس

﴿ولابي العلاء بن زهر في مثل ذلك﴾

يا راشقي بسهام مالها غرض * الا فؤادي وما منها له عوض

وممرضي بجفون كلها سقم * صحت وفي طبعها التمريض والمرض

امنن ولو بخيال منك يؤنسني * فقد يسد مسد الجوهر العرض

(الشمم) ارتفاع في لين الانف وهو من علامات الجمال والسودد قال الفرزدق

بكفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته * فلا يكلم الا حين يبتسم

وقال آخر في باعه طول وفي وجهه * نور وفي العرنين منه شمم

وقال النابغة * شم العرانين ضرابون للهام * (اللهب) اشتعال النار بغير دخان فشبه الحمرة في الخد وضياءه بجمرة النار وكني به أبو لهب لجماله وقال ابن وكيع فجمع السقم واللهب

واحزني من جفون ظبي * أقام عذري بها عذاره

أسقم جسمي بسقم طرف * حيرني في الهوى احوراره

عجبت من جور وجنتيه * يحرقني دونه استعاره

هواختياري فانصروه * شاهد عقل الفتى اختياره

وله قريب منه كأن صدغاه تراه * وهو على خده مدار

بيت من الحسن لي اليه * حج مدى الدهر واعتمار

ولابن الزقاق بابي من لم يدع لي لحظه * في الهوى من رمق منذ رمق

جعلت نكهته فى ثغره * عبقافى نسق يسبى الحدق
وبدت خجلته فى خده * شفقافى فلق تحت غسق

قال الخفاجى

* يابانة تهتز فينانة * وروضة تنفح معطارا
كم دمع عين فيك قد أجريت * وقلب صب فيك قد طارا
كنى قسى قوسه حاجبا * ورمز اوسمى النبل أشفارا
فان رمى يجرحنى طرفه * لحظته أجرحه ثارا
فيصبغ الدر عقيقا به * وأصبغ الالوان أزهارا
يلوح للاعين من وجهه * كعبة حسن حيثما دارا
قد طبع الحسن بدرهما * تسبك منه العين دينارا
قلبى به عين مجوسية * تعبد من وجنته نارا

غيره

وأغيد تدمى وجنتاه من اللمح * تخلق الامن صدودى بالشح
غدا قاتلى ان ظلت أجرح خده * متى صار بالقتل القصاص من الجرح

(الثغور) جمع ثغر وهو السن * وتقدم الشنب فى الثانية وقال أبو العباس بن الاحنف فى طيب الفم

ذكرتك بالتفاح لما شممته * وبالراح لما أقبلت أوجه الشرب
تذكرت بالتفاح منك سوالفا * وبالراح طعما من مقبلك العذب

والثغور بالشنب والبنان بالترف

((وقال ديك الجن واسمه عبد السلام))

بابى فم شهد الضمير له * قبل المذاق بأنه عذب
كشهادة لله خالصة * قبل العيان بأنه الرب

((وقال أحمد بن محمد الغسانى))

لمبسم برقه خاطف * عقول الرجال اذا ما ابتسم
* أقول له اذ بدا دره * شهدنا لصانعه بالحكم
أرى الدر تثقبه الناظمون * وما ثقبوا ذا فكيف انتظم

((وقال أبو بكر البلوفى))

تقطف من ثغره ووجنته * أنامل الطرف زهرة عجبا
شقيقها مذهبا برى خجلا * واقحوانا مفضضا شنبا

((وقال ابن بشر الكاتب))

ولم نزل والظلام حارسنا * جسمين مستودعين فى جسم
ألثمه فى الدجى وبرقتنا * يا بريبى مواقع اللثم *
ثم افترقنا عند الصباح وقد * أثر فيه كهيئة الختم

((وقال الشريف الرضى))

بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وتقى * يلفنا الشوق من فرق الى قدم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لى * مواقع اللثم فى داج من الظلم

وقال المتنبى

حسان التثنى ينقش الوشى مثله * اذا مسن فى أثوابهن النواعم
ويبسمن عن در تقلدن مثله * كان التراقى وشحت بالمباسم

فهذه معان مختلفة فى أوصاف الثغر كلها حسان قوله (والبنان بالترف) أى الاصابع باللين والنعمة وأحسن ماقيل فى ذلك قول النابغة

بمخضب رخص كان بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

فهذا تشبيه بديع وقال امرؤ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبي أو مساويك اسحل

وقال غيره

ياقمرا أبصرت في مأتم * يندب شجوا بين أتراب
أبرزه المأتم لي كارها * من بين دايات وحجاب
تبكي فتلقي الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

وقال عكاشة

سقيا لمنزلنا الذي كأنه * يوم الخميس عشية أصحابا
اذ نحن نسقاها شمولا قرقفا * تدع الصحيح بعقله مرتابا
من كف جارية كأن بنانها * من فضة قد طرفت عنابا
وكأن عناها اذا ضربت بها * تلقي على يدها الشمال حسابا

وقال آخر

وحوراء اللواحظ بين قلبي * وبين جفونها حرب البسوس
ترى ماء النعيم يجول فيها * كمثل الخمر في صافي الكؤس
كأن بنانها أقلام عاج * مرصعة الرؤس بآبنوس

*ووصف الخصور بالهيف وهو الضمر والرقة وسنذكر معها ما يستظرف وقد تقدم قول ابن عبدربه

يامن تقطع خصره من رقة * مابال قلبك لا يكون رقيقا

(وقال ابن الرومي)

وهبت له عيني الهجوعا * فأثابها منه الدموعا
ظبي كأن بخصره * من ضمره ظمأ أو جوعا

(وقال عبد الله بن عبد الله)

والخصور بالهيف انثى ماقيلت ابنك

سلمى وما سلمى تفوق المنى * والحسن أوصافا وألوانا
وشاحها يحسد خلخالها * بجائع يحسد شبعانا

(وقال كشاجم في مقلوبه)

مساوله الكل غير بطن * مثقل فهي عنكبوت
يجولها الدهر في اضطراب * ووشحها كاظم صموت

وقال حبيب

مها الوحش الا أن هاتي أوانس * قنا الخط الا أن تلك ذوابل
من الهيف لو أن الخلاخيل صيرت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل

(وأخذه القاضي بن ليال فقال)

جلوت لنا شيأ من الدر عاطلا * بعيشك لم جنبته الجيد والنحرا
فقالت ولم تكذب خشيت سقوطه * وأومت الى فيها فنظمته ثغرا
كذلك ان عض السوار بمعصمي * وحاذرت أن يدميه حلته الخصرا

وأكثر ما يذكرون الخصر بالرقة مع ذكر الكفل بالعظم كما قال ديك الجن

وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها * وردية ومدامة من ثغرها

(وقال القاضي أبو حفص بن عمر)

مشت كالغصن يثنيه النسيم * ويعدوه النسيم فيستقيم
لها ردف تعلق من ضعيف * وذاك الردف لي ولها ظلوم
يعذبني اذا فكرت فيه * ويتعبها اذا رامت تقوم
وما حبي لها الا عذاب * عليه من نضارتها نعيم

(قوله

(قوله سهوا) أى خطأو (الهامة) الرأس (والافرى الله جفنى بالعمش) انما ذكر العمش والنمش ومابعده لانها اضداد لما تقدم وعند الاشارة لها يتبين من العلام عند الوالى اضداد ها فيزداد حسنا * وبضدها تتبين الاشياء * والعمش انتثار شعر العينين و (النمش) أخفى من البرش (الجلح) الصلع وهو انحسار الشعر من النزعتين وفعله جلح الرجل واجلح كاسود و (الطلح) قد تقدم فى الثانية واذا علته خضرة سمى بلحا و (البهار) نرجس المغرب وهو أصفر والورد أحمر فدعا له بعلة تذهب جمال وجهه وتصفر حمرة خده و (البخار) كالبخر الدتن و (المسكة) أطيب العطر فدعا له بتغير الرائحة وتقدم ان أطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة وتقدم فى الثانية معنى قوله ووردتى بالبهار منظوما وقال الصابى فى آخر

نطق ابن نصر فاستطارت جيفة * فى العالمين لنتن فيه الفاسد
فكان أهل الارض كلهم فسوا * متواطئين على اتفاق واحد

(وقالت جنان فى أبى نواس)

فاذا ما أردت أن تحمد الله على ما أعطى وأولاك شكرا
فليكن ذاك بالضمير فمن سح بالفسو نال اثما ووزرا

وقال آخر
أهدى زريق قطه لقمة * قدلا كها فى فمه الابخر
فبادر القط الى دفنها * يحسبها من بعض ما قد خرى

(قوله وبدرى بالمحاق) المحاق أن ينمحق ضوء القمر فلا يبقى منه شئ *واحتراق الفضة اسودادها (وشعاعى بالاظلام) أى صباحة وجهه ووضاءته بسواد اللحية أى عاجلنى الله بالالتحاء ويريد بهذا كله أن يكسو بياض وجهه سواد الشعر فيكسد ولا يلتفت اليه وقال ابن المعتز فى مثل هذا الدعاء

يارب ان لم يكن فى وصله طمع * وليس لى فرج من طول هجرته
فاشف السقام الذى فى طرف مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

ونقل لفظ احتراق الفضة من قول أبى الحسن الشعرى وهو من شعراء اليتيمة

لى حبيب يزهى بحسن عجيب * ويقد مثل القضيب الرطيب
أحدقت بالسواد فضة خديه * فقد أحرقت سواد القلوب

ونذكر هنا ما يليق بهذا الموضع مما قيل فى العذار وفى الالتحاء مما مدح به وذم قال ابن عبدربه

ومعذر نقش الجمال بمسكه * خدا له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن ان سيف جفونه * من نرجس جعل النجاد بنفسجا

(وقال ابن صارمه)

ومعذر رقت حواشى حسنه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

(وقال عبد المحسن الصورى)

ومعتذر العذار الى فؤادى * بجرم سابق من مقلتيه
وكم أعرضت عنه فأعرضت بى * عن الاعراض خضرة عارضيه
ولما قلت ان الشعر يسعى * لقلبى فى الخلاص سعى عليه

(وقال أبو القاسم الزاهى)

لولا عذارك ماخلعت عذارى * ولكنت فى وزر من الاوزار
ماكنت أحسب ان أعاين أوأرى * تخطيط ليل فى بياض نهار
حتى نظرت الى عذارك فاغتدى * سقم القلوب ونزهة الابصار

سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته لسيفى عمدا والا فرى الله جفنى بالعمش وخدى بالنمش وطرقى بالجلح وطلعى بالبلح ووردتى بالبهار ومسكتى بالبخار وبدرى بالمحاق وفضتى بالاحتراق وشعاعى بالاظلام

(ذكر العذار والالتحاء)

وللمعتمد بن عباد

تم له الحسن بالعذار * واختلط الليل بالنهار
اخضر في أبيض تبدى * ذلك آسي وذا بهاري
لقد حوى مجلسي تماما * ان يك من ريقه عقاري

(وقال ابن حمدون)

ظل على خده العذار * فافتضح الآس والبهار
وابيض هذا واسود هذا * واجتمع الليل والنهار
أغض عيني عنه لاني * عليه من مقلتي أغار

فهذا كله حسن في مدح العذار وان كان الذي يعوث الجمال فاذا تقوى العذار واسود صار والى نعيه كما قال أبو بكر البلوي

انظر الى ميت ولكنه * خلو من الاكفان والغاسل
قد كتب الدهر على خده * بالشعر هذا آخر الباطل

وله في ضده

لما التحى من قد هويت * وقلت رسم قد دثر
مايئت من طلابه * زمرا مواصلة زمر
وكذاك أصحاب الحديث * نفاقهم عند الكبر

(وكما قال أبو الحسن بن الحاج)

أبا جعفر مات فيك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت زهر الرياض * فأصبح ينبت شوك القتاد
أبن لي متى كان بدر السما * ميدرك بالكون أو بالفساد
وهل كنت في الملك من عبد شمس * فاخفى عليك ظهور السواد

(وقال سعيد بن حيد في غلام التحى)

هلا وأنت بماء وجهك يستقى * روض الشباب قليل شعر العارض
فالآن حين بدت بخدك لحية * ذهبت بحسنك مل‌ء كف القابض
مثل السلافة عاد خمر عصيرها * بعد اللذاذة مثل خل الحامض

(وقال علي بن بسام في أخيه جعفر)

يامن نعته الى الاخوان لحيته * ادبرت والدهر اقبال وادبار
قد كنت ممن يهش الناظرون له * تغض دونك أسماع وأبصار
أيام وجهك مصقول عوارضه * وللرياض على خديك أنوار
فبالدهر مضى ما كان أحسنه * اذ أنت ممتنع والشرط دينار
حانت منيته فاسود عارضه * كما تسود بعد الميت الدار

(وفيه يقول أيضا)

حانت وفاتك يا أبا العباس * فدع المكاس فلات حين مكاس
ما بال وجهك بعد كثرة نوره * قد سودوه بحالك الانقاس
أين الدنانير التي عودتها * هيهات جاء الشعر بالافلاس
كانت بخد ثيابه ديباجة * فاستبدلت حلسا من الاحلاس
وكذا البناء فغير مرتفع اذا * كانت بلينه من الاساس

(وقال مصعب الماجن)

قد سافت أقطار خدك لحية * تركته وهو مسود الاقطار

فكأن خط الشعر في جنباته * ليل أقام على نجوم نهار

وكان لمحمد بن بشر باب ان يدخل من الاكبر أصحابه ومن الاصغر أحبابه فجاء يوما غلام مليح وأراد الدخول من الاصغر على عادته فمنع فجعل يخاصم البواب لادلاله فبلغ ذلك ابن بشر فكتب اليه

قل لمن رام بجهل * مدخل الظبي الغرير
بعد أن علق في خديه مخلاة الشعير
ليته يدخل ان جا * من الباب الكبير

وقال ابن الابار
لست بصاب الى معذر * بل أنا في حبه معذر
لا أعشق الظبي ذا الجام * لانه في الظبا منكر
أحسن مافيه ان تراه * بين مهاة وبين جؤذر

ينظر قوله لانه في الظبا منكر الى قول حبيب
تعشقك الكبار يدل عندى * على أن الرحى قلبت تقالا

وقال آخر
لى في أبي يحيى ومعشوقه * شغل على ذى شغل شاغل
ياليت شعرى قول ذى حيرة * من منهما المفعول والفاعل

(وقال ابن حصين في محبوب صغير)
بأبي ظبي صغير السن حازت ثلث سني
سرني أن ليس يدرى * مذهبي فيه وفني
فهو يدعونى عما * وأنا أدعوه بابني

(وللنبار زرزى)
قالوا عشقت صغيرا قلت أرتع في * روض المحاسن حتى يدرك الثمر
ربيع حسن دعانى لاتباع هوى * لما تفتح فيه النور والزهر

(وقال التنوخي في جسيم)
من أين أستر وجدى وهو منهتك * ما للمتيم في نيل الهوى درك
قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم * الشمس أعظم جسم ضمه الفلك

(وللفقيه ابن حزم)
وذى عذل فيمن سباني حسنه * يطيل ملامى في الهوى ويقول
أفي حسن وجه لاح لم تر غيره * ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل
فقلت له أسرفت في اللوم ظاهرا * وعندى رد لو أردت طويل
ألم ترأني ظاهرى وانني * على مابدا حتى يقوم دليل

(وأحسن حبيب حين قال)
قال الوشاة بدا في خده عارضه * فقلت لاتنكروا ماذاك عائبه
الحسن منه على ما كنت أعهده * والشعر حرز له ممن يطالبه
أحلى وأعذب ما كانت شمائله * اذ لاح عارضه واخضر شاربه
وصار من كان يلحى في مودته * ان سيل عنى وعنه قال صاحبه

(وقال الحلوانى)
قالوا التحى فامتحت بالشعر بهجته * فقلت لولا الدجى لم يحسن القمر
خطت يد الحسن فيه فوق وجنته * هذى محاسن يا أهل الهوى أخر

وله أيضا
لى حبيب اذا شكوت اليه * سامنى بالهوى عذابا شديدا

لست أدعو بالشعر غيظا عليه * خيفة أن يكون حسنا جديدا
غير أني أدعو بقلب قريح * أن أراه مثلي محبا عميدا

وقال غيره
قد حل في سوقك الكساد * مذلاح في خدك السواد
كأنما الشعر فيه زرع * والنتف منه له حصاد

وقوله (ودواتي بالاقلام) أي ابتلاه الله أن يلاط به قال الفنجديهي أنشدني بعض الشعراء بمروروز لبعضهم
دوادار الامير له دواة * كشكل الياسمين بغير صوف
يرى قلم الامير يغوص فيها * مغاص عصيدة في حلق صوفي

ونقل لفظ الدواة والاقلام من قول ديك الجن وكان يهوى غلاما من حمص اسمه بكر فجلس معه ليلة يتحدث بها حتى غاب القمر فقام بكر ليمشي فقال
دع البدر فليغرب فأنت لنا بدر * اذا ما تجلى عن محاسنك الشعر
اذا ما انقضى سحر الذين ببابل * فأنت لنا سحر و ريقك لي خمر
ولو قيل لي قم فادع أحسن من ترى * لصحت بأعلى الصوت يا بكر يا بكر

وكان هذا الغلام شديد التصاون والتمنع فاحتال عليه قوم من حمص فاخرجوه الى منتزه فاسكروه وفسقوا به فبلغ ذلك ديك الجن فقال
يا بكر ما فعلت بك الارطام * يا دار ما فعلت بك الايام
في الدار بعد بقية مستامة * أم ليس فيك بقية تستام
شغل الظلام كرى ك في أبوابهم * فتفرعت لدواتك الاقلام

ودواتي بالاقلام فقال

﴿وله فيه أيضا﴾

قولا لبكر بن مهدي اذا اعتكرت * عساكر الليل بين الطاس والجام
ألم أقل لك ان الكبر مهلكة * والبغي والعجب افساد لاقوام
قد كنت تفرق من سهم تعاينه * فصرت غير ذميم وقصة الرامي
قد كنت تفزع من لمس ومن قبل * وقد ذللت لاسراج والجام
ان تدم خذا لك من ركض فربتما * أمسى وقلبي منك الموجع الدامي

قال أبو علي بن رشيق كنت أوصي غلاما وضيأ كان يختلف الي واحذره من كثرة التخليط فخرج يوما في جماعة من أصحابه فأوقع به فأخبرت بذلك فقلت
يا سوء ما جاءت به الحال * ان كان ما قالوا كما قالوا
ما أحذق الناس بصوغ الخنا * صيغ من الخاتم خلخال

﴿وهذا من قول ابن المعتز﴾

مضى خالد والمال تسعون درهما * وآب ورأس المال ثلث الدراهم

وهذا المعنى الخبيث يتبين بعقد التسعين والثلاثين في اليد وقال ابن رشيق
سقطت ثنيته فاوجع قلبه * لسقوطها وجرى عليه عظيم
فاذا مررت به فسل فؤاده * عنها وقل صبرا كذاك الريم
عجبا اللؤلؤة هوت من سلكها * والسلك لا واه ولا مفصوم
أتعد يا يا خطب وهو مصون * أبدا بخاتم ربه مختوم

ويستحب لمن وسم بوسمة الجمال أن يكون شديد التصاون قليل التبذل فذلك أدعى للسلامة وقد قال ابن وكيع في ذلك
قالوا عشقت كثير البخل ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه

لوجادها وقلت الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه

فاذا ابتذل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون ونبت عن محاسنه العيون لان النفس الحرة لاتنفك من غيرة وقد قال العباس بن الاحنف

يا قوم لم أهجركم لملالة * مني ولا لمقال واش حاسد

لكنني جربتكم فوجدتكم * لاتصبرون على طعام واحد

﴿وقال الوليد بن حزم﴾

لما استمالك معشر لم أرضهم * والقول فيك كما علمت كثير

داويت دونك مهجتي فتماسكت * من بعد ما كادت اليك تطير

فاذهب فغير جوانحي لك منزل * واسمع فغير وفائك المشكور

وله أيضا

يقول وقد لمته في الهوى * فلان وعرضت شيأ قليلا

أتحسدني قلت لا والذي * أحلك في الحب مرعى وبيلا

وكيف وقد حل ذاك الازار * وقد سلك الناس تلك السبيلا

﴿وقال محمد بن السرى﴾

قايست بين جماله وفعاله * فاذا الملاحة بالخيانة لا تفي

والله لا كلمته ولو انه * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وقال آخر

أيا حسنا أزرت قبائح فعله * عليه كما أزرى الكسوف على البدر

لقد فقت كل الناس حسنا وزينة * ولكنما قبحت ذلك بالغدر

﴿وقال ابن عيينة﴾

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ * في حفظه عجب وفي تضييعك

ان تقتليه وتذهبي بفؤاده * فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

الغلام الاصطلاء بالبلية ولا الايلاء بهذه الالية والانقياد للقود ولا الحلف بما لم يحلف به أحد وأبى الشيخ الا تجريعه اليمين التي اخترعها وأمقر له جرعها

(قوله الاصطلاء) أي الاتصال والتلبس و(البلية) أراد دعوة الباطل التي ادعى عليه الشيخ و(الايلاء) الحلف و(الالية) اليمين و(القود) قتل النفس بالنفس فيقول الصبر على الضرب أو القتل أهون من هذه اليمين التي لم يحلف بها أحد (اخترعها) استنبطها (أمقر) أمر من المقر وهو الصبر وهذه اليمين المخترعة حكى الاصمعي شبهها فقال اختصم اعرابيان عند بعض الولاة في دين فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق فقال المدعي دعني من هذه الايمان واحلف بما أقول لك فقال وما أقول لك قال قل لا ترك الله لك خفا يتبع خفا ولا ظلفا يتبع ظلفا وحتك من أهلك وولدك كما تحات الورق من الشجر ان كان بقي لي هذا الحق قبلك فأعطاه حقه ولم يحلف له وحكى المسعودي أن الفضل بن الربيع قال سار الي عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فقال ان موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أرادني على بيعته فأخبرت الرشيد بذلك فجمع بينهما فقال الزبيري لموسى سعيتم علينا وأردتم نقض بيعتنا ودولتنا فقال له موسى ومن أنتم فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه الى السقف لئلا يظهر منه الضحك ثم قال موسى يا أمير المؤمنين هذا المشنع علي خرج مع أخي محمد على جدك المنصور وهو القائل

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا * ان الخلافة فيكم يا بني الحسن

وليست سعايته حبا لك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضا لنا جميعا أهل البيت وأنا أستحلفه بيمين فان حلف بها اني قلت ذلك فدمي حلال لامير المؤمنين فقال له الرشيد احلف له وامتنع فقال له الفضل لم تمتنع وقد زعمت أنه قال ذلك قال فاني أحلف له قال موسى قل تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته الى حولي وقوتي ان لم يكن ما قلته حقا فحلف فقال موسى الله أكبر حدثني أبي عن أبيه عن

جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب الا عجل الله له العقوبة وها أنا ذا بين يدى أمير المؤمنين فى قبضته فان مضت ثلاث ولم يحدث له حادث فدمى حلال لامير المؤمنين قال الفضل فوالله ما صليت العصر فى ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من داره فدخلت عليه فوالله ما كدت أعرفه لانه صار كالزق العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم فعرفت الرشيد فى الحين فما انقضى كلامنا حتى عرفنا انه قد مات فبادرت بتجهيله وتوليت الصلاة عليه فلما ووري فى قبره انخسف به وخرجت رائحة مفرطة النتن ورمت احمال شوك على الطريق فأمرت بها فطرحت فى قبره فانخسف ثانية فأمرت بألواح ساج فطرحت على قبره وألقى التراب عليها وانصرفت وأعلمت الرشيد فأكثر التعجب وأحضر موسى فأعطاه ألف دينار وقال له لم عدلت عن اليمين المتعارفة عند الناس فقال أخبرت بالسند المتقدم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من حلف بيمين كاذبة مجد الله فيها استحيا الله من تعجيل عقوبته ومن حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته عجل الله له العقوبة قبل ثلاث (قوله التلاحى) السباب والتشاتم * على رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم من لاحى الرجال سقطت مروأته وذهبت كرامته ومازال جبريل ينهانى عن ملاحاة الرجال كما ينهانى عن عبادة الاوثان وفى المثل من لاحاك فقد عاداك (يستعر) يتقد (محجة التراضى) أى طريق الرضا (تعر) تصعب و(فى ضمن تأبيه) أى فى أثناء كلامه وامتناعه (يخلب) يخدع ويأخذ قلبه (تلويه) انعطافه (يطمعه) يدعوه للطمع (يلبيه) يجيبه لمراده و(ران) غلب وغطى * أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أذنب العبد نكت فى قلبه نكتة سوداء فان تاب صقلت وان عاد زادت حتى تعظم فى قلبه فذلك الران قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم (ألب) أقام (لبه) عقله (سول) زين (الوجد) حرقة القلب (تيمه) عبده وذلله والمتيم المستعبد لهواه (توهمه) ظنه (يستخلصه) يختصه لنفسه (حبالة) آلة الصيد (يقتنصه) يصيده يقول ان هذا الغلام فى أثناء كلامه بالتمنع وترك الانقياد للشيخ يطمع الوالى فى الانقياد له وانه اذا دعاه لما يريده منه أجابه وانما فعل هذا حين رأى ادامة نظر الوالى فى وجهه واستحسانه كلامه ولو فسر الوالى حال الغلام بمنظوم لانشد

يهدى لك الدر من لفظ ومبتسم * ضربان منتثر منه ومنظوم
يجنى الذنوب وأحنو أن أؤاخذه * من أجل ذلك قيل الحسن مرحوم

((ولانشد اذا غلب عليه هواه))

مرآك مرآك لا شمس ولا قمر * وورد خديك لا ورد ولا زهر
فى ذمة الله قلب أنت ساكنه * ان بنت بان فلا عين ولا أثر
لولا محلك من قلبى لما أسفت * نفسى عليك فرفقا أيها القمر

هذه الابيات للوليد بن حزم وقد كرر معنى البيت الاخير فقال

أذكيت من قلبى بنأيك لوعة * حتى خشيت على محلك فيه

((ومما يتعلق بهذا المعنى قول الآخر))

ولما رمانى بالسهام تعمدا * وفيها نصال الهجر حتى امتلا صدرى
فقلت له لا ترم قلبى فانه * مكانك والمرمى أنت ولا تدرى

وقال آخر

حللت فى قلبى فهل أنت عالم * بأنك محمول وأنت مقيم
ألا ان شخصا فى فؤادى محله * وأشتاقه شخص على كريم

وقال التهامى

قلبى فداؤك وهو قلب لم يزل * تذكى شهاب الشوق فى أثنائه
جاورته شر الجوار ورنه * لما حللت فناءه بفنائه

ولم يزل التلاحى بينهما يستعر ومحجة التراضى تعر والغلام فى ضمن تأبيه يخلب قلب الوالى بتلويه ويطمعه فى أن يلبيه الى أن ران هواه على قلبه وألب بلبه فسول له الوجد الذى تيمه والطمع الذى توهمه أن يخلص الغلام ويستخلصه وان ينقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه

حرق سوى قلبى ودعه فاننى * أخشى عليك وأنت فى سودائه

وقال آخر

أودع فؤادى حرقا أودع * نفسك تؤذى أنت فى أضلعى

أمسك سهام اللحظ أو فارمها * أنت بما ترمى مصاب معى

موقعها القلب وأنت الذى * مسكنه فى ذلك الموضع

(قوله أليق) أى أشكل وأصقل (بالاقوى) بصاحب القوة * والذى هو أقرب للتقوى هو العفو لقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى (أقتفيه) أتبعه (لا أقف لك فيه) أى لا أتوقف فيما تشير به (تقصر) تكف (عن القيل والقال) أى عن كل كلام (أجتبى) أجمع (عرضا) كل ماليس فيه روح من الامتعة غير العين وهو ماليس بنقد من السلع التى يتجر فيها من متاع ورقيق وغير ذلك (أتحمل) أضمن وفلان حميل بكذا أى ضامن له (اخلاف) كذب وعد (نقده) أعطاه نقدا (وزع) فرق (وزعته) شرطته الذين يكفون عنه الناس واحدهم وازع مثل كافر وكفرة وقد وزعته وزعا كففته وأيضا دفعته وقال الحسن البصرى رحمه الله لابد للسلطان من وزعة (الاصيل) العشى * وثوبه ضوء الشمس وهو فى ذلك الوقت رقيق (صوب) وقع وصاب السهم صوبا وصيبا وقع بالرمية وصاب السحاب الموضع أمطره و(التحصيل) ان يحصل بقية المال (راج) حضر وتيسر ويقال راج الشئ روجا فهو رائج اذا جاء سريعا (قوله انسان مقلتى) أى سواد عينى (يرعاه) يحفظه وينظره (أعفى) أتى بالبقية والعفاوة بقية المرق فى القدر (تخلصت) انفصلت و(القائبة) البيضة (والقوب) الفرخ وهذا مثل يضرب للرجلين يفترقان بعد الصحبة وجاء مقلوبا لان الذى ينفصل ويخرج انما هو الفرخ من البيضة والقوب من تقوب الشئ اذا انقشر ومنه القوباء داء الحزاز و(ابن يعقوب) هو يوسف عليهما السلام وبراءة الذئب من دمه هو ما يحكى أن اخوته لما جاؤا الى أبيهم يبكون على يوسف علموا انه لا يصدقهم فاصطادوا ذئبا فلطخوه بدم وأتوه يبكون وقالوا له هذا الذئب قد ضرى أكل أغنامنا وأكل يوسف أخانا فقال لهم أطلقوه ودعا الله يعقوب أن ينطقه له فقال للذئب ادن منى فجعل يبصبص بذنبه ويدنو منه حتى وضع خده على فخذ يعقوب فقال له لم أكلت ابنى وفجعتنى فيه فقال لا والله يا نبى الله ما رأيته ولا أكلته وانى لغريب فى أرضكم اليوم وصلت من مصر فى طلب أخ لى فقدته فأوثقنى هؤلاء وساقونى اليك فقال لهم يعقوب عليه السلام الذئب مع أخيه أوفى منكم مع أخيكم (قوله سمت) أى كلفت (شططا) شيأ بعيدا او الشطط مجاوزة القدر (ورمت فرطا) طلبت شيأ متفاوتا وكيف لم يسمه شططا وقد حرمه لذة ليلة مع هذا الغلام أحسن من ليلة الخفاجى حيث يقول

وليلة طلقة قضتنى * من موعد الحبيب دينا

بتنا نجر الذيول فيها * والخمر تمشى بنا الهوينا

أرسل فى روض وجنتيه * لحظة عين تفيض عينا

كأنما اللحظ كيمياء * تذهب من وجهه لجينا

وما توهمت أن طرفا * يقلب عين اللجين عينا

* (أو ليلة الآخر حين يقول)

لما رأى من ظلت فيه متيما * جسمى ضئيلا والفؤاد مولها

جادت شمائله على بليلة * أهدت الى الصب المعنى ما اشتهى

عانقت فيها البدر ليلة تمه * يا من رأى بدرا يعانقه السها

(قوله الحجج السريجية) منسوبة الى أحمد بن سريج وهو من كبار أصحاب الشافعى وكان حسن الاحتجاج مليح المناظرة وقال الفنجديهى السريجية منسوبة الى الامام أبى العباس أحمد بن عمر

فقال الشيخ هل لك فيما هو أليق بالاقوى وأقرب للتقوى فقال الام تشير لا قتفيه ولا أقف لك فيه فقال أرى ان تقصر عن القيل والقال وتقتصر منه على مائة مثقال لا تحمل منها بعضا واجتبى الباقى لك عرضا فقال الشيخ مامنى خلاف فلا يكن لوعدك اخلاف فنقده الوالى عشرين ووزع على وزعته تكملة خمسين ورق ثوب الاصيل وانقطع لاجله صوب التحصيل فقال له خذ ما راج ودع عنك اللجاج وعلى فى غد أن أتوصل الى أن ينض لك الباقى ويحصل فقال الشيخ أقبل منك على أن ألازمه ليلتى وبرعاه انسان مقلتى حتى اذا أعفى بعد اسفار الصبح بما بقى من مال الصلح تخلصت قائبة من قوب وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال له الوالى ما أراك سمت شططا ولا رمت فرطا

(قال الحرث بن همام) * فلما رأيت حجج الشيخ كالحجج السريجية

* (ترجمة ابن سريج) *

ابن سريج امام أصحاب الشافعي على الاطلاق ومن لا نفست ذات در بمثله في الآفاق حججه في أحكام الشرع أوضح الحجج وأقواها وأمتنها على مرور الايام والحجج وكان يلقب بالبازي الاشهب وبالشافعي الثاني لتبحره في استنباط المعاني من غوامض الاخبار والمثاني دلائله في فنون العلم متينة وبراهينه مبينة وقال رأيت في المنام كانا أمطرنا كبريتا أحمر فملأت كمي وحجري وجيبي منه فعبر لي انى أرزق علما عزيزا كعزة الكبريت الاحمر وسمع يتمثل بهذه الابيات

فلا تحسد الكلاب أكل العظام * فعند الخراءة ما ترجمه

تراه وشيكا كاشكا استه * كلوما جناها عليه فمه

اذا ما أهان امرؤ نفسه * فلا أكرم الله من يكرمه

وكان يناظر محمد بن داود فقال له ابن داود يوما وقد أكثر عليه السؤال أبلعني ريقي فقال له قد أبلعتك الدجلة والفرات وقال له مرة أمهلني ساعة فقال قد أمهلتك من الساعة الى أن تقوم الساعة وقال له ابن داود يوما أكلك من الرجل وتجيبني من الرأس فقال له كذلك البقر اذا حفيت أظلافها دهنت قرونها واجتمع أبو العباس بن سريج وأبو بكر بن داود الاصبهاني في مجلس عيسى بن الجراح الوزير فتناظرا في الايلاء فقال ابن سريج أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أبصر منك بالكلام في الايلاء فقال له ابن داود لئن قلت ذلك فاني أقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسي أن تنال محرما

وأحمل من ثقل الهوى ما لو انه * يصب على الصخر الاصم تهدما

وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاسي رده لتكلما

رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست أرى حبا صحيحا مسلما

وقال له ابن سريج بم تفتخر ولو شئت قلت

ومساهر بالغنج من لحظاته * قد بت أمنعه لذيذ سناته

أصبو لحسن كلامه وحديثه * وأكرر اللحظات في وجناته

حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته

فقال له أبو بكر أصلح الله الوزير يحفظ عليه ما قال حتى يقيم عليه شاهدين عدلين أنه ولى بخاتم ربه وبراته فقال له ابن سريج فيلزمني في هذا ما يلزمك في قولك * وأمنع نفسي أن تنال محرما * فضحك الوزير وقال لقد جمعتما ظرفا ولطفا وعلما وفهما * اشتملت هذه الحكاية على أن هذين الرجلين العالمين على اشتهارهما بالعلم والفضل والدين كانا يرتاحان الى التعشق على سبيل التظرف والتزام التعفف على ما يليق ويشكل بمنصبهما واذا كان التعشق بشرط العفاف فانما يزيد الرجل الفاضل رقة طبع وحلاوة شمائل وقال ابن سريج في مرضه الذي مات فيه أريت في المنام البارحة كان قائلا يقول هذا ربك يخاطبك فسمعته يقول ماذا أجبتم المرسلين فقلت بالايمان والتصديق قال فقيل ماذا أجبتم المرسلين فوقع في نفسي انه يراد مني زيادة في الجواب فقلت بالايمان والتصديق غير انا قد أصبنا من هذه الذنوب فقال اما اني سأغفرها لك وتوفي لخمس مضين من جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة وبلغ سنه سبعا وخمسين سنة وستة أشهر ودفن في حجرة بسويقة غالب ببغداد رحمة الله عليه ونذكر الآن من نفيس الشعر المتضمن من ظفر من محبوبه بمراده من الوصال ثم عف عما يخل باهل الجلال قال ادريس بن اليمان

لم تدر ما خلدت عيناك في خلدي * من الغرام ولا ما كابدت كبدي

أفديك من زائر رام الدنو فلم * يسطعه من حرق في الدمع متقد

خاف العيون فوافاني على عجل * معطلا جيده الا من الغيد

فاطبته الكاس فاستحيت مدامتها * من ذلك الشنب المعسول والبرد
حتى اذا مازلت أجفانه سنة * وصيرته يد الصهباء طوع يدي
أردت توسيده خدي وقل له * فقال كفك عندي أفضل الوسد
فبات في حرم لا غدر يذعره * وبت ظمآن لم أصدر ولم أرد
بدر ألم وبدر التم منمحق * والافق محلولك الارجاء من حسد
تحير الليل فيه أين مطلعه * أما درى الليل ان البدر في عضدي

(وقال الرمادي)

وليلة راقبت فيها الهوى * على رقيب غير وسنان
والراح ما تنزل من راحتي * وقتا ومن راحة ندمان
ورب يوم قيظه منضج * كأنه احشاء ظمآن
أبرز من خديه لي رشحه * طلا على ورد وسوسان
وكان في تحليل أزراره * أفود لي من ألف شيطان
فصت الجنة من جيبه * فبت في جنة رضوان
مروأة في الحب تنهى بأن * يجاهر الله بعصيان

((وقال سعيد بن حميد))

زائر زارنا على غير وعد * أهيف الكشح مثقل الارداف
غالب الخوف حين غالبه الشو * ق فأحيى الهوى وليس بخافي
غض طرفي عنه تقى الله واختر * ت على بذله بقاء التصافي
ثم ولى والخوف قد هز عطفيـ * ـه ولم يخل من لباس العفاف

(وقال بعض الطالبين)

رموني واياها بشنعاء هم بها * أحق أدال الله منهم وعجلا
بأمر تركناه ورب محمد * جميعا فاما عفة أو تجملا

علمت أنه علم السروجية فلبثت الى ان زهرت نجوم الظلام وانتشرت عقود الزحام ثم قصدت فناء الوالي فاذا الشيخ للفتى كالي فنشدته الله أهو أبو زيد فقال اي ومحل الصيد فقلت من هذا الغلام الذي هفت له الاحلام قال هو في النسب فرخي وفي المكتسب فخي قلت فهلا اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت الوالي الافتتان بطرته فقال لولم تبرز جبهته السين

وسنزيد ما يستحسن في العفاف وضده في الثانية عشرة (قوله علم السروجية) أي مشهورها والعلم الجبل (لبثت) أقمت (عقود) جمع عقد أراد ما يعقد من جموع الناس في الزحام (انتشرت) افترقت (زهرت) أضاءت (الفناء) ما حول الدار (ناشدته) سألته (هفت) أي طارت (الاحلام) العقول (فطرته) خلقته (تبرز) تظهر (الطرة) قد تقدمت وشبه اعتدال الشعر على الجبهة بشكل السين على السطر وأخذه من قول التهامي

يارب معنى بعيد الشأن نسلكه * في سلك لفظ قريب الفهم مختصر
لفظ يكون لعقد القول واسطة * ما بين منزلة الاسهاب والحصر
ان الكتابة طارت تحت أنمله * والجود والتقيا منه على قدر
ترد اقلامه الارماح صاغرة * عكسا كعكس شعاع الشمس للقمر
وفي كتابك فاعذر من يهيم به * من المحاسن ما في أحسن الصور
الطرس كالخد والنونات دائرة * مثل الحواجب والسينات كالطرر

(ومن ملح الخابرزي)

وبنفسي من اذا خمشته * نثر الورد عليه ورقه
واذا مست يدي طرته * افلتت منه فعادت حلقه

أخذها من حكاية لعمر بن أبي ربيعة حدث المغيرة بن عبد الرحمن قال حججت مع أبي وأنا غلام علي

جه فجئت عمر فسلمت عليه فجلست عنده فجعل يعد الخصلة من شعرى ثم يرسلها فترجع على ما كانت عليه و يقول واشباباه حتى فعل ذلك مرارا ثم قال لى يا ابن أخى قد سمعتنى أقول فى شعرى قالت وقلت وكل مملوك لى حر ان كنت كشفت عن فرج امرأة حرام قط فسألت عن رقيقه فقيل لى أما فى الحول فسبعون سوى غيرهم وساير عمر عروة بن الزبير يحدثه فقال وأين زين المواكب يعنى ابنه محمدا وكان يعرف بذلك لجماله فقال عروة هو أمامك فركد يطلبه فقال له عروة يا أبا الخطاب أولسنا اكفاء كراما لمحادثتك قال بلى بأبى أنت وأمى ولكنى مغرى بهذا الجمال حيث كان ثم التفت اليه وقال

انى امرؤ مولع بالحسن أتبعه * لاحظ لى فيه الا لذة النظر

أخذه العباس بن الاحنف فقال

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يضمر السوء ان طالت اقامته * عف الضمير ولكن فاسق النظر

ومما يتعلق بذكر الشعر حلاقه والشعر فيه كثير فنلم منه باليسير وأول من قرع هذا الباب فيما يذكر القائل

حلقوا رأسه ليكسوه قبحا * خيفة منهم عليه وشحا

كان من قبل ذاك ليلا وصبحا * فمحوا ليله وأبقوه صبحا

(وقال أبو العباس القرىبى)

كان الاغرا تحت دجى * فانجلى الليل ولاح القمر

أو كزهر فى كمام كامن * شققت عنه فتم الزهر

(وقال أبو العباس بن حيوت)

حلقوك فى تغيير حسنك رغبة * فازداد حسنك هيبة وضياء

كالجمر فض ختامه فتشعشعت * والشمع قط ذباله فاضاء

(قوله فنفشت) أى أخذت بسرعة تقول قفشت الشئ قفشا اذا جمعت عليه كفك بسرعة وقد انقفشت العنكبوت اذا دخلت جحرها (قوله الجوى) أى مرض القلب (تديل) تعوض والادالة أن يكون الشئ لك مرة ولغيرك أخرى وهى من الدولة (النوى) البعد و يريد هلم لنجدد المودة فى هذه الليلة و يكون ذلك عوضا من طول الفراق فقد عزمت على أن أنسل بالسحر وأفر والانسلال الخروج مستخفيا (أصلى قلب الوالى) أجعله محترقا بالتحسر والتفجع (قضيت) أتممت (سمر) حديث بالليل يسمر عليه (آنق) أحسن (حديقة) بستان ولا تكون الا تحت حائط أو زرب (زهر) نور (خميلة) روضة فيها شجر (لألأ) لمع وأضاء (الافق) جهات السماء (ذنب السرحان) هو الفجر الكاذب وهو ضوء يظهر قبل الفجر دقيق متصعد الى السماء والسرحان الذئب شبه ضوءه بذنبه (آن) حان وقرب (انبلاج الفجر) ظهور ضوئه (متن) ظهر (الحريق) النار (سلم) ترك (محكمة الالصاق) متقنة الطى (القرار) السكينة يريد أن الوالى اذا أخبر بهربنا ذهب عقله فجعل يتململ ولا يقر (فضضتها) كسرت ختامها و(المتلمس) شاعر مشهور اسمه جرير بن عبد المسيح وسمى المتلمس بقوله

فهذا أوان العرض طن ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

وهو مأخوذ من تلمس الرجل الحاجة اذا طلبها سرا من غيره وأصل ذلك من اللمس باليد كالذى يلمس بيده فى الظلام مواضع خفية يطلب منها شيأ ضاع منه أو كلمس الاعمى شيأ بيده ومن كلام عامتنا فلان يتلمس بسكون التاء أى يدخل بين الناس باستخفاء ولا يشعر به والمتلمس أحد الثلاثة الذين اتفق العلماء على أنهم أشعر المقلين فى الجاهلية وهم المتلمس والمسيب بن عبس وحصين بن الحمام و (المتلمس)

لما قنفشت الخمسين ثم قال بت الليلة عندى لتطفئ نار الجوى وتديل الهوى من النوى فقد أجمعت على أن أنسل بسحرة وأصلى قلب الوالى نار حسرة قال فقضيت الليلة معه فى سمر آنق من حديقة زهر وخميلة شجر حتى اذا لألأ الافق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان ركب متن الطريق وأذاق الوالى عذاب الحريق وسلم الى ساعة الفراق رقعة محكمة الالصاق وقال ادفعها الى الوالى اذا سلب القرار وتحقق منا الفرار ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فاذا فيها مكتوب

بالميم

بالميم قبل اللام هو المتخلص الذى يطلب السلامة والخلاص بسهولة وقد أملس اذا خرج من بين القوم هاربا وهم لا يشعرون وقد أملس الشئ اذا سقط من يدك ولم تشعر بملاسته و(الصحيفة) الكتاب * وقصتها أن المتلمس وطرفة كانا ينادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان سيئ الخلق شديده وهو الذى حرق من تميم مائة رجل فهجوه فقال فيه المتلمس وكان طرده لشئ بلغه عنه

أطردتنى حذر الهجاء ولا * واللات والانصاب لا تئل

أى لا تنجو وقال فيه أيضا

ان الخيانة والمغالة والخنا * والغدر تتركه ببلدة مفسد
ملك يلاعب أمه وقطينها * رخو المفاصل أيره كالمبرد
فاذا حللت ودون بيتى غاوة * فابرق بأرضك ما بدا لك وارعد

وقال طرفة

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تخور
لعمرك ان قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوك كثير

(قصة المتلمس)

فى أبيات شهرتها تغنى عن ذكرها فاستحيا أن يقتلهما بحضرته وبينهما ادلال المنادمة فكتب لهما بصحيفتين وختمهما لئلا يعلما ما فيهما وهو أول من ختم الكتاب وقال لهما اذهبا الى عاملى بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما بجوائز فذهبا فمرا بطريقهما بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه ويقصعه فقال المتلمس ما رأيت شيخا كاليوم أحمق من هذا وقال الشيخ ما رأيت من حمق أخرج الداء وأكل الدواء وأقتل الاعداء ويروى أقتل عدوا وأدخل طيبا وأخرج خبيثا أحمق والله منى من يحمل حتفه بيده فاستراب المتلمس بقوله وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب فقال له المتلمس أتقرأ يا غلام قال نعم ففك الصحيفة فاذا فيها فاذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فقال لطرفة ادفع اليه صحيفتك فان فيها مثل هذا فقال طرفة كلا لم يكن ليجترئ على وكان غرا صغير السن فقذف المتلمس بصحيفته فى نهر الحيرة وقال

قذفت بها فى اليم من جنب كافر * كذلك أقفو كل قط مضلل
رضيت لها بالماء لما رأيت مدادها * يجول به التيار فى كل جدول

وأخذ نحو الشأم وقال

ألقى الصحيفة كى يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

أراد أنه تخفف للفرار فألقى ما لا يثقل وما لابد للسفر منه وقال حين نجا

من مبلغ الشعراء عن أخويهم * خبرا فتصدقهم بذاك الانفس
أودى الذى علق الصحيفة منهما * ونجا حذار حباته المتلمس
ألقى الصحيفة لا أبالك انما * يخشى عليك من الحباء النقرس

وأما طرفة فوصل الى البحرين فلما قرأ العامل صحيفته وسأله عن المتلمس فاخبره بفراره عفا عنه لصدقه ورعاية لطابع الملك حيث لم يفكه وقيل انه سجنه وبعث الى عمرو بن هند وقال له ما كنت لاقتل طرفة وأعادى قبيلته فاذا أردت قتله فابعث اليه من يقتله ففعل وخير فى قتله فاختار أن يسقى الخمر ويفصد أكحلاه ففعل به ذلك حتى مات نزفا ودفن بهجر وقيل فى قتله غير ذلك وقال البحترى بصدق ما تقدم

٣ ولقد سكنت الى الصدود من النوى * والشرى أرى عند طعم الحنظل
وكذاك طرفة حين أوجس ضربة * فى الرأس هان عليه فصد الاكحل

وقال وهو فى السجن يخاطب قومه

أسلمنى قومى ولم يغضبوا * لسوأة حلت بهم فادحه
كل خليل كنت خاللته * لا ترك الله له واضحه

٣ قوله ولقد سكنت الخ هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها ولقد سكنت من الصدود الى النوى الخ اه مصححه

كلهم أروغ من ثعلب * ما أشبه الليلة بالبارحه

وقال يخاطب عمرو بن هند في السجن

أبا منذر كانت غرورا صحيفتي * ولم أعطكم بالطوع مالي ولا عرضي

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقتل وهو ابن عشرين سنة والعرب تقول أشعر الناس ابن العشرين وتعنيه الا أن أبا العباس أنشد لاخيه يرثيه عددناله ستا وعشرين حجة * فلما توفى واستوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا ايابه * على غير حال لا وليدا ولا قحما

وهلك المتلمس في الجاهلية ببصرى (قوله غادرته) أي تركته (بعض اليدين) تندما (سادما) متغيرا والسادم المتغير العقل من الغم من قولهم ماء سدم ومياه سدم وأسدام أي متغيرة وقيل السديم الحزين الذي لا يطيق ذهابا ولا مجيأ من قولهم بعير مسدم اذا منع من الضراب فكأن الحزين منع من الذهاب والمجي فيقول تركته يعض يديه تندما وتلهفا (اللظى) لهب النار وقد لظت النار علا لهبها فيريد أن الشيخ أخذ ماله والفتى عقله فاحترق بنار فجعتين (جاد) سمح (العين) الذهب (هواه) تعشقه وميله (انثنى) رجع (بلاعينين) أي بغير مال ولا بصر (خفض) سكن (معنى) معذب (يجدى) ينفع و(العين) ههنا الشخص *وقولهم طلب أثرا بعد عين كان رجلا تمكن من عدوه أو من صيد لير ميه فتراخى عنه حتى فاته ثم شد في طلبه بعد الفوت وأول من قال ذلك مالك بن عمرو العامري وكان بعض ملوك غسان أخذه وأخاه سماكا بسبب قتيل كان له في عمالته فحبسهما زمانا ثم قال لهما اني قاتل أحدكما فجعل كل واحد منهما يقول اقتلني مكان أخي فقتل سماكا وخلى مالكا فقال سماك حين ظن أنه مقتول وأقسم لو قتلوا مالكا * لكنت لهم حية راصده

برأس سبيل على مرقب * ويوما على طرق وارده

أأم سماك فلا تجزعي * فللموت ما تلد الوالده

وانصرف مالك الى قومه فلبث فيهم زمانا ثم ان ركبا مر وابهم وأحدهم يغني بهذا البيت. وأقسم لو قتلوا مالكا * فسمعت بذلك أم سماك فقالت يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك اخرج في طلب ثار أخيك فخرج فلقي قاتل أخيه في ناس من قومه فقال من أحس لي الجمل الاحمر فعرفوه فقالوا لمالك مائة من الابل وكف عنه فقال لا أطلب أثرا بعد عين فذهبت مثلا ثم حمل على قاتل أخيه فقتله (قوله جل) أي عظم (عراك) قصدك (رزء الحسين) المصاب بقتله حين قتل بكربلاء *وحديثه ان معاوية لما مات أرسل اليه أهل الكوفة أن قد حبسنا أنفسنا على بيعتك وطولب بالمدينة أن يبايع يزيد فخرج الى مكة وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة وقال له ان كان حقا ما كتبوا به فعرفني ألحق بك فخرج من مكة النصف من رمضان وقدم لخمس خلون من شوال وأميرها النعمان بن بشير فدخل مستترا فبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفا فكاتبه بذلك فلما هم بالخروج لقيه ابن عباس رضي الله عنه فقال له يا ابن عم أهل العراق أهل غدر وانما يدعونك للحرب فقال له يا ابن عم كتب الى مسلم باجتماع أهل الكوفة على فقال له فتجيء تهم وهم أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غدا مع أميرهم اذا بلغ ابن زياد خبرك استفزهم فكان الذين كتبوا اليك أشد عليك من عدوك فان أبيت الا الخروج فلا تخرجن بنسائك وولدك معك فاني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه فرد عليه لان أقتل بموضع كذا أحب الي من ان أستحل بمكة واتصل الخبر بيزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة فخرج مسرعا فدخلها في حشمه وهو ملثم والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل عبيد الله بن زياد يسلم على الناس ويقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر فحسر اللثام ففتح له النعمان الباب وتنادى الناس ابن مرجانة فحصبوه بالحصباء ففاتهم

قل لو ال غادرته بعد بيني * سادما نادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه * لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين أعمى هواه * عينه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنى فما يجـ * ـدى طلاب الآثار من بعد عين
ولئن جل ما عراك كما جل * لدى المسلمين رزء الحسين

(حديث رزء الحسين)

ووضع الرصد فى طلب مسلم فصاح مسلم يا منصور وكان شعارهم فاجتمع لهم فى ساعة واحدة ثمانية عشر ألفا فأحاطوا بالقصر فقاتلوا ابن زياد فلم يمس المساء ومعه مائة رجل فلما رأى تفرقهم سار نحو أبواب كندة فبلغ الباب ومعه ثلاثة فخرج وليس معه أحد فبقى حائرا لا يدرى أين يتوجه فنزل من على فرسه ودخل أزقة الكوفة فانتهى الى باب مولاة لمحمد بن الاشعث فاستسقاها فسقته وأعلمها حاله فرقت له فآوته فأعلمت محمد بن الاشعث بمكانه فمشى الى ابن زياد فأعلمه فوجه معه سبعين رجلا فاقتحموا عليه فقاتلهم مسلم فأمنه محمد بن الاشعث وحمله الى ابن زياد فضرب عنقه وبعث برأسه الى يزيد بن معاوية فصلب جثته وانتهى الامر الى الحسين وقد بلغ القادسية فهم بالرجوع فقال له اخوة مسلم لا نرجع أو نقتل أو نأخذ بثارنا فقال الحسين لا خير فى العيش بعدكم فسار حتى لقى خيلا لابن زياد وعليها عمرو بن سعد بن أبى وقاص فعدل الى كربلاء وهو فى نحو خمسمائة فارس فلما كثرت العساكر أيقن أنه لا محيص له فقال اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقاتلوننا ثم خطب قومه فقال يا عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على أحد أو بقى عليها أحد لكانت الانبياء أحق بها وبالبقاء غير أن الله خلقها للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر والدار قلعة والمنزل تلعة فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون ثم قاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه وفيه ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وولى قتله سنان بن أنس النخعى واحتز رأسه وانطلق به مسرعا الى ابن زياد وهو يقول

أوقر ركابى فضة وذهبا * انى قتلت الملك المحجبا

* قتلت خير الناس أما وأبا *

وبعث معه الرأس الى يزيد بن معاوية وعنده أبو برزة فجعل ينكت بالقضيب على فيه وهو يقول

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو برزة ارفع قضيبك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه وقتل يوم عاشورا سنة احدى وستين وقتل معه سبعة وثمانون منهم على ابنه الاكبر ومن ولد أخيه الحسن عبد الله والقاسم وأبو بكر ومن اخوته العباس وعبد الله وجعفر ومحمد وعثمان بنو على ومن بنى عمه جعفر ومحمد وعون أبناء عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل عبد الله وعبد الرحمن وجعفر ودفنهم أهل القادسية بعد قتلهم بيوم وقتلوا هم من أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين (قوله اعتضت) افتعلت من العوض (يبغى ذين) يطلب هذين (الظباء) الغزلان (يلج) يدخل (محدقا بالبين) أى محلقا بالفضة والصائد يفرق حول الفخ حب القمح وشبهه فيلقطه الطائر حتى يتوصل الى ما نصب له فيقع فقال ما كل طائر يخدع ولو حلق له الفخ بحب اللبين بدلا من القمح وانى من هذا الصنف (قوله ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد) من قول الصابى

يا مغرا كالخشف فى نظرته * وكالقضيب اللدن فى نضرته

خلتك صيدا كان فى قبضتى * فصرت من صيدى فى قبضته

(والسابق له كعب بن زهير فى قوله)

طاف الرماة بصيد راعهم فاذا * بعض الرماة بنبل الصيد مقتول

(وخفا حنين) يضرب بهما المثل للخائب الخاسر * واختلف فى حنين فقال يعقوب انه كان رجلا مدعيا فجاء الى عبد المطلب وعليه خفان فقال يا عم انى من ولد هاشم فأنعم النظر فيه وقال لا وعظام هاشم ما أرى فيك شمائل هاشم فارجع فرجع خائبا خاسرا وقيل كان رجلا مغنيا فدعاه قوم من أهل الكوفة ليطربهم فى نزهة فخرجوا به الى الصحراء فضربوه وسلبوا ثيابه وتركوا عليه خفيه فلما رجع الى زوجته وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما يفضل من أطعمة النزهة ورأته على تلك الحالة قالت

فقد اعتضت منه فهما وحزما
والليب الاريب يبغى ذين
فاعص من بعدها المطامع
واعلم
ان صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طائر يلج الفخ
ولو كان محدقا باللبين
ولكم من سعى ليصطاد
فاصطيد *
ولم يلق غير خفى حنين

فتبصر ولا تشم كل برق
رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح
من غرام
تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى اتباع هوى
النفس
وبذر الهوى طموح العين
(قال الراوي) فمزقت
رقعته شذر مذر ولم أبل
أعذل أم عذر

(المقامة الحادية عشرة
الساوية)

(حدث الحرث بن همام)
قال آنست من قلبي القساوة
حين حللت ساوة فأخذت
بالخبر المأثور

لكل من سألها رجع حنين بخفيه وقيل انه كان صانعا فساومه أعرابي بخفين وماكسه حتى أحرجه فلما ارتحل الاعرابي أخذ حنين احدى الخفين فوضعها على الطريق ثم مشى وألقى الاخرى في موضع آخر على الطريق وكمن له فلما مر الاعرابي بالخف قال ما أشبه هذه بخف حنين ولو كان معها الاخرى لاخذتها فلما انتهى الى الاخرى ندم على ترك الاولى فاناخ راحلته وأخذها ورجع الى الاولى فلما غيب عمد حنين الى راحلته بما عليها فركبها ومضى بها ورجع الاعرابي الى قومه بالخفين فكان اذا سئل عن حاله قال رجعت بخفي حنين فصار مثلا وقيل كان حنين لصا حقيرا فأخذ وصلب فجاءته أمه وعليه خفان فانتزعتهما ورجعت فقيل رجعت بخفي حنين أي رضيت منه بذلك (قوله تبصر) أي أحسن النظر (حين) هلاك (والصاعقة) نار ترسل مع الرعد والبرق وجمعها صواعق وصعق الرجل اذا أصابته وصعق اذا مات وقيس تقول صاعقة وبنو تميم صاقعة وقد صقع (غرام) عذاب الحب (شين) عيب و(البذر) زرع الحب في الارض (طموح) ارتفاع يريد ان أصل العشق مداومة النظر * ألم فيه بقول عيسى عليه السلام لا يزني فرجك ما غضضت بصرك وقد تقدم من كثرت لحظاته دامت حسراته وقال سابق البربري في اتباع الهوى

وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادة * وطول الهوى رين على القلب رائن
فكن دافعا للشر بالخير تسترح * من الشر ان الخير للشر دافن

(وقال آخر)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

(وقال المتنبي)

عزيز أسى من داؤه الاعين النجل * عناء به مات المحبون من قبل
فمن شاء فلينظر الي فمنظري * نذير الى من ظن ان الهوى سهل
وما هي الا لحظة بعد لحظة * اذا نزلت في قلبه رحل العقل

(وقال ابن زيدون)

من يسأل الناس عن حالي فشاهده * محض العيان الذي يغني عن الخبر
أما الضنى فجنته نظرة علق * كانها والردى جاءا على قدر
فهمت طرق الهوى من وحي طرفك لي * ان الحوار لمفهوم من الحور

(وقال العباس بن الاحنف)

الحب أول ما يكون لجاجة * تأتي به وتسوقه الاقدار
حتى اذا اقتحم الفتى لجج الهوى * جاءت أمور لا تطاق كبار

فهذا كله يبين بيت الحريري (قوله مزقت) قطعت (شذر مذر) قطعا متفرقة في كل جهة وأصل الشذر قطع الذهب ومذر اتباع لها (لم أبل) أي لم أبال (عذل) لام (عذر) قبول العذر

(شرح المقامة الحادية عشرة وهي الساوية)

الحادية عشرة تبنى على الفتح كبناء أحد عشر (آنست) أدركت وأحسست (القساوة) غلظ القلب وقلب قاس وقسي أي صلب وقلوب قاسية وقسية وهما عند الكسائي والفراء لغتان بمعنى واحد * أبو عبيدة القاسية مأخوذة من القسوة والقسية التي ليست بخالصة الايمان كالدرهم القسي وهو الذي خالطه غش من نحاس أو غيره وقد قسا القلب يقسو قساوة وقساء صلب (ساوة) بلد بينه وبين الري اثنان وعشرون فرسخا وهي في الطريق ما بين همذان والري (الخبر المأثور) أي المحدث به وهو قوله صلى الله عليه وسلم عودوا المرضى واحضروا المقابر فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن

زيارة القبور ثم بدالي فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة وسأل رجل عائشة رضي الله عنها فقال يا أم المؤمنين ان لي داء فهل عندك دواؤه قالت وما داؤك قال القسوة قالت بئس الداء داؤك عد المرضى واشهد الجنائز وتوقع الموت وقيل لعلي رضي الله عنه ما شأنك جاورت المقبرة قال اني أجدهم خير جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وكانت عجوز في عبد القيس متعبدة فاذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب فاذا جاء النهار خرجت الى المقبرة فعوتبت في اتيان القبور فقالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى واني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني أنظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفات الدسمة وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم أقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد خلت من قبلهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهموم في أبدانهم مقيلا ثم بكى وقال والله لا أعلم أحدا أنعم ممن صار الى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله * استنشد المتوكل أبا الحسن علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فقال اني لقليل الرواية في الشعر فقال لابد فأنشده

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم * وأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهمو صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة * من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سيل بهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا

كان عمر لو أنشد شعرا في أوصاف آبائه وبني عمه ملوك بني أمية وانحطاطهم من عز المملكة الى ذل المقبرة لم يكن الا هذا الشعر وأبو الحسن العلوي كان قد سعى به الى المتوكل وقيل له ان في بيته سلاحا وكتبا وغير ذلك فوجه اليه بعدة من الاتراك فهجموا عليه على غفلة ممن في داره فوجدوه في بيت مغلق عليه وحده وعليه مسح شعر ولا بساط في البيت الا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة صوف متوجه الى ربه يترنم بالقرآن فحمل بين يدي المتوكل على حاله والمتوكل يشرب وفي يده كأس فلما رآه عظمه وأجلسه الى جنبه وعلم أنه لم يوجد عنده شيء مما قيل فناوله الكأس فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ولا دمي قط فاعفني عنه فأعفاه ثم قال انشدني شعرا أستحسنه فأنشده الابيات المتقدمة فأشفق من حضر عليه من المتوكل فوالله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا وبكى من حضر وقال يا أبا الحسن أعليك دين قال أربعة آلاف درهم فدفعت اليه ورد الى منزله مكرما وقال لهم ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب قال وما يقولون يا أمير المؤمنين في رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه فأمر له بمائة ألف درهم وانما أراد طاعة الله على بنيه فعرض * وقال سابق البربري في المعاريض

تعاون على الخيرات تظفر ولا تكن * على الاثم والعدوان ممن يعاون
وداهن اذا ما خفت يوما مسلطا * عليك ولا يحتال من لا يداهن
ولا تك ذا الوجهين يبدي بشاشة * وفي صدره ضب من الغل كامن

رجعت الى عرض المقامة * عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا لبكائك قال هذا قبر أمي آمنة استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته في أن أستغفر لها فأبى علي فأدركني ما يدرك الولد من

الرقة وكان عثمان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وان لم ينج منه فما بعده أشد والمقصود من زيارة القبور الاعتبار للزائر والانتفاع بدعائه للمزور ولا ينبغى أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت وكان رجل يشهد الجنائز فاذا أمسى وقف على المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيآتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذا شيأ قال فأمسيت ليلة ولم أدع فبينما أنا نائم اذا خلق كثير قد جاؤنى فقلت من أنتم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاءكم قالوا انك كنت عودتنا هدية عند انصرافك الى أهلك قلت وما هى قالوا الدعوات التى كنت تدعو قلت فانى أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك (قوله محلة الاموات) هى المقابر التى يحلون بها (كفات) قبور وأوعية وكفت الشئ ضممه وقبضه وكفات الشئ ماضمه وستره وقوله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا قيل كفات الاحياء بيوتهم وكفات الاموات قبورهم (الرفات) العظام البالية وقال ابن المعتز فى مقبرة

وسكان دار لا تزاور بينهم * على قرب بعض فى التجاور من بعض
كأن خواتيما من الطين فوقهم * فليس لها حتى القيامة من فض

(وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه)

انظر لنفسك يا مسكين فى مهل * ما دام ينفعك التفكير والنظر
قف بالمقابر وانظر ان وقفت بها * لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يا مغرور موعظة * وفيهم لك يا مغترّ معتبر

وقال مالك بن دينار مررت بالمقابر فأنشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فأين المعظم والمحتقر
وأين المدلّ بسلطانه * وأين المزكى اذا ما افتخر
فنوديت من بينهم لا أرى * شخوصا لهم (٣) ولا من أثر
تفانوا جميعا فلا مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر
فيا سائلى عن أناس مضوا * أمالك فيما ترى معتبر
تروح وتغدو بنات الثرى * وتمحى محاسن تلك الصور

(ومما وجد على قبر مكتوبا)

تناجيك أجداث وهن سكوت * وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

(ومما وجد على قبر مكتوبا)

ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يعدّ عليه اللفظ والنفس
لا يرحم الموت ذا جاه لعزته * ولا الذى كان منه العلم يقتبس
قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم فى الاجداث مندرس

(ووجد على قبر مكتوبا)

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كأفراس الرهان
فلما ان بكيت وفاض دمعى * رأت عيناى بينهم مكانى

قال اعرابى من خاف الموت بادر الفوت ومن لم يقمع النفس عن الشهوات بادرت به الى الهلكات والجنة والنار أمامك * مرض اعرابى فقيل له انك تموت قال واذا مت فالى أين أذهب قالوا الى الله قال

فى مداواتها بزيارة القبور
فلما صرت الى محلة الاموات
وكفات الرفات رأيت
جمعا على قبر يحفر

فما كراهتى ان أذهب الى من لم أر الخير الا منه وقال اعرابى ما بقاء عمر تقطعه الساعات وسلامة بدن معرض للآفات ولقد عجبت للمؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله الى الثواب الذى أحيا له ليله وأظمأ له نهاره وقال آخر من كانت مطيتاه الليل والنهار سارا به وان لم يسر وبلغا به وان لم يبلغ * آخر تصرف الليل والنهار لا تبقى معه الاعمار ولا الاحدقيه الخيار (قوله مجنوز) أى ميت وحكى ابن سيده قول بعضهم جنزت الميت اذا استرته بالكفن وقال الحسن لما أنذر بجنازة النوار امرأة الفرزدق للمنذر بها اذا جنزتموها فآذنونى بالجنازة والجنازة من جنزت وهى بالفتح الميت وبالكسر النعش وقيل معناهما واحد وهو الميت والمختار الكسر (يقبر) يدفن (انحرت) ملت (المآل) المرجع (متذكرا) متذكرا (درج) هلك (الآل) الاهل (ألحدوا) دفنوا وألقوه فى اللحد وهو حفير فى جانب القبر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المقبرة يقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وكان على رضى الله عنه اذا دخلها يقول السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمنازل المقفرة من المؤمنين والمؤمنات اللهم اغفر لنا ولهم واعف عنا وعنهم ثم يقول الحمد لله الذى جعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا منها خلقنا واليها معادنا وعليها محشرنا طوبى لمن ذكر المعاد وقنع بالكفاف ورضى عن الله وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا دخل قال اللهم رب الاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاما منا (قوله أشرف) أى طلع و(الرباوة) الكدية و(متخصر) أى جاعلها مما يلى خصره (هراوة) عصا (لفع) غطى (نكر) غير هيئته (لدهائه) لمكره * ويقال قصر فهو مقصر اذا ترك الشئ وهو قادر عليه وشمر اجتهد (والمتبصر) الناظر فى الشئ على وجه التفهم فقد يصيب وقد يخطئ ولذلك قالوا أحسنوا النظر (الاتراب) الاصحاب المتقاربون فى المولد كأنهم قطعوا من تربة واحدة وأكثر ما يقع للنساء واذا مات للانسان صاحب على سنه كان أوقع لحزنه فلذا نبه بالترب قال الالبيرى

فان الردى غال أهل التقى * فلم يبق الا الغشوم العتيد
وأودى بكل خليل ودود * فأين ولا أين خل ودود
وكم من أخى ثقة قد لحدت * فلله ما غيبته اللحود
وأثكلنى الانس ثكل اللدات * فصرت كأنى غريب وحيد
وكم من شقى يوارى التراب * وكم من سعيد يوارى الصعيد

(قوله يهولكم) أى يفزعكم (الهيل) الصب الكثير من أعلى الى أسفل فى مثل كدس الرمل وعند صب التراب على الميت تطير القلوب اشفاقا وتسيل العيون رحمة قال أبو العتاهية

بكيتك يا أخى بدموع عينى * فلم يغن البكاء عليك شيا
كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

أبو على الرازى مررت بصبيان فى طريق الشأم يلعبون بالتراب وقد ارتفع الغبار فقلت مهلا فقد غبرتم فقال صبى منهم يا شيخ أين تفر اذا هيل عليك التراب فى القبر فغشى على فأفقت والصبى قاعد عند رأسى مع الصبيان يبكون فقلت له أعندك حيلة فى الفرار من التراب قال أنا لا أعلم ولكن سل غيرى فقلت ومن غيرك قال عقلك (تعبؤن) تبالون وتهتمون و(النوازل) جمع نازلة وهى المصيبة (الاحداث) ما يحدث على الانسان من الخير والشر و(الاجداث) بالجيم القبور واحدها جدث وجدف (تستعبرون) تبكون (تعتبرون) تتعظون وترونه عبرة (والنعى) ذكر موت الانسان وكانت العرب اذا مات منها سيد ركب رجل فرسه ومشى فى الاحياء فيقول نعاء فلانا والناعى المخبر بموت الرجل وقد نعاه نعيا (ترتاعون) تخافون (الف) صاحب وهو فى الاصل مصدر ألفت الشئ

وبمجنوز يقبر فانحرت اليهم متفكرا فى المآل متذكرا من درج من الآل فلما ألحدوا الميت وفات قول ليت أشرف شيخ من رباوة متخصرا بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فادكروا أيها الغافلون وشمروا أيها المقصرون وأحسنوا النظر أيها المتبصرون ومالكم لا يحزنكم دفن الاتراب ولا يهولكم هيل التراب ولا تعبؤن بنوازل الاحداث ولا تستعدون لنزول الاجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا تعتبرون بنعى يسمع ولا ترتاعون لالف

ألفافسمى به ويقال فى معناه أليف (تلتاعون) تحترقون من الحزن واللوعة حرقة من الهم (المناحة) اجتماع النساء للبكاء على الميت (تعقد) تجمع وتؤلف (وقلبه تلقاء البيت) أى وقلبه مستقبل لبيت الميت يفكر فيما ترك لبرثه (مواراة) دفن وقد واراه اذا ستره (استخلاص) تحصيل (ودوده) الاول محبوبه الذى يوده (ودوده) الثانى جمع دودة والواو للعطف * وقال سابق البربرى فى معنى ماتقدم نلهو ونأمل أياما تعدلنا * سريعة المرتطوينا ونطويها

كم من عزيز سيلقى بعد عزته * ذلا وضاحكة يوما ستبكيها

والحتوف تربى كل مرضعة * والحساب برى الارواح باريها

لا تبرح النفس تنعى وهى سالمة * حتى يقوم بنادى القوم ناعيها

ولن تزال طوال الدهر ظاعنة * حتى تقيم بواد غير واديها

أموالنا لذوى الميراث نجمعها * ودورنا لخراب الدهر نبنيها

(وقال آخر)

اعمل وأنت من الدنيا على حذر * واعلم بأنك بعد الموت مبعوث

واعلم بانك ماقدمت من عمل * يحصى عليك وماخلفت موروث

وقال الحسن ابن آدم أنت أسير الدنيا رضيت من لذاتها بما ينقضى ومن نعمها بما يمضى ومن ملكها عما ينفد تجمع لنفسك الاوزار ولاهلك الاموال فاذا مت حملت أوزارك الى قبرك وتركت أموالك لاهلك أخذه أبو العتاهية فقال

أبقيت مالك ميراثا لوارثه * ياليت شعرى ما أبقى لك المال

القوم بعدك فى حال تسرهم * فكيف بعدهم دارت بك الحال

ملوا البكاء فما يبكيك من أحد * واستحكم القيل فى الميراث والقال

(وقال ابن عبد ربه)

أيا من عنده أمل طويل * يؤديه الى أجل قصير

أتفرح والمنية كل يوم * تريك مكان قبرك فى القبور

هى الدنيا فان سرتك يوما * فان الحزن عاقبة السرور

ستسلب كل ماجمعت فيها * كعارية ترد الى المعير

(وقال جبلة بن حرب)

ياقلب انك فى الاحياء مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير

تريد أمرا ولاتدرى أعاجله * خير لنفسك أم ماقيه تأخير

فاستقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير

وبينما المرء فى الاحياء مغتبطا * اذ صار فى الرمس تعفوه الاعاصير

يبكى الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته فى الحى مسرور

حتى كأن لم يكن الا تذكره * والدهر أيتما حين دهارير

وذاك آخر عهد من أخيك اذا * بالموت ضمنه الصفا الحباصير

بفقد ولا تلتاعون لمناحة تعقد بشيع أحدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره فى استخلاص نصيبه ويخلى بين ودوده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده طالما أسيتم على انثلام الحبة وتناسيتم اخترام الاحبة واستكنتم لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الاسرة وضحكتم عند الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن وتبخترتم خلف الجنائز ولا

(قوله أسيتم) أى حزنتم (انثلام) انكسار ونقصان (اخترام) هلاك يقول اذا انتقص لكم من المال أدنى شئ حزنتم عليه ولا تحزنون على نقص أحبابكم * أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على الله (قوله استكنتم) ذللتم واستكان استفعل من لفظ المكين وهو لحم باطن الفرج (اعتراض العسرة) ظهور الفقر (انقراض الاسرة) موت القرابة (الزفن) الرقص (ضحكتم عند الدفن) جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله

تعالى كره لكم العبث فى الصلاة والرفث فى الصيام والضحك فى الجنائز ورأى ابن مسعود رضى الله عنه رجلا يضحك فى جنازة فقال تضحك وأنت فى جنازة والله لا أكلمك أبدا ونظر عبد الله بن ثعلبة الى رجل يضحك فى جنازة مستغربا فقال أتضحك ولعلك قد أخذت أكفانك من القصار وفى الحديث كثرة الضحك تميت القلب وتذهب بماء المؤمن (قوله تبخترتم) أى تعظمتم وأظهرتم الاعجاب فى مشيكم (الجوائز) الصلات وهم يظهرون فى أحسن الثياب عند الملوك ليكثر لهم العطاء (أعرضتم) تجنبتم وهو من العرض كانك اذا لقيت من تكره استقبلته بعرضك أى بجانبك (النوادب) النوائح اللواتى يندبن الميت أى يبكينه فيقول أعرضتم عن الباكيات حين عددن خصال الميت المحمودة ولم تفكروا فى تلك الحال (اعداد) أى استعداد (المآدب) المطاعم للاعراس (تحرق) توجع (الثواكل) الفاقدات لاحبابهن و(التأنق) التحسين وقد تأنق فى الشئ اذا احتفل فيه فأعجب به كل من رآه (بال) دارس متغير يريد الميت (ببال) بفكر وخاطر (الحمام) الموت وأصله القدر وهو من حم أى قدر وذات الشئ نفسه وحقيقته (مسالمة) متاركة ومصالحة * أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات قالوا وما هاذم اللذات قال الموت وقال الالبيرى فى معنى ما تقدم

كم آمن للمنون لاه * عن الردى بات مطمئنا
صبحه وافد المنايا * فعاين الموت حين عنا
حتى اذا ما قضى بكاه * حميمه معولا مرنا
واروه فى لحده وسنوا * عليه قيد التراب سنا
وانتهبوا ماله وشنوا الـ * ـغارات فيما حواه شنا
لمثل هذا فكن معدا * ما قد أعد الهداة منا
وارتقب الموت فهو حتم * يخترم الطفل والمسنا

(قوله كلا) زجر أى ليس الامر كما ظننتم وقوله (أيا من يدعى الفهم * الى كم يا أخا الوهم) يسمى هذا من أنواع الشعر المسمط أى المفصل مأخوذ من السمط وهو سلك الجوهر المفصل بالزمرد والذهب وغير ذلك (الوهم) الغلط (الجم) الكثير وعلى قوله * وتخطى الخطأ الجم ذكر الحريرى فى الدرة ان قول الخواص أخطأ لمن يأتى بالذنب متعمدا تحريف للفظ والمعنى ولا يقال أخطأ الا لمن لم يتعمد الفعل ولمن اجتهد ولم يوافق الصواب لقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وانما أوجب له الاجر على اجتهاده اصابة الحق الذى هو نوع من أنواع العبادة لا على الخطا الذى يكفى صاحبه أن يعذر فيه ويرفع مأثمه عنه والفاعل من أخطأ مخطئ والاسم الخطأ قال الله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ وأما المتعمد فيقال فيه خطئ فهو خاطئ والمصدر الخطء قال الله تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا والاسم منه الخطيئة ويقع على الصغيرة قال الله تعالى أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين اخبارا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى الكبيرة كقوله تعالى وأحاطت به خطيئته الآية قال أبو محمد الحريرى ولى فى تضمين هاتين اللفظتين وتخصيص معنييهما المتنافيين

لا تخطون الى خطء ولا خطا * من بعد ما الشيب فى فوديك قد وخطا
فأى عذر لمن شابت مفارقه * اذا جرى فى ميادين الهوى وخطا

وهذه التفرقة منه مستحسنة وكذا يقع فى أكثر كلامهم وأما على القطع فلا لانه قد حكى الزجاج وقطرب وابن دريد فى الجمهرة ان العرب تقول خطئت الشئ أخطؤه خطأ وخطئى وأخطأته خطأ فى معنى واحد قال

والناس يلحون الامير اذا هم * خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

(أما) حرف استفتاح واخبار (بان) ظهر (أما أنذرك الشيب) سيأتى مستوفيا وقال فى الشيب

تبخترتم يوم قبض الجوائز وأعرضتم عن تعديد النوادب الى اعداد المآدب وعن تحرق الثواكل الى التأنق فى المآكل لا تبالون بمن هو بال ولا تخطرون ذكر الموت ببال حتى كأنكم قد علقتم من الحمام بذمام أو حصلتم من الزمان على أمان أو وثقتم بسلامة الذات أو تحققتم مسالمة هاذم اللذات كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون ثم أنشد

أيا من يدعى الفهم
الى كم يا أخا الوهم
تعبى الذنب والذم
وتخطى الخطأ الجم
أما بان لك العيب
أما أنذرك الشيب

الفقيه الزاهد أبو عمران رحمه الله

ذهب الشباب بجهله وبعاره * وأتى المشيب بحلمه ووقاره
شتان بين مبعد من ربه * بغروره ومبشر بجواره
مازلت أمرح بالشباب جهالة * كالطرف يمرح معجبا بعذاره
وسحبت أثواب البطالة لاهيا * وجررت من بطر فضول اراره
حتى تقلص ظله فتكشفت * عوراته وبدا قبيح عواره
لم أحظ منه بطائل غير الاسى * وتندم مني على أوزاره
والآن قد خط المشيب بمفرقي * بمواعظ والحق في تذكاره
والنفس تركب غيها لا ترعوى * عنه ولا تصغى الى انذاره
لهفي على عمر بعمر مضيعا * محصى على بليله ونهاره

* كان شاب في بني اسرائيل عبد الله عشرين سنة وعصاه عشرين سنة فنظر يوما في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلني فسمع صوتا من زاوية البيت أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك فان رجعت الينا قبلناك قال ابن وضاح اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح ابليس على وجهه وقال بأبي وجه لا يفلح أبدا وأنشدوا

واذا مضى للمرء من أعوامه * خمسون وهو الى التقى لم يجنح
ركدت عليه المخزيات وقلن قد * أرضيتنا فأقم لذا لا تبرح
واذا رأى ابليس غرة وجهه * حيا وقال فديت من لم يفلح

وقال آخر

تلاحظني المنية من قريب * وتلحظني ملاحظة الرقيب
وتنشر لي كتابا فيه طي * بخط الدهر أسطره مشيبي
كتاب في معانيه غموض * تلوح لكل أواب منيب
أزال الله يا صاحي شبابي * فعوضت البغيض من الحبيب
وبدلت التكاسل من نشاطي * ومن حسن النضارة بالشحوب
كذاك الشمس يعلوها اصفرار * اذا جنحت ومالت للغروب

وهذا القدر كاف هنا في ذكر الشيب (قوله ريب) شك (أما أسمعك الصوت) الصوت هنا النياحة على الميت و (الفوت) بعد الشئ * الاحتياط من الحوطة وهي الوقاية (تسدر) تتبختر (تختال) تتكبر (الزهو) الكبر (عم) شمل ولابي العتاهية في معناه

حتى متى ذو التيه في تيهه * أصلحه الله وعافاه
يتيه أهل التيه من جهلهم * وهم يموتون وان تاهوا
من طلب العز ليبقى به * فان عز المرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقه * من ليس يرجوه ويخشاه

﴿ولمحمد بن حازم﴾

فيا شامخا أقصر عنانك مقصرا * فان مطايا الدهر تكبو وتعثر
ستقرع سنا أو تعض ندامة * يديك اذا خان الزمان وتبصر
ويلقاك رشد بعد غيك واعظ * ولكنه يلقاك والامر مدبر

(قوله تجافيك) أي تباعدك من فعل الخير (ابطاء) تأخر (تلافيك) تداركك (طباعا) أخلاقا يريد أن اخلاقك قد جمعت فيك عيوبا انضم عليك شملها (أخفق) خاب (مسعاك) طلبك ومشيك في اكتساب الرزق (تلظيت) احترقت واشتعلت وهو تفعلت من اللظى (الاصفر) الدينار ونقشه الكتاب

وما في نعمه ريب
ولا اسمعك قد صم
أما ناداك الموت
أما أسمعك الصوت
أما تخشى من الفوت
فتحتاط وتهتم
فكم تسدر في السهو
وتختال من الزهو
وتنصب الى اللهو
كأن الموت ما عم
وحتام تجافيك
وابطاء تلافيك
طباعا جمعت فيك
عيوبا شملها انضم
اذا أسخطت مولاك
فما تقلق من ذاك
وان أخفق مسعاك
تلظيت من الهم
وان لاح لك النقش
من الاصفر تهتش

الذى

الذى فيه (تهتش) تخف وتهتز طربا (تغامت) أظهرت الغم (ولا غم) أى ليس عندك غم على الحقيقة كان أبو الدرداء رضى الله عنه اذا رأى جنازة قال اغدى فانا رائحون أو روحى فانا غادون * أبو عمرو بن العلاء قال جلست الى جرير وهو يملى على كاتبه * ودع أمامة حان منك رحيل * ثم طلعت جنازة فامسك وقال شيبتنى هذه الجنازة قلت فلم تسب الناس قال يبدؤننى ثم لا أعفو وأعتدى ولا أبتدى ثم أنشأ يقول

تروعنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات

كروعة هجمة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات

(وقال آخر)

وتعد كثرة من يموت تعجبا * عما قريب سوف تدخل فى العدد

وأراك تحملهم ولست تردهم * وكأننى بك قد حملت ولا ترد

(قوله تعاصى الناصح البر) أى تعاصى من ينصحك ويبرك (تعتاص) تتصعب وهو تفتعل من العصيان على القلب (تزور) تنقبض (غر) خدع (مان) كذب و (نم) مشى بالنميمة (الرمس) القبر (لاحظك الحظ) تطرك السعد (طاح بك) أذهبك وأهلكك واللحظ النظر بمؤخر العين وقد لحظه لحظا ولاحظه ملاحظة وكله من اللحاظ وهو طرف العين مما يلى الصدغ و (جلا) كشف (تذرى) تصب وترسل متفرقا * أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فلو أن السفن أجريت فى دموعهم لجرت (لاجمع) أى لا قبيل ولا عشير يحميك ولا يمنعك يوم القيامة (يقى) يمنع (عرصة الجمع) موضع اجتماع الناس فى الحشر (تنحط) تنزل (اللحد) حفير فى جانب القبر (وتنغط) تنضم وتنقبض يقال غططته فى الماء اذا أغرقته فيه وغمسته (أسلمك الرهط) تركك قومك (سم) عين الابرة يريد ضيق القبر على الميت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ وعن أنس رضى الله عنه قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج أسفر وجهه قلنا يا رسول الله رأينا منك شيأ نا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة بنتى وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن الله تعالى قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين (قوله ينخر) أى يبلى و (العود) تابوت الميت و (رم) بلى قال الفنجديهى الى أن ينخر العود أى الى أن يبلى الجسم الناعم الذى هو مثل القضيب وقال الالبيرى

كأنى بنفسى وهى فى السكرات * تعالج ان ترقى الى اللهوات

وقد زم رحلى واستقلت ركائبى * وقد آذنتنى بالرحيل حداتى

الى منزل فيه عذاب ورحمة * وكم فيه من زجر لنا وعظات

ومن أعين سالت على وجناتها * ومن أوجه فى الترب منعفرات

وكم وارد فيه على ما يسره * وكم وارد فيه على الحسرات

(قوله اعتد) أى استعد روى أبو بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فيتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش فى النار فينجى الله برحمته من يشاء التقادع التهافت كأن كل واحد منهم يقدع صاحبه كى يسبقه (والجسر) بناء على النار يجاز عليه من جهة الى أخرى و (أم) قصد (مرشد) هاد (ضل) تحير (الخطب) الامر الشديد (طم) عظم (الغمر) الجاهل بالامور (والذى يحلو به المر) هو التوبة والاعمال الصالحة التى يصلح بها ما فسد (يهى) يضعف (أقلعت عن ذم) أى رجعت عن أمر مذموم وقال ابن عبد ربه

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يمدد اليك يدا

وان مر بك النعش
تغامت ولا غم
تعاصى الناصح البر
وتعتاص وتزور
وتنقاد لمن غر
ومن مان ومن نم
وتسعى فى هوى النفس
وتحتال على الفلس
وتنسى ظلمة الرمس
ولا تذكر ما ثم
ولو لاحظك الحظ
لما طاح بك اللحظ
ولا كنت اذا الوعظ
جلا الاحزان تغتم
ستذرى الدم لا الدمع
اذا عاينت لا جمع
يقى فى عرصة الجمع
ولا خال ولا عم
كأنى بك تنحط
الى اللحد وتنغط
وقد أسلمك الرهط
الى أضيق من سم
هناك الجسم ممدود
ليستأكله الدود
الى ان ينخر العود
ويمسى العظم قد رم
ومن بعد فلا بد
من العرض اذا اعتد
صراط جسره مد
على النار لمن أم
فكم من مرشد ضل
ومن ذى عزة ذل
وكم من عالم زل
وقال الخطب قد طم
فبادر أيها الغمر
لما يحلو به المر
فقد كاد يهى العمر
وما أقلعت عن ذم

وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لا بد لله من انجاز ما وعدا

(قوله لا تركن) تقول ركنت الى فلان اذا اتخذته ركنا تلجأ اليه (تلفي) توجد (اغتر) انخدع (تنفث) تبصق عند لدغها (خفض) سكن (تراقيك) ارتفاعك وتكبرك (سار) ماش (والتراقي) العظمان المعوجان على الصدر (ينكل) يضعف ويقطع (ان هم) ان أراد وهم بك وفي معنى هذا قول أبي نواس قال غانم الوراق دخلت عليه قبل وفاته بيوم فقال لي أمعك ألواح قلت نعم قال اكتب

دب في السقام سفلا وعلوا * وأراني أموت عضوا فعضوا

ليس يمضي من لحظة لي الا * نقصتني بمرها بي جزوا

ذهبت حدتي بطاعة نفسي * وتذكرت طاعة الله نضوا

لهف نفسي على ليال وأيا * م تجاوزتهن لعبا ولهوا

قد أسأنا كل الاساءة فاللهم صفحا عنا وغفرا وعفوا

(قوله نفس) أي وسع نفسه كأنه ختق فضاق نفسه فأمر بحله (أخي البث) صاحب الحزن (نث) نطق وكشف له سره (رم) أصلح وقد رممت الشئ رما أصلحته (الرث) الخلق (رش) اجعل له ريشا (المحص) انتتف ريشه تقول رشت الرجل أي أعنته وأغنيته (بماعم وماخص) أي بما كثر من العطية وقل (تأس) تحزن (على النقص) أي على النقصان في الصدقة والمعروف ولا تكن أيضا حريصا على جمعه ومنعه ممن احتاج اليه و (اللم) جمع المال ولممت الشئ لما (الرذل) الردئ يريد عادا خلاقا لبخل أو الخلق السوء * عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مسيء الا وله توبة الاصاحب سوء الخلق لانه لا يتوب من ذنب الا عاد في شر منه و (البذل) العطاء وبذلت الشئ بذلا أي أعطيته عن طيب نفس و (العذل) اللوم أي من لام على العطاء لا تسمعه وأعط وأحسن ما قيل في رد العذل على كثرته قول زهير

وأبيض فياض يداه غمامة * على معتفيه ما تغب فواضله

بكرت اليه غدوة فرأيته * قعودا لديه بالصريم عواذله

يفدينه طورا وطورا يلمنه * وأعيي فما يدرين أين مخاتله

فأقصرن فيه عن كريم مرزء * صبور على الامر الذي هو فاعله

(قوله نزهها) أي باعدها (عن الضم) أي عن ضم الاصابع على ما في الكف يقول ابسط كفك بالعطية ولا تقبضها على ما فيها شحا قال ابن عبد ربه

يا قابض الكف لا زالت مقبضة * فما أناملها للناس أرزاق

وغب اذا شئت حتى لا ترى أبدا * فما لفقدك في الاحشاء احراق

كأنه قلب بيت ابن دريد في رجل من أهل البصرة

يا من يقبل كف كل ممخرق * هذا ابن يحيى ليس بالمخراق

قبل أنامله ولسن أناملا * لكنهن مفاتح الارزاق

أخذه ابن دريد من ابراهيم بن العباس الصولي يمدح الفضل بن سهل

لفضل بن سهل يد * تقاصر عنها المثل

فبسطتها للغنى * وسطوتها للاجل

وباطنها للندى * وظاهرها للقبل

﴿وسرقه ابن الرومي فقال﴾

أصبحت بين خصاصة ومذلة * والحر بينهما يموت ذليلا

فامدد الي يدا تعود بطنها * بذل النوال وظهرها التقبيلا

ولا تركن الى الدهر
وان لان وان سر
فتلفي كمن اغتر
بأفعى تنفث السم
وخفض من تراقيك
فان الموت لاقيك
وسار في تراقيك
وما ينكل ان هم
وجانب صعر الخد
اذا ساعدك الجد
وزم اللفظ ان ند
فما أسعد من زم
ونفس عن أخي البث
وصدقه اذا نث
ورم العمل الرث
فقد أفلح من رم
ورش من ريشه انحص
بما عم وما خص
ولا تأس عن النقص
ولا تحرص على اللم
وعاد الخلق الرذل
وعود كفك البذل
ولا تسمع العذل
ونزهها عن الضم
وزود نفسك الخير

﴿وقال ابن عبد ربه﴾

وماخلقت كفاه الا لاربع * عقائل لم يعقل لهن ثوانى
لتقبيل أفواه واعطاء نائل * وتقليب هندى وحبس عنان

(قوله ودع مايعقب الضير) أى دع عنك شيأ يجيئك فى اثره ضرر (المركب) السفينة هنا و(اليم) البحر (واللجة) معظم الماء وجعل الميت كالمسافر وضرب له بالبحر مثلا لكثرة مايرى من الاهوال فأمره بالاستعداد لذلك (ياصاح) ياصاحب (بحت) نطقت يريد أن كل ماقدم من الوصية انما هو على وجه النصح كما وصى هو بها قبل ذلك وأراد بقوله صاح كل من يسمع وصيته لا صاحبا معينا (طوبى) شجرة فى الجنة وهى عندهم فعلى من الطيب (يأتم) يقتدى بها فى الظاهر يريد أنه من اقتدى بهذه الوصية طوبى له وهو يريد من حصل آداب المقامات كلها رأس (قوله حسر) أى كشف (ردنه) كمه (الاسر) الخلقة ومنه قوله تعالى وشددنا أسرهم أى خلقهم وهو من الاسار وهو القد الذى يشد به الاسير فشرك الجلد هى الاسار ويراد بها فى الخلقة العصب التى يشتد بها الجسد وتلتئم بها الاعضاء واليها حكم حركة البدن من القيام والقعود فسبحان الذى أنشأ الخليقة كيف شاء (الاستماحة) الطلب استفعالة من ماح الرجل يميحه اذا أعطاه وأصل ذلك من المائح وهو النازل فى قعر البئر ليغرف ماءها و يفرقه على دلاء المستقين وقد ماح البئر يميحها (الوقاحة) ترك الحياء وصلابة الوجه من الحافر الوقاح وهو الصلب ومعرضها موضع عرضها ونشرها وان كسرت الميم وفتحت الراء فهو ثوب الوقاحة لبسه لان المعرض الثوب الذى تعرض فيه الجارية للبيع والوقاحة اظهار ذراعه صحيحا مشدودا عليه بخرق ليوهم من رآه أنه مكسور (اختلب) خدع واحتلب بالحاء حلب ماعندهم كما تحلب الشاة (الملا) الجماعة (أترع) ملأ (انحدر) هبط والربوة لغة فى الرباوة التى تقدمت (جذلا) مسرورا (الحبوة) العطية (جاذبته) نازعته (مينه) كذبه (أفانينك) أنواع كذبك وحيلك (ينحاش) ينضم ويجتمع وحشت الصيد أحوشه اذا جئته من حواليه لتصرفه الى الحبالة (لا تعبأ) أى لا تبالى من عبأت الحلم للجهل والخيل للحرب اذا استعددته واذا لم يبال بالشئ لم يستعد له (ارتياء) ابطاء وهو افتعال من رؤية القلب التى معناها التدبر والتفكر وأصل بابه الهمز فنقلها لمكان همزة اللام يقول أجاب من غير فكرة (يقمر) يغلب وتقول قامرت الرجل قمارا فقمرته أقمره أى غلبته (دسته) أى حيلته والدست الذى يكون لك فيه الغلب فى الشطرنج تقول الدست لى والدست على ومن ألفاظ عامة المشرق ان يقول الرجل لصاحبه هلم نأخذ دستا (تم) كمل (قوله زاملة) أى حاملة والزاملة الدابة يحمل عليها (طلاوة علانيتك) أى حسن ظاهرك (خبث نيتك) فساد باطنك وفى معنى هذا قال لقمان لابنه احذر واحدة وهى أهل للحذر اياك أن ترى انك تخشى الله وقلبك فاجر يحذره من الرياء وفى الحديث من أصلح سريرته أصلح الله علانيته وقيل لرجل مراء ما أحسن صلاتك قال ومع هذا انى صائم قال الشاعر

واذا أظهرت شيأ حسنا * فليكن أحسن منه ماتسر
فمسر الخير موسوم به * ومسر الشر موسوم بشر

﴿وقال محمود الوراق لابن أخيه﴾

تصوف كى يقال له أمين * وما معنى التصوف والامانه
ولم يرد الاله به ولكن * أراد به الطريق الى الخيانه

وقال فيه أيضا شمر ثيابك واستعد لقائل * واحكك جبينك للقضاة بثوم
وعليك بالفتوى فاجلس عنده * حتى تصيب وديعة ليتيم

﴿وقال الابيض الالبيرى﴾

ودع مايعقب الضير
وهيئ مركب السير
وخف من لجة اليم
بذا أوصيت ياصاح
وقد بحت كمن باح
فطوبى لفتى راح
بآدابى يأتم
ثم حسر ردنه عن ساعد
شديد الاسر قد شد عليه
جبائر المكر لا الكسر
متعرضا للاستماحة فى
معرض الوقاحة فاختلب
به أولئك الملا حتى أترع
كمه وملاء ثم انحدر من
الربوة جذلا بالحبوة
(قال الراوى) فجاذبته من
ورائه حاشية ردائه
فالتفت الى مستسلما
وواجهنى مسلما فاذا هو
شيخنا أبو زيد بعينه
ومينه فقلت له
الى كم يا أبا زيد
أفانينك فى الكيد
لينحاش لك الصيد
ولا تعبأ بمن ذم
فاجاب من غير استحياء ولا
ارتياء وقال
تبصر ودع اللوم
وقل لى هل ترى اليوم
فتى لا يقمر القوم
متى مادسته تم
فقلت له بعدا لك ياشيخ النار
وزاملة العار فما مثلك
فى طلاوة علانيتك وخبث
نيتك

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يصبح فى الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الامـوال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب * وبأصبغ صبغت لكم فى العالم

وقال آخر
لاشئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدى سبا * ويديله حرصا لجمع المال
لاخير فى كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسئل عنه أى سؤال

(قوله مفضض) مطلى بالفضة (والكنيف) المستراح (ذات) جهة وناحية (ناوحت) قابلت (مهب) ناحية هبوبها (الجنوب) الريح القبلية و(الشمال) ٣الجنوبية

﴿شرح المقامة الثانية عشرة وهى الدمشقية﴾

(شخصت) أى خرجت (الغوطة) موضع بالشأم خصيب بخارج دمشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم الشأم فعليكم بمدينة يقال لها دمشق هى خير مدائن الشأم وفسطاط المؤمنين بارض منها يقال لها الغوطة قال الاصمعى أحسن أنهار الدنيا ثلاثة أنهار الغوطة وسمرقند ونهر الابلة وهو قريب من البصرة وحشوشها ثلاثة عمان وأردبيل وهيت وسميت دمشق باسم صاحبها الذى بناها وهى ارم ذات العماد وقال اليعقوبى مدينة دمشق جليلة القدر قديمة وهى مدينة الشأم فى الجاهلية والاسلام وليس لها نظير فى جميع بلاد الشأم فى أنهارها وبساتينها ومبانيها وكثرة عمارتها وافتتحت فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة أربع عشرة وقال شيخنا ابن جبير مدينة دمشق هى جنة المشرق ومطلع حسنه المونق وعروس المدن قد تحلت بازاهير الرياحين وتجلت فى حلل سندسية من البساتين وحلت من وضع الحسن بمكان مكين وتجلت فى منصتها بأجمل تزيين وتشرفت بأن آوى الله المسيح وأمه منها الى ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسبيل ينساب انسياب الاراقم بكل سبيل ورياض تحيى النفوس بنسيمها العليل تبرز لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم ألا هلموا الى معرس للحسن ومقيل وقد سئمت أرضها كثرة المياه حتى اشتاقت الى الظما فتكاد تناديك بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد أحدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر واكتنفتها اكتناف الاكمام للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر فكل موقع لحظته بجهاتها الاربع نصرته اليانعة قيد النظر ولقد صدق القائلون عنها ان كانت الجنة فى الارض فدمشق لاشك فيها وان كانت فى السماء فهى بحيث تسامتها وتحاذيها وقال فيها البحترى
اذا أردت ملأت الطرف من بلد * مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشى السحاب على اجبالها فرقا * ويصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضلا * ويانعا خضرا أو طائرا غردا
كأنما القيظ ولى بعد وقدته * أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

(قوله جرد) أى خيل قصيرة شعر الجسد (جدة) غنى (مغبوطة) محمودة أراد مغبوط عليها مالكها فقلب (يلهينى) يدعونى الى اللهو (حلو الذرع) فراغ البال والصدر من الهم (يزدهينى) يحملنى على الزهو (حفول الضرع) كثرة المال والضرع للبقرة والشاة بمنزلة الثدى للمرأة وحفوله امتلاؤه باللبن (شق) مشقة (انضاء) اهزال و(العنس) الناقة القوية (الفيتها) وجدتها (النوى) البعد والانتقال من بلد الى بلد وأراد أنه شكر سفره (ويد النوى) النعمة التى أنعم بها عليه بأن أوصله الى الغوطة (الهوى) ماتهواه النفس وتشتهيه (طفقت) أخذت (أفض) أكسر (ختوم) ربوط يريد ان شهوته التى كانت قد شدت وربطت أخذ بكسر ختومها وسرحها فى المآكل والمشارب واللذات

٣ قوله الجنوبية كذا بالاصل ولعل الصواب مقابل الجنوب أو مقابل الجنوبية اه مصححه

الامثل ورث مفضض أو كنيف مبيض ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين وانطلق ذات الشمال وناوحت مهب الجنوب وناوح مهب الشمال
(المقامة الثانية عشرة الدمشقية)
حكى الحرث بن همام قال شخصت من العراق الى الغوطة وأنا ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة يلهينى خلو الذرع ويزدهينى حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق النفس وانضاء العنس ألفيتها كما تصفها الالسن وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فشكرت يد النوى وجريت طلق الجموح مع الهوى وطفقت أفض فيها ختوم الشهوات

(أجتنى) أجمع جناه (قطوف) مايجنى من الثمار وجعله للذات اتساعا (شرع) أخذوا بند أمن شرعت الدابه فى الماء اذادخلته لتشرب (سفر) مسافرون (الاعراق) المشى الى العراق (أشفقت) خفت (الاغراق) الفقر من أجل الزاد والمأكل وكأنه مغرق فى ذلك فهو يرجع الى الغرق والاغراق المبالغة فى الشئ يقال أغرق الرجل فى القول والرمى بالقوس اذا بالغ فيهما (عادنى) زارنى (عيد) شوق وكل ماتذكرته واشتقت اليه عيد كانه عاد الى قلبه بعد نسيانه ونقل لفظ الشاعر

عادقلبي من الطويلة عيد ❊ واعترانى من حبها تسهيد

❊ابن الانبارى العيد هنا الوقت الذى يعود فيه الحزن والشوق وقال تأبط شرا

ياعيد مالك من شوق وابراق ❊ ومر طيف على الاهوال طراق

العيد مايعتاد من الحزن والشوق ومعنى يالك من شوق ماأعظمك من شوق (الحنين) الشوق (العطن) مبارك الابل حول الماء وأراد به بلده (قوضت) هدمت (خيام) بيوت (الاوبة) الرجوع وأراد قطعت أسباب الاقامة (استتب) تهيأ وأقام (ألحنا) خفنا (الخفير) المجير وهو الذى تمشى الرفاق فى ذمته وتسميه العامة الغفير (رداه) طلبناه (أعوز) عدم الاحياء الاول القبائل والثانى ضد الموتى (حالت) تغيرت (لعوزه) لفقده (عزوم) جمع عزم وهو الجد (السيارة) الرفقة وهى فعالة من السير (اتندوا) اجتمعوا (باب جيرون) من أبواب جامع دمشق وجيرون هذا هو جيرون بن سعد ابن عاد وهو الذى بنى دمشق ونقل اليها الرخام وسماها ارم وعلى هذا نقلة الاخباران ارم ذات العماد هى دمشق يقال انه كان فيها أربعمائة ألف عمود وقد تقدم أيضا ان دمشق سميت باسم بانيها وهو دماشق بن نمرود بن كنعان وقيل بانيها دمشق بن عابر بن ملك بن أرنخشذ بن سام بن نوح قال اليعقوبى جامع دمشق ليس فى الاسلام أحسن منه بناه الوليد بن عبد الملك فى خلافته بالرخام والذهب سنة ثمان وثمانين مفروش بالرخام الابيض المختم بالازرق وسقفه لاخشب فيه مذهب كله ومناره ثلاث الواحدة فى مؤخر المسجد مذهب كلها من أعلاها الى أسفلها وذكر شيخنا ابن جبير فى وصف هذا الجامع ووصف دمشق غرائب لايتسع لها هذا الكتاب فلنلم هنا ببعض ماوصف فى هذا الجامع لنفى بشرطها قال هذا الجامع من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين ومن عجيب شأنه أنه لايلم به نسج العنكبوت ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف اتندب لبنائه الوليد ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره باشخاص اثنى عشر ألف صانع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد فى ذلك ان توقف فامتثل أمره مذعنا فشرع فى بنائه وبلغت الغاية فى التأنق فيه وأزرت جدره كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء وخلطت بها أنواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت أشجارا وفرعت أغصانا منظومة بالفصوص ببديع الصنعة المعجزة وصف كل واصف فجاء يغشى العيون وميضا وبصيصا وبلغت النفقة فيه أحد عشر ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار وكان أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه صالح النصارى لما دخلها بأن أخذ نصف الكنيسة الشرقى فصيره مسجدا وبقى النصف الغربى للنصارى فأخذه الوليد وأدخله فى الجامع بعد أن رغب اليهم أن يعوضهم عنه فأبوا فأخذه قهرا وكانوا يزعمون أن من يهدم كنيستهم يجن فبادر الوليد وقال أنا أول من يجن فى الله وبدأ الهدم بيده فبادر المسلمون فأكملوا هدمها ثم أرضاهم عمر بن عبد العزيز فى خلافته عن الكنيسة بمال عظيم وطول هذا الجامع من الغرب الى الشرق ذرعه مائتا خطوة وهى ثلثمائة ذراع وذرعه فى السعة من القبلة الى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهى مائتا ذراع وتكسيره بالمرجع المغربى أربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد النبى صلى الله عليه وسلم غير ان طوله من القبلة الى الشمال وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق الى المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة وقامة البلاطات على ثمانية وستين عمودا منها ثمانية أرجل

وأجتنى قطوف اللذات الى أن شرع سفر فى الاعراق وقد أشفقت من الاغراق فعادنى عيد من تذكار الوطن والحنين الى العطن فقوضت خيام الغيبة وأسرجت جواد الاوبة ولما تأهبت الرفاق واستتب الاتفاق ألحنا من المسير دون استصحاب الخفير فردناه من كل قبيلة وأعملنا فى تحصيله ألف حيلة فأعوزوجدانه فى الاحياء حتى خلنا أنه ليس من الاحيا فحارت لعوزه عزوم السيارة واتندوا بباب جيرون

تظللها واثنتان من خمة ملصقة بالجدار الذي يلي الصخرة وأربعة أرجل من خمة أبدع ترخيم من صعة بفصوص من الرخام ماونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب وأشكالا غريبة قائمة في البلاط الوسط دور كل رجل منها اثنان وسبعون شبرا ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته سعته عشر خطا عدد قوائمه سبع وأربعون منها أربعة عشر رجلا والباقي سوار وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص وأعظم مافيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من المحراب الى الصحن والقبة قد أغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت من أي هاثلا ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو وعدد شمساتها الزجاجية المذهبة الملونة أربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلي ويتصل بالابصار منها أشعة ملونة هائلة لاتبلغ العبارة تصورها ومحرابه من أعجب المحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهبا كله قد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سواري ملويات مفتولات فتل الاسورة فانها مخروطة بعضها أحمر كأنها مرجان لم يرشئ أجمل منها وفيها ثلاث مقاصير مقصورة معاوية وهي أول مقصورة وضعت في الاسلام طولها أربعة وأربعون شبرا وعرضها نصف الطول ويليها بجهة الغرب المقصورة التي أحدثت عند زيادة الكنيسة فيه وهي أكبر والثالثة بالجانب الغربي مجمع الحنفية فيها للتدريس وله أربعة أبواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباب شمالي يعرف بباب الناطفيين وباب غربي يعرف بباب البريد وباب شرقي يعرف بباب جيرون وهو أعظمها وله والغربي دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها ثم ذكر في الصحن عجائب من الابنية والقباب والصوامع الثلاث والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه واختصاره أنه قال هذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها وفيه مجتمع أهل البلد ومفترجهم ومتنزههم كل عشية تراهم فيه ذاهبين وراجعين من باب جيرون الى باب البريد لا يزالون على هذه الحالة الى انقضاء صلاة العشاء الاخيرة منهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ فهذا دأبهم أبدا بالعشي والغداة والاحفل بالعشي وأهل البطالة يسمونهم الحراثين* وللجامع أربع سقايات في كل جهة سقاية وأعظمها سقاية باب جيرون وذكر أن حول باب جيرون من الابنية الغريبة ما يطول وصفه وذكر باب جيرون فقال يخرج من دهليزه الى بلاط طويل عريض له خمسة أبواب مقوسة لها ستة أعمدة في جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه قبل أن ينقل الى القاهرة بازائه مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد انتظمت أمام البلاط أدراج ينحدر عليها الى الدهليز وهي كالخندق العظيم تتصل الى باب عظيم الارتفاع يحصير الطرف دونه سموا قد حفته أعمدة كالجذوع طولا وكالاطواد ضخامة وبجانبي الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكراء مشرفة على الدهاليز وفوقها سطح يبيت فيه سكان الحجر والبيوت وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تقلها أعمدة من الرخام وفي وسط الحوض أنبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع في الهواء أزيد من القامة وحوله أنابيب صغار ترمي الماء علوا فتخرج منها كقضبان اللجين فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ومنظرها أبدع من أن يوصف وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه شبه غرفة بهاهيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صفر وقد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر متقوبتين فتبصر البازيين عدان أعناقهما بالصنجتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الاوهام سحرا فعند وقوعهما يسمع لهما دوي

فيعودان

فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفه وينغلق الباب تلك الساعة بلوح أصفر فلا يزال كذلك حتى تنقضى الساعات فتنغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها الاول ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان فى القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتى عشرة دائرة من النحاس مخرمة فى كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وأفاض على الدائرة شعاعا فلاحت دائرة محمرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضى ساعات الليل وقد وكل بها من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنج الى موضعه وهى التى تسمى الميقانة ثم ذكر فى باب جيرون وفى الجامع وفى خارج البلد عجائب ليست من شرطنا وانما ذكرنا منها مادعت اليه الحاجة من ذكر باب جيرون (قوله الاستخارة) أى طلب الخيرة واستخرت الله سألته أن يهب لى الخيرة (شزر) عقد (سحل) حل وشزرت الحبل شزرا شددت فتله وسحلت النسج سحلا أفردت سداه ولم تفتله (نفد) تم وفرغ (التناجى) التحدث سرا (قنط) يئس (الراجى) الطامع (حذتهم) قريبا منهم تقول دارى حذوه وحذوته وحذته أى حذاءه (ميسمه) علامته وأصل الميسم الموسم لانه من وسمت الشئ فقلبت الواو ياء لسكونها وكسر ماقبلها (لبوسه) ثيابه (الرهبان) العباد والترهب ترك النساء (سبحة) خيط ينظم فيه خرز يعد به التسبيح وكانت لابى هريرة رضى الله عنه سبحة من النوى المجزع وهو الذى حك حتى اختلف لونه وفرغ من سبحته أى من صلاته وما يتبعها من الذكر (ترجمة) علامة (النشوان) السكران (قيد لحظه) ربط نظره أى شخص فيهم (أرهف) أحد (آن) حان وقرب ويروى ناء مقلوب آن (انكفاؤهم) انقلابهم ورجوعهم (برح) انكشف (خفاؤهم) سرهم (ليفرخ كربكم) ليزل ويسكن ومثل العرب أفرخ روعك ومعناه انجلى وانكشف كما ينكشف مافى البيضة اذا انشق عن الفرخ وقيل معنى أفرخ ذهب وقال الفارسى فى التذكرة معنى أفرخ روعك صار له فرخ واذا أفرخ الطائر طار لانه فارق الحضن وهذا قول حسن وقال عروة بن مضرس أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بجمع قبل أن يصلى الصبح فقلت يارسول الله طويت الجبلين ولقيت شدة فقال أفرخ روعك من أدرك افاضتنا هذه فقد ادرك الحج وقال الاخطل يصف الثور والكلاب

حتى اذا ما الثور أفرخ روعه * وأفاق أقبل نحوها يتذمر
أضما وهز لهن روقى رأسه * أن قد أتيح لهن موت أحمر

فقوله أفاق بعد أفرخ روعه يدل على أنه أراد ذهب فزعه وزال ويتذمر يحض نفسه على الاقدام يقال ذمرته اذا حضضته وأضما أى غضبان والموت الاحمر مذكور فى المقامة بعد هذه (قوله كربكم) أى همكم (سربكم) أى جمعكم أى تأمنوا فى نفوسكم (سأخفركم) سأجيركم (يسرو) يكشف ويزيل (روعكم) فزعكم (يبدو) يظهر (طوعكم) منقادا لكم وأراد سأجيركم بشئ يزيل عنكم الفزع ويكون منقادا لكم وذلك الشئ هو الكلمات التى يأتى بها (استطلعنا منه طلع الخفارة) أى استخبرناه عن خبر الاجارة قال ابن الانبارى معنى السفارة فى كلامهم الاصلاح والسفير المصلح قال الشاعر

وما أدع السفارة بين قومى * وما أمشى بغش ان مشيت

(وأسنيناله الجعالة عن السفارة) أى كثرنا له العطاء ليدلنا على المجير وان يكون رسولا بيننا وبينه ويمكن ان تكون السفارة فعالة من لفظ السفير فيكون اسما للحرفة كالنجارة والخياطة (لقنها) حفظها (ليحترس) ليمتنع (يومض) يشير (لحظ) نظر بطرف عينيه (غض) كسر النظر أى جعلوا يتغامزون عليه استضعافا لخبره (استشعرنا الخور) أى ظهر علينا الفزع والضعف من كلامه (العبث) اللعب (تبرى) ذهبى والتبر كل مالم يصنع من الجواهر من نحاس وغيره (خبثا) فاسدا (جبت) قطعت (مخاوف) مواضع الخوف (الاقطار) نواحى الارض (ولجت) دخلت (مقاحم)

للاستخارة فازالوا بين عقد وحل وشزر وسحل الى أن نفد التناجى وقنط الراجى وكان حذتهم شخص ميسمه ميسم الشبان ولبوسه لبوس الرهبان وبيده سبحة النسوان وفى عينه ترجمة النشوان وقد قيد لحظه بالجمع وأرهف أذنه لاستراق السمع فلما آن انكفاؤهم وقد برح له خفاؤهم قال لهم ياقوم ليفرخ كربكم وليأمن سربكم فسأخفركم بما يسرو روعكم ويبدو طوعكم (قال الراوى) فاستطلعنا منه طلع الخفارة وأسنيناله الجعالة عن السفارة فزعم أنها كلمات لقنها فى المنام ليحترس بها من كيد الانام فجعل بعضنا يومض الى بعض ويقلب طرفيه بين لحظ وغض وتبين له أنا استضعفنا الخبر واستشعرنا الخور فقال مابالكم اتخذتم جدى عبثا وجعلتم تبرى خبثا ولطالما والله جبت مخاوف الاقطار وولجت مقاحم

الاخطار فغنيت بها عن
مصاحبة خفير واستصحاب
جفير ثم انى سأنبى ما رابكم
واستسل الحذر الذى
نابكم بأن أوافقكم
فى البداوة وأرافقكم فى
السماوة فان صدقكم وعدى
فأجدوا سعدى وأسعدوا
جدى وان كذبكم فمى
فمزقوا أدمى وأريقوا دمى
(قال الحرث بن همام)
فألهمنا تصديق رؤياه
وتحقيق مارواه فنزعنا عن
مجادلته واستهمنا على
معادلته وفصمنا بقوله
عرا الربائث وألغينا اتقاء
العابث والعائث ولما
عكمت الرحال وأزف
الترحال استنزلنا كلماته
الراقية لنجعلها الواقية
الباقية فقال ليقرأ كل
منكم أم القرآن كلما أظل
الملوان ثم ليقل بلسان خاضع
وصوت خاشع اللهم يا محيى

مهالك والقسمة الامر العظيم لا يركبه أحد لهوله (الاخطار) جمع خطر وهو الغرر (جفير) جعبة السهام (رابكم) شككم (استسل) أزيل (الحذر) الخوف (نابكم) قصدكم (أوافقكم) أساعدكم وأمشى معكم مصاحبا لكم (أرافقكم) أسافر معكم والرفيق الصاحب فى السفر (السماوة) مفازة بين الشأم والعراق وسماوه كل شئ شخصه وبذلك سميت السماوة لانها منازل ثمود وفيها الى الآن أشخاص منازلهم وآثارهم (جدوه) ردوه ذاجد وهو السعد والحظ والمعنى أنه يقول ان كان سعدى قليلا فاجدوه أى كثروا حظه بعطيتكم حتى يعود صاحبه كثير السعد وكذلك يقدر (أسعدوا جدى) فيريد ان صدقتكم وعدى وسلمتم فهبوا الى من أموالكم ما يتقوى به سعدى الضعيف ويكثر حظى القليل ويقال أيضا أجد الشئ اذا صيره جديدا (مزقوا) قطعوا (أدمى) جلدى (اريقوا) صبوا (ألهمنا) أى ألقى فى قلوبنا (نزعنا) أقلعنا (مجادلته) مخالفته (استهمنا) ضربنا السهام وتخاطرنا على من يركب معه رفيقا و(معادلته) الركوب معه فى المحمل وهو ان يركب هذا فى الايمن وهذا فى الايسر مأخوذة من العدل*ونذكر هنا حكاية مضحكة تزيد المعادلة بيانا كان المعتصم يأنس بعلى بن الجنيد الاسكاف وكان عجيب الصورة والحديث فقال المعتصم لابن حماد اذهب الى ابن الجنيد وقل له يتهيأ ليزاملنى فأتاه فقال له تهيأ لمزاملة أمير المؤمنين فان مزاملة الخلفاء كبيرة فقال كيف أتهيأ لها أصيب رأسا غير رأسى أشترى لحية غير لحيتى قال ابن حماد شروطها الامتاع بالحديث والمذاكرة والمنادمة وأن لا تبصق ولا تسعل ولا تمخط ولا تتنحنح وأن تتقدم فى الركوب اشفاقا عليه من الميل وأن يتقدمك فى النزول فتى لم يفعل هذا المعادل كان ومثقلة الرصاص التى يعدل بها القبة واحدا فقال لابن حماد اذهب قل له ما يزاملك الا من أمه زانية فرجع الى المعتصم وأعلمه فضحك وقال على به فلما جاء قال يا على أبعث اليك أن تزاملنى فلا تفعل فقال له ان رسولك هذا الارعن جاءنى بشروط حسان السامى وخالويه الحاكمى فقال لا تبصق ولا تعطس وجعل يقرقع بصاداته وهذا الا أقدر عليه فان رضيت أن أزاملك فاذا جاءنى الفساء والضراط فسوت وضرطت والافليس بينى وبينك عمل فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وقال نعم زاملنى على هذه الشروط فسارا ساعة فلما توسط البرقال يا أمير المؤمنين قد حضر ذلك المتاع قال ذلك اليك قال يحضر ابن حماد فحضر فناوله كمه فقال أجد فى كمى دبيب شئ فانظر ما هو فأدخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما أرى شيأ ولكنى أعلم أن فى جوف ثيابك كنيفا والضحك قد ذهب بالمعتصم كل مذهب وابن الجنيد يفسو فساء متصلا ويقول لابن حماد قلت لى لا تسعل أو لا تمخط خريت عليك ثم قال قد نضجت القدر وأريد أخرا فأخرج المعتصم رأسه من العمارية حين كثر عليه الضحك وصاح ويلك يا غلام الارض الساعة أموت (قوله فصمنا) أى قطعنا وحللنا و(العرا) عيون من شريط أو غيره شد بها فم الخرج أو العدل واحدها عروة و(الربائث) العلق واحدها ربيثة وهو ما يثبط الانسان ويحبسه عن أمر يريده وقدر بثته عن الامر بثا وتربثت أنا تربثا اذا انثبطت (ألغينا) اطرحنا (اتقاء) خوف (العابث) الذى يعبث بأموالهم من أهل الشر فيفسدها والعابث المفسد ويقال عبث بفتح الباء عبثا خلط وبكسرها عبثا لعب واستخف*وعاث عيثا أفسد (عكمت الرحال) أى شدت الاحمال بالعكام والعكام ما يشد به فم العكم وهو العدل وقيل ان أصل العكام كمامة تربط على فم البعير ومثله اللجام يستعار لما يشد به المتاع ويقال عكمت المتاع عكما شددته فى العكم أو شددته بالعكام وعكمت البعير شددت عليه العكم أو ربطت العكام على فمه وأعكمتك أعنتك (أزف) دنا وقرب (استنزلنا) طلبنا منه انزالها أى تلطفنا به ليذكرها (الراقية) الرفيعة من رقى فى الدرجة أو المعوذة لنا من رقيت المريض وهو أشبه لموافقتها المعنى (الواقية) وهى الكافية لما يخاف من الشر (أظل) الامر قرب ودنا كأنه ألقى عليك ظله (الملوان) الليل والنهار و(الخاضع) الذليل وخضع خضوعا أقر بالذل و(الخاشع) المتواضع وخشع خشوعا خفض صوته ورمى ببصره الى الارض

الرفات ويادافع الآفات وياواقى المخافات وياكريم المكافات وياموئل العفاة وياولى العفو والمعافاة صل على محمد خاتم أنبيائك ومبلغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح نصرته وأعذنى من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين واعنات الباغين ومعاناة الطاغين ومعاداة العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين وسلب السالبين وحيل المحتالين وغيل المغتالين وأجرنى اللهم من جور المجاورين ومجاورة الجائرين وسطوة الجبارين وكف عنى أكف الضائمين وأخرجنى من ظلمات الظالمين وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين اللهم حطنى فى تربتى وغربتى وغيبتى وأوبتى ونجعتى ورجعتى وتصرفى ومنصرفى وتقلبى ومنقلبى واحفظنى فى نفسى ونفائسى وعرضى وعرضى وعددى وعددى وسكنى ومسكنى وحولى وحالى ومالى ومآلى ولا تلحق بى تغييرا ولا تسلط على مغيرا واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا اللهم احرسنى بعينك وعونك واخصصنى بامنك ومنك وتولنى باختيارك وخيرك ولا تكلنى الى كلاءة غيرك وهب لى عافية غير عافية وارزقنى رفاهية غير واهية واكفنى مخاشى اللأواء واكنفنى بغواشى الآلاء ولا تظفر بى أظفار الاعداء انك سميع الدعاء ثم أطرق لايدير لحظا ولا يحير لفظا حتى قلنا قد أبلسته خشية أو أخرسته غشية ثم أقنع راسه وصعد أنفاسه وقال أقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج والهواء والعجاج انها لمن أيمن العوذ وأغنى عنكم من لابسى الحوذ من درسها عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب الى الشفق ومن ناجى بها طليعة الغسق أمن ليلته من السرق قال فتلقفناها حتى أتقناها وتدارسناها

والخضوع قريب منه الا أن أكثر ما يستعمل الخشوع فى الصوت والخضوع فى الاعناق (الرفات) العظام البالية (الآفات) المضرات (المكافاة) المجازاة (موئل) ملجأ (العفاة) جمع عاف وهو سائل العفو (ولى العفو) صاحب المغفرة و(المعافاة) المباعدة من الضرر وقد عافاه مما يكره وأعفاه (أنبائك) أخبارك والنبأ الخبر (أسرته) رهطه وأراد بالمصابيح المهاجرين وبالمفاتيح الانصار (أعذنى) أجرنى (النزغات) الافساد نزغ الشيطان بين القوم أى أفسد ذات بينهم والشيطان البعيد من الخير من قولهم دار شطون أى بعيدة ونوى شطون قال النابغة * نأت بسعاد عنك نوى شطون وقال نابغة بنى شيبان فأضحت بعد ما وصلت بدار * شطون لا تعاد ولا تعود (نزوات) وثوب وقد نزا نزوا ونزوا اذا وثب ونزا على الشئ ارتفع (اعنات) مشقة الباغين (المتعدين) وقد بغى عليه بغيا تعدى عليه (معاناة) معالجة ومقاساة (الطاغين) المسرفين فى الظلم والمعاصى و(العادين) المتجاوزين الحد فى الظلم (غيل) جمع غيلة وهى الهلاك (والمغتال) المهلك (أجرنى) أمنى (سطوة) بطش وتهديد (الضائمين) المذلين (قوله اللهم حطنى فى تربتى) أى احفظنى فى بلدتى (أوبتى) رجعتى (نجعتى) سفرى فى طلب الرزق (نفائسى) كرائم مالى (عرضى) نفسى (وعرضى) مالى (عددى) أهلى (عددى) آلاتى وما أستعده (سكنى) أهلى (حولى) قوتى (حالى) بالى (مآلى) مرجعى (منك) احسانك (تولنى) كن لى وليا (تكلنى) تحوجنى (كلاءة) حفظ وحراسة و(عافية) عيش سالم من الآفات * أبو الدرداء رضى الله عنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاء وما أعد الله لصاحبه من الثواب اذا صبر وذكر العافية وما أعد الله لصاحبها من الثواب اذا شكر فقلت يا رسول الله أعافى فأشكر أحب الى من أن أبتلى فأصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب معك العافية (غير عافية) أى غير دارسة (رفاهية) غنى متسع (واهية) ناقصة ضعيفة (مخاشى) ما يخشى ويخاف (اللأواء) الشدة (اكنفنى) استرنى (غواشى) أى ما يتغشى به أى يتغطى (الآلاء) النعم (أطرق) أى نظر الى الارض ساكنا وقد فسر قوله أطرق بقوله (لا يدير لحظا ولا يحير لفظا) فيدير لحظا يجيل نظره فى الجهات الاربع ويحير لفظا يرد كلاما و(الغشية) أن يغشى على عقله (أقنع) رفع (صعد) جعلها تصعد أى ترتفع (الابراج) أى منازل القمر (الفجاج) أى المسالك واحدها فج والفج الطريق الواسع فى الجبل وقيل هو المتسع بين مرتفعين وقيل هو الفتح بين الشيئين (الثجاج) السيال الكثير الصب (السراج) الشمس (الوهاج) الوقاد المتلالئ وهو من وهج النار وهو اتقادها وحرها (العجاج) المصوت لاضطراب أمواجه (الهواء) ما بين السماء والارض (والعجاج) الغبار (والعوذ) الرقى (أغنى) أجزأ وأكفى والغنى الكفاية وأغنى فلان مغنى فلان أى كفاه الحضور وقام مقامه (والحوذ) بالحاء المهملة الدرع وبنقط الحاء بيض السلاح (ابتسام الفلق) ظهور الفجر (يشفق) يخاف (خطب) أمر شديد (الشفق) الحمرة بعد غروب الشمس (ناجى) تكلم بها سرا (طليعة الغسق) أول طلوع الظلام (تلقفناها) أى فهمناها (اتقناها) أحكمناها (تدارسناها) الدرس فى كلامهم الرياضة والتذليل وطريق مدروس كثر مشى الناس فيه فذللوه وأثروا فيه فمعنى درس القرآن أو الدعاء ذلل لسانه وراضه ونصل هذا الدعاء الذى ذكر أنه مستجاب وصدق اذا صحب الدعاء به الاخلاص والتضرع بأدعية ينتفع بها ان شاء الله تعالى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا قال اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الحضر اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد الكور ومن سوء المنظر فى الاهل والمال والولد وقالت أم سلمة رضى الله عنها ما خرج

فى طاعة الله تعالى فقال اللهم انى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكنى خرجت ابتغاء
مرضاتك واتقاء سخطك فاسألك بحقك على جميع خلقك أن ترزقنى من الخير أكثر مما أرجو وتصرف
عنى من الشر أكثر مما أخاف استجيب له باذن الله تعالى وقالوا كلمات الفرج عند الكرب لا اله الا الله
الحليم الكريم وسبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وقال جعفر بن محمد لسفيان
الثورى اذا كثرت همومك فاكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم واذا درت عليك النعم
فاكثر من الحمد لله رب العالمين واذا أبطأ عليك الرزق فاكثر من الاستغفار ومن قال فى ليل أو نهار اللهم
أنت ربى لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن أعلم أن
الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة
أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم لم يضره شئ ومن قال باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ
فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ليلا أو نهارا أمن مما يخاف ومن قال سبحان الله وبحمده
ولا حول ولا قوة الا بالله ثلاث مرات بعد صلاة الصبح أمن من كل غم وجذام وبرص وفالج ومن قال
باسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله
لا يصرف السوء الا الله من قالها اذا أصبح أمن من الحرق والغرق ومن دخل على سلطان يخاف
سطوته فقال الله أعز وأكبر مما أخاف وأحذر اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لى
جارا من عبدك فلان وجوره وأشياعه وأتباعه تبارك اسمك وجل ثناؤك وعز جارك ولا اله غيرك
ثلاث مرات أمن من شره وقال المنصور للربيع على بجعفر قتلنى الله ان لم أقتله فلما مثل بين يديه
حرك شفتيه ثم قرب وسلم فقال لا سلم الله عليك يا عدو الله تعمل على الغوائل فى ملكى قتلنى الله ان
لم أقتلك فقال يا أمير المؤمنين ان سليمان أعطى فشكر وان أيوب ابتلى فصبر وان يوسف ظلم فغفر عليهم
السلام وأنت على اثرهم وأحق من تأسى بهم فنكس المنصور رأسه مليا ثم رفع رأسه وقال الى أبا
عبد الله فأنت القريب القرابة وأنت ذو الرحم الواشجة والسليم الناحية القليل الغائلة ثم صافحه
بيمينه وعانقه بشماله وأجلسه معه على فراشه وأقبل يسائله ويحادثه ثم قال عجلوا لابى عبد الله اذنه
وجائزته وكسوته فلما خرج أمسكه الربيع وقال له رأيتك قد حركت شفتيك فانجلى الامر وأنا خادم
السلطان ولا غنى لى عنه فعلمنى اياه فقال نعم قلت اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام واكفنى بحفظك
الذى لا يرام لا أهلك وأنت رجائى فكم من نعمة أنعمتها على قل عندها شكرى فلم تحرمنى وكم من
بلية ابتليت بها قل عندها صبرى فلم تخذلنى اللهم بك أدرأ فى نحره وأعوذ بك من شره * ومن قال
اذا سمع المؤذن رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و   الله عليه وسلم نبيا غفرت له ذنوبه * ومن
دعاء الأعراب قال عمر بن عبد العزيز رض   شبه بالسلف من الاعراب لولا جفاء
فيهم وقال غيلان اذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعا   عراب وقال الاصمعى سمعت أعرابيا بفلاة
من الارض يقول اللهم ان استغفارى اياك مع كثرة ذنوبى للؤم وان تركى الاستغفار مع معرفتى سعة
رحمتك لعجز الهى كم تحبب الى برحمتك وأنت غنى عنى وكم أتبغض اليك بذنوبى وأنا فقير اليك يا من اذا
وعد وفى واذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك يا أرحم الراحمين قال وسمعت آخر يقول
فى دعائه اللهم انى أسألك عمل الخائفين وخوف العاملين حتى أتنعم بترك النعيم طمعا فيما وعدت وخوفا
مما أوعدت اللهم أعذنى من سطواتك وأجرنى من نقماتك قال ودعت أعرابية لابن لها خرج مسافرا
فقالت كان الله صاحبك فى السفر وخليفتك فى أهلك وأنجح طلبتك امش مصاحبا مكلوأ لا أشمت
الله بك عدوا ولا أرى فيك لمحبك سوأ وهذا الباب كثير وانما ذكرنا من الادعية ما جرب واستحسن
والله ينفع بها آمين * قال أعرابى يصف دعوة

وسارية لم تسر فى الليل تبتغى * محلا ولم يقطع بها البيد قاطع

اكى لا انساها ثم مرنا

سرت

سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ * لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تحل وراء الليل والليل ساقط * بأوراقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السما لوفدها * اذا قرع الابواب منهن قارع
اذا أوفدت لم يردد الله وفدها * على أهلها والله راء وسامع
وانى لارجو الله حتى كأننى * أرى بجميل الظن ما الله صانع

(قوله نزجى) أى نسوق (الحولات) بفتح الحاء الابل وبضمها الاحمال (الحداة) خدمة الابل بمنزلة المكارين للدواب (نحمى) نمنع (الكماة) الشجعان (يتعهدنا) يتفقدنا (يستجز) يطلب احضار ما وعد به (عانة) بعين غير منقوطة قرية بالجزيرة كثيرة الاعناب وقال امرؤ القيس

*من خمر عانة أو كروم شآم * (واطلالها) آثارها يريد أنه لما أشرف على عانة قال لهم اعطونى ما أستعين به (المعلوم) الظاهر (والمكتوم) المستور (والمعكوم) المجعول فى عكم قال يعقوب العكم غمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها أو يكون المعكوم المشدود بالعكام وقد تقدم آنفا (والمختوم) المطبوع عليه يريد أريناه أنواع أموالنا (استخف) استحقر (الخف) الخفيف (الهين) الهين (حلى) حسن (الحلى) ما يتحلى به النساء (والعين) الذهب والفضة يريد أنه استحقر الخفيف القدر الهين القيمة مثل الامتاع وشبهها فاقتركها واعجبه الحلى والذهب فخماهما أو يكون معنى استخف وجده خفيفا والخف والهين يريد الخفيف عليه حمله الهين عليه نقله يريد الذهب والجوهر ويكون قوله حلى بعينه وما بعده مفسرا ومؤكدا الاستخف وما بعده وهذا أشبه من الاول (وقره) حمله (ناء) نهض بثقل (خالسنا) سارقنا وتسلل عنا (الطرار) الذى يشق الجيوب ويستخرج ما فيها والطر القطع وقد طرطرا وطرة الشعر منه لانها مقطوعة من جملته مفصولة عنه والمنتهز الذى يخطف من يدك الشئ بسرعة (انصلت) انسل ولم يشعر به (والانصلات) سقوط السيف من الغمد (والفرار) هو الزاووق ويسمى الزئبق سمى فرارا لانه سريع السيلان لا يستقر فى موضع والفرار من كثر فراره (أوحشنا) اذهب انسنا (أدهشنا) حيرنا (امتراقه) خروجه مسرعا ومرق السهم خرج من القوس ومن الرمية (ننشده) نطلبه (مغووهاد) مضل ومرشد (الحانة) بغير نقط بيت الخمار أو حانوته والحان والحانة هى الدسكرة التى ذكر وقال ابن شهيد فيه

ياربّ حان قد أدرت بديره * خمر الصبا مزجت بصفو خموره
فى فتية جعلوا الزقاق تكاهم * متصارعين تخشعا لكبيره
يهدى اليها الراح كل مصفق * كالخشف خفره المنا بخفيره
والى علىّ بطرفه وبكفه * فأمال من رأسى لعب كبيره
وترنم الناقوس عند صلاتهم * ففتحت من عينى لرجع هديره

(زايل) فارق (أغوانى) حتى (سبكه) تجربته (الانسلاك) الدخول (سلكه) شكله وانسلكت حبة اللؤلؤ حوت فى السلك وهو خيط النظام (أدلجت) مشيت بالليل (الدسكرة) بناء كالقصر حوله بيوت يسكنها الخمار والحشم قال الجعدى

ودسكرة صوت أبوابها * كصوت المراتج بالحوأب
سبقت صياح فراريجها * وصوت نواقيس لم تضرب
برنة ذى عتب شارف * وصهباء كالمسك لم تقطب

المراتج البكرات والحوأب اسم ماء الفراريج الديوك عتب أوتار وشارف اسم العود شبهه بالشارف من الابل لانها أغن صوتا وأطربه قال متمم

اذا شارف منهن قامت فرجعت * حنينا فابكى شجوها البرك أجمعا

نزجى الحولات بالدعوات لا بالحداة ونحمى الحولات بالكلمات لا بالكماة وصاحبنا يتعهدنا بالعشى والغداة ولا يستجزنا العدات حتى اذا علينا أطلال عانة قال لنا الاعانة الاعانة فأحضرناه المعلوم والمكتوم وأريناه المعكوم والمختوم وقلنا له اقض ما أنت قاض فانجد فينا غير راض فما استخف سوى الخف والهين ولا حلى بعينه غير الحلى والعين فاحتمل منهما وقره وناء بما يسد فقره ثم خالسنا مخالسة الطرار وانصلت منا انصلات الفرار فأوحشنا فراقه وادهشنا امتراقه ولم نزل ننشده بكل ناد ونستخبر عنه كل مغوو هاد الى أن قيل انه مذ دخل عانة ما زايل الحانة فأغرانى خبث هذا القول بسبكه والانسلاك فيما لست من سلكه فأدلجت الى الدسكرة فى هيئة منكرة فاذا الشيخ فى

(ممصرة) مصبوغة بالمصرة وهي العصفر قبل ان يوضع فيه الخل فلونها أصفر فاذا وضع فيها الخل حمر مايصبغ به ويسمى معصفرا (والحلة) ثوبان ازار ورداء وسميت حلة لانها تحل على لابسها كما يحل الرجل على الارض (دنان) جمع دن وهو نوع من الحلواني طويل الاسفل ضيقه ويسمى الراقود وهذه الحالة التي وجد عليها الحريري السروجي بعد ذلك الترهب الذي كان عليه في أول المقامة لها نظائر لرجال مشاهير بالعلم والفضل حكى الثعالبي في يتيمته وقد ذكر القاضي التنوخي فقال هو أبو القاسم علي بن محمد بن داود ممن فهم من أعيان أهل العلم والادب وأفراد ذوي الكرم وحسن الشيم وكان كما قرأت في فصل للصاحب ان أردت فاني سبحة ناسك أو أحببت فاني تفاحة فاتك أو اقترحت فاني مدرعة راهب أو اخترت فاني نخبة شارب وكان تقلد قضاء البصرة والاهواز بضع سنين وكان المهلبي وغيره من وزراء العراق يميلون اليه جدا ويعدونه ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء يعاشرون منه من تطيب عشرته وتلين قشرته وتكرم أخلاقه وتحسن أخباره وتسير اشعاره ناظم حاشيتي البر والبحر وناحيتي الشرق والغرب وكان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون اليه في الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة منهم ابن قريعة وابن معروف والقاضي الانذوجي وغيرهم وما منهم الا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبي واذا تكمل الانس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب فيهم مأخذه وهبوا ثوب الوقار للعقار وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش ووضع بين يدي كل واحد منهم طست من ذهب من ألف مثقال مملوء شرابا فيغمس فيه لحيته بل ينقعها حتى تشرب أكثره ويرش بعضهم بعضا ويرقصون باجمعهم وعليهم مصبغات الثياب ومخانق البرم ويقولون بكرا أسرهم هو هر وفيهم يقول السري

مجالس ترقص القضاة بها * اذا انتشوا في مخانق البرم

واذا أصبحوا عادوا لعادتهم في الترهب والتوقر والتحفظ وأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء وقال في ابن معروف كان كما قرأته في فصل للصاحب شجرة فضل عودها أدب وأغصانها علم وثمرها عقل وعروقها شرف تسقيها سماء الحرية وتغذوها أرض المروءة وفيه يقول الصابي

أقسمت بالله ما يرجى لمعروف * في الحادثات سوى القاضي ابن معروف

(ومن شعر ابن معروف)

لو كنت تدري ما الذي صنع الهوى * والشوق في الجسم النحيل البالي
لهجرت هجري واجتنبت تجنبي * ووصلت من بعد النعيم وصالي

(وقال القاضي التنوخي في غلام جسيم)

له في كل عضو دعص رمل * ثقيل الجسم ذو روح خفيف
أأعشق لا عشقت أخا نحول * كأني لست ذا الخلق الظريف
اذا المسته كفي لم تلامس * سوى جلد على عظم ضعيف

شرب المأمون وعبد الله بن طاهر ويحيى بن أكثم القاضي فتعامل المأمون وابن طاهر على سكر يحيى مغمزا به الساقي فاسكره وكان بين أيديهم ردم من ورد وريحان فامر المأمون فشق له قبر في الردم وصير فيه وعمل بيتي شعر ودعا قينة فجلست عند رأسه وغنت بهما وهما

ناديته وهو حي لا حراك به * مكفن في ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلي لا تطاوعني * فقلت خذ قال كفي لا تواتيني

(فانتبه يحيى لرنة العود فقال)

ياسيدي وأمير الناس كلهم * قد جار في حكمه من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني * كما تراني سليب العقل والدين

حلة ممصرة بين دنان ومعصرة وحوله سقاة

لا استطيع

لا أستطيع نهوضا فقد وهي قدمي * ولا أجيب لداع حين يدعوني
فانظر لنفسك في قاض يكون لكم * انى غدوت دفينا في الرياحين

والحالة التي وصف بها أبو زيد خلعت الامين عن الملك ونقلته الى المأمون قال الربيع قعد الامين يوما للناس وعليه طيلسان أزرق وتحته لبد أبيض فوقع على ثمانمائة قصة فلقد أصاب فيما أخطأ وأسرع فيما أبطأ ثم قال يا ربيع أتراني لا أحسن التدبير والسياسة ولكني وجدت شم الآس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نعاس أشهى الي وكذلك خلعت قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والامراء ممن آثر راحة النفس على تعب السياسة (قوله تبهر) أي تسقيه بالبهار وهو شبه الابريق وقيل تبهر تغلب العقول بحسنها يقال بهره بهرا اذا غلبه وبهر القمر السماء ملأها بنوره (تزهر) تضيء (شموع) مصابيح الشمع (آس) ريحان (عبهر) نرجس وقيل ياسمين قال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شموا النرجس ولو في اليوم مرة واحدة ولو في الشهر مرة واحدة ولو في الدهر مرة واحدة فان في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقلعها الا شم النرجس وقال علي رضي الله عنه حياني النبي صلى الله عليه وسلم بالورد وقال أما انه سيد ريحان الجنة بعد الآس وقال أردشير بن بابك الورد در أبيض وياقوت أحمر على كراسي زبرجد أخضر توسطه شذور من ذهب أصفر له رقة الخمر ونفحات العطر * وقد ذكرنا طرفا من المنظوم في الازهار يليق بالموضع بحول الله تعالى قال محمد بن عبد الله بن طاهر ملما بقول اردشير

كأنهن يواقيت يطيف بها * زمرد وسطه شذر من الذهب
فاشرب على منظر مستظرف حسن * من خمرة مزجت كالجمر في اللهب

﴿وللمعتمد بن عباد﴾ كأنما ياسميننا الغض * كواكب في السماء تبيض
والطرق الحمر في جوانبه * كخد عذراء مسه عض

﴿ولابي الفضل الميكالي﴾

وما ضم شمل الانس يوما كنرجس * يقوم بعذر اللهو عن خالع العذر
فاحداقه أحداق تبر وساقه * كقامة ساق في غلائله الخضر

﴿ولعضد الدولة﴾ يا طيب رائحة من نفحة الخير * اذا تمزق جلباب الدياجير
كأنما رش بالماورد واعتبقت * به دواخن قد عنت بتبخير
كأن أوراقه في القد أجنحة * حمر وصفر وبيض من زنابير

﴿ولعلي بن بسام﴾ أما ترى الورد يدعو للورود على * حمراء صافية في لونها صهب
مداهن من يواقيت مركبة * على الزبرجد في أفواهها ذهب

﴿وقال آخر﴾ نرجسة عينها محيرة * لم تكتحل قط آفة الغمض
باكرها الطل فهي باهتة * تنظر فعل السماء في الارض

﴿وللاسعد بن بليط﴾ بنفسج بانت أكف الصبا * تنثره في زرقة لا تحد
كأنما قط بمنشوره * رؤس أقلام من اللازورد

﴿وقال آخر في نور الباقلا﴾

نوارة الباقلا اذا راق منظرها * تحكي الفراشة تنقيطا وترييشا
كأنما هي ماحول الذبالة اذ * مدت جناحا كان الكف مرقوشا

والباب كثير (قوله مزهر) عود الغناء (يستبزل) يستسقى منها شرابا والمبزل الثقب في جانب الخابية تجرى منه الخمر صافية ويبقى العكر في قعرها قال الاخطل

لما أتوها بمصباح ومبزلهم * سارت اليهم سؤور الابجل الضارى

تبهر وشموع تزهر وآس
وعبهر ومزمار ومزهر
وهو تارة يستبزل الدنان

وطوارا بستنطق العيدان
ودفعة يستنشق الريحان
وأخرى يغازل الغزلان
فلما عثرت على لبسه وتفاوت
يومه من أمسه قلت له
أولى لك يا ملعون أأنسيت
يوم جيرون فضحك مستغربا
ثم أنشد مطربا
لزمت السفار
وجبت القفار
وعفت النفار
لاجنى الفرح
وخضت السيول
ورضت الخيول
لجر ذيول * الصبا والمرح
ومطت الوقار
وبعت العقار
لحسو العقار
ورشف القدح
ولولا الطماح
الى شرب راح
لما كان باح
فمى بالملح
ولا كان ساق

ندى اذا طعنوا فيها بجائفة * وفى الزجاج عقيق غير مسطار
أراد أن الخمر خرجت خروج الدم من الابجل وهو عرق وقال ابن حصين
خبيت عنها الدن فاستعبرت * جريا كما قوس احليل
كأنها فى الكأس منصبة * خيط من الفضة مفتول
﴿وقال آخر فى قمع الشراب﴾
ولما رأى الناس فضل المدام * وخافوا على جرمها أن يسيلا
تواخوا الى شربها بينهم * سبيل حفاظ فكنت السبيلا
(قوله يستنطق) يأمر بضربها ليسمع صوتها (يستنشق) يشم (يغازل) يلاعب (عثرت) اطلعت واعثرت فى معناه (لبسه) تخليطه (تفاوت) تباعد (أولى لك) كلمة تهديد معناها قد وليك الشر فاحذره (الملعون) المطرود ولعنه الله طرده و (الاستغراب) الضحك الكثير ومما يوافق شعره وحاله قول الببغا
غادنى بالصبوح قبل الصباح * وا جرفى حلبة الصبا والمراح
عاطنيها كالجلنار اذا ما * كللت من حبابها بالاقاح
فى اختصاص التفاح بالطيب والحسـ * ـرة لافى كثافة التفاح
خادمتها الاجسام بالطبع لما * شاهدت قربها من الارواح
فتدارك بها حشاشة نفسى * أو فحرك بها سكون ارتياحى
بين وردين من نبات وخد * وشرابين من رضاب وراح
ونشيد مستنبط من حديث * وغناء يغنى عن الاقتراح
فألذ الحياة ما خالط العا * قل فيها فساده بالصلاح
﴿وله أيضا فى مثله﴾
زمن الورد أشرف الازمان * وأوان الربيع خير أوان
أشرف الزهر زار فى أشرف الده * ـر فصل فيه أشرف الاخوان
وأدرها عذراء وانتهز الامـ * ـكان من قبل عائق الامكان
فى كؤس كأنها زهر الخشـ * ـخاش ضمت شقائق النعمان
واجترعها عند ابتزال بالقا * ظ المثانى ومطربات الاغانى
﴿وقال وكيع فى الخشخاش﴾
وخشخاش كأنما منه نفرى * قميص زبرجد عن جسم در
كاقداح من البلور صيغت * بأغشية من الديباج خضر
(وقال آخر فى شقائق النعمان)
كان الشقائق اذ برزت * غلالة درونو بأحم
قصاع من الجمر مشبوبة * باوساطها لمع من حمم
(قوله السفار) مصدر سافرت (جبت) قطعت (عفت) كرهت (خضت) جزت ومشيت فيها (رضت) ذللت وركبت (المرح) النشاط والعجب (مطت) نحيت وأزلت ويقال ماط وأماط باعد وأيضا باعد غيره والاصمعى يقول ماط هو وأماط غيره (العقار) المال الثابت الذى لا ينقل (حسو) شرب (العقار) الخمر (رشف) مص (الطماح) ارتفاع النظر (باح) تكلم و (الملح) الكلام الحلو يريد أنه فعل ماذكر ليرتاح و يشرب الخمر ذكر أبو محمد الحريرى فى هذا الموضع من المقامات أوصاف الخمر وفضلها ومنافعها وذهابها بالهموم والاسقام وذكر أنها من أفضل الاشياء وأن بيع أشرف

الاعلاق

الاعلاق فيها سداد وان ترك الاصغاء فيها الى العذل رشاد وأن كمال لذتها مع السقاة الحسان والتطريب بأنواع الغناء والالحان الى غير ذلك مما أشار اليه ونبه عليه وأنا أسوق هنا في وصف الخمر فصلا من كلام الحكماء والادباء وسائر الافاضل من الملوك ومهرة الشعراء مجريا معه في أغراضه حسبما فعلناه في العاشرة في أوصاف الغلمان وفي الحادية عشرة في فضائل أهل الاديان وأكثر اعتمادي في هذا الفصل على اختيارات انتقيتها من كتاب قطب السرور وضممت اليها ما يلائمها من غيره وهو فصل بديع في بابه ذكر مؤلفه في منافع الخمر وفضائلها قول الله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وقال تعالى في الجنة فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى فلم يذكر الماء واللبن الا بالسلامة من التغير والعسل الا بانه مصفى وجعل الخمر لذة للشاربين فكان هذا من التفضيل وقال تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون فنفى عنها عيوب خمر الدنيا وهي ذهاب العقل بالسكر والصداع بالخمار وذهاب المال كما قال تعالى في فاكهتها لا مقطوعة ولا ممنوعة فنفى عنها عيوب فاكهة الدنيا التي تأتي في وقت وتنقطع في آخر وتمنع الا بالثمن وقال تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا وأما ما ذكره تعالى من أن فيها منافع للناس فان منافعها لا تحصى كثرة فمن منافعها ما يصيب الناس من أثمانها ولو لم تعصر الاعناب لبارت على أهلها ومنها صلاح الجسم لانها تروق الدم وتفتق اللسان وتزيد في الهمة وتهون الرزية وتمد في الامنية قال جالينوس الخمر تدر الدم وتصفي اللون وتقوي المنعة وتبعث النشاط قال أفلاطون انما كان النبيذ يثمر السرور ويولد الضحك ويطيب النفس لشبهه بالدم وانه يفعل في الجسد اذا اعتدل فعله لانه أحمر حار رطب والدم أحمر حار رطب فاذا صح جوهره وتمت اجزاؤه ولد في النفس السرور وولد الضحك والنشاط * الحرث بن كلدة طبيب العرب الطلاء مصلحة للبدن ومطيبة للنفس تفتح له العروق أفواهها كما تفتح الفراخ أفواهها للطعام * بعث قيصر الى قس بن ساعدة فسأله أي الاشربة أفضل فقال ما صفا في العين ولذ على الذوق وطاب في الانف من شراب الخمر قال ما تقول في مطبوخه قال مرعى ولا كالسعدان قال فما تقول في نبيذ الزبيب قال ميت أحيي وفيه بعض المنفعة وما يكاد يحيا من مات قال ما تقول في نبيذ العسل قال نعم شراب الشيخ للابردة والمعدة الفاسدة قال فنبيذ التمر قال أوساخ تدعو اليها ضرورات تذم عاقبتها في الابدان قال فما الذي يذهب بالهموم عند الشراب قال جوهر فيه لا تبلغه عقول العباد قال فما أصلح أوقات الشراب قال أول النهار ألا ترى ان الدواء يبكر به والمسافر يدلج لحاجته لان العقول أول النهار أذكى والفطن أصح قال فمن أي شئ يكون الخمار قال من ضعف قوة الجوارح عن جذب ما يصعد الى الدماغ من البخار حتى يغشيه الهواء قليلا قليلا قال فالصرف أفضل أم الممزوج قال الصرف سلطان جائر والممزوج سلطان عادل والعادل مصلح والجائر مفسد قال أفتشربه أنت قال نعم ولا أبلغ ما يغير عقلي قال ولم قال أصونه لسؤال مثلك * أمر الوليد بن يزيد بحمل ابن شراعة من الكوفة فلما قدم عليه قال يا ابن شراعة والله ما أرسلت اليك أسألك عن كتاب الله ولا عن سنة نبيه قال يا أمير المؤمنين لو سألتني عنهما لوجدتني حمارا قال أرسلت اليك أسألك عن القهوة قال دهقانها الحكيم وطبيبها الرفيق العليم فاسأل عما بدا لك قال فاخبرني عن الماء قال لا بد لي منه والكلب والحمار شركائي فيه قال فما تقول في اللبن قال ما رأيته الا استحييت من أمي لطول ما أرضعتني اياه قال فالسويق قال شراب المحرور والعجلان والمسافر قال فنبيذ التمر قال سريع الامتلاء سريع الانفشاش ضراط كله قال فما تقول في نبيذ الزبيب قال حومة حاموها حول الحق فلم يصيبوه قال فما تقول في الخمر قال تلك صديقة روحي جلت عن المثل تلك التي تزيد النفس اشراقا قال فأنت يا ابن شراعة صديقي اجلس أي الطعام أحب اليك

قال يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم غير ان أنفعه أدسمه وأشهاه أمرؤه قال فأي المجالس أحب اليك أن يكون شربنا فيه قال مالم تخف الشمس أن تحرقه أو السماء أن تغرقه ولا تشرب الا على وجه السماء فوالله يا أمير المؤمنين ما ادم الناس أصبح من وجهها قال فابرز بنا فلم يبعد ذلك يشرب الا تحت السماء * كان أبو السائب فقيها ورعا ظريفا فسأله بعض المجان فقال يا أبا السائب ما تقول في نبيذ الجر قال اشرب به حتى تجر قال فنبيذ الدن قال اشربه حتى تجن قال فالذى قال أحلى من العسل الماذى قال فنبيذ الزبيب والعسل فرفع يديه وقال العظمة لله قال فما تقول في الخمر قال لا أشربها قال ولم قال أخاف ان لا أؤدى شكرها فتنزع منى * قيل لابى نواس صف لنا الاشربة قال أما الماء فيعظم خطره بقدر تعززه وأما السويق فبلغة العجلان وري الظمآن وأما العسل فنبيل المنظر سخيف المخبر وأما الخمر فهى شقيقة الروح وصديقة النفس ما ارتضعت ممزوجة وصرفها غير مأمون على هلك البدن وغرس السقم المؤدى الى العطب * قالت الهند ان الشراب مبارك يزيد في الدم بحرارته ويكسر البلغم بحدته ويشهي الطعام بلطافته وأما السكر فحرم في كل ملة وسبيل من سبل الضلالة واسم من أسماء الوسوسة قبيح الافعال مذموم الاحوال * وقالت الحكماء من فضائل الشراب ان كل مشروب وان راق وصفا وحلا وعذب فأوله طيب ثم يعود في نقصان حتى يعود مكروها الا الشراب فانك كلما ازددت منه ازددت فيه رغبة وحبا وكان أوسطه اليك أعجب وآخره أطرب حتى اذا سرى في العروق برقته وعم البدن بلطافته ودب في الاعضاء والمفاصل دبيب النمل في نقى الرمل وخادع عقلك فامتلأت بهجة وسرورا وعدت ملكا محبورا تضرب في الخلافة بأوفر سهم ثم أسلمك الى النوم الذى هو حياتك وسحنك فاجتذبت النفس ماشاكلها من لطيفه وأخذ كل عضو قوته من كثيفه ثم لا يزال الهواء يخرج بالانفاس متصعدا بخاره ويجذب ماتحت الدماغ من استاره فحينئذ تهب بجذل ونشاط كأنما أنشطت من رباط وذلك تقدير العزيز العليم * وقالوا الشراب مصباح الظلام وشفاء الاسقام واذا تمشى في عظامك جعلك خالى الذراع فسيح الباع رخي البال قليل الاشتغال رحب الهمة واسع النعمة فهو أخو الصبوة وقسيم الشهوة ولو لم يكن من منته عليك الا أنه اذا مزجته بروحك وخلطته بدمك بغض اليك الحرص ونصبه والشره وتعبه وحبب اليك المروأة والسماح وحسن لك الفكاهة والمزاح * وقالوا الشراب يلذلك في السفر كلذته في الحضر ويطيب استعماله في الصحو كما يطيب في المطر فهو أصل اللذات الذى عليه تتفرع وعنصرها الذى عنه تنبع وبه تتصل واليه ترجع يرد الشيوخ في طبع الشبان ويدعو الشبان الى نشاط النشوان وقال أبو نواس في ذلك

ما العيش الا في جنون الصبا * فان تولى فجنون المدام

راح اذا ما الشيخ والى بها * خمسا تردى برداء الغلام

فلله در من استنبطه ودل عليه وسقيا لمن بحث عنه واهتدى اليه ماذا أثار وأى شئ أظهر * وقالوا ومدار قوامه على اثنى عشر شيأ المواد الثلاث والقوى الاربع والحواس الخمس فالثلاث هى نسيم الهواء وعذوبة الماء ومألوف الاهواء والاربع هى القوة الجاذبة التى تطيب الطعام وتبرده والماسكة التى تمسكه وتجذبه والهاضمة التى تهديه وتنضجه والدافعة التى تدفع الى كل عضو سهمه من جوهره فتخرج عنه ثقله والحواس الخمس البصر والسمع والشم والذوق واللمس وكل شئ من ذلك تدخله الزيادة والنقص فلا يستغنى عما يقويه في حال ضعفه ويصفيه من أوساخه فلم يجد أهل التجارب الماضون لذلك سببا أبين أثرا ولا أخف محملا ولا ألطف دبيبا في الابدان من ماء الكرم فاستعملوه لذلك استعمالا دائما فهو ريحانة النفس وترياقها فيشرب في كل حين وينفع كل حاسة ويحيد عنه النوازل والاحزان وحق للنفس أن تألفه وللطبيعة أن تلائمه اذ كان حبيبها

وشقيق روحها اقتراه يحدث في النفس الشجاعة والتكرم والاناة والتحلم ومن علامات الكريم اذا أخذ فيه الشراب الاستحياء والتودد واللهو والسرور والبذل لما في يديه وكسوة جليسه من أنفس ثيابه واذا بلغ المدى في شربها توسد يساره ونام جيدا كريما ومن علامات اللئيم المماراة والسفه وقتل الشارب والتلفت الى العربدة وشدة الغضب وربما بكى وعوى عواء الذئاب ونبح نباح الكلاب فشرب الماء يحرم مع مثل هذا فكيف الشراب * ومن فضائله أنه يلائم الطبائع المعتادة في كل زمان من فصول السنة يشربه المحرور ويمزجه فيبرده والمقرور صرفا فيسخنه واليابس معتدلا فيرطبه والمرطوب صرفا فيجففه فمن شربه في الصيف فيستحب له أن يشربه على خضرة الجنان وتحت الظلال وعلى المياه وعلى الورد والياسمين والبنفسج والآس والسفرجل والتفاح وان كان في الشتاء فبخلاف ذلك من الجلوس في الاكنان واستعمال الكوانين ولبس الاحمر والممثل وشم فتيت المسك والعنبر والمرزنجوش وأما الربيع والخريف فبين ذلك لاخذهما من رطوبة الشتاء وحرارة الصيف واذا اجتمع مع الشراب نغم وألحان على صنوف الملاهي والعيدان تعاونا على اذهاب الغموم والاحزان فلله در من استنبطه ماذا أثار وعلى أي شئ دل ولو لم يكن الشراب أغلب شئ على العقول وآثر به للقلوب وألطف محلا في النفوس وأشد ملاءمة للاجسام وأجمعه لمحمود الخلال حتى لا تقاربه لذة ولا تساويه شهوة ولا تعدله خصلة من خصال المسرات لما حملت الاشراف وذوو العقول أنفسهم على معاقرته لا يردهم ما ينالهم فيه عن معاودته من شنيع الاقوال ولوم العذال فيما أنفقوا عليه من الذخائر وبذلوا من الاموال * كان بالبصرة رجل ذو ضياع فأنفق ماله في الشراب فباع ضيعته فلما تم البيع قال له المشتري تأتيني بالعشي أدفع لك المال وأشاهدك فقال لو كنت ممن يري بالعشي ما بعت الضيعة قال محمود بن الحسن الكاتب بعت داري فأصابني مثل هذا فقلت

أتلفت مالي في العقار * وخرجت فيها عن عقاري
حتى اذا كتب الكتا * ب وجاءني رسل التجار
قالوا الشهادة بالعشي * ونحن في صدر النهار
فأجبتهم ردوا الكتا * ب ولا تعنوا بانتظاري
لو كنت أظهر بالعشي لما سمحت ببيع داري

﴿وقال ابن الرومي﴾

أنا أهوى ذات الخمار على الجيـ * ـب وذات الوشاح والدملجين
وأرى في النبيذ رأي صواب * لشيوخ العراق والكوفتين
واذا ما الغناء خاض ذوو الا * شباب فيه اعتصمت بالحرمين
كلما جاءت الرخائص فيه * كان أخذي له بكلتا اليدين

﴿وقال العطوي﴾

جارة لي أجارها الـ * ـحسن من كل عائب
فهي بين النساء كالـ * ـبدر بين الكواكب
سألتني هل النبيـ * ـذ حلال لشارب
قلت اي والذي يريـ * ـنك دون الرقائب
فاشربيه فان فيـ * ـه لاحدى العجائب
ينبت الورد في ريا * ض خدود الكواعب

﴿ولبعض المتقدمين﴾

من ذا يحرم ماء المزن خالطه * في جوف خابية ماء العناقيد

انى لاكره تشديد الرواة لنا * فيها ويعجبنى قول ابن مسعود

﴿وقال ابن الرومى﴾

أحل العراقى النبيذ وشربه * وقال الحرامان المدامة والسكر
وقال الحجازى الشرابان واحد * فحلت لنا بين اختلافهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما * وأشربها حلا ولو وازر الوزر

*خرج الحسن بن هانئ ومعه مطيط صاحبه حتى أتيا دير خمار فقال الحسن لمطيط ادخل بنا نتماجن على هذا الخمار فدخلا فسلما فرد عليهما السلام فقال له الحسن أعندك خمر عتيق قال عندى منها أجناس فأى جنس تريد قال التى يقول فيها الشاعر

حبست حقبة وصيفت فجاءت * كجلاء العروس بعد الصيان
وكأن الاكف تصبغ من ضو * سناها بالورس والزعفران

فلأ له الخمار قدحا من خمرة صفراء كأنها ذهب محلول فشربه الحسن وقال أحسن من هذا أريد فقال له الخمار من أى جنس تريد قال التى يقول فيها الشاعر

رققتها أيدى الهواجر حتى * صيرت جسمها كجسم الهواء
فهى كالنور فى الاناء وكالنا * راذا ماتصير فى الاحشاء

فملأ الخمار قدحا من خمرة كأنها العتيق فشربه وقال أرفع من هذا أريد قال أى نوع تريد قال التى يقول فيها الشاعر

فاذا حسا منها الوضيع ثلاثة * سمح الوضيع كفعل ذى القدر
فى لون ماء المزن الا انها * بين الضلوع كواقد الجمر

فملأ له الخمار قدحا من خمرة بيضاء كأنها ماء المزن فشرب الحسن وقال للخمار أتعرفنى قال اى والله ياسيدى أنا أعرف الناس بك قال فمن أنا قال أنت الذى سكر من غير وزن فضحك الحسن وقال لمطيط ادفع اليه ما معك من النفقة فأعطاه مائة درهم وانصرف *وقال أبو عثمان الناجم دخلت على أبى العباس عبد الله بن المعتز وهو مخمور طيب النفس فقال يا أبا عثمان أنشدنى ماشئت حتى أعارضك بأحسن منه أو مثله فأنشدته لابى نواس

وعاشق دنف نبهته سحرا * فقام للراح والتذكار مصطبحا
ودارت الخمر من صهباء صافية * فما احتسى قدحا حتى بكى قدحا

ففكر ساعة وضحك وقال

وقهوة كشعاع الشمس صافية * مثل السراب ترى فى قعره شبحا
اذا تعاطيتها لم تدر من لطف * راحا بلا قدح أعطيت أم قدحا

وقالوا مادار ربيع الخز والسمور بأدفأ من الشراب للمصرور والمقرور وقال بعضهم كنت فى منتزه لى واذا شيخ منيخ على علوة معه صبى فى يوم بارد فكنت أسمع الصبى يقول للشيخ اعطنى فروتى فيناوله شيأ لا أتبينه فبعثت غلامى ينظر اليه فاذا عند الشيخ قنينة كلما طلب الصبى فروته سقاه قدحا قال وأنشدوا للهدهد الاصبهانى

انا أناس حسن ديننا * لبيعنا الاجل بالعاجل
اذا شربنا خمسة خمسة * فقد لبسنا الفرو من داخل

وقال عمرو الضبابى

أعددت لليل اذا الليل برد * خابيتين من طلاء قد ركد
فتطرد الهم وتكفيك الصرد

وقال آخر
اذا هبت الارواح فاجعل دثارها * اذا الصف الاقوام دكن المطارف
ثـلاثة أرطال شرابا معتقا * تكن آمنا منها ولست بخائف
فان دثار المرء من تحت جلده * أخف وأدفا من دثار الملاحف

قال الجاحظ جلست عجوز من العرب الى فتيات يشربون فسقوها قدحا فطابت نفسها ثم سقوها آخر فاحمر وجهها وضحكت ثم سقوها قدحا ثالثا فقالت خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا الشراب قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله لا يدرى أحدكم من أبوه * وسقى اعرابى قدحا من شراب ولم يكن يعرفه فحركته الاريحية فسألوه عنها فقال والله ما أدرى ما هى غير أنى أراكم تحببون الى وأرانى أسر بكم وما وهب الى أحد منكم شيأ * ومر اعرابى بقوم يشربون فدعوه فنزل وعقل بعيره وشرب معهم فلما أخذ منه الشراب قام الى بعيره فنحره وشوى لهم من كبده وسنامه ثم رفع عقيرته يتغنى

علـلانى انما الدنيا علل * واسقيانى عللا بعد نهل
بادرا باللهو يوما صالحا * ودعانى من عتاب وعذل
وانشلا ما اغبر من قدريكما * واسقيانى أبعد الله الجمل

وقال اسحق الموصلى سقيت اعرابيا نبيذا فقال ما على هذا شئ يطيب النفس ويطرد الحزن ويحيى الطيرو بعد الغنى ثم أنشأ يقول

ألا خذها كماء الزعفران * رمتها بالفحول يد الزمان
تصوغ اذا علاها الماء طوقا * من الياقوت فصل بالجمان
وتترك من أراد الشرب منها * صحيح الجسم منكسر اللسان
كأن الشمس طالعة بكفى * اذا أخذت زجاجتها بنانى

ومر الفرزدق بالحكم بن المنذر بن الجارود فاستسقاه ماء فقال هلا لبنا يا أبا فراس قال ذلك اليك فلا له عسا من خمر وأمر فخلبت عليه لقحة فصعدت الرغوة فوق الشراب وأتاه به فشربه حتى صلت بالعس جبهته وانتفخت أوداجه واحمرت عيناه فمسح سباله وقال جزاك الله خيرا فانك ما زلت تخفى الصدقات ونعماهى * ودخل الاخطل على عبد الملك فقال ليت شعرى ما يعجبك من ادمان الخمر وأولها التقطيب والكراهة وآخرها السكر والسفاهة فقال ولكن بينهما حالة ما يسرنى بها ملكك هذا نظمه الشاعر فقال

ان يكن أول المدام كريها * ويكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذاك هناة * وصفها بالسرور لن يستطاعا

وأنشد ابن قتيبة لابى محجن الثقفى

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فاننى * أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

قال فأخبرنى من رأى قبره بارمينية أنه بين شجرات الكروم والفتيات يشربون عندها وينشدون شعره واذا جاء قدحه صبوه على قبره * ومنع عمر بن الخطاب رضى الله عنه أهل الشأم شرب الخمر فقال شاعرهم

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى * ولا يملك الانسان صرف المقادر
صبرت ولم أجزع وقد مات اخوتى * وما أنا عن شرب المدام بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها * فخلانها يبكون حول المعاصر

ورأى ذؤيب السلمى خمرا أهراقها السلطان فقال

بالقوى لما أتى السلطان * لايكن للذى أهانوا هوان
سكبوا فى التراب من حاب الكر * م عقارا كانها الزعفران
سكبت فى مكان نحس لقد صا * دف سعد السعود ذاك المكان
كيف صبرى عن بعض نفسى وهل يصـ * ـبر عن بعض نفسه انسان

ولما انهمك الوليد بن يزيد فى الشراب والتبذل مع الندماء اجتمع وجوه بنى أمية فلاموه وعنفوه فقال لهم اسمعوا ما عندى

أشهد الله والملائكة الابـ * ـرار والعابدين أهل الصلاح
اننى أشتهى السماع وشرب الراح والعض فى الخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا * ره يسعى علىّ بالاقداح
وظريف الحديث والكاعب الطفـ * ـلة ترتج فى ممسوط الوشاح

انصرفوا فبئسوا منه فذبروا فى افساد دولته * ودخل على المأمون عمرو بن مسعدة ورجل من الفقهاء وبين يديه جام زجاج فيه رطل شراب فدبه يده المأمون الى الرجل فقال يا أمير المؤمنين والله ماشربتها ناشئا فلا تسقنيها اشيخا فرد يده الى عمرو فأخذها منه وقال الله يا أمير المؤمنين انى آليت فى الكعبة أن لا أشربها ففكر طويلا والكاس فى يد عمرو ثم قال

ردا علىّ الكاس انكما * لا تعلمان الكاس ما تجدى
لو ذقتما ماذقت ماامتزجت * الا بدمعكما من الوجد
مامثل نعماها اذا اشتملت * الا اشتمال فم على خد
خوفتمانى الله ربكما * وكخيفتيه رجاؤه عندى
ان كنتما لاتشربان معى * خوف العقاب شربتها وحدى

وقال الحسن بن هانئ وهو الامام فى الخمريات

ساع بكاس الى ناس على طرب * كلاهما عجب فى منظر عجب
قامت تريني وأمر الليل مجتمع * صبحا تولد بين الماء والعنب
كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وله أيضا

قال ابغ المصباح قلت له اتئد * حسبى وحسبك ضوءها مصباحا
فسكبت منها فى الزجاجة شربة * كانت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها * عطلا فألبسها المزاج وشاحا
شق المزال فؤادها فكأنها * أهدت اليك بريحها تفاحا
فأتتك فى صور تداولها البلى * فأزالهن وأثبت الارواحا

قال ابن المعتز

ونار قدحناها سراعا بسحرة * متى مارق ماء عليها توقد
يجول حباب الماء فى جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورد

وقال ابن وكيع

وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها * كواعب در فى سماء عقيق

الطوق حاشية الكاس وقال ابن المعتز فى الحباب وتشبيهه له أحسن من تشبيهه بجميعه

أسقى مخدرة الدنا * ن سلاف خمر قرقفا
راحا تخال حبابها * درا يجول مجوفا

وقال الحسن

بنت عشر لم تعاين * غير نار الشمس نارا
ثم مصت فأدارت * فوقها طوقا فدارا

كاقتران الدر بالدر صغارا وكبارا
فاذا ما اعترضته العين من حيث استدارا
خلته في جنبات الكأس واوات صغارا

(وله أيضا في مثل ذلك)

والكاس أهواها وان رزئت * بلغ المعاش وقللت فضلي
ذخرت لآدم قبل خلقته * فتقدمته بخطوة القبل
فأنا الشئ لا تلامسه * الا بحس غريزة العقل
فاذا علاها الماء ألبسها * غشا كمثل خلاخل الحجل
حتى اذا سكنت جوانحها * كتبت بمثل أكارع النمل
خطين من شتى ومجتمع * غفل من الاعجام والشكل

(وقال ابن المعتز)

كأن في كاسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم

(وقال حبيب)

ضعفت وراض المزج سيئ خلقها * فتعلمت من حسن خلق الماء
خرقاء يلعب بالعقول حبابها * كتلاعب الافعال بالاسماء
وضعيفة فاذا أصابت فرصة * قتلت كذلك قدرة الضعفاء
وكأن بهجتها وبهجة كأسها * نار ونور قيدا بوعاء
أو درة بيضاء بكر أطبقت * حبلا على ياقوتة حمراء

(وقال ابن ليال)

ومدامة لبست غلالة نرجس * وتنفست في الكاس أي تنفس
باكرتها والورد يوقظه الندى * وتبسل خديه عيون النرجس
والشمس تنظر من وراء غمامة * لبست من الكافور أحسن ملبس
نبهتها بيد المزاج فأصبحت * ترنو الى بأعين لم تنعس
وتوردت حتى توقد كأسها * فحسبتها في الكف جذوة مقبس

(قوله دهاقى) أى تشيطى ومكرى (السجع) جمع سجعة وقد تقدمت (تغضين) ترفعن صوتك بالصياح (تعتبن) تلومن (وضح) ظهر (أبن) أقام (مغنى) منزل (أغن) كثير الاشجار فاذا هبت الريح فيها سمعت لها غنة ومن هذا قولهم روضة غناء لان صوت الريح يخرج من بين أشجارها وعشبها أغن ومن فسرها بأن الذباب يغنى فيها فهو صحيح في المعنى فاسد في التصريف لان يغنى أصله غ ن ى وأغن أصله غ ن ن فيريد بالمغنى الاغن منزلا كثير الاشجار وفسره بعضهم كثير الاهل والاول أولى (طفح) امتلأ خمرا و (المدام) الخمر (وقوله تقوى العظام وتشفى السقام) قد تجاوز هنا قوم حتى جعلوها تشفى من العاهات قال الاقيشر ويروى لابى نواس

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا * وأعمى سقيناه ثلاثا فأبصرا
كميت كأن العنبر الورد ريحها * اذا شمها الجاني من الدن كبرا
توقد في أيدى السقاة كؤسها * اذا مارآها صائم القوم أفطرا

وقال آخر

أباهاشم هل لى سبيل الى التى * أرى شربة منها تقوم الاحدب

(قوله وتنفى الترح) أى تزيل الحزن وقال الحسن بن هانئ في أن الخمر تزيل الحزن والهم

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

دهاقى الرفاق
لارض العراق
بحمل السجع
فلا تغضين
ولا تعتبن
فعذرى وضح
ولا تعجبن
لشيخ أبن
بمغنى أغن
ودن طفح
فان المدام
تقوى العظام
وتشفى السقام
وتنفى الترح
وأصفى السرور
اذا ما الوقور
أماط ستور
الحيا واطرح

صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها * لومسها حجر مسته سراء
قامت بابريقها والليل معتكر * فظل من وجهها فى البيت لألاء
وأرسلت من فم الابريق صافية * كأنما أخذها بالعقل اغفاء
رقت عن الماء حتى لايلائمها * لطافة وخفى عن شكلها الماء
فلومزجت بها نور المازجها * حتى تولد أنوار وأضواء

﴿وقال البحترى﴾

فاشرب على زهر الرياض يشوبه * زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الشوق الذى قدظل فى الاحشاء
يخفى الزجاجة لونها فكأنها * فى الكأس قائمة بغير اناء

﴿وقال حبيب﴾

عبدامة يغدو الفتى لكؤسها * حولا على السراء والضراء
راح اذا ما الراح كن مطيها * كانت مطايا الشوق فى الاحشاء
عنيسة ذهبية سبكت لها * ذهب المعانى صاغة الشعراء

(قوله أماط) أى أزال (اطرح) رمى بها وهذا امتزع من قول على بن الخليل
لاتكمل اللذات الابالقيان وبالخمور
هتك الستور فانما الـ * لذات فى هتك الستور
فدع العواذل لا يقفـ * ـن عليك من دون الصدور
واعلم بأنك راجع * حقا الى رب غفور

وأحلى الغرام
اذا المستهام
أزال اكتتام
الهوى واقتضح
فبح بهواك
وبرد حشاك
فزند أساك
بهقد قدح

(قوله الغرام) شدة الحب (المستهام) الذى حمله الحب على ان يهيم أى يذهب ولا يدرى أين يتوجه (اقتضح) اشتهر يقول أحسن مايكون السر وراذا أزال الوقور ثياب الحياء واطرحها عنه وأحلى مايكون العشق اذا أزال العاشق الكتم وشهر نفسه به ومن هذا قول أبى نواس
ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

(قوله زند أساك) الزند الذى يقدح به النار والاسى الحزن يقول برد قليبك بذكر من تهوى فانك ان رمت كتمه قدح بمزيد حزنك ونحو هذا ما يحكى أن أبا الفضل الدارمى كان له هوى بغلام فلذا رآه أنكر حبه والغلام يعرف شدة وجده به فدمعت يوما عينا أبى الفضل فقال له الغلام دمعك شاهد عليك فقال
وهبى قد أنكرت حبك جملة * وآليت أنى لا أروم محطها
فمن أين لى فى الحب جرح شهادة * سقامى أملاها ودمعى خطها

﴿وقال المتنبى﴾

وكاتم الحب يوم البين منهتك * وصاحب الدمع لا تخفى سرائره
والشعر فى هذا كثير وكله تبع لقول العباس بن الاحنف
لاجزى الله دمع عينى خيرا * وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيأ * ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طى * فاستدلوا عليه بالعنوان

أما الاشتهار الذى ذكرنا فانما يأخذ به أهل التماجن ومن لابال له وأما أهل المروآت والتصاون فغايتهم اعلام المحبوب بشأنهم وكتمه عن الناس وذلك شديد ولا يقوم به الامن كمل عقله وأما أن يكتمه عن

محبوبه كحكاية أبي الفضل فاشد أحوال هذا الباب ان يكون لمحبوبك أصحاب يألفهم و يألفونه فيعلمون بشأنك كما فعل أبو الاصبع بن رشيد المرنكي أنشدنيه الفقيه أبو الحسن بن زرقون

أباقاسم ان قسمت الهوى * كئوسا فحظي أوفى الكؤس
وبين جفونك يا قاتلي * وبين فؤادي حرب البسوس
وبين الجوانح نار الجوى * كما قد سمعت بنار المجوس
أسارقك اللحظ في خفية * كما يتناول قبس الشموس
فهما بدوت ومهما رنوت * فشغل العيون وشغل النفوس
مررت به بين أصحابه * فخدوا اللحاظ وهزوا الرؤس
وهذا على خطرة فذة * فكيف لو اني نويت الجلوس

(قوله داو الكلوم) يريد جراح قلبه من أنكاد الدهر ولذلك أتبعه بـ(سل الهموم) لانه في معنى داو الكلوم وهذا كقول العطوى

أعجبتني أن أناخ بي الدهـ * ـر فخاصمته الى الاقداح
لاتذاد الهموم أنشن أظفا * راحدادا بشرب ماء قراح
أحمد الله صارت الكأس تأسو * دون اخواني الثقات جراحي

(قوله تقترح) تتمنى (الغبوق) شرب العشي و(المشوق) المحب و(طمح) ارتفع بالنظر يقول خص شرابك بالعشي مع غلام حسن يسقيك ويبيت معك على شرابك ويكون لافراط حسنه يجلب عذاب العاشق اذا نظره * ومما قيل في السقاة ووصف الخمر من الشعر المستحسن قول أبي نواس

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا * ومالم تكن فيه من البيت مغربا
يدور بها ساق أغن ترى له * على مستدار الخد صدغا معقربا
سقاني ومناني بعينيه منية * فكانت الى نفسي ألذ وأعجبا

(وقال ابن الرومي فأحسن)

ومهفهف كملت محاسنه * حتى تجاوز منية النفس
تصبو الكؤس الى مراشفه * وتضج في يده من الحبس
أبصرته والكأس بين فم * منه وبين أنامل خمس
فكأنها وكأن شاربها * قمر يقبل عارض الشمس

(وقال ابن المعتز)

ظبي خلي من الاحزان أودعني * ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكأس الكاس في يده * هلال أول شهر غاب في شفق

وقال أيضا

يا حسن أحمد غاديا أمس * عدامة صفراء كالورس
وكأن كفيه تقسم في * اقداحنا قطعا من الشمس

ولابي طالب الرفاء في معنى آخر

لها في كف شاربها شعاع * تطرف منه مبيض البنان

(ولابي بكر الخالدي)

تومي اليك بأطراف مطرفة * فيها خضابان للعناب والعنب

فهذا في انتقال حمرتها لاصابع حابسها واذا انتقلت لخد شاربها حدث للشعراء في ذلك معنى بديع من صنع البديع يسمى المطابقة وهو الوصف بالغروب والطلوع وقال في ذلك الطليق المرواني

وداو الكلوم
وسل الهموم
ببنت الكروم
التي تقترح
وخص الغبوق
بساق يسوق
بلاء المشوق
اذا ما طمح

أصبحت شمساوفوه مغربا * وبد الساقى المحيى مشرقا
فاذا ماغربت فى فمه * أطلعت فى الخدمنه شفقا

(ولابى مطروح بن فتوح)

صهباء تغرب ان بدت من كفه * فى فيه ثم تلوح فى وجناته

وقال غيره

بدر بدا يشرب شمسا بدت * وحدها فى الحسن من جده
تغرب فى فيه ولكنها * من بعد ذا تطلع فى خده

وقال آخر

أقول والكأس على فيه وقد * صوبها كالكوكب الصائب
ذا كوكب يغرب فى كوكب * ويلى على الطالع والغارب

رجعنا الى ذكر السقاة قال ابن المعتز

تدور علينا الكأس من كف شادن * له لحظ عين يشتكى السقم مدنف
كأن سلاف الخمر من ماء خده * وعنقودها من شعره الجعد يقطف

(وقال أبو بكر الخالدى)

أهلا بشمس مدام من يدى قمر * تكامل الحسن فيه فهو تياه
كأن خمرتها اذقام يمزجها * من خده اعتصرت أو من ثناياه
فى وجهه كل ريحان تراح له * مناقلوب وأبصار وتهواه
النرجس الغض عيناه وطرته * بنفسج وجنى الورد خداه

(ولابن الرقاق)

وساق يحث الكاس وهى كانما * تلألأ منها مثل ضوء جبينه
سقانى بها صرف الحباعشية * وثنى بأخرى من رحيق جفونه
هضيم الحشا ذو وجنة عندمية * تريك قطاف الورد فى غير حينه
فأشرب من عيناه مافوق خده * وألثم من خديه مابيمينه

(وقال الخوارزمى)

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر محرم
مسرة محزون وعذر معربد * وكنز مجوسى وفتنة مسلم
يدور بها ظبى تدور عيوننا * على عينه من شرط يحيى بن أكثم

وقال ابن المعتز

وندامای فی شباب وشیب * أتلفت مالهم نفوس کرام
بين أقداحهم حديث نضير * وهو مصر وماسواه كلام
وغناء يستعجل الراح بالرا * ح كما ناح فى الغصون الحمام
وكان السقاة بين الندامى * ألفات بين السطور قيام

وشاد يشيد
بصوت تميد
جبال الحديد
له ان صدح

(قوله شاد) أى مغن (يشيد) يتقن غناءه ويحكمه (تميد) تميل (صدح) رفع صوته بالغناء والصداح الصوت الشديد يقول وأحضر الخمر مغنيا تميل الجبال لحسن غنائه وهذا مثل ماحكى المنجم قال حكى لى ان ابراهيم بن المهدى كان أحسن الناس غناء ببرهان وذلك أنى كنت أراه فى مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يغنى المغنون فاذا ابتدأ هولم يبق أحد من الغلمان والمتصرفين وأصحاب الصناعات والمهن الصغار والكبار الا وقد ترك مافى يده وصار بأقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مصغيا اليه لاهيا عما كان فيه مادام يغنى فاذا أمسك وغنى غيره رجعوا الى أشغالهم ولا برهان أقوى من شهادة الفطرة واتفاق الطبائع على الميل اليه مع اختلافها فى غير ذلك وقال منصور بن المهدى غنى أخى ابراهيم الامين يومافقال

وكاس

وكاس شربت عـلى لذة * وأخرى تداويت منها بها
لكى يعلم الناس انى امرؤ * أتيت الفتـوة مـن بابها

وكان الامين مشرفاعلى حر الوحش وهو مخمور وكان من عادته أن لا يشرب وهو مخمور فاستوى جالسا وطرب وقال أحسنت والله ياعم وأحببت لى طرباوغنى بومسد على أشد طبقة ينتهى اليها وماسمعت مثل غنائه قط وقد رأيت منه شيأ عجيبا لو حدثت به ماصدقته كان اذا ابتدأ يغنى أصغت الوحش ومدت أعناقها ولم تزل تدنو منه حتى تضع رؤسها على الدكان الذى كان عليه فاذا سكت نفرت عنا حتى تنتهى الى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنا وجعل الامين يعجب من ذلك (قوله يبيح) أى يجعله مباحا يقول اعص من يعذلك فى وصل المليح متى سمح بوصله وكان اعرابى قد طال تعشقه بجارية فقيل له ما كنت صانعا لو ظفرت بها ولا يرا كما غير الله قال اذا والله لا أجعله أهون الناظرين لكنى كنت أفعل بها ما كنت أفعله بحضرة أهلها شكوى وحديث عذب واعراض عما يسخط الرب و يقطع الحب فان تلقى وصال المليح اذا سمح بمثل هذا فعصيان النصيح واجب وأكثر الناس يرى أن الظفر بالمعشوق يسقط نصف عشقه وأن النكاح يفسد الحب وقال المأمون

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
وكتب فيها رقى * أنفذ من نفث العقد
من لم يكن ذا حبه * فانما يبـغى الولد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

وقال حبيب فى نقيضه وأجاد

وقالت نكاح الحب يفسد شكله * وكم نكحوا حبا وليس بفاسـد

وقالت أم الضحاك المحاربية

شفاء الحب تقبيـل وضم * وجر بالبطون على البطون
ورهز تهمل العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقال الحسن

اذا هجع النيام نخل عنى * وعمن كان يصلح للدبيب
فانى عالم فطـن أريب * ولم يخبرك مثل فتى أريب
ألذ الفعل تأخـذه سرورا * بمنع الحب أومنع الرقيب

وبعد هذا ما يقبح ذكره وشعر الحسن يكثر فى هذا الباب وقال ابن الابار رحمه الله وذكر أنه فعل بمحبوبه وبرقيبه

فوثبنا على الغـزال وثوبا * ودبينا على الرقيب دبيبا
فهل ابصرت أوسمعت بصب * نال محبوبه ونال الرقيبا

وقال ابن بسام لقـد ظرف ابن الابار واستهتر ماشاء وقدر وأظنه لو قدر على ابليس الذى تولى له هذا المذهب لدب عليه وابن المعتز كنى ولم يصرح فقال

فكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

أين ما قدمناه لابن الابار من قول الآخر فى ضده

ومنـــع غـض القطاف * عذب لماه للارتشاف
فـوردت جنـة نحره * ونعمها دون اقتطاف
وعصيت سلطان الهوى * وأطعت سلطان العفاف

(وقال ابن الابار أيضا)

ومعرض بالغصن فى حركاته * تسل القلوب العفوس لحظاته
عاطيته كاسا كأن سلافها * من ريقه المعسول أو وجناته

وعاص النصيح الذى لا يبيح وصال المليح اذا ما سمح

وأطعت سلطان العفاف تكرما * والمرء مجبول على عاداته

وقال الشريف الرضى فأحسن

بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وتقى * يلفنا الشوق من فرق الى قدم

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لى * مواقع اللثم فى داج من الظلم

وبانت الريح كالعذرى تجاذبنا * على الكثيب فضول الريط واللمم

وأكتم الصبح عنها وهى غافلة * حتى تكلم عصفور على علم

فقمت أنفض بردا ما تعلقه * غير العفاف وراء الغيب والكرم

(وقال ابن فرج الجيانى)

وطائعة الوصال صددت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع

بدت بالليل سافرة فباتت * دياجى الليل سافرة القناع

وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعى

فملكت الهوى جمحات شوقى * لأجرى فى العفاف على طباعى

كذاك الروض ما فيه لمثلى * سوى نظر وشم من متاع

ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

(وقال أيضا فأحسن)

بأيهما أنا فى الشكر بادى * أشكر الطيف أم شكر الرقاد

سرى لى فازدهى أملى ولكن * عففت فلم أنل منه مرادى

وما فى النوم من حرج ولكن * جريت من العفاف على اعتياد

كأنه لما عف فى اليقظة جرى على عادته فى النوم وهذا من قول أبى الطيب

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

وهذا أملك شهوة من التهامى وان كان قد أحسن حيث يقول

انى لأصرف طرفى عن محاسنها * تكرما وأكف الكف عن لمم

ولا أهم ولى نفس تنازعنى * أستغفر الله الا ساعة الحلم

وقال ابن طباطبا يقظانه ومنامه شرع * كل بكل منه مشتبه

ان هم فى حلم بفاحشة * زجرته عفته فينتبه

أخذه السرى فكتب الى صديق له وكان اتهمه بغلام بعثه اليه

أبا بكر أسأت الظن فيمن * سجيته التمنع والخلاف

وخفت عليه فى الخلوات منى * ولم يك بيننا حال يخاف

جفوت من الصبا ما ليس يخفى * وعفت من الهوى ما لا يعاف

فلو أنى هممت بقبح فعل * لدى الاغفاء أيقظنى العفاف

وجل فى المحال * ولذ بالمحال
ودع ما يقال * وخذ ما صلح

(قوله جل) تصرف (المحال) المكر (لذ) تعلق وتستر (المحال) الباطل وما لا يمكن ثبوته (ودع ما يقال) أى لا تلتفت الى من ينقصك باتباع لذاتك وخذ ما يوافقك ويصلح بك وهذا رأى من اشتهر بالمجون كالحسن فى قوله

دع عنك ما جدوا به وتبطل * واذا لقيت أخا الحقيقة فاهزل

لا تركبن من الذنوب خسيسها * واعمد اذا قاربتها للانبل

وخطيئة تعلو على مستامها * يأتيك آخرها بطعم الاول

حلت لاحرج على حرامها * ولربما حلت غير محلل

(وقال

﴿وقال ابن وكيع﴾

لا تقبلن من الرشيد كلامه * واذا دعاك أخو الغواية فاقبل
ودع الترهب والتجمل للورى * فالعيش ليس يطيب للمتجمل

وقال أيضا

فارقت بعدك عفتي ووقاري * وخلعت في طرق المجون عذاري
لا تأمرني بالتستر في الهوى * فالعيش أجمع في ركوب العار
لا تكثرن على ان أخا الحجا * برم بقرب الصاحب المكثار

(قوله أبالك) أي تمنع منك (سنح) تيسر يقال سنح الشيء سنوحا اذا تيسر (صاف الخليل) أي أخلص الود للصاحب (ناف) باعد (أول الجميل) ألصق المعروف بمن يستحقه وقد أولاني فلان المعروف ألصقه بي وجعله بينه و بيني وقيل معنى أولاني ملكني من قولهم هذا ولي المرأة أي مالك أمرها وقيل معناه عضدني به وقواني من قولهم بنو فلان ولاة على بني فلان أي يعينونهم ويعضدونهم وقيل أولاني أنعم علي من الآلاء وهي النعم واحدها الى وألي والاصل ولي وولي أبدل من الواو المكسورة همزة على حد اسادة وأبدل من الواو المفتوحة همزة على حد أحد واحد وأمراة أناة (وال المنح) تابع العطايا (أمام الذهاب) قدام الموت يقول اذا شحت وأيقنت الموت فاضرب باب التوبة فانه يفتح لك اذ كل كريم بابه يفتح *ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المصلي يقرع باب الملك وانه من يدم قرع الباب يوشك أن يفتح له والله تعالى أكرم الكرماء و بابه باب التوبة وقال الالبيري

فلازم قرع باب التوب دأبا * فان لزومه سبب الدخول

(قوله بخ بخ) أي عجب وتثقل وتخفف وهي كلمة تقال عند الاعجاب بالشيء (أف وتف) الاصمعي الاف وسخ الاذان والتف وسخ الاظفار ثم استعمل ذلك عند كل شيء يضجر منه وقال غيره الاف القلة مأخوذ من الافف وهو القلة ثم سمى التف عليه ومعناه كمعناه و يقال لمن يدعى عليه بالخيبة أف وتف لك وقال ابن الانباري اذا أفردت أف ففيها عشرة أوجه فتح الفاء وكسرها وضمها على قياس مد وثلاثتها بالتنوين على قياس ويل فنصبه على الدعاء ورفعه بالابتداء وخفضه على التشبيه بالاصوات كه وصه وأف كقد وأفي بضم الهمزة منصوب على الدعاء وأفي باضافته الى نفسه وأف بضم الهمزة وسكون الفاء تشبيها بالادوات نحو هل و بل (غوايتك) ضلالتك (الاعياص) الاصول والعيص بيت الاسد يريد من أي القبائل والبلاد (أعضلني) صعب علي (عويصك) صعب أمرك ومشكله (أفصح) أبين (أكني) أوري أي أدل على نفسي بكلام خفي (اطروفة) عربية (الحول) الكثير الحيلة (هاضه) كسره (اهتضم) ظلم ونقص (الوضم) خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم و (العيلة) الفقر وعال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر قال الله تعالى وان خفتم عيلة وقال الشاعر

وما يدري الفقير متى غناه * وما يدري الغني متى يعيل

والمعيل الكثير العيال وقد أعال يعيل (قوله الريب) أي الريبة (مسود وجه الشيب) نبه به على قوله في أول المقامة ميسمه ميسم الشباب يريد أنه خضب شيبه وتشبه بالفتيان والخضاب مباح والتدليس مكروه وقال النبي صلى الله عليه وسلم غيروا هذا الشيب وكان أبو بكر رضي الله عنه يخضب بالحناء والكتم وجاء النهي عن الخضاب بالسواد وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بهذا السواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة ومن كلام المولدين الخضاب تذكرة الشباب الخضاب أحد الشبابين وقال مالك بن اسماء بن خارجة لجارية له قومي اخضبي رأسي ولحيتي فقالت دعني فقد عييت مما أرقعك فقال

عيرتني خلقا أبليت جدته * وهل رأيت جديدا لم يعد خلقا

وقال آخر

أليس عدلك شكر للتي جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

وفارق أبالك
اذا ما أبالك
ومد الشبالك
وصد من سنح
وصاف الخليل
وناف البخيل
وأول الجميل
ووال المنح
ولذ بالمتاب
أمام الذهاب
فمن دق باب
كريم فتح

فقلت له بخ بخ لروايتك
وأف وتف لغوايتك فبالله
من أي الاعياص عيصك
فقد أعضلني عويصك
فقال ما أحب أن أفصح عني
ولكن سأكني
أنا أطروفة الزما
ن وأعجوبة الامم
وأنا الحول الذي احـ
تال في العرب والعجم
غير أني ابن حاجة
هاضه الدهر فاهتضم
وأبو صبية بدوا
مثل لحم على وضم
وأخو العيلة المعيـ
ل اذا احتال لم يلم

(قال الراوي) فعرفت حينئذ أنه أبو زيد ذو الريب والعيب ومسود وجه الشيب

قوله وأفي بضم الهمزة منصوب على الدعاء كذا في النسخ والمناسب مقصور وقد ذكر في القاموس فيها أربعين لغة اه

وجددت منك ما قد كان أخلقه * طول الزمان وصرف الدهر والقدم

وقال آخر

وقائلة تقول وقد رأتني * ترقع عارضاى من القتير
عليك الخضب علك أن تدانى * الى بيض ترى منهن حور
فقلت لها المشيب نذير عمرى * ولست مسودا وجه النذير

﴿وقال عبدان الاصبهانى﴾

فى مشيبى شماتة لعداتى * وهو ناع منغص لحياتى
ويعيب الخضاب قوم وفيه * لى أنس الى حضور وفاتى
لا ومن يعلم السرائر منى * ما تطلبت خلة الغانيات
انما رمت أن يغيب عنى * ما تريني كل يوم مراتى
وهو ناع الى نفسى ومن ذا * سره أن يرى وجوه النعاة

وقال آخر

بكرت تحسن لى سواد خضابى * لو كان ذلك يعيدنى لشبابى
واذا أديم الوجه أخلقه البلى * لم ينتفع فيه بحسن خضاب
ماذا الذى يبدى عليك خضابه * وخلاف ما رضيك فى الاثواب

﴿وقال ابن عبد ربه﴾

اذا فصل الخضاب بكى عليه * ويفرح كلما وصل الخضابا
كأن حمامة بيضا أظلت * تقاتل فى مفارقه غرابا

﴿وقال ابن الرومى﴾

يا أيها الرجل المسود شعره * كيما يعد به من الشبان
أقصر فلو سودت كل حمامة * بيضاء ما عدت من الغربان

﴿وأملح منه قول الآخر﴾

قالت خضبت الشيب ثم أتيتنا * تبغى لدينا بالخضاب ودادا
فأجبتها لم أختضب لك انما * شيبى صبغت على الشباب حدادا

﴿وما أحسن ما قال ابن هانئ الاندلسى﴾

بنتم فلولا أن أغير لمتى * عبثا وألقاكم على غضابا
لخضبت شعيبا فى مفارق لمتى * ومحوت محو النفس منه كتابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أننى أجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاجعل مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتدفعن الى الزمان غرابا

وساءنى عظم غرده وقبح تورده فقلت له بلسان الانفة وادلال المعرفة ألم يأن لك ياشيخنا أن تقلع عن الخنا فتغضب وزجر وتنكر وفكر ثم قال انها ليلة مراح لا تلاح ونهزة شرب راح لا كفاح فعد عما بدا الى أن تتلاقى غدا ففارقته فرقا من عربدته لا تعلقا بعدته وبت ليلتى لابسا حداد الندم على نقلى خطا القدم الى ابنة الكريم لا الكريم وعاهدت الله سبحانه وتعالى أن لا أحضر بعدها حانة نباذ ولو أعطيت ملك بغداذ وأن لا أشهد معصرة الشراب ولو رددت على عصر الشباب ثم اننا رحلنا العيس وقت التغليس

(قوله غرده) تشيطنه وتمرد اذا كثر شره والمريد الخبيث الذى لا يطاق مكره (تورده) اتيانه بما لا يحل وأصل التورد قصد الماء (الانفة) الغضب (يأن) يحين ويقرب (الخنى) الفساد (تغضر) اشتد غضبه (زجر) تكلم بما لا يفهم (تنكر) تغير على ونكر نفسه كانه لا يعرفنى (مراح) طرب ونشاط (تلاح) مشاتمة (نهزة) فرصة وغنيمة (كفاح) قتال (فعد) اصرف واترك (فرقا) فزعا (عربدته) شره وشغبه (الحداد) ثياب الحزن (الخطا) جمع خطوة وهى ما بين القدمين (نباذ) خمار (عصر) زمان (رحلنا العيس) جعلنا على الابل رحالها (التغليس) الخروج فى الغلس وهى الظلمة التى بين طلوع الفجر والشمس وأظن أنه بنى هذه المقامة على حكاية لابى دلامة * حكى الاصبهانى ان موسى بن داود الهاشمى عزم على الحج فقال لابى دلامة احج معى ولك عشرة آلاف درهم فقال هاتها فدفعها اليه فأخذها وهرب الى السواد وجعل ينفقها هنالك فى شرب الخمر فطلبه موسى فلم يقدر

عليه وخشي فوت الحج وخرج فلما شارف القادسية اذا هو بأبي دلامة خارج من قرية الى اخرى وهو سكران فأمر بأخذه وتقييده وطرح في محمل بين يديه فلما سار غير بعيد أقبل على موسى ونادى

يا أيها الناس قولوا أجمعون معا * صلى الاله على موسى بن داود
كأن ديباجتي خديه من ذهب * اذا بدا لك في أثوابه السود
اني أعوذ بداود وأعظمه * من أن أكاف جحايا ابن داود
خبرت أن طريق الحج معطشة * من الشراب وما شربي بتصريد
والله مافي من أجر فتطلبه * ولا الثناء على ديني بمحمود

فقال موسى ألقوه عن المحمل لعنه الله فألقي وعاد الى موضعه بالسواد حتى أنفق المال وقال آخر

ألم ترني وبشارا حججنا * وكان الحج من خير التجاره
خرجنا طالبي سفر بعيد * فمال بنا الطريق الى زراره
فآب الناس قد حجوا وبروا * وأبنا موقرين من الخساره

﴿وقال أبو نواس في الحج﴾

وقائل هل تريد الحج قلت له * نعم اذا فنيت لذات بغداذ
وكيف بالحج لي مادمت منغمسا * في بيت قوادة أو بيت نباذ

(قوله وخلينا بين الشيخين أبي زيد وابليس) من قول الحسن

بت وابليس الى الصبح في * كل الذي يؤثم من خصمي

وانظر هذا في الثامنة والاربعين والله أعلم

﴿شرح المقامة الثالثة عشرة وتعرف بالبغدادية﴾

(ندوت) أي خرجت ويقال ندت الابل تندو اذا خرجت من المشرب ترعى فيما اقرب منه وهو الذي قصد لانه أراد أنه خرج مع أصحابه خارج البلد يستتر يحون ثم يرجعون و(الضواحي) المواضع البارزة للشمس و(الزوراء) هي في الجانب الشرقي من بغداد وسميت زوراء لازورار قبلتها أي لانحرافها وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك بني العباس وهي الزوراء يكون فيها حرب مفظعة تسبى فيها النساء وتذبح فيها الرجال كما يذبح الغنم والزوراء هي بغداد ويقال لها الزوراء ومدينة السلام ومدينة المنصور وبغداد وبغداذ وبغدان وبغذان وبغدام وبغذام وبغداد عن الفراء وبعضهم يقول تفسيره بستان رجل فبغ بستان وداد رجل وقيل بغ صنم وداد عطية وانما اختلفت العرب في لفظها اذ لم تكن من كلامها ولا اشتقاق لها من لغاتها وأشهر لغاتها بغداد بدالين وبغدان بالنون وكان الاصمعي رحمه الله لا يقول بغداد وانما يقول مدينة السلام لان بغ عندهم اسم صنم وداد عطية بالفارسية فكأنها عطية الصنم وبناها المنصور وبعث رجالا يطلبون له موضعا يبني فيه مدينة فطلبوا فلم يجد واحتى جاء بنزل فنزل على البر الذي في الدمراة فقال هذا موضع أرضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة والصراة فوجه حينئذ الصناع من الشأم والموصل والكوفة وواسط والبصرة فابتدئت سنة خمس وأربعين ومائة وقال محمد بن أبي سهل لما أراد المنصور بناء بغداد أمرني أن آخذ الطالع فأخذنا طالعها فكان المشتري فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول بنائها وكثرة عمارتها ثم قلت وخلة أخرى يا أمير المؤمنين فجدها على ما تدل عليه النجوم لا يموت فيها خليفة فرأيته يتبسم وقال الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل لرجل كيف رأيت بغداد فقال الارض كلها بادية وبغداد حاضرتها *ابن جبير بغداد هي المدينة العتيقة ولم تزل حضرة الخلافة العباسية وقد ذهب رسمها وسمها وهي بالاضافة الى ما كانت عليه قبل ايجاد الحوادث عليها والتفات أعين النوائب اليها كالطلل الدارس

وخلينا بين الشيخين أبي زيد وابليس
(المقامة الثالثة عشرة البغدادية)
(روى الحرث بن همام) قال ندوت بضواحي الزوراء
(ذكر بغداد)

والاثر الطامس وتمثال الخيال الشاخص فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعى من المستوفز الغفلة والتظر الادجلتها التى بين الشرقية والغربية منها كالمرآة المجلوة بين صفحتين والعقد المنتظم بلبتين فهى تردها فلا تظمأ وتطلع فى مرآة صقيلة فلا تصدأ والهواء المنتظم يتولد بين هوائها وماثها فهى معروفة بفتن الهوى الا أن يعصم الله منها وكما سمعنا أن هواء بغداد ينبت السرور فى النفس ويبعثدائما على الانبساط والانس فلا تكاد تجد فيها الاجذلان طربا وان كان نازح الدار مغتربا حتى حللت بقريبة وزيرات وهى على مرحلة منها فلما نفحتنا نوافح هوائها ونقعنا الغلة ببرد مائها أحسسنا من أنفسنا على حال وحشة الانفراد دواعى من الاطراب واستشعرنا بواعث فرح كانه فرحة الغياب بالاياب وهفت بنا محركات من الانس ذكرتنا معاهد الاحباب فى عصر الشباب هذا للغريب النازح الوطن فكيف الوافد فيها على أهل وسكن

سقى الله باب الطاق صوب غمامة * وردّ الى الاوطان كل غريب

وبغداد جانبان شرقى وغربى ودجلة بينهما فأما الجانب الغربى فقد عمه الخراب واستولى عليه وهو كان المعمور أولا ولكنه مع خرابه يحتوى على سبع عشرة محلة كل واحدة منها مدينة مستقلة لها الحمامات والثلاثة وصلاة الجمعة فى ثمان منها وأكبرها القريبة وهى على شط دجلة ومقربة من الجسر ثم الكرخ وهى مدينة مشهورة ثم محلة باب البصرة وهى مدينة بها جامع المنصور وهو كبير عتيق البنيان ثم الشارع وهى مدينة وهذه الاربع أكبر المحلات والوسيطة بين دجلة وبين نهر يتفرع من الفرات وينصب فى دجلة يجىء فيها جميع المدائن التى يسقيها الفرات وعلى بابها نهر آخر منه ينصب فى دجلة ومنها العتابية وهى مدينة يصنع فيها الثياب العتابية وهى حرير وقطن مختلفات الالوان وأسماء سائر المحلات يطول ذكرها وأما الشرقية فهى محدثة وهى حفيلة الاسوار عظيمة الترتيب تشتمل من الخلق على بشر كثير لا يحصيهم الا الذى أحصى كل شىء عددا وبالشرقى محلة الرصافة وبها كان باب الطاق المشهور على الشط وبازائها محلة كبيرة تعرف بقبر أبى حنيفة رحمه الله فيها قبة سامية فى الهواء بيضاء فيها قبر الامام أبى حنيفة وبالقرب منها قبر الامام أحمد بن حنبل رحمه الله وحمامات بغداد لا تحصى أخبرنى بعض أشياخها ان فيها اليوم ألفى حمام وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل للناظر فيها أنها رخام أسود صقيل وأكثر حمامات هذه الجهة على هذه الصفة لكثرة القار عندهم وشأنه عجيب لانه منبع عين بين البصرة والكوفة يصير القار فى جوانبها كالصلصال فيجرف ويجلب وقد انعقد فسبحان خالقه وببغداد من المدارس نحو الثلاثين ما منها مدرسة الا كالقصر العظيم وأعظمها النظامية وبساتين بغداد وحدائقها بالغربية ومنها تجلب الفواكه للشرقية والعادة أبدا أن يكون بين الشرقية والغربية جسران لجواز الناس ومع ذلك فمن يعبر بينهما من الناس فى الزوارق لا يحصى وذلك لكثرة الناس وزوارقها لا تحصى والناس ليلا ونهارا من معاينة العبور فيها فى نزهة متصلة رجالا ونساء وبالجملة فشأن هذه البلدة أعظم من أن يوصف وأين هى اليوم مما كانت عليه هى اليوم داخلة تحت قول حبيب

*لا أنت أنت ولا الديار ديار * ثم ذكر ابن جبير أهلها فذمهم بكل عيب من الكبرياء وبيع الرياء واستثنى فقهاءها ووعاظها (قوله مع مشيخة من الشعراء) قال الخليل فى مدح الشعراء هم أمراء الكلام يصرفونه أنى شاؤا وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومد مقصوره وقصر ممدوده والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته وسئل غيره عنهم فقال ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم والكذب مذموم الا بينهم وقال آخر اياكم والشاعر فانه يطلب على الكذب مثوبة ويقرع جليسه بأدنى كلمة وقال بعض الظرفاء يذمهم

الكلب والشاعر فى رتبة * ياليت أنى لم أكن شاعرا

مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم

هل هو الا باسط كفه * يستمطر الوارد والصادرا
والله لولا خرفات الهوى * ما كنت الا رجلا تاجرا

(وقال ابن الرومى)

يقولون ما لا يفعلون مسبة * من الله مسبوب بها الشعراء

وقال أيضا

للناس فيما يكلفون مغارم * عند الكرام لها قضاء زمام
ومغارم الشعراء فى أشعارهم * انفاق أعمار وهجر منام
وجفاء لذات وهجر مكاسب * لو خولفت حرست من الاعدام
وتشاغل عن ذكر رب لم يزل * حسن الصنائع سابغ الانعام

(قوله مبار) أى معارض (مضمار) طلق (مماري) مجادل (أفضنا) اندفعنا (يفضح) يكشف عيوبها شبه الجماعات فى الآداب بالخيل الجياد فى الطلق لا يلحق غبارها من يجاريها وجعل حديثهم يحسن تفننه يفضح الازهار متى قرن بها فجعل تفسير الهذا المجلس الموصوف باجتماع الشعراء ما حدث به دعبل أنه اجتمع هو ومسلم بن الوليد وأبو الشيص وأبو نواس وهؤلاء مشيخة شعراء عصرهم فقال لهم أبو نواس ان مجلسنا هذا قد اشتهر باجتماعنا فيه ولهذا اليوم ما بعده فليأت كل امرئ منكم بأحسن ما قال فلينشده فأنشد أبو الشيص

مبار بغبار ولا يجرى معهم مما ر فى مضمار فأفضنا فى حديث يفضح الازهار الى ان

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى اللوم
أشبهت أعدائى فصرت أحبهم * اذ كان حظى منك حظى منهم
وأهنتنى فأهنت نفسى صاغرا * ما من يهون عليك ممن أكرم

فجعل أبو نواس يعجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينقضى عجبه ثم أنشد مسلم أبياتا منها

فأقسم أنسى الداعيات الى الصبا * فقد فاجأتها العين والستر واقع
فغطت بأيديها ثمار نحورها * كأيدى الاسارى أثقلتها الجوامع

قال دعبل فقال لى أبو نواس هات أبا على وكأنى بك قد جئت بأم القلادة * لا تعجبى يا سلم فأنشدته

أين الشباب وأية سلكا * لا أين يطلب ضل أم هلكا
لا تعجبى يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى
ياليت شعرى كيف صبركما * يا صاحبى اذا دمى سفكا
لا تطلبا بظلامتى أحدا * قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

(ثم سألناه أن ينشدنا فأنشد)

لا تبك ليلى ولا تركن الى هند * واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * أجدته حمرتها فى العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة * من كف جارية ممشوقة القد
تسقيك من عينها سحرا ومن يدها * خمرا فمالك من سكرين من بد
لى سكرتان وللندمان واحدة * شئ خصصت به من بينهم وحدى

فلما بلغ هذا البيت قاموا فسجدوا له فقال أفعلتموها والله لا أكلمكم ثلاثا ولا ثلاثا ولا ثلاثا ثم قال تسعة فى هجر الاخوان كثير وفى بعضها استصلاح للفاسد وعقوبة على الهفوة ثم التفت الينا وقال اعلموا ان حكيما عتب على حكيم فكتب المعتوب عليه الى العاتب يا أخى ان أيام العمر أقل من تحمل الهجر نظم ذلك الشاعر فقال

العمر أقصر مدة * من أن يمحق بالعتاب
أوان يكدر ما صفا * منه بهجر واجتناب

نصفنا النهار فلما غاض
درّ الافكار وصبت
النفوس الى الاوكار لحنا
عجوزا تقبل من البعد
وتحضر احضار الجرد وقد
استتلت صبية أنحف من
المغازل وأضعف من
الجوازل فما كذبت اذ رأتنا
ان عرتنا حتى اذا ما
حضرتنا قالت حيا الله
المعارف وان لم يكنّ
معارف اعلموا يا مآل
الآمل وثمال الارامل
أنى من سروات القبائل
وسريات العقائل لم يزل
أهلي وبعلي يحلون الصدر
ويسيرون القلب ويمطون
الظهر ويولون اليد فلما
أردى الدهر الاعضاد
وفجع بالجوارح الاكباد
وانقلب ظهرا لبطن نبا
الناظر وجفا الحاجب
وذهبت العين وفقدت
الراحة وصلد الزند ووهنت
اليمين وضاع اليسار
وبانت المرافق ولم يبق
لنا ثنية ولا ناب

﴿وقال ابن طاهر﴾

الى كم يكون الصدّ فى كل ساعة * ولم لا تملين القطيعة والهجرا
رويدك ان الدهر فيه بقية * لتفريق ذات البين فانتظر الدهرا

وقال آخر

ولقد علمت فلا تكن متجنبا * ان الصدود هو الفراق الاول
حسب الاحبة أن يفرق بينهم * ريب الزمان فما لنا نستعجل

﴿وقال القاضى عبد الوهاب﴾

لا تعجل قطيعتى فكفى * بوما بذا الدهر بيننا مقطع
عما قريب تجىء فرقتنا * ثمت لا ملتقى ولا مجمع

وأخذه الكل من قول جميل

ولعل أيام الحياة قليلة * فعلام يكثر عتبنا ويطول

(قوله نصفنا) أى بلغنا نصفه (غاض) جف (درّ الافكار) كلامها والدر اللبن استعاره لما يتولد من الذهن (صبت) مالت (الاوكار) البيوت هنا (لحنا) أبصرنا (تحضر) تجرى (الجرد) الخيل القصيرة الشعر (استتلت) جعلتهم تلوها يتبعونها (أنحف) أقل لحما (الجوازل) فراخ الحمام واحدها جوزل (عرتنا) قصدتنا (المعارف) الاول الوجوه واحدها معروف قال الشاعر

متلثمين على معارفنا * نثنى لهن حواشى العصب

(وان لم يكن معارف) أى وان كنت لا أعرفهم (مآل) مرجع وقد آل يؤول أولا ومآلا اذا رجع و(الآمل) الراجى (وثمال) غياث وملجأ (الارامل) المساكين * يعقوب هن جماعة الرجال والنساء ويقال لهم أرامل وان لم يكن فيهم نساء ويقال جاءت أرملة من رجال ونساء محتاجين ويقال للرجال الضعفاء المحتاجين أرملة وان لم يكن فيهم نساء وأرمل القوم فنى زادهم وواحد الارامل أرمل وأرملة وانما قيل للفاقدة زوجها أرملة لان أمرها يؤول الى الضيعة والحاجة (سروات) سادات واحدها سراة والسرى السيد الكبير ذو المروأة والسرو المرأة وقد سرى سروا وسرو سراوة جمع السخاء والفضل قال امرؤ القيس * ولها عليه سراوة الفضل * وأنشد يعقوب

ان السرىّ هو السرىّ بنفسه * وابن السرىّ اذا سرى أسراهما

قال ثعلب السرى فى كلامهم الرفيع مأخوذ من السراة وسراة كل شئ أعلاه و(سريات) سيدات (العقائل) كرائم النساء تريد أن أباها وأمها من السادات (البعل) الزوج وبعل الرجل بعولة تزوج (الصدر) مقدّم المجلس (القلب) قلب العسكر والعسكر خمسة أقسام مقدّمة وساقة وميمنة وميسرة وقلب وهو محل الملوك أرادت أن قرابتها منهم (يمطون) يهبون و(الظهر) الابل بأوقارها وأمطاه أعطاه دابة يركب مطاها أى ظهرها (يولون اليد) يهبون النعمة (أردى) أهلك (الاعضاد) جمع عضد وهو غليظ الذراع الذى بين المرفق والمنكب (فجع) أحزن وجاء بفجيعة وهى الرزية يتفجع عليها (الجوارح) عوامل الجسد كاليد والرجل والعين تريد أن الدهر اذا أهلك أهلها فكأنه قطع جوارحها فقطعت منفعتها (انقلب) تحول (ظهر البطن) كناية عن الخلاف أى بعد ان كان مستقيما انقلب (نبا) ارتفع ولم يستقر (الناظر) من ينظر عليها (الحاجب) من يحجبها ويسترها و(العين) الذهب (الراحة) الدعة والسكون (صلد) لم يور نارا وأرادت انقطاع الخير عنها (وهنت) استرخت (اليمين) القوة (بانت) ذهبت وبعدت (المرافق) من كان يرتفق بحياته ومنفعته والمرافق كل ما ارتفقت به من مال وغيره (ثنية) صغيرة من الابل و(ناب) مسنة وهذا الكلام كله استعارة كما تقدّم فى الارة والمرود ولكنه كنى هنا بالجوارح والاعضاء عمن كان يستعين به من القرابة على الدهر ومعانى الاعضاء بينة الا الراحة فانها بطن الكف والزند طرف عظم الساعد والثنية والناب

صريحتان

صر بحتان ونبا الناظر لم ينم وجفا الحاجب لم يرسل الجفن على العين فنام كما قال بشار

نبت عيني عن التغميض حتى * كأن جفونها عنها قصار

﴿وقال التهامي﴾

قصرت جفوني أم تباعد بينها * أم صورت عيني بلا أشفار

(قوله اغبر) أي علته غبرة و(الاخضر) الناعم (ازور) انقبض (الاصفر) هو الدينار (الفود) ناحية الرأس بين الاذن والجبهة وهذا من قول أعرابي ذكر مصيبته فقال مصيبة والله تركت سود الرؤس بيضا وبيض الوجوه سودا وهونت المصائب بعدها وقال عبد الله بن الزبير الاسدي

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

﴿وقال التهامي﴾

تسود الشمس منا بيض أوجهنا * ولا تسود بيض العذر واللمم

وكان حالهما في الحكم واحدة * لو احتكما من الدنيا الى حكم

(قوله رثى) بكى وأشفق (العدو الازرق) أراد الروم وهم أعداء العرب (والموت الاحمر) الشديد ومنه الحسن أحمر أي من أحب الحسن احتمل المشقة وفي الحديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن أحد أقرب الى العدو منه فمعناه اشتد وقيل معنى الموت الاحمر القتل وقد قال الاخطل * أن قد أتيح لهن موت أحمر * يريد قتل الثور الكلاب وتقدم في المقامة قبل هذه فلما فيه من الدم سمى أحمر وهو الاظهر من مقصد الحريري لانه علق غيره من الصفات باللون مثل العدو الازرق والروم زرق العيون فكذلك الموت الاحمر * أبو عبيدة الموت الاحمر أن يتغير بصر الرجل من الهول فيرى الدنيا في عينيه حمراء وورداء والموت الاغبر هو الموت جوعا لانه يغبر في عينيه كل شيء والموت الاسود هو الموت في غمة الماء والموت الابيض هو موت العافية قال الخطابي الموت الابيض أي فجأة لانه يأخذ الانسان ببياض لونه (قوله تلوى) أي خلفي والى جانبي (عينه) شخصه (فراره) معرفته أي شخصه يعرفكم بحاله والعرب تقول عينه فراره للشيء تعرفه اذا أبصرته والفرق في البهائم كشف اسنانها حتى يعرف ما لها من السن ووقع في المقامات فراره بضم الفاء وكذا في نوادر أبي علي ووقع في النسخ العتاق من الامثال لابي عبيد فراره بكسر الفاء وأنشد أبو علي

* هو الحبيب عينه فراره * وفسره فقال نظرك اليه يغنيك عن فره أن تخبره وهما لغتان فراره وفراره (قوله ترجمانه) المتكلم عنه يريد أن صفرة لونه تخبرك أنه جائع (قصوى) غاية (بغية) طلب (وقصارى أمنيته) أي منتهى ما يتمناه وغايته (بردة) ثوب أي أقصى ما يطلب ما يأكل وغاية ما يتمنى ما يلبس (آليت) حلفت (أبذل الحر) أهين الخد (الحر) الكثير المروأة (ناجتني) حدثتني (القرونة) النفس (المعونة) ما يستعان به (آذنتني) أعلمتني (فراسة الحوباء) فطنة النفس (الينابيع) جمع ينبوع وهو ما يخرج من الماء وينبع (الحباء) العطاء (أبر) راعي وأكرم (توسمي) نظري وظني (يقذيها) يجعل فيها القذى و(الجود) الشح وقال بعضهم في ذم التشكي الى المخلوق

لا أشتكي ضري الى الناس وهم من أعلم

ان الهامس بالضر جواد منعم

أشكو الذي يرحمني * الى الذي لا يرحم

الكسبحي قال أملقت حتى لم يبق في منزلي الا جارية فدخلت دار المتوكل فلم أزل متفكرا فحضرني بيتان فأخذت قصبة وكتبت على الحائط الذي كنت الى جانبه

الرزق مقسوم فأجمل في الطلب * يأتي بأسباب ومن غير سبب

فقد اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوي من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغية أحدهم ثرده وقصارى أمنيته برده وكنت آليت أن لا أبذل الحر الا للحر ولو أني مت من الضر وقد ناجتني القرونة بأن توجد عندكم المعونة وآذنتني فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ أبر قسمي وصدق توسمي ونظر الي بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود

فهمنا لبراعة عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف الحامك فقالت يفجر الصخر ولا فخر فقلنا ان جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينكم أولا شعاري ثم لأروينكم اشعاري فأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درد بيس وأنشأت تقول

أشكو الى الله اشتكاء المريض * ريب الزمان المتعدي البغيض
ياقوم اني من أناس غنوا * دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع * وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة أعوزت * في السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم * ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا * ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى * بحار جود لم اخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى * أسد التحامي وأساة المريض
فمحملي بعد المطايا المطا * وموطني بعد اليفاع الحضيض
وأفرخي ما تأتلي تشتكي * بؤساله في كل يوم وميض
اذا دعا القانت في ليله * مولاه نادوه بدمع يفيض
يارازق النعاب في عشه * وجابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه * من دنس الذم نقي رحيض
يطفئ نار الجوع عنا ولو * بمذقة من حازر أو مخيض

فاسترزق الله فبي الله غني * الله خير لك من أب حدب

فركب المتوكل في ذلك اليوم وجعل يطوف على الحجر ومعه الفتح بن خاقان حتى وقف على البيتين وقال من كتب هذا وقرأهما الفتح له فاستحسنهما وقال من كان في هذه الحجرة فقيل الكسكجي فقال أغفلناه وأسأنا اليه فأمر لي ببدرتين وقال محمد بن مخلد الكاتب لزمت أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات أغدو وأروح الى بابه لا أحظى بطائل ولا أصل الى تصريف ولا نائل حتى كرهت نفسي فرأيت هاتفا في المنام يقول لي

يا أيها المكثر في المطالب * اهجر تصاريف المنى الكواذب
اذا أتى وقت القضاء الغالب * بادرت الحاجة كف الطالب

فتركت المسير اليه فلم يمض لي أسبوع حتى تقلد حامد بن العباس الوزارة فقلدني كتابته فثابت حالي (قوله همنا) أي تحيرنا (البراعة) الفصاحة (عبارتها) بيان كلامها (ملح استعارتها) يريد ما استعارته من تسمية الاشخاص بأسماء الاعضاء (الحامك) نسجك الشعر (يفجر الصخر) أي يخرج من الحجر الماء ومن البخيل العطاء (مواساتك) صلتك وأصلها أن تجعل صاحبك اسوة نفسك (شعاري) ثوبي اللاصق بجسمي سمي شعارا لانه يلي شعر الجسد والظهار الثوب الذي يظهر للعيون والدثار الثوب الذي بينهما (ردن) كم (درع) قميص (دريس) خلق (برزت) ظهرت (درد بيس) داهية (ريب) جور (غنوا) أقاموا (غضيض) منكسر (صيتهم) ذكرهم الحسن وهو من الصوت فلما كسرت الصاد أصير على وزن المذكور ومعناه وانقلبت واوه ياء (مستفيض) متحدث به مشهور (نجعة) مرعى (أعوزت) فقدت (الشهباء) التي أجدبت فلا مطر فيها ولا عشب (والروض) الموضع الكثير العشب (أريض) منسع (تشب) توقد (للسارين) الماشين بالليل (غريض) طري (ساغبا) جائعا (لروع) لفزع (الجريض) الغص بالريق عند الموت (حال) منع أي لا يقول جارهم حال الموت دون الامن ووفد عبيد بن الابرص على النعمان الاكبر وهو ابن الشقيقة وباني الخورنق فامتدحه فوصله وأكرمه وكان له يوم نعيم ويوم بؤس في السنة فورد عليه في يوم بؤسه فقال له ما أخرجك ثكلتك أمك فقال حضور أجلي وانقطاع أملي وكان من لقيه يوم بؤسه لم يخاصه من الموت شئ فاستنشده

*أقفر من أهيله ملحوب * فقال له حال الجريض دون القريض فعزم عليه أن ينشد فأنشده

أقفر من أهيله عبيد * فاليوم لا يبدي ولا يعيد

ثم قال له اختر ان شئت أخرجت نفسك من الاكحل وان شئت من الابجل وان شئت من الوريد فقال عبيد

خيرتني بين سحابات عاد * فردت من بؤسك شر المراد

وكان قتل النعمان لعبيد سبب قطعه يوم بؤسه فلم يفعله بعد (قوله غيضت) أي أذهبت والصروف الطوارى تصرفك من حال الى حال (لم أخلها) لم أحسبها (أودعت) ضمت (الثرى) التراب (التحامي) الحماية والمنعة وتحاميته تباعدت منه وتمنعت عليه (أساة) أطباء (المطايا) الابل (المطا) الظهر (محملي) ما أحمل عليه أثقالي تقول صرت أحمل على ظهري بعد ان كان محملي ظهور الابل (اليفاع) الارتفاع من الارض (الحضيض) أسفل الجبل (ما تأتلي) تقصر (بؤسا) ضرا (وميض) لمعان (القانت) العابد والقنوت طول القيام (يفيض) يملأ العين حتى تفيض بالدمع (النعاب) فرخ الغراب اختصه من الطير لانهم يزعمون أنه يخرج من بيضته أبيض الزغب فيراه الذكر فيستريب فيضرب أنثاه وينقرها حتى تفر طائرة فيطير خلفها ويتركانه فيقيض الله ذبابا يطير حول عينيه فيفتح منقاره ليشردها فتدخل في حلقه فيتغذى بها حتى يسود ريشه فحينئذ يرجع اليه أبواه فيكملان تربيته ويا رازق النعاب من دعاء داود عليه السلام (المهيض) الذي انكسر بعد الجبر (أتح) قدر (رحيض) مغسول (مذقة) جرعة (حازر) لبن حامض شديد الحموضة و(المخيض) اللبن يمزج بالماء ويحرك

والمخض

فهل فتى يكشف ما نابهم
ويغنم الشكر الطويل العريض
فوالذى تعنو النواصى له
يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبدلى صفحة
ولا تصدّيت لنظم القريض
(قال الراوى) فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم تخله يرتاح فلما افعوعم جيبها تبرا وأولاها كل منا برا تولت يتلوها الاصاغر ومفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد عمرها الى سبرها التبلو مواقع برها فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت أقفو أثر العجوز حتى انتهت الى سوق مغتصة بالانام مختصة بالزحام فانغمست فى الغمار

والمحض الصريح ليخرج زبده واذا طال مكث المخيض واشتدّت حموضته سمى حازرا (نابهم) نزل بهم (العريض) الواسع العرض (تعنو) تذل (النواصى) شعر مقدّم الرأس (صفحة) ناحية العنق (تصديت) تعرضت (القريض) الشعر (قوله صدعت) شقت (أعشار) قطع (خبايا) ما خبئ فيهما من الدراهم (ماحها) أعطاها (دينه) عادته (الامتياح) طلب المعروف يريد مشيخة الشعراء الذين قدم ذكرهم وعيش الشعراء انما هو من الاستجداء والطلب ومعلوم أنه من كانت عادته أن يأخذ لا يعطى فى الغالب شيأ ولذلك قال (من لم تخله يرتاح) أى من لم تحسب أنه يهتز للعطاء وقد ارتاح اذا اهتز للكرم والعطاء ولذلك قال حبيب

لم يخلق الرحمن أحمق لحية * من سائل يرجو الندى من سائل

وقال آخر

لموت الفتى خير من الفقر للفتى * وللموت خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شئ لوجهك قيمة * فلا تلق مخلوقا بوجه ذليل
ولا تسألن من كان يسأل مرة * فللموت خير من سؤال سؤل

وحدث عيسى بن عمر النحوى قال قدمت من سفر فدخل على ذو الرمة الشاعر فعرضت عليه أن أعطيه شيأ فقال أنا وأنت نأخذ ولا نعطى ومدح أبو الشمقمق مروان بن أبى حفصة فقال له يا أبا الشمقمق أنت شاعر وأنا شاعر وغايتنا جميعا السؤال وكان بشار يعطيه فى كل سنة مائتى درهم فأتاه مرة فقال هلم الجزية يا أبا معاذ فقال ويحك أجزية هى قال هو ما تسمع فقال له بشار يمازحه أنت أفصح منى قال لا قال فأعلم قال لا قال فأشعر قال لا قال فلم أعطيك قال لئلا أهجوك قال ان هجوتنى هجوتك قال أبو الشمقمق أوكذا هو اسمع

انى اذا ما شاعر هجانيه * أدخلت فى است امه علانيه

بشار يا بشار وأراد أن يقول يا ابن الزانيه فأمسك بشار بفمه وقال أراد والله أن يشتمنى ثم دفع اليه مائتى درهم وقال لا تسمعن منك هذا الصبيان ولقيت بسجلماسة شاعرها وعينها الحاج امدحتر وكان له شعر رائق فحدثت عنه انه قصده يوما فتى شاعر يستجديه بشعر فوقع الحاج تحت شعره

نحن بزاة الناس لا نصاد * من كان ذا فهم بنا يصطاد

ثم كتب له قطعة من شعره وقال له اقصد بها فلانا فانه يصلك بما يرضيك فعلم المقصود بالشعر بنية الحاج فوصله بما أرضاه وعد أبو نواس أبا الطفيل الشاعر وعدا فألح عليه فقال

وأخرس ولاج وغاد ورائح * رجاء نوال لو يعان يجود
وانى واياه كعريان يصطلى * من الطل نارا غير ذات وقود
زويت له وجها قطوبا عن الندى * وألبسته من وعده بوعيد
فان كنت لا عن سوء فعلك مقلعا * فدونك فاستظهر بنعل حديد
فعندى مطل لا يطير غرابه * مطير ولا يدعى له بوليد

(قوله افعوعم) امتلأ وافعوعل بنيت للمبالغة (تبرا) ذهبا (أولاها) أعطاها (البر) الاكرام (فاغر) منفتح (اشرأبت) تطلعت وتقول اشرأب الرجل اذا مدّ عنقه لينظر (سبرها) اختبارها (تبلو) تختبر يريد ان الجماعة أرادت ان تعرف هل أوقعت اكرامها فيمن يستحقه أم لا (كفلت) ضمنت (استنباط) استخراج (المرموز) المخفى (نهضت) تقدّمت للمشى (أقفو) أتبع (مغتصة) ممتلئة (انغمست) غابت ودخلت (الغمار) كثرة الخلق وجماعتهم التى تغمر الارض أى تغطيها ورده ابن الانبارى وجعله من خطا العامة وقال انما تقول العرب دخل فى خمار الناس بالخاء وهو جمعهم اذا استتر بهم ومنه الخمار لتغطية الرأس ومنه الخمر وقال يعقوب هو كل ما استتر به الانسان من شجر أو غيره فان كان من شجر خاصة فهو الضراء وحكى بعضهم غمارا جعله من غمر الماء الشئ اذا غطاه

وامّلست من الصبية الاغمار ثم عاجت بخلوبال الى مسجد خال فاماطت الجلباب ونضت النقاب وأنا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ماستبدى من الحجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيا أبى زيد قد سفر فهممت بأن اهجم عليه لاعنفه على ماأجرى اليه فاسلنقى اسلنقاء المتمردين ثم رفع عقيرة المغردين واندفع ينشد

يا ليت شعرى أدهرى
أحاط علما بقدرى
وهل درى كنه غورى
فى الخدع أم ليس يدرى
كم قد قمرت بنيه
بحيلتى وبمكرى
وكم برزت بعرف
عليهم وبنكر
أصطاد قوما بوعظ
وآخرين بشعر
وأستفز بخل
عقلا وعقلا بخمر
وتارة أنا صخرا
وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلا
مألوفة طول عمرى
لخاب قدحى وقدحى
ودام عسرى وخسرى
فقل لمن لام هذا
عذرى فدونك عذرى

(قال الحرث بن همام) فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة امره ومازخرف فى شعره من عذره علمت ان شيطانه المريد لايسمع التفنيد ولا يفعل الا مايريد فثنيت الى أصحابى عنانى وأبثثتهم ماأثبته عيانى فوجوا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز

(قوله امّلست) انفلتت بسهولة والاملاس ان يسقط الشئ من يدك ولا تشعر به (الاغمار) الجهال (عاجت) مالت (بخلوبال) أى خالية منفردة (أماطت) أزالت (الجلباب) ثوب أوسع من الخمار يتجلب به أى يلتف فيه والجلباب كالملحفة للمرأة والرداء للرجل (نضت) نحت وجردت (النقاب) مايغطى به الوجه (ألمحها) أنظرها (خصاص) فرج يريد به من شقوق الباب (انسرت) زالت ويروى بفصل سرت عن ان ومعناه أن أزالت بالهمزة والمنفصل فعل العجوز والمتصل فعل الاهبة وهى العدة يريد لما ان أزالت عنها هيئة لباسها التى استترت بها عما كان الخفر وهو الحياء يمنعها أن تنكشف وجهها حتى نعرفها (محيا) وجه (سفر) انكشف (أهجم) آخذه على غفلة (أعنفه) أقبح فعله (اسلنقى) صار على ظهره (المتمردين) الشياطين ومن لايرجى صلاحه (عقيرة) صوت (المغردين) المطربين بالغناء والعقيرة بمعنى معقورة أى جارحة مقطوعة كان رجل قطعت احدى رجليه فرفعها ووضعها على الاخرى ورفع صوته فقيل لكل من رفع صوته قد رفع عقيرته (قوله ياليت شعرى) معناه ليت درايتى وفطنتى ومعنى الشاعر فى كلامهم الفطن العالم وسمى شاعرا لانه يفطن لما لايفطن له غيره وأجاز الفراء ليت شعرى أباك ماصنع على معنى ليتنى أعلم أباك ماصنع وأنشد

ليت شعرى مسافر بن أبى عمـ * ـرو وليت يقولها المحزون

ومعناه ليتنى أعلم مسافرا وقال آخر

خمر الشيب لمتى تخميرا * وحدا بى الى القبور البعيرا
ليت شعرى اذا القيامة قامت * ودعى بالحساب أين المصيرا

قال ثعلب المصير منصوب بشعرى أى ليتنى أعلم المصير أين هو والبعير منصوب بحدا أى وحدا الشيب البعير الى القبور بى (كنه) حقيقة (غورى) آخر أمرى وأصل الغور قعر الجرحة والمنخفض من الارض (قمرت) غلبت وخدعت (مكرى) خداعى (أستفز) أستخف وأخدع واستفزه من كذا أخرجه منه والخل كناية عن الشر والخمر كناية عن الخير هذا على مذهب العرب وكانت الخمر أجل ماعندهم ويقولون ماعنده خل ولا خمر أى ماعنده شر ولا خير واذا فسدت الخمر عندهم صارت خلا وقد قال فى ألغازه

وماشئ اذا فسدا * تحول غيه رشدا

يريد أن الخمر اذا فسدت صارت خلا فبعد أن كانت حراما رجعت حلالا وزال تأثيرها فى العقول (صخر) هو ابن الشريد و(أخته) الخنساء فأراد أنه مرة رجل ومرة أخرى امرأة * ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة لعنوا فى السماء رجل خلقه الله ذكرا فأنث وامرأة خلقها الله أنثى فتذكرت تتشبه بالرجال والذى يضل الاعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيى بن زكريا عليهما السلام * وأما صخر فهو ابن عمرو بن الحرث بن الشريد بن رباح من بنى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وكان فى جاهلية أجمل رجل فى العرب وسنذكر لمعة من أخبار صخر وأخته الخنساء فى المقامة الاربعين ان شاء الله تعالى (سلكت سبيلا) دخلت طريقا (مألوفة) مركوبة ملتزمة (قدحى) سهمى (قدحى) ضربى بالزند (عسرى) فقرى (خسرى) ضد ربحى والخسر النقص يريد لو مشيت على طريقة واحدة أبدا لخسرت وخبت (دونك) أى خذ (جلية) ظاهرة (بديعة) غريبة (امره) دهائه وعجبه (زخرف) زين (المريد) العارى من الخير انما هو شر كله (التفنيد) اللوم وفندت فعله اذا عبته (ثنيت) عطفت وتقول جاء ثانيا عنانه اذا بلغ مراده ولم يجهد نفسه (أبثثتهم) أخبرتهم (أثبته) حققه (عيانى) معاينتى (وجوا) غضبوا (الجوائز) العطايا (تعاهدوا) تحالفوا (محرمة) منع وحرمان

(شرح

﴿شرح المقامة الرابعة عشرة وهى المكية﴾

(نهضت) أى تقدمت وسمى النهوض تقدما لسرعة الحركة * وسمى المنصور بغداد مدينة السلام لان دجلة يقال لها وادى السلام ونهر السلام * وأضاف الحجة الى الاسلام لانها أحد أركانه قال النبى صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس والحج أحدها (التفث) مايلزم الحاج من ترك الطيب وحلاق الشعر (والرفث) النكاح (استبحت) استحللت (الموسم) الموضع الذى يجتمع فيه الناس من عيد أوسوق (الخيف) موضع بمكة (معمعان) شدة الحر (استظهرت) استعددت تقول قد استظهر للشئ بكذا اذا استعد له وقد تقدم آنفا للحسن *فدونك فاستظهر بنعل حديد* (يقى) يمنع (الظهيرة) حر نصف النهار فيقول بسبب ضرورة الحر جعلت على نفسى سترا يمنعنى حر الشمس (طراف) قبة من جلد (ظراف) جمع ظريف وهو النبيل المهذب (حمى وطيس الحصباء) اشتد حر الجنادل لمن وطئها وأصل الوطيس التنور يحمى فيطبخ فيه (أعشى) أعمى (الهجير) حر نصف النهار (الحرباء) دويبة تستقبل الشمس وتدور معها وانظرها فى المقامة السادسة والثلاثين وقال المعرى

وهجيرة كالهجر موج سرابها * كالعرليس لمائه من طحلب
أوفى بها الحرباء عودى منبر * للظهر الا أنه لم يخطب
فكأنه رام الكلام ومسه * عى فاسعده لسان الجندب

﴿وقال أيضا فى نحوه﴾

وساحرة الاقطار يحيى سرابها * فيصلب حرباء بريا على جذع

(قوله هجم) أى دخل على غفلة (متسعسع) هرم متقارب الخطو (مترعرع) شاب متزايد وترعرع الغلام أى أخذ فى الزيادة فى طوله وخلقته والرعرع الشباب (أريب) عاقل (حاور) راجع الكلام (نثر من سمطه) أبدى من كلامه وأصل السمط خيط الجوهر (انبساطه) دالته وهذا الكلام أصله فى البساط تقول بسطته فانبسط فلا يكون الانبساط مطاوعا الا بعد الشروع فى البسط يقول فهذا الشيخ انبسط علينا قبل ان نبسطه أى دل علينا قبل أن نجعل له السبيل فى ذلك ومما يستحسن من المنظوم هنا قول ابن كاسة

فى انقباض وحشمة فاذا * لاقيت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها * فقلت ماقلت غير محتشم

قال اسحق الموصلى أنشدنى ابن كاسة هذين البيتين فقلت له وددت أنى سبقتك اليهما ونقص من عمرى سنتان (ولجت) دخلت (عاف) طالب معروف (اسعاف) قضاء حاجتى (الشفيع) الطالب لغيره يقول لست أحتاج اليكم مع ظهور سرى لشفيع لان تطركم الى يغنى عن الشفيع (كاف) مغن عن غيره (الانسياب) الدخول بسهولة وقد تقدم أصله فى الاولى (الارتياب) الشك والانكار (عجاب) مبالغة فى عجب (أنى) كيف (نشرا نتم به نفحاته) طيبا تفوح روائحه وأنفاسه (ترشد) تدل وتهدى (فوحاته) روائحه العطرة و (العرف) الرائحة الطيبة و (تأرجها) تحركها وتأرج الطيب فاح (تبلج) ظهور (عرفكم) معروفكم ولاحظ الحريرى فى هذا قول العرجى

يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة فلج
أقبلت أهوى الى رحالهم * أهدى اليها بريحها الارج

قالوا ويستدل بالطيب على الملوكية فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين فمن ذلك الحمام ومعرك الحرب ومثل هذا الموطن الذى ذكر الحريرى فى الحج اذا حل قالوا والطيب دليل لايكذب وغمام لايفسد والطيب غذاء الروح والنفحات الذكية نشاط النفس فهو طب وطيب وقال ابن البواب

﴿المقامة الرابعة عشرة المكية﴾

(حكى الحرث بن همام) قال نهضت من مدينة السلام لحجة الاسلام فلما قضيت بعون الله التفث واستبحت الطيب والرفث صادف موسم الخيف معمعان الصيف فاستظهرت للضرورة بما يقى حر الظهيرة فبينما أنا تحت طراف مع رفقة ظراف وقد حمى وطيس الحصباء وأعشى الهجير عين الحرباء اذ هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع فسلم الشيخ تسليم أديب أريب وحاور محاورة قريب لاغريب فأعجبنا بما نثر من سمطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه وقلنا له ما أنت وكيف ولجت وما استأذنت فقال أما أنا فعاف وطالب اسعاف وسر ضرى غير خاف والنظر الى شفيع لى كاف وأما الانسياب الذى علق به الارتياب فما هو بعجاب انما على الكرماء من حجاب فسألناه أنى اهتدى الينا وبم استدل علينا فقال ان للكرم نشرا تنم به نفحاته وترشد الى روضه فوحاته فاستدللت بتأرج عرفكم على تبلج عرفكم وبشرنى تضوع رندكم بحسن المنقلب من عندكم فاستخبرناه حينئذ عن لبانته لنتكفل باعانته فقال ان لى

مأربا ولفتاى مطلبا فقلنا الخ كلا المرامين (١٩٤) سيقضى وكلا كاسوف يرضى ولكن الكبر الكبر فقال أجل ومن دحا السبع

الغبر ثم وثب للمقال كالمنشط من العقال وأنشد

انى امرؤ أبدع بى
بعد الوجى والتعب
وشقتى شاسعة
يقصر عنها خببى
وما معى خردلة
مطبوعة من ذهب
خيلتى منسدة
وحيرتى تلعب بى
ان ارتحلت راجلا
خفت دواعى العطب
وان تخلفت عن الر
فقة ضاق مذهبى
فزفرتى فى صعد
وعبرتى فى صبب
وأنتم منتجع الر
اجى ومرمى الطلب
لها كم منهلة
ولا انهلال السحب
جاركم فى حرم * وفركم فى حرب
ما لاذ مرتاع بكم
مخافة ناب النوب
ولا استدر آمل حباكم فاحبى
فانعطفوا فى قصتى
وأحسنوا منقلبى
فلو بلوتم عيشتى
فى مطعمى ومشربى
لساءكم ضرى الذى
أسلمنى للكرب
ولو خبرتم حسبى
ونسبى ومذهبى
وما حوت معرفتى
من العلوم النخب
لما اعترتكم شبهة
فى أن دائى أدبى
فليت أنى لم أكن
أرضعت ثدى الادب
فقد دهانى شؤمه
وعقنى فيه أبى

اذا أبصرتك العين من بعد غاية * فأوقعت شكا فيك أثبتك القلب
ولو أن ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل بك الركب

(وقال السرى الموصلى)

حليه وثناياه وعنبره * كل يتم عليه أو يراقبه
فلست أدرى اذا ما سار فى أفق * شمائل الافق أذكى أم جنائبه

(وقال ابن سكرة)

أهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت * وناب اشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجى عنى لأظهرها * برق اللثات وعطر النحر والنفس

(وأخذه المعتمد بن عباد فقال)

ثلاثة منعتها من زيارتنا * خوف الوشاة وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما * تحوى معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلى تنزعه ما حيلة العرق

(قوله مأربا) أى حاجة (المرامين) المطلبين (الكبر الكبر) أى قدموا الاكبر * ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أمرنى جبريل عليه السلام أن أقدم الاكبر (أجل) نعم (دحا) بسط (السبع الغبر) الارضين (المنشط) المحلول (عقال) قيد البعير وعقدته بأنشوطة أى عقدته عقدة تحل بجذبة أو بجذبتين وقولهم بئر نشوط اذا كان دلوها يخرج بجذبة أو جذبتين وتسمى ما متنا عقدة الانشوطة اللخ (أبدع بى) أى عطبت ناقتى يقال أبدع بالرجل اذا كلت ابله أو عطبت وفى الحديث ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال احملنى فانى أبدع بى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما عندى ما أحملك عليه ولكن اذهب الى فلان فقل له يحملك فأتاه فحمله فرجع اليه فأخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم من دل على خير فله أجر فاعله (قوله الوجى) وجع الحافر من الحفا (شقتى شاسعة) سفرتى بعيدة (خببى) مشيتى وخب الفرس خببا وهو ضرب من العدو دون الاسراع (الخردل) حب معروف فى نهاية الصغر (مطبوعة) مصنوعة (منسدة) منغلقة (العطب) الهلاك (تخلفت) تأخرت (مذهبى) طريقى (زفرتى فى صعد) نفسى فى ارتفاع (عبرتى فى صبب) دمعى فى انحدار (المنتجع) الموضع الخصيب الذى ينتجع للمرعى يقول موضعكم خصيب وأنتم كرام فمن طلب منكم رزقه وجده (لها كم) عطاياكم (منهلة) منصبة (لاذ) تستر ولجأ (مرتاع) خائف (النوب) جمع نائبة على غير قياس وهى الداهية وجعل لها نابا مجازا وجنس به وأصل الناب للسبع (استدر) طلب الدر وهو اللبن (آمل) راج (حباكم) عطاءكم (انعطفوا) ميلوا (منقلبى) مرجعى يقول عسى كم أن تشفقوا على وتميل قلوبكم بالرحمة الى حتى يحسن منقلبى من عندكم (بلوتم) جربتم (أسلمنى) تركنى (الكرب) الهموم (خبرتم) اختبرتم (حسبى) شرفى والحسب آباء أشراف بحسب أو أفعال كريمة (مذهبى) طريقتى (حوت) جمعت (النخب) المختارة (اعترتكم) قصدتكم (شبهة) شك وحيرة (دهانى) أهلكنى وضرنى (شؤمه) نحسه (عقنى) قطعنى وأساء الى بتعليمه فهو يتطير بأدبه والتطير بالادب مذهب قديم متداول وقد أشار اليه ابن قتيبة فى صدر أدبه وقال عمرو بن شبة من أعجب العجب ثلاثة مقارنة لثلاثة الحرفة للادباء وتباعد المال عن الظرفاء واقبال الدنيا على النوكى وقيل للحسن البصرى رحمه الله لم صارت الحرفة مقرونة مع العلم والثروة مقرونة مع الجهل فقال ليس كما قلتم ولكن طلبتم قليلا فى قليل فأعجزكم طلبتم المال وهو قليل فى أهل العلم وهم قليل ولو نظرتم الى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر وقال الحدونى

قوله والحسب آباء الخ كذا فى النسخ ولا يخفى ان الحسب وصف للآباء لا هو هم كما فى القاموس وراجعه اه مصححه

ما ازددت من أدبي حرفا أسر به * الا تزيدت حرفا تحته شوم
كذا المقدم في حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

(وقال أبو اسحق الصابي)

اذا جمعت بين امرأين صناعة * فأحببت أن تدري الذي هو أحذق
فلا تتفقد منهما غير ما جرت * به لهما الارزاق حين تفرق
فحيث يكون النقص فالرزق واسع * وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

أخذه عبد الملك بن وهبون فقال

يعز على العلياء أني خامل * وان أبصرت مني خمود شهاب
وحيث ترى زند النجابة واريا * فثم ترى زند السعادة كابي

(وقال أبو اسحق الصابي)

قد كنت أعجب من مالي وكثرته * وكيف تغفل عنه حرفة الادب
حتى انثنت وهي كالغضبى تلاحظني * شمزرا فلم تبق لي شيأ من النشب
واستيقنت انها كانت على غلط * فاستدركته وأفضت بي الى الحرب
الضب والنون قد يرجى اجتماعهما * وليس يرجى اجتماع المال والادب

وقال علي بن بسام يرثي عبد الله بن المعتز على ما كان بينهما من العداوة

لله درك من ميت بمضيعة * ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لولا ولا ليت تنقصه * وانما أدركته حرفة الادب

وكان ابن المعتز قام على المقتدر فلما ظفر به أمر به فرمي في صهريج فيه ماء في شدة البرد فمات ومن عجائب الدنيا ان أباه المعتز لما خلع عن الملك أدخل حماما وأغلق عليه فمات من حره وكما نفوا أن يجتمع المال والفهم في الغالب كذلك نفوا أن تجتمع النجابة في الولد والوالد في الغالب قال الشاعر

اذا أطلع الدهر حرا لبيبا * فكن في ابنه سيء الاعتقاد
فلست ترى من نجيب نجيبا * وهل تلد النار غير الرماد

ولما أوجع الفقر والحرمان القاضي عبد الوهاب لاجل أدبه على ما شرطوا في الادب تمنى الكفاف ولزوم العلم الى الممات فقال

يا لهف نفسي على شيئين لو جمعا * عندي لكنت اذا من أفضل البشر
كفاف عيش كفاني ذل مسئلة * وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

فلما فتح عليه باب الرزق مات على ما يأتي ذكره فسبحان من أنفذ حكمه في خلقه كيف شاء (قوله صرحت) بينت (فاقتك) فقرك وتصريح أبيانه بعطب ناقته هو قوله أبدع بي المتقدم وفي معناه ان اعرابية خرجت الى الحج فلما كانت ببعض الطريق عطبت ناقتها فرفعت يديها الى السماء وقالت يا رب أخرجتني من بيتي الى بيتك فلا بيتي ولا بيتك (قوله عطبك) نعطيك مطية (مأربة) حاجة (فه) تكلم (فض) كسر (نهض) تقدم (أصلت) جرد (العضب الجراز) السيف القاطع (مشيدة) مرتفعة (ناب خطب) قصد أمر شديد و(المكيدة) هي الكيد وكل ما يكاد به فهو مكيدة و (قاموا بدفعها) اقتدروا عليها يقول اذا قصدوا بأمر عظيم وكيدوا به اقتدروا على دفع الكيد واكتفوا بمن يريد ضرهم (العتيدة) الحاضرة المدخورة (رقاق) خبز رقيق (توارى) تغطى (الشهيدة) الشاة المشوية وقلما يؤكل لحمها الا بالرقاق وربما سموا الهريسة شهيدة وأنشدوا في ذلك

هلموا الى من عذبت طول ليلها * بأضيق سجن في الجحيم تسعر
وقد جلدوها الحد وهي بريئة * فسيروا الى دفن الشهيدة تؤجروا

فقلنا له أما أنت فقد صرحت
أبياتك بفاقتك وعطب
ناقتك وسنعطيك ما تو سلك
الى بلدك فما أربه ولدك
فقال له قم يا بني كما قام أبوك
وفه بما في نفسك لا فض فوك
فنهض نهوض البطل للبراز
وأصلت لسانا كالعضب
الجراز وأنشأ يقول
يا سادة في المعالي
لهم مبان مشيده
ومن اذا ناب خطب
قاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم
بذل الكنوز العتيدة
أريد منكم شواء
وجردقا وعصيده
فان غلا فرقاق
به توارى الشهيده
أو لم يكن ذا ولا ذا
فشبعة من ثريده

فان تعذرن طرا
فحوة ونهيده
فاحضروا ما تسنى
ولو شظى من قديده
وروجوه فنفسى
لما يروج مريده
والزاد لابد منه
لرحلة لى بعيده
وأنتم خير رهط
تدعون عند الشديده
أيديكم كل يوم
لها أياد جديده
وراحكم واصلات
شمل الصلات المفيده
وبغيتى فى مطاوى
ماترفدون زهيده
وفى أجر وعقبى
تنفيس كربى حيده
ولى نتائج فكر
يفضحن كل قصيده
(قال الحرث بن همام)
فلما رأينا الشبل يشبه
الاسد أرحلنا الوالد
وزودنا الولد فقابلا الصنع
بشكر نشر أرديته وأديابه
ديته ولما عزما على
الانطلاق وعقد الرحلة
حبك النطاق قلت للشيخ
هل ضاهت عدتنا عدة
عرقوب أوهل بقيت

وقيل الشهيدة الدجاجة المحشوة وقيل السمكة المحشوة (طرا) جميعا (عجوة) نوع من التمر طيب و(الهيدة) الزبدة والتمر بالزبد شئ يلذ عندهم أكله (تسنى) حضر (شظى) قطعة (روجوه) عجلوه (ولابد منه) أى قد وجب عليكم فالتزموه ولى تقول لابد من كذا معناه قد ألزمته نفسى وجعلته واجبا على من قول العرب قد أبد الرجل القوم وأبد الرامى الوحش اذا ألزمهم الحتف قال أبو ذؤيب فأبدهن حتوفهن فهارب * بدمائه أو بارك متجعجع (قوله أياد) أى نعم (راحكم) أكفكم (واصلات شمل الصلات) أى تؤلف وتصل متفرق العطايا والفوائد (بغيتى) ارادتى (مطاوى ماترفدون) مطاوى الثوب معاطفه ومايطوى منه وترفدون تعطون وتقصد بالبيت بغيتى زهيدة أى قليلة فى مطاوى عطاياكم أى ماطلبته منكم قليل فى أثناء ماتهبون (قوله وفى أجر) عن أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم أخاه المؤمن طعاما وافق به شهوته أدخله الله الجنة وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من أطعم أخاه خبزا حتى يشبعه وسقاه ماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق (تنفيس) تفريج وترويح يقول عاقبة تفريج همى لمن فرجه محمودة للاجر الذى فيها والثناء بشعرى عليه وعلى هذا رتب (ولى نتائج فكر) وهى أشعاره الحسان (يفضحن) يشهرن عيوبها يقول اذا أنشدت شعرى افتضحت قصائد الشعراء وتنقصت (الشبل) ولد الاسد (أرحلناه) أعطيناه راحلة يركبها (الصنع) الفعل الجميل (نشر أرديته) استعارة لنشر الشكر (أديا) أعطيا (ديته) حقه يقول جعلا شكرهما حقا البرنا ومكافأة لصلتنا وكأن المال الموهوب قد استهلكه الا حدله وان شكر عليه فالشكر للواهب هو دية ماله الهالك انما أراد قول النبى صلى الله عليه وسلم من نشر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره وفى حديث جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى شيأ فوجد فليجز ومن لم يجد فليثن به فان أثنى عليه فقد شكره وان كتمه فقد كفره وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال من دعاكم فأجيبوه ومن أتى اليكم معروفا فكافئوه فان لم يجد أحدكم فليدع له حتى يعلم أنه قد كافأه وقالوا اذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وما أحسن قول حبيب فى نشر الشكر وذم ستره

النار نار الشوق فى كبد الفتى * والبين شبههما هوى مسموم
خير له من أن يحامر قلبه * وهواه معروف امرئ مكتوم
سرق الصنيعة واستمر ملعنا * يدعو عليه النائل المظلوم
أأقنع المعروف وهو كأنه * قمر الدجى انى اذا للئيم
مثر من المال الذى ملكتنى * أعناقه ومن الوفاء عديم
فأروح فى بردين لم يصحبهما * قبلى فتى وهما الغنى واللوم

ومن ملح الاعراب أن أعرابيا لصا أخذه الحجاج فضربه سبعمائة سوط وهو يقول عند كل سوط شكرا يارب فقيل له والله مايمنع الحجاج من تركك الا كثرة شكرك أما سمعت الله يقول لئن شكرتم لازيدنكم فأنشأ الاعرابى يقول

يارب لا شكر فلا تزدنى * أسأت فى شكرك فاعف عنى * باعد ثواب الشاكرين منى

ومر بشار برجل قد رمحته بغلة فسقط مكسورا وهو يقول الحمد لله والشكر لله فقال استزده يزدك من هذه النعم وسيأتى نوع آخر من الشعر فى الشكر بحول الله تعالى (قوله حبك النطاق) النطاق والمنطقة ماشد على وسطك كالحزام والحبك خيوط أوشرك تشدها النطاق وأراد انهما تحزما للارتحال ويقال حبكت الشئ حبكا شددته واحتبكت ازارى شددته والمحبوك المفتول وحبكته شددت فتله والحبك الطرائق فى السماء من أثر الغيم والحبك أيضا التكسير الذى يكون فى الرمل والشعر والماء (ضاهت) شابهت (عدتنا) ماوعدناك به من الراحلة ولابنك من الزاد (عرقوب) رجل من العماليق

يضرب به المثل في اخلاف الوعد وقصته انه أتاه أخ له يسأله شيأ فقال له اذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه فقال له دعها حتى تصير بلحا فلما أبلحت أتاه فقال له دعها حتى تصير زهوا فلما أزهت قال له دعها حتى تصير رطبا فلما أرطبت قال له دعها حتى تصير تمرا فلما أتمرت عمد اليها عرقوب من الليل فجذها ولم يعطه شيأ وقيل عرقوب هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ويقول بنو سعد هو منا وقيل هو من الاوس والخزرج قال علقمة

وقد وعدتك موعدا لو وفت به * كموعد عرقوب أخاه بيثرب

(وقال كعب بن زهير)

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل

وقال عبد الله بن عمر خلف الوعد ثلث النفاق و(حاجة نفس يعقوب) خشية العين على بنيه حين أمرهم أن يتفرقوا على الابواب ولا يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا في غاية من الجمال وكمال الخلق وقال الله تعالى ما كان يغني عنهم من الله من شئ الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وأراد الحريري هل بقيت لك حاجة لم تقضها (فقال حاش لله) أي معاذ الله *ابن الانباري قولهم حاشى فلانا معناه أستثنيه وأخرجه من المذكورين الفراء هو من حاشيت أحاشي ويقال قام القوم حاشى عبد الله بالنصب والخفض وحاشى لعبد الله وحاش وحشى وتخفض ما بعدها باضمار اللام لكثرة صحبتها حاشى كأنها ظاهرة أو تقول أضيفت حاشى الى عبد الله لانه أشبه الاسم لما لم يأت معه فاعل (كلا) معناها الزجر أي ليس الامر كما تظن (جل) عظم وهو من الجلل والجليل هو العظيم ويكون في غير هذا اليسير وهو من الاضداد (جلي) سبق معروفكم كل معروف والمجلي من الخيل السابق (دنا) جازنا (أين الدويرة) سأله أين يسكن من البلاد (ملكتنا) غلبتنا يقول قد التبس علينا أمرك وتحيرنا فيه (تنفس) ردد النفس الى الجوف بصوت ورفعه الى صدره والتنفس ضد الشهيق وهو ورد النفس الى الجوف بصوت (يلعثم) يلوي ويعقل ويقال سأله عن كذا فما تلعثم أي ما توقف ولا تلبث ولا أبطأ فاذا ذكرت للغريب بلده وهو على بعد منه تنفس وتلهف (أناخ) أقام وبرك (أخنوا) أفسدوا وأتوا على خرابها *والتي يعني (حط الذنوب) اليها هي مكة (حط) ألقاه وازال (لديها) عندها أي اذا حج ودعا الله حط ذنوبه عنه وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (راق) أعجب (طرفيها) جهتيها (اغرورقت) امتلأت (آذنت) أعلمت (الهموع) السيلان (يستوكفها) يستدرها ويجريها (يكفكفها) يردها (المستحلى) المستعذب (أوجز) اختصر ومما ينتظم بهذا الموضع من ذكر الاوطان والتشوق اليها قول رواعة بن عاصم الفقعسي وأنشدها البكري لامرأة من طيئ

ألم تعلمي يا دار ملحاء أنني * اذا أخصبت أو كان جدبا جنابها
أحب بلاد الله ما بين منعج * الي وسلمى ان يصوب سحابها
بلاد بها نيطت علي تمائمي * وأول أرض مس جلدي ترابها

قال علي بن عبد الكريم النصيبيني أتاني ابن الرومي بقصيدته التي يمدح فيها سليمان بن عبد الله بن طاهر وقال لي أنصفني وقل الحق أيما أحسن قولي في الوطن

ولي موطن آليت أن لا أبيعه * وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة * كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

أو قول الاعرابي أحب بلاد الله الابيات فقلت بل قولك لانه ذكر الوطن ومحبته وأنه ذكرت حب

(ترجمة عرقوب)

حاجة في نفس يعقوب فقال حاش لله وكلا بل جل معروفكم وجلي فقلت له قد دنا كما دنالك وأحد دنا كما أحد نالك أين الدويرة فقد ملكتنا فيلك الحيرة فتنفس تنفس من اذكر أوطانه وأشد والشهيق يلعثم لسانه سروج داري ولكن كيف السبيل اليها وقد أناخ الاعادي بها وأخنوا عليها هو التي سرت أبغي حط الذنوب لديها ما راق طرفي شئ مذ غبت عن طرفيها ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع فكره ان يستوكفها ولم يملك أن يكفكفها فقطع انشاده المستحلى وأوجز في الوداع وولى

(المقامة الخامسة عشرة الفرضية)

(أخبر الحرث بن همام) قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب ولا أرق صب طرد عن الباب ومنى بصد الاحباب فلم تزل الافكار يهجن همى ويجلن فى الوساوس وهمى حتى تمنيت لمضض ما عاينت أن أرزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول ليلتى الليلاء فما انقضت منيتى ولا

الوطن والعلة فى ذلك وقال ابن الرومى يتشوق الى بغداد

بلد صحبت به الشبيبة والصبا * ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

أخذه من قول اعرابى يتشوق الى بلده

ذكرت بلادى فاستهلت مدامعى * بشوق الى عهد الصبا المتقادم
حننت الى ربع به اخضر شاربى * وقطع عنى فيه عقد التمائم

(وقال اسحق الموصلى)

أتبكى على بغداد وهى قريبة * فكيف اذا ما ازددت عنها غدا بعدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى * لو انا وجدنا من فراق لها بدا
كفى حزنا ان رحت لم أستطع لها * وداعا ولم أحدث لسا كنها عهدا

وأنشدنى شيخنا أبو بكر السلامى وكان يزعم أنهما لاخى الحريرى وقد أحسن قائلهما كائنا من كان

طيب الهواء ببغداد يؤرقنى * شوقا اليها وان عاقت مقادير
فكيف أصبر عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواءين ممدود ومقصور

(شرح المقامة الخامسة عشرة وهى الفرضية)

(أرقت) سهرت ولم أنم وفى حديث زيد بن ثابت شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقا أصابنى فقال قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حى قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ياحى ياقيوم اهد أ ليلى وأنم عينى فقلتها فأذهب الله عنى ما كنت أجده (حالكة الجلباب) سوداء الثوب (هامية الرباب) سائلة السحاب يريد ان الليلة مظلمة ممطرة (صب) عاشق (طرد) نفى (منى) ابتلى (صد) هجر (الافكار) أحاديث النفس (يهجن) يحركن و (يجلن) يصرفن و (الوساوس) الفكر المقلقة (وهمى) بالى وخاطرى وقال ابن شهيد فى نحو هذه الليلة

ولرب ليل للهموم تسدلت * أستاره فمحا الضيا بستوره
كالبحر يضرب موجه فى موجه * صعب على العبار وجه عبوره
طاولته من عزمتى بتصبر * أثبت همى فى قرارة كوره
وبراحة من همتى ذوكرة * مدت يدا كربى لطبع ذكيره
وردا اذا انبعثت دياجى جنحه * هولا على خبطت فى ديجوره
حتى بدا عبد العزيز لناظرى * أملى ٣ فرقت الرجا عن نوره

وليلة الحريرى ضد ليلة ابن رشيق فى قوله

ومن حسنات الدهر عندى ليلة * من العمر لم تترك لايامنا ذنبا
خلونا بها ننفى القذى عن عيوننا * بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا
وملنا الى التقبيل الخدود ولثمها * كميل جياع الطير تلتقط الحبا

(قوله تمنيت) ابن الانبارى فى معناه قدرت وأحببت أن يصير الى وهو من المنى وهو القدر يقال منى الله لك ما تحبه يمنيه منيا أى قدره لك (لمضض) أى لحرقة (عاينت) شاهدت ويروى عانيت أى قاسيت (سميرا) صاحبا يسمر معه (يقصر) يردها قصيرة بأنسه وحديثه (الليلاء) الشديدة الطويلة السواد ولابن الرقاق فى مثل هذا السمير

رب ليل أتحفت فيه بأنس * من سمير زف الحديث عروسا
فاجتنينا مما تحدث زهرا * واغتبقنا من خلقه خندريسا
وانثنى الليل يفضل الصبح حسنا * والدرارى يفضلن فيه الشموسا

٣ قوله فرقت الرجال عن نوره هكذا بالاصول التى معنا ولعله فرقت الدجى من نوره اه مصححه

ولئن

أغمضت مقلتى حتى قرع الباب قارع له صوت خاشع فقلت فى نفسى لعل غرس التمنى قد أثمر وليل الحظ قد أقمر فنهضت اليه عجلان وقلت من الطارق الآن فقال غريب أجنه الليل وغشيه السيل ويبتغى الايواء لا غير واذا أسحر قدم السير قال فلما دل شعاعه على شمسه ونم عنوانه بسر طرسه علمت ان مسامرته غنم ومساهرته نعم ففتحت الباب بابتسام وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته وبلل القطر بردته فحيا بلسان عضب وبيان عذب ثم شكر على تلبية صوته واعتذر من الطروق فى غير وقته فدانيته بالمصباح المتقد وتأملته تأمل المنتقد فألفيته شيخنا أبا زيد بلا ريب ولا رجم عيب فأحللته محل من أظفرنى بقصوى الطلب ونقلنى من وقذ الكرب الى روح الطرب ثم أخذ يشكو الأين وأخذت فى كيف وأين فقال أبلعنى ريقى فقد أتعبنى طريقى فظننته مستبطنا للسغب متكاسلا لهذا السبب فأحضرت ما يحضر للضيف المفاجى فى الليل الداجى فانقبض انقباض المحتشم وأعرض اعراض البشم فسؤت ظنا بامتناعه واحفظنى حؤول طباعه حتى كدت أغلظ له فى الكلام وألسعه بحمة الملام فتبين من لحات ناظرى ما خامر خاطرى فقال يا ضعيف الثقة بأهل المقة عد عما أخطرته ببالك واستمع الى لا أبالك فقلت هات يا أخا الترهات فقال اعلم أنى بت البارحة حليف افلاس ونجى وسواس فلما قضى الليل نحبه وغور الصبح شهبه غدوت وقت الاشراق الى بعض الاسواق متصديا للصيد يسنح أو حر يسمح فلحظت بها تمرا قد حسن تصفيفه وأحسن اليه مصيفه يجمع على التحقيق صفاء الرحيق وقنوء العقيق وقبالته لبأ قد برز كالابريز الاصفر وانجلى فى اللون المزعفر فهو يثنى على طاهيه بلسان تناهيه ويصوب رأى مشتريه

ولئن كان لم يحل عن دجاه * فلقد عاد نحمه آبنوسا

(قوله أغمضت مقلتى) نامت عينى (قرع) ضرب (خاشع) لين (أثمر) طلع ثمره (الحظ) البخت (أقمر) صار فيه قمر يقول لعل بختى قد زال نحسه وأقبل سعده اذ وجدت ما تمنيت (نهضت) تقدمت (الطارق) الآتى بالليل (أجنه) ستره (غشيه) غطاه (الايواء) مصدر آويت الرجل اذا أنزلته على نفسك وضممته وتقول أويته وآويت بمعنى واحد (أسحر) دخل فى وقت السحر يريد أنه لا يطلب غير المبيت وينصرف فى السحر (الشعاع) ما يبدو لك من الشمس اذا ظهرت كالحبال (نم) أفشى السر و(الطرس) الكتاب (العنوان) ما يكتب على ظهره يريد أن كلامه طارق دل على مراده و(المسامرة) هى المساهرة (غنم) غنيمة (نعم) نعمة (بسلام) أى بسلامة وأمن (قوله صعدته) الصعدة الرمح الطويل وكنى به عن القامة (بردته) ثوبه (عضب) قاطع (تلبية) قولى له لبيك (الطروق) المجىء بالليل (دانيته) قربت منه (تأملته) نظرته (المنتقد) المجرب للدراهم أى نظرته بعين المباحثة (ألفيته) وجدته (ريب) شك (رجم الغيب) رمى الظن (أظفرنى) ملكنى (قصوى) غاية وهى مؤنث الاقصى أى الابعد (وقذ الكرب) حرقة الهموم (روح الطرب) راحة السرور (الأين) التعب (كيف) سؤال عن حال (وأين) سؤال عن مكان أى سألته كيف حالك ومن أين جئت (أبلعنى ريقى) أى لا تكثر على السؤال فيحلنى جوابك عن بلع ريقى (السغب) الجوع وقد سغب وسغب جاع (الداجى) المظلم (المحتشم) المستحى هنا (أعرض) نحى وجهه وتحقيقه ولى عرضه أى جانبه (البشم) الكسل من الشبع وقد بشم بشما مرض من كثرة الاكل (سؤت ظنا) ساء ظنى وظنا المنصوب على التمييز فاعل فى المعنى من باب تفقأ شحما (أحفظنى) أغضبنى (حؤول طباعه) تغير أخلاقه (حمة الملام) سم العتاب (ألسعه) أقرصه بلسانى ولسعته العقرب ضربته بابرتها (لحات ناظرى) أى خطرات عينى (خامر خاطرى) خالط فكرى (المقة) الحب (عد) أى اصرفه عن نفسك (الترهات) العجائب وأيضا الاباطيل وأصلها الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الاعظم (حليف افلاس) ملازم فقر (نجى) محدث ولما كانت الوساوس تشغل بال الانسان وتجعله يتحدث وحده جعل نفسه محدثا لها (قضى نحبه) تم وانقضى وقضى الرجل نحبه مات والنحب النذر (وغور) غيب (شهبه) نجومه و(الاشراق) ارتفاع الشمس وصفاؤها (الاسواق) جمع سوق وسميت سوقا لان الاشياء تساق اليها وتساق منها أو لان سوق الناس تكثر فيها والسوق جمع ساق والسوق بالفتح مصدر سقت وبالضم الاسم (متصديا) متعرضا (يسنح) يعرض من جهة اليمين ويرادبه ما عدا ذكر السانح والبارح (يسمح) يجود (لحظت) نظرت ولحظى أخيق عينى أى أنصرف بضيق عينى (تصفيفه) أى جعله صفا واحدا وصففت الشىء جعلته صفا واحدا مضموما (المصيف) زمن الصيف (الرحيق) الخمر (قنوء) حمرة (العقيق) خرز أحمر * عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم ما دام عليه ذلك (واللبأ) أول ما يحلب من اللبن وهو لم ينضج (برز) ظهر (الابريز) الذهب الخالص (المزعفر) المصبوغ بالزعفران ويروى المعصفر وهو المصبوغ بالعصفر و(طاهيه) طابخه (تناهيه) غايته وكماله يقول هذا لبأ بحسن صنعته وجودة طبخه كأنه يثنى للمشترين على طابخه وان لم يكن له لسان فكماله فى الحسن وجودته فى الصنعة قام له مقام اللسان وهذا يسمى الكلام بلسان الحال قال الشاعر

ولسان نعمتك التي قلدتني * بالشكر أبلغ من لسان بياني

وقال المتنبي

تنشد أثوابنا مدائحه * بألسن ما لهن أفواه
اذا مررنا على الاصم بها * أغنته عن مسمعيه عيناه

﴿أخذه من قول نصيب﴾

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال أبو العتاهية

أيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية * تدل على أنه واحد
ولله في كل تسكينة * وتحريكة في الورى شاهد

وقال الفضل بن عيسى الرقاشي سل الارض من غرس أشجارك وشق أنهارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا ومنه سؤال العرب للمنازل الخالية والديار الدارسة وقال شاعرهم

وأجهشت للتوباذ حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآني
وأذريت دمع العين لما رأيته * ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلت له أين الذين عهدتهم * حواليك في أمن وخصب زمان
فقال مضوا واستودعوني ديارهم * ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

ولو نقدحبة القلب فيه
فأسرتني الشهوة باشطانها
وأسلمتني العيمة الى سلطانها
فبقيت أحير من ضب

التوباذ جبل ببلاد بني عامر وجوابه لهذا الشاعر بالمعنى فجعله لفظيا مجازا وهذه الحالة الدالة التي سماها الجاحظ في أقسام البيان النصبة قال الجاحظ جميع أصناف الدلالة على المعاني من لفظ أو غيره خمسة لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الاشارة ثم العقد ثم الخط ثم النصبة والعقد أخذ العدد في الاصابع (قوله نقد) أي أعطى نقدا وهو المال الحاضر (حبة القلب) سواده (أسرتني) ربطتني كالاسير (أشطانها) حبالها (أسلمتني) تركتني (العيمة) شهوة اللبن و (سلطانها) قدرتها وغلبتها يريد ان الشهوة الى اللبن قهرته حتى تركته مستسلما لاعطاء نفسه (الضب) يشبه الحرذون وهو حرذون الصحراء واذا فارق جحره لم يهتد اليه فيتحير فيجعل حجرا عند جحره واقفا ليهتدي به فاذا أزاله الصائد تحير فأخذه وربما قتله بذلك الحجر قال الشاعر

وان الضب ذو دهي ومكر * كما اليربوع والذئب اللعين
يرى مرداته من رأس ميل * ويأمن سيل بارقة هتون
ويدخل عقربا تحت الذنابي * رواغ الفهد من أسد كمين

جعل الذئب لعينا لان من رآه صاح عليه ومرداته حجره والعقرب يعدها لضب للصائد ان أدخل يده في جحره وأخذ بذنبه لسعته العقرب وربما أكل العقارب وترك منها واحدا في باب جحره للصائد قال الشاعر

وأخدع من ضب اذا جاء حارش * أعد له عند الذنابة عقربا

والضب يوصف بالضلال وقالوا في بيت المتنبي

لقد لعب البين المشت بها وبي * وزودني في السير ما زود الضبا

أراد أنه زودني الضلال عن وطني الذي خرجت منه فما أوفق للعود اليه والاجتماع مع الحبيب وقال الواحدي يقول جعل البين زادي زاد الضب والضب لا يتزود في المفازة ومعناه فارقت الحبيب من غير وداع ولا التقاء يكون لي زادا على البعد ويقال أيضا أخدع من ضب وذلك أنه يطمع الصائد في نفسه فاذا حنق عليه خدع في جحره ومنه أخذ معنى الخداع ويقال فيه انه أعق من ضب وذلك انه يأكل أولاده ويكنى أبا الحسل ويسمى ولده الحسل وأمثال العرب به كثيرة ويزعمون انه كان حكما في الدواب في الزمان الذي كانت فيه الحيوان تتكلم وعنه يروون في بيته يؤتى الحكم يعني نفسه وفيه خواص ليست في الحيوان تزعم العرب انه لا يشرب الماء واذا أخذه العطش صعد ربوة واستقبل

وأذهل من صب لا وجد يوصلني الى نيل المراد ولاذة الازدراد ولا قدم يطاوعني على الذهاب مع حرقة الالتهاب لكن حداني القرم وسورته والسغب وفورته على أن أنتجع كل أرض وأقتنع من الورد ببرض فلم أزل سحابة ذلك النهار أدلي دلوي الى الانهار وهي لا ترجع ببلة ولا تجاب بنقع غلة الى أن صغت الشمس للغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد حرى واثنيت أقدم رجلا وأؤخر أخرى وبينما أنا أسعى وأقعد وأهب وأركد اذ قابلني شيخ يتأوه آهة الثكلان وعيناه تهملان فما شغلني ما أنا فيه من داء الذيب والخوى المذيب عن تعاطي مداخلته والطمع في مخالته فقلت له يا هذا ان لبكائك سرا ووراء تحرقك لشرا فأطلعني على برحائك واتخذني من نصحائك فانك ستجد مني طبا آسيا أو عونا مواسيا فقال والله ما تأوهي من عيش فات ولا من دهر افتات بل لانقراض العلم ودروسه وأفول أقماره وشموسه فقلت وأي حادثة نجمت وقضية استعجمت حتى هاجت لك الاسف على فقد من سلف فابرز رقعة من كمه وأقسم بأبيه وأمه لقد أنزلها باعلام المدارس فما امتازوا عن الاعلام الدوارس واستنطق لها

الريح وأنه طويل العمر يقولون انه أحيى من ضب يريدون أن حياته لا تكاد تنقضي وأنه لا يسقط له سن وانه أطول الدواب دما اذا ذبح يبقى زمانا وحينئذ يموت وأن لمذكرين ولانثاه فرجين (قوله اذهل من صب) أي أشغل قلبا من عاشق وساوس العشق أفضت ببعض العشاق الى الجنون (وجد) غني وقد وجدت وجدا أي كثر مالي و(الازدراد) كثرة الاكل وزردت الطعام وازدردته اذا ابتلعته و(الالتهاب) اشتعال نار الجوع (حداني) ساقني (القرم) شهوة اللحم وأراد به شهوة الاكل (سورته) شدته و(فورة السغب) غليان الجوع (أنتجع) أمشي في طلب ما آكل و(الورد) الحظ من الماء و(البرض) قليل الماء (سحابة ذلك النهار) أي طول ذلك النهار كما تقول بياض يومي أي يومي كله أي لم يزل طول يومه يستجدي فلم يعط شيأ (نقع غلة) ارواء عطش (صغت) مالت (اللغوب) الفشل (حرى) ملتهبة (اثنيت) رجعت أطال أبو محمد هذه المقامة حتى كادت تثقل على السامع وللبديع فيما يتعلق بمعناها مقامة بتراء فلو ريد في البديعية وقصر في الحريرية لاعتدلتا * وها أنا أذكر البديعية لجملة رشاقتها وخفتها قال عيسى بن هشام كنت ببغداد عام المجاعة فدفعت الى جماعة قد نظمهم سلك الثريا وكلهم يطلب شيأ وفيهم ذو لثغ في لسانه ولجج في أسنانه فقال ما خطبك فقلت حالان لا يفلح صاحبهما فقير كده الجوع وغريب ليس يمكنه الرجوع فقال أي الثلمتين تريد سدها فقلت الجوع يا سيدي وقد بلغ مني مبلغه فقال ما تقول في رغيف على خوان نظيف ونقل قطيف على لون لطيف وخردل حريف الى شواء صفيف يقربه اليك من لا يماطلك بوعد ولا يعذبك بصد أذلك أحب اليك أم أوساط محشوة وأكواب مملوة وأنقال معددة وفرش منضدة ومطرب مجيد له من الغزال عين وجيد فان لم ترد هذا ولا ذلك فما تقول في لحم طيري وسمك بحري وباذنجان مقلي وراح ثني وتفاح جني ومضطجع وطي على حداء نهر جار وبركة ذات نثار فقلت أنا عبد الثلاثة فقال وأنا خادمها لو حضرت فقلت من أي الحارات أنت فقال

من ربعة اسكندريه * من نبعة فيهم زكيه
سخف الزمان وأهله * فركبت من سخفي مطيه

(قوله أسعى) أي أمشي مسرعا (أهب وأركد) أتحرك وأسكن أراد أجري وأقف وأصل الهبوب والركود للريح (يتأوه) يتوجع ويقول آه وهو قول الحزين (آهة الثكلان) توجع الفاقد لاحبابه (تهملان) تسيلان و(داء الذئب) هو الجوع والذئب أصبر السباع على الجوع وأعفها واذا افترس شاة أكل منها شبعه وترك سائرها ولم يرجع اليها وعافه ان أروح (الخوى) خلو الجوف من الطعام (المذيب) المذهب اللحم والقوى (التعاطي) تناول ما لا تحب و(مداخلته) معرفة سره (مخالته) مخادعته (تحرقك) توجعك و(البرحاء) الشدة والمشقة (طبا) حاذقا (آسيا) طبيبا (مواسيا) معينا والمواساة تكون بالنفس أو بالمال ويشاكل كلامه قول الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذي مروأة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

(افتات) ظلم وجاوز الحد (انقراض) انقطاع (دروسه) محوه (أفول) مغيب وكنى بالاقمار والشموس عن مشاهير العلماء وبأفولهم عن هلاكهم قال أبو الدرداء رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد ونجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم (حادثة) نازلة وأمر حدث (نجمت) ظهرت (قضية) قصة (استعجمت) أشكلت (هاجت) حركت (الاسف) الحزن (سلف) مات وذهب (أعلام) مشاهير وأصلها الجبال يستدل بها على مجاهيل الارض (المدارس) جمع مدرسة وهي المحاضر التي يدرس فيها العلم (امتازوا) افترقوا و(الاعلام الدوارس) الجبال المقفرة الخالية من الاشجار والعمران (استنطق) استخبر وسألهم أن ينطقوا

آحبار المقابر نخرسوا
ولاخرس سكان المقابر
فقلت أرنيها فلعلي أغني
فيها فقال ما أبعدت في
المرام فرب رمية من
غير رام ثم ناولنيها فاذا
المكتوب فيها
أيها العالم الفقيه الذي فا
ق ذكاء فماله من شبيه
أفتنا في قضية حاد عنها
كل قاض وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حر
رتقي من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها الحبـ
ـر أخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها وحاز أخوها
ما تبقى بالارث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا
فهو نص لا خلاف يوجد فيه
فلما قرأت شعرها ولمحت
سرها قلت له على الخبير
بها سقطت وعند ابن بجدتها
حططت الا أني مضطرم
الاحشاء مضطر الى العشاء
فأكرم مثواي ثم استمع
فتواي فقال لقد أنصفت
في الاشتراط وتجافيت عن
الاشتطاط فصرمعي الى
مربعي لتظفر بما تبتغي
وتنقلب كما ينبغي قال
فصاحبته الى ذراه كما حكم
الله فأدخلني بيتا أحرج من
التابوت وأوهن من بيت
العنكبوت الا انه جبر
ضيق ربعه بتوسعة ذرعه
فحكمني في القرى ومطايب
ما يشترى فقلت أريد أزهى
راكب على أشهى مركوب
وانفع صاحب مع أضر
مصحوب

ويجيبوا عنها (أحبار) علماء (خرسوا) سكتوا (أغنى) أقرب وأنفع (المرام) الطلب (رب رمية من غير رام) أي قد يصيب الغرض من ليس له علم بالرماية وهو مثل قاله حكيم بن عبد يغوث المنقري وكان حكيم من أرمى الناس فأقسم يوما ليعقرن ولا بد نخرج ومعه قوسه فرمى ولم يصنع شيأ فبات ليسله بأسوء حال وفعل في اليوم الثاني والثالث كذلك فلما أصبح قال لقومه ما أنتم صانعون فاني قاتل اليوم نفسي ان لم أعقر اليوم مهاة فقال له ابنه يا أبت احملني معك أرفد لك فقال وما أحمل من رعش وهش فشل فانطلقا فاذا هما بمهاة فرماها فأخطأها ثم مرت به أخرى فقال له ابنه مطعم يا أبت ناولني القوس فغضب أبوه وهم أن يعلوه بها فقال له مطعم أحمد بحمدك فان سهمي سهمك فناوله القوس فرمى مطعم فلم يخط فقال عند ذلك حكيم رب رمية من غير رام وقال

رماها مطعم من غير علم * بحس القوس لم يخطئ سلاها
وكان أبوه قد آلى عليها * فلم تبرر أليته مهاها

(قوله فاق) أي فضل (ذكاء) حدة ذهن (حاد) مال (قوله رجل مات عن أخ) البيت فائدة ذكر الاخ اثبات النسب لان الاجنبي لا يرث وفائدة ذكر المسلم ان أهل دينين لا يتوارثان وفائدة ذكر الحر أن العبد لا يرث الحر وأما التقي فانقبث من أشياخنا من نبه عليه حتى حدثني بانفتيه أبو العباس الليثي عرف بالحضار فقال فائدة لطيفة وهي التحرز من قاتل العمد لانه لا يرث وليه فأراد أن موجبات التوارث قد كملت لهذا الوارث ومع هذا لم يرث أخاه (الحبر) العالم (تمويه) تلبيس وكذب (حوت) حازت (الارث) لغة في الورث وهو بالهمز بدل من الواو (لمحت) أي نظرت واللمحة نظرة غير متمكنة (ابن بجدتها) عالم سرها ويقال بجد في المكان اذا أقام به والمقيم بالموضع عالم به وقيل أصله من قولهم فلان من أهل البجد أي من أهل البادية وهم العلماء بالناس على ما وضع (حططت) نزلت و(الخبير) عالم الخبر وهذه أمثال للعالم بحقيقة الشيء (مضطرم) متقد (مثواي) منزلي وأكرمت مثوى الضيف اذا أحسنت نزله ووطأت له (فتواي) ما أفتيك به (الاشتراط) والشرط بمعنى (تجافيت) تباعدت (الاشتطاط) مجاوزة الحد (مربعي) منزلي (تظفر) تفوز وأصله من الظفر كأنه اذا ظفر بشيء أنشب أظفاره فيه (تنقلب) ترجع (ذراه) منزله وكل ما كان من حائط وشبهه ذرى (أحرج) أضيق (أوهن) أضعف (جبر) أصلح (توسعة ذرعه) سعة خلقه واحتماله (القرى) طعام الضيف (مطايب) جمع طيب على غير قياس (أزهى) أعجب والزهو الكبر وكانوا يصفون التمر على اللبن عند بيعه فيريد بالراكب التمر وبالمركوب اللبن لانهم يشقون التمر ويغترفون بنصفها من القدح الذي فيه اللبن ويريد (بأنفع صاحب) التمر وبـ(أضر مصحوب) اللبن وهذا يوافق قول الاعرابي

ألا ليت لي خبزا من التمر واللبا * مخيلا من البرني فرسانها الزبد
فأطلب فيما بينهن شهادة * بموت كريم لا يعد له لحد

والبرني من أفضل التمر وقال محارب الكلبي

أكلت الضباب فما عفتها * واني لأهوى قديد الغنم
وركبت زبدا على تمرة * فنعم الطعام ونعم الادم

والعرب تقول على التمرة مثلها زبدا وقيل في تفسيره بالعكس لان الاطباء يقولون ان التمر مضر سريع العفن يولد السدد ويقولون أيضا انه حار رديء ملين للبطن يولد الدم فيقابل ضرره نفعه وكفى لنا انه قوت يكتفى معه بأدنى الطعام وفيه قوة زائدة وبالجملة فاللفظ مشكل وما وجدت من يحققه * ويستملح من كلام الحريري انه أراد بالراكب وبأنفع صاحب التمر لانه قدمه في التفسير حين قال لعلك تعني ابنة نخيلة مع بنا مخيلة وليس في الابيات المتقدمة شاهد على ذلك الا ان حكم الزبد للزوجة وتعلقه بالتمرة غير حكم اللبن فالحريري يقرن اللبن بالتمر اذا شقت وجعله أضر مصحوب لانه لبن لا يصح

والنار تقطع بعض ضرره وقال الفنجديهى أزهى راكب التمر أى أحسن منظرا وأكثر حمرة وأشهى من ركوب اللبأ وجعل التمر راكبا واللبأ مركوبا لان التمر يجتنى من رؤس النخل فهو كالراكب ولان اللبأ يضع ثمرات فوق اللبا والرائب ليزيد رغبة المشترى فيه وجعل التمر أنفع صاحب لاكتفاء العرب به عن جميع المطعومات حتى يبقى أحدهم دهرا لا يأكل الا التمر ولا يضره ذلك وجعل اللبأ أضر مصحوب لانه يولد الاسهال وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ان كنا آل محمد صلى الله عليه وسلم نمكث شهرا لا نستوقد نارا ان هو الا الاسودان الماء والتمر وقال صلى الله عليه وسلم بيت لا تمر فيه جياع أهله والعرب تستحسن أكل الزبد مع التمر قال سفيان الثورى ما رأيت أحسن من زبدة على ازادة وقال معاوية لعبد الرحمن بن أبى بكر أى اللقمة أطيب قال تعضوضة عليها مثلها زبدا والازاد نوع من التمر والتعضوض تمر أسود وقالوا ما أكل اعرابى أحسن من التعضوض أى أشد حلاوة وتاوة زائدة (قوله سخيلة) السخيلة ولد الشاة ذكرا كان أو أنثى (تعنيت) تعبت وقال اعرابى أنا أشتهى ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات جناحين من اللحم لها جناحان من الفواق فأضرب فيها كما يضرب ولى السوء فى مال اليتيم وقال رجل لاعرابى ما يسرنى لو بت ضيفا لك قال لو بت ضيفا لى أصبحت أبطن من أمك قبل أن تلدك بساعة قيل لاشعب ما تقول فى ثريدة مغمورة بالسمن مشققة باللحم قال وأضربكم قالوا ما أكلها من غير ضرب قال هذا ما لا يكون ولكن لم أضرب أو أتقدم على بصيرة وقيل لمزبد وقد أكل طعاما فكه فقال ما فيه خبز نقى ولم يجد كطرى امرأته طالق لو وجدت فيها لأكلته (قوله نهض) تقدم للمشى (نشيطا) أى خفيفا وهى من الانشوطة (ربض) نزل (مستشيطا) شديد الغضب (نباهة) رفعة (عاهة) آفة وعيب (شعار) علامة وشعار المؤمنين فى الحرب لا اله الا الله أى علامتهم والانبياء عليهم السلام منزهون عن شهوات المطاعم * أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة اليه حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفؤا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات يصلى فى خفة من الطعام باتت حور العين حوله حتى يصبح أبو هريرة رضى الله تعالى عنه دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ما أحوجك الى الجلوس قال الجوع فبكيت فقال لا تبك فان شدة القيامة لا تصيب الجائع اذا ما احتسب (قوله حلية) صفة يتحلون بها (تتخلق) تتطبع (يجانب) يباعد وأشار لقوله صلى الله عليه وسلم قيل أيكون المؤمن كذابا قال لا * عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ صريح الايمان عبد حتى يدع المزاح والكذب والمراء وان كان محقا وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه اتقوا الكذب فان الكذب يجانب الايمان (قوله تجوع الحرة ولا تأكل بثديها) أى لا ترضع لبنها بالاجرة ثم تأكله وهو مثل يضرب للذى لا يمنعه من صيانته شدة فقره وهذا المثل للحرث بن سليل الاسدى وكان خطب الى علقمة بن خصفة الطائى وكان شيخا فقال علقمة لامرأته اختبرى ما عند ابنتك فقالت أى بنية أى الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الواصل المياح أم الفتى الوضاح الذهول الطماح قالت بل الفتى قالت ان الفتى يغيرك وان الشيخ يميرك قالت يا أماه ان الفتاة شديد الحجاب كثير العتاب يا أماه أخشى من الشيخ أن يدنس ثيابى ويبلى شبابى ويشمت بى أترابى فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحرث ثم ارتحل بها الى أهله وانه لجالس ذات يوم بفناء مظلته وهى الى جانبه اذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست الصعداء ثم بكت فقال لها ما يبكيك قالت مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ من كل حوقل فنيخ فقال ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثديها ثم قال أما وأبيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها وخمرة شربتها فالحقى بأهلك فلا حاجة لى فيك قولها الجحجاح السيد السمح والمياح الكثير المعروف ويغيرك يتزوج عليك ويميرك يميرك ويعتلجون يتصارعون

فافكر ساعة طويلة ثم قال لعلك تعنى بنت نخيلة مع لبا سخيلة فقلت ايا هما عنيت ولاجلهما تعنيت فنهض نشيطا ثم ربض مستشيطا وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق نباهة والكذب عاهة فلا يحملنك الجوع الذى هو شعار الانبياء وحلية الاولياء على أن تلحق بمن مان وتتخلق بالخلق الذى يجانب الايمان فقد تجوع الحرة ولا تأكل بثديها

والحوقل المسن والفنيخ الضعيف الرخو وقول العامة لاتأكل ثديها أى لاتأكل لحم الثدى خطأ لاوجه له ويجوز على حذف مضاف تقديره أجر ثديها أو غنمهما أو يكون على المجاز كأنها اذا أكلت أجرهما فقد أكلتهما ونحوه قول الشاعر

اذا صب ما فى القعب فاعلم بأنه * دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أودعا

يريد رجلا أخذ ابلا فى دية أبيه فيقول له اذا شربت لبنها فكأنك تشرب دم أبيك (قوله وتأبى الدنية ولو اضطرت اليها) أى تمتنع من اتيان الفعل الدنى ولو ألجئت اليه و (الزبون) الذى يغلب فى المعاملات فعول بمعنى مفعول لانه يزبن أى يدفع عن استكمال حقه (أغضى) أسدل جفنى أى لا أسكت لك على الخداع (أنذرتك) نبهتك (ينهتك) ينقطع (الوتر) العداوة وقيل الفرد فيكون معنى ينعقد بيننا الوتر أى يرتبط وترى بوترك أى شخصى بشخصك فى هذه المعاملة أو عند المضاربة معك ان خدعتنى (تلغ) تترك (الانذار) التحذير (حذار) أى احذر وخف (الربا) البيع الفاسد * ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين ٣ ومن نبت لحمه من السحت فالنار أولى به (فهت) نطقت (زور) باطل (دليتك بغرور) يريد أنه لم يغرر به بل صدقه (ستخبر) ستجرب (هش) اهتز (المصدوق) الذى أخبر بالصدق (مغذا) مسرعا وقد أغذ اغذاذا اذا أسرع (يدلح) يتثاقل من الثقل ودلحت الدابة بالحمل دلوحا والسحاب بالماء نهضت به ثقيلا (يكلح) يعبس (الممتن) المتفضل (اضرب الجيش بالجيش) أى اخلطهما عند أكلك لهما (تحظ) تسعد (حسرت عن ساعد) أى شمرت عن ذراع (النهم) الكثير الشهوة والحرص على الاكل (الملتهم) المبتلع لما وجد (يلحظنى) ينظرنى بطرف عينه (الحنق) المغتاظ وحنق حنقا اشتد غيظه (هلقمت) ابتلعت بسرعة (غادرتهما) تركتهما (أثرا بعد عين) أى بعد ان كان الطعام مرئيا ابتلعته فلم يبق غير أثره فى الاناء * ويليق بهذا الموضع أن نذكر فيه ما شهر من مغربات الزرد قال الشاعر فى أكول

فتضرب خمس كفك فى ثريد * بلقم مثل منكمش الدهاب
كأن دويه فى الحلق لما * تهمهم صوت رعد أو سحاب

وقال آخر

اذا غرد العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وقال آخر

لم ترعينى آكلا مثله * يضرب باليسرى معا واليمين
تلعب بالقصعة أطرافه * لعب أخى الشطرنج بالشاهين

* فمن مشاهير أهل الزرد هلال بن أسعد المازنى وهو من شعراء الدولة الاموية ذكر الاصبهانى انه كان عظيم الخلق شديدا قويا قال أبو عمرو بن العلاء لم أكن أراه حيا بل رأيته ميتا فما رأيت على سرير أطول منه قال هلال جعت مرة ومعى بعير لى فنحرته فأكلته الا ما حملته منه على ظهرى ثم أردت جماع امرأتى فلم أقدر فقالت كيف تصل الى وبيننا بعير وحدث شيخ من بنى مازن قال أتانى هلال فأكل جميع ما فى بيتنا فبعثنا الى الجيران نستقرض الخبز منهم فلما رأى اختلافنا قال كأنكم أرسلتم الى الجيران أعندكم سويق فأتيته بجراب طويل فيه سويق وبرنية فيها نبيذ فصب السويق كله وصب النبيذ وازدرد الكل ومر على رجل من بنى مازن بالبصرة ومعه زوارق رطب قد ساقها من بستانه فجلس على زورق منها صغير مغطى ببارية فقال آكل من رطبك قال نعم قال ما يكفينى قال ما يكفيك فجلس على الزورق يأكل التمر الى أن اكتفى فسلت البارية فاذا الزورق مملوء نوى وقال صدقة بن عبد الله المازنى أولم على أبى لما تزوجت فعملنا عشر جفان ثريدا من جزور فأول من جاءنا هلال فقدمت اليه جفنة فأكلها ثم أخرى حتى أتى على عشر جفان ثم استسقى فأتى بقربة من نبيذ فوضع طرفها فى شدقه فأفرغها فى جوفه ثم خرج فاستأنفنا عمل الطعام ومن أعجب ما أكله مائتا رغيف بمكوك ملح وكانت شبعته تكفيه لخمسة أيام وكان لا يقاومه أحد فى النجدة * ومنهم سليمان

٣ قوله وثلاثين كذا بالاصل ولعله سقط بعده زنية والله أعلم بما قاله نبيه صلى الله عليه وسلم اه مصححه

وتأبى الدنية ولو اضطرت اليها ثم انى لست لك بزبون ولا أغضى على صفقة مغبون وها أنا قد أنذرتك قبل ان ينهتك الستر وينعقد فيما بيننا الوتر فلا تلغ تدبر الانذار وحذار من المكاذبة حذر فقلت له والذى حرم أكل الربا وأحل أكل اللبا ما فهت بزور ولا دليتك بغرور وستخبر حقيقة الامر وتحمد بذل اللبا والتمر فهش هشاشة المصدوق وانطلق مغذا الى السوق فما كان بأسرع من أن أقبل بهما يدلح ووجهه من التعب يكلح فوضعهما لدى وضع الممتن على وقال اضرب الجيش بالجيش تحظ بلذة العيش فحسرت عن ساعد النهم وحملت حملة الفيل الملتهم وهو يلحظنى كما يلحظ الحنق ويود من الغيظ لو أختنق حتى اذا هلقمت النوعين وغادرتهما أثرا بعد عين

﴿مشاهير أهل الزرد﴾

ابن عبد الملك ذكر المسعودي ان شبعته كانت كل يوم مائة رطل بالعراق وكان ربما أتاه الطباخون
بسفافيد فيها الدجاج وعليه جبة الوشي فحرصه على الطعام كان يدخل يده في كمه ثم يقبض على
الدجاجة وهي حارة فيفصلها قال الاصمعي ذكرت ذلك للرشيد فقال قاتلك الله ما أعرفك بأخبارهم
لقد كنت أرى الدسم في أكمام جبابه ولا أدري ما سببه حتى حدثتني وكساني منها جبة وخرج يوما من
الحمام وقد اشتد جوعه فأمر أن يقدم ما لحق من الشواء ولم يكن فرغ من الطعام شئ فقدم اليه
عشرون خروفا فأكل أجوافها مع أربعين رقاقة ثم قدم الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيأ
قال الشمردل وكيل عمرو بن العاص رضي الله عنه لما قدم سليمان الطائف دخل بستاني هو وعمر بن
عبد العزيز وأيوب ابنه فجال في البستان ساعة ثم قال ناهيك بمالكم هذا مالا ثم ألقى صدره على غصن
شجرة وقال ويلك يا شمردل ما عندك شئ تطعمني فقلت بلى عندي جدي كانت تغدو عليه بقرة
وتروح أخرى قال عجل به وعجل فأتيته به كأنه عكة سمن فأكله وما دعا ابنه ولا عمر حتى اذا بقي الفخذ
قال هلم أبا حفص قال اني صائم فأتى عليه ثم قال ويلك أعندك شئ فقلت سبع دجاجات هنديات
كأنهن رئلان النعام قال عجل بهن فأتيته بهن فكان يأخذ رجل الدجاجة فيلقي عظامها بفيه فلما
فرغ منهن قال ويلك أعندك شئ فقلت حريرة كأنها قراضة ذهب فقال عجلها فأتيته بها فجعل يشربها
شربا فلما فرغ تجشأ فكأنما صاح في جب ثم قال يا غلام أفرغت من غدائي قال نعم فقدم اليه ثمانين
قدرا فأكثر ما أكل من قدر ثلاث لقمات وأقل ما أكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن
للناس وصفت الموائد فأكل معهم فما أنكرت من أكله شيأ وسبب وفاته ان نصرانيا أتى بزنبيل مملوء
بيضا وآخر مملوء تينا فقال قشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى أكل الزنبيلين ثم أتوه بقصعة مملوأة
مخا بسكر فأكله فاتخم فمات * ومنهم عمرو بن معديكرب دخل على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه فقال من أين أقبلت يا أبا ثور فقال من عند سيد بني مخزوم أعظمها هامة وأقلها ملامة
وأفضلها حلما وأقدمها سلما قال من هو قال سيف الله وسيف رسوله خالد بن الوليد قال فأي
شئ صنعت عنده قال أتيته زائرا فدعا لي بقعب وفرس وثور فقال له عمر وأين كان في هذا لشبعا
قال لي أو لك قال لي ولك قال بلى فما تقول يا أمير المؤمنين اني لآكل الجذع من الابل انتقيه عظما
عظما وأشرب الشن من اللبن رثيئة وصريفا (قوله أفردت) سكت وخضعت (ماألبث) ما أمهل
(الجراب) وعاء الزاد وأراد بطنه (أمل) يقال أمليت عليه اذا ألقيت عليه ما يكتب وأمللت لغة
وقيل الاصل أمللت فابدل من اللام ياء (نكلت) انقطعت (لاغرو) لاعجب (علقت) حملت (ذويه)
قرابته وأضاف ذوي الى المضمر وهي لغة قليلة ومنعها بعضهم وجوزها جماعة من أئمة اللغة وقال
أبو علي الفارسي اللهم صل على محمد وذويه حملوا ذوي على الاصحاب الازهري سمعت غير واحد من
العرب يقول كنا مع ذوي عمرو يعني مع أصحاب عمرو وهو كثير في كلام قيس ومن جاورهم وقال
الحريري في الدرة ويقولون رأيت الامير وذويه فيهمون فيه لان العرب لم تنطق بذي الذي بمعنى
صاحب الا مضافا الى اسم جنس كقولك ذو مال وذو نوال فاما اضافته الى الاعلام أو الى أسماء
الصفات المشتقة من الافعال فلم تسمع بحال ولهذا لحن من قال صلى الله على محمد وذويه وكالم يقولوا
ذو أبي ولا ذو آمي واقتصروا على اضافته الى الجنس ولهذا لم يرفع النسبي لانه ليس بمشتق فلا يقال
مررت برجل ذي مال أخوه وتصحيحه ذو مال أخوه لان النكرة تختص بان توصف بالجملة (قوله مراء)
جدال (غويه) كذب (الصريح) الخالص (أدنى) أقرب (التراث) المال الموروث (حوى) حاز
(تخلي) تخرج بلا شئ (هالك) خذ (يحتذيها) يتبعها ويعمل بها وتقريب هذا اللغز أن تقول رجل
وابنه وامرأة وابنتها تزوج الرجل البنت والابن الام فمات الابن وقد حملت منه الام فوضعت غلاما
فكان للرجل ابن ابنه ولزوجته أخا لام ثم مات الرجل وترك أخا فورثت زوجته الثمن وأخوها من

أفردت حسلة لحز الطلا لين
البيات وفكرة في جواب
الابيات فما لبث أن قام
وأحضر الدواة والاقلام
وقال قد ملأت الجراب
فأمل الجواب والا فهيأ
ان نكلت لاغترام
ما أكلت فقلت له ما عندي
الا التحقيق فاكتب
الجواب وبالله التوفيق
قل لمن يلغز المسائل اني
كاشف سرها الذي تخفيه
ان ذا الميت الذي قدم الشر
ع أخا عرسه على ابن أبيه
رجل زوج ابنه عن رضاه
بحماة له ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منـ
ـه فجاءت بابن يسر ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء
وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى الى الجد
ـد وأولى بارثه من أخيه
فلذا حين مات أوجب للزو
جة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الاصـ
ـل أخوها من أمها باقيه
وتخلى الاخ الشقيق من الار
ث وقلنا يكفيك أن تبكيه
هالك مني القضيا التي يحتذيها
كل قاض يقضي وكل فقيه

أمها الباقى لانه ابن ابن الميت وهو يحجب الاخ كما كان يحجبه الابن لو كان حيا ومثله قول الآخر

وقائلة أوص الغداة فاننى * أرى الموت قد حطت اليك ركائبه
فقلت وقد راع الفؤاد مقالها * وضاقت به خوف الحمام مذاهبه
لك الثمن ان حانت وفاتى فريضة * وسائر ما يبقى فصنوك صاحبه

جوابه

تعلم فان العلم أكبر ملبس * لمن شرفت أخلاقه ومذاهبه
حليلة هذا أمها زوجة ابنه * فذلك والالغاز جم عجائبه
فان ابنه صنو لزوجته ومن * يقر يعرف العلم تعلو مراتبه
فميراثها ثمن وللصنو ما بقى * كذلك يقضى من تعالت مناقبه

والمتقدم للسؤال فى هذه المسئلة عبد الملك بن مروان وذلك انه وقف به رجل فقال يا أمير المؤمنين أنا تزوجت امرأة وزوجت ابنى من أمها فامدد نابشئ نستعين به فقال له ان أخبرتنى كيف يدعى ابن كل واحد منكما لابن صاحبه فأنا أرفدك والا فلا أعطيك شيأ فقال له الرجل فسل عن ذلك كاتبك وصاحب شرطتك فان اجاباك فما تعطيه لى فادفعه اليهما والا فأنا أعذر فسألهما فلم يعرفا ذلك فابتدر رجل من آخر الصفوف وقال له أرأيت ان أخبرتك أتعطينى ما ذكرت للسائل فقال له نعم فقال ابن الاب عم ابن الابن وابن الابن خال ابن الاب فوصله فهذا آخذ أمرا فى الظاهر من التوارث الذى فرض الحريرى وأشكل فى المعنى (قوله أثبت) صحح (استثبت) أى وجده ثابتا (أهلك والليل) كلام للعرب كأنه قال بادر أهلك قبل الليل وتحقيق المعنى فى ذلك انه عطف الليل على الاهل وجعلهما مبادرين ومعنى المبادرة مسابقتك الشئ كقولك بادرت زيدا المنزل كأنى (٣) سابقته اليه وكأن الليل والرجل المخاطب يتسابقان الى أهل الرجل فأمره الآمر أن يسابق الليل اليهم ليكون عندهم قبل الليل (شمر الذيل) أى ارفع ساقك واستعد للمشى (ايوائى) ضمى (قربة) ما يتقرب به من اعمال البر (أغدف) أسبل وأرسل ومنه قول عنترة

ان تغدفى دونى القناع فاننى * طب بأخذ الفارس المتلئم

وانما قيل للغراب غداف لسبوغ ريشه وقال رؤبة يخاطب أخاه * نبت من جناحك الغداف * (جنح الظلام) ميله وجنح الليل جنوحا وأجنح مال وهو من الجناح وكان الطائر اذا عدل عن طريق طيرانه فيرجع بطيرالى جهة جناحه قيل له جنح ثم استعير فى الليل وغيره كما قيل نكب عن طريقه هى من المنكب كانه قال مال بمشيه الى جهة منكبه (سجع) صوت (الغمام) السحاب (اغرب) غب وابعد (ذراك) منزلك (أنعمت) بالغت (تراعى) تحفظ (أمعن) كثر وتقول أمعن لى بحقى اعترف به وأظهره مأخوذ من الماء المعين وهو الجارى الظاهر * الفراء المعين من الماعون أو مفعول من العيون (تبطن) ملأ بطنه (كظة) امتلاء البطن (مدنفة) ممرضة (هيضة) انطلاق البطن بالقئ والاسهال (كفافا) مسالمة أى كف عنى شرك وخيرك (معافى) سالما من الآفات (ألبته) عيبه (بلوت) خبرت وشاهدت (الرغم) الذل (تجودنى) تمطرنى و(السماء) المطر هنا * وذكرت بهذه الحال خروج السلامى من دار الشريف الرضى فى عشية ماطرة فأعطاه كساء استتر به فلما وصل الى منزله كتب اليه بقصيدة منها

ودعت دارك والسماء تجودنى * بيد الغمام فلا يكن بك ما بى
ما كنت الاجنة فارقتها * كرها فصب على صوب عذاب
ورأيت غالية الطريق ومسكه * طينا معدا الى على الاثواب
وحمى كساؤك لاعدمت معيره * دراعتى وعمامتى وجبابى
فوليت يابحر السماحة كسوتى * وولى أخوك الغيث سل ثيابى

٣ قوله كأنى سابقته الخ كذا فى النسخ التى بايدنا ولعل الاولى كأنك سابقته اه الخ

قال فلما اثبت الجواب واستثبت منه الصواب قال لى أهلك والليل وشمر الذيل وبادر السيل فقلت انى بدار غربة وفى ايوائى أفضل قربة لاسيما وقد أغدف جنح الظلام وسجع الرعد فى الغمام فقال اغرب عافاك الله الى حيث شئت ولا تطمع فى أن تبيت فقلت ولم ذاك مع خلو ذراك قال لانى أنعمت النظر فى التقامك ما حضر حتى لم تبق ولم تذر فرأيتك لا تنظر فى مصلحتك ولا تراعى حفظ صحتك ومن أمعن فيما أمعنت وتبطن ما تبطنت لم يكد يخلص من كظة مدنفة أو هيضة متلفة فدعنى بالله كفافا واخرج عنى ما دمت معافى فوالذى يحيى ويميت مالك عندى مبيت فلما سمعت ألبته وبلوت بلبته خرجت من بيته بالرغم وتزود الغم تجودنى السماء

فوصلت

فوصلت أشكرذا وأشكوذا وبالـ * ـعينين مابهما من التسكاب

وقال آخر فأحسن

وغمامة نثرت دموما عندما * نثر النسيم جمانها تسبيكا
تهدى السقوف جمانها متفرقا * وتعدّه عند السقوط سلوكا

﴿وقال ابن شهيد فأحسن﴾

ومرتجز ألقى بذى الاثل كالكلكل * وحط بجرعاء الاباريق ماحطا
سعى فى قياد الريح يسحب للصبا * فألقت على غبر التلاع به مرطا
ومازال يروى الترب حتى كسا الربا * بدرانك والغيطان من نشره بسطا
وعنت له ريح تساقط قطره * كما نثرت حسناء عن جيدها قرطا

(قوله تخبط) أى تجعلنى أمشى فيها على غير هدى (تتقاذف) تترامى وتتطارح وجعل الابواب يرميه بعضها على بعض لما كان يقرعها ولا تفتح له (لطف القضاء) أى رفق قدر الله وقضائه (يده البيضاء) نعمته الكريمة وتقول لفلان علىّ يد بيضاء أى نعمة وجمعها أياد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى الى قوم نعمة فلم يشكروها له استجيب له فيهم قال عبد الله بن المبارك أقبل نصر بن سيار فقال اللهمّ انى أهديت الى بسام نعمة فلم يعدلى بشكرها فاجعل موتهم قتلا بالسيف فبلغنى انه قتل منهم سبعون رجلا وقال ابو نواس وأتى بمعنى بديع

قد قلت للعباس معتذرا * من ضعف شكريه ومعترفا
أنت امرؤ جللتنى نعما * أوهت قوى شكرى فقد ضعفا
فاليك بعد اليوم تقدمة * لاقتك بالتصريح منكشفا
لاتحدثن الىّ عارفة * حتى أقوم بشكر ماسلفا

﴿اعترضه النامى فى معناه فقال﴾

ان أنت لم تحدث الىّ يدا * حتى أقوم بشكر ماسلفا
لم احظ منك بنائل أبدا * ورجعت بالحرمان منصرفا

وقال طريح

طلبت ابتغاء الشكر فيما صنعت بى * فقصرت مغلوبا وانى لشاكر
وقد كنت تعطينى الجزيل بداية * وانى لما استكثرت منك لحاقر
فأرجع مغبوطا وترجع بالتى * لها أوّل فى المكرمات وآخر

وقال آخر

رهنت يدى بالشكر فى شكر برّه * وماقوق شكرى للشكور مزيد
ولو ان شيأ يستطاع استطعته * ولكن مالا يستطاع شديد

﴿وقال ابراهيم بن العباس الصولى﴾

فلو كان للشكر شخص يبين * اذا ماتأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه * فتعلم انى امرؤ شاكر

وهذا الباب من الشكر وان وفيناه حقه هنا يأتى متفرقا فى الكتاب * ولما ذكر البطنة وخطرها وانها أوجبت عليه خروجه من منزل ضيفه على الحالة التى وصف أردنا ان نصلها بما يشاكلها * ومما جاء فى ذم البطنة من حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يشترى غلاما وضع بين يديه تمرا فان أكل كثيرا قال ردوه فان كثرة الاكل من الشؤم وقيل للتسترى الرجل يأكل فى اليوم مرة قال أكل الصديقين قيل فمرتين قال أكل المؤمنين قيل فثلاثا قال قل لاهلك يبنوا لك معلفا ويقبح أن يكون الرجل وصافا لبطنه وفرجه وان من المروأة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه وقال عمرو بن العاص لمعاوية رضى الله عنهما يوم الحكمين أكثروا الطعام فوالله مابطن قوم قط الافقدوا بعض عقولهم ومامضت عزيمة رجل بات بطينا وقال بعض الحكماء لكل شئ صدأ

وتخبط بى الظلماء وتجفى الكلاب وتتقاذف بى الابواب حتى ساقنى اليك لطف القضاء فشكر اليد البيضاء

﴿ماجاء فى ذم البطنة﴾

وسد أالقلوب شبع البطون * عزم المعتصم يوما على الاصطباح وأمر ندماءه أن يطبخ كل واحد منهم قدرا فدخل عليه غلام ابن أبي دواد فقال المعتصم الساعة يأتي ابن أبي دواد فيقول فلان الهاشمي وفلان القرشي والانصاري فيقطعنا بحوائجه عما عزمنا عليه وأنا أشهدكم انى لا أمضي له يومي هذا حاجة فلم يتم الكلام الا والحاجب يستأذن به فقال لجلسائه كيف ترون فقالوا الا تأذن له فقال سوأة لكم لحيى سنة أهون على من ذلك ودخل فما هو الا أن سلم وجلس وتكلم حتى ضحك المعتصم وسفر وجهه اليه ثم قال يا أبا عبد الله لقد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا وقد جعلناك حكما في طبخها قال فليحضر كل واحد قدره وآكل ثم أحكم فيها فوضعت بين يديه فأكل من أول قدر أكلا كثيرا فقال المعتصم هذا ظلم قال وكيف ذاك قال لانى أراك أمعنت في هذا اللون وستحكم لصاحبه فقال على أن آكل من القدور كلها مثله قال شأنك فأكل ثم قال اما هذه فقد أجاد طباخها اذ قال خلها وكثر زيتها ثم أكل من كل قدر كذلك ووصف القدور كلها بصفات حسنة مر بها أصحابها ثم قدم الطعام تأكل مع القوم كما أكلوا ألطف أكل وأحسنه وهو يحدثهم بأخبار الاكلة في صدر الاسلام كمعاوية وعبد الله بن زياد والحجاج وسليمان بن عبد الملك وعن أكلة دهره مثل ميسرة التمار ودورق القصاب وحاتم الكيال واسحق الحمامي فلما رفعت الموائد قال له المعتصم وقد أطربه حديثه ألك حاجة يا أبا عبد الله قال رجل من أهل بيتك ومائه الدهر وغير حاله قال ومن هو قال سليمان بن عبد الله ولقدر له ما يصلحه قال خمسون ألفا قال قد أنفذت ذلك له قال ولى حاجة أخرى ثم ذكر ثلاث عشرة حاجة لا يرده عن شيء منها ثم قام خطيبا فقال عمرك الله يا أمير المؤمنين طويلا فبعمرك تخصب جنات رعيتك ويلين عيشهم وتنمو أموالهم ولا زلت ممتعا بالكرامة والسلامة مدفوعا عنك حوادث الايام وغيرها ثم انصرف فقال المعتصم هذا والله يتزين الملك بمثله ويبتهج بقربه أما رأيتم كيف دخل وكيف تكلم وكيف أكل ثم انبسط في الكلام وكيف طاب به أكلنا ما يرد هذا عن حاجته الا لئيم الاصل والله لو سألنى في مجلسى هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف ما رددته عنها وأنا أعلم انه يكسبنى في الدنيا حمدا وفي الآخرة ثوابا وفيه يقول أبو تمام

لقد أنست مساوى كل دهر * محاسن أحمد بن أبي دواد

وهذه الحكاية تنتظم في حكايات أهل الزرد المتقدمين في المقامة وقد احتوت على رجال موصوفين بذلك ختمنا بها الباب (قوله أحبب) تعجب معناه ما أحب لقائلك الى قلبي (المتاح) المقدر (المرتاح) المهتز طربا (يفتن) ينوع (ويشمط) يخلط (أنفه) أوله وجعل للصباح أنفا عاطسا مجازا لما كان يدفع ظلمة الليل (هتف) صاح (داعى الفلاح) هو المؤذن والفلاح البقاء (تأهب) استعد (عقته) حبسته (الانبعاث) النهوض وذكراك (الضيافة ثلاث) لانه جاء في حديث أبي شريح الخزاعى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وجائزته يوم وليلة والضيافة ثلاث ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه فما أنفق عليه بعد ثلاث فهو صدقة أبو عبيدة جائزته يوم وليلة أي يعطى الضيف بعد اكرامه ثلاثة أيام ما يجوز به يوما وليلة يقال أسف بجائزة وجيزة وجوزة أي قدر ما يجوز به المسافر من منهل الى منهل ومن ملح باب الضيافة قال المبرد أضاف رجل رجلا فأطال المقام حتى كرهه فقال الرجل لامرأته كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه فقالت له ألق بيننا شرا حتى نحاكم اليه ففعل فقالت المرأة للضيف بالذى يبارك لك في غدوك غدا أينا أظلم فقال والذى يبارك لى في مقامى عندكم شهرا ما أعلم ونزل بصرى على مدنى وكان صديقا له فألح عليه في الجلوس فقال المدنى لامرأته اذا كان غد فانى أقول لضيفنا كم ذراع يقفز فأقفز فاذا قفز فأغلق الباب خلفه فلما كان من الغد قال له المدنى كم تقفز يا أبا فلان قال جيد فعرض عليه أن يقفز معه فأجابه فوثب المدنى من داره الى خارج أذرعا وقال للضيف ثب أنت فوثب الضيف الى داخل

قفلت له أحبب بلقائك المتاح الى قلبي المرتاح ثم أخذ يفتن في حكاياته ويشمط مضحكاته بمبكياته الى أن عطس أنف الصباح وهتف داعى الفلاح فتأهب لاجابة الداعى ثم عطف الى وداعى فعقته عن الانبعاث وقلت الضيافة ثلاث

الدار ذراعين فقال له وثبت أنا الى خارج الدار أذرعا وأنت الى داخلها ذراعين فقال الضيف ذراعات في الدار خير من أربع الى برا الازهرى براموا لدة (قوله ناشد) حلف (حرج) وكذ يمينه أى لا يقيم والحرج الاثم ابن الانبارى تحرج فلان عن كذا أى تدين وضيق على نفسه والحرج عندهم الضيق (أم) قصد (عرج) التوى عن الباب منصرفا (اجتلاء) نظر (القرح) الجرح وأنشد الثعالبي في هذا المعنى فقال

عليك باقلال الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
فانى رأيت الغيث يسأم دائما * ويسئل بالايدى اذا هو أمسكا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا نظمه الشاعر فقال

اذا شئت ان تقلى فزر متواترا * وان شئت ان تزداد حبا فزر غبا

وقالوا قلة الزيارة أمان من الملالة وقالوا في ضده ترك الزيارة سبب القطيعة وقال على رضى الله عنه الصبر من كرم الطبيعة والمن مفسدة الصنيعة وترك التعاهد للصديق يكون داعية القطيعة وقال عبد الصمد بن المعدل في ضد هذا وان يحافظ على الصداقة بظهر الغيب ويمدح ابراهيم بن الحسن

يامن فدت نفسه نفسى وقد جعلت * له وقاء لمن يخشى وأخشاه
أبلغ أخاك وان شط المزار به * انى وان كنت لا ألقاه ألقاه
وان طرفى موصول برؤيته * وان تباعد عن مثواى مثواه
الله يعلم انى لست أذكره * وكيف يذكره من ليس ينساه
لا شئ مما يرى الاله شبه * وما لكم آل ابراهيم اشباه
عذرا فهل حسن لم ينعه حسن * وهل فتى عدلت جدواه جدواه

وقال أبو العتاهية

اقلل زيارتك الصديق ولا تطل * اتيانه فتلج في هجرانه
ان الصديق يلج في غشيانه * لصديقه فيلج في عصيانه
حتى تراه بعد طول مروره * وكأنه متبرم بمكانه
واذا تولى عن صيانة نفسه * رجل تنقص واستخف بشانه

وافراط البر بالصاحب داع الى كثرة الاخجال ومانع من العودة بعد الانفصال * وكتب ابن عمار الى ابن زريق وقد عتب عليه ان اجتاز ببلده ولم يلقه هذه الابيات

لم يلوعنك عنانى سلوة خطرت * ولا نوى ولا سمعى ولا بصرى
لكن عدتنى عنكم خلة عرضت * كفانى العذر منها بيت معتذر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

ضمن ابن عمار هذا البيت أحسن تضمين وهو للمعرى وما قيل في العجز عن الشكر أحسن منه والاقلال يمنع تلاقى الاحباب ويحط من همم ذوى الاحساب فانه اذا لم يكن عندك ما تقدم بين يدى ضيفك أو زائرك تمنيت اذا حل بك أن لا تراه وقال حبيب

وسيان عندى صادفوا لى مطعما * أعاب به أو صادفوا لى مقتلا

وقال ابن الجد

وانى لصب بالتلاقى وانما * يصده (٣) عن معاذيرك العصر
أذوب حياء من زيارة صاحب * اذا لم يساعدنى على بره الوفر

وفى المقامة التى تلى هذه فن ثان من الزيارة تقف عليه ان شاء الله تعالى

﴿شرح المقامة السادسة عشرة وتعرف بالمغربية﴾

(أديتها) تممتها (شفعتها) زوجتها يريد أنه صلى الفريضة ثم صلى النافلة (بفضلها) يريد أنه صلاها في الجماعة وهى أفضل من صلاة الفذ (انتبذوا) انفردوا وصاروا الى جهة وزاوية من المسجد

فناشد وحرج ثم أم الخرج وأنشد اذ عرج
لا تزر من تحب في كل شهر
غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم
ثم لا تنظر العيون اليه
(قال الحرث بن همام) فودعته بقلب دامى القرح
ووددت لو أن لياليّ بطينة الصبح

﴿المقامة السادسة عشرة المغربية﴾

(حكى الحرث بن همام) قال شهدت صلاة المغرب في بعض مساجد المغرب فلما أديتها بفضلها وشفعتها بنفلها أخذ طرفى رفقة قد انتبذوا ناحية

(٣) قوله يصده عن معاذيرك الخ كذا في النسخ التى بأيدينا وهو شطر ناقص ولعل الاصل يصد فؤادى عن معاذيرك العصر أو نحو ذلك اه مصححه

وامتازوا صفوة صافية وهم
يتعاطون كأس المناقشة
ويقتدحون زناد المباحثة
فرغبت فى محادثتهم لكلمة
تستفاد أو أدب يستزاد
فسعيت اليهم سعى المتطفل
عليهم وقلت لهم أتقبلون

﴿أخبار الطفيليين﴾

(وامتازوا) انفصلوا (صفوة) خيارا (يتعاطون) يعطى بعضهم بعضا (المناقشة) المحادثة (يقتدحون) أى يضربونها ويستخرجون نارها (المباحثة) المناظرة فى العلم (المتطفل) الآتى الى الطعام من غير أن يدعى وهو الوارش عند العرب وتطفل تشبه بطفيل العرائس وهو طفيل بن دلال الدارمى يسمى طفيل الاعراس وطفيل العرائس لكثرة دورانه على حضورها ومشاهدته لها والاكل منها من غير أن يدعى اليه واسمه مشتق من الطفل وهو اقبال الليل على النهار أبو عمرو الطفل الظلمة ابن الاعرابى ويقال للطفيلى اللعموظ والجمع اللعاميظ وطفيل من بنى عبد الله بن غطفان كان يأتى الاعراس ولم يدع ومسكنه بالكوفة وكان يقول وددت أن الكوفة بركة مصهرجة فلا يخفى على فيها دخان فنسب اليه كل من يتطفل نسبة مذهب لا نسب والتطفل من اخلاق اللئام وسجايا الاوغاد ومنهى عنه فى الشرع * ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعى فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ومن دخل على غير دعوى دخل سارقا وخرج مغيرا * عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم من دخل على قوم لطعام لم يدع فاكل دخل فاسقا وأكل حراما * ونسوق هنا فصلا للطفيليين يكون فى هذه المقامة بمنزلة فصل الاكلة فى المقامة قبل هذا لان حالتيهما متقاربة فمن ذلك ما يحكى عن بشار الطفيلى انه قال رحلت يوما الى البصرة فلما دخلتها قيل لى ان هنا عريفا للطفيليين يبرهم ويكسوهم ويرشدهم الى الاعمال ويقاسمهم فسرت اليه فبرنى وكسانى وأقمت عنده ثلاثة أيام وله جماعة يصيرون اليه بالزلات فيأخذ النصف ويعطيهم النصف فوجهنى معهم فى اليوم الرابع فحصلت فى وليمة فاكلت وأزللت معى شيأ كثيرا وجئته به واخذ النصف واعطانى النصف فبعته ما وقع لى بدراهم فلم أزل على هذه الحالة أياما ثم دخلت يوما على عرس جليل فاكلت وخرجت بزلة حسنة فلقينى انسان فاشتراها بدينار فاخذته وكتمته وكتمت أمرها فدعا جماعة من الطفيليين فقال ان هذا البغدادى قد خان فظن انى لا أعلم ما فعل فاصفعوه وعرفوه ما كتمنا فاجلسونى شئت أم أبيت وما زالوا يصفعونى واحدا بعد واحد فيصفعنى الاول منهم ويشم يدى ويقول أكل مضيرة ويصفعنى الآخر ويشم يدى ويقول أكل كذا ويصفعنى الآخر حتى ذكروا كل شئ أكلته ما غلطوا بشئ منه ثم صفعنى شيخ منهم صفعة عظيمة وقال باع الزلة بدينار وصفعنى آخر وقال هات الدينار فدفعته اليه وجردنى الثياب التى أعطانيها وقال اخرج ياخائن فى غير حفظ الله فخرجت الى بغداد وحلفت أن لا أقيم ببلد فيه طفيلية يعلمون الغيب * ونريد هنا أن نذكر بعض ما اشتهر من حكايات طفيلية البصرة اذهم أحذق خلق الله فى باب التطفيل بعث المأمون فى عشرة من زنادقة البصرة فجمعوا فرآهم طفيلى فمضى معهم فأدخلوا فى سفينة فدخل معهم وجىء بالقيود فقيد معهم فقال أحدهم ياطفيلى الى ههنا فأقبل عليهم فقال فديتكم أى شئ أنتم فقالوا بل أنت من أنت وهل أنت من أصحابنا قال والله ما أعرفكم غير أنى طفيلى خرجت من منزلى فرأيت منظرا جميلا ونعمة ظاهرة فقلت شيوخ وكهول وشبان ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فدخلت وسطكم كانى أحدكم الى هذا الزورق فرأيته قد فرش ومهد ورأيت سفرا مملوأة فقلت نزهة الى بعض البساتين والقصور ان هذا اليوم يوم مبارك فزدت ابتهاجا فجاء هذا الموكل بكم فقيدكم فطار عقلى فاخبر فضحكوا وفرحوا به وقالوا قد حصلت فى الاحصاء ونحن مانية على مذهب مانى القائل بالنور والظلمة نسير الى المأمون فيسألنا عن مذهبنا ويدعونا الى التوبة ويظهر لنا صورة مانى ويأمرنا أن نتفل عليها ونبرأ منها فمن فعل نجا والا قتل فاذا دعيت فاخبره باعتقادك وللطفيلى مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا بها فكان ذلك فلما دخلوا على المأمون دعاهم باسمائهم وامتحنهم فأمر عليهم بالسيف وتأخر الطفيلى وقد استوعب العدة فسأل الموكلين بهم فقالوا وجدناه معهم فجئنا به فقال له ما خبرك فقال له ياأمير المؤمنين امرأته طالق ان كنت أعرف من أقوالهم شيأ انما أنا رجل طفيلى ثم قص قصته معهم فضحك المأمون

كثيرا ثم أظهر الصورة فلعنها وبرئ منها ثم قال اطوها حتى أسلح عليها والله ما أدرى ما أنى أنصرانى أم يهودى أم مسلم فقال المأمون يؤدب على فرط جهله وتطفيله ومخاطرته بنفسه فقال يا أمير المؤمنين بحياتك ان كنت ولا بد حازما فاجعل السياط كلها على بطنى فهو الذى حملنى على هذا الغرر فعاد الى الضحك فاستوهبه منه ابراهيم بن المهدى بحديث فى تطفيله يذكر فى خبر اسحق الموصلى فوهبه له وأجاز الطفيلى بجائزة سنية * كان ابراهيم بن المدبر عاملا على البصرة وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم وكل واحد منهم منفرد بعلم من العلوم وكان طفيلى يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا وأشدهم فى كل مليحة اقتدارا فاحتال ودخل فى جملة الندماء فخرج ابراهيم فرآه فقال لحاجبه قل لهذا الرجل ألك حاجة فسقط فى يد الحاجب وعلم أن الحيلة تمت عليه وانه لا يرضى ابن المدبر من عقوبته الا بقتله فجعل يجر رجليه فقال له يقول لك الاستاذ ألك حاجة فقال قل له لا فأدخله عليه فقال فأى شئ أدخلك أأنت طفيلى فقال نعم أصلحك الله فقال ان الطفيلى يحتمل على دخوله على الناس بخصال منها أن يكون لاعبا بالشطرنج أو بالنرد او ضاربا بالعود أو بالطنبور فقال أيدك الله انا الماذكرت فى الطبقة العليا فقال لبعض الندماء لاعبه بالشطرنج قال اعزك الله فان قمرت قال اخرجناك قال وان قمرت قال اعطيناك ألف درهم فقال أحضرها فان فى حضورها قوة للنفس فلعبا بالشطرنج فغلب الطفيلى ومد يده لاخذ الدراهم فقال الحاجب أعزك الله ذكر أنه فى الطبقة العليا وان فلانا غلاما لك يغلبه فأحضر الغلام فغلبه فقالوا له انصرف فقال احضروا النرد فلوعب به فغلب فقال الحاجب لكن بوابنا فلان يغلبه فاحضر البواب فغلبه فقيل له اخرج قال فالعود فاعطى عودا فضرب فأصاب وغنى فأطرب فقال الحاجب يا سيدى ان فى جوار ناشيخا يعلم القيان هو أحسن منه فأحضر اليه فكان أطيب منه فقيل له اخرج فقال فالطنبور فضرب ضربا لم نر أحسن منه فقال الحاجب ان فلانا المحتكر أطيب منه فأحضر فكان أحذق منه فقال ابن المدبر قد تقصينا لك بكل جهد فانصرف قبلك الا طردك فقال يا سيدى بقيت معى فائدة حسنة فقال وما هى قال تأمر أن يحضر قوس بندق مع خمسين بندقة من رصاص ويقام هذا الحاجب وأرميه فى دبره فان أخطأته بواحدة فاضرب عنقى فضحك الحاجب ووجد ابن المدبر شفاء نفسه فى عقوبته فأمر بخشبتين وشد الحاجب فوقهما وأعطى القوس فرماه بخمسين بندقة فما أخطأ دبره بواحدة منها وحل الحاجب وهو يتأوه لما به فقال له الطفيلى يا صفعان هل على باب الامير من يحسن مثل هذا فقال له الحاجب يا قرنان اذا كان البرجاس استى فلا يحسن أحد مثلك قال وذهب الضحك بابن المدبر هو وأصحابه كل مذهب ثم أعطاه ألف درهم وانصرف * صحب طفيلى رجلا فى سفر فلما نزلوا بعض المنازل قال له الرجل خذ درهما وامض اشتر لنا لحما فقال له الطفيلى قم أنت والله انى لتعب فاشترأنت فمضى الرجل فاشتراه ثم قال له الرجل قم فاطبخه فقال لا أحسن فقام الرجل فطبخه ثم قال الرجل للطفيلى قم فاثرد فقال والله انى لكسلان فثرد الرجل ثم قال له قم فاغترف قال اخشى ان ينقلب على ثيابى فغرف الرجل حتى ارتوى الثريد فقال له قم الآن فكل قال نعم الى متى هذا الخلاف قد والله استحييت من كثرة خلافك وتقدم فأكل * وقال طفيل اعرانس ليس فى الارض أكرم من ثلاثة أعواد عصا موسى عليه السلام وخوان الطعام ومنبر الخليفة ومن وصيته لاصحابه اذا دخلتم عرسا فلا تلتفتوا الى الملاهى وتخيروا المجالس وان كان العرس كثير الزحام فليمض احدكم ولا ينظر فى عيون الناس ليظن اهل الرجل انه من أهل المرأة وأهل المرأة انه من أهل الرجل وان كان البواب فظا وقحا فليبدأ به فليأمره ولينهه من غير عنف ولكن بين النصيحة والادلال وقال بنان الطفيلى التمكن على المائدة خير من ثلاثة ألوان * وسئل بنان هل تحفظ من كتاب الله تعالى شيأ قال نعم آية قيل وما هى قال واذ قال موسى لفتاه آتنا غداءنا قيل أتحفظ شيأ من الشعر قال بيتا واحدا قيل ما هو قال

تزوركم لا نكافيكم بجفوتكم * ان الكريم اذا مالم يزر زارا

وبعده

يقرب الشوق دارا وهى نازحة * من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

﴿وقال أبو الورد الحاكى فى طفيلى﴾

طفيلى يوم الخبز آتى * براه ولو براه صلى بقاع

ولا يروى من الاخبار الا * أجيب ولو دعيت الى كراع

﴿وقال طفيلى أيضا﴾

نحن قوم اذا دعينا أجبنا * ومتى نفس يدعنا التطفيل

ونقل علنا دعينا فعبنا * واتانا فلم يجدنا الرسول

* وأقبل طفيلى الى طعام لم يدع اليه فقال صاحب الطعام من دعاك فانشده

دعوت نفسى حين لم تدعنى * فالحمد لى لا لك فى الدعوه

وكان ذا أحسن من موعد * مخلفه يدعو الى الجفوه

* ودخل طفيلى فى صنيع رجل من القبط فقال له من أرسل اليك فأنشأ يقول

أزوركم لا أكافيكم بجفوتكم * ان المحب اذا مالم يزر زارا

فقال زر زارا ليس ندرى من هو اخرج من بيتى وقال آخر فى طفيلى كوفى

زرعنا فلما آتم الله زرعنا * وأوفى عليه منجل لحصاد

بلينا بكوفى حليف مجاعة * أضر بزرع من دبا وجراد

* وحدث آدم الطويل قال دخل حانوتى غريب يأكل شيأ من الطعام فنعدم سائل فقلت له ما أكثر ترددك الى فقال الغريب الذى فى الحانوت لعله كما قال الشاعر

لو طبخت قدر بمطمورة * أو فى ذرى قصر بأعلى الثغور

وكنت بالصين لوافيتها * يا عالم الغيب بما فى القدور

* حكى المبرد قال كان بالبصرة طفيلى مشهور وكان ذا أدب وظرف فربسكة النعم بالبصرة على قوم عندهم وليمة فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعى فأنكره صاحب المنزل فقالوا له لو تأنيت أو صبرت يا هذا اقبل الدخول حتى يؤذن لك كان أحسن لأدبك وأعظم لقدرك وأجل لمروأتك فقال انما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضعت الموائد ليؤكل عليها والحشمة قطيعة واطراحها صلة وجاء فى الآثار صل من قطعك وأعط من منعك وأحسن الى من أساء اليك وأنشد

كل يوم أدور فى عرصة الدا * ر أشم القتار شم الذباب

فاذا ما رأيت آثار عرس * أو دخانا أو دعوة الاصحاب

لم أعرج دون التقحم لا أر * هب شتما ولكزة البواب

مستهينا بمن دخلت عليه * غير مستأذن ولا هياب

ذاك أهنى من التكلف والغر * م وشتم البقال والقصاب

* كان بالبصرة طفيلى يكنى أبا سلمة وكان اذا بلغه خبر وليمة لبس لبس القضاة وأخذ ابنيه معه عليهما القلانس الطوال والطيالسة فيتقدم أحدهما فيدق الباب ويقول افتح يا غلام لابى سلمة ثم لا يلبث حتى يلحقه الآخر فيقول افتح ويلك قد جاء أبو سلمة ويتلوهما فان لم يعرفهم البواب فتح لهم وان عرفهم لم يلتفت اليهم ومع كل واحد منهما فهر مدور يسمونه كيسان فينتظرون من دعى فاذا جاء وفتح له طرحوا الفهر فى العتبة حيث يدور الباب فلا يقدرون على اغلاقه فيهجمون ويدخلون فأكل أبو سلمة يوما على بعض الموائد لقمة حارة من فالوذج وبلعها بشدة حرارتها فجمعت أحشاؤه فمات على المائدة فقال عبد الصمد بن المعذل يرثيه

أحزان نفسي على غير منصرمه * وأدمعي من جفون العين منسجمه

على صديق ومولى لي فجعت به * ما ان له في جميع الصالحين لمه

كم جفنة مثل دور الحوض مترعة * كوماء جاء بها طباخها ردمه

قد كللتها شحوم من قليتها * ومن سنام جزور عبطة سنمه

غيبت عنها فلم تعلم لها خبرا * لهفي عليك وعولي يا أبا سلمه

ولو تكون لها حيا لما بعدت * يوما عليك ولو في جاحم حطمه

قد كنت أعلم أن الاكل يقتله * لكنني كنت أخشى ذاك من نخمه

اذا تعمم في شبليه ثم غدا * قال حوزة من يأتيه مصطلمه

(قوله تزيلا) أي ضيفا و(الاسمار) المذاكرة بالليل و(جناها) ما يجنى من فوائدها (يبغي) يطلب (ملح الحوار) مليح الكلام والحوار مراجعة القول (ملحاء الحوار) لحم سنام الفصيل (الحبا) جمع حبوة وكانت العرب ليس لها في البوادي حيطان تستند اليها في مجتمعهم فكان الرجل يقيم ركبتيه في جلوسه فيضع عليهما أو يدير بهما ثوبا أو يعقد عليهما يديه ويستريح اليها ويقوم ذلك له مقام الاستناد فيقال لذلك العقد الحبوة فأراد أنهم حلوا له الحبا اكراما له (لمحة بارق) لمعة برق (خاطف) يخطف العين بسرعته فيمنعها النظر (نغبة) جرعة (غشينا) دخل علينا فجأة (جواب) قطاع للارض يمشيه (العاتق) ما بين المنكب والعنق (جراب) وعاء الخبز (الكلمتين) سلام عليكم (التسليمتين) سلامه عند الدخول وسلامه من الركعتين * وتحية المسجد ان يركع الداخل فيه ركعتين وقيل التسليمتين تسليمه من صلاة المغرب وتسليمه من الركعتين اللتين بعدها (الالباب) الاذهان و(اللباب) الخالص (أنفس) ارفع (القربات) ما تقرب به الى الله عز وجل واحدها قربة (الكربات) الهموم و(تنفيسها) تفريجها وازالتها (أمتن) أقوى واغلظ (النجاة) الخلاص (مواساة) جعلك لهم أسوة نفسك (ساحتكم) موضعكم (أتاح) قدر (استماحتكم) اجتداؤكم والطلب منكم (شريد) منفور والشريد الهارب (قاص) بعيد (بريد) رسول (خماص) جياع (يفثأ) يكسر (جيا المجاعة) حدة الجوع (فضلات) بقايا (لفاظات) ما يلفظ منها أي يطرح (نفاضات) ما ينفض من بقية الزاد * ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل ما يسقط من الخوان نفي عنه الفقر وعن ولده الحمق و(المزاود) أوعية الزاد (الصنع) الجميل (قوله وجلس يرقب) وقال قبل هذا فلم أجلس الا لمحة بارق وقال في الثامنة والعشرين وجلس حتى ختم نظم التأذين وأكثر ما صرف الجلوس في مقاماته من قيام وقال في الدرة ويقولون للقائم اجلس والاختيار على ما حكاه الخليل أن يقال لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس وعلل بعضهم هذا الاختيار بأن القعود هو الانتقال من علو الى سفل ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد وان الجلوس من سفل الى علو ومنه قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها * ان كنت تارك ما امرتك فاجلس

أي اقصد نجدا وكان عمر واليا على المدينة فقال للفرزدق ان كنت تارك العفاف والا فاخرج الى نجد * وحكى أبو عبد الله بن خالويه قال دخلت على سيف الدولة بن حمدان يوما فلما مثلت بين يديه قال اقعد ولم يقل اجلس فتبينت بذلك اعتلاقه باهداب الادب واطلاعه على اسرار كلام العرب والذي نظر هو الوجه ولهذا اجعله على الاختيار ولم يجعله من اللحن الا انه لقرب المعنيين يجوز أن يكون قد استعمل جلس في المقامات من القيام (يرقب) ينظر ويحرس (ثبنا) رجعنا (استثارة) استخراج (ملح) ما يتملح به من الكلام (عيونه) مختاره (استنباط) استخراج (معينه) ماؤه الصافي (عيونه) جمع عين الماء وكنى بالمعين والعين عن الكلام والقلوب (جلنا) تصرفنا (يستحيل) يتغير (الانعكاس) قراءة اللفظة

نزيلا يطلب جنى الاسمار لا جنى الثمار ويبغي ملح الحوار لا ملحاء الحوار فحلوا الى الحبا وقالوا مرحبا مرحبا فلم أجلس الا لمحة بارق خاطف أو نغبة طائر خائف حتى غشينا جواب على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال يا أولي الالباب والفضل اللباب أما تعلمون أن أنفس القربات تنفيس الكربات وأمتن اسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات واني ومن أحلني ساحتكم وأتاح لي استماحتكم لشريد محل قاص وبريد صبية خماص فهل في الجماعة من يفثأ عنا حيا المجاعة فقالوا له يا هذا انك حضرت بعد العشاء ولم يبق الا فضلات العشاء فان كنت بها قنوعا فما تجد فينا منوعا فقال ان أخا الشدائد ليقنع بلفاظات الموائد ونفاضات المزاود فأمر كل منهم عبده ان يزوده ما عنده فأعجب الصنع وشكر عليه وجلس يرقب ما يحمل اليه وثبنا نحن الى استثارة ملح الادب وعيونه واستنباط معينه من عيونه الى أن جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس كقولك

في عقده ثم تتدرج الزيادات من بعده فيربع ذو ميمنته في نظمه ويسبع صاحب ميسرته على رغمه (قال الراوي) وكنا قد انتظمنا عدة أصابع الكف وتألفنا ألفة أصحاب الكهف فابتدر لعظم محنتي صاحب ميمنتي وقال (لم أخامل) وقال ميامنه (كبر رجا أجر بك) وقال الذي يليه (من يرب اذا بر ينم) وقال الآخر (سكت كل من نم لك تكس) وأفضت النوبة الي وقد تعين نظم السمط السباعي علي فلم يزل فكري يصوغ ويكسر ويثري ويعسر وفي ضمن ذلك أستطعم فلا أجد من يطعم الى أن ركد النسيم وحصحص التسليم فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام لشفي الداء العقام فقالوا لو نزلت هذه باياس لامسك على ياس وجعلنا

من آخرها (ساكب) صاب (تداعينا) دعا بعضنا بعضا (نستنتج) نستدعي منها النتاج وهو الولد (الافكار) جمع فكر وجعل ما يبديه الفكر من الكلام نتاجا له (نفترع) نفتض (جمانات) جمع جمانة وهي حبة تعمل من فضة كالدرة (تتدرج) تمشي (يربع) يصنع أربع جمانات (ذو) بمعنى صاحب (يسبع) يصنع سبعا (رغمه) اكراهه واذلاله (انتظمنا) اجتمعنا (تألفنا) تصاحبنا وانضم بعضنا الى بعض ومنه ألفت الكتاب و (الالفة) الصحبة والاجتماع و (الكهف) الغار وأصحابه قصتهم معروفة قال ابن عباس في قوله عز وجل ما يعلمهم الا قليل أنا من أولئك القليل وهم مكسلمينا ويمليخا وهو المبعوث بالورق الى المدينة ومرطونس وينوانس وساريونس وكفشطيوس وقطينوسيوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير وهو أغردون ٣ الكروي وفوق القلطي وقال أبو شبل بلغني ان من كتب هذه الاسماء في شيء ووضعه في الحريق سكن الحريق وذكر الطبري انهم كانوا في أيام الطوائف على دين عيسى بن مريم وكانوا في حكم ملك الروم يسمى دقيانوس يعبد الاصنام فبلغه عن الفتية مخالفتهم لدينه فطلبهم فهربوا منه فاجتازوا براعي غنم فاتبعهم بكلبه فعلموه دينهم وصاروا الى ربهم فآواهم الليل الى كهف فقالوا نبيت هنا الليلة ثم نصبح فنرى رأينا فضرب الله على آذانهم فناموا وتبعهم الملك فوجدهم في الكهف فلم يطق أحد منهم دخوله فبني عليهم باب الكهف ففتحه الرعاء بطول الزمان فاقاموا فيه ما ذكر الله تعالى ثم أحياهم الله تعالى بعد ثلثمائة وتسع فشكوا هل ناموا يوما واحدا أو بعضه ثم مسهم الجوع فبعثوا أحدهم بورق يشتري لهم طعاما ووصوه أن يحترز حتى لا يشعر بهم أحد فيدل عليهم فيحملوا الى الملك الذي فروا منه أمس فيما ظنوا فيرجمهم أو يرجعوا الى دينه فلما أتى باب المدينة أنكر ان تكون هي التي خرج منها أمس في ظنه لانها تغيرت بمرور زمان بعد زمان عليها فأنكر أهلها ثم أخرج الدراهم ليشتري طعاما فقال له البائع من أين لك هذه الدراهم وأمسكه فقال خرجت أمس مع أصحاب لي فارين من هذا الملك ودينه فبتنا في كهف وأصبحنا اليوم فارسلوني لاشتري لهم طعاما فاستر علينا فحمله الرجل الى ملك المدينة يسمع منه وكان ملكا صالحا فقص عليه القصة فركب الملك في جملة من الناس ليطلعوا على أمرهم فدخل على أصحابه فوجدهم قد عادوا الى نومهم فضرب الله على أذنه معهم فدخل الناس فوجدوا أجساما لا ينكرون منها شيئا وكأنهم مستيقظون يكلمونهم غير أنها بغير أرواح فقال لهم الملك هذه آية الله اليكم فبنوا عليهم مسجدا يصلون فيه (قوله لعظم محنتي) لعظم بليتي (لم) من اللوم (مل) من الملل (كبر) عظم الكبير وقدمه على نفسك (يرب) يصلح (بر) أكرم (ينم) يزيد خيره وترتفع منزلته ونمى الشيء ينمي وينمو نماء ونموا ونميا زاد قال الاصمعي نميت حديث فلان الى فلان أنميه اذا بلغته على وجه الاصلاح وطلب الخير وفي الحديث فقال خيرا أو نمى خيرا أي أبلغ خيرا أو رفعه وكل شيء رفعته فقد نميته ورواية ابن ظفر من يرب اذا بر ينم أي اذا كان البر من الناس يمشي بالنميمة فمن يرب فعلا جميلا ويصلحه (تكس) تكن كيسا والكيس الناقد في أموره وقيل العاقل (أفضت) وصلت (النوبة) الدولة (السمط) الخيط يعقد فيه اللؤلؤ (يصوغ) يصنع (يثري ويعسر) أي يستغني ويفتقر أي يكثر له الكلام مرة ويقل أخرى (وفي ضمن ذلك) أي في أثنائه وفي مدته (أستطعم) اطلب طعاما هذا أصله وتقول أطعمت القاري اذا وقف ففتحت عليه وأفتيته واستطعم هو اذا استدعى ذلك * علي رضي الله عنه اذا استطعم الامام فأطعموه أي اذا ارتج عليه فافتحوا له (ركد النسيم) سكنت الريح يعني كلامه (حصحص) تبين (التسليم) الانقياد أي انقدت للعجز عن الاتيان بها (المقام) الموقف (العقام) الشديد الذي لا يؤثر فيه الدواء بمنزلة الرحم العقيم التي لا تؤثر فيها النطفة فلا تلد (اياس) تقدم ذكره و (اليأس) ضد الطمع * ولما ذكرنا اياسا ويأسا نذكر فصلا ذكره في الدرة على اللفظتين قال ويقولون أشرف فلان على الاياس من طلبه فيهمون كما وهم أبو سعيد السكري وكان من جملة النحويين وأعلام العلماء المذكورين فقال ان اياسا سمي بالمصدر من

في القاموس وأصحاب الكهف مكسلمينا امليخا مرطوكش نوالس سانيوس بطنيوس كشفوطط أو مليخا مكسلمينا مرطوس نوانس أربطانس أونوس كند سلططنوس ومكسلمينا مليخا مرطونس بنيونس ساريونس كفشطيوس ذونواس* أو مكسلمينا أمليخا مرطونس يوانس ساربنوس بطنيوس كشفوطط ومكسلمينا عليخا مرطونس بنيونس دوانوانس كشفيطط نونس اه

٣ وقوله وهو اغردون الخ هكذا في النسخ التي بايدينا وليحرر اه مصححه

أيس وليس كذلك وانما اياس عند المحققين مصدر آسيته أى أعطيته والمصدر منه الاوس ومنه المواساة فكأنهم سموا اياسا بمعنى تسميتهم عطاء ووجه الكلام أن يقال أشرف على اليأس لان أصل الفعل منه يئس على فعل قال الله تعالى قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور فأما أيس بتقديم الهمزة فمقلوب من يئس واستدل شيخنا أبو القاسم بن المفضل النحوى على صحة ذلك بأن لفظة يئس تساوى لفظة اليأس الذى هو الاصل فى نظم الصيغة فتكون الياء مبدوأ بها والهمزة مثنى بها بخلاف تنزلهما فى أيس فلهذا حكم على أيس انها مقلوبة من يئس والمقلوب لا يتصرف تصرف الاصل ولا يكون له مصدر (نفيض) نندفع بالكلام (المعترى) القاصد (يلحظنا) ينظرنا بطرف عينه استحقارا منه لنا (المزدرى) المحتقر (يؤلف) يجمع (الدرر) جواهر الكلام (عثر) اطلع (اقتضاحنا) اشتهارنا بالعجز (نضوب ضحضاحنا) جفوف مائنا القليل (الاستيلاد) طلب الولد يقول ان من تعب النفس طلب فائدة من ذهن كليل وقريحة جامدة (نابك) نزل بك (تنتر) تقول نثرا (لذ) استتر به والجأ اليه (مؤمل) مرجو لفعل الخير (لم) جمع المال (بذل) تكرم على غيره وهذا اللفظ من المعكوس فى الترديع فاطلك بهذا النظم الرفيع الذى أردفه عليه فانه من أشرف حسناته رحمه الله (قوله أس) أعط والاوس العطية (أرملا) فقيرا أفنى زاده (عرا) قصد (ارع) احفظ الصحبة (أسا) أتى بسوء وأصله الهمز أساء فسهل الهمزة يقول ان قصدك فقير فصله وان أخطأ عليك صاحب فلا تقطعه وارع حق الصحبة ويقال المرء بالهمز والمر بلا همز وبترك الهمز يستقيم الانعكاس فى بيت الحريرى ويقال المرة قال دعبل

واحفظ عشيرتك الادنين ان لهم * حقا يفرق بين الزوج والمرة

وهذا البيت الذى فسرناه وما بعده من الابيات تقرؤه ان شئت من أوله وان شئت من آخره وجعل هذا النمط فى عكس الحروف توطئة لما يذكر فى المقامة بعد هذا فى الرسالة القهقرية من عكس ألفاظها من أولها الى آخرها الا أن ذلك العكس بالالفاظ وهذا بالحروف وكلاهما غاية فى بابه وانما يذكر الادباء هذا استملاحا فى كلامهم وامتحانا لخواطرهم * ونريد أن نذكر هنا فصلا مما يوافقه أو يقاربه على ما شرطناه فى ذلك أن بعض الادباء اتهم صاحبا له بسعاية فى جانبه فكتب اليه فى المجلس ساءك ثم فنظره الذى وشى به فكتب اليه صحفه واقلب فهو والله ما نطق به على لسانك من بغيك وعدوانك وهو مقلوب مصحف منك أتيت فتصاحكا وتصافيا * وكتب بعضهم الى خازن السلطان

قد أقبل الشهر واقباله * يأتى بما أجرى ترتيبه

فوجه البر ومقلوبه * يجزيك عن برك مقلوبه

وكتب بعض الظرفاء الى صاحب له وهو مقلوب مصحف ظبى سراب خشن فاذا قرأته على الولاء من آخره بعد القلب والتصحيف جاء منه حسن شراب طيب * ومن أنواع المعميات التصحيف ومثاله ان ابراهيم بن المهدى كتب الى اسحق الموصلى لا يرتج مثل الاسنة فكتب اليه اسحق لا يرث جميل الا بثينة وقال أبو الجهم بن الانبارى للحسن بن وهب ما تصحيف كانى بيمينك فبعنى بجبتين فقال كل شئ منك فى عينى حسن وغاب صديق عن صديق له فلما لقيه قال له عن تعبى بخاو به زرعنا برذ اذ حبا فالاول قال غبت عنى والثانى قال زرعنا ترداد حبا وذكر فى بعض مجالس الادب التصحيف فقال فتى شاب أنا ابن بجدته فقال بعضهم ما تصحيف نعت نخشى فقال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه فاتهمه شاعر من بلنسية فقال ما تصحيف بلنسية فأطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فقال له البلنسى صدق ظنى انك تتحمل ما تقول وبحك والفتى يضحك فقال له اشعر فانك شاعر فقال وأى نسبة بين أربعة أشهر وبلنسية فقام وهو يقول هو ذاك ثم تنبه بعد انصراف الفتى بعض من حضر فنظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل المازح ومضى الى دار الفتى معتذرا كتب بعض وزراء ابن عباد

نفيض فى استصعابها واستغلاق بابها وذلك الزور المعترى يلحظنا لحظ المزدرى ويؤلف الدرر ونحن لا ندرى فلما عثر على اقتضاحنا ونضوب ضحضاحنا قال يا قوم ان من العناء العظيم استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق كل ذى علم عليم ثم أقبل على وقال سأنوب منابك وأكفيك ما نابك فان شئت أن تنثر ولا تعثر فقل مخاطبا لمن ذم البخل وأكثر العذل لذ بكل مؤمل اذا لم ومالك بذل وان أحببت أن تنظم فقل للذى تعظم

اس أرملا اذا عرا

وارع اذا المرء أسا

اليه يتسخط الاخوان هذا البيت

واذا اصفالك من زمانك واحد * فهو المراد وأين ذاك الواحد

فوقع فى الكتاب وأين ذاك الواحد صحف تعرف فلما قرأه الوزير طار سرورا ومثل بالبساط فلثمه بين يديه وانما صحف وأين نجاء منه وأنت فرد عليه من كلامه أبلغ جواب * ومن ملح ابن عباد فى التصحيف أنه خرج فى جملة وزرائه الادباء فاجتازوا باشبيلية بالموضع الذى يباع فيه الجير والجبس فلقى هنالك جارية من أحسن الناس وأقلهم حياء فأقبل ابن عباد على ابن عمار وقال يا ابن عمار الجيارين فقال ابن عمار يا مولاى والجباسين فعلم من حضر أنهما لم يريدا أن يعرف كل واحد منهما صاحبه بما ذكر فبحثوا عن مراده ما فلم يعرفوه فسألوا ابن عمار فقال له ابن عباد لا تبعها منهم الاغالية ثم ان ابن عمار اخبرهم أن ابن عباد أعجبه حسن الجاريه وما بها بقلة الحياء فصحف الجيارين فجاء منه الحبازين وصحفت أنا الجباسين فجاء منه الخناشين فاستغربوا حضور أذهانهما وحسن كنايتهما أين هذه الاذهان من رجل مغفل كان له ابن يسمى حسنا مسافرا فاستفتح المصحف يتفاءل له فى القدوم فخرج له وحسن مآب فترك النيام من هذا اللفظ لما آب الفتى سالما وقال تصحيف حسن مآب حسن مات فاستدعى أم الفتى وخدمه ونعاه لهن فاقمن مناحة وجاء الجيران والقرابة يتطلعون حادثتهم فهو يخبرهم بما تصحفه والفتى داخل قد أقبل فى أغبط حال وأسرها فاستحمق وصار مثلا (قوله أسند أضفه اليك وقربه منك (نباهة) رفعة (أبن) باعد (دنس) عيب يقول صاحب من يشرفك بذكره الجميل وباعد من يدنس عرضك وتعاب به وقد قيل الصاحب رقعة فى الثوب فلينظر الانسان ما يرقع به ثوبه قال ابن رشيق

أسند أخا نباهة
ابن اخاء دنسا

اصحب ذوى القدر واستعذ بهم * وعد عن كل ساقط سفله

فصاحب المرء شاهد ثقة * يقضى به غائبا عليه وله

ورقعة الثوب حين تلبسه * شهرته أو تكون مشكله

وفى الحديث الانفس أجناد مجندة وانها لتشام فى الهوى كتشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ونظم هذا الحديث أبو نواس فقال

ان القلوب لأجناد مجندة * لله فى الارض بالأهواء تعترف

فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منه فهو مختلف

(وقال طرفة أو عدى بن زيد)

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتدى

(وقال أبو العتاهيه)

اصحب ذوى الفضل وأهل الدين * فالمرء منسوب الى القرين

وقال الخالدى

واذا أردت ترى فضيلة صاحب * فانظر بعين البحث من ندمانه

فالمرء مطوى على علاته * طى الكتاب وصحبه عنوانه

ومما روى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه

فلا تصحب أخا السوء * واياك واياه

فكم من جاهل أودى * حليما حين آخاه

يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ماشاه

وفى الناس من الناس * مقاييس وأشباه

وفى العين غنى للعين * أن تنطق أفواه

والقلب على القلب * دليل حين يلقاه

وقال ابن رشيق اخـتر لنفسك من تعا * دى كاختيارك من تصادق

ان العدوّ أخو الصديـ * ـق وان تخالفت الطرائق

(قوله اسل جناب غاشم) يريد جانب منزل ظالم ولا تقر به وساوت يتعدى بعن وبنفسه تقول ساوت عنه وساوته وسليته وقال الاسود بن يعفر

فأقسمت لا أشربه حتى يملى * بشئ ولا أسليه حتى يفارقا

(قوله مشاغب) مسارع للشر (هب) تحرك (مرا) جدالا ومعنى (اسر) اكشف وأزل يقول اذا تعلق بك وهب عليك جدال من صاحب فاكشفه عن نفسك بالمناصحة وباعد المراء وتقول سريت الثوب عنى وسريته اذا كشفته قال ابن هرمة * سرى ثوبه عنى السرى المتصامل * ومنه سرّى عن الرجل أى كشف عنه ما كان يجده من الغم والغضب وقد يكون معنى اسر باعد وفارق من السرى وهو سير الليل فيقول فارق موضع الجدال وباعده (رسا) ثبت أى اذا سكن الخلاف بين القوم فارم أنت به واتركه وروى اسر بالضم أى كن سريا أى سيدا اذا امر وأنه اذا هاج الجدال بين القوم فباعده وقال سابق البربرى

لا تنفعن بلجوجا حين تزجره * ان اللجوج له فى المال اغراء

وأغض فى حسن عفو عن نوادره * فالحرفيه عن الآفات اغضاء

والمراء مدافعة الحق وترك الانقياد لما ظهر منه وقد يستعمل بمعنى الجدال فمن جادل ليظهر باطلا بجداله محظور وفى الحديث من ترك الجدال محقا بنى الله له بيتا فى الجنة وقال ميمون بن مهران لا تمار من هو أعلم منك انه يخترن عنك علمه ولم تضره شيأ وقال لقمان لابنه من لا يملك لسانه يندم ومن يكثر المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم يا بنى لا تمار العلماء فيمقتوك وقال مالك بن أنس رضى الله عنه المراء يقسى القلوب ويورث الضغائن وقال بلال بن سعد اذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا بنفسه فقد تمت خسارته ولمسعر بن كدام يخاطب ابنه

انى منحتك يا كدام نصيحتى * فاسمع لقول أب عليك شفيق

أما المزاحة والمراء فدعهما * خلقان لا أرضاهما لصديق

انى بلوتهما فلم أحترهما * لمجاور جارا ولا لرفيق

(قوله اسكن) الزم السكون والوقار (تقو) أراد تتقوى (يسعف) يساعد ويوافق (نكس) قصر بك يقول لا تبادر الى الجدال والزم السكون حتى يتقوى نظرك ويظهر لك صوابك فعسى يوافقك على الاصابة بحسن التدبير وقت كان يصرفك عن الصواب لو التزمت الجدال ومن أعاجيب ابن الرومى قوله فى ذم الجدال

لا أولى الجدال اذا غدا والجد الهم * حجج تضل عن الهدى وتجور

وهى كآنية الزجاج تصادمت * فهوت وكل كاسر مكسور

فالقاتل المقتول ثم لوهنه * ولضعفه والآسر المأسور

وقال من شعر يمازح صديقا له

لكن فى الشيخ غريزة * يخاصم الله بها فى القدر

ما كان لم كان ومالم يكن * لم لم يكن فهو (؟) كيل البشر

(قوله سحرنا) تركنا مسحورين (بآياته) بعجائبه يقال ان فلانا آية من الآيات أى عجب من العجائب (حسرنا) قطعنا وأكللنا و (الغاية) الطلق يريد انا كللنا فى الغايات التى يجرى فيها لبعدها ويريد اتساعه فى الكلام (استعفى) قال عافونى منه (منحناه) أعطيناه (استكفى) قال يكفينى (ازدفر) حمله على

اسل جناب غاشم
مشاغب ان جلسا
اسر اذا هب مرا
وارم به اذا رسا
اسكن تقوى فعسى
يسعف وقت نكسا
قال فلما سحرنا بآياته
وحسرنا ببعد غاياته مدحناه
حتى استعفى ومنحناه الى
ان استكفى ثم شمر ثيابه
وازدفر

﴿ذكر المراء والجدال وما يتولد منهما﴾

ولا توغلن اذا ماسبحت
فان السلامة فى الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف
وبع آجلا منك بالعاجل
ولا تكثرن على صاحب
فما مل قط سوى الواصل

(الحابل) الصائد (توغلن) تكثرن الدخول (سبحت) عمت (الساحل) ماولى الماء من الارض وهو فاعل بمعنى مفعول لان الماء سحله أى قشره وأخذ عشبه كما تسحل الحديدة بالمبرد أى تبرد بالمبرد والسحالة ماسقط من المسحول (وخاطب بهات) عكس قول الصاحب وقد أهدى اليه العميدى قاضى قزوين هديه وكتب معها

العميدى عبد كافى الكفاة * وان اعتدّ فى وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب * مفعمات من حسنها مترعات

(فوقع تحتها)

قد قبلنا من الجميع كتابا * ورددنا لوقتنا الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعى * قول خذ ليس مذهبى قول هات

(قوله آجلا) ضد عاجل وقوله (ولا تكثرن على صاحب) أى لا تكثر من الزيارة وأقللها خشية الملال وروى قدامة بن جعفر أن رجلا كتب الى آخر ان رأيت ان تجدد لى موعد الزيارة ترك أو قته الى وقت رؤيتك فيؤنسنى الى حين فافعل فأجابه الآخر أخاف أن أعدك وعدا يعرض دون الوفاء به ما لا أملك دفعه فتكون الحسرة أعظم من الفرقة فأجابه المبتدى انما أسر بوعدك وأكون دلالا بنظارك فان عاق عائق عن انجاز وعدك كنت قد بحت السرور لما أحبه وأبدت أجرت على الحسرة بما حرمته ولبعضهم

أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

ومما جاء فى قصر الزيارة قول أبى الشيص

ياحبذا الزور الذى زارا * كأنه مقتبس نارا
نفسى فداء لك من زائر * ما حل حتى قيل قد سارا
مر بباب الدار واجتازها * ياليته لو دخل الدارا

(وأنشد الحاتمى والوليمى لحظة)

بأبى من زارنى مكتتما * خائفا من كل حس جزعا
حذرا دل عليه نوره * كيف يخفى الليل بدرا طلعا
رصد الخلوة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا
كابد الاهوال فى زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

(وقال العباس بن الاحنف)

سألونا عن حالنا كيف أنتم * فقرنا وداعهم بالسؤال
ما أناخوا حتى ارتحلنا فما نفرق بين النزول والترحال

(وقال محمد بن أمية الكاتب)

يا فراقا أتى بعقب فراق * واتفاقا جرى بغير اتفاق
حين حطت ركابهم لتلاق * زمت العيس منهم لانطلاق
ان نفسى بالشأم اذ أنت فيها * ليس نفسى نفسى التى بالعراق
اشتهى أن ترى فؤادى فتدرى * كيف وجدى بهم وكيف احتراقى

ومن الزوار طيف الخيال وهو فى الشعر الجاهلى والمولد كثير وسنذكر منه شيأ يستحسن ان شاء الله تعالى قال قيس بن الخطيم

انى سربت وكنت غير سروب * ومقرب الاحلام غير قريب
ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه * فى النوم غير مصرد محسوب

(وقال أبو الفرج الكاتب)

خيالك كان أعرف بالغرام * وأرأف بالمحب المستهام

فلو يسطيع حين حضرت نومى * لكان يزورنى غير المنام

وقال الرضى

وزور زارنى والليل داج * فهلا بباطل ذاك حينا

يرينى أنه يأتى وسادى * مضاجعة وزور ما يرينا

نعمت بباطل ويود قلبى * ودادا لو يكون لنا يقينا

وقال أيضا

وزور تخطى جنوب الملا * فناديت أهلا بذا الزائر

أتى فى هدو وعين الرقيب * مطروفة بالكرى العاثر

وأحبب به يسعف الهاجعين * وتحرمه مقلة الساهر

ويهدى بتمويه عين المحب * نعم على قلبه الطائر

فلما التقينا رغم الرقا * دمسوه قلبى على طائر

قال الرضى قلت هذه الابيات سنة سبع وثمانين وثلثمائة وتداول أهل الادب انشادها واستغربوا هذا المعنى وشهدوا أنه مخترع لم يسمع فلما تصفحت ديوان شعر أبى سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وجدت بخطه فى الجزء الثانى من شعره

ان طيف الخيال زار طروقا * والمطايا بين العناق وشعب

زارنى واصلا على غير وعد * وانثنى هاجرا على غير ذنب

كان قلبى اليه رائد عينى * فعلى العين منة للقلب

كان عندى أن الغرور بطرفى * فاذا ذلك الغرور بقلبى

فلا أدرى هل قصد نظمها حتى لا يخلى شعره من هذا المعنى أو أنسى سماعه منى وقذف به خاطره وكثيرا ما يلحق الشعراء ذلك فيتواردون فى بعض المعانى المسبوق اليها وقد كانوا سمعوها فأنسوها والخواطر مشتركة والمعانى معترضة لكل خاطر وكيفما اجرى الامر فالعنصر واحد (قوله اخزنها فى تامورك) أى اجعلها فى قلبك والتامور حجاب القلب وقيل دم القلب (كلاءة) حفظ وكلأه يكلؤه حفظه (الخرافات) أحاديث اللهو والاباطيل قال الخليل الخرافة الحديث المستملح فى الكذب أبو عبيدة كان خرافة رجلا صالحا استهوته الجن فرأى منهم عجائب فحدث بها فيقال فى كل حديث يستغرب كأنه حديث خرافة (ألغى) أترك (احترامى) تحفظى (الهوس) يبس الرأس يتولد من كثرة السهر (نحوى) معنى (نكره) مكره ودهاؤه (تلاومنا) لام بعضنا بعضا (الاغترار) الانخداع (افكه) كذبه (باسرة) عابسة وبسر وجهه بسورا عبسه (وصفقة خاسرة) أى تجارة ومبايعة ناقصة

شرح المقامة السابعة عشرة القهقرية

(لحظت) نظرت (مطارح) جمع مطرح وهو الموضع تطرح فيه نفسك أى ترميها فيه (البين) الفراق فيريد بمطارح البين البلاد التى طرحه فيها البين ورماه اليها و (مطامح العين) المواضع الحسان التى تطمح فيها العين بالنظر أى ترتفع اليها (سيما الحجا) علامة العقل والسيما من وسمت الشئ وسما اذا علمته وأصله وسمى تحولت الواو من موضع الفاء الى العين فصار سومى فقلبت الواو ياء لكسرة ماقبلها (طلاوة) حسن (الدجا) الظلمة (المماراة) الخصام (مشتدة) كبيرة الحركة و(الشد) الجرى (الهبوب) مجئ الريح (مباراة) معارضة (مشتطة) ممتدة متجاوزة الحد (الالهوب) الجرى الشديد واراد ان حركة الكلام بينهم فى المناظرة شديدة و (المحاضرة) مجالسة العلماء (مناظرة) سؤال العالم لتعلم حسن نظره وقدر معرفته (جناها) فوائدها (رهطهم) جماعتهم (انتظمت فى سمطهم) أى جلست بينهم (يبلى فى الهيجاء) يقاتل فى الحروب (النظارة) القوم يقعدون فى موضع مرتفع من الارض ينظرون منه القتال ولا يشهدونه فأراد أنى ممن يحضر معكم للاستماع لا للمناظرة (الحجاج) مصدر حاججته تقول حاججت فلانا اذا أوردت عليه الحجة وأوردها عليك فأن

ثم قال اخزنها فى تامورك واقتدبها فى أمورك وبادر الى صحبك فى كلاءة ربك فاذا بلغتهم فابلغهم تحيتى واتل عليهم وصيتى وقل لهم عنى ان السهر فى الخرافات لمن اعظم الآفات ولست آلفى احترامى ولا اجلب الهوس الى راسى (قال الراوى) فلما وقفنا على نحوى شعره واطلعنا على نكره ومكره تلاومنا على تركه والاغترار بافكه ثم تفرقنا بوجوه باسره وصفقة خاسره

المقامة السابعة عشرة القهقرية

حدث الحرث بن همام قال لحظت فى بعض مطارح البين ومطامح العين فتية عليهم سيما الحجا وطلاوة نجوم الدجا وهم فى مماراة مشتدة الهبوب ومباراة مشتطة الالهوب فهزنى لقصدهم هوى المحاضرة واستحلاء جنى المناظرة فلما التحقت برهطهم وانتظمت فى سمطهم قالوا أأنت ممن يبلى فى الهيجاء ويلقى دلوه فى الدلاء فقلت بل أنا من نظارة الحرب لا من أبناء الطعن والضرب فأضربوا عن حجاجى

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالكا

وأتى الشافعي رضي الله عنه مسجدا فصادف قوما يغتابونه فسد الباب وقال

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

وقال الشاعر ثالبني عمرو وثالبته * فأثم المثلوب والثالب

قلت له خيرا وقال الخنى * كل على صاحبه كاذب

(قوله العثرات) السقطات (يدحض) يبطل يريد أن البحث عن عيوب الصاحب يبطل مودته * أبو بردة الاسلمي رضي الله عنه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تذموا الناس ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يلتمس عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في بطن بيته وقال سابق البربري

اذا ما كنت طالب كل ذنب * ولم تحلل أخاك عن العتاب

تباعد من تباعد بعد قرب * وصار بك الزمان الى اجتناب

وقال عبد الله بن جعفر عليك بصحبة من ان صحبته زانك وان غبت عنه صانك وان احتجت اليه مانك وان رأى منك خلة سدها أو حسنة عدها وقال الحسن بن وهب من حقوق المودة أخذ عفو الاخوان والاغضاء عن تقصير ان كان وقيل خير الاخوان من اذا نسيت ذنبك لم يقرعك به ومعروفه عندك لم يمن عليك به وقال الشاعر

اذا شئت أن تدعى كريما مهذبا * سنيا مريا ماجدا فطناحرا

اذا ما بدت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

(قوله خلوص النية) صفاؤها أي من أخلص لك النية فكأنه قد أعطاك خالص ماله والخلاصة ما خلص من الشئ وصفا (النوال) العطاء (الكلف) المشقات (يسنى) يسهل (المؤنة) خدمة الضيف وما ينفق عليه يقول من تيقن أن الله يعينه على البر وما ينوبه من الحقوق سهل عليه تكلف المؤن وهو من قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه وان لم يقم بتلك النعمة عرض النعمة للزوال وأما معكوس ما قبله وهو تيقن الخلف يسهل التكلف فمن قوله صلى الله عليه وسلم من أيقن بالخلف جاد بالعطية قال محمود الوراق

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

وقالوا للمعروف ثلاث خصال تعجيله وتيسيره وستره فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وسقط منه الشكر (قوله الفضل) هو الزيادة على قدر الحاجة (الصدر) هو المتقدم في الامور مثل وال وسيد القوم يقول من يتصدر لامور الناس فقضله وشرفه سعة خلقه (الرعاة) الولاة (مقت السعاة) بغض العمال الذين يجمعون الزكاة والسعاة أيضا المشاؤن بالنميمة للملوك فيقول زين الملوك بغض العمال الذين جرت العادة في قديم الزمان وحديثه بظلمهم الناس فاذا أبغضوهم بحثوا على أعمالهم الفاسدة فخافوهم فعدلوا وأما بغض المشائين بالنميمة للملوك فواجب لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلث قيل ومن المثلث يا رسول الله قال الذي يسعى بصاحبه الى سلطان فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه (قوله بث) أي نشر (المنائح) العطايا يقول جزاء المدح بذل المال وأصل المنائح بذل فوائد الاموال لا الاموال (مهر) حق (الوسائل) القرب والوسيلة ما تجعله سببا بينك وبين من تريد الوصول اليه مثل الشفيع والهدية في قضاء حاجتك (المسائل) جمع مسئلة وهي هنا سؤال المحتاج (والمجلبة) مفعلة من الجلب والمعنى في الوسيلة قضاء الحاجة (الغواية) الضلالة (استغراق) فتجاوز الحد (الحد) الاول الفصل بين الشيئين وأصله المنع والحد الآخر حد السيف

العثرات يدحض المودات وخلوص النية خلاصة العطية وتهنئة النوال غنى السؤال وتكلف الكلف يسهل الخلف وتيقن المعونة يسني المؤنة وفضل الصدر سعة الصدر وزينة الرعاة مقت السعاة وجزاء المدائح بث المنائح ومهر الوسائل تشفيع المسائل ومجلبة الغواية استغراق الغاية وتجاوز الحد

وشبهه

وشبهه (يكل) يضعف (تعدى) تجاوز (يحبط) يفسد (ينشئ العقوق) يظهر المقاطعة (تحاشى) ترك واعتزال (الريب) التهم (الرتب) المنازل الرفيعة قال بعض الحكماء ثلاثة لا غربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى ونظمها الشاعر فقال

يزين الغريب اذا ما اغترب * ثلاث فمنهن حسن الادب
وثانيه حسن اخلاقه * وثالثهن اجتناب الريب

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه لدهقان بعض ملوك العجم بم ينبل الرجل عندكم قال بترك الكذب فانه لا يشرف الا من وثق بقوله وبقيامه بأهله فانه لا ينبل من يحتاج أهله الى غيره وبمجانبة الريب فانه لا يعز من لا يأمن أن يصادف على سوأة وبالقيام بحاجات الناس فانه من رجى الفرج لديه كثرت غاشيته (قوله ارتفاع الاخطار) أى شرف الاقدار والقيم (اقتحام) دخول شديد يقال فلان يقتحم فى الامور أى يدخل فيها بغير تثبت ولا روية وتقحمت الناقة اذا ندت فلم يمسكها راكبها ومنه قحمة العرب سميت قحمة لانهم اذا أجدبوا تركوا البادية ودخلوا الريف (الاخطار) جمع خطر وهو الغرر (تنوه) ترفع (مواتاة) موافقة (الاقدار) الاول جمع قدر الانسان أى منزلته والاقدار الثانى جمع قدر الله تعالى وقال الشاعر

الجد أنهض بالفتى من عقله * فانهض بجد فى الحوادث أوذر
ما أقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها اذا لم تقدر

(تقصير الآمال) تقليل الرجاء وكفه ومن قلل الطمع شرف عمله (الفكرة) التدبير (تنقيح) تخليص وأصله ان تشذب العقد من العود أو القصب حتى يستوى موضعها مع القصب قال الشاعر

وطارت بصلب قوّضت عنه بيتها * له أبن ما قوّضت وكعوب

سلب عمود البيت جذبته المرأة لتضربه به فتهدم بيتها (تهذب تخلص) والمهذب المخلص من العيوب و(السياسة) حسن المداراة و(اللجاجة) ركوب الرأس فى الباطل (تلفى) توجد ويروى تلغى وتلقى ومعناهما تترك وتطرح و(الحاجة) ما يحتاج اليه فان عكست رجعت الحاجة الفقر يريد اذا لججت فى شئ أدركت حاجتك وعلى تلفى اذا وقعت بلجة فى حاجتك تركت وعلى العكس من افتقر لج فى السؤال حتى يعطى (الاوجال) جمع وجل وهو الفزع والمعنى ان تفاضل الرجال فى الصبر عند النوازل * سلمان رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرا من ألف مثله الا الانسان وقال الشاعر

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا * الى الخير حتى عد ألف بواحد

وفى عكسه يقول الامور المخوفة تصغر على العظيم وتعظم على الصغير فعلى قدر ما يفضل الرجل صاحبه فى عزمه واقدامه تتزايد الاوجال وتنتقص وقد قال المتنبى

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها * وتصغر فى عين العظيم العظائم

(الهمم) جمع همة (تتفاوت) تتباعد ما بينها (القيم) المنازل (السفير) الرسول (يهن) يضعف والمعنى ان السفير اذا تعدى فزاد فى الحديث ضعف التدبير ولو عكست لقلت ان تدبير المرسل اذا اختل ضعف السفير وان كان حازما وعلى هذا أنشدوا

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه
وان ناصح منك يوما دنا * فلا تنأ عنه ولا تقصه
وان باب أمر عليك التوى * فشاور لبيبا ولا تعصه
وذو الحق لا تنتقص حقه * فان القطيعة فى نقصه
ولا تحرصن فرب امرئ * حريص مضاع على حرصه

يكل الحد وتعدى الادب يحبط القرب وتناسى الحقوق ينشئ العقوق وتحاشى الريب برفع الرتب وارتفاع الاخطار باقتحام الاخطار وتنوّه الاقدار بمواتاة الاقدار وشرف الاعمال فى تقصير الآمال واطالة الفكرة تنقيح الحكمة ورأس الرياسة تهذب السياسة ومع اللجاجة تلفى الحاجة وعند الاوجال تتفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتزيد السفير يهن

التدبير وبخلل الاحوال
تتبين الاهوال وبوجب
الصبر ثمرة النصر واستحقاق
الاحماد بحسب الاجتهاد
ووجوب الملاحظة كفاء
المحافظة وصفاء الموالى
بتعهد الموالى وتحلى
المروآت بحفظ الامانات
واختبار الاخوان بتخفيف
الاحزان ودفع الاعداء
بكف الاوداء وامتحان
العقلاء بمقارنة الجهلاء
وتبصر العواقب يؤمن
المعاطب واتقاء الشنعة
بنشر السمعة وقبح الجفاء
ينافى الوفاء وجوهر
الاحرار عند الاسرار
ثم قال هذه مائتا لفظة
تحتوى على أدب وعظة
فمن ساقها هذا المساق
فلا مراء ولا اشقاق ومن
رام عكس قالبها وان
يردها على عقبها فليقل
الاسرار عند الاحرار
وجوهر الوفاء ينافى الجفاء
وقبح السمعة بنشر الشنعة
ثم على هذا المسحب
فليسحبها ولا يرهبها حتى
تكون خاتمة فقرها وآخرة
دررها ورب الاحسان
صنيعة الانسان

(قوله خلل) فساد و (الاحماد) ان تجد الرجل محمودا و (الاجتهاد) بلوغ الجهد وهو أقصى الطاقة والمعنى أن الرجل يستحق أن يكون محمودا بحسب مابذل من اجتهاده وطاقته ولو عكست لقلت الاجتهاد واجب عليك فيما كلفته بحسب احمادك من كلفك (الملاحظة) النظر بمؤخر العين (المحافظة) التحرز والمعنى انك اذا أوجبت ملاحظة حال المحافظ لك ففعلك ذلك كفاء محافظته وان عكست قلت ان المحافظ لك اذا صفت محافظته فهى كفاء ملاحظتك له (الموالى) الذى يوالى الخير والكرم أى يفعل المرة بعد المرة (تعهد) تفقد (الموالى) بنو العم وقيل الموالى من والاك بعتق أو بحلف أو بصحبة فكل واحد منهما مولى للآخر والموالى بالضم الفاعل والمعنى اذا تعاهدت من والاك بما أوجبه ولاؤه من رعايته صفت مودته لك وان عكست قلت ان الموالى يتعهدون من والاهم والصحيح فى هذا الموضع ان الموالى الذى يوليك وده والموالى العبيد والاتباع وسألنى الاستاذ المقرى الحاج ابن السقاط فى هذا الموضع فأجبت بما تقدم فقال لى معنى هذا الموضع غائب عمن لا يعرف سيرة أهل المشرق وذلك ان الرجل الشريف حين يصبح عندهم يأمر مواليه ان يقصدوا نظراءه من الاشراف والاعيان فيأتون باب الشريف فيستأذنون عليه ويدخلون اليه ويقولون له ينعم مولانا صباحك ثم يسألونه عن حاله وعما حدث عنده ثم يفعلون كذلك بجميع أصحاب مولاهم وكذلك يفعل موالى ذلك المقصود فى قصد نظراء مولاهم فتنضبط بذلك عندهم الرعايات بين الاصدقاء والاقارب وتتزايد المودات بين الاولياء والاجانب فعلى هذا المعنى يقول فى تعهد الموالى وهو حسن ان شاء الله تعالى (قوله تحلى) أى تزين (المروآت) تقدمت (وتخفيف الاحزان) تهوين الطوارئ والنوازل (الاوداء) الاحباب يريد أنهم يكفون الاعداء وروايةابن ظفر دفع العداء وأنكر الاعداء وقال العداء بالفتح والمد الظلم (امتحان) اختبار يقول انما يتبين لك العاقل بمقارنته وبمصاحبته الجاهل لانه لا يوافقه وان عكست قلت الجاهل اذا صحب العاقل تبصر واتقى جهله وقالوا اذا أردت ان تفحم عالما فأحضره جاهلا وقال الشاعر

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

وقال صلى الله عليه وسلم ويل لعالم أمر من جاهله وجاء كيسان الى الخليل يسأله ففكر ليجيبه فلما استفتح الكلام قال له لا أدرى ما تقول فقال الخليل

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى * أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى * وعلمت انك جاهل فعذرتكا

(تبصر العواقب) امعان النظر فى عاقبة الامور و (المعاطب) المهالك يريد من نظر فى عاقبة أمره أمن ما يحذر (الشنعة) الفعل القبيح ينشر ذكره (السمعة) الذكر الجميل يسمع عنك أو القبيح فينتشر فى الناس (الجفاء) سوء الادب وثقل الكلام و (ينافى) يباعد (الوفاء) ضد الغدر (تحتوى) تشتمل (عظة) موعظة (المراء والشقاق) معناهما الخلاف والعكس رد أول الكلام على آخره وهو الرد على العقب كما ذكره وهو معنى القهقرة الذى سمى به المقامة ولذلك لم ينسبها الى بلد والقهقرة رجوع الرجل عنك كما جاء عليك وذلك ان يرجع الى خلف وهو يستقبلك بوجهه وهو الرد على العقب وذلك أن الرجل اذا توجه مقبلا اليك فانما يقدم فى مشيه اليك صدور قدميه واذا تقهقر قدم فى مشيه عقبيه وأصل القهقر الحجر المدحرج فاذا ضربته تدحرج فى جريه حتى يستقر فاذا أردت أن يرجع الى الموضع الذى جاء منه ضربته فتدحرج راجعا الى جهة موضعه فشبه رجوع الرجل على ما وصفنا وكذلك هذه الرسالة رجوع آخرها الى أولها مشبه بذلك ولذلك شبه الاعرابى فرسه فى اجتماعه بالحجر فقال محبوك مهملج كما تقهقر الادعج (والمسحب) الطريق الذى تجر فيه الشئ (يسحبها) يجرها (يرهبها) يخفها أى لا يخرج الالفاظ عن طريقها فتختل وذلك ان هذه الرسالة مركبة كلها من مبتدا وخبر

فان وقفت فيها على مبتدا فى أولها أو آخرها أو وسطها فاقرأه مع ما بعده تجده مستقيما واقرأه مع ماقبله تجده كذلك فان وقفت على خبر مبتدا فلا يستقيم مع ما بعده وهو مع ماقبله أبعد فأراد بقوله لا يرهبها الا يبتدئ لفظة بغير مبتدا فتتداعى مبانيها وتبطل معانيها فتفهمه والفقر فى غير الموزون مثل القوافى فى الموزون والفقر مشتقة من فقار الظهر لانها تنقطع على قافيتين أو ثلاثة وهذا هو الفرق بين الفقر والاسجاع اذ الاسجاع كلها ترجع الى قافية واحدة من سجع الحمام وهو لا يختلف ولهذا قال المعرى فى الغراب

أتى وهو طيار الجناح وان شدا * أشاع بما أعيا سطيحا من السجع

وسطيح كاهن وكلامه أسجاع (صدع) كشف وشق (الفريدة) التى لا مثل لها (أملوحته) يريد بها الرسالة والاملوحة الكلام المليح يعجب له السامع و (الانشاء) الكتابة (فلذ) قطع (فلذة) قطعة وأصلها قطعة من كبد البعير قال الشاعر

يكفيه حزة فلذان ألم بها * من الشواء ويروى شربه الغمر

(نيله) عطائه (أرزأ) أنقص (والتلميذ) هنا متعلم العلم ولذلك أبى ان يأخذ منه شيأ وهو فى كل مقامة اذا تعرض للكدية يفرده بالاخذ منه أو يبتدئ التقدير منه وذلك أن الجماعة فى هذه المقامة اشترطوا مناظرته وابن همام شرط أنه من نظارة الحرب أى انما جلس لينظر ويتعلم فلهذا أخذ منهم وتركه وزاده فائدة التنبيه على أنه أبو زيد ولذلك قال له (كن أبا زيد) وكن أتى به بلفظ الامر ومعناه الدعاء وفى الحديث كن أبا ذر وكن أبا خيثمة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى شخصا من بعيد فرجا أن يكون أبا ذر الغفارى فقال كن أبا ذر أى جعلك الله أبا ذر فكان ما رجاه النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك كان اللفظ هنا كان ابن همام لما أعجب بفصاحة صاحب الرسالة تمنى أن يكون أبا زيد لما عهد من فصاحته فقال كن أبا زيد أى جعلك الله أبا زيد الذى عهدت منه الفصاحة متى رأيته فصدق منه امنيته فقال أنا هو الذى تمنيت والدعاء بلفظ الامر كثير فى كلامهم كقوله

* ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى * وقول الآخر * ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم * أى سلمك الله من ربع وجعل صباحك ناعما الفجدى كن أبا زيد أى أنت أبو زيد ومنه كنتم خير أمة أخرجت للناس أى أنتم خير أمة (شحوب) تغير (سحنتك) جلدة وجهك وهيئتك (نضوب) جفوف و (الوجنة) العظم الشاخص تحت العين (قحولى) يبسى (قشف) تغير هيئته بترك النظافة (نحولى) جفوف جسمى (تثريبه) لومه وتعييب فعله والتثريب بالذنب المؤاخذة به وأصله الاختلاط والافساد وانما يقول لا تثريب عليك من قدرفعنا (حولق) قال لا حول ولا قوة الا بالله (استرجع) قال انا لله وانا اليه راجعون (عضبه) أى سيفه القاطع (ليروعنى) ليفزعنى (غربه) حده (استل) أزال (كراه) نومه (مراغما) مذللا (غربه) مجرى دمعه والغرب فيض الدمع (أجالنى) صرفنى ومشانى (الافق) نواحى الارض (أماوى) أقطع (أجوب) اخترق (جو) ناحية (غربة) فعلة من الغروب مثل طلعة من الطلوع (المغرب) المبعد (المتغرب) الملازم للغربة (نواه) سفرته (غربه) بعيده ومن أحسن ماقيل فى تبعيد السفر قول ابن حبيب

سلى هل عمرت القفر وهو سباسب * وغادرت ربعى من ركابى سباسبا
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق * وشرقت حتى قد نسيت المغاربا
خطوبا اذا لاقيتهن رددننى * جريحا كانى قد لقيت الكتائبا

وله أيضا

ما اليوم أول توديعى ولا الثانى * البين أكبر من شوقى واحزانى
دع الفراق فان الدهر ساعده * فصار أملك من روحى بجثمانى
خليفة الخضر من ربع على وطن * فى بلدة فظهور العيس أوطانى

(قال الراوى) فلما صدع برسالته الفريدة وأملوحته المفيدة علمنا كيف يتفاضل الانشاء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ثم اعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة من نيله فأبى قبول فلذتى وقال لست أرزأ تلامذتى فقلت له كن أبا زيد على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال أنا هو على نحولى وقحولى وقشف محولى فأخذت فى تثريبه على تشريقه وتغريبه فحولق واسترجع ثم أنشد من قلب موجع

سل الزمان على عضبه
ليروعنى وأحد غربه
واستل من جفنى كرا
مراغما وأسال غربه
وأجالنى فى الافق اطوى شرقه وأجوب غربه
فبكل جو طلعة
فى كل يوم لى وغربه
وكذا المغرب شخصه
متغرب ونواه غربه

في الشام أهلي وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط اخواني

وما أظن النوى ترضى بما صنعت * حتى تبلغني اقصى خراسان

وقال الحلواني يا نفس ويحك في التغرب ذلة * فتجرعي كأسي هوى وهوان

واذا نزلت بدار قوم دارهم * فلهم عليك تعزز الاوطان

وقال ابن شرف ان ترملك الغربة في معشر * قد جبل الناس على بغضهم

فدارهم مادمت في دارهم * وأرضهم مادمت في أرضهم

قال البستي لا يعدم المرء كابستكن به * وشيعة بين أهليه وأصحابه

ومن نأى عنهم قلت مهابته * كالليث يحقر لما غاب عن غابه

والسابق لهذا المعنى زهير في قوله

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

وفي قوله فقري في بلادك ان قوما * متى يدعوا بلادهم يهونوا

ثم ولي يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن بين متلفت اليه ومتهافت عليه ثم لم نلبث ان حصنا الحبا وتفرقنا أيادي سبا

يقال جاء (يجر عطفيه) اذا جاء رخي البال مبخترا وانما ينظر في عطفيه اذا كان معجبا بنفسه وثاني عطفيه يعني متكبر والعطفان جانبا الثوب والعطاف الرداء والجمع عطف ويقال جاء يجر رجليه اذا جاء مثقلا لا يقدر أن يحمل رجليه (يخطر بيديه) يحركهما عند المشي (متهافت) متساقط من الندم على فراقه (أيادي سبا) يريد في كل طريق ووجهة وسبأ هو أبو قبائل اليمن المتفرقة من سد مأرب الذين مزقهم الله كل ممزق وسمي سبأ لانه أول من سبى السبي وقيل سبأ اسم أمهم ومأرب اسم بلدهم وكانت سبأ من أحسن بلاد الله تعالى وأخصبها وأكثرها شجرا وماء وقد ذكر الله تعالى أنها كانت جنتين عن يمين وشمال وكانت مسيرة شهر في شهر للمجد الراكب يسير في جنان من أولها الى آخرها لا تواجهه الشمس ولا يفارقه الظل مع تدفق الماء وصفاء الهواء واتساع الفضاء فمكثوا ماشاء الله لا يعاندهم ملك الا قصموه وكانت في بدء الزمان تركبها السيول فجمع ملك حمير أهل مملكته فشاورهم في دفع السيل فاجمعوا على حفر مسارب له حتى تؤديه الى البحر فحشد أهل مملكته حتى صرف الماء واتخذ سدا في موضع جريان الماء من الجبال ورصفه بالحجارة والحديد وجعل فيه مجاري للماء في استدارة الذراع يخترقون منها مقدارا معلوما من الماء وشربا مقسوما للارض فاذا جاء السيل تصرف في المجاري الى جناتهم ومزدرعاتهم بتقدير يعمهم نفعه وقيل صنعه لقمان بن عاد وجعله فرسخا في فرسخ وذكر الاعشى في شعره ان حميرا ابتنته فقال

رخام بنته لهم حمير * اذا جاء ماؤهم لم يرم

وأروى الزروع وأعنابهم * على سعة ماؤهم قد قسم

فعاشوا بذلك في غبطة * فخاف بهم جارف منهدم

فلما كفروا بأنعم الله ورأوا أن ملكهم لا يبيده شيء وعبدوا الشمس بعث الله على سدهم فأرة تخرقه وأرسل عليهم السيل وأباد الله خضراءهم ولما انتهى الملك في ولد سبا الى عمرو بن عامر مزيقياء وسمي بذلك لانه كان يمزق في كل ليلة حلة كبرا من أن تعاد عليه أو يلبسها غيره وقيل سمي بذلك لانه مزق الازد في البلاد وكان أخوه عمران كاهنا فأتته كاهنة تدعى ظريفة فاخبرته بدنو فساد السد وفيض السيل وأنذرته فقال لها وما آية ذلك فقالت اذا رأيت جرذا يكثر بيديه الحفر ويقلب برجليه الصخر فاعلم انه قد اقترب الامر فقال وما الامر فقالت وعد من الله ينزل فليغيرنك يا عمرو فلتكثر الشكر فرأى عمرو يوما في السد جرذا يقلب صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع وهو يقول

أبصرت أمرا هاج لي برح السقم * من جرذ كفحل خنزير أجم * له مخاليب وأنياب قضم

أي معوجة فأجمع على الخروج منها وأعمل الحيلة في بيع ماله وأن لا ينكر الناس عليه فقال لابنه

﴿المقامة الثامنة عشرة السنجارية﴾
(حكى الحرث بن همام) قال فقفلت ذات مرة من الشام

انى صانع طعاما وداع اليه أهل مأرب فارددء على ما أقول لك من الحديث ففعل ابنه ذلك ورد عليه بأقبح رد فصاح عمرو واذلاه يجبهنى صبى فحلف أن لا يقيم ببلد ضيم فيه فجعل يبيع أمواله وبعضهم يقول لبعض اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه قبل أن يرضى فلما اجتمعت له أمواله أخبرهم بشأن السيل فاجمعوا على الجلاء فقال لهم عمران أخوه انى أصف لكم بلدانا فاختاروا أيها شئتم فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل غير شرود فليلحق بالشعب من كرود فلحق به همدان ثم قال ومن كان منكم ذا سياسة وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر فلحقت به خزاعة ثم قال ومن كان منكم يريد الراسخات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فنزلها الاوس والخزرج ثم قال ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والامر والتأمير فليلحق ببصرى وسدير وهى من أرض الشام فنزلها غسان ثم قال ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق والذهب والاوراق فليلحق بالعراق فلحق بها مالك بن فهم بن الازد وتخلف مالك بن اليمان فى قومه حتى أخرجهم السيل فنزلوا نجران وانتسبوا الى مذحج ودخلت جماعة منهم الى معد فأخرجتهم معد بعد حروب فنزلوا بجبال السراة على تخوم الشأم فلما تفرقت فى البلاد هذا التفرق ضربت العرب بهم المثل فقالوا ذهبوا أيدى سبأ وأيادى سبأ أى متفرقين فى كل ناحية وقيل فيهم انهم كانوا مجتمعين يدا واحدة فلما مزقهم الله وفرقهم صارت يدهم أيادى متفرقة وأخذ كل طائفة منهم طريقا على حدة أو يريد به النعمة فالمعنى تفرقنا كما تفرقت نعم أهل سبأ الزجاج سبأ مدينة تعرف بمأرب على ثلاث ليال من صنعاء * الجوهرى سبأ اسم رجل سميت به البلدة وذكر فى الدرة ان لفظة التفرق تستعمل فى الاشخاص والاجسام نحو تفرق القوم وان الافتراق يقال فى الاهواء والآراء كما قال النبى صلى الله عليه وسلم تفترق أمتى على كذا وكذا فرقة فاذا قيل ان لزيد ثلاثة اخوة متفرقين فالمعنى ان كل واحد منهم ببقعة وان قيل مفترقين فالمعنى ان أحدهم لابيه وأمه والآخر لابيه والثالث لامه وكذلك يقال فرق بالتشديد فيما كان من قبل الجمع وفرق بالتخفيف فيما يراد به التمييز كقوله فرق بين الحق والباطل والحالى والعاطل

﴿شرح المقامة الثامنة عشرة وتعرف بالسنجارية﴾

(فقفلت) رجعت من السفر الى (الشأم) ويقال له شأم وشام ويذكر ويؤنث وينسب اليه شامى وشآم على فعال ويحكى عن سيبويه شآمى واثبات الالف فى النسب يدل على اثباتها فى أصل البناء وقيل ألف شآم عوض من ياء النسب قال طرفة * شآمية تزوى الوجوه بليل * وقال فى الدرة المنسوب اليه على ثلاثة أوجه شامى وهو القياس وشآم بياء مخففة كالمنقوص وشآمى وهو شاذ لانه يصير بمنزلة المنسوب الى المنسوب وكذلك جوزت الثلاثة فى المنسوب الى اليمن وعلى الشاذ منها قول عمر بن أبى ربيعة انى أتيحت لى يمانية * احدى بنى الحرث من مذحج ولم يجز الحريرى تأنيث الشام وقال لفظه مذكر وقال ابن الانبارى وذكر الشام والحجاز وغيرهما فمن أنث من ذلك شيأ فانما يذهب به الى معنى المدينة وقالوا الشأم صفوة بلاد الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة ومعاذ عليكم بالشأم فان الله قد تكفل بالشام وأهله وسميت شاما لانها عن شامة الكعبة * ابن الانبارى يجوز أن يكون مأخوذا من اليد الشومى وهى اليسرى وقال قوم أصله فى الكعبة لان بابها يستقبل المطلع فمن قابل طلوع الشمس كانت الكعبة عن يمينه فى شق الجنوب والشأم عن يده اشومى فى شق الشمال * أبو القاسم الزجاجى قال جماعة من أهل اللغة يجوز أن لا يهمز فيقال شام جمع شامة سميت بذلك لكثرة قراها وتدانى بعضها من بعض شبهت بالشامات وقال الشرقى سميت بسام بن نوح لانه أول من بناها فغير اللفظ العجمى فجعل السين شينا وقسمت الشأم خمسة أقسام الشام الاولى وأول حدها من طريق مصر أمج ثم غزة ثم الرملة ومدينته العظمى فلسطين وعسقلان وفلسطين هى الشأم الاولى وبها بيت المقدس الشأم الثانية الاردن ومدينته العظمى طبرية وهى

أنحو مدينة السلام في ركب من بني غير ورفقة أولي خير ومير وفيهم أبو زيد السروجي عقلة العجلان وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار اليه بالبنان في البيان فصادف نزولنا سنجار أن أولم بها أحد التجار فدعا الى مأدبته الجفلى من أهل الحضارة والفلا حتى سرت دعوته الى القافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة

بشاطئ البحيرة والبرموك بين فلسطين والاردن والشأم الثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق ومن سواحلها طرابلس الشام الرابعة أرض حمص الشأم الخامسة قنسرين ومدينته العظمى حلب وهي من قنسرين على أربعة فراسخ وساحلها انطاكية مدينة عظيمة على شاطئ البحر داخلها المزارع والبساتين والانهار (قوله أنحو) أي أقصد (الركب) اسم لمن ركب الابل كذا قال الخليل وقال يعقوب الركب جمع راكب وهم أصحاب الابل خاصة ولا يكون الركب الا أصحاب الابل وراكب الفرس فارس وراكب البغل بغال وراكب الحمار حمار وراكب الفيل فيال والجمع شيالة و بغالة وحمارة وفيالة وتبعه ابن قتيبة في هذا وخطأهما جميعا ابن السيد وغيره واحتجوا بقول امرئ القيس اذا ركبوا الخيل واستلأموا * تحرقت الارض واليوم قر

فقوله ركبوا الخيل يدل على أنه يقال لمن ركب الفرس راكب وما ذكره يعقوب هو الصحيح لان العرب اذا أفردت لفظ راكب أو ركب لم يقع في كلامها الا على أصحاب الابل مطلقا واذا أرادت أن توقعه على أصحاب الخيل قيدته بذكر الخيل فقالوا ركبت الفرس وراكب الفرس فيذكرون الفرس وعلى هذا أتى * اذا ركبوا الخيل واستلأموا * فخفيت هذه التفرقة على ابن السيد على حظه الوافر من اللغة وقال الحريري في الدرة الراكب هو راكب البعير خاصة وجمعه ركبان فأما الركب والاركوب فقد جوز الخليل أن يطلق اسمهما على راكبي كل دابة الا ان الاركوب أكثر من الركب عدة وأكثر جماعة و (بنو غير) قبيلة من بني صعصعة احدى جمرات العرب وأشرف بيوت قيس عيلان وجمرات العرب ثلاثة سموا بذلك لانهم متوافرون في أنفسهم لم يدخلوا معهم غيرهم والتجمير في كلامهم التجميع وهم بنو غير وبنو الحرث بن كعب وبنو ضبة بن أد فطفئت جمرتان وهم بنو ضبة لمحالفتها الرباب وبنو الحرث لمحالفتها مذحج وبقيت غير لم تحالف فهي على كثرتها ومنعتها قال شاعرهم

غير جمرة العرب التي لم * تزل في الحرب تلتهب التهابا

وكان الرجل منهم اذا قيل له ممن أنت قال غيري كما ترى ادلالا بنسبته وافتخارا بمنعته حتى قال جرير في الراعي فغض الطرف انك من غير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فصار اذا قيل له ممن أنت قال عامري ومرت امرأة بهم فأحدوا النظر اليها فقال أحدهم والله انها لرمصاء فقالت يابني غير والله ما امتثلتم في واحدة من اثنتين لا قول الله عز وجل قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولا قول جرير

فغض الطرف انك من غير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(قوله أولي خير) أي ذوي غنى (مير) صلة وصدقة (عقلة العجلان) حابس المستعجل (سلوة الثكلان) مذهب حزن الحزين يقول اذا رآه من هو في شغل معجل حبسه أو حزين أزال حزنه (البنان) الاصابع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء فتنة أن يشار اليه بالاصابع في دين أو دنيا الا من عصمه الله (سنجار) بلد بينه وبين قرقيسيا نيف وثلاثون فرسخا وقرقيسيا على الفرات وهي كورة من كور ديار ربيعة وفي سنجار فوهة نهر الخابور فيمر حتى يصب في الفرات وهي على أميال من نصيبين وعن يمين طريق الموصل (قوله أولم) أي صنع وليمة والوليمة طعام العرس و (المأدبة) طعام يدعى اليه الناس و (الجفلى) الناس أجمع و (الحضارة) ضد البداوة ويفتح أولها ويكسر (الفلا) القفر وأراد دعا أهل الحاضرة والبادية (سرت) وصلت (القافلة) الرفقة الراجعة من سفرها قال الازهري سميت قافلة تفاؤلا بقفولها عن سفرها الذي ابتدأت وظن ابن قتيبة أن عوام الناس يغلطون في تسميتهم الناهضين في ابتداء الاسفار قافلة الا منصرفة الى وطنها وهذا غلط ومازالت العرب تسمي الناهضين في ابتداء الاسفار قافلة تفاؤلا بأن ييسر الله لها القفول وهو شائع عند فصحائهم الى اليوم وأراد (بالفريضة) أعيان التجار الذين حضورهم كالفرض و (بالنافلة) المكارين والاتباع أو يريد بالفريضة

فلما أجبنا مناديه وحللنا
ناديه احضر من أطعمة
اليد واليدين ماحلا فى
الفم وحلى بالعين ثم قدّم
جاما كأنما جمد من الهواء
أو جمع من الهباء أو صيغ
من نور الفضاء أو قشر
من الدرة البيضاء وقد

من لابد له أن يدعوه للحضور مثل القرابة والوجوه والاصحاب والنافلة لفيف الناس وأراد أنه حمل لعرسه من يحب ومن لا يحب والهاء من فيها ضمير الدعوة ويروى فيهما بالميم * وأما ذكر الحاضرة والبادية فقد أتينا فى ذلك بفصل أدبى مستحسن ولسنا نحتاج الى اقامة دليل من شاهد على فضل الحاضرة لانها محل الجمعات والجماعات واليها تجلب الخيرات وبها تستمد البركات ومنهم العلماء والفضلاء والملوك الى ما يطول تعداده ومن أراد الله به خيرا نقله من البادية الى الحاضرة وقد أخبر الله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام فى قوله وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو وهذا فيه فضل الحاضرة لا يدفع اذ قرن الخروج من السجن بالمجىء من البدو وعدّه من احسان الله سبحانه وتعالى * وقف اعرابى على دعبل وهو ينشد

اذا القوس أوترها أيد * رمى فأصاب الكلا والذرى

فقال له ما عنيت فقال دعبل القوس قوس قزح أمطرت الارض بها فأعشبت فرعاها المال فسمنت كلاه وأسنمه فقال الاعرابى لله دركم يا حاضرة انكم لتسبرون معا فتساوون ولتنكبون عنا فتفوتون وفى ضد هذا المعنى قال شبيب بن شيبة كثر قطع الطريق بين مكة والبصرة فبعثنى المنصور أقوم فى المناهل وأتكلم بذم البادية وأوبخهم بما يردعهم لم أرد ماء الا تكلمت عليه بما يحضرنى فلا أجد من ينطق حتى قمت على ماء لبنى تميم فلما انقضى كلامى قام رجل منهم فقال الحمد لله أفضل ما حمده الحامدون قبلك أو بعدك وصلى الله على سيدنا محمد أفضل صلاة وأتمها وأخصها وأعمها ثم انى قد سمعت ما قلت فى مدح الحاضرة وأهلها وذم البادية وأهلها ومهما كان فينا أهل البادية من سوء فليس فينا نقب الدور ولا شهادة الزور ولا نبش القبور ولا نيك الذكور قال فأفحمنى والله حتى غبيت أنى لم أخرج لذلك الوجه وقال القطامى

فمن تكن الحضارة أعجبته * فأى رجال بادية ترانا

قال ابن رشيق ومن أملح ما سمعه الناس فى تفضيل البادية على الحاضرة من حلاوة وطلاوة وصحة معنى وقرب مأخذ قول ابى الطيب

من الجآذر فى زى الاعاريب * حمر الحلا والمطايا والجلابيب

ثم قال

ما أوجه الحضر المستحسنات به * كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية * وفى البداوة حسن غير مجلوب
أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها * مضغ الكلام ولا صبغ الحواجب
ولا برزن من الحمام مائلة * أوراكهن صقيلات العراقيب
ومن هوى كل من ليست مموّهة * تركت لون مشيبى غير مخضوب

فلو لم تفضل البادية الا بهذا لكان فيه مقنع (قوله ناديه) أى مجلسه (وطعام اليد) الثريد ونحوه و(طعام اليدين) الدجاج العجاج والشواء ونحو ذلك وكانت وليمة فى الانصار فحضرها حسان بن ثابت وقد كف بصره ومعه ابنه عبد الرحمن فلما وضع الطعام وجىء بالثريد قال حسان لابنه يا بنى أطعام يد أم طعام يدين قال بل طعام يد فأكل ثم جىء بالشواء فقال مثل ذلك فقال بل طعام يدين فأمسك (حلا) طاب (حلى) حسن وحلا فى الفم من الحلاوة وحلى فى العين من الحلى المتزين به وفى الدرة العرب تقول حلا فى فمى وحلى فى عينى وليس الثانى من نوع الاول وهو من الحلى الملبوس فكان المعنى حسن فى عينى كحسن الحلى الملبوس وهو من ذوات الياء والاول من ذوات الواو الا أن المصدر فيهما جميعا الحلاوة والاسم حلو لا حالى لان الحالى ضد العاطل وهو الذى عليه الحلى (والجام) اناء من زجاج (جمد) عقد وصنع جامدا و(الهباء) غبار الشمس وهو ما تراه يدخل عليك مع الشمس من شق باب أو كوة حائط (صيغ) صنع (نور الفضاء) يعنى الشمس والفضاء الارض الواسعة وفى الفضاء

يتسع ضوء الشمس فيبيض نورها (أودع) ضمن وجعل فيه (لفائف النعيم) مالف من الحلاوى وطوى بعضه على بعض * الفتجد هى لفائف النعيم اللوزينج والقطائف (ضمخ) لطخ (العميم) الكثير (شرب) ماء (وتسنيم) أرفع شرابات أهل الجنة (سفر) كشف (مرأى وسيم) منظر حسن (أرج نسيم) طيب الرائحة والنسيم الريح اللينة الهبوب ويريد لما أحضر الجام ساقوا معه ماء عذب بالغسل اليد ثم كشف لهم عن الجام فرأوا منظرا من الحلواء الملونة ورائحة عطرة من الافاويه وقال فى مثل ذلك عبد السلام بن الحسين المأمون

خبيصة فى الجام قد قدمت * مدفونة فى اللوز والسكر
يأكل من يأكلها خمسة * بكفه فيها ولم يشعر

(قوله اضطرمت) أى اشتعلت (قرمت) أى اشتهت (اللهوات) جمع لهاة وهى أقصى الفم (شارف) قارب وأشرف عليه (نشز) تفرق (مسربه) جماعته ويريد به مافيه من الحلواء والسرب بالكسر جماعة النساء وبالفتح الابل فى المرعى (الغارات) يريد الايدى التى تغير على الطعام (نهبه) انتهابه بالايدى وأكل مافيه (ياللثارات) كلمة ينادى بها العرب اذا ظفروا بأعدائهم الذين لهم عندهم دم والثار الطلب بالدم وثأر بالقتيل قتل قاتله وقال حسان بن ثابت

لتسمعن وشيكا فى دياركم * الله أكبر ياثارات عثمانا

فالثارات هنا جمع ثار وهو المطلوب بالدم قال

وكيف تجلد الاقوام عنه * ولم يقتل به الثار المنيم

قال أبو على الثار المقتول سمى بالمصدر كرجل عدل ولذلك جمع بالتاء وتفسير أبى على عكس ما تقدم واذا كان منقولا من المصدر احتمل وصف الفاعل به والمفعول وثارات عثمان محتملة للتفسيرين فتقديره على قول أبى على يامطلوبات عثمان وعلى القول الآخر ياطالبات عثمان هذا أوانكم بالجد وتفسير ياللثارات فى المقامة يستقيم على المعنيين فعلى الاول معناه يامطلوبات الجياع قد تمكنا منك وعلى الثانى معناه ياطالبين الاكل قد تمكنتم من المأكول وقوله (نشز) أى وثب * وتقدم فى الضب انه لا يرد الماء وان مسكنه الصحراء (والنون) الحوت وهو لا يفارق الماء وهما لا يجتمعان وقد تقدم للصابى * الضب والنون لا يرجى التقاؤهما * وقال آخر

فلو أنهم جاؤا بشئ مقارب * لقلت هو الشكل الموافق للشكل
ولكنهم جاؤا بحيتان لجة * تقامص والمدعو فيها أبو الحسل

فضرب بتباعدهما المثل (راودناه) أردناه على الفعل تقول راودته على كذا اذا أردته على فعله (يعود) يرجع (ثمود) أمة صالح عليه الصلاة والسلام و(قدار) هو عاقر الناقة يضرب به المثل فى الشؤم فيقال أشأم من قدار ومن أحمر عاد وتقريب قصته أن ثمود كانت تبنى فى طول أعمارها فاتخذوا من الجبال بيوتا فارهين وبيوتهم الى وقتنا هذا باقية منحوتة فى الجبال ومساكنهم على قدر أجسامهم وعممهم وآثارهم فيها بادية فلما بعث فيهم صالح قال له زعيمهم ان كنت صادقا فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة سوداء عشراء ذات عرف فأتى الصخرة فتمخضت كالحامل وانشقت عن الناقة ثم تلاها سقبها فآمن كثير منهم وكان شربها يوما وشربهم يوما فاذا كان يوم شربها حلبوها فملؤا من لبنها كل اناء ووعاء فلما امتنعت ابلهم من الماء يوم شربها استثقلوها وكان فيهم امرأتان عنيزة وصدقة فبذلتا أنفسهما لقدار على أن يعقر الناقة وهو قدار بن قديرة وهى أمه وسالف أبوه وكان قدار أزرق أشقر قصيرا وكان له صديق اسمه مصدع بن مهرج معاونه على ما كان به من الفساد فى الارض وكانا فى تسعة من أهل الفساد فضرب قدار عرقوبها بسيفه وضرب مصدع العرقوب الآخر واستهموا لحمها فخرجت ثمود تعتذر الى صالح وتزعم أنها لا ذنب لها فقال انظروا اهل تدركون

أودع لفائف النعيم وضمخ بالطيب العميم وسيق اليه شرب من تسنيم وسفر عن مرأى وسيم وأرج نسيم فلما اضطرمت بحضره الشهوات وقرمت الى مخبره اللهوات وشارف ان نشز على مسربه الغارات وينادى عند نهبه ياللثارات نشز أبو زيد كالمجنون وتباعد عنه تباعد الضب من النون فراودناه على ان يعود وان لا يكون كقدار فى ثمود فقال والذى

(ذكر هلاك ثمود)

فصيلها فعسى أن يرفع عنكم العذاب فاتبعوه فصعد الى جبل يقال له القارة وطال الجبل به فى السماء حتى ما تناله الطير وبكى ثم استقبلهم ورغا ثلاثا فقال صالح دعوة أجلها يوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وآية ذلك أن تصبح وجوهكم فى الاول مصفرة وفى الثانى محمرة وفى الثالث مسودة فلما رأوا صدقه أول يوم أرادوا قتله فمنع منهم فلما رأوا صدقه فى اليوم الثالث تحنطوا وتكفنوا وبكوا وضحوا وجعلوا ينظرون من أين يأتيهم العذاب فصبحتهم فى اليوم الرابع صيحة من السماء قطعت قلوبهم فى صدورهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين فعقروها يوم الاربعاء وأصيبوا يوم الاحد وانما أصيبوا والمذنب بعضهم لانهم رضوا فعله والنية أبلغ من العمل وبلادهم بين الشأم والحجاز الى ساحل البحر الحبشى ومر النبى صلى الله عليه وسلم بقريتهم ونهى الناس عن دخولها وأراهم مرتقى الفصيل ولما رأى صالح انها دار سخط ارتحل عن معه الى مكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا فقبورهم فى غربى البيت بين دار الندوة والحجر وقال حباب بن عمرو

كانت ثمود ذوى عز ومكرمة * ما ان يضام لهم فى الناس من جار

فأهلكوا ناقة كانت لربهم * قد أنذروها فكانوا غير أبرار

(قوله ينشر) أى يحيى ويقيمهم فينشرون فى الارض و(الرجام) القبور واحدها رجم (تألفه) ضمه وترك خلافه (ابرار حلفه) مراعاة قسمه (أشلناه) رفعناه (شائلة) مرتفعة (فاء) رجع (مجثمه) موضعه وأصله للطائر (الصرى) العزيمة ويقال أصررت على الشئ عزمت عليه وهو منى صرى وصرى وأصرى أى عزيمة وجد * وضلت ناقة أبى السمال فقال والله لئن لم يردها الله على لا أصلى أبدا فذهب فى ابتغائها فوجدها وقد تعلق زمامها بشجرة فقال علم الله أنها كانت منى صرى فردها على وقال حبيب

لما رآهم حائلا دون المنى * هجر الغواية بعد طول وصال

تخذ الفرار أخا وأيقن انه * صرى عزم من أبى السمال

يقول لما رأى كثرة من يحاربه أيقن أن ما شاء فيهم لا يدركه فهجر الضلالة وانهزم اذ أيقن أن طالبه مصر على طلبه (الحزى) الوكيدة الشديدة والكبد الحرى اليابسة العاطشة وناظر الحريرى بهذه المقامة مقامة المطيرة فى البديعية ومن هذا الى أولها مبنى على تلك قال البديع حدثنا عيسى ابن هشام قال كنت بالبصرة ومعى أبو الفتح الاسكندرى رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه والبلاغة يأمرها فتطيعه وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدم مضيرة تثنى على الحضارة وترجرج فى الغضارة وتؤذن بالسلامة وتشهد لمعاوية رحمه الله بالامامة فى قصعة يكل عنها الطرف ويمرح فيها الظرف فلما أخذت من الخوان مكانها ومن القلوب أوطانها قام أبو الفتح يلعنها وصاحبها ويمقتها وآكلها ويثلبها وطابخها ظنناه يمزح فاذا الامر بالضد واذا المزاح عين الجد وتنحى عن الخوان وترك مساعدة الاخوان فرفعناها فارتفعت معها القلوب وسافرت معها العيون وتحلبت لها الافواه وتقادت لها الاكباد لكنا سألناه عن أمرها وساعدناه على هجرها ثم أخذ يذكر لهم المانع من أكلها كما يذكر الآن السروجى ومقامة المضيرة طويلة مضحكة (قوله جار لسانه يتقرب) معناه يتودد اليه بلسانه ويكتم العداوة فى قلبه وهذا معنى ما يذكر بعد * أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة سوء الجوار تعوذوا بالله من ثلاث هن العواقر امام السوء ان أحسنت لم يشكر وان أسأت لم يغفر ومن جار السوء ان رأى حسنا ستره وان رأى قبيحا أذاعه ومن امرأة السوء التى ان غبت عنها خانتك وان دخلت عليها استلتك قال بعض الفضلاء الجار السوء يفشى السر ويهتك الستر وقيل لاهل البصرة ان كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال صدق الحديث وأداء الامانة وحسن الجوار فان أذى الجار يمحو الحسنات كما تمحو الشمس الجليد عن الصفاة

يشر الاموات من الرجام
لا عدت دون رفع الجام
فلم نجد بدا من تألفه وابرار
حلفه فأشلناه والعقول
معه شائلة والدموع
عليه سائلة فلما فاء الى
مجثمه وخلص من مأثمه
سألناه لم قام ولاى معنى
استرفع الجام فقال ان
الزجاج نمام وانى آليت
مذ أعوام ان لا يضمنى
ونموما مقام فقلنا له وما سبب
عينك الصرى وأليتك
الحزى فقال انه كان لى جار
لسانه يتقرب وقلبه عقرب

(قوله ينقع) أى يروى العطش و (منقع) أى أديم حبسه وأنقع سم الحية ثبت ودام (خبؤه) باطنه وماخبأه من الشر (محاورته) محادثته (بمكاشرته) مضاحكته (معاشرته) مصاحبته (استهوتنى) ذهبت بى (خضرة دمنته) حسن ظاهره وتقدمت خضراء الدمن (أغرتنى) حرضتنى وألصقتنى به (سمته) علامته (مناسمته) مصاحبته وقرب نسمتى من نسمته أى شخصى من شخصه (مازجته) خالطته (مكاسر) قريب الدار وكسر البيت جانبه (والعقاب الكاسر) التى تضم جناحيها وتهوى على فريستها فضم الجناح هو كسره (وآنسته) أبصرته (حب) حبيب وكان زيد بن حارثة يسمى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى حبيبه (وضح) تبين (حباب) حية (موالس) مخادع خائن فى محبته (مالحته) واكلته أى أكلت معه الملح وأصل الممالحة الرضاع كانه حين نادمه راضعه الكاس وملحت المرأة الصبى أرضعته (نقده) تجربته (عاقدته) عاهدته وعقدت يدى على يده (فره) اختباره وكشف سره يريد أن هذا الصاحب كان يظهر مودته ويسر عداوته وقال الشاعر وهو المغيرة بن شعبة

أخوك الذى لا ينقض النأى عهده * ولا عند صرف الدهر يزور جانبه
وليس الذى يلقاك بالبشر والرضا * وان غبت عنه لسعتك عقاربه

(قال وأنشد آخر)

على لاخوانى رقيب من الصفا * تبيد الليالى وهو ليس يبيد
وانى لاستحيى أخى أن أبره * قريبا وأن أجفوه وهو بعيد

وقال ابن المعتز

لم يبق مما فاتنى كسبه * الا فتى يسلم لى قلبه
ينأى فلا يذهبه نأيه * عنى ولا يفسده قربه
يكون حسبى من جميع الورى * فى كل حال وأنا حسبه

(وقال بشار وزاد معنى)

تود عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ان الرأى منك لعازب
وليس أخى من ودنى رأى عينه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب

(قوله مجاريه) مباريه معارضه وفلان يبارى الريح جودا كأنه يعارضها بفعله فاذا هبت فى زمن الشتاء والجهد فضرت المحتاجين تتبع آثار فسادها بماله وهباته فاصلحها (سفرت) كشفت وجهها (خجل) استحيا (النيران) الشمس والقمر (صليت) أحرقت يقول اذا كشفت وجهها افتضحت الشمس والقمر لبديع حسنها واحترقت القلوب بنيران حبها * ونسوق هاهنا جملة من الشعر المستحسن فى أوصاف النسوان قال الشاعر

لما تبدت من الاستار قلت لها * سبحان سبحان ربى خالق الصور
ما كنت أحسب شمسا غير واحدة * حتى رأيت لها اختا من البشر
كأنها هى الا ان يفضلها * حسن الدلال وطرف فاتر النظر

(وقال اعرابى)

اذا حجبت لم يكفك البدر فقدها * وتكفيك فقد البدر ان فقد البدر
وحسبك من خمر تفوتك ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر
وما الصبر عنها ان صبرت وجدته * جميلا وهل فى مثلها يحسن الصبر
ولو ان جلد الذر لامس جلدها * لكان للمس الذر فى جلدها اثر

(وقال العباس بن الاحنف)

تاهت علينا بأن تمت محاسنها * خود تكمل فى اعطافها الفتن

ولفظه شهد ينقع وخبؤه سم منقع فلت لمجاورته الى محاورته واغتررت بمكاشرته فى معاشرته واستهوتنى خضرة دمنته لمنادمته واغرتنى خدعة سمته بمناسمته فمازجته وعندى انه جار مكاسر فبان انه عقاب كاسر وآنسته على انه حب مؤانس فوضح انه حباب موالس ومالحته ولا اعلم انه عند نقده ممن يفرح بفقده وعاقدته ولم ادر انه بعد فره ممن يطرب لمفره وكانت عندى جارية لا يوجد لها فى الجمال مجارية ان سفرت خجل النيران وصليت القلوب بالنيران

(فصل فيه ذكر أوصاف النسوان)

همت بأنيابنا حتى اذا نظرت * الى المرآة نهاها وجهها الحسن
ما كان هذا جزائى من محاسنها * أغرت بى الشوق حتى شفنى الشجن

وقال بشار

درة حيثما أديرت أضاءت * ومشم من حيثما شم فاحا
وجنات قال الاله لها كو * نى فكانت روحا وروحا وراحا

وله أيضا

كأنها يوم راحت فى محاسنها * فارتج أسفلها واهتز أعلاها
حوراء جاءت من الفردوس مقبلة * والشمس طلعتها والمسك رياها
راحت ولم تعطه برا لعلته * منها ولو سألته النفس أعطاها
من اللواتى اكتست بردا فشق لها * من حسنها الحسن سربالا فردّاها

﴿وقال السلامى﴾

وفيهن سكرى اللحظ سكرى من الصبا * فعاتب حلوا اللفظ حلو الشمائل
أدارت علينا من سلاف خدودها * كؤسا وغنتنا بصوت الخلاخل

وقال أيضا

لبيك لبيك داعى اللهو من كثب * الى معاطف كالاغصان من كثب
ان السوالف كالسوسات فى صعد * ان الغدائر كالخلخال فى صبب
الى خدود بنات الروم قد برزت * من حجبها وأدارت أعين العرب
من كل سافرة عن مشرق خجلا * فيه طرازات من ماء ومن لهب
واستضحكت عن لآل أو حصى برد * يكاد يقطر من مائية الشنب
تحدو بها قنية صيغت وجوههم * من الرضا وعواليهم من الغضب

﴿وللامير تميم بن المعز﴾

ناولتها شبه خديها معتقة * صرفا كأن سناها ضوء مقباس
فقبلتها وقالت وهى ضاحكة * فكيف تهدى خدود الناس للناس
قالت اشرب فهى من دمعى وجرتها * دمى وطابخها فى الكاس أنفاسى
قالت فان كنت من حبى بكيت دما * فأسقنيها على العينين والراس
يا ليلة بات فيها البدر معتنقى * وباتت الشمس فيها بعض جلاسى
وبت مستغنيا بالثغر عن قدح * وبالخدود عن التفاح والآس

﴿وقال أيضا﴾

قالت وقد نالها للبين أوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبى فقد ضعفت * قواه عن حمل ما تحويه أضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأنى يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

﴿وقال التهامى﴾

أهدى لنا طيفها نجدا وساكنه * حتى اقتنصنا ظباء البدو فى الحضر
فبات يجلو لنا من وجهها قمرا * من البراقع لولا كلفة القمر
وراعها حر أنفاسى فقلت لها * هواى نار وأنفاسى من الشرر
وزاد در الثنايا درّ دمعها * فالتف منتظم منه بمنتثر
ولو قدرت وثوب الليل منخرق * بالصبح رقعته منهن بالشعر
بيضاء تسحب ليلا حسنه أبدا * فى الطول منه وحسن الليل فى القصر
لو لم يكن أقحوانا ثغر مبسمها * ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

وان بسمت أزرت بالجمان
ويبع المرجان بالمجان وان
رنت هجت البلابل
وحققت سحر بابل

﴿ولبعض أصحابنا﴾

شدهت فلا أدرى بأى صفاتها * تقيد ألباب الورى وتقودها
وأى لآليها أشد نفاسة * أمنطقها أم ثغرها أم عقودها
فللشمس مرآها وللغصن قدها * وللمسك رياها وللريم جيدها

وقال الحسن

وذات خد مورد * ورهية المتجرد
تأمل العين منها * محاسنا ليس تنفد
فبعضها فى انتهاء * وبعضها يتولد
فالحسن فى كل جزء * منها معاد مردد
وكلما عدت فيها * تكون فى العود أحمد

(قوله أزرت بالجمان) أى قصرت بحب الفضة (المرجان) اللؤلؤ الصغار و(المجان) شئ لا ثمن له وخذ هذا مجانا أى باطلا أراد أنها اذا ضحكت فبدت أسنانها كانت أحسن مما وصف وأخذه من قول أبى تمام

وقهوة كوكبها يزهر * يسطع منها المسك والعنبر
وردية يجنبها شادن * كأنها من خده تعصر
مهفهف لم يبتسم ضاحكا * مذ كان الا كسر الجوهر

﴿وقال آخر وذكر المجان﴾

عثمان يعلم أن المدح ذو ثمن * لكنه يشتهى مدحا بمجان
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

(رنت) نظرت (البلابل) وساوس الهموم والسحر ينسب الى بابل وقال السلامى فى هذا المعنى

أكحيلة الاجفان بالسحر الذى * لولاه ما درت البلابل بابل
قد كان قلبى غافلا عما به * أودى وقلب أخى السلامة غافل
حتى دهانى منك صدر رواح * ذرب سنا ناه وطرف قاتل
ما عقدك المهدى بجيدك درة * لكن فرند فى حسام جائل

﴿وللامير تميم بن المعتز﴾

وليلة بتها على طرب * آخرها مشبه لاولاها
أقبل البرق من ثنيتها * وألثم الشمس من محياها
سقتنى الراح وهى خداها * بأكؤس السحر وهى عيناها
اذا أرادت مزاجها جعلت * بآخر اللحظ من فمى فاها
فيا لها قهوة معتقة * وليس الا الخدود مأواها
حبابها الثغر حين تمزج لى * ونقلها اللثم حين أسقاها

﴿ذكر بابل﴾

و(بابل) مدينة كان ينزلها ملوك العجم وهى دار نمروذ بن كنعان وكانت بابل من استعظامها واستبشاع أمرها لا تكاد تحصل وأسسها نمروذ وكانت مدينة ضاحكة المنظر زاهية البناء واسعة الفناء جمعت الى حسن المنظر رصافة البنيان وبهاء المنصب فكانت سهلة بطحاء مربعة فى كل تربيع حصنان عظيمان وسورها لا يكاد سامع خبره يصدقه كان عرضه خمسين ذراعا فى ارتفاع مائتى ذراع فى دور أربعة وستين ميلا وحوله خندق يجرى فيه الفرات وفيها مائة باب نحاس وهى أقدم بناء بنى بعد الطوفان ونسب السحر لها الان بها هاروت وماروت معلمى السحر فكانا يعجبان من بنى آدم حيث يعصون الله تعالى على انعامه عليهم فابتلاهما الله تعالى فسلط عليهما الشهوة الآدمية وحرم عليهما القتل والزنا والخمر وانزلهما الى الارض للحكم بين أهلها فجاءتهما الزهرة فى خصام فوقعت فى قلوبهما

وان نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت العصم من المعاقل وان قرأت شفت المفؤد وأحيت الموؤد وخلتها أوتيت من مزامير آل داود وان غنت ظل معبد لها عبدا

فشكا كل واحد منهما لصاحبه ما يجده من حبها فأرسلا اليها فراوداها فأبت حتى يعلماها الاسم الذى يرجعان به الى السماء فأبيا عليها قالت لهما فاشربا الخمر فشربا هافسكرا وعلماها الاسم ووافعاها ثم خرجا فوجدا رجلا فظنا انه ظهر على أمرهما فقتلاه وتكلمت الزهرة بالاسم الذى يرجعان به الى السماء فرفعت ومسخت دريا وخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما يعذبان ببابل ويعلمان السحر وجاءت امرأة الى عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت يا أم المؤمنين قالت لى امرأة هل لك أن أعلمك شيأ يصرف وجه زوجك اليك فأتت بتيسين فركبت واحدا وركبت الآخر وسرنا ماشاء الله فقالت أتدرين انك ببابل ودخلت على رجلين فقالا لى بولى على ذلك الرماد فذهبت ولم أبل ورجعت فقالا لى ما رأيت فقلت ما رأيت شيأ قالا أنت على رأس أمرك فرجعت فتشددت وبلت فخرج مثل الفارس المقنع فصعد فى السماء فقالا لى ما رأيت فأخبرتهما فقالا لى ذلك ايمانك فارقك فخرجت الى المرأة فقلت لها والله ما علمانى شيأ ولا قالا لى كيف أصنع فقالت فما رأيت قلت كذا وكذا فقالت أنت أسحر العرب اعملى ما تمنيت (اعمليه) فقطعت جداول فاذا زرع يهتز فقلت افرك فاذا هو قد يبس فأخذته وفركته وقالت خذيه واجعليه سويقا واسقيه زوجك فلم أفعل شيأ من ذلك وانتهى الامر الى هذا فهل لى من توبة ورأت رجلا من خزاعة فقالت يا أم المؤمنين هذا أشبه الناس بهاروت وماروت روى هذا الحديث باسناده ابن قتيبة (قوله عقلت لب العاقل) اللب العقل وعقلته شددته بعقال وهو قيد البعير و (العصم) الوعول والاعصم التيس الجبلى الذى فى يديه بياض والمعصم موضع الخلخال * الخليل الاعصم الوعل وعصمته بياض فى رجليه و (المعاقل) قرون الجبال وأراد أن كلامها العذو بته يغلب أهل العقول حتى تعداهم الى الوحش أو يريد بالعصم من له عزمة وهمة من الرجال فاذا سمعها تذلل لها وأخذ هذا من قول أبى بكر بن دريد

لو ناجت الاعصم لانحط لها * طوع القياد من شماريخ الذرا
أو صابت القانت فى مخاولق * مستصعب المسلك وعر المرتقى
ألهاه عن تسبيحه ودينه * تأنيثها حتى تراه قد صبا

والسابق الى هذا المعنى النابغة بقوله

لو أنها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

و (المفؤد) الذى يشتكى فؤاده و (الموؤد) المدفون حيا وانظره فى الخامسة والثلاثين وأراد أن حسن صوتها بالقرآن يشفى من مرض الفؤاد ويحيى الموتى والعرب تزعم فى شعرها ان افراط الحسن يحيى الموتى قال الاعشى

لو أسندت ميتا الى نحرها * قام ولم يحمل الى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

وقال توبة بن الحمير

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت * على وفوقى تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

﴿أخبار معبد﴾

(قوله مزامير) المزمار الصوت نفسه والجمع مزامير وقيل صوابه زمار ولا يقال زامر ويقال للانثى زامرة ولا يقال زمارة والآلة التى يزمر بها الزمارة * وكان داود عليه الصلاة والسلام أحسن خلق الله صوتا واذا قرأ الزبور رقت لصوته الوحوش وحتى تؤخذ بأعناقها وهى مصغية له وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط الاعلى صوته و (معبد) أطبع المغنين المتقدمين واسحق الموصلى أطبع المتأخرين وفى معبد يقول حبيب

محاسن أوصاف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا لمعبد

وهو معبد بن وهب وقيل ابن قطن وأبوه أسود وكان هو خلاسيا مديد القامة أحول غنى فى أول الدولة الاموية وتوفى أيام الوليد بن يزيد وكان علم جارية اصبهاطية فاشتراها رجل من الاهواز وذهبت به الى كل مذهب ثم ماتت وأخذت جواريه أكثر غنائها فكان من أجلها يفضل معبدا على نظرائه ويظهر التعصب له فسمع به معبد فخرج اليه حتى أتى البصرة فصادف الرجل خارجا الى الاهواز فى سفينة فسأله الدخول معه فأمر الملاح أن يجلسه فى مؤخر السفينة وانحدر حتى بلغ الى فم نهر الابلة فتغدوا وشربوا وأمر جواريه فغنين فغنت احداهن للنابغة

* بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما * ومعبد ساكت فى ثياب السفر حتى سكتت فصاح ياجارية غناؤك ليس بمستقيم فغضب مولاها وقال وما أنت والغناء ثم غنت الثانية بشعر عبد الرحمن بن أبى بكر

بابنة الازدى قلبى كئيب * مستهام عندها ما ينيب
ولقد قالوا فقلت دعونى * ان من تنهون عنه حبيب
انما أبقى عظامى وجسمى * حبها والحب شئ عجيب

فصاح معبد ياجارية قد أخللت بهذا الصوت اخلالا شديدا فازداد غضبا مولاها وقال ويلك أما تكف عن هذا الفضول ثم غنت أخرى لكثير فقالت

خليلى عوجا ساعة معى * على الربع نقضى حاجة ونودع
وقولا لقلب قد سلا راجع الهوى * وللعين أذرى من دموعك أودعى
فلا عيش الا مثل عيش مضى لنا * مصيفا أقنا فيه من بعد مربع

فقال معبد ماقومتن صوتا واحدا فقال له الرجل والله ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة وأقسمت بالله لئن عاودته لاخرجنك من السفينة فاندفع معبد يغنى الصوت الاول فصاح الجوارى أحسنت والله يارجل فأعده قال لا ولا كرامة ثم غنى الثانى فقلن لسيدهن هذا والله أحسن الناس غناء فاسأله ان يعيده لعلنا أن نأخذه ثم غنى الثالث فزلزل عليهم السفينة فوثب الرجل وقبل رأسه وقال أخطأنا عليك فاسألك أن تنزل الى قابى فلم يزل به حتى نزل وقال له من أين أخذ جواريك هذا الغناء قال من جارية أخذت عن أبى عباد معبد ثم استأثر الله بها وكانت منى محل الروح من الجسد فلذلك أفضل معبدا على جميع المغنين فقال له معبد وانك لانت هو فأقعر فى قال لا فصك معبد بيده صلعته وقال فأنا والله معبد واليك قدمت من الحجاز ولقصدك بالاهواز دخلت السفينة والله لاقصرت فى جواريك حتى أجعلهن خلفا من الماضية وأكب الرجل والجوارى على يديه ورجليه بالتقبيل ويقولون كتمتنا نفسك حتى أسأنا عشرتك وأنت ممن نتمنى من الله أن نلقاه ثم وهب له ثلثمائة دينار وطيبا وهدايا بمثلها فأقام عنده سنة حتى أخذ عنه جواريه ثم انصرف الى الحجاز قال ابن الكلبى قدم ابن سريج والغريض المدينة وكانا فى صنعة الغناء من الحذاق يتعرضان لمعروف أهلها فلما شارفاها تقدما ثقلهما ليرتادا منزلا حتى اذا هما بغسلة تغسل فيها الثياب قرب المدينة اذا هما بغلام ملتحف بازار وطرفه على رأسه وبيده حبالة يصيد بها الطير وهو يتغنى

م القصر فالنخل والاواب بينهما * أشهى الى القلب من أبواب جيرون

فاذا الغلام معبد فلما سمعاه مالا اليه واستعاداه فأعاد الصوت فسمعا شيئا لم يسمعا مثله قط فقال أحدهما لصاحبه هل سمعت كاليوم قط قال لا والله فما رأيك قال ابن سريج هذا غناء غلام يصيد الطير فكيف بمن فى المدينة اما أنا فثكلت ولدى ان لم أرجع فرجع ولم يدخلها وروى اسحق أن معبدا سافر الى مكة فسمع ببطن مر غناء فقصد الموضع واذا رجل جالس على حرف بركة فارق شعره حسن الوجه عليه دراعة مصبوغة بزعفران وهو يغنى شعره

حن قلبى من بعدما قد أنابا * ودعا الهم شجوه فأجابا

م قوله القصر الخ هكذا فى الاصل الطبع الذى بايدينا وفى نسخة خط القصر فالنخل فالجماء بينهما الخ فلعلهما روايتان اه

ذلك

ذاك من منزل لسلمى خلاء * لابس من خلائه جلبابا
عجت فيه وقلت للركب عوجوا * طمعا أن يرد ربع جوابا
فاستثار المغني من لوعة الحب وأبدى الهموم والاوصابا

(فقرع معبد بعصاه وغنى)

منع الحياة من الرجال ونفعها * حدق يقلبها النساء مراض
وكأن أفئدة الرجال اذا رأوا * حدق النساء لنبلها اغراض

فقال الرجل له أنت معبد قال نعم وقال له معبد بالله أنت ابن سريج قال نعم ووالله لو عرفتك ماغنيت بين يديك قال معبد فلما قدمت مكة قيل لي ان ابن صفوان قد جعل بين المغنين جائزة فأتيت بابه فطلبت الدخول فقال لي آذنه قد أمرني أن لا آذن لاحد عليه قلت فدعني أدنو من الباب فأغني صوتا فقال أما هذا فنعم فدنوت من الباب فغنيت فقالوا معبد ففتحوا لي وأخذت الجائزة * وأما اسحق فذكره صاحب الاغاني وقال كان محل اسحق من العلم والادب والرواية وتقدمه في الشعر وسائر المحاسن أشهر من أن يوصف وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما وسم به وان كان الغالب عليه وهو الذي صحح أجناس الغناء وطرائقها وميزها تمييزا لم يقدر أحد عليه قبله ولا بعده من تدقيق المجاري وتمييز الاصناف التي جعلوها صنفا واحدا وهي في نفسها كذلك ولكنها تفترق عند متيقظ مثله وأين مثله وروى عنه أنه قال بقيت دهرا أغلس الى هشام أسمع الحديث والى الكسائي أقرأ عليه جزأ من القرآن والى الفراء وابن غزالة أسمع اللغة ثم آتي منصور زلزل فيطارحني طريقين أو ثلاثا ثم آتي عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتا أو صوتين ثم آتي الاصمعي وأبا عبيدة فأستفيد منهما وأناشدهما ثم أصير الى أبي فأعلمه بما صنعت وأتغدى معه فاذا كان العشي رحت الى الرشيد وروى الحديث ولقي أهله مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما وسأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والادب لا مع المغنين فاذا أراده للغناء غناه فأجابه الى ذلك وقال المأمون لولا ماسبق لاسحق على ألسنة الناس من الشهرة بالغناء لوليته القضاء بحضرتي فانه أولى به وأصدق وأعف وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة وكان أجود الناس بالمال وأبخلهم بالغناء وأعطى لمنصور زلزل لما علمه الضرب بالعود أكثر من مائة ألف درهم وأهدى له ابن الاعرابي نسخة من النوادر بخطه فمر يوما على المدائني فقال الى أين يا أبا عبد الله قال آمر على رجل كما قال الشاعر

(ذكر اسحق الموصلي)

نحمل أشباحنا الى ملك * نأخذ من ماله ومن أدبه

فقال ومن هو قال أبو محمد اسحق بن ابراهيم ومات وهو أشعر أهل زمانه وقال رأيت جريرا في منامي ينشد شعرا فلما فرغ أخذ كبة شعر فألقاها في فمي فابتلعتها فتأولت ذلك انه ورثني الشعر ومر به شيخ وهو في الحديث فقال لجلسائه هذا أشبه الناس بجرير الذي رأيت فسئل الشيخ فاذا هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ومن شعره يفتخر

اذا كانت الاحرار أصلي ومنصبي * وقام بنصري حازم وابن حازم
عطست بأنف شامخ وتناولت * يداي الثريا قاعدا غير قائم

وسمعهما الاصمعي فاستحسنهما وأعجب بهما وفضلهما ودخل على مروان بن أبي حفصة وهو يتحدث مع أبيه فأنشده

اذا مضر الحمراء كانت أرومتي * وقام بنصري حازم وابن حازم

عطست بأنف البيت فجعل ابراهيم يحدث مروان وهو ساه عنه فقال مالك لا تجيبني فقال انك ماتدري ماأفرغ ابنك في أذني ووجه اليه أحمد بن هشام بزعفران رطب وكتب اليه

اشرب على الزعفران الرطب متكئا * وانعم نعمت بطول اللهو والطرب

لحرمة الكأس بين الناس واجبة * كحرمة الود والارحام والادب

(فأجابه اسحق الموصلي)

اذكر أبا جعفر حقاً أمت به * انى واياك مشغوفان بالادب
وانا قد رضعنا الكأس درتها * والكأس حرمتها أولى من النسب

وجلس عند ابراهيم بن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحق فلم يأخذ منه فقال له ابراهيم لم لا تشرب فقال

أصبح نديمك أقداحا تسلسلها * من الشمول وأتبعها بأقداح
من كف ريم مليح الوجه ريقته * بعد الهجوع كمسك أو كتفاح
لا أشرب الراح الا من يدى رشا * تقبيل راحته تغنى عن الراح

فدعا له بوصيفة تامة الحسن فى زى غلام عليها أقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم أمر بتوجيهها اليه بكل ما معها فى داره * ومن طرف اسحق ان كلثوما العتابى كان من العلم وغزارة الادب وكثرة الحفظ والترسل والنظم على مالم يكن عليه أحد فحضر مجلس المأمون فوضع بين يديه ألف دينار وغمز اسحق بالعبث به فأقبل اسحق يعارضه فى كل باب ويزيد عليه وهو لا يعرف اسحق فقال أيأذن أمير المؤمنين فى نسبة هذا الرجل والسؤال عن اسمه فقال افعل فقال له العتابى ما اسمك ومن أنت فقال أنا من الناس واسمى كل بصل فقال له العتابى اما النسبة فمعروفة وأما الاسم فمنكور فقال له اسحق ما أقل انصافك أوما كلثوم من الاسماء فالبصل أطيب من الثوم فقال له العتابى قاتلك الله ما أحلك ما رأيت كالرجل حلاوة أيأذن أمير المؤمنين فى صلته بما وصلنى فقد والله غلبنى فقال له المأمون بل ذلك موفور عليك وأمر له بمثله فانصرف اسحق الى منزله ونادمه العتابى بقية يومه وكانت هشيمة الخمارة تجيد الشراب فلما ماتت قال يرثيها

أضحت هشيمة فى القبور مقيمة * وخلت منازلها من الفتيان
كانت اذا هجر الحبيب محبه * دبت له فى السر والاعلان
حتى يلين لما يريد قياده * ويصير سيئه الى الاحسان

وهو اسحق بن ابراهيم بن ماهان أصله فارسى وترك ماهان ابراهيم صغيرا فنشأ فى بنى تميم وهذا الذى ذكرنا نبذة من أدبه وأما محاسنه فى الغناء فلا يأتى عليها الحصر قال الواثق ما غنانى اسحق قط الا ظننت أن قد زيد فى ملكى وان اسحق لنعمة من نعم الملك التى لم يحظ أحد بمثلها ولو أن العمر والنشاط مما يشترى لاشتريتهما له بشطر ملكى * وحدث حماد ابنه قال حدثنى أبى قال غدوت يوما وأنا ضجر من ملازمة دار الخليفة فركبت بكرة عازما أن أطوف فى الصحراء وأتفرج وقلت لغلمانى ان جاء رسول الخليفة فعرفوه أنى ركبت فى مهم ومضيت وطفت ما بدا لى وغدوت وعدت وقد حمى النهار فوقفت فى ظل جناح شارع لاستريح فلم ألبث اذ جاء خادم يقود حمارا فارها عليه جارية تحتها منديل دبيقى وعليها من اللباس الفاخر الاغاية وراءه فرأيت لها شمائل ظريفة وطرفا فاترا فحدثت أنها مغنية فدخلت الدار التى كنت عليها واقفا فعلقها قلبى علوقا شديدا لم أستطع معه براحا وأقبل رجلان شابان لهما هيبة تدل على قدرهما وهما راكبان فأذن لهما فحملنى حب الجارية وحسن حالهما ان توسلت بهما فدخلت معهما فظنا أن صاحب الدار دعانى وظن هو أنى معهما فجلسنا وأتى بالطعام فأكلنا وجىء بالشراب فخرجت الجارية وفى يدها عود فرأيت جارية حسناء فغنت غناء صالحا فتمكن ما فى قلبى منها وشربنا ثم قمت للبول فسألهما صاحب المنزل عنى فأنكرانى فقال هذا طفيلى ولكنه ظريف فأجملوا عشرته فجئت وجلست فغنت فى لحن لى

ذكرتك ان مرت بنا أم شادن * أمام المطايا تستريح وتسنح

من المؤلفات الرمل ادماسرة * شعاع الضحى فى وجهها يتوضح

فأدته أداء صالحا ثم غنت أصواتا فيها من صنعتى

الطلول الدوارس * فارقتها الاوانس

أوحشت بعد أنسها * فهى قفر بسابس

فكان أمرها فيه أصلح من الاول ثم غنت من صنعتى فى شعرى

قل لمن صدّ عاتبا * ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذى أردت وان كنت لاعبا

واعترفنا بما ادّعيت * وان كنت كاذبا

فكان أصلح مما غنته فاستعدته منها لاصححه فأقبل علىّ أحد الرجلين فقال ما رأيت طفيليا أصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا تصديق المثل طفيلى وقد يقترح فلم أجبه وكفه صاحبه عنى فلم ينكف ثم قاموا للصلاة فأخذت عود الجارية وأصلحته اصلاحا محكما وعدت الى موضعى فصليت ثم عادوا فعاد ذلك الرجل فى عربدته علىّ وأنا صامت فأخذت الجارية عودها وجسته فقالت من جس عودى فقالوا ما جسه أحد فقالت والله لقد جسه حاذق متقدم وشدّ طبقته فقلت لها أنا أصلحته فقالت بالله عليك خذه واضرب به فأخذته منها وضربت مبدأ طريق عجيب صعب فيه نقرات محكمة فما بقى منهم أحد الا وثب وجلس بين يدىّ وقالوا بالله يا سيدى أتغنى قلت نعم وأعرفكم بنفسى أنا اسحق الموصلى و والله انى لاتيه على الخليفة وأنتم تشتمونى منذ اليوم لانى تملحت معكم بسبب هذه الجارية و والله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم أو تخرجوا هذا المعربد الغث ونهضت لاخرج فتعلقوا بى وتعلقت الجارية بى فقلت والله لا أجلس الا أن يخرج فقال له صاحبه من شبه هذا حذرت عليك فأخرجوه فغنيت الاصوات التى غنتها الجارية من صنعتى فطرب صاحب البيت طربا شديدا وقال لى هل لك فى أمر أعرضه عليك فقلت ما هو فقال تقيم عندى شهرا والجارية مع ما عليها لك فقلت أفعل فأقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبنى فجئت بذلك منزلى بعد شهر وركبت الى المأمون فقال لى يا اسحق ويحك أين تكون فعرفته الخبر فقال علىّ بالرجل الساعة فعرفتهم موضعه فأحضره وقال أنت رجل ذو مروأة وسبيلك ان تعاون عليها فأمر له بمائة ألف درهم ونهاه أن لا يعاشر ذلك المعربد النذل وأمر لى بخمسين ألفا وقال أحضر لى الجارية فأحضرتها فغنته فقال قد جعلت لها نوبة فى كل يوم ثلاثا تغنى مع الجوارى وأمر لها بخمسين ألف درهم فربحت والله تلك الركبة وأربحت ويشبه هذه الحكاية حكاية ابراهيم بن المهدى اذ شفع للمأمون فى طفيلى قد قدّمناذكره فقال ابراهيم يا أمير المؤمنين هب لى ذنبه وأحدثك حديثا عجيبا فى التطفيل عن نفسى قال قل فقلت خرجت يوما فمررت فى سكك بغداد فشممت رائحة ابزار من جناح دار وقد فاح قتارها فسألت خياطا عن رب الدار فقال رجل من التجار اسمه فلان فخرجت من شباك فى الجناح كف ومعصم ما رأيت مثلهما قط فذهب عقلى وبهت واذا رجلان نبيلان فقال الخياط هذان نديماه وهما فلان وفلان فحركت دابتى ودخلت بينهما وقلت قد استبطأ كما أبو فلان فأتينا الباب فدخلنا فلم يشك صاحب الدار أنى منهما فرحب بى وأجلسنى فى أجل موضع فأتينا بالالوان فكان طعمها أطيب من رائحتها فقلت فى نفسى أكلت الالوان بقى الكف ثم سرنا الى مجالس المنادمة فاذا أنبل مجلس وصاحب الدار مقبل باللطف والحديث علىّ لما ظن أنى منهما فخرجت جارية تنثنى كأنها خوط بان فسلمت وجلست وأخذت بالعود وجسته فتبينت الحذق فى جستها وغنت هذا الصوت

توهمها طرفى فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر

وصافحها كفى فآلم كفها * من لمس كفى فى أناملها عقر

ومن بفكرى شخصها بجرحته * ولم أر شخصا ساقط تجرحه الفكر

فهيجت بلابلى وطربت ثم غنت

أشرت اليها هل علمت مودّتى * فردّت بطرف العين انى على العهد

فحدت عن الاظهار عمدا لسرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت السلاح وجاءنى مالم أملك معه نفسى ثم غنت

أليس عجيبا أنّ بيتا يضمنى * واياك لا نخلو ولا نتكلم

سوى أعين تشكى الهوى بجفونها * وترجيع أحشاء على النار تضرم

اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وقلب متيم

فحسدتها على حذقها فقلت ياجارية بقى عليك شئ فغضبت ورمت بالعود وقالت متى كنتم تحضرون

مجالسكم البغضاء فندمت ورأيت تغير القوم فدعوت بالعود وغنيت

ماللمنازل لايجبن حزينا * أصممن أم بعد المدى فبلينا

راحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متنا أو بقين بقينا

فأقبلت على رجلى تقبلها وتقول المعذرة والله ياسيدى من تعيير مثلك وقام مولاها وصاحباه

وصنعوا مثلها وشربوا بالطاسات طربا ثم غنيت

أبى الله هل أمسى ولا تذكرينى * وقد سفحت عيناى من ذكرك الدما

الى الله أشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل علقما

فجاء والله من طرب القوم ماحسبت له أن يخرجوا من عقولهم فأمسكت حتى اذا هدأ القوم اندفعت

أغنى

هذا المحبك مطويا على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده

له يد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده

يامن رأى كلفا مستهدفا أسفا * كانت منيته فى طرفه ويده

وقيل سحقا لاسحق وبعدا
وان زمرت اضحى زنام
(ذكر زنام الزامر)

فصاحت الجارية السلاح هذا والله الغناء يامولاى وسكروا وأمر صاحب الدار غلمانه بحفظهم الى منازلهم وبقيت أشرب معه وكان جيد الشراب فقال لى ياسيدى ذهب والله ماخلا من أيامى باطلا اذ كنت لا أعرفك فمن أنت فأخبرته فقبل رأسى وقال أعجب من هذا الادب وأنا منذ اليوم مع الخلافة وسألنى عن قصتى فأخبرته خبر الطعام والمعصم فأحضر جواريه فلم أره فقال مابقى غير أمى وأختى ولا أنزلهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت ابدأ بالاخت ففعل فلما رأيت معصمها قلت هى هى فأرسل الى عشرة مشايخ وأحضر بدرتين وقال أشهدكم أنى قد زوجت أختى فلانة من ابراهيم ابن المهدى وأمهرتها عنه عشرة آلاف درهم فدفعت اليه البدرة الواحدة وفرقت الاخرى على المشايخ وانصرفوا وقال ياسيدى أمهد لك بعض البيوت فأحتشمنى فقلت بل احملها الى منزلى فى عمارته فوحقك ياأمير المؤمنين لقد حمل الىّ من الجهاز ماضاق عنه بعض دورى فتعجب المأمون من كرمه فأمر باحضاره فصار من خواصه (قوله سحقا) أى بعدا (وزنام) الزامر هو الذى أحدث الناى وهو المزمار الذى تدعوه عامتنا بالمغرب الزلامى فصحفوه بابدال نونه لاما وانما هو زنامى وقال فيه الشاعر

ان فى ناى زنام شغلا * يشغل العاقل عن ناى زنام

قال القاسم بن زرزور الزامر حدثنى زنام الزامر قال لما اعتل المعتصم علته التى مات منها قال هيؤا الى الزلال حتى أركبه فهيئ له فركب وأتى فيمن معه فى دجلة بازاء منازله فقال يازنام قلت لبيك ياأمير المؤمنين قال ازمر

يامنزلا لم تبل اطلاله * حاشا لاطلالك أن تبلى

العيش أولى مابكاه الفتى * لابد للمحزون أن يسلى

لم أبك أطلالك لكننى * بكيت عيشى فيك اذ ولى

قال فزمرت ومازلت أردده وهو ينتحب و يبكى الى أن خرج ثم توفى بعد خمسة أيام وزنام صار المثل يضرب بزمره واتقان صنعته وكان الواثق مولعا بزمره بعد أبيه المعتصم * حدث حسين بن الضحاك قال دخلت على الواثق فقال قل الساعة أبياتا لا حاجى أهب للشيأ مليحا فقلت فى أى معنى قال فيما شئت مما ترى بين يديك فالتفت فاذا بساط قد نفضت انواره وأشرق فى نور الصبح فخجلت وارتج على فقال الواثق ألست ترى نور صباح ونوارا فاح ففتح لى فقلت

ألست ترى الصبح قد اسفرا * ومنسكب الغيث قد أمطرا
واسفرت الارض عن حلة * تضاحك بالاصفر الاحمرا
وتعمل كأسين فى فتية * تطارد بالاصغر الاكبرا
يحث كؤسهم مخطف * تجاذب أردافه المئزرا
فكل ينافس فى بره * ليفعل فى ذاته المنكرا

فضحك وقال نستعمل ما قلت يا حسين الا الفسق فلا ولا كرامة ثم قال قوموا بنا الى حانة الشط فقام اليها وشرب وطرب وما ترك احدا من المغنين والجلساء الا أمر له بصلة وكان من الايام التى سارت اخبارها فى الآفاق فلما كان من الغد غدوت عليه فقال أنشدنى ما قلت فى يومنا الماضى فأنشدته

يا حانة الشط قد أكرمت مثوانا * عودى بيوم سرور كالذى كانا
لا تفقد بنا دعابات الامير ولا * طيب البطالة اسرارا واعلانا
وهاج زمر زنام بين ذاك لنا * شجوا فأهدى لنا روحا وريحانا
وسلسل الرطل عمرو ثم عم به السقيا فألحق أخرانا بأولانا
لازلت آهلة الاوطان عامرة * بأكرم الناس أعراقا وأغصانا

ذكرنا هذه الحكاية لظرفها ولما وقع لزنام من الذكر فى شعر حسين (قوله زنيما) أى دعيا فى الزعم قال ابن الاعرابى الزنيم ابن الزانية * أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا شئ من نسله الى سبعة آباء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت العباد فيما مضى اذا عبد الله احدهم أربعين سنة يسعى نوره بين يديه فعبد الله عابد أربعين سنة وأربعين ولم يسع له نور فابتهل الى الله تعالى فقال عبدتك أربعين وأربعين ولم يسع لى نور فأرى فى منامه أنه لغير رشدة فقال يارب ان كان أبواى أكلا حامضا أضرس انا فسعى نوره بين يديه (قوله جيله) أى أهل عصره * الزعيم الاول السيد والثانى الضامن أراد أنه يضمن لمن سمعه أن يطربه وقال أبو الفضل الدارمى فى زامر أسود

وحالك اللون كالليل البهيم له * فضائل مشرقات الحسن كالفلق
تخال مجلسنا وجها به حسنا * اذ صار فيه كخال معجب لبق
تراه يحفظ ما يوحى اليه به * وسره أبدا يهوى بمخترق
يحدو بأنفاسه الاوتار مجتهدا * فتستقيم به الالحان فى الطرق
أهدى الشباب اليه حسن بهجته * فناسب المسك فى لون وفى عبق

(الحبب) الفقاقيع تعلو الماء والخمر (أزدرى) احتقر (النعم) الابل واكرمها الحمر (احلى) ازين (بتمليها) بطول حياتها ومدتها والملاوة المدة ومنه قوله تعالى وأملى لهم (مرآها) رؤيتها (اذود) ادفع (شرائع) طرق (السمر) الحديث بالليل (ألبح) أشفق (تسرى) تسير ليلا (رياها) رائحتها الطيبة (يكهن) يشعر ويحسن وتكهن الرجل تحدث عن الغيب (وسطيح) الغسانى اكهن الناس وانذر بسيل العرم فكان يدرج جسده كما يدرج الثوب خلا جمجمة رأسه واذا مست باليد أثرت فيه للين

عندها زنيما بعد أن كان لجيله زعيما و بالاطراب زعيما وان رقصت أمالت العمائم عن الرؤس وأنستك رقص الحبب فى الكؤس فكنت ازدرى معها حمر النعم واحلى بتمليها جيد النعم واحجب مرآها عن الشمس والقمر واذود ذكراها عن شرائع السمر وأنا مع ذلك ألبح من أن تسرى برياها ريح أو يكهن بها سطيح

(ذكر سطيح)

عظمها * ومن كهانته أنه لما كان ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرفة فأعظم ذلك أهل المملكة وكتب الى كسرى صاحب الشام ان وادى السماوة انقطع تلك الليلة وكتب اليه صاحب اليمن ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب اليه صاحب طبرية ان الماء لم يجر تلك الليلة فى بحيرة طبرية وكتب اليه صاحب فارس ان بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة فلما تواترت عليه الكتب اظهر سريره وبرز الى أهل مملكته فأخبرهم الخبر فقال الموبذان أيها الملك انى رأيت تلك الليلة رؤيا التى رأيت ابلا صعابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا فقال فما عندك فى تأويلها قال ما عندى شئ ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فبعث اليه فوجه عبد المسيح بن نفيلة الغسانى فأخبره كسرى بالخبر فقال أيها الملك ما عندى فيها شئ ولكن جهزنى الى الشأم الى خالى سطيح فجهزه فلما قدم عليه وجده قد احتضر فناداه فلم يجبه فقال

أصم أم يسمع غطريف اليمن * رسول قيل العجم يهوى للوثن

يا فاصل الخطة أعيت من ومن * أتاك شيخ الحى من آل سنن

* ابيض فضفاض الرداء والرسن * فرفع اليه سطيح رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح أقبل الى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاج الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت الواد وانتشرت فى البلاد عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة وغاض وادى السماوة وظهر صاحب الهراوة فليست الشام لسطيح بشام يملك منهم ملوك وملكات بعدد ما سقط من الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قال

ان كان ملك بنى ساسان افرطهم * فان ذا الدهر اطوار دهارير

منهم بنو الصرح بهرام واخوته * والهرمزان وسابور وسابور

فربما أصبحوا منهم بمنزلة * يهاب صولهم الاسد المهاصير

حثوا المطى وجدوا فى رحيلهم * فما يقوم لهم سرج ولا كور

والناس ابناء علات فمن علموا * أن قد أقل فمحقور ومهجور

والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

فأتى كسرى فأخبره فغمه ذلك وقال الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان فملكوا كلهم فى أربعين سنة (قوله ينم) من النميمة (مليح) كثير الظهور (الحظ) البخت والمصيب و(وشكه) سرعة زواله (المنحوس) المنقوص (نكد) مشقة (الطالع) نجم الانسان والطالع يقابله الساقط (حيا) حدة (ثاب) رجع (صرد) خرج من قوسه وأراد بالسهم اللفظ الذى سمع منه جاره (الخبال) الفساد (الوبال) الثقل وهو وبال عليه اى ثقيل فى العاقبة وطعام وبيل ثقيل متخم ومنه استوبلت المدينة اذا لم توافق جسمك وان أحببتها (أودع) جعل فيه و(الغربال) معلوم يشبه به النمام حيث لا يمسك ما جعل فيه قال الحطيئة يهجو أمه

تنحى فاجلسى منى بعيدا * أراح الله منك العالمينا

اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا

كانون أبرد أيام الشتاء ويريد انها باردة الحديث قال كعب بن زهير رضى الله عنه

ولا تمسك بالعهد الذى زعمت * الا كما يمسك الماء الغرابيل

(وقال فى الحماسة)

ولا أكتم الاسرار لكن انمها * ولا ادع الاسرار تغلى على قلبى

وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

أو ينم عليها برق مليح فاتفق لوشك الحظ المنحوس أن ونكد الطالع المنحوس أن أنطقتنى بوصفها حيا المدام عند الجار النمام ثم ثاب الفهم بعد أن صرد السهم فأحسست الخبال والوبال وضيعة ما أودع ذلك الغربال

وقال آخر

أعزز على بأخلاق وسمت بها * عند البرية يا فالوذج السوق
تضيق بالسر ذرعا ان خصصت به * حتى يرى ذائعا كالنفخ فى البوق

وقال فى ضده

ومستخبر عن سر ريا رددته * بعميا من ريا بغير يقين
وقال انتصحنى اننى لك ناصح * وما أنا ان خبرته بأمين

(وقال قيس بن الخطيم)

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بث وتكثير الحديث قمين
يكون له عندى اذا ما ضمنته * مكان بسوداء الفؤاد مكين

(وقال العباس بن الاحنف)

تعنيت تطلب ما أستحق * به الهجر منك ولا تقدر
وماذا يضرك من شهرتى * اذا كان سرك لا يشهر
أمنى تخاف انتشار الحديث * وحظى فى صونه أوفر
ولو لم أصنه لبقيا عليك * نظرت لنفسى كما تنظر

(قوله بيد) بمعنى غير (عكم) ربط (أحفظته) أغضبته (يهتك) يخرق (غبر) مضى (المدرة) البلدة (قيله) ملكه الاعظم (مجددا عرض خيله) أى ليعرض عليه ما عنده من الاجناد و(النيل) أى العطاء (ارتاد) طلب (تحفة) هدية (تلائم) توافق (هواه) ارادته (نجواه) حديثه مع الملك *والجعل حق من دلك على حاجة والجعالة بمعناه والجعائل جمعها (يسنى) ييسر وأصل (الرواد) طلاب المرعى واحدهم رائد وأصل (لوسائل) أسباب الود (أسف) انحط ودنا وأسف الطائر دنا الى نحو الارض لشئ يأخذه وأسف الرجل طلب مداق الامور (والجار الختار) الخداع (بدوله) عطاؤه (ادراعه) لبسه الدرع (ناشرا أذنيه) أى طامعا وهو مثل (أبثه) قال له سره (قوله راعنى) أى أفزعنى (انسياب) دخول (صاغيته) حاشيته ومن يميل اليه (انثيال) انصباب (حفدته) أتباعه (يسومنى) يعرض على (ايثاره) تفضيله على نفسى (الدرة اليتيمة) الجوهرة النفيسة وبهذا سمى الثعالبى كتابه الدرة اليتيمة أى الدرة المنفردة التى لا مثل لها واليتيمة درة مشهورة فى البيت الحرام أكبر من بيضة الحمامة استخرجها من البحر كلب جاء ليلغ فتعلقت محارتها بفمه فنفضها فى البر فهى من عجائب الدنيا ومن عجائبها الحافر وهو حجر ياقوت شبه حافر الفرس ألصقه أمير المؤمنين بمصحف عثمان والغريبة الثالثة فرس ذهب لم يصنعه صانع انما وجد فى معدن الذهب وهو عند ملك الحبشة بغانة و(الذى غشى فرعون وجنوده من اليم) هو الغرق واليم البحر الذى ذهبت نفوسهم فيه *ولا بد ان نلم بنبذة من خبره نكمل بها القصة حسبما شرطنا وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما خرج فارا من فرعون حسبما قدمناه فى الخامسة توجه الى مدين فبلغها كالا جائعا فقيرا فوجد الناس يسقون كما نص الله تعالى ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى يحبسان غنمهما فأخبرتاه بانهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء وأن لهما أبا شيخا كبيرا فرحمهما واقتلع الصخرة عن البئر وكان لا يرفعها الا نفر فلا وسقى لهما ثم تولى الى ظل شجرة مثمرة فقال يارب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس رضى الله عنهما قال هذا موسى ولوشاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لفعل أراد خضرة البقل الذى أكل فى طريقه فرجعت الجاريتان بسرعة الى أبيهما فأنكر مجيئهما قبل الوقت الذى جرت العادة بمجيئهما فيه فأخبرتاه خبر موسى فأرسل احداهما فأتته وهى تستحيى منه فقالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فمشى معها وهى بين يديه فضرب الريح ثوبها فنظر الى عجيزتها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق فلما أتى الشيخ سأله عن شأنه فقص عليه قصته فقال لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت التى دعته يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين فقال لها الشيخ أما القوة فقد

بيد أنى عاهدته على عكم ما لفظته وأن يحفظ السر ولو أحفظته فزعم أنه يخزن الاسرار كما يخزن اللئيم الدينار وانه لا يهتك الاستار ولو عرض لان يلج النار فغبر على ذلك الزمان الايوم أو يومان حتى بدا الى أمير تلك المدرة ووالى هاذى المقدرة أن يقصد باب قيله مجددا عرض خيله ومستمطرا عارض نيله وارتاد أن تصحبه تحفة تلائم هواه ليقدمها بين يدى نجواه وجعل يبذل الجعائل لرواده ويسنى الوسائل لمن يظفره بمراده فأسف ذلك الجار الختار الى بذوله وعصى فى ادراع العار عذل عذوله فأتى الوالى ناشرا أذنيه وأبثه ما كنت أسررته اليه فما راعنى الا انسياب صاغيته الى وانثيال حفدته على يسومنى ايثاره بالدرة اليتيمة على أن أتحكم عليه فى القيمة فغشينى من الهم ما غشى فرعون وجنوده من اليم ولم أزل أدافع عنها ولا يغنى الدفاع واستشفع اليه ولا يجدى الاستشفاع وكلما رأى منى ازدياد

(تكملة قصة موسى وفرعون)

خبرته بقلع الصخرة فما يدريك أمانته قالت له انى مشيت أمامه فلم يحب أن يخونى وردنى خلفه فقال
له انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين الى آخر القصة فلما قضى أجله وسار بأهله وكان فى شتاء
رفعت له نار فلما رآى فكانت من نور الله تعالى فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا الآية ومعنى
تصطلون أى من البرد فكان عند اتيانه لها ما أخبر الله تعالى من أنه نودى أن بورك من فى النار ومن
حولها فلما فزع قال الحمد لله رب العالمين فنودى انى أنا الله رب العالمين وما تلك بيمينك ياموسى قال
هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى أى أضرب بها ورق الشجر للغنم ولى فيها مآرب أخرى من حمل
الزاد عليها والسقاء وغير ذلك فقال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى فلما رآها تهتز كأنها جان
ولى مدبرا ولم يعقب أى لم ينظر فنودى لا تخف انك من الآمنين الآيات فسأل الله تعالى أن يرسل
معه أخاه هرون ردءا أى عونا لكونه كان أفصح منه لسانا للجمرة التى كانت أحرقت لسانه فى صغره
فثقل لسانه فقال سنشد عضدك بأخيك فأقبل موسى الى أهله فسار بهم الى مصر فدخلها ليلا فنزل
ضيفا بأمه وأخيه وهم لا يعرفونه وهرون غائب فنزل بجانب الدار وجاء هرون فسأل عنه أمه فأخبرته
انه ضيف فدعاه وأكل معه ثم سأله من هو فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما لصاحبه واعتنقه
فقال له موسى ياهرون ان الله قد أرسلنى واياك الى فرعون فانطلق معى فقال سمعا وطاعة فصاحت
أمهما وقالت نشدتكما الله تعالى أن لا تذهبا اليه فيقتلكما فسكتاها ثم انطلقا اليه ليلا فى قول
السدى وضربا الباب فكلمهما البواب فقالا له انا رسولا رب العالمين ففزع البواب فأتى فرعون
فأخبره ان مجنونين بالباب يزعمان كذا فقال أدخلهما وأما ابن اسحق فحدث انهما وقفا على باب
فرعون يلتمسان الاذن يغدوان ويروحان سنتين وفرعون لا يعرف بهما حتى دخل ملهه فقال له
أيها الملك ان على الباب رجلا يزعم أن له الها غيرك فقال أدخلوه فدخلا وبيد موسى عصاه فلما
وقفا عرفه فرعون فقالا انا رسول رب العالمين فحاوبه بقوله ألم نربك فينا وليدا الآيات ثم ذكره أياديه
قبله فقال له موسى وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل أى اتخذتهم عبيدا تقتل من شئت
وتسترق من شئت فقال له وما رب العالمين فأراه الآية الكبرى فى العصا أن ألقاها فاذا هى ثعبان
مبين ملأت ما بين السماطين فاتحة فاها قد صارت محجنها على ظهرها فارفض الناس ومال فرعون
عن سريره فناشد موسى بربه فأدخل يده فى جيبه فأخرجها بيضاء كالثلج ثم ردها فعادت هيئتها ثم
وضع يده على الحية فصارت عصا كما كانت أول مرة وأخذ فرعون بطنه وكان فيما يزعم يمكث الخمس
والست ولا يلتمس الخلاء وكان ذلك مما زين له أنه ليس له شبيه فى الناس فقال للملأ ان هذا لسحر
عظيم فجمع السحرة ووعدهم ليوم العيد وأن يحشر الناس ضحى يحضرون أمرهم مع موسى فاجتمعوا
لذلك اليوم فصف خمسة عشر ألف ساحر كل ساحر له نوع من السحر فخرج موسى يتوكأ على عصاه حتى
أتى الجمع وفرعون فى مجلسه مشرف على وجوه أهل مملكته فقال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على
الله كذبا فيسحتكم بعذاب الآية فقال بعضهم لبعض أهكذا يقول ساحر فخيروه فى أن يلقى
أو يلقوا فقال بل ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم أشياء حيروا بها العقول من حيات قد ملأت
الوادى يركب بعضها بعضا ونيران تحرق فى ظاهرها ما مرت به وظلم متكاثفة كما وصف الله تعالى
واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ففزع موسى وأخوه لهول ما رأيا وذلك قوله تعالى فأوجس فى نفسه
خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى الآيات فألقى موسى عصاه فجعلت تلقف كل ما خيلوا به
وكانوا احملوا آلاتهم فى السفن فى النيل فابتلعت السفن وأقبلت فاتحة فاها على قبة فرعون بمن فيها
ففروا وتعلقوا بموسى يستنقذون به فأخذها موسى فاذا هى عصا فى يده كما كانت فوقع السحرة سجدا
قائلين آمنا برب هرون وموسى لما تبينوا ان أمر العصا الهى ليس من تخاييلهم فقال لهم فرعون
آمنتم له قبل ان آذن لكم الآيات الى قوله تعالى والله خير وأبقى أى لا سلطان لك الا فى الدنيا ولا

سلطانك بعدها قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين فقتلهم فكانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء ثم أمر الله تعالى نبيه موسى ان يخرج بني اسرائيل فقال اسر بعبادي ليلا فأمرهم ان يستعيروا الحلى من القبط فخرجوا ليلا وألقى الله على القبط النوم حتى طلعت الشمس وكان موسى على ساقة بني اسرائيل وهرون على المقدمة وعدد بني اسرائيل ستمائة ألف وعشرون ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرة لصغره ولا ابن الستين لكبره وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان وهم في ألف ألف وسبعمائة ألف فذلك قوله تعالى فأرسل فرعون في المدائن حاشرين فلما تراءى الجمعان قالوا ياموسى أوذينا من قبل أن تأتينا بالذبح ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا فقال كلا ان معي ربي سيهدين فأتى موسى البحر وكناه أبا خالد فضربه بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم والطود الجبل فصار في البحر اثناعشر طريقا فدخل كل سبط طريقه وكل سبط يقول قتل أصحابنا ففتح الله بينهم قناطر فنظر آخرهم الى أولهم وجاء فرعون ومن معه فأبت خيله أن تقتحم فاقتحمها جبريل على فرس أنثى فاقتحمت الخيل في اثره فلما توسط البحر أمر البحر أن يأخذهم فانضم عليهم فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وجعل جبريل يدس الطين في فمه لئلا يتم الكلمة فيرحمه الله وميكائيل يقول آلآن وقد عصيت قبل وأخرج الله بدن فرعون ميتا حتى عرفه بنو اسرائيل فهذا هو الذي غشى فرعون وجنوده من اليم (قوله الاعتياص) أي التصعب واعتاص الشيء اعتياصا تصعب والتوى (المناص) الملجأ والمفر (وتجرم) أتى الجرم (وتضرم) اشتد غضبه (والارم) الاسنان (وحرق) عض بعضها على بعض حتى صوت وذلك لشدة الغيظ وهو مثل (آل) رجع (الوعيد) التهديد (قراعا) ضربا والقراع الخبط والضرب والتقريع الاخذ باللسان يريد هددوني فلما أبيت ضربوني (الحين) الموت (قضته) عاوضته وبادلته (سواد العين) جاريته التي هي نور عينه (صفرة العين) لون الدنانير (لم يحظ) لم يأخذ حظوة وهي النصيب و (الواشي) النمام سمي واشيا لاستخراجه الاخبار وتوصله الى معرفتها من قولهم فلان يوشي الخبر اذا استخرجه وقيل سمي واشيا لتحسينه ما ينقل من الاخبار وثوب موشي محسن بما فيه من النقوش وقيل هو من الشية وهي العلامة كأنه جعل لنفسه علامة من الوصف القبيح (والشين) العيب *وعلى وصف الجارية المذكورة بالادب والجمال نريد ان نسوق فصلا في الجواري ذوات الادب ممن أهديت الى ملك كال هذه أولها معه سبب * حدث الاصمعي قال بعث الي هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فأنزلني الفضل بن الربيع ثم أدخلني عليه وقت المغرب فاستدناني وقال لي يا عبد الملك وجهت فيك بسبب جاريتين أهديتا الي لهما أدب أحببت ان تبرز ما عندهما وتشير علي بالصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فأحضرتا فرأيت جاريتين ما رأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ما عندك من العلم فقالت ما أمر الله في كتابه ثم ما ينظر الناس فيه من الاخبار والاشعار فسألتها عن حروف من القرآن فأجابتني كأنها تقرأ القرآن في كتاب ثم سألتها عن الاخبار والاشعار والنحو والعروض فما قصرت في جوابي في كل فن أخذت فيه فقلت لها فأنشدينا شيأ فأنشدت

ياغياث العباد في كل محل * ما يريد العباد الا رضاكا

لا ومن شرف الامام وأعلى * ما أطاع الاله عبد عصاكا

فقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت امرأة في مسك رجل مثلها وخبرت الاخرى فوجدتها دونها فأمر أن تصنع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة ثم قال يا عبد الملك أنا ضجر وأحب أن تسمعني حديثا مما شهدت من أعاجيب الزمان أنفرج به فقلت يا أمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان وكنت أغشاه وأتحدث اليه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهنا وأقواهم بدنا فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته ما سبب تغيره فقال قصدت بعض القرابة

الاعتياص وارتياد المناص
تجرم وتضرم وحرق علي الارم ونفسي مع ذلك
لا تسمح بمفارقة بدري
ولا بأن أنزع قلبي من
صدري حتى آل الوعيد
ايقاعا والتقريع قراعا
فقادني الاشفاق من الحين
الى أن قضته سواد العين
بصفرة العين ولم يحظ
الواشي بغير الاثم والشين
فعاهدت الله تعالى مذ ذلك
العهد أن لا أحاضر غماما
من بعد

فألقيت عندهم جارية قد طلت بالورس بدنها وفي عنقها طبل تنشد عليه

محاسنها سهام للمنايا * مريشة بأنواع الخطوب
ترى ريب المنون لهن سهما * يصيب بنصله مهج القلوب

فقلت

فني شفقي في موضع الطبل ترتعي * كما قد أبحت الطبل في جيدك الحسن
هبيني عودا يابسا تحت شقة * يتمتع فيما بين نحرك والذقن

فلما سمعت الشعر رمت بالطبل في وجهي ودخلت الخيمة فوقفت حتى حميت الشمس على مفرق رأسي فلم تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغير من عشق لها فضحك الرشيد حتى استلقى ثم قال ويلك يا عبد الملك ابن ست وتسعين يعشق فقلت له قد كان هذا فقال يا عباس أعط عبد الملك مائة ألف درهم ورده الى مدينة السلام فانصرفت ثم أتاني الخادم فقال أنا رسول بنتك يعني الجارية تقول لك ان أمير المؤمنين أمر لها بمال وهذا نصيبك فدفع لي ألف دينار فلم تزل تواصلني بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها عني وأمر لي الفضل بعشرة آلاف درهم * حدث علي بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى المتوكل أهدى اليه الناس على أقدارهم فأهدى اليه ابن طاهر جارية أديبة تسمى محبوبة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه فحلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما المنادمة فخرج وهو يضحك فقال يا علي دخلت فرأيت محبوبة قد كتبت على خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيأ فسبقتني محبوبة فقالت وأخذت عودها وغنت

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا * بنفسي محط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها * لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا
فيا من مناها في السريرة جعفر * سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا
ويا من لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما أسر وأجهرا
ويا من لعيني من رأى مثل جعفر * سقى الله صوب المسكرات لجعفرا

قال فتقلبت خواطري حتى كأني ما أحسن حرفا من الشعر فقلت للمتوكل أقلني فقد والله عزب ذهني عني فلم يزل يعيرني به ثم دخلت عليه بعد ذلك للمنادمة فقال يا علي أعلمت اني غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ومنعت أهل القصر من كلامها فقلت يا سيدي ان غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال ويحك يا علي رأيت البارحة في النوم كأني صالحت محبوبة فقالت جاريته شاطر يا سيدي لقد سمعت الآن في مقصورتها هينمة فقال قم حتى ننظر ماهي فقام حافيا حتى قربنا من مقصورتها فاذا هي تغني وتقول

أدور في القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمني
كأنني قد أتيت معصية * ليست لها توبة تخلصني
فمن شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني
حتى اذا ما الصباح عاد لنا * عاد الى هجره فصارمني

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها في التراب حتى أخذ بيدها راضيا عنها * حدث أبو علي بن الاسكري المصري واسكر هي القرية التي ولد بها موسى عليه السلام قال كنت من جلاس تميم بن أبي تميم وممن يخف عليه فأتى من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا جلاسه ومدت الستارة فأمرها فغنت

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنع أركانه
وبدا لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده أشجانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

قال فأحسنت ماشاءت وطرب تميم ومن حضر ثم غنت

ستسليك عما فات دولة مفضل * أوائله محمودة وأواخره

ثنى الله عطفيه وألف شخصه * على البر مذ شدت عليه مآزره

فطرب تميم ومن حضر طربا شديدا ثم غنت

استودع الله في بغداد لي قمرا * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

فأفرط تميم في الطرب جدا ثم قال لها تمني ماشئت فلك مناك فقالت أتمنى عافية الامير وسعادته فقال لابد والله فقالت على الوفاء أتمنى أيها الامير فقال نعم فقالت أتمنى ان أغني هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقام فلحقني بعض خدمه فردني فلما وقفت بين يديه قال لي ويحك أرأيت ما امتحنا به ولابد من الوفاء وما أثق في هذا بغيرك فتأهب لحملها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة فأصحبها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر لي بناقة وبمحمل عليه هودج فأدخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما اوردنا القادسية أتتني السوداء فقالت لي تقول لك سيدتي أين نحن فقلت نحن نزول بالقادسية فأخبرتها فسمعت صوتها قد ارتفع بالغناء

لما نزلنا القادسية حيث مجتمع الرفاق

وشممت من أرض الحجا * ز نسيم أنفاس العراق

أيقنت لي ولمن أحب بجمع شمل واتفاق

وضحكت من فرح اللقا * كما بكيت من الفراق

فصاح الناس من أقطار القافلة اعيدي اعيدي بالله فما سمع لها كلمة فلما نزلنا الياسرية على خمسة أميال من بغداد في بساتين متصلة يبيت الناس بها ثم يبكرون لبغداد بتناهما فلما قرب الصباح اذا بالسوداء قد أتتني مذعورة فقالت ان سيدتي ليست بحاضرة ووالله لا أدري أين هي فطلبتها فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد خبرا فقضيت حوائجي ببغداد وانصرفت الى تميم فأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها وأخبار القيان كثيرة فلنقتصر على هذا القدر * ومما جاء في الواشي ما حكى أن رجلا وشى برجل الى بلال بن أبي بردة فقال للساعي انصرف حتى أكشف عما ذكرت فلما كشف عن الساعي اذا هو لغير رشدة قال أنبأنا أبو عمرو وما كذبت ولا كذبت حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الساعي لغير رشدة وذكر السعاة عند المأمون فقال لو لم يكن من عيبهم الا انهم أصدق ما يكونون أبغض ما يكونون عند الله وقال ذو الرياستين قبول النميمة شر من النميمة لان النميمة دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبله وأجازه وقد جعل الله السامع شريك القائل فقال سماعون للكذب وقال الشاعر

لعمرك ما سب الامير عدوه * ولكنما سب الامير المبلغ

ووشى واش بعبد الله بن همام السلولي الى زياد فقال له انه هجاك فقال أجمع بينكما قال نعم فبعث الى ابن همام وأدخل الرجل بيتا فقال زياد ابن همام، بغي انك هجوتني فقال كلا أصلحك الله ما فعلت ولا أنت لذلك بأهل فأخرج الرجل وقال ان هذا أخبرني فأطرق ابن همام هنيهة ثم أقبل على الرجل فقال

وأنت امرؤ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم

فأنت من الامر الذي كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم

فأعجب زياد بجوابه وأقصى الواشي ولم يقبل منه قال وأنشد الشاعر

لا تقبلن نميمة من قائل * وتحفظن من الذي أنباكها

ان الذي أنباك عنه نميمة * سيدب عنك بمثلها قد حاكها

* علی بن أبی طالب قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان موسی قال یارب انی حیث ذهبت لا انصر ولا أخذل فاوحی الله الیه ان فی عسکرك غمازا قال یارب دلنی علیه قال یاموسی أبغض الغماز فكیف أغمز قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان أبغضكم الی المشاؤن بالنمیمة المفرقون بین الاحبة الملتمسون بین البرآء العیب وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم أربعة یؤذون أهل النار علی مابهم من الاذی فذكر رجلا یأكل لحوم الناس ویمشی بالنمیمة (قوله والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذمیمة) قال السری فیما یتعلق بالزجاج من النم

رأیتك تبدی للصدیق نوافذا * عدوك من أمثالها الدهر آمن
وتكشف أسرار الاخلاء مازحا * ویارب مزح راح وهو ضغائن
سأحفظ مابینی و بینك صائنا * عهودك ان العهد للمرء صائن
وألقاك بالبشر الجمیل مداهنا * فلی منك خل ماعلمت مداهن
انم بما استودعته من زجاجة * یری الشیء فیها ظاهرا وهو باطن

وقال ابن المعتز

لحا الله امرأ أعطاك سرا * فضیعه وفض الله فاه
فانك كلما استودعت سرا * أنم من الزجاج بما وعاه

وقال السری

أستودع الله خلا منك أوسعه * ودا و یوسعنی غشا وتمویها
كان سری فی أحشائه لهب * فما یطیق له ضما حواشیها
قد كان صدرك للاسرار جندلة * ضنینة بالذی تخفی نواحیها
فعاد من بث ما استودعت جوهرة * رقیقة تستشف العین مافیها

وله أیضا

ثنانی عنك ما استشعرت شرا * خلال فیك لست لها براضی
وانك كلما استودعت سرا * أنم من النسیم علی الریاض

(قوله و به یجری المثل فی النمیمة) یقال أنم من الزجاجة علی مافیها لانه جوهر لا یكتم مافیه قال الاصبهانی مازال البلغاء یتعاطون وصف هذا الجوهر فعبروا عن مدحه وذمه فاما ذمه فان ابراهیم ابن سیار النظام أخرجه فی كلمتین بأوجز لفظ وأتم معنی فقال سریع الكسر بطیء الجبر وقال فی الذهب الذهب لئیم لان الشكل یصیر الی شكله وهو عند اللئام أكثر منه عند الكرام وأما سهل بن هرون فكان یوما بمجلس أحد الملوك وشداد الحربی یعدد خصال الذهب فقال هو أبقی الجواهر علی الدفن وأصبرها علی الماء وأقلها نقصانا فی النار وهو أوزن من كل ذی وزن اذا كان فی مقدار شخصه ولو وضعت علی ظهر الزئبق فی انائه قیراطا من ذهب لرسب حتی یضرب قعر الاناء وسائر الجواهر تطفو فوقه ولو كان الجوهر ذا وزن ثقیل ورجح عظیم ولا تشد الاسنان المتقلقلة بغیره ولا یوضع فی مكان الانوف المصطلمة سواه ومیله أجود الامیال والهند تمره فی العین بلا كحل لصلاح طبعه وعلیه مدار التبایع مذ كان التبایع وهو غنی لكل شیء وهو الزریاب والصفائح التی تكون فی سقف الملوك والطبخ فی قدوره أغذی وأمرأ وسئل علی بن أبی طالب رضی الله عنه عن الكبریت الاحمر فقال هو الذهب فأدرك سهل بن هرون من الغیرة والحسد مادعاه الی معارضته فقال یذم الذهب و یفضل الزجاج الذهب مخلوق والزجاج مصنوع وان فضله الذهب بالصلابة فضله الزجاج بالصفاء والزجاج أبقی علی الدفن والزجاج نور علوی والذهب متاع سیال ولم تتخذ الناس آنیة الشراب أجمع لما یریدون من الشراب منه والشراب فیها أحسن منه فی كل معدن ولا یفقد معه وجه النندیم ولا یثقل الید ولا یرتفع فی السوم وكان سلیمان اذا شرب فی اناء كلحت فی وجهه مردة الجن فعلمه الله تعالی صنعة القواریر فحسم عن نفسه تلك الجراءة ومن كرع فیه فكأنما كرع فی اناء من ماء وهواء ونور وقد تقدح النار من كسر قنینة الزجاج اذا كان فیها ماء لان طبع الزجاج والماء والهواء والشمس واحد

والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذمیمة وبه یضرب فی المثل النمیمة فقد یجری علیه سیل عینی ولذا كم السبب لم تمتد الیه عینی شعر

قول الشارح قوله وبه یجری المثل الذی بأیدینا من أصول المتن وبه یضرب الخ فلعلها نسخة وقعت له اه مصححه

وليس فيما يدور الفلك عليه أقبل لكل صبغ منه وأجدر أن لا يفارقه حتى كأن ذلك الصبغ جوهرية فيه ومتى سقط عليه ضياء أنفذه الى الجانب الآخر وأعاره لونه فان كان الجام ذا لونين أرالك الوشي أحسن من وشي صنعاء ومن ديباج تستر واذا وقع شعاع المصباح على جوهر الزجاج صار المصباح والقنديل مصباحا واحدا ورد الضياء كل واحد منهما على صاحبه واعتبر واذلك بالشعاع الذي يسقط على المرآة على وجه الماء أو على الزجاج ثم انظروا كيف يتضاعف نوره وان كان سقوطه على عين انسان أعشاه وربما أعماه قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري والزيت في الزجاجة نور على نور وقال الله تعالى انه صرح ممرد من قوارير وقال تعالى وأكواب كانت قواريرة قوارير من فضة فاشتق اسما للفضة منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحادي بابله يا أنجس ارفق بالقوارير فاشتق للنساء اسما منه وقدوره أطيب طعاما من قدور الحجارة وهي لا تصدأ وان اتسخت فالماء وحده لها جلاء ومتى غسلت عادت جددا واسم الذهب يتطير منه وان سقط عليك قتلك ومن لؤمه سرعته الى بيوت اللئام وابطاؤه عن بيوت الكرام وهو من مصايد الشيطان ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران وهو قتال لمن أصابه فلم يبق في المجلس أحد الا تحير من ذلك وتعجب من بلاغته وحسن بديهته واحتجاجه في معارضته من غير روية وأيقن أنه ليس دون اللسان حاجز وأنه مخراق يذهب في كل فن فاذا صح العقل صح تقويم اللسان (قوله القطائف) هي ما يجنى من الثمار يريد بها الحلاوى التي حرمهم أكلها و (الرتق) السد والاغلاق وهو ضد الفتق ويقال هو الفاتق الراتق أي هو مالك الامر فهو يفتح ويغلق ويضيق ويوسع ورتق ضم وجمع وامرأة رتقاء لا يصل اليها الرجال وقوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما أي كانتا سماء واحدة وأرضا واحدة فجعلت كل واحدة منهما سبعا وقيل كانتا معا ففتقناهما بالهواء الذي بينهما وقيل فتق السماء بالمطر والارض بالنبات فقال سأسد ما خرقته (قوله التليد) المال القديم و (الطريف) المكتسب (فكاهة) ملح (عذاره) شعر خده شبه بالشوكة التي تقع على خد الفرس وقد عذرت الفرس عذرا واعذرته بالعذار يعني ألجمته وأعذرت اللجام جعلت له عذارا وأنشد ابن رشيق في معذر

وأسمر اللون عسجدي ✻ يكاد يستمطر الجهاما
ضاق بحمل العذار ذرعا ✻ كالمهر لا يعرف اللجاما
ونكس الرأس اذ رآني ✻ كأنه وا كتسى احتشاما
وظن ان العذار مما ✻ يزيح عن قلبي الغراما
وما درى انه نبات ✻ أنبت في قلبي السقاما
وهل ترى عارضاه الا ✻ حمائلا قلدت حساما

(قوله قد ما وقذت) أي قد يما أمرضت وأوجعت (حمالة الحطب) هي أم جميل بنت حرب عمة معاوية وامرأة أبي لهب وكانت تمشي بالنميمة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وقيل بين زوجها وبين النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ذلك للماشي بالنميمة لان الحطب يهيج النار والنميمة تهيج الشر وقيل سميت حمالة الحطب لانها كانت تطرح الشوك للنبي صلى الله عليه وسلم في طريقه وكانت عوراء وأبو لهب أحول و (القتات) النمام والكذب والنميمة قت وقت يقت قتا مشى بالنميمة ونم ينم نما ضيع الاحاديث ولم يحفظها وقيل النميمة من قولهم جلود نمت اذا لم تمسك الماء والقتات أيضا المتسمع على من ليس يشعر به وهو القتات والنمام والعساس والهمام والهماز والغماز والمهينم والمورش والممئس وقد مأس يمأس (دخلله) خاصته العالم بداخل أمره (المفتات) المستبد برأيه المستور على ما لا ينبغي له (راش) جعل لها ريشا (السعاية) المشي بالنميمة (جذم) قطع (الرعاية)

ولا تعذلوني بعد ما قد شرحته
على ان حرمتم به اقتطاف
القطائف
قد بان عذري في صنيعي
وانني
سارتق فتق من تليدي
وطارفي
على أن ما زودتكم من
فكاهة
ألذ من الحلاوى لدى كل
عارف
(قال الحرث بن همام)
فقبلنا اعتذاره وقبلنا
عذاره وقلنا له قدما
وقذت النميمة خير
البشر حتى انتشر عن حمالة
الحطب ما انتشر ثم سألناه
عما أحدث جاره القتات
ودخلله المفتات بعد أن
راش له نبل السعاية وجذم
حبل الرعاية فقال أخذني

الاستخذاء والاستكانة والاستشفاع الى ذوى المكانة وكنت حرجت على نفسى أن لا يسترجعه أنسى أو يرجع الى أمسى فلم يكن له منى سوى الرد والاصرار على الصد وهو لا يكتئب من الجبه ولا ينثنى من وقاحة الوجه بل يلظ بالوسائل ويلح فى المسائل فما أنقذنى من ابرامه ولا أبعد عليه نيل مرامه الا أبيات نفث بها الصدر الموتور والخاطر المبتور فانها كانت مدحرة لشيطانه ومسجنة له فى أوطانه وعند انتشارها بت طلاق الحبور ودعا بالويل والثبور ويئس من نشر وصلى المقبور كما يئس الكفار من أصحاب القبور فناشدناه أن ينشدناها وينشقنا رياها فقال أجل خلق الانسان من عجل ثم أنشد لا يزويه خجل ولا يثنيه وجل

وندیم محضته صدق ودى
اذ توهمته صديقا حميما
ثم أوليته قطيعة قال
حين ألفيته صديدا حميما
خلته قبل أن يجرب الفا
ذا ذمام فبان جلفا ذميما
وتخيرته كليما فأمسى
منه قلبى بما جناه كليما

﴿غدر الاخوان وقلة الوفاء﴾

حفظ الصداقه (الاستخذاء) الخضوع (والاستكانه) الذل (ذوو المكانه) أهل الجاه (حرجت) أثمت وضيقت عليها بيمين أكيدة (الاصرار) العزيمة (والصد) الاعراض عنه (يكتئب) يهتم (الجبه) الجفاء وتغليظ الكلام (ينثنى) يرجع (يلظ) يكثر اللزوم بها ويقال ألظ بالشئ اذا لزمه (ابرامه) ثقله (نفث) نطق وتكلم (الموتور) المظلوم (المبتور) المقطوع بالهم (مدحرة) مدفعة ومبعدة ودحرت الشئ دحورا ودحرا أبعدته ودحرهو بعد (بت) قطع وأمضى وجعله بتاتا وهو ما لا رجعة لمغيه (الحبور) السرور وحبرته حبرة سررته (الثبور) الهلاك وثبر الله العبد وثبورا أهلكه (يئس) قطع رجاءه (نشر) احيا (المقبور) المدفون (الكفار) الدافنون للموتى (ناشدناه) سألناه وجعلناه (ينشقنا رياها) يشممنا رائحتها (أجل) حرف جواب بمعنى نعم (خلق الانسان من عجل) قال أبو على هو على القلب معناه خلق العجل من الانسان قال الزجاج ويدل على ذلك قوله تعالى وخلق الانسان عجولا ومثله وقد بلغنى الكبر أى بلغت الكبر ومثله فاختلط به نبات الارض قال الشماخ كما عضت العلياء بالعود أى العود بالعلياء وقال القطامى * كما طينت بالفدن السياعا * أى طينت بالسياع وهو الطين بالتبن والفدن القصر وقال ابن مقبل واتذلت * وقع المحاجن بالمهرية الرفق * أى ابتذلت المهرية بوقع المحاجن ومن جعل العجل الطين فلا قلب فيه وأراد لم يصبروا عن الآيات لعجلتهم فى طلبها وقوله (يزويه) أى يقبضه (خجل) حياء وقد خجل اذا استحيا (يثنيه) يرده (وجل) خوف (محضته) أى أخلصته (توهمته) حسبته و (الحميم) الخاص من الاخوان و (الحميم) الثانى الماء الحار السخن و (الصديد) الدم المختلط بالقيح (أوليته) ألصقت به (القطيعة) البعد (قال) مبغض (الفا) صاحبا (ذمام) عهد (بان) تبين (جلفا) جافيا (ذميما) مذموما (كليما) الاول مكلما والثانى مجروحا وقد أكثر الناس من التشكى بغدر الاخوان وقلة الوفاء منهم على قديم الزمان وحديثه ونسوق منه ما يليق بهذا الموضع * قال سفيان الثورى رحمه الله تعالى لصديق له هل بلغك شئ تكرهه ممن لا تعرف قال لا قال فأقلل ممن تعرف * الجاحظ قرئ على باب شيخ من أهل الرى جزى الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيرا كأنه اتقى من ثقاته وقال امرؤ القيس بن حجر

اذا قلت هذا صاحب قد رضيته * وقرت به العينان بدلت آخرا
كذلك جدى ما أصاحب صاحبا * من الناس الا خاننى وتغيرا

وقال النابغة
ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

ولما انحرف ابن الزيات عن ابراهيم بن العباس الصولى تحاماه الناس أن يلقوه وكان الحرث بن سخبر صديقا له فهجره من ذلك فكتب اليه

تغيرلى فيمن تغير حارث * وكم من خليل غيرته الحوادث
أحارث ان أشركت فيك فطالما * نعمنا وما بينى وبينك ثالث

وكتب لابن الزيات
أخ بينى وبين الدهر * صاحب أينا غلبا
صديقى ما استقام فان * نبا دهر على نبا
وثبت على الزمان به * فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا * لعاد أخا به حدبا

وكتب اليه أيضا
وكنت أخى باخاء الزمان * فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت اليك ألوم الزمان * فأصبحت فيك ألوم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات * فأصبحت أطلب منك الامانا

قال أبو فراس
اقلب طرفى لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى ان المتارك محسن * وأن خليلا لا يضر وصول

تصرفت أحوال الرجال فلم يكن * الى غير شاك فى الزمان وصول
أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل

وله أيضا

اذا الخل لم يهجرك الا ملالة * فليس له الا الفراق عتاب
اذا لم أجد من خلة ما أريده * فعندى لأخرى عزمة وركاب
بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

(وقال الخباز البلدى)

ألا ان اخوانى الذين عهدتهم * أفاعى رمال لا تقصر فى اللسع
ظننت بهم خيرا فلما لقيتهم * نزلت بواد منهم غير ذى زرع

(ولابن هرون القرطبى)

ذهب الوفاء فلا وفاء يرتجى * ملق الصديق من الوفاء عريانا
يعطيك ودا صادقا بلسانه * ويجن تحت ضلوعه ألوانا

وقال المعرى

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبرى * لما طلعت مخافة أن تكادا
تجنبت الانام فلا أواخى * وزدت عن العدو فما أعادى
فأى الناس أجعله صديقا * وأى الارض أسكنها ارتيادا
وليس صبى يعاد وراء شيب * بأعوز من أخى ثقة يعادى

وله أيضا

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

(وكتب المعتصم صاحب المرية الى ابن عمار)

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلا تسرنى * مباديه الا ساءنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى المصائب

وقال البحترى

أما العداة فقد أروك نفوسهم * فاقصد بسوء ظنونك الاخوانا

(وقال أيضا)

أما العدو فيبدى * ما عنده ويكاشف لكن توق وحاذر * من الصديق الملاطف

وقال منصور بن اسمعيل التميمى الفقيه قال ابن رشيق

لو قيل لى خذ أمانا * من حادثات الزمان
لما أخذت أمانا * الا من الاخوان

وتظننته معينا رجيما
فتبينته لعينا رجيما
ورأيته مريدا الجلى
عنه سبكى له مريدا لئيما
وتوسمت أن يهب نسيما
فأبى أن يهب الا سموما
بت من لسعه الذى أجزل الرا
قى سليما وبات منى سليما
وبدا نجمه غداة افترقنا
مستقيما والجسم منى سقيما
لم يكن رائعا خصيبا ولكن
كان بالشر رائعا لى خصيما
قلت لما بلوته لبئته كا
ن عديما ولم يكن لى نديما
بغض الصبح حين نم الى قلـ
ـبى لان الصباح يلفى نموما
ودعانى الى هوى الليل اذ كا
ن سواد الدجى رقيبا كتوما
وكى من يشى ولو فاه بالصد
ق أناما فما أتاه ولوما
قال فلما سمع رب البيت

وهذا الباب لا يحصى كثرة (قوله تظننته) أى حسبته وأبدل من احدى نونيه ياء (لعينا رجيما) شيطانا مبعدا مرجوما بالصوم وقيل الرجيم المرحوم أى المشتوم المسبوب من قوله سبحانه وتعالى لئن لم تنته لأرجمنك أى لأسبنك وقيل الرجيم الملعون وهو مذهب أهل التفسير فمعنى العين والرجيم واحد (تراءيته) ظننته من تراءى لى الشئ ظهر بعض الظهور (مريدا) محبا (جلى) كشف (سبكى) تجربى (مريدا) كثير الشر خبيثا (لئيما) وضيع القدر خسيس الهمة (توسمت) ظننت وتوسمت فيه الخير أى رأيت فيه سمته أى علامته (والنسيم) الريح اللينة (والسموم) الحارة (لسعه) ضره (سليم) الاول ملدوغ والثانى سالم (ورائع) الاول حسن المنظر والثانى مفزع (بلوته) جربته (عديما) غير موجود (يلفى) يوجد (هوى) حب (رقيبا) حافظا (يشى) ينم (فاه) نطق (قوله بغض الصبح) هو من المثل الليل أخفى للويل وقالوا أنم من الصبح لانه يهتك حجاب الظلام وقال بعض الحكماء لا بد لجعل

نظرك في العلم ليلا لان القلب في النهار كالطائر وهو في الليل ساكن فما ألقيت فيه من شيء وعاه فاما أكثر الشعراء فهم الى الليل أفزع ومن النهار أنزع لان الليل أجمع لشتات الهموم والفكر وأجلب لشوارد الاحزان والذكر قال امرؤ القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله * على بأنواع الهموم ليبتلي

وقال النابغة وصدر أراح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(وقال قيس بن ذريح)

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل أدنتني اليك المضاجع

(وقال الطرماح بن حكيم)

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح * بيوم وما الاصباح فيك بأروح

بلى ان للعينين في الصبح راحة * لطرحهما طرفيهما كل مطرح

وقال ابن المعتز لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

كم عاشق وظلام الليل يستره * لاقى الاحبة والواشون رقاد

(وقال المتنبي وأجاد)

كم زورة لك في الاعراب خافية * أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وهذا البيت أميز شعره على كثرة الجيد فيه والبديع فيه انه قابل الشطر الاول بالثاني حرفا بحرف فقابل أزورهم بقوله انثني وسواد الليل ببياض الصبح ويشفع لي بيغري بي وحكى ابن جني قال حدثني المتنبي وقت القراءة عليه قال قال لي ابن حيرانة وزير كافور أعلمت أني أحضرت كتبي كلها وجماعة من أهل الادب يطلبون من أين أخذت هذا المعنى فلم يظفروا به وكان أكثر من رأيت كتبا قال ابن جني ثم عثرت على الموضع الذي أخذه منه وجدت لابن المعتز مصراعا بلفظ صغير جرى فيه معنى بيت المتنبي كله على جزالة لفظه وحسن تقسيمه وهو *فالشمس نمامة والليل قواد* وقال الثعالبي اما أن يكون ألم به فحسنه وزينه فصار أولى به أو عثر على الموضع الذي عثر عليه ابن المعتز فاربى عليه في جودة أخذه أو يكون قد اقترع المعنى وابتدعه فلله دره وناهيك بشرف لفظه وبراعة نسجه قال ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات ولا يستقل الا بانشاد بيتين قبله وهو

عذيري من الايام مدت صروفها * الى وجه من أهوى يد المسخ والمحو

وأبدت برأسي طالعات أرى بها * سهام أبي يحيى مسددة نحوي

فذاك سواد الخط ينهى عن الهوى * وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

(وقال ابن رشيق)

أيها الليل طر بغير جناح * ليس للعين راحة في الصباح

كيف لا أبغض الصباح وفيه * بان عني أولو الوجوه الصباح

وقال المتنبي وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب

وقاك أذى الاعداء تسري اليهم * وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية هم الثنوية وهم الذين يقولون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام فيكذبهم بان وجد الخير في الظلام حيث ستره من أعدائه ووقاه شرهم وكان عونا على زيارة حبه ووجد الضد في النور وهذا كله يجري في غط بيت الحريري (قوله فريضه) أي شعره وتقدم السجع (تقريظه وسبعه) المدح والذم ويقال سبعه يسبعه اذا رماه بقبيح من قولهم سبعت الذئب اذا رميته وقيل معنى سبعت قلت له قولا غمه وذعر منه ويقال سبعت الوحش ذعرتها والاسد أفزعته (بوأه) أنزله (مهاد)

فريضه وسجعه واستملح تقريظه وسبعه بوأه مهاد

فراش (صدّره) قدّمه وأجلسه فى صدر وسادته (التكرمه) الوسادة وما يجلس الضيف المكرم عليه * ودخل عمر على سلمان رضى الله عنهما فألقى له وسادة فقال ماهذا يا أبا عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن امرئ مسلم يدخل عليه أخوه المسلم فيلقى اليه وسادة اكراماله واعظاما الا غفر الله تعالى له (قوله استحضر) أمر باحضارها (الغرب) نوع من الخشب كريم (القند) عصارة قصب السكر (والضرب) العسل الابيض (الظنه) التهمة وأراد بالبرى آنية الغرب وبالمتهم جام الزجاج و (الابرار) الاخيار (صون) حفظ (تولها) تلصق بها (عاد) قوم هود وأراد لاتساو بين هود وهو مؤمن و بين قومه وهم كفار فهم أضداد كالبرىء والمتهم فقد خرج من نوعهم وان كانت جنسية الآدمية والقرابة تجمعهم وكذلك الزجاج والغرب يجتمعان فى الآنية والوعاء و يختلفان فى الاحتواء على مافيهما بالاخفاء والاظهار وهود هو ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح وعاد هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها من دون الله وكانوا ثلاث عشرة قبيلة باليمن فدعاهم هود الى عبادة الله تعالى فكذبوه وعصوه وكانوا جبابرة أقوياء طول الرجل منهم مائة ذراع وطول أقصرهم ستون ذراعا قال الله تعالى وزادكم فى الخلق بسطة أى عظما وطولا وقوة وشدة وعظمهم هود عليه الصلاة والسلام وقال لهم أتبنون بكل ريع آية تعبثون الآية فكان جوابهم ان قالوا من أشد منا قوة وقالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقالوا ياهود ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركى آلهتنا عن قولك ومانحن لك بمؤمنين الآيات واستكبروا ولم يؤمنوا فحبس عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا فأوفدوا وفدا يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد وكنيته أبو سعد وجلهمة بن الخيبرى ولقمان ابن عاد ومع كل رجل منهم رهط من قومه فلما قربوا من مكة نزلوا على معاوية بن بكر العقيلى وكانوا أخواله وصهراءه فأنزلهم وأكرمهم شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتان له يقال لهما الجرادتان فلما رأى معاوية طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم للبلاء الذى نزل بهم شق عليه ذلك وقال هلك أصهارى وأخوالى والله ماأدرى ماأصنع بهم وانى أستحيى ان آمرهم بالخروج من عندى فيظنون أنه ضاق بى مقامهم عندى فقال شعرا وأعطاه للجرادتين فغنتاهم به وهو

ألا ياقيل ويحك قم فهينم * لعلّ الله يصبحنا غماما

فيسقى أرض عاد ان عادا * قد امسوا لايبينون الكلاما

وان الوحش تأتيهم جهارا * فلا تخشى لعاديهم سهاما

وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما

فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فقال بعضهم لبعض انما بعثكم قومكم لما نزل بهم فادخلوا الحرم فاستسقوا فقال مرثد بن سعد والله لاتسقون حتى تطيعوا نبيكم فقال له جلهمة

أباسعد وانك من قبيل * ذوى كرم وانك من ثمود

أتأمرنا لنترك دين وفد * ورمل آل صدّ والوفود

ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

فانا لانطيعك مابقينا * ولسنا فاعلين لماتريد

ثم قالوا لمعاوية احبس مرثدا عنا لايدخلن مكة معنا وهو على دين هود فدخلوا مكة وخرج مرثد فادركهم قبل أن يدعوا فقال اللهم لاتدخلنى فى شئ مما يدعوك به وفد عاد وقيل قال اللهم ان كان هود صادقا فاسقنا فقد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ونودى من السحائب ياقيل اختر لنفسك ولقومك قال لقد اخترت السوداء لانها أكثر السحاب ماء فنودى اخترت رمادا رمددا

كرامته وصدره على تكرمته ثم استحضر عشر صحاف من الغرب فيها الحلواء القند والضرب وقال له لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ولايسمع أن يجعل البرىء كذى الظنة وهذه الآنية تتنزل منزلة الابرار فى صون الاسرار فلا تولها الابعاد ولا تلحق هودا بعاد ثم أمر خادمه بنقلها الى مثواه ليحكم فيها علم هواه فاقبل علينا أبو زيد

(ذكر هود عليه السلام وقومه أهل الانتقام)

وقال اقرؤا سورة الفتح وأبشروا باندمال (٢٥٦) القرح فقد جبر الله ثكلكم وسنى أكلكم وجمع في ظل الحلواء شملكم وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم ولماهم بالانصراف مال الى استهداء التحاف فقال للآدب ان من دلائل الظرف سماحة المهدى بالظرف فقال كلاهما لك والعلام فاحذف الكلام وانهض بسلام فوثب في الجواب وشكره شكر الروض للسحاب ثم اقتاد ابو زيد الى حوائه وشمل حلوائه وجعل يقلب الاواني بيده وينفض عددها على عدده ثم قال لست أدرى أأشكو ذلك التمام أم أشكر وأناسى فعلته التي فعلها أم أذكر فانه وان كان أسلف الجريمة وغنم النميمة فقد غنمه اهلت هذه الدعة وبسيفه احازت لى هذه الغنيمة وقد خطر ببالى أن أرجع الى أشبالى وأقنع بما تسنى لى وأن لا أتعب نفسى ولا أجمالى وأنا أودعكم وداع محافظ وأستودعكم خير حافظ ثم استوى على راحلته راجعا في حافرته ولاويا الى زافرته فغادرنا بعد أن وخدت عنسه ورايلنا أنسه كدست غاب صدره أو ليل أفل بدره

﴿المقامة التاسعة عشرة النصيبية﴾

(روى الحرث بن همام) قال أمحل العراق ذات العويم لاختلاف أنواء الغيم وتحدث الركاب بريف نصيبين

لا يبقى من عاد أحدا فساق الله سبحانه وتعالى السحابة السوداء الى عاد فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فسخرت عليهم سبع ليال ريح صرصر فلم تدع منهم أحدا الا هلك ولما خرجت الريح عليهم قال سبعة منهم تعالوا نقف على شفير الوادى فنردها فجعلت الريح تأخذ الواحد منهم فترميه حتى يدق عنقه فتركتهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبهم منها الا نسيم يلين البشرة وتلذه الانفس وأمر الله من عاد بالظعن بين السماء والارض ورجع وفد عاد فمروا على معاوية فأتاهم راكب على ناقة في الليلة الثالثة من مصابهم فأخبرهم الخبر فقالوا وأين فارقت هودا فقال بساحل البحر وحيروا حين دعوا بمكة لانفسهم فقال لقمان يارب أعطنى عمرا فعمره الله عمر سبعة انسر يأخذ الفرخ اذا خرج من بيضته فيغذيه حتى يموت ثم يأخذ آخر حتى بقى السابع فقال له ابن أخيه ما بقى من عمرك قال عمر هذا النسر وهو لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما لم يستطع لبد النهوض مع النسور أيقن لقمان بالموت فأتانا جميعا واختار قيل أن يصيبه ما أصاب قومه فاقتلعته الريح فقتلته وقال مرثد يارب أعطنى برا وصدقا وعمر هود عمر مائة وخمسين سنة (قوله مثواه) أى مقرا (وقال اقرؤا سورة الفتح) أى لان الله سبحانه وتعالى قد فتح عليكم (اندمال القرح) الجرح (جبر) أصلح (ثكلكم) حزنكم على فقدكم الحلواء اسبى (والحلواء) كل طعام عولج بحلاوة وتمد وتقصر (شملكم) عددكم المفترق وفي معنى الآية قال بعضهم

لا تكره المكروه عند نزوله * ان المكاره لم تزل متباينه
كم من يد لا تستقل بشكرها * لله في طى المكاره كامنه

(الآدب) صاحب العرس (الظرف) جودة الرأى * لاصمعى وابن الاعرابى الظريف البليغ الجيد الكلام وقالا الظرف في اللسان واحتجا بقول عمر رضى الله عنه انه اذا كان الرجل ظريفا لم يقطع أى اذا كان بليغا احتج عن نفسه بما يسقط عنه الحد قال الكسائى رحمه الله تعالى وفي الوجه يقال لسان ظريف ووجه ظريف * غيره الظريف الحسن الوجه والهيئة (المهدى) مرسل الهدية (الظرف) الوعاء (احذف) اقطع بعضه (انهض) تقدم (وثب) بالغ وعجل بجوابه (الروض) موضع العشب والانوار (حواؤه) موضعه والحواء أخبية قريب بعضها من بعض (وينفض) يفرق و(أسلف الجريمة) قدم الذنب (غنم) ربح والنميمة النقش (غنمه) ماله (اهلت) سالت (الديمة) العطية هنا وانظر معنى هذا الشك الطارئ عليه في السابعة والعشرين في قوله يا أخى الحامل ضيمى (محافظ) راع للمودة (أستودعكم) أترككم وديعة في يده (خير حافظ) هو الله سبحانه وتعالى يشير لقوله تعالى فالله خير حفظا (استوى عليها) أى ركبها وقال في الدرة الراحلة تقع على الجمل والناقة والهاء فيها للمبالغة كالتى في داهية وراوية وسميت راحلة لانها ترحل أى يشد عليها الرحل فهى فاعلة بمعنى مفعولة كما جاء في التنزيل عيشة راضية بمعنى مرضية ولا عاصم اليوم من أمر الله أى لا معصوم ومن ماء دافق أى مدفوق وحرما آمنا أى مأمونا كما جاء مفعول بمعنى فاعل في قوله تعالى حجابا مستورا أى ساترا وكان وعده مأتيا أى آتيا (في حافرته) في الطريق الذى جاء منه (لاويا) عاطفا (زافرته) قرابته (وخدت) أسرعت (عنسه) ناقته الصلبة ومنه عنست المرأة اذا طال مكثها لا تتزوج (رايلنا) فارقنا (دست) مجلس (صدره) أعيانه (أفل) غاب

﴿شرح المقامة التاسعة عشرة وهى النصيبية﴾

(أمحل) أجدب أى لم ينزل فيه مطر (اختلاف الانواء) يريد النجوم التى من عادتها أن تطلع بالمطر واختلفت لم تجئ بمطر (الركبان) أهل الاسفار (ريف) خصب (نصيبين) مدينة ديار ربيعة العظمى وهى مطلة على جبل الجودى الذى استوت سفينة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام عليه وهو جبل عال مستطيل * أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض

فرأيت

فرأيت مدينة أعجبتني فقلت يا جبريل أي مدينة هذه قال نصيبين فقلت اللهم عجل فتحها قال اليعقوبي هي مدينة عظيمة كثيرة الانهار والجنات والبساتين ولها نهر عظيم يقال له الهرماس عليه قناطر حجارة قديمة رومية وأهلها قوم من ربيعة من بني تغلب افتتحها غنم بن عياض الغنمي في خلافة عمر رضي الله عنهما سنة ثمان عشرة قال شيخنا ابن جبير مدينة نصيبين شهيرة العتاقة والقدم ظاهرها شباب وباطنها هرم جميلة المنظر متوسطة بين الكبر والصغر أمامها وخلفها بسيط أخضر مد البصر قد أجرى الله فيه مذانب من الماء تسقيه وتطرد في نواحيه وتحف بها عن يمين وشمال بساتين ملتفة الاشجار يانعة الثمار وينساب بين يديها نهر قد انعطف عليها انعطاف السوار والحدائق تنتظم حافتيه وتفيء ظلالها الوارفة عليه فرحم الله أبا نواس حيث يقول

طابت نصيبين لي يوما وطبت لها * ياليت حظي من الدنيا نصيبين

نهارجها رياضي الشمائل اندلسي الخمائل برق نضارة وغضارة ويأتلق عليه رونق الحضارة وداخلها شعث البادية بادية عليه فلا مطمح للبصر اليه لا تجد العين فيه فسحة مجال ولا مسحة جمال وهذا النهر ينساب اليها من عين معينة منبعها بجبل قريب منها تنقسم منها مذانب تخترق بسائطها وعمائرها ويتخلل منه البلد جزء يفترق على شوارعه ويلج في بعض دياره ويخترق جامعها منه ميزاب ينصب في صهريج أحدهما وسط الصحن والآخر عند الباب الشرقي يفضي الى سقايتين حول الجامع وعلى النهر جسر معقود من صم الحجارة متصل بباب المدينة القبلي وفيها مدرستان ومارستان واحد (قوله وبلهنية أهلها المخصبين) البلهنية رخاء العيش * ونريد أن نصل ما ذكره من خصب نصيبين بأشعار مستحسنة في أوصاف الرياض تقع كالصفة لها قال ابراهيم بن العباس الكاتب

ويلهنية أهلها المخصبين

﴿ذكر أوصاف الرياض﴾

تأمل سماء أظلت عليـ * ـك فيها مصابيحها تزهر
وأرضا تقابلها بالعرو * س والمرج بينهما جعفر
ومعصب نور غداة الربيـ * ـع بينهما المسك والعنبر
خلال شقائقه أصفر * وأضعاف أصفره أحمر
وللماء مطرد بينها * يضيق بوارده المصدر
يشارفه البر من جانب * ومن جانب بحره الاخضر
مجال وحوش ومرمى سفين * فيا عذب لهو ويا منظر
ويا حسن دنيا ويا عزها * يسوسهم الملك الاكبر

﴿وأنشد السيرافي﴾

ومجلس فتيان الى جنب حافة * بقطربل بين الرياض الحدائق
تقاضى ميادينا له أحدقت به * مواخرها موصولة بالجواسق
وحف بريحان وكرم معرش * ونهر وأشجار ونخل بواسق
وورد ونسرين وآس وسوسن * أقاطيره محفوفة بالشقائق
تزخرف بالنوار حتى كأنما * بهجته محفوفة بالنمارق

وقال كشاجم

وروضة صنف النوار جوهره * فيها فما شئت من حسن ومن طيب
كأن ما تجتنيه من زخارفها * أخلاق مستحسن الاخلاق محبوب
ما انفك للعين فيها أعين ذرف * تبكي بدمع من الانواء مسكوب
حتى كأن أفانين النبات بها * على الميادين ألوان اليعاسيب
كأن غدرانها بالروض محدقة * تحبير ثوب من الموشي منصوب

ولتميم بن المعتز

وقاذفة بالماء في وسط جنة * قد اتصفت لحفا من الظل مبسجا

اذا انبعثت بالماء ردته منصلا * وعاد عليها ذلك النصل هودجا
تحاول ادراك النجوم بقذفها * كأن لها قلبا على الجو محرجا
لدى روضة جاد السحاب ربوعها * فزخرفها بين الرياض ودبجا
على نرجس غض يلاحظ سوسنا * وآس ربيعي يناغي بنفسجا
كأن غصون الاقحوان زمرد * تعمم بالكافور ثم تتوجا
ونوار نسرين كأن نسيمه * من المسك في جو السماء تأرجا

قال البحتري تعرضت لابي قحمة وكان مجنونا ببغداد له بديهة حسنة فقلت له كيف أنت يا أبا قحمة فانشأ يقول أصبحت منك على شفا جرف * متعرضا لموارد التلف
وأراك نحوي غير ملتفت * متعوفا عن غير منعرف
يامن أطال بهجره تلفي * أسفي عليك أشد من تلفي

فأخرجت قبضة نرجس من كمي فأخذها وشمها مليا وأنشأ يقول

لما تزوجت الجنوب بهاطل * جون هتون زبرج ولاح
أضحى يلقحها وسمى الصبا * فاستثقلت حملا بغير نكاح
حتى اذا حان المخاض تفجرت * فأتت بولدان بلا أرواح
حاك الربيع لها ثيابا وشيت * بيد الندى وأنامل الارواح
من أصفر في أزهر قد زانه * تبر على ورق من الاوضاح
ركبن في عقد الزبرجد فاغتدى * نحو الغزالة ناظرا بملاح

﴿فصل في ذكر مايستحسن من أشعار المجانين﴾

*ويتصل بهذه الحكاية فصل في ذكر مايستحسن من أشعار المجانين فان أبا محمد قد ذكر في هذه المقامة المصابين وذكر المجانين في غيرها فلا نخل بما شرطنا قال بعض الادباء كان رجل من أهل الادب قد ذهب عقله بالمحبة فقلت له يا أبا فلان ما حالك وأين النعمة قال تغير قلبي بالحب فتغيرت النعمة ثم بكى وأنشأ يقول

أرى التجمل شيأ لست أحسنه * وكيف أخفي الهوى والدمع يعلنه
أم كيف صبر محب قلبه دنف * الشوق ينحله والهجر يحزنه
وانه حين لاوصل يساعفه * يهوى السلو ولكن ليس يمكنه
وكيف ينسى الهوى من أنت فتنته * وفترة اللحظ من عينيك تفتنه

فقلت أحسنت والله فقال قف قليلا فوالله لاطرحن في أذنيك أدبا أثقل من الرصاص وأخف على الفؤاد من ريش النعام فوقفت وأنشد

للحب نار على قلبي مضرمة * لم تبلغ النار منها عشر معشار
الماء ينبع منها في محاجرنا * باللرجال لماء فاض من نار

وأنشد أيضا أعاد الصدود فأحيا العليلا * وأبدى الجفاء فصبرا جميلا
وأحسب نفسي على ما أرى * ستلقى من الهجر غما طويلا
وأحسب قلبي على ما بدا * سيذهب مني قليلا قليلا

قال الحسن بن هانئ رأيت مانيا الموسوس فانشدني

شعرحي أتاك من لفظ ميت * صار بين الحياة والموت وقفا
قد برت جسمه الحوادث حتى * كاعن دأعين الحوادث يخفى
لو تأملتني لتبصر شخصي * لم تبين من المحاسن حرفا

ثم أتيت جيفران الموسوس وهو شيخ كبير من بني هاشم عليه قطيفة وفي عنقه غل من ذهب

فقال من أين جئت يا حسن فقلت من بيت ماني به فقال في حرام ماني بي وقال لي اكتب

ماغرد الديك ليلا في تنبهه * الاحثثت الينا السير مجهودا
ولا هدت كل عين لذ راقدها * بنومة في لذيذ العيش ممهودا
الا امتطيت الدجى شوقا اليك ولو * أصبحت في حلق الاقياد مصفودا
أسعى مخاطرة بالنفس يا أملي * والليل مدرع أثوابه السودا
فلم ترق ولم ترثي لذي دنف * زودته حرقات القلب تزويدا
هيهات لاغدر في جن ولا بشر * من الخلائق الافيك موجودا

ثم قال لي شرق رقعة ماني به فخرقتها ثم مضيت فلقيت غردد المصاب وحوله الصبيان وهو يلطم وجهه ويقول يا أيها الناس الفراق مر المذاق فقلت أبا محمد من أين اقبلت فقال شيعت الحاج اذ كان لي فيهم سكن وقلت في ذلك

همو رحلوا يوم الخميس غدية * وودعتهم لما استقلوا وودعوا
فلما تولوا ولت النفس فيهمو * فقلت ارجعي قالت الى أين أرجع
الى جسد مافيه لحم ولادم * وماهو الا أعظم تتقعقع
وعينان قد أعماهما الحزن والبكا * وأذن عصت عذالها ليس تسمع

وجعيفران من مجانين الكوفة أعطاه رجل درهما وقال له قل شعرا على قافية الجيم فقال بديها

عادني الهم فاعتلج * كل هم الى فرج
سل عنك الهموم بالـ * كأس والراح تنفرج

(وهو القائل)

ماجعفر لابيه * ولا له بشبيه * أضحى لقوم كثير * وكلهم يدعيه
هذا يقول بني * وذا يخاصم فيه * والام تضحك منهم * لعلمها بأبيه

وقال ماني

من الظباء ظباء همها السخب * وحليها الدر والياقوت والذهب
يا حسن ماسرقت عيني وما انتهبت * والعين تسرق أحيانا وتنتهب
اذا يد سرقت فالحد يقطعها * والحد في سرقة بالعين لايجب

وله أيضا

له وجنات في بياض وحمرة * حافاتها بيض وأوساطها حمر
رقاق يجول الماء فيها كأنها * زجاج أحيلت في جوانبها الخمر

وأشعار المجانين في هذا الباب أكثر من أن تحصى (قوله اقتعدت مهريا) أي ركبت بعيرا منسوبا الى مهرة قبيلة من قضاعة ابلهم أنجب الابل زعموا أنه كان يلقحها الوحش وهي ابل متوحشة صغار بيض تكون بين عمان والشحر وتزعم العرب أنها ابل الجن لسرعتها فبقيت أنسالها في بني مهرة قال أبو عبيدة المهرية من الابل تسير أربعمائة ميل كل يوم ثم نسبت العرب الى مهرة كل بعير نجيب (اعتقلت) حبست والاعتقال أن تحبس الرمح بين ركابك وساقك (تلفظني) ترميني (رفع) مرتفع (خفض) منخفض (يجذبني) يسوقني لنفسه (نقضا على نقض) هزيلا على هزيل وأخذ هذا اللفظ من قول أبي الشيص يصف شدة السير

أكل الوجيف لحومهم ولحومها * فأتوك أنقاضا على انقاض
ولقد أتتك على الزمان سواخطا * فرجعن عنك وهن عنه رواضي

(وقال حبيب في معناه)

وركب يساقون الركاب زجاجة * من الصبر لم يقصر لها كف قاطب
وقد أكلوا منها الغوارب بالسرى * وصارت لها أشباحهم كالغوارب

فاقتعدت مهريا واعتقلت سمهريا وسرت تلفظني أرض الى أرض ويجذبني رفع من خفض حتى بلغتها نقضا على نقض

فلما أنخت بمغناها الخصيب
وضربت في مرعاها بنصيب
نويت أن ألقي بها جراني
وأتخذ أهلها جيراني الى
أن تحيا السنة الجماد
وتتعهد أرض قومي العهاد
فوالله ما تمصمضت مقلتي
بنومها ولا تمخضت ليلتي
عن يومها دون ان
ألفيت أبا زيد السروجي
يجول في أرجاء نصيبين
ويخبط بها خبط المصابين
والمصيبين وهو يترمن
فيه الدرر ويحتلب بكفيه
الدرر فوجدت بها جهادي
قد حاز مغنما وقدحي
الفذ قد صار توأما ولم
أزل أتبع ظله أينما انبعث
وألتقط لفظه كلما نفث
الى أن عراه مرض امتد
مداه وعرقته مداه
حتى كاد يسلبه ثوب المحيا
ويسلمه الى أبي يحيى
فوجدت لفوت لقياه

﴿ولحبيب أيضاً﴾

وركب كأمثال الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو كواكبه
على كل رواد الملاط تهدمت * عريكته العلياء وانضم جانبه
وعته الفيافي بعدما كان حقبة * رعاها وماء المزن ينهل ساكبه
فكم جزع واد جب ذروة غارب * وبالامس كانت أمكنته مذانبه

(قوله أنخت) بركت (مغناها) موضع سكناها (نويت) قصدت (جراني) صدري والجران باطن عنق البعير يقول لما أخذ نصيبا في مرعاها أضمر أن يقيم بها ريثما يأتي أرضه المطر (الجماد) التي لا مطر فيها (تتعهد) تتفقد وتزور (العهاد) كثرة المطر * وتمصمضت العين بالنوم اذا خالطها ودب فيها * وتمعصت المرأة أضر بها وجع الولادة وتقول تمخضت المرأة عن زوجها اذا حملت بالولد عنه وتمخضت بولدها اذا تحركت به ودنت ولادتها واذا استعير هذا المعنى لليلة صار تمخضها عن اليوم السابق لها كأن اليوم الذي في الليلة ما كان فيه من الحيوان فتحركت به فيريد أنه لم ينقض يومي الذي وردت فيه نصيبين حتى وجدت فيه أبا زيد قبل أن أدخل في ليلتي ولاجل هذا قال قبل هذا تمصمضت مقلتي بنومها أراد أنه لقيه قبل الليلة التي ينام فيها ولو قال تمخضت بيومها للزم أن يكون اليوم الذي يأتي بعدها كأنها كانت تحمله فتلده اذا طلع صبحه من حيث انه متصل بها ولو جعلت عن بمعنى الباء لانقلب الى هذا المعنى واعتدل الكلام على صحة المعنى الاول وأصل المخض التحريك ومنه مخضت اللبن مخضا حركته لاخراج زبده ومخضت المرأة وتمخضت تحرك ولدها للخروج ثم يستعار ذلك للايام وغيرها فأما استعارة حمل الولد فكقول عمرو بن حسان في النعمان

أجدك هل رأيت أبا قبيس * أطال بقاءه النعم الركام
تمخضت المنون له بيوم * أتى ولكل حاملة تمام

النعم الركام الابل الكثيرة وصغر قابوس تصغير الترخيم وجعل المنية حاملا باليوم الذي هلك فيه وجعل اليوم ولدها على جهة الاستعارة وقال حبيب في معناه

حتى اذا مخض الله السنين لها * مخض الحليبة كانت زبدة الحقب

فهذه استعارة من مخض اللبن أراد أن السنين تحركت لهذه البلدة أي كانت تعز عليها فلا تنالها بمكروه حتى وجدها المسلمون كالزبدة في حسنها ولذتها فأكلوها باستباحة من فيها (قوله ألفيت) أي وجدت (يجول) يتصرف (أرجاء) نواحي (يخبط) يسأل الناس وأصل الخبط نفض ورق الشجر ينفض للابل فيخزن ثم يدق لها في زمن الشتاء ويبل بالماء فتعلفه ثم يستعار الخبط للمعروف وقال زهير بن أبي سلمى وليس مانع ذي قربى وذي نسب * يوما ولا معدما من خابط ورقا

يقال خبطت الرجل أي سألته وخبط الرجل بالامر لم يهتد لصوابه والبعير ضرب بيده الارض والشئ ضربته والدابة الارض شدت وطأها والشيطان الانسان صرعه (قوله المصابين) أي المجانين (والمصيبين) الواجدين لما يطلبون والمصيب أيضا ضد المخطئ والمفعول مصاب فيريد أنه يجول في نواحيها مسرعا كالمجنون أو كالمتيقن بوجود حاجته (الدرر) الجواهر و (الدرر) اللبان أراد أنه يتكلم بكلام حسن فيأخذ به العطايا (قدحي الفذ) أي سهمي المنفرد (توأما) زوجا أراد أنه كان منفردا فصار بأبي زيد زوجا (انبعث) نهض وتوجه (نفث) نطق (عراه) قصده (امتد مداه) أي طالت مدته (عرقته) أخذت لحمه (مداه) سكاكينه (يسلمه) يتركه و (أبو يحيى) كنية الموت وقد تقدم في المقامة قبل سهام أبي يحيى مسددة نحوي * أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقي من فتنة القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة وقال مرض يوم يكفر ذنوب ثلاثين سنة وقال النبي صلى الله عليه وسلم الصداع والحمى

﴿ذكر ثواب المرضى﴾

يصيب

يصيب الانسان وان ذنوبه مثل أحد فما يفارقه حتى لايدع من ذنوبه وزن خردلة * أنس رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المريض اذا برئ وصح من مرضه كان كمثل البردة تقع من السماء فى صفائها ولونها (قوله سقياه) أى فوائده التى كان يسقيه بها (مرامه) حاجته (فطامه قطعه عن الرضاع (أرجف) تحدث والارجاف خوض الناس فى الفتنة وحديثها و (غلق) كف وكان من فعل الجاهلية أن يقول الراهن لمن يسلم رهنه ان لم آتك الى كذا فالرهن لك فان أتاه بالدين بعد الامد قال له قد غلق الرهن وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايغلق الرهن له غنمه وعليه غرمه (المخلب) ظفر الطائر الصائد (الحمام) المنون (انثالوا) انصبوا واندفعوا (عقوته) موضعه وأصلها فناء الدار (موجفين) مسرعين (حيارى) جمع حيران والحيرة التردد فى الامر وعدم التهدى له قال الواثق

لابك السقم ولكن كان بى * وبنفسى وبأمى وأبى
قيل لى انك صدعت فما * خالطت عيناى حتى دربى

وقال آخر

أنا مذ خبرت بالعلة والله عليل
ليت حالك بجسمى * ولك العمر الطويل

(عبد) عيل (شجوهم) حزنهم (الخندريس) الخمر (أسالوا الغروب) أجروا الدموع والغربة الفيضة من الدمع والجمع غروب (عطوا) شقوا (صكوا) لطموا (شجوا) جرحوا (يودون) يتمنون (سالمته) تركته وصالحته وأصله الصلح (المنون) المنية (غالت) أهلكت (نفائسهم) كرائم أموالهم * ونذكر هنا من الشعر ماوافق هذا الموضع * دخل أبو دهمان القيسى يوما على بعض الامراء يعوده فأنشده

بأنفسنا لابالطوارف والتلد * نقيك الذى تخفى من السقم أوتبدى
بنا معشر العواد مابك من أذى * فان أشفقوا مما أقول فبى وحدى

ودخل محمد بن عبد الله بن طاهر على المتوكل يعوده فقال

الله يدفع عن نفس الامام لنا * وكلنا للمنايا دونه غرض
فليت أن الذى يعروه من مرض * بالعائدين جميعا لابه المرض
فى الامام لنا من غيره عوض * وليس فى غيره منه لنا عوض

(وكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر)

أعزز على بأن أراك عليلا * أوأن يكون لك السقام نزيلا
لوددت أنى مالك لسلامتى * فأعيرها لك بكرة وأصيلا
فتكون تبقى سالما بسلامتى * وأكون مما قد عراك بديلا
هذا أخ لك يشتكى ماتشتكى * وكذا الخليل اذا أحب خليلا

هذا الشعر على فتوره شرف بمنصب قائله وكان المعتصم أميا لان أباه هرون الرشيد ندبه فى صغره للتعلم فسمعه يوما يقول وقد مرت به جنازة ليتنى مكانك ولا أرى هذا البلاء فقال له لا أنديك الى شئ تتمنى الموت من أجله فلهذا لم يكن له علم بالادب كأخويه الامين والمأمون ولابى العباس المبرد

ياعليل أفديك من ألم العلة هل لى الى اللقاء سبيل
ان يحل دونك الحجاب فما يحجب عنى منك الضنى والنحول

(ولابى تمام فى مالك بن طوق)

ألبسك الله منه عافية * فى نومك المعترى وفى أرقك
يخرج من جسمك السقام كما * أخرج ذم الفعال من خلقك

(ولابن عبد ربه)

وانقطاع سقياه مايجده المبعد عن مرامه والمرضع عند فطامه ثم أرجف بأن رهنه قد غلق ومخلب الحمام به قد علق فقلق صحبه لارجاف المرجفين وانثالوا الى عقوته موجفين حيارى عيدبهم شجوهم كأنهم ارتضعوا الخندريسا أسالوا الغروب وعطوا الجيوب
وصكوا الخدود وشجوا الرؤسا يودون لوسالمته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا

(قال الراوى) وكنت فيمن
التف بأصحابه وأغذ الى
بابه فلما أتينا الى فنائه
وتصدينا لاستنشاء أنبائه
برز الينا فتاه مفترة شفتاه
فاستطلعناه طلع الشيخ فى
شكاته وكنه قوى حركاته
فقال قد كان فى قبضة
المرضة وعركة الوعكة
الى أن شفه الدنف
واستشفه التلف ثم من
الله تعالى بتقوية ذمائه
فأفاق من اغمائه فارجعوا
أدراجكم وانضوا انزعاجكم
فكأن قد غدا وراح
وساقاكم الراح فأعظمنا
بشراه واقترحنا أن نراه
فدخل مؤذنا بنا ثم خرج
آذنا لنا فلقينا منه لقى
ولسانا طلقا وجلسنا
محدقين بسريره محدقين
الى أساريره فقلب طرفه
فى الجماعة ثم قال اجتلوها
بنت الساعة وأنشد

عافانى الله وشكرا له
من علة كادت تعفينى
ومن بالبرء على أنه
لابد من حتف سيبرينى
ما ينساسابى ولكنه
الى تقضى الاكل ينسينى
ان حم لم يغن حميم ولا
حى كليب منه يحمينى

﴿ذكر حى كليب﴾

يا من عليه حجاب من جلالته * وان بدا لك يوما غير محجوب
ما أنت وحدك مكسو أثياب ضنى * بل كلنا لك من مضنى ومشعوب
ألق عليك يدا للضر كاشفة * كشاف ضر نبى الله أيوب

(قوله أغذ) أى أسرع (تصدينا) تعرضنا (الاستنشاء) الاستطلاع (أنبائه) أخباره (برز) خرج (مفترة) ضاحكة (استطلعناه) سألناه أن يطلعنا (طلع الشيخ فى شكاته) خبر مرضه (كنه) حقيقة (عركة الوعكة) شدة المرضة وعركت الشئ دلكته بيديك وحككته وعركته الحمى كسرته و (شفه الدنف) أضعفه المرض ونقص جسمه (استشفه) استقصى بقية قوته (ذمائه) قوى نفسه (اغمائه) ذهاب عقله من الضعف (ارجعوا أدراجكم) أى فى الطريق الذى جئتم فيه (انضوا انزعاجكم) أى أزيلوا زعجكم وطيشكم والانزعاج ضد القرار (أعظمنا بشراه) أى وجدنا ما بشرنا به عظيما والبشارة بكسر الباء ما بشرت به والبشارة بضمها ما يعطى على البشارة والبشارة بفتحها الجمال وفلان بشير الوجه أى حسنه وعند أكثرهم ان لفظ بشرته لا يستعمل الا فى الاخبار فى الخير وليس كذلك بل يستعمل فى الخير والشر قال تعالى فبشرهم بعذاب أليم والعلة فى ذلك أن البشارة انما سميت بذلك لاستبانة تأثير خبرها فى بشرة من بشر بها وقد تتغير البشرة للمساءة بالمكروه كما تتغير عند المسرة بالمحبوب الا أنه اذا أطلق لفظها وقع على الخير كما أن النذارة يطلق لفظها فى الشر وهذا ذكره الحريرى فى الدرة قال ابن عزيز البشرى والبشارة اخبار بما يسر وقال تعالى لهم البشرى (اقترحنا) طلبنا واقترحت الشئ فعلته قبل أن يفعل (مؤذنا) معلما (لقى) طريحا (طلقا) فصيحا (محدقين) محلقين وأحدق القوم بالشئ اذا أحاطوا به واحتفوا حوله وحدقوا أى نظروا اليه نظرا شديدا فهم محدقون اليه أى ناظرون والحدقة سواد العين الاعظم و (الاسارير) تكاسير جلد الوجه * أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا فجلس عنده قدر ساعة أعطاه الله تعالى أجر عمل سنة لا يعصيه فيها طرفة عين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عيادة المريض اذا دخلت عليه أن تضع يدك على رأسه وتقول كيف أصبحت أو كيف أمسيت واذا دخلت عليه تغمدتك الرحمة واذا خرجت من عنده خضتها مقبلا ومدبرا وأومأ بيديه الى حقويه * أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد المريض خاض الرحمة فاذا جلس عنده انغمس فيها * أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل على مريض لم يحضر أجله فقال أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك الا عوفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا عليه فى أجله فان ذلك لا يضره شيأ وهو يطيب نفس المريض نفسوا وسعوا عليه بطول عمره ودخل كثير على عبد العزيز ابن مروان يعوده فقال له لولا ان سرورك ما يتم بأن تسلم وأسقم أنا لدعوت ربى أن يصرف ما بك الى ولكن أسأل الله لك أيها الامير العافية ولى فى كنفك النعمة فضحك وأمر له بمال فخرج وهو يقول

ونعود سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكى كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفى وتلادى

﴿وكتب آخر الى عليل﴾

نبئت أنك معتل فقلت لهم * نفسى الفداء له من كل محذور
يا ليت علته لى غير أن له * أجر العليل وأنى غير مأجور

(قوله قلب طرفه) أى حول عينيه ينظرهم (اجتلوها) انظروا ونسب الشعر للساعة لما قيل فيها (عافانى) أى سلمنى (تعفينى) تهلكنى (من) أنعم (حتف) هلاك (تقضى الاكل) تمامه وآخره (ينسينى) يؤخرنى والاصل الهمزة فسهله للشعر (حم) قدر (حميم) صاحب (حى كليب) هو ابن

ربيعة أخو مهلهل الشاعر وخال امرئ القيس وكان أعز الناس فى العرب وبلغ من عزه فيهم أنه اتخذ جرو كلب فاذا نزل بمنزل فيه كلأ قذف ذلك الجرو فيه فعوى فحيث ما بلغ عواؤه لا يرعى أحد عشب ذلك الموضع الا باذنه واذا جلس لا يمر أحد بين يديه اجلالا له ولا يحتبى أحد فى مجلسه غيره ولا توقد نار غير ناره ولا يجير تغلبى ولا بكرى رجلا ولا يحمى حمى ولا بعيرا الا باذنه وكان يحمى الصيد فيقول صيد كذا فى جوارى فلا يصيب أحد منه شيأ وكان قد حمى حمى لا يطؤه انسان ولا بهيمة فدخل فيه يوما فطارت قنبرة بين يديه من على بيضها فقال لها

يالك من قنبرة بمعمرى * خلالك الجو فبيضى اصفرى

* ونقرى ماشئت أن تنقرى *

وكانت امرأته جليلة بنت مرة بن شيبان وكان لمرة وهو من بنى بكر عشرة من الولد منهم الحرث وجساس ونضلة وهمام فجاءت جساسا خالة له اسمها البسوس التى يقال فيها أشأم من البسوس فنزلت عليه ولها ابن وناقة تسمى سراب بفصيل لها فدخل الحمى يوما فوجد بيض القنبرة قد وطئته سراب فكسرته فسأل عنها فأخبر أنها لخالة جساس فقال أوقد بلغ من قدره أن يجير دون اذنى ياغلام ارم ضرعها فخرقه بسهم وقتل فصيلها ثم طرد ابل جساس ونفاها عن المياه عن شبيث والاحص غدير بن حتى بلغ غدير الذنائب فجاء جساس فقال نفيت عن المياه مالى حتى كدت تهلكه فقال انا للمياه شاغلون فقال هذا كفعلك بناقة خالتى وفصيلها فقال أوقد ذكرتها أما انى لو وجدتها فى غير ابل مرة استحللت تلك الابل لها فعطف عليه جساس فرسه فطعنه فلما أحس الموت قال ياجساس اسقنى ماء فقال تجاوزت شبيثا والاحص واحتز رأسه وأمال يديه وجاء فقالت أخته لابيها ان جساسا جاء خارجة ركبتاه قال أبوها والله ماخرجتا الا لامر فلما وصل له قال ماوراءك يابنى قال طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصا قال قتلت كليبا قال نعم قال وددت انك واخوتك متم قبل هذا مابنا الا أن تتشاءم بنا وائل ثم لقى أخاه نضلة فقال

وانى قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

* فأجابه أخوه نضلة *

فان تك قد جنيت على حربا * فلا وان ولا رث السلاح

وكان أخوه همام قد آخى مهلهلا أخا كليب وعاهده أن لا يكتمه شيأ فجاءته أمة له وعنده مهلهل فأسرت اليه الخبر فقال له مهلهل ماقالت لك أمتك فقال زعمت أن أخى جساسا قتل كليبا فقال است أخيك أضيق من ذلك وتحمل القوم وغدا مهلهل فى ثأر أخيه بالخيل واجتمعت أشراف تغلب وأتوا مرة فتكلموا معه فى القصاص من جساس واخوته فذهب مرة الى الدية فغضبت تغلب ووقعت فى الحرب فدامت بينهم أربعين عاما وكان فيما بينهم خمس وقائع أولها يوم عنيزة وآخرها قتل جساس وذلك أنه لما اجتمع نساء تغلب للمأتم قالوا لاخت كليب رحلى جليلة عن مأتمك فان قيامها شماتة بنا وعار علينا فقالت لها اخرجى ياهذه عن مأتمنا فانك شقيقة قاتلنا فلما رحلت قالت أخت كليب رحلة المعتدى وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة فلما بلغ ذلك جليلة قالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله جد أختى أفلا قالت نفرة الحياء وخوف الاعتداء وجاءت وهى حامل فولدت غلاما وسمته بالهجرس ورباه جساس فكان لا يعرف أبا غيره فزوجه ابنته فوقع بينه وبين بكرى كلام فقال له البكرى ما أنت بمنته حتى ألحقك بابيك فأمسك عنه ودخل الى أمه فسألها فأخبرته فلما أوى الى فراشه وضع أنفه بين ثديى زوجته وتنفس تنفسة نفط مابين ثدييها من حرارتها فقامت الجارية فزعة فدخلت الى أبيها فأعلمته فقال ثائر ورب الكعبة فلما أصبح أرسل وراء الهجرس فأتاه فقال له انما أنت ولدى ومعى وقد كانت الحرب فى أبيك زمانا طويلا

وماابالى أد نابومه
أم أخر الحين الى حين
فاى نخر فى حياة أرى
فيها البلايا ثم تبليني
قال فدعونا له بامتداد الاجل

حتى كذا نا تنفانى وقد اصطلحنا الآن فانطلق معى حتى نأخذ عليك ما أخذ علينا قال نعم ولكن مثلى لا يأتى قومه الا بسلاحه فأتيا جمعا من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية ثم قال وهذا ابن أختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه فلما قدموا العقد أخذ بوسط رمحه وقال وفرسى وأذنيه ورمحى ونصليه وسيفى وغراريه ودرعى وزريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ناظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه وكان آخر قتيل فيهم وقد قيل فى صورة قتل كليب غير ما ذكرنا وحكايات الجاهلية كثيرة الاضطراب وقد نسب شعر القنبرة لطرفة وقال النابغة الجعدى وذكر قتل كليب وحذر به عقالا العقيلى

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة * كحاشية البرد اليمانى المسهم
فقال لجساس أغثنى بشربة * تدارك بها منا علىّ وأنعم
فقال تجاوزت الاحص وماءه * وبطن شبيث وهو ذو مترسم

وارتداد الوجل ثم تداعينا الى القيام لاتقاء الابرام

المترسم اتباع الماء فى قعر البئر يقول أى اقتدار فى حياة تعرض علىّ فيها الامتحانات ثم بعد هذه المشقات تردنى الى الكبر والشيخوخة فلم أبال أدنا الموت أم تأخر اذ المآل الى الهرم القائد الى الموت وأشار بهذا الى قول النمر بن تولب

يودّ الفتى طول السلامة جاهدا * فكيف ترى طول السلامة يفعل

(والى قول حميد بن ثور)

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

وجاء كنى بالسلامة داء وجاء فى أجر البلايا قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس ماله خطيئة * أبو هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الهوى والبلاء والشهوة معجونة بطينة آدم (قوله ارتداد الوجل) أى ازالة الخوف و(اتقاء الابرام) خشية التثقيل قال بعضهم

اذا ما عدت محموما فخفف * فتخفيف العيادة غير عاده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخفوا العيادة وأقلوا الجلوس والتعزية يوم * أبو القاسم الوزير بن عيسى قال أنشدنى أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد وقد جئته عائدا وأطال قوم عنده الجلوس فقال لى يا أبا القاسم عيادة ثم ماذا فصرفت من حضر ثم هممت بالانصراف معهم فأمرنى بالرجوع ثم أنشدنى عن محمد بن الجهم

لا تضجرن مريضا جئت عائده * ان العيادة يوم اثر يومين
وسله عن حاله وادع الاله له * واقعد بقدر فواق بين حلبين
من زار غبا اذا دامت مودته * وكان ذاك صلاحا للخليلين

وقال آخر

عيادة المرء يوم بعد يومين * وجلسة لك مثل اللحظ بالعين
لا تبرمن مريضا فى مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

مرض يحيى بن خالد فكان اسمعيل بن صبيح اذا دخل عليه يعوده وقف عند رأسه ودعا له ثم يخرج ويسأل الحاجب عن منامه وطعامه وشرابه فلما أفاق قال ما عادنى الا اسمعيل بن صبيح ودعا له وممن زاد على التخفيف فقطع الزيارة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر مرض أخوه محمد بن عبد الله فلم يعده عبيد الله فكتب اليه محمد

انى وجدت على جفا * ئك من فعالك شاهدا
انى اعتللت فما وجدت * سوى رسولك عائدا

ولو اعتللت فلم أجد * شيأ اليك مساعدا
لاستشعرت عيني الكرى * حتى أعودك راقدا

(فأجابه عبيد الله أخوه)

كحلت مقلتي بشوك القتاد * لم أذق مذ حممت طعم الرقاد
يا أخي الحافظ المودة والنا * زل من مقلتي مكان السواد
منعتني عليك رقة قلبي * من دخولي عليك في العواد
لو بأذني سمعت منك أنينا * لتفرى من الانين فؤادي

ومرض حماد عجرد فعاده أصحابه الا مطيع بن اياس وكان خاصا به فكتب اليه يقول

كفاك عيادتي من كان يرجو * ثواب الله في صلة المريض
فان تحدث لك الايام سقما * يحول جريضه دون القريض
يكن طول التأوه منك عندي * بمنزلة الطنين من البعوض
فانفسي عليك تذوب حزنا * وما دمعي عليك بمستفيض

(ولمحمد بن عبد الله في محبوب له مرض)

ألبسك الله منه عافية * تغنيك عن دعوتي وعن جلدك
سقمك داء العلة عرضت * بل سقم عينيك دب في جسدك
فيا مريض الجفون أحي فتي * قتلته بالجفون لا بيدك

وقال آخر في محبوب له تركت الحمى على فيه أثرا

يا أملي كيف أنت من ألمك * وكيف ما تشتكيه من سقمك
هذان يومان لي أعدهما * مذ لم تلح لي بروق مبتسمك
حسدت حالك حين قيل لنا * بانها قبلتك فوق فمك

(وقال العباس بن الاحنف)

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * وهي الصحيحة والمريض العائد
والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد

فقال كلا بل البثوا البياض يومكم عندي لتشفوا بالمفاكهة وجدي فان مناجاتكم قوت نفسي ومغناطيس أنسي فتحرينا مرضاته وتحامينا معاصاته وأقبلنا على الحديث نمخض زبده ونلغي زبده الى ان حان وقت المقيل وكلت الالسن من القال والقيل وكان يوما حامي الوديقة يانع الحديقة فقال ان النعاس قد أمال الاعناق وراود الآماق وهو خصم ألد وخطب لا يرد فصلوا حبله بالقيلولة واقتدوا فيه بالآثار المنقولة (قال الراوي) فاتبعنا ما قال وقلنا وقال فضرب الله على الآذان وأفرغ السنة في الاجفان حتى خرجنا من حكم الوجود وصرفنا بالهجود عن السجود فما استيقظنا الا والحر قد باخ والبوم قد شاخ فتكرعنا الصلاة الجوائن وأدينا ما حل من الدين ثم تحفشنا للارتحال الى ملقى الرحال فالتفت أبو زيد الى شبله وكان على شاكلته

(قوله البثوا) أي أقيموا (بياض يومكم) أي طوله وبياض النهار ضوءه (مناجاتكم) محادثتكم (مغناطيس) حجر يجلب الحديد تقول له العامة حجر المس (تحرينا) أي قصدنا (تحامينا) تباعدنا (نمخض زبده) نحرك ونجمع فوائده وكنى بالزبد وهو جمع زبدة عن خيار الكلام (نلغي زبده) نترك ما لا خير فيه وزبد الماء ما يعلوه من الرغوة (المقيل) النوم في وقت القائلة (حامي الوديقة) شديد الحر (يانع الحديقة) ناعم الروضة والحديقة كل بستان محلق بحائط أو زرب (راود) طالب (الآماق) العيون وأصله طرف العين من جهة الانف (والخطب) من يخطب المرأة و(القيلولة) الرقاد في القائلة و(الآثار) الاحاديث (قلناوقل) يقال قال يقيل قيلولة ومقيلا نام نصف النهار* أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من ضبطهن ضبط الصوم من تسحر وقال وشرب بعد ما يأكل وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيلوا فان الشياطين لا تقيل ودخل العباس على ابنه وهو مضطجع فضربه برجله وقال قم لا نامت عينالك تنام في ساعة يقسم فيها الرزق وانما النوم على احدى خصال خرق أو حمق أو خلق فنومة الحمق بعد العصر لا ينامها الا سكران أو شيطان ونومة الخرق نومة الصبح ونومة الخلق نصف النهار ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا بقيلولة النهار على قيام الليل وبالسحور على صيام النهار (قوله السنة) النوم (الهجود) الرقاد (باخ) سكن حره (تحفشنا) أي تحركنا (ملقى الرحال) موضعها (شبله) ولده (شاكلته) طريقته

(شكله) مثله وتكون الشاكلة والشكل واحدا وجمع الشكل أشكال وشكول (اخال) أحسب *وكنى الجوع أباعمرة لانه يعمر كل جوف قيل لمدنى أتعرف أباعمرة قال كيف لا أعرفه وقد تربع فى كبدى وقال الراجز

حل أبو عمرة وسط حجرتى * وحل نسج العنكبوت برمتى

(أضرم) أوقد * وكنى الخوان وهو المائدة أبا جامع للاجتماع حوله للأكل (وأردفه) جئ به خلفه * وكنى الحوارى وهو الدرمك أبا نعيم لان خبزه أنعم الاخباز وأصفاها (الضيم) الذل وجعله صابرا على كل ذل لانه لا يصل من صورة البر الى الخبز الا بعد علاج شديد وتغييره من حال الى حال * وفسر معنى أبى حبيب بقوله المحبب الى كل لبيب وقوله المقلب بين احراق وتعذيب يريد أن ماولى من الجدى النار وقت شيه احترق ومالم يلها أدركه حرها فأنضجه وأسال ودكه فذلك تعذيبه (أهب) ادع به وصح به * وكنى الخل أبا ثقيف لانه يثقف الطعام أى يحدقه فيطيب للأكل (أليف) صاحب وانما قال حبذا هو من صاحب لقوله صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل * وكنى الملح أبا عون لانه يستعان به على أكل الطعام وطعام بلا ملح لا يؤكل وقد أشار الى هذا بقوله (فما مثله من عون) * وكنى البقل أبا جميل لانه يحسن بحضرته الادام ويزينه أو لانه يذهب بالجميل وهو ودك اللحم فيخف للأكل وقوله (لجمل أى تجميل) أليق بالتفسير الاول ولا يمتنع من الثانى وحدث واثلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحضروا موائدكم البقل فانه مطردة للشيطان مع تسمية الله تعالى * أبو الفضل بن مالك يعجبنى البقل على المائدة واذا رأيت السكباج نسيت البقل السكباج لحم يحل والسك بالفارسية الخل والباج اللحم * وسمى السكباج بأم القرى لانه من أجل أطعمتهم وأم الشئ معظمه وجليله ومنه أم القرآن الحمد لله وأم القرى لمكة المشرفة وأم الشئ أجله والقرى طعام الضيف فكانه قال عجل بطعام فاضل يقدم للضيف و (كسرى) ملك الفرس وجعلها تذكر به لانه أول من صنعت له فاستعملها وأمر باجادة الصنعة فى طبخها وقيل ان غيره طبخها واستعملها فى زمن كسرى فنسبت اليه * وكنى الجوذابة بأم الفرج وهى خبزة توضع فى التنور ويعلق عليها طيرأو لحم فيسيل ودكه فيها ما دامت تطبخ فتفرج عنك هم الادام فلا تحتاج اليه فهى خبز وادامه (افتك بها ولا حرج) أى كلها ولا اثم عليك وان كان اللفظ يعطيك معنى آخر فالمراد به هذا * وكنى الخبيص أبا رزين لفضله فى الطعام وشرفه ورجحان ثمنه وجعله آخر ما يؤكل والرزين من الرجل الكثير الوقار وقرن به الفالوذج لانه نوع منه قال بعض الطفيلية الحلواء مثل الملك يدخل بيتا فيه قوم جلوس ليس فيه متسع لاحد فاذا نظروا الى الملك تضايقوا وأوسعوا له وكان عبد الله بن جدعان سيدا شريفا فى قريش فوفد على كسرى وأكل عنده الفالوذج فسأله عنه فقيل له هو الفالوذج قال وما هو قيل لباب البر مع العسل النحل فقال ابغوا الى غلاما يصنعه فأتوه به فابتاعه وقدم مكة فصنع له بها الفالوذج فوضع الموائد بالابطح الى باب المسجد ثم نادى ألا من أراد الفالوذج فليحضر فكان فيمن حضر أمية بن أبى الصلت وكان يمتدحه كثيرا فقال فيه

لكل قبيلة رأس وهاد * وأنت الرأس تقدم كل هادى

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادى

الى ردح من الشيزى ملاء * لباب البر يلبك بالشهاد

ولباب البر خالص القمح ويسمى النشا يلبك يخلط والشهاد العسل والفالوذج الذى رأيت بسجلماسة هو العسل والسمن يوضعان على النار ثم يعقدان بالنشا ثم يلون الكل بالزعفران فيجئ منعقد الجرم فيقطع قطعا على قدر أكبر التمر وفى شكله ويؤتى به فى الاعراس بعد الشواء ويؤتى بالخبيص آخرا وخبيصهم فى غاية البياض ليس كخبيص الاندلس ويقرص قرصا على قدر صغار الجبن فمن رآها على

وشكله وقال انى لاخال أباعمرة قد أضرم فى أحشائهم الجمرة فاستدع أبا جامع فانه بشرى كل جائع وأردفه بابى نعيم الصابر على كل ضيم ثم عزز بابى حبيب المحبب الى كل لبيب المقلب بين احراق وتعذيب وأهب بأبى ثقيف فحبذا هو من أليف وهلم بأبى عون فما مثله من عون ولو استحضرت أبا جميل لجمل أى تجميل وحيهل بأم القرى المذكرة بكسرى ولا تتناس أم جابر فكم لها من ذاكر وناد أم الفرج ثم افتك بها ولا حرج واختم بابى رزين فهو مسلاة كل حزين وان تقرن به أبا العلاء عج اسمك من البخلاء

وايالك واستدناه المرجفين
قبل استقلال حمول البين
واذا نزع القوم عن المراس
وساخوا أبا اياس فاطف
عليهم أبا السرو وفانه
عنوان السرو قال ففقه
ابنه لطائف رموزه بلطافة
تمييزه فطاف علينا
بالطيبات والطيب الى ان
آذنت الشمس بالمغيب
فلما أجمعنا على التوديع
قلنا له ألم تر الى هذا اليوم
البديع كيف بدا صبحه
قطريرا ومسيه مستنيرا
فسجد حتى أطال ثم رفع
رأسه وقال
لا تيأسن عند النوب
من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هب ثم
م جرى نسيما وانقلب
وسحاب مكروه تنشـ
شى فاضمحل وما سكب
ودخان خطب خيف منـ
ـه فما استبان له لهب
ولطالما طلع الاسى
وعلى تفيئته غرب
فاصبر اذا ما ناب رو
ع فالزمان أبو العجب
وترج من روح الاله
لطائفا لا تحتسب

(ذكر الفرج بعد الشدة)

بعد لم يشك أنها حين و بعد رجال المائدة و يؤتى بطبق كبير فيوضع بين أيديهم وأمام كل رجل فرسنه فلا يكاد يكملها بالاكل لافراط حلاوتها وأكثر أطعمة أهل القبلة مستملاة من أطعمة أهل المشرق وكذا أكثر أحوالهم من مبانيهم وأشكال ديارهم وسطوحها واستعمال الابل في السواقي والطواحين ودق النوى لعلفها نعم وعلى ان البربر به غالبة على ألسنة أهل القبلة فهم يستعملون كثيرا من ألفاظ أهل العراق يقولون لفرق الناس الشماسك وكذا تسمية أهل سجلماسة و يسمون البرادة التي لشرب الماء بوقالا وكذا تسمية أهل سجلماسة وجمع البوقال بواقيل قال الحسن بن هانئ

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية * اذ قيل لي انما التمساح في النيل
فمن رأى النيل رأى العين من كثب * فلا رأى النيل الا في البواقيل

وكان رأى التمساح أخذ رجلا فهجا النيل والبرادة عندهم آنية من صفر فيها مخاطيف تعلق فيها البواقيل وترفع للهواء فيبرد فيها الماء (قوله المرجفين) الطست والابريق لان لهما عند أخذهما صوتا يقرأحدهما في الآخر فكان ذلك الصوت يرجف أي يخبر بتمام الطعام والحث على القيام* أبو بكر الصفار حضر مجنون بالكوفة طعام قوم فجلس يأكل فجعل الغلام يحرك الطست والابريق فقال من هذا الذي يرجف بنا قبل انقضاء عملنا* بينما طفيلي يأكل سمع صوت دق الاشنان فامتنع من الاكل فقيل له ألا تأكل قال حتى يسكن هذا الارجاف الذي أسمع* وقيل لطفيلي مم اصفر وجهك قال من فترة بين قصعتين مخافة أن تكون قد فنيت (استقلال) ارتفاع (حمول البين) أي امل الفراق ويريد بها الموائد لانها اذا ارتفعت تفرق أهل المجلس فيقول ايالك ان تقربهما قبل أن ترتفع الموائد فيتهيأ الناس للغسل والانصراف فان غسلت الايدي والموائد باقية توهم ان ثم طعاما يستأنف أكله (نزع) زال وتنحى (المراس) غسل الايدي ودلك بعضها ببعض (صاخوا) باشروا والغسول قد تقدم في السابعة (أطف) اجعله يطوف وقد بين لما كان ابا السرو أنه من فعل السرى من الرجال و(عنوان السرو) دليل المروأة (قوله فقه) أي فهم (لطائف) دقائق (رموزه) اشاراته الخفية والرمز الاشارة بالشفتين أو العينين (آذنت) اعلمت (أجمعنا) عزمنا (البديع) العجيب (قطريرا) مظلما ورجل قطرير شديد العبوس واقطر القوم اشتدوا (الصبح والمسي) اسمان لوقت زوال الظلام والضياء (مستنيرا) كثير الضوء و(النوب) النوازل (فرجة) راحة (تجلو الكرب) تزيل الهموم وأنشدو في هذا المعنى

لا تضيقن في الامور فقد تكـ * شف غماؤها بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

كذا أنشدوه فرجة بالفتح والفرجة بالضم في الحائط وشبهه و بالفتح في الامر وانظر هذا البيت في الارب عين في أخبار أبي عمرو بن العلاء (سموم) ريح حارة (نسيما) ريحا لينة (تنشى) ابتدأ وظهر (اضمحل) زال (سكب) أمطر (خطب) أمر شديد (لهب الدار) اشتعالها بغير دخان وفي هذا المعنى قال أبو نواس خفض عليك ولا تكن قلق الحشا * مما يكون وعله وعساه

فالدهر أقصر مدة مما ترى * وعساك ان تكفى الذي تخشاه

وقال أيضا حسن الظن بمن قد عودك * كل احسان وقوى أودك
ان ربا كان يكفيك الذي * كان بالامس سيكفيك غدك

(الاسى) الحزن (تفيئته) أي حينه وقال الزبيدي في الابنية جاء على تفيئة ذلك وتفتئه حينه ووقته (والروح) الرزق والروح السرور والفرح والروح برد نسيم الراحة (اللطائف) جمع لطيفة وهي رفق الله تعالى بعباده واحسانه اليهم واللطيف الرفيق والمحسن وأراد في البيت ارج في شدائدك الله فله ألطاف كثيرة لا تحصى بالعدة فبعد العسر يسر وأنشد أبو حاتم في معنى أبيات المقامة

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق لما به الصدر الرحيب

قال فاستقلينا منه أبياته الغر والبناالله تعالى الشكر وودعناه مسرور بن ببرته مغمورين ببره (وتفسير الفاظ ما تضمنته هذه المقامة من كلمات لغويه وكنى طفيليه وكنايات صوفيه) (قوله ذات العويم) يعنى به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين (والسمهريه) الرماح وفى تسميتها بذلك قولان أحدهما انها سميت به لصلابتها من قولهم اسمهر الشئ اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يقومان (٢٦٨) الرماح بسوق هجر فنسبت اليهما (وقوله نقضا على نقض) أى مهزولا على

ووطئت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم ترلانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منه غوث * يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت * فموصول بها الفرج القريب

قال أبو بكر بن الانبارى أنشدنى اسمعيل القاضى

لا تعتبن على النوائب * فالدهر يرغم كل عاتب
واصبر على حدثانه * ان الامور لها عواقب
ولكل صافية قذى * ولكل خالصة شوائب
كم فرجة مطوية * لك بين أثناء النوائب
ومسرة قد أقبلت * من حيث تنتظر المصائب

قال القاضى رحمه الله ما عرض لى هم فادح فذكرت تلك الابيات الا رجوت من الله الفرج ثم نول عاقبة ما أحذره الى فاتحة ما أوثره قال على الكاتب أصبحت يوما مغموما مما الاء فى سببه فجاءنى رجل بظهر حوا روا ذا فيه

روح فؤادك بالضحى * ترجع الى روح وطيب
لا تيأسن وان ألح الدهر من فرج قريب

قال فزال عنى الهم ووجدت طعم الفرج وحكى الاصمعى رحمه الله تعالى قال بت ليلة بالبادية وحيدا مغموما فلما انتهى الليل سمعت قائلا يقول ولم أر شخصه

درج القضاء بكف من * بقضائه نزل البلاء
واصبر فكل شديدة * لا بد يتبعها رخاء

وقال آخر

سوف تبلى كل جده * وستقضى كل مده
انما الدهر عناء * وعوار مسترده
شدة بعد رخاء * ورخاء بعد شده

وقال آخر

خفت اذا أصبحت ترجو * وارج ان أصبحت خائف
رب مكروه مخوف * فيه لله لطائف

(قوله استقلينا) كثبنا (الغر) الحسان (والبنا) تابعا (مغمورين) مغطين (بره) افاقته (بره) احسانه واكرامه و (حيهل) قال ابن الانبارى فيها ست لغات قال عبد الله بن مسعود اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ومعناه أقبلوا على ذكر عمر فنون هلا وتنصبه على المصدر كأنه قال مرحبا به الثانى تفتح حى وهل وتبنيهما كخمسة عشر الثالث تسكن هاء هلا هذه المشبهة لكثرة الحركات الرابع حيهل بتسكينهما جميعا كبخ بخ الخامس حيهل الى عمر أى هلموا الى ذكره السادس حيهل على عمر أى أقبلوا الى ذكره

مهزول (والجراات) باطن العنق وقيل منه يعمل السياط (وقوله فضرب الله على الآذان) أى أنامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا على آذانهم فى الكهف أى أنمناهم وقيل فى تفسيره منعناهم السمع (وقوله تكرعنا الصلاة العجماوين) أى غسلنا أكارعنا وهو كناية عن الوضوء والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلاة النهار عجماء (وقوله هلم) أى قل هلم وهى تأتى بمعنى هات وبمعنى أقبل والافصح أن يوحد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن فى قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللمؤنث الواحدة هلمى وللاثنتين هلما وللجمع هلممن (وقوله حيهل) أى عجل وأسرع يقال حيهل بفلان بتسكين اللام وفتحها وتسوينها

وباثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود فى عمر رضى الله عنه اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر وفى حيهل لغات أخر (شرح أضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها فهذا تفسير الالفاظ اللغويه وأما تفسير الكنى الطفيليه والكنايات الصوفيه (فأبو يحيى) كنية الموت و (أبو عمرة) كنية الجوع ويكنى أيضا أبا مالك و (أبو جامع) الخوان و (أبو نعيم) الخبز الحوارى و (أبو حبيب) الجدى و (أبو ثقيف) الخل و (أبو عون) الملح و (أبو جميل) البقل و (أم القرى) السكباج و (أم جابر) الهريسة و (أم الفرج) الجوذاب و (أبو رزين) الخبيص و (أبو العلاء) الفالوذج و (أبو اياس) الغسول و (المرجفان) الطست والابريق و (أبو السرو) الجو

(المقامة العشرون الفارقية) (حكى الحرث بن همام) قال يممت ميافارقين مع رفقة موافقين لا يمارون في المناجاة

ولا يدرون ما طعم المداجاة
فكنت بهم كمن لم يرم عن
وجاره ولا ظعن عن أليفه
وجاره فلما نخنا بها مطايا
التسيار وانتقلنا عن
الأكوار الى الاوكار
تواصينا بتذكار الصحبة
وتناهينا عن التقاطع في
الغربة واتخذنا ناديا
نعمره طرفي النهار وتتهادى
فيه طرف الاخبار فبينا
نحن به في بعض الايام
وقد انتظمنا في سلك
الالتئام وقف علينا ذو
مقول جرى وجرس جهوري
فحيا تحية نفاث في العقد
قناص للاسد والنقد ثم قال
عندي يا قوم حديث عجيب
* فيه اعتبار للبيب الاريب
رأيت في ريعان عمري أخا
بأس له حد الحسام القضيب
يقدم في المعرك اقدام من
يوقن بالقتل ولا يستريب
فيفرج الضيق بكراته
حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الاقران الا انثنى
عن موقف الطعن برمح خضيب
ولا سما يفتح مستصعبا
مستغلق الباب منيعا مهيب
الا ونودي حين يسموله
نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها
يميس في برد الشباب القشيب
يرتشف الغيد ويرشفنه
وهو لدى الكل المفدى الحبيب
فلم يزل يبتزه دهره
ما فيه من بطش وعود صليب حتى أصارته الليالي لقى * يعافه من كان منه قريب قد أعجز الراقي تحليل ما * به من الداء وأعيا الطبيب
وصارم البيض وصارمنه * من بعدما كان المجاب المجيب وآض كالمنكوس في خلقه * ومن يعش يلق دواهي المشيب

(شرح المقامة العشرين وهي الفارقية)

(يممت) أي قصدت (ميافارقين) بلدة منها الى نصيبين ثلاثون فرسخا وميافارقين بديار بكر وهي من كور الجزيرة وكان تملكها سيف الدولة وذكرها المتنبي فقال

نجانف عن ذات اليمين كأنها * تحن لميافارقين وتزحم

القنجديهي سمعت بعض الادباء يقول سميت ميافارقين لان ذا الرمة أو غيره من العشاق لو وصل اليها بالاتفاق وشاهد وجوه أهلها الملاح والعيون السقيمة الصحاح وعاين رشاقة القدود ولباقة الخدود وسواد الطرر وبياض الغرر وحمرة الشفاه اللعس وحمرة الوجنات والجباه الملس لقال لصاحبته ميافارقيني ولا ترافقيني فلا يجوز التيمم مع وجود الماء ولا حاجة الى الدواء بعد البرء والشفاء (قوله يمارون) أي يجادلون يخالفون (المناجاة) المحادثة (المداجاة) المساترة بالعداوة (لم يرم) لم يزل يقال ما رامني ولا يريمني أي لم يبرح عني ولا زال ولا يقال الا منفيا (وجاره) بلده وأصله الحجر (ظعن) رحل (أليفه) صاحبه (الاكوار) الرحال (الاوكار) البيوت يريد انهم أتموا سفرهم وبلغوا الوطن فتركوا النقلة وأقاموا في البيوت (تناهينا) نهى بعضنا بعضا (ناديا) مجلسا (نعمره طرفي النهار) أي نجلس فيه بالغداة والعشي (طرف) غرائب (السلك) خيط النظام و(انتظمنا) اجتمعنا فيه (الالتئام) الاتفاق * يقال لسان جرى مقدم على الكلام (جرس) صوت (جهوري) عال (نفاث) ساحر (العقد) ما يعقدها لسحره وينفثون عليها بالبصاق (قناص) صائد (النقد) غنم صغار (اللبيب والاريب) كلاهما بمعنى العاقل (ريعان) أول (أخا بأس) صاحب شدة (الحسام القضيب) السيف القاطع (المعرك) موضع القتال وأراد به مروج الابكار (الضنك) ضيق الدم وهو أيضا كوب الرجل ما اهتم به (كرات) دفعات ورجعات (ضنكا) ضيقا (رحيب) واسع (بارز) قاتل (الاقران) الامثال في الشدة ونظيرها (انثنى) رجع (خضيب) مخضوب يريد أيضا اقتضاض الابكار (سما) ارتفع وقام (منيع) أي صعب ممنوع (مهيب) مخوف (يميس) يتبختر (يرتشف) يقبل ويمص ريقهن والترشف المص الكثير و(الغيد) جمع غيداء وهي اللينة المفاصل من النعمة وقيل المائلة العنق في نعمة (يبتزه) يجرده و(البطش) القوة والتناول الشديد (صليب) قوي شديد (لقى) طريحا (يعافه) يستثقله ويكرهه (تحليل) اذهاب وازالة وتحليل الداء اذهبه شيأ فشيأ (أعيا) غلب (صارم) قاطع (البيض) النساء الحسان (المجاب) الذي تجيبه النساء لحاجته منهن و(المجيب) الذي يجيبهن لحاجتهن منه (آض) رجع (المنكوس) المردود الى حالته الاولى من الضعف وأشار الى قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة فرده الى الحالة الاولى وهذا هو النكس في الخلق والنكس في المرض أن يمرض ثم يبرأ ثم يمرض والنكس في السهام ان ينكسر السهم فيجعل في الجعبة محولا الكسر الى فوق فاذا أدخل الرامي يده في الجعبة ليأخذ سهما فوجده محولا تركه وأخذ غيره (دواهي المشيب) حوائج الشيخ من الضعف والعلل وغير ذلك * ونذكر هنا من الادب ما يليق بالموضع * دخل المستوغر بن ربيعة على معاوية وهو ابن ثلثمائة سنة فقال كيف تجدك يا مستوغر فقال أجد بي قد لان مني ما كنت أحب أن يشتد واشتد مني ما كنت أحب أن يلين وابيض مني ما كنت أحب أن يسود واسود مني ما كنت أحب أن يبيض ثم أنشأ يقول

سلي أبنتك آيات الكبر * نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة الطعم اذ الزاد حضر * وتركك الحسناء من قبل الطهر
* والناس يبلون كما يبلى الشجر *

ثم قال ألا أخبركم بجيد العنب هو ماروى عموده واخضر عوده وتفرق عنقوده ألا أخبركم بجيد الرطب هو ما كبر لحاه وصغر نواه ورق سحاه * وفي الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علة وقال ابن أبي معن

من عاش أخلقت الايام جدته * وخانه ثقتاه السمع والبصر

(قوله مسجى) أي مغطى ووصف في أول الشعر ذكره بالشدة وفي آخره باللين * وأذكر من الصفتين ما يكون من شر طماذكر * حكى أبو زياد الكلبي قال كان عندنا أبو العريب شيخا فتزوج ولم يولم فاجتمعنا على باب خبائه فعصنا أولم ولو بيربوع أو بقرد مجذوع قتلتنا من الجوع فاولم فلما عرس غدونا عليه فقلنا ياليت شعرى عن أبي الغريب * اذبات في مجاسد وطيب

* معانقا للرشا الربيب * أأنجد المحفار في القليب

* أم كان رخوا يابسا القضيب *

فصاح يابس القضيب والله ثم أنشأ يقول

سقيا لعهد خليل كان يأدم لى * زادى ويذهب عن روجاتى الغضب

كان الخليل فأضحى قد تخونه * مر الزمان وتطعانى به النقب

ياصاح أبلغ ذوى الزوجات كلهم * أن ليس وصل اذا انحلت عرا الذنب

وهاهو اليوم مسجى لمن يرغب في تكفين ميت غريب

والقوافى وقعت فى لفظ يعقوب موقوفة وعرا الذنب عروق الذكر وكان أبو البيداء الاعرابى عنينا وكان يتجلد ويقول لقومه زوجونى امرأتين فيقولون أمافي واحدة كفاية فيقول أمالى ولا فزوجوه أعرابية وقالوا اله ان كفتك والا زوجناك الاخرى فدخل بها وأقام عليها أسبوعا فزاره اخوانه فى اليوم السابع فقالوا له ياأبا البيداء ما كان من أمرك فى اليوم الاول فقال عظيم جدا فقالوا فى اليوم الثانى فقال أعظم وأجل قالوا فى اليوم الثالث قال لا تسألوا فقالت امرأته من وراء ستر

كان أبو البيداء ينزو فى الوهق * حتى اذا ماحل فى بيت أفق

فيه غزال حسن الدل خرق * مارسه حتى اذا ارفض العرق

* انكسر المفتاح وانسد الغلق *

الوهق حبل يفتح فيه عين واسعة تؤخذ بها الدابة والافق الجيد وينزو يعدو ويقصر * تزوج الفرزدق بامرأة من مجاشع فعجز عنها فقال

يالهف نفسى على نعظ فجعت به * حين التقى الركب المحلوق والركب

ما أبعد ما بين حالته هذه وبينها وقد لقيته جارية فنظرها نظرا شديدا فقالت له مالك تنظر فوالله لو كان لى ألف حر ما طمعت فى واحد قال ولم ياحمقاء قالت لقبح منظرك وسوء مخبرك فيما أرى فقال لها أما والله لو خبرتنى لعفر مخبرى على منظرى ثم كشف لها وأراها مثل ذراع البكر فكشفت له عن مثل سنام البعير فقسمها وقال

أدخلت فيها كذراع البكر * مدملج الرأس شديد الاسر

زاد على شبر ونصف شبر * كأنما أولجته فى جحر

* وسمع بشار كلام امرأة فأحبها وأرسل لها ان تواصله وألح عليها فقالت لرسوله أى معنى لهى أولى فيه وهو أعمى لا يرانى فيعرف جمالى وهو قبيح الوجه لاحظ لى فيه فليت شعرى لاى شئ يطلب وصال مثلى فأدى اليه الرسول كلامها فقال عد اليها فقل لها

ايرى له فضل على آيارهم * واذا أشط سجدن غير أواب

تلقاه بعد ثلاث عشرة قائما * نظر المؤذن شك يوم سحاب

وكأن هامة رأسه بطيخة * حملت الى ملك بدجلة جاب

* وعشق امرأة وتردد رسولها اليها حتى أبرمها فشكته الى زوجها فقال أجيبيه وعديه الى هنا ففعلت
ووجهت له فجاء ولم يعرف بزوجها فقال لها ما اسمك بأبي أنت وأمي فقالت أمامة فقال

أمامة قد وصفت لنا بحسن * وانا لا نراك فالمسينا

فوضعت يده على أير زوجها وقد أنعظ لحسن حديثهما معه ففزع ووثب قائما وقال

على ألية ما عشت حيا * أمسك طائعا الا بعود
ولا أهدى لارض أنت فيها * سلام الله الا من بعيد
طلبت غنيمة فوضعت كفي * على اير أشد من الحديد
فخير منك من لا خير فيه * وخير من زيارتكم قعودي

فقبض زوجها عليه وقال هممت أن أفضحك فقال كفاني فديتك ما فعلت بي والله لا أعود لمثلها أبدا
* سمع الحكم بن عبدل امرأة تتمثل بقوله

واعسر احيانا فتشتد عسرتي * فادرك ميسور الغنى ومعي عرضي

فقال لها يا أخية أتعرفين قائل هذا الكلام قالت هو ابن عبدل قال أفتعرفينه عينا فقالت لا والله
فقال أنا هو والذي أقول

وانعظ أحيانا فيتقد جلده * وأعذله جهدي فلا ينفع العذل
وأزداد نعظا حين أسمع جارتي * فارثه كي ما يثوب له عقل
وربتما لم أدر ما حيلتي به * اذا هو آذاني وسر به الجهل
فاوفيه في بطن الجاري وجارتي * مكابرة قرما وان رغم الفحل

فقالت المرأة بئس الجار والله للمغيبة أنت قال أي والله وللتي معها زوجها وابنها وأخوها أين قول هذا
على اسلامه من قول عنترة على جاهليته

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي * حتى يواري جارتي مأواها
اني امرؤ سمح الخليقة ماجد * لا اتبع النفس اللجوج هواها

﴿وقال أبو الرقعمق﴾

كل يوم انا من فعلي في أمر عجاب * ليس يخليني من هم وحزن واكتئاب
عينه في كل من دب على وجه التراب * لم يدع لي ذهبا الا رماه بالذهاب
وابتدى المشؤم ان يعمل في بيع الثياب * لعنة الله عليه وبراغيث الكلاب

وللمفجع البصري في نتفة مما تقدم والمفجع صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصرة في الاملاء

لي أير أراحني الله منه * صار همي به عريضا طويلا
نام اذ زارني الحبيب عنادا * ولعهدي بك ينيك الرسولا
حسبت روزة على حبيبي * وانصرفا وما شفيا غليلا

﴿ولراشد بن اسحق﴾

طالما قمت كالمنارة تهتز * اهتزازا تسمو اليه العيون
رب يوم رفعت فيه ثيابي * فكأني في مشيتي مجنون
حنت قوسك الخطوب وأفنتـ * ـك قتوت تفنى عليها الفنون
لم يدع منك حادث الدهر الا * جلدة كالرشاء فيها غضون
تنثني كأنها صولجان * أو كما عرفت من الخط نون

وله أيضا فيه

كأنه حين أطويه وأنشره * سير يلف على دوامة الزيق
وان يقم قلت قناة معقفة * أو عروة ركبت في رأس ابريق

ثم انه أعلن بالنحيب وبكى بكاء المحب على الحبيب ولما رقأت دمعته وانفثأت لوعته قال يا نجعة الرواد وقدوة الاجواد والله ما نطقت ببهتان ولا أخبرتكم الا عن عيان ولو كان في عصاي سير

وله أيضا فيه أرضعيف المتن رث القوى * لو شئت أن أعقده لا نعقد
ان مس كالبقلة في لينها * فطالما أصبح مثل الوتد

وله أيضا فيه ينام على كف الفتاة وتارة * له حركات ما يحس بها الكف
كما رفع الفرخ ابن يومين رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

* الفنجديهي سمعت الحافظ أبا جعفر المروزي يقول مازحت شيخنا نجيب بن ميمون الواسطي يوما وكان شيخا دمثا ظريفا فقلت له أخبرني هل بقي من سلطان الهوى شئ وهل تقوم للصدمة العكازة الميمونية فقال آه آه ثم أنشد

تعقف فوق الخصيتين كأنه * رشاء على رأس الركية ملتف
كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

وأنشد أيضا يقوم في الليل عند البول منحنيا * كأنه قوس نداف بلا وتر
ولا يقوم اذا نبهته سحرا * كما تقوم أيور الناس في السحر

ثم بكى بكاء شديدا وذكرنا ووعظنا وهذه الابيات المنسوبة لراشد بن اسحق كلها من قصائده المطولة في هذا الفن وأكثر شعره فيه وله فيه شعر كثير ومنه انتزع الحريري قصيدته في هذه المقامة (قوله أعلن) أي رفع صوته و(النحيب) البكاء وفي بكاء المحب على الحبيب يقول الشاعر وزاد معنى

أتتني تؤنبني في البكاء * فأهلا بها وبتأنيبها
تقول وفي قولها حشمة * أتبكي بعين تراني بها
فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت البكاء بتأديبها

(قوله رقأت) أي انقطعت (انفثأت) انكسرت وسكنت (لوعته) حرقته (النجعة) المرعى (الرواد) الطالبون لها (بهتان) باطل (عيان) معاينة (قوله في عصاي سير) مثل يضرب لمن ليس عنده منفعة ولا له قوة والسير الشراك يدخل في ثقب في رأس العصا ويعقد منه حلقة يدخل فيها يده التي تمسك العصا فتكون أشد لاعتماده عليها وضربه بها فجعل عصاه عاطلة من سيرها وهو يريد أن لا منفعة عنده وأنشدوا

يا لك من همة وخير * لو كان لي في عصاي سير
صبرا على النائبات صبرا * ما يصنع الله فهو خير
فمن قليل بدا كثير * كم مطر بدؤه مطير

وذكر الجاحظ فوائد العصا فمنها سئل يونس عن قول الله عز وجل ولي فيها مآرب أخرى فقال لست أحيط بجميع مآرب موسى لكني أذكر جملة تدخل في باب الحاجة اليها من ذلك انها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج ويتوكأ عليها الكبير والسقيم والاقطع والاعرج والخطيب فتنوب للاعرج عن ساق أخرى وللاعمى عن قائد وهي للقصار والدباغ وهي معاد للملة ومحراك للتنور ولدق الجص والسمسم ولخبط الشجر ولشرطي والمكاري وللراعي غنمه وللراكب مركبه وتتد في الحائط وتركزها فتجعلها قبلة وان شئت مظلة وتدخلها في عروة المزود وطرفها في يدك والثاني في يد صاحبك وان كان فيها زج كانت عنزة فان زدت شيأ كانت عكازا فان زدت شيأ كانت مطردا وان زدت شيأ كانت رمحا وكانت آيات موسى صلوات الله وسلامه عليه في عصاه وكانت لا تفارق يد سليمان عليه الصلاة والسلام في مقاماته حتى سلط الله عليها الارضة وهو ميت فسقط فكانت للجن آية * وكان الحكم بن عبدل اعرج احدب هجاء خبيث الهجاء وكان الشعراء يقفون بأبواب الملوك فلا يؤذن لهم وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها فلا يؤخر له حاجة فقال يحيى بن نوفل

عصاحكم في الباب أول داخل * ونحن على الابواب نقصى ونحجب
وكانت عصى موسى لفرعون آية * وهذي لعمر الله أدهى وأعجب

تطاع فلا تعصى ويحذر أمرها * ويرغب في المرضاة منها ويرهب

فضحك الناس منها وشاعت بالكوفة وصارت ضحكة فاجتنب أن يكتب عليها وكان لابن عبدل صديق أعمى يقال له يحيى بن علبة وكان ابن عبدل قد أقعد فخرجا ليلة الى منزل بعض اخوانهما وابن عبدل يحمل والاعمى يقاد فلقيهما صاحب العسس فأخذهما وحبسهما فنظر ابن عبدل الى عصا ابن علبة في الحبس الى جانب عصاه فضحك وقال

حبسي وحبسك يا ابن علـ * ـبة من أعاجيب الزمان
أعمى يقاد ومقعد * لا الرجل منه ولا اليدان
يا من رأى ضب الفلا * ة قعيد موت في مكان
طرفي وطرفك يا ابن علـ * ـبة بيننا متوافقان
من يفتخر بجواده * فجوادنا عكازتان

وقال أيضا

أقول ليحيى ليلة السجن سادرا * ونومي به نوم الاسير المقيد
أعني على حفظ النجوم ورعيها * أعنك على تحبير شعر مقصد
ففي حالتينا عبرة وتفكر * وأعجب من ذا حبس أعمى ومقعد
كلانا اذا العكاز فارق كفه * ينخ سريعا أو على الكف يسجد
فعكازة تهدي الى السبل أهلها * وأخرى مع الرجلين قامت مع اليد

وولي امرة الكوفة أعرج وولي شرطتها أعرج فقصد الامير ابن عبدل وهو أعرج ووجد سائلا أعرج فقال

ألق العصا ودع التخامع والتمس * عملا فهذي دولة العرجان
لاميرنا وأمير شرطتنا معا * يا قومنا لكليهما رجلان
فاذا يكون أميرنا ووزيرنا * وأنا فان الرابع الشيطان

فبعث اليه الامير بمائتي درهم فضة وسأله ان يكف وكثيرا ما تصرف الشعراء في ذكر عصا موسى عليه السلام على أغراضهم فمنها ما يحسن ومنها ما يقبح وقال ابن سارة

ولي عصا من طريق الذم أحدها * بها أقدم في تأخيرها قدمي
كأنها وهي في كفي أهش بها * على ثمانين عاما لا على غنمي
كأنني قوس رام وهي لي وتر * أرمي عليها سهام الشيب والهرم

(وقال أبو بكر البلوي)

كأن عيني حين حاولت بسطها * لتوديع الفي والهوى يصرف الدمعا
عين ابن عمران وقد حاول العصا * وقد جعلت تلك العصا حية تسعى

قال ابن رشيق كنت أميل الى قينة اسمها ليلى فعشقها بعض خدام الحصون وكان يحسن خدمتها وكنسها منزلة لا يثلم جاهه متوليها فنهيته عنها فلم ينته فقلت فيه

ظن أن الحصون ملك سليما * ن وليلى بجهله بلقيسا
وله في العصا مآرب أخرى * حاش لله أن تكون لموسى

(وقال الصابي)

يبدي اللواط مغالطا ومجانة * أبدا لأغراض الورى يستهدف
وكأنه ثعبان موسى اذ غدا * لحبالهم وعصيهم يتلقف

وقال الصاحب

هذا ابن متويه له آية * يبتلع الاير وأقصى الخصى
يكفر بالرسل جميعا سوى * موسى بن عمران لاجل العصا

وقال أبو الفرج الاصبهاني في القاضي الاندلسي والتمس منه عكازة فلم يعطها اياه

ولغمي مطير لاستأثرت بما دعوتكم اليه ولما وقفت موقف الدال عليه ولكن كيف الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح (قال الراوي) فطفق القوم يأغرون فيما يأمرون ويتخافتون فيما يأتون فتوهم انهم يتمالؤن على صرفه بحرمان أو مطالبته ببرهان ففرط منه ان قال يا يلامع القاع ويرامع البقاع ما هذا الارتياء الذي يأباه الحياء حتى كأنكم كلفتم مشقة لاشقة أو استوهبتم بلدة لابردة أو هززتم لكسوة البيت لا لتكفين الميت أف لمن لا تندى صفاته ولا ترشح حصاته فلما بصرت الجماعة بذلاقته ومرارة مذاقته رفاه كل منهم بنيله واحتمل طله خوف سيله (قال الحرث بن همام) وكان هذا السائل واقفا خلفي ومحتجبا بظهري عن طرفي فلما أرضاه القوم بسيبهم وحق علي التأسي بهم خلعت خاتمي من خنصري ولفت اليه بصري فاذا هو شيخنا السروجي بلا فرية ولا مرية فأيقنت انها أكذوبة تكذبها وأحبولة نصبها الا أنني طويته على غره وصنت شغاه عن فره فحصبته بالخاتم وقلت أرصده لنفقة المآتم فقال واهالك فما أضرم

اسمع حديثي تسمع آية عجبا * لاشئ أعجب منه يبهر الفصحا
طلبت عكازة للرجل تحملني * ورمتها عند من يحوي العصا فعصى
وكنت أحسبه يهوى عصا عصب * ولم أكن خلته صبا بكل عصا

ولما قدم قتيبة بن مسلم واليا على خراسان سقطت المخصرة من يده فتطير به أهل خراسان فقال يا أهل خراسان ليس كما ظننتم ولكن كما قال الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وأما قول الشاعر

ويكفيك أن لا يرحل الضيف لائما * عصا العبد والبئر التي لا تميهنا

فقال يعقوب البئر هنا حفرة تجعل فيها الملة وتجعل عليها الخبزة والعصا تقلب بها الخبزة على الملة وينفض بها الرماد وقال آخر

اذا جاء ثقاف يحرقانه * طويل العصا نكبنه عن شياهنا

فالثقاف الرسول بين المريب والمريبة يأتي كالسائل فاذا وقف تقف الارض بعصاه فاذا اسمعت المرأة ذلك خرجت اليه فأبلغها الرسالة فتقفه علامة بينهما وأراد بالشياه النساء (قوله غمي) أي سحابي (مطير) تصغير مطر أي لو كان لي قوة ومال لآثرت بذلك نفسي (استأثرت) اختصصت (جناح) اثم (يأغرون) يتشاورون (يتخافتون) يتكلمون سرا (فيما يأتون) أي فيما يفعلون معه (توهم) ظن (صرفه) رده (حرمان) خيبة (برهان) حجة (فرط) سبق (يلامع) جمع يلمع وهو السراب (القاع) منخفض الارض (يرامع) جمع يرمع وهي الحصى البيض وقيل الحجارة الرخوة (البقاع) جمع بقعة وأراد أن لهم ظاهرا وليس لهم خبرة كالسراب يخيل أنه ماء ولا حقيقة له واليرمع تظنه فضة وهو حجر (الارتياء) تدبير الرأي وأصله الهمز لانه من الرأي (استوهبتم) طلبت منكم هبة (بردة) ثوب يلبس (هززتم) حركتم (البيت) الكعبة (أف) خيبة وقد تقدم ان العفرة والحصاة يكنى بهما عن بذل الجميل (ذلاقته) حدة لسانه (رفاه) وصله (والطل والسيل) هنا القليل والكثير (سيبهم) عطاؤهم (وحق) وجب (التأسي) الاقتداء (خلعت) جذبت وأخرجت (الخنصر) الاصغر من الاصابع ويليها البنصر ثم الوسطى ثم السبابة وتسمى المسبحة والمشيرة ثم الابهام وقال أبو العلاء المعري

شغلت عن المرء من خمسه اثـ * ـنتين تخصهما المفخر
يشار اليك بسبابة * وتثني على فضلك الخنصر
فمن أجل ذا رفعت هذه * الى خالق الخلق تستغفر
ومن أجل ذا كسيت خاتما * يزين وعريت البنصر

وقال صريع الغواني لغزا بخاتم

وأبيض أما رأسه فمدور * نقي وأما جسمه فمعار
ولم يتخذ الا لتسكن وسطه * خضيبة رأس ما عليه خمار
لها أخوات أربع هن مثلها * ولكنها الصغرى وهن كبار

(لفت) رددت (فرية) كذب (مرية) شك وتقول بين القوم أكذوبة يتكاذبون بها أي أحاديث كذب (تكذبها) استفعلها (أحبولة) آلة يصاد بها (طويته على غره) أي سترت عليه طريقته الملتزمة من الحيل والغر بالنقط كسور الثوب يقال اطو الثوب على غره أي على كسور طيه الاول * جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم طي الثوب راحته (صنت) حفظت وكتمت (شغاه) عيبه (فره) كشفه والشغا بزنة على أخواتها وخروج الحنك الاعلى على الاسفل (حصبته) رميته والحصباء الحصى الصغار وحصبته رميته بالحصباء فاستعاره للخاتم (أرصده) أعده (واها) عجبا (ما أضرم

شعلتك) أي ما أكبر توقد ذهنك والشعلة لسان النار وانما تعجب منه لانه قد عرفه وأعلمه أنه قد عرف مكره حين قال له أرصده ثم سترعليه وأهل الشرق يتشتمون و يتصدقون بخواتمهم وفي البديعية بعد تشك تقدم من أبي الفتح قال ابن هشام فوالله ما آنسني من وحدتي الا خاتم ختمت به خبره فلما تناوله أنشأ يقول

ومنطق من نفسه * بقلادة الجوزاء حسنا
متألف من غير أسرته على الايام خدنا
كمتيم لقي الحبيب فضمه شغفا وحزنا
علق سني قدره * لكن من أهداه أسنى
أقسمت لو كان الورى * في الجد لفظا كنت معنى

قال فتبعته حتى سفرت الخلوة وجهها فاذا والله أبو الفتح والطلا زغاوله فقلت أبا الفتح شبت وشب العلام فأين الكلام وأين السلام فقال

غريبا اذا جمعتنا الطريق * ألوفا اذا نظمتنا الخيام

(قوله يسعى) أي يسرع المشي (قدما) أي قدامه وقبالته (يهرول) يسرع والهرولة جري بين المشي والعدو (قدما) أي قديما وأولا ومعناها كما فعل في أول مرة حين سعى قدما (نزعت) اشتقت (امتحان) تجربة (قرعت) ضربت (ظنبوب) مقدم عظم الساق ويقال قرع لهذا الامر ظنبوبه اذا أسرع وجد فيه ويبينه قول سلامة بن جندل

كنا اذا ما أتانا صارخ فزع * كان الصراخ له قرع الظنابيب

أي كانت اغاثتنا له اسراعا في نصرته (ألهبت) أشعلت (الهوبي) شدة جريي و (الغلوة) مقدار رمية السهم (اجتليته) نظرته (بمجامع أردانه) أي بمجمع أطراف ثوبه (عقته) صرفته عن وجهه (سنن) طريق (ميدانه) موضع جريه وطاقه (ملجأ) موضع يلجأ اليه (منجا) موضع تنجو فيه (غرموله) ذكره (قاتلك الله) أي قتلك الله وأكثر ما يقع فاعلت عن الاثنين وقد يكون عن الواحد نحو ناولت وسافرت وقيل معنى قاتله لعنه وقيل عاداه (النهى) العقول واحدها نهية ومنه نهيته عن كذا فانتهى و (اللها) العطايا واحدها لهوة وأصلها القبضة من الطعام تجعل في فم الرحا (يكذب) يحدث بالكذب (يبرقش) يزين والبرقشة التزيين بألوان شتى (وريت) يقال وريت الخبر أوريه تورية سترته وأظهرت غيره وفي الحديث الشريف انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد سفرا ورى بغيره وهو مأخوذ من الوراء كأنه يجعل الخبر وراءه ولم يظهره (راءيت) استعملت الرياء يريد انه صرح لهم بذكر العورة ولم يكن عنها (قهقهوا) أكثروا الضحك * أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب والقهقهة من الشيطان والتبسم من الله (من كيت وكيت) أي من هذه القصة التي أسمعهم وكيت وكيت كناية عن الحديث المدمج المتداخل والله أعلم

(شرح المقامة الحادية والعشرين وهي الرازية)

(عنيت) أي شغلت (أحكمت) أتقنت (قبيلي من دبيري) أي ما أقبل عليه من أمري وما أدبر عنه * ابن الانباري ما يعرف قبيلا من دبير أي ما يعرف الاقبال من الادبار أي ما يعرف ما أقبل به من القبل الى الصدر مما أدبر عنه وقيل معناه ما يعرف الشاة المقابلة من المدابرة والمقابلة التي شق أذنها الى قدام والمدابرة التي شق أذنها من مؤخرها وترك ما قطع معلقا الى خلف لا يبين (أصغي) أميل (العظات) هي المواعظ (ألغي) أترك (الكلم) جمع كلمة (المحفظات) المغضبات (أتحلى) أتزين وأتصف (وأتخلى) أزول وأتفرغ وتخليت من كذا تركته (يسم) يجعل سمة (الاخلاق) العيوب وتمزيق العرض وأصله في الثوب (أحد) أسكن و (التطبع) له في الطبيعة أثر وان لم تذهب الطبيعة

شعلتك وأكرم فعلتك ثم انطلق يسعى قدما ويهرول هرولته قدما فنزعت الى عرفان ميته وامتحان دعوى حيته فقرعت ظنبوبي وألهبت ألهوبي حتى أدركته على غلوة واجتليته في خلوة فأخذت بمجامع أردانه وعقته عن سنن ميدانه وقلت له والله مالك مني ملجأ ولا منجا أو تريني ميتك المحيى فكشف عن سراويله وأشار الى غرموله فقلت له قاتلك الله فما أعبك بالنهى وأحيلك على اللها ثم عدت الى أصحابي عود الرائد الذي لا يكذب أهله ولا يبرقش قوله فأخبرتهم بالذي رأيت وما وريت ولا راءيت فقهقهوا من كيت وكيت ولعنوا ذلك الميت

(المقامة الحادية والعشرون الرازية)

(حدث الحرث بن همام) قال عنيت مذ أحكمت تدبيري وعرفت قبيلي من دبيري بأن أصغي الى العظات وألغي الكلم المحفظات لا تحلى بمحاسن الاخلاق وأتخلى مما يسم بالاخلاق ومازلت آخذ نفسي بهذا الادب وأخدبه جمرة الغضب حتى صار التطبع فيه طباعا والتكلف له هوى مطاعا

بالجبلة لانه اتفقت العرب والعجم على قولهم الطبع أملك وكان ملك من ملوك الفرس له وزير مجرب حازم فكان يعرف اليمن فى مشورته فهلك وقام ابنه بعده فلم يرفع به رأسا فذكر له مكانته من أبيه فقال كان أبى يغلط فيه وسأريكم ذلك فاحضره وقال له أيهما أغلب على الرجل الادب أو الطبيعة فقال الطبيعة لانها أصل والادب فرع وكل فرع يرجع الى أصله فدعا الملك بسفرة فوضعت وأقبلت سنانير بايديها الشمع فوقفت حول السفرة فقال له اعتبر خطأك وضعف مذهبك متى كان أبو هذه السنانير شماعا فقال له أمهلنى فى الجواب الى الليلة المقبلة فقال لك ذلك فخرج الوزير وأمر غلامه أن يسوق له فأرة فساقها اليه فربطها بخيط وعقدها فى سبنيبة فلما راح الى الملك وضعها فى كمه ودخل فأحضر السفرة والسنانير فالقى لها الوزير الفأرة فاستبقت السنانير اليها وتطاير الشمع حتى كاد البيت يضطرم عليهم نارا فقال للملك كيف رأيت غلبة الطبع للادب قال صدقت ورجع له ما كان عليه أبوه وقال ذو الاصبع

كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخلق أخلاقا الى حين

وقال المتنبى

أبى خلق الدنيا حبيبا تديمه * فما طلبى منها حبيبا ترده
وأسرع مفعول فعلت تغيرا * تكلف شئ فى طباعك ضده

(وقال العرجى)

يا أيها المتحلى غير شيمته * ومن شمائله التبديل والملق
ارجع الى خلقك المعروف ديدنه * ان التخلق يأتى دونه الخلق

وقال المتنبى أيضا

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

وقال الشريف

هيهات لا يتكلفن الى الهوى * فضح التطبع شيمة المطبوع

وقال ابن طاهر الاندلسى

نقل الطباع من الانسان ممتنع * صعب اذا رامه من ليس من أربه
يريد شيأ وتأباه طبائعه * والطبع أملك للانسان من أدبه

فيريد أنه راض نفسه على اتباع الخير وبعد الشر حتى انقادت له الى ما يريد والتطبع استعمال غير ما فى طبعك والتكلف استعمال ما لا تقدر عليه الا بمشقة (قوله فلما حللت بالرى) الرى أرض على جادة خراسان واسم مدينة الرى المهدية سميت بهذا الاسم لان المهدى تولاها فى خلافة المنصور لما توجه الى خراسان لمحاربة عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدى وبها ولد الرشيد والمهدى أقام بها عدة سنين فشيد بناءها وأتقنه وأرضع نساء الوجوه من أهلها الرشيد وأهل الرى اخلاط من العرب والعجم قليل فيها وافتتحها قرظ بن كعب الانصارى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وشرب أهلها من عيون كثيرة وأودية عظيمة وبها واد عظيم يأتى من بلاد الديلم يقال له مهرعنى ولكثرة مياه البلد كثرت ثماره وجاد نمو أشجاره وله رساتيق وأقاليم وينسب اليها الرازى وهو من شاذ النسب وكتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم ما يقيمك بأرض الفراعنة والجبابرة سر الى خراسان أرض الفضة والعقيان والجوارى الحسان وتقدم الحبا و(الغى) الضلال * والعرب تقول ما يعرف الحى من اللى والحو من اللو تقوله لمن تستجهله وتنفى عنه الفطنة وتصريفها ان الحى مصدر حويت الشئ حزته وجمعته ولويت الرجل مطلته ومنعته حقه لوا وليا وليا فالحى مدح واللى ذم فكأنه اذا قال عرفت الحى من اللى انما قال عرفت الخير من الشر وما يضر مما ينفع وعرفت الحى من اللى وقبيلى من دبيرى انما يستعملان فى النفى وتجوز أبو محمد فى استعمالهما فى الايجاب حيث كان أصلا للنفى (الزمرة) الجماعة وتقول فلان اثر فلان أى خلفه وقريبا منه كأنه يتبع اثره اذا رفع هذا قدمه وضع الآخر قدمه فى الموضع (منتشرون) متفرقون (مستنون) جارون (متواصفون) يصفه بعضهم لبعض (ابن سمعون) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن اسمعيل بن عيسى بن اسمعيل

فلما حللت بالرى وقد حللت حبا الغى وعرفت الحى من اللى رأيتها ذات بكرة زمرة فى اثر زمرة وهم منتشرون انتشار الجراد ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحلون ابن سمعون دونه فلم

المعروف بابن سمعون الواعظ وكان وحيد عصره وفريد دهره فى الاخبار عما سهبس فى الافكار وليا
من الاولياء الاخيار كلامه فى الوعظ نافع ونفعه فى القلوب ناجع ومجاله فى تصاريف الكلام على
الخواطر رحب واسع وكان يقال له الشيخ المنطق بالحكمة وحدث أبو الطاهر محمد بن على العلاف
قال حضرت ابن سمعون يوما وهو فى مجلس الوعظ على كرسيه وكان أبو الفتح القواس جالسا الى جنب
الكرسي فغشيه النعاس فنام فأمسك أبو الحسن عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع
رأسه فقال له رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى نومك فقال نعم فقال أبو الحسن لذلك أمسكت عن
الكلام خوفا ان تنزعج وتنقطع عن الكلام الذى كنت فيه * وذكر أبو على الهاشمى قال حكى لى
مولى الطائع لله تعالى قال أمرنى الطائع أن أوجه الى ابن سمعون فأحضره دار الخلافة ورأيت الطائع
على صفة من الغضب وكان يتقى فى تلك الحال لانه كان ذا حدة فبعثت الى ابن سمعون وأنا مشغول
القلب لاجله فلما حضر أعلمت الطائع حضوره فجلس مجلسه وأذن له فى الدخول فسلم عليه بالخلافة
ثم أخذ فى وعظه فأول ما ابتدأ به ان قال روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه
وذكر خبرا ولم يزل يجرى فى ميدان الوعظ حتى بكى الطائع وسمع شهيقه وابتل منديل بين يديه
بدموعه فأمسك ابن سمعون حينئذ ودفع الى درجا فيه طيب وغيره فدفعته اليه وانصرف وعدت
الى الطائع وقلت يا مولاى رأيتك على صفة من الغضب على ابن سمعون ثم انتقلت عنها عند حضوره
فما السبب فقال رفع الى أنه ينتقص عليا رضى الله عنه وأحببت أن أتيقن ذلك وان صح منه قتلته
فلما حضر بين يدى افتتح كلامه بذكره والصلاة عليه وأعاد فى ذلك وأبدى وقد كان له مندوحة
فى الرواية عن غيره وترك الابتداء به فعلمت انه وفق لما تزول به عنه المظنة وتبرأ ساحته عندى ولعله
كوشف بذلك وله كتاب المجالس وهو كله أحاديث متصلة الاسانيد ومن كلامه ان القلب بمنزلة المرآة
فاذا أصابتها الطبعة عولجت بالزيت فاذا ارادت زيد فيها من حتات الآجر فاذا ازادت جليت بالحديد
فاذا ارادت على ذلك حتى ركبها الصدأ لم يكن لها بد من عرضها على النار حتى يتم جلاؤها * توفى ابن
سمعون فى ذى القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة ودفن بداره بشارع العباسى فلم يزل هنالك حتى نقل
يوم الخميس الحادى عشر من رجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ودفن بباب حرب ببغداد وقيل
ان أكفانه لم تكن بليت بعد (قوله يتكاءدنى) أى شق على (أقاصى) اباعد (اللاغط) الصائح
بكلام لا يفهم و(الضاغط) الذى اذا زاحمك ضغطك لحائط أو غيره حتى ينقطع نفسك يريد انه لم
يمنعه ما أصابه من السب والصياح به والضغط واللكز من مزاحمة الناس حتى قرب من الواعظ
* ويبين هذا قوله فى الحسين ولم أزل أنتقل فى المراكز وأغضى للاكز واللاكز (أصحبت)
انقدت (المطاوعة) المنقادين المطاوعين (والانخراط) دخول الانسان فى الامر بغير علم وتقدم
لسلك (أفضينا) وصلنا وأراد ان هذا المجلس جمع العامة والامير ومن له ذكر رفيع وشهرة ومن
هو مجهول مجمول وأراد بالهالة الحلقة الناس وبالاهلة أشراف الناس والعلماء وحرك السين من وسط
مع الهالة لانه اراد وساحة والعرب تقول فلان جلس وسط الدار واحتجم وسط الرأس بالتحريك
وسكن مع الاهلة لانه أراد معنى بين والعرب تقول جلس وسط القوم فحملوه على بين لما حل محلها
وكان فى معناها ولا يجوز جلس بين الدار فلهذا لا يقال جلس وسطها بالتسكين (تقوس) انحنى
(اقعنسس) تقبض واحدودب والعقس دخول الظهر وخروج الصدر والحدب ضده وبينه الراجز
بقوله * أقعس يمشى مشية التقاعس * (تقلنس) لبس القلنسوة (تطلس) لبس الطيلسان وهو
كساء أخضر يلبسه الخواص (يصدع) يشق (قوله ما أغراك) ما أكثر لصوقك (يغرك) يدلك على
الغرر (أضراك) أشد ملازمتك (ألهجك) أشد حبك (يطغيك) يردك طاغيا متجبرا واقدرك
(أبهجك) أشد سرورك (يطريك) يمدحك فى وجهك والنفس ميالة كثيرة الانخداع بمن يعظم شأنها

يتكاءدنى لاستماع المواعظ
واختبار الواعظ أن أقاصى
اللاغط وأحتمل الضاغط
فأصحبت أصحاب المطاوعة
وانخرطت فى سلك الجماعة
حتى أفضينا الى ناد جمع
الامير والمأمور وحشد
النبيه والمغمور وفى وسط
هالته ووسط أهلته شيخ
قد تقوس واقعنسس
وتقلنس وتطلس وهو
يصدع بوعظ يشفى الصدور
ويلين الصخور فسمعته
يقول وقد افتتنت به
العقول ابن آدم ما أغراك
بما يغرك وأضراك بما
يضرك وألهجك بما
يطغيك وأبهجك بما
يطريك

و يثنى عليها فرارة ممن يحفرها ويذمها ولذا قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب فى وجوه المداحين تذليلا لهم بذلك حيث أكسبوا غيرهم عزة النفس والكبر قال الشاعر

وخدعته بخديعة لما أبى * والحر يخدع بالكلام الطيب

(تعنى) تشتغل (يعنيك) يتعبك (تنزع) ترمى (تعذيك) ظلمك (الحرص) أسوأ الطمع (برديك) يهلكك * كعب بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والسرف لدينه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتربت الساعة ولا تزداد الناس الا حرصا على الدنيا ولا تزداد منهم الا بعدا وقال محمود الوراق

كم الى كم أنت للحر * ص وللآمال عبد
ليس يجدى الحرص والسعى * اذا لم يك جد
* ما لما قدره الله من الامر مرد

وفى كتاب للهند لا ينبغى للملتمس من عيشه الا الكفاف الذى يدفع به الحاجة عن نفسه وماسوى ذلك فانما هو زيادة فى غمه وقالت الحكماء أقل الدنيا يكفى وأكثرها لا يكفى وقال أبو ذؤيب

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه يا بنى اذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فانها مال لا ينفد واياك والطمع فانما هو فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شئ قط الا أغناك الله عنه وقال الغنى من استغنى بالله والفقير من افتقر الى الناس قال ابن أبى حازم رحمه الله تعالى

استعن بالله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز فى الياس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس

ومن دعاء عمر رضى الله عنه اللهم لا تكثر لى من الدنيا فأطغى ولا تقلل لى منها فأنسى فانه ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وقالوا ثمرة القناعة الراحة وثمرة الحرص التعب وقالوا الاغنى الا غنى النفس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع يا ابن آدم اذا أصبحت آمنا فى سربك معافى فى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء وقيل لابى حازم ما مالك فقال مالان الغنى بما فى يدى واليأس مما فى أيدى الناس وقيل لا خر ما مالك فقال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن ومما قيل من الشعر فى معنى ما تقدم قال محمود الوراق

يا عائب الفقر ألا تزدجر * عيب الغنى أكبر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى لو صح منك النظر
أنك تعصى الله تبغى الغنى * وليس تعصى الله كى تفتقر

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا
فان صلاح المرء يرجع كله * فسادا اذا الانسان جازبه الحدا

(وقال البحترى)

اذا ما كان عندى قوت يوم * طرحت الهم عنى يا سعيد
ولم تخطر هموم غد ببالى * لان غدا له رزق جديد

(وقال طباطبا)

ان فى نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد ضد السرف
كسراج دهنه عمر له * فاذا عرقته فيه طفى

وقال آخر

واذا نبا بى منزل جاورته * واعتضت منه غيره لى منزلا

تعنى بما يعنيك وتهمل ما يعنيك وتنزع فى قوس تعذيك وترتدى الحرص الذى يرديك لا بالكفاف تقتنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع

وإذا غلا شيء علي تركته * فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

(قوله ولا بالوعيد ترتدع) أي لا تكف عن غيك ولا ضلالك بما تخوف به من أهوال الآخرة (دأبك) أي عادتك (الأهواء) جمع هوى وهو ما تحبه النفس وتميل اليه (تخبط) تمشي على عماية (العشواء) الناقة التي لا تبصر (تدأب) تداوم (الاحتراث) التكسب (التراث) المال الموروث وفي معناه انه وجد على حائط مكتوب يا ابن آدم غافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا تحمل في قلبك هم يوم لم يأت ان يكن من أجلك يأتك الله برزقك فيه ولا تجعل سعيك في طلب المال اسوة المغرورين فرب جامع لبعل حليلته واعلم ان تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات قال بديع الزمان

أيا جامع المال من حله * يبيت ويصبح في ظله
سيؤخذ منك غدا كله * وتسئل من بعد عن كله

وله أيضا

يا سريعا على العمى * قاعدا بالمراصد
لست في سعيك الذي * خضت فيه بقاصد
ان دنياك هذه * لست فيها بخالد
بعد هذا فإنما * أنت ساع لقاعد

(وقال سابق البربري)

ختى متى تلهو بمنزل باطل * كأنك فيه ثابت الاصل قاطن
وتجمع مالا لا تأكل الدهر دائبا * كأنك في الدنيا لغيرك خازن

وقال رجال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان فلانا جمع مالا قال فهل جمع له أياما أخذه الشاعر فقال

أروه بعيش في يغدو على ثقة * ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
جمعت مالا ففكر هل جمعت له * يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا حين تنفقه

(قوله التكاثر) أي كثرة المال تقول تكاثر المال تكاثرا اجاز الحذف في الكثرة * أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمسى وأصبح وهمه الدينار والدرهم تكاثرا حشر مع اليهود والنصارى والذين قالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر (تسعى لغاريك) تجهد في كسبك لتدرك شهوة بطنك وفرجك وهما الغاران وقيل هما الفرج والفم وقيل الحنكان الاعلى والاسفل وأخذ اللفظ من قول الشاعر

ألم تر ان الدهر يوم وليلة * وان الفتى يسعى لغاريه دائبا

(قوله سدى) أي مهمل مسيب (الرشا) بالضم جمع رشوة وهي العطية تدفع بها مضرة من يقدر عليك (الرشا) بالفتح الغزال (كلا) زجر (المنون) هي المنية (المبرور) المتقبل (وعى) حفظ الوصية (ما ادعى) أي ما ادعاه من أنه قبل الوصية (وحققه) داوم عليه بعمله (ارعوى) رجع وتاب (ما سعى) أي ما عمل وتعب فيه (الفائز) الظافر بحاجته (وجل) خائف (زجل) شديد وزجل الصوت زجلا ارتفع وأيضا طرب وقال أبو العتاهية فيما تقدم من ذكر الموت

بين عيني كل حي * علم الموت يلوح
كلنا في غفلة والـ * ـموت يغدو ويروح

وقال البديع

انما الدنيا غرور * ولمن أصغى نصيح
ولسان الدهر بالوعـ * ـظ لواعيه فصيح

ولا بالوعيد ترتدع دأبك ان تتقلب مع الاهواء وتخبط خبط العشواء وهمك ان تدأب في الاحتراث وتجمع التراث للوراث يحسبك التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك وتسعى أبدا لغاريك ولا تبالي ألك أم عليك أتظن أن ستترك سدى وأن لا تحاسب غدا أم تحسب ان الموت يقبل الرشا أو يميز بين الاسد والرشا كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون ولا ينفع أهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز من ارعوى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم أنشد انشاد وجل بصوت زجل

نحن لاهون وآجا * ل المنايا الاتريح

(قوله لعمرك) العمر البقاء فاقسم به كانه قال وحق بقائك الكريم على الحبيب الى (المغانى) المنازل الشريفة (المثرى) الكثير المال (الثرى) التراب الندى وأثرى صار له كثير من المال كالثرى فى كثرته (ثوى) أقام (جد) تكرم بمالك (تقتنى) تكتسب أى لاتنفع المنازل الرفيعة البناء ولا المال الكثير اذا آل الحال الى الموت (بادر) سابق (صرف) تقلب (الاشغى) المعوج (يغول) يهلك (نابه) ضرسه (الخؤن) الكثير الخيانة (النابه) والنبيه من النباهة وهى الجلالة والرفعة و (الخامل) ضده و (أخنى) أهلك وأخنى على أخذ ماله (ضلة) أى ضلالة و (هوى) سقط (عقابه) الاول جباله والثانى عذابه (تله) تشتعل (يضاهى) يشابه (الوبل) أكثر المطر (حال مصابه) أى حال وقوعه والمصاب مصدر صاب يصوب صوبا ومصابا (الحمام) الموت (روعة) فزع صاحبه حين يلقاه (صابه) مره والصاب شجر مر (وقصارى) آخر ونهاية كانه قصر عندها أى جلس فلم يجاوزها (واها) عجبا (التلاقى) التدارك لمافات (اغلاق بابه) أى موته * وفى روعة ملقاه يحكى ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع ان ترينى صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر قال لا تستطيع ذلك قال بلى قال فاعرض عنى ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومن منخريه لهيب النار والدخان فغشى على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد الى صورته فقال ابراهيم لو لم يكن للفاجر عند موته الا صورتك لكان حسبه * وفى مطعم صابه يحكى ان ابراهيم عليه السلام قال له الله تعالى كيف وجدت الموت ياخليلى قال كسفود جعل فى صوف رطب قال أما انا هونا عليك وقال لموسى عليه السلام كيف وجدت الموت قال كعصفور يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا يطير فينجو وفى رواية كشاة تسلخ من جلدها وهى حية وقال كعب الاحبار لعمر رضى الله عنهما وقد سأله ان يحدثه عن الموت قال الموت يا أمير المؤمنين كغصن كثير الشوك أدخل جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ لغصن ما أخذ وأبقى ما أبقى وكان النبى صلى الله عليه وسلم عند موته يقول ان للموت لسكرات اللهم هون على سكرات الموت وقالت عائشة رضى الله عنها لا أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذى رأيته من موته صلى الله عليه وسلم وهذه حال أحبابه فكيف بمن غرق فى بحار المعاصى اللهم عفوك وشعر المقامة مزدوج القوافى وعارضه الزاهد بن عمران فقال

مالى وللدنيا وعلى بها * غرارة خداعة مالى
تغرنى حتى اذا مكنت * تعبث فى نفسى وفى مالى
همت بها حبا فقد أفسدت * ما كان من صالح أعمالى
أعمى الهوى قلبى وحبى لها * رأس خطاياى وأعمالى
تبكى على الفائت من حظها * عينى تسكاب واهمالى
يارب زهدنى فى حبها * ولا تؤاخذنى باهمالى

وله فى مثله

ارغب عن الدنيا وأوصافها * مشوبة جاءتك وصافيه
قتل أولى الالباب من فعلها * فاصغ الى عصى وأوصافيه
ما بالغنى يعتز ذو فطنة * كلا ولا يعتز بالعافيه
كم من غنى قد عاد فقرا وكم * عافية قد أصبحت عافيه

وله أيضا

ما الزهد ياقوم فلا تجهلوا * بلبس أسمال وأخلاق
لكنه لبس ثياب التقى * فى حسن آداب وأخلاق

وله أيضا

خليلى لا يغررك منى ظاهرى * ومهما سألت الله فاسأله لى صفحا

لعمرك ما تغنى المغانى ولا الغنى
اذا سكن المثرى الثرى وثوى به
فجد فى مراضى الله بالمال راضيا
بما تقتنى من أجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه
بمخلبه الاشغى يغول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤن ومكره
فكم خامل أخنى عليه ونابه
وعاصى هوى النفس الذى ما أطاعه
أخو ضلة الا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه
لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه
بدمع يضاهى الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه
وروعة ملقاه ومطعم صابه
وان قصارى منزل الحى حفرة
سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساء سوء فعله
وأبدى التلاقى قبل اغلاق بابه

قال قتل القوم بن عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها حتى كادت الشمس تزول والفريضة تحول فلما خشعت الاصوات والتأم الانصات واستكنت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالامير (٢٨١) الحاضر وجعل يجأر اليه من عامله الجائر والامير صاغ الى خصمه لاه عن كشف ظلامه فلما يئس من روحه استنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشمير وأنشد معرضا بالامير

عجبا لراج أن ينال ولاية
حتى اذا ما نال بغيته بغى
يسدى ويلحم فى المظالم والغا
فى وردها طورا وطورا مولغا
ما ان يبالى حين يتبع الهوى
فيها أأصلح دينه أم أوتغا
يا ويحه لو كان يوقن أنه
ما حالة الا تحول لماطغى
أو لو تبين ما ندامة من صغى
سمعا الى افك الوشاة لما صغى
فانقد لمن أضحى الزمان بكفه
وتعاص ان أبى الرعاية أولغا
وارع المرار اذا دعاك لرعيه
ورد الاجاج اذا جعالك السيغا
واحمل اذاه ولو أمضك مسه
وأسال غرب الدمع منك وأفرغا
فليضحكنك الدهر منه اذا نبا
عنه وشب لكيده نار لوغى
وليبرزن به الشمات اذا بدا
متخليا من شغله متفرغا
ولتأوين له اذا ما خذه
أضحى على ترب الهوان ممرغا
هذا وليوقف موقفا
فيه يرى رب الفصاحة ألثغا
وليحشرن أذل من فقع القلا
(٣٦ - شريشى اول) ويحاسبن على النقيصة واشعا ويؤاخذن ء اجتنى ومن اجتبى * ويطالبن بما احتسى وبما ارتغى
ويناقشن على الدقائق مثل ما * قد كان يصنع لو رى بل ابلغا حتى يعض على الولاية كفه * ويود لو لم يبغ منها ما بغى

فلو كنت ذا علم كعلمى بباطنى * لا ضربت عن ذكرى أيادى النهى صفحا
ولكن أرى الله الجميل بفضله * فلم يفش لى سرا ولم يبد لى صفحا

وقال بعض الزهاد لصاحبه انى أحبك فى الله فقال له لو علمت منى ما أعلم من نفسى لابغضتنى فى الله

وله أيضا

تحفظ بدينك لا تبتذله * ولا تلف عرضك عرضا كليما
وصد عن الذنب لا تأته * وبادر باصلاح ما منك لما
فأنت ابن عمران موسى المسى * ولست ابن عمران موسى الكليما

وقال غيره

لا تأمن الدهر الخؤ * ن وخف بوادر بغتته
فالموت سهم مرسل * والعمر قدر مسافته

(قوله عبرة يدرونها) أى دمعة يصبونها (وتحول) تزيد وتضيق يريد تضيق وقتها ويدخل عليها وقت غيرها فتجمع صلاتين (خشعت) ذلت (التأم الانصات) اتصل السكوت (استكنت العبرات والعبارات) أى سكن البكاء والكلام (استصرخ مستصرخ) أى استغاث مستغيث (يجأر) يصيح بدعاء وجلا تشكى للامير من عامل له ولاه عليهم فجار فمال الامير مع الوالى وترك المشتكى وقوله (صاغ) أى مائل و(لاه) أى تارك ومشتغل (يئس) قطع رجاءه (روحه) نصرته وعدله الذى يريح المشتكى والروح الفرح والسرور (استنهض) سأله النهوض لينصح الامير * عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا وصلة لاخيه المسلم الى السلطان فى مبلغ بر أو تيسير عسير أعانه الله على اجازة الصراط يوم دحض الاقدام (الشمير) الماضى فى أمور (معرضا) من التعريض وهو ان تخاطب غيره وأنت تريده (نال بغيته) أى أدرك ما طلب (بغى) جار وظلم (يسدى ويلحم) أى يتصرف فى المظالم طولا وعرضا ومقبلا ومدبرا والسدى خيوط الثوب طولا واللحمة خيوطه عرضا (والغا) شاربا (وردها) ماؤها (مولغا) مسقيا غيره يريد انه يباشر الظلم بنفسه تارة ويوليه غيره أخرى (وتغ) أفسد وأهلك (يا ويحه) قال الازهرى رحمه الله تعالى ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب والفرق بين ويح وويل ان ويح تقال لمن وقع فى بلية يرحم ويدعى له بالتخلص منها وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك فزعت فقال لى يا حميراء ان ويح كلمة رحمة فلا تجزعى منها ولكن اجزعى من الويل (يوقن) يحقق (تحول) تغير (طغى) ارتفع وجاز الحد فى الجور (صغى) مال (افك) كذب (الوشاة) جمع واش وقد تقدم (انقد) أطع يقول من أصبح حاكما فاتبعه وأطع له (تعاص) تغافل (ألغى) ترك (الرعاية) المحافظة للحقوق (الغا) أخطأ وقال قبيحا ثم قال ان حملك على الذل فاحتمله وكنى برعى المرار عنه (رد الاجاج) شرب الماء المر والملح (جعالك السيغا) منعك العذاب السهل للشرب (أمضك) أحرقك حرارته وهو ما والمض الوجع من قول أوجرح (مسه) وقعه بجسمك (والغرب) فيض الدمع والغرب الدلو (هذا له) اشارة الى ذل العزل (الالثغ) الاخرس المحبوس اللسان وهو أيضا الذى يبدل الياء والراء غينا (ورى بها) صاحبها (والفقع) ضرب من الكمأة من وطئه كسره لضعفه وهو انفقاع وبه يضرب المثل فيقال أذل من فقع بقرقرة (الشغا) الزيادة (اجتنى) جمع أموال الناس وضبطها لنفسه (اجتبى) اختار يريد انه يطالب بما أخذ من الدنيا ويحاسب على الوالى الذى اختاره وولاه (احتسى) شرب الحسوة من اللبن بعد الحسوة (ارتغى) شرب الرغوة أى يؤاخذ بالقليل والكثير والظاهر والباطن (يناقش) يبحث عليه ويحرج ما عنده (أبلغ) ازيد (يبغ) يدرك ويطلب * ويذكر هنا فصلا من الآداب يحتوى على الولاية والعزل والتشكى من الولاة حسبما تضمن هذا الموضع فى المقامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ستصرصون على الامارة وتكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة * أراد عمر رضى الله عنه ان يستعمل رجلا فبدر الرجل يطلب العمل فقال قد كنا أردناك لذلك ولكن من طلب هذا العمل لم يعن عليه ولقى عمر رضى الله عنه أبا هريرة رضى الله عنه فقال ألا تعمل فقال ما أريد العمل قال قد طلبه من هو خير منك يوسف الصديق عليه السلام قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم * قال المغيرة بن شعبة أحب الامرة لثلاث لرفع الاولياء ووضع الاعداء واسترخاص الاشياء وأكرهها لثلاث لروعة البريد وذل العزل وشماتة الاعداء وقال أمير لأعرابى قل الحق والا أوجعتك ضربا فقال وأنت فاعمل به فوالله لما أوعدك الله على تركه أعظم مما توعدتنى به وذكر أهل السلطان عند اعرابى فقال أما والله لئن اعتزوا فى الدنيا بالجور لقد ذلوا فى الآخرة بالعدل ولقد رضوا بقليل فات عوضا من كثير باق واغتاروا القدم حيث لا ينفع الندم * تظلم رجل للمأمون من عامل له فقال له يا أمير المؤمنين ما ترك لنا فضة الا فضها ولا ذهبا الا ذهب به ولا ماشية الا مشى بها ولا غلة الا غلها ولا ضيعة الا أضاعها ولا عاقا الا أعاقه ولا عرضا الا عرض له ولا جليلا الا أجله ولا دقيقا الا أدقه فعجب المأمون من فصاحته وقضى حاجته * قحطبة بن حميد انى لواقف على رأس المأمون يوما وقد جلس للمظالم فكان آخر من دخل عليه وتقدم اليه امرأة وقد همّ بالقيام عليها أبهة السفر وثياب رثة فوقفت بين يديه وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون الى يحيى بن أكثم فقال يحيى وعليك السلام يا أمة الله تكلمى فى حاجتك فقالت

يا خير منتصف يرجى له الرشد * ويا اماما به قد أشرق البلد
تشكو اليك عميد الملك أرملة * عدا عليها فلم يترك لها لبد
وابتزمنى ضياعى بعد منعتها * ظلما وفرق منى الاهل والولد

فاطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه فقال

فى دون ماقلت زال الصبر والجلد * عنى وأقرح منى القلب والكبد
هذا أوان صلاة العصر فانصرفى * وأحضرى الخصم فى الوقت الذى أعد
والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا * ننصفك منه والا المجلس الاحد

فجلس يوم الاحد فكانت أول من تقدم اليه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال وعليك السلام اين الخصم فقالت واقف على رأسك واشارت الى ابنه العباس فقال يا أحمد بن أبى خالد خذ بيده فأجلسه معها للخصومة ففعل فجلس فجعل كلامها يعلو كلامه فقال لها أحمد يا أمة الله أنت بين يدى أمير المؤمنين وتكلمين الامير فاخفضى من صوتك فقال له المأمون دعها يا أحمد فالحق أنطقها والباطل أخرسه ثم قضى لها برد ضياعها وظلم العباس وأمر لها بنفقة وبكتاب الى عامل بلدها ان يحسن معاونتها * قال أبو العيناء كان عيسى بن فرحان شاه يتيه على فى وزارته فلما صرف رهبنى فلما لقينى سلم على قد نوت منه وقلت له والله لقد كنت أقنع باعمائك دون بيانك وبلحظك دون لفظك والحمد لله على ما آلت اليه حالك فلئن أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة وان كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك فلقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك ولله المنة اذ أغنانا عن الكذب عليك ونزهنا عن قول الزور فيك فقد والله أسأت حمل النعم وما شكرت حق المنعم فقيل له يا أبا عبد الله لقد بلغت فى السب فما كان الذنب فقال سألته حاجة أقل من قيمته فردنى عنها بأقبح من صورته * وقال ابن الرومى فى أبى الصقر وكان قد مدحه فلم يرفع به رأسا

فلئن نكبت لطالما نكبت * بك همة لجأت الى سندك
لو تسجد الايام ما سجدت * الا ليوم فت فى عضدك
يا نعمة ولت غضارتها * ما كان أقبح حسنها بيدك

فلقد غدت برداً على كبدي * لما غدت حرى على كبدك

وقال فيه

خفض أبا الصقر فكم طائر * خر صريعاً بعد تحليق

زوجت نعمى لم تكن كفأها * فصانها الله بتطليق

لا قدست نعمى تسربلتها * كم حجة فيها لزنديق

(وقال فيه قبل انكبه)

غدا يعلو الجياد وكان يعلو * إذا ما استقره السبت الطراقا

أعنتها الشسوع فان عراها * حفاء الكد أنعلها طراقا

فزوج بعد فقر منه نعمى * أراد الله صحبتها طلاقا

*ومن غرائب الكتاب في العزل ما كتب به أحمد بن مهران الى معزول بلغني أعزك الله انصرافك عن عملك فسررت بذلك ولم استفظعه لعلمي بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه أو يضعك عزل عنه والله لو لم تختر الانصراف وترد الانعزال لكان في لطف تدبيرك وثقوب رويتك وحسن تأنيك ما تزيل به السبب الداعي الى عزلك والباعث على صرفك ونحن الى أن نهنيك بهذا الحال أولى بنا من أن نعزيك إذ أردت الصرف فأوثرته وأحببت الاعتزال فاعطيته فبارك الله لك في منقلبك وهناك النعم بدوامها ورزقك الشكر الموجب المزيد لك فيها * كان أبو شراعة لا يسأل ابن المدبر حاجة الا قضاها ولا يشفع لاحد الا شفعه فلما عزل ابراهيم بن المدبر عن البصرة شيعه الناس فردهم حتى لم يبق الا أبو شراعة فقال يا أبا شراعة غاية كل مودع الفراق فانصرف راشداً مكلواً من غير قلى والله ولا ملل وأمر له بعشرة آلاف درهم فعانقه أبو شراعة وبكى وأطال ثم قال وهو أحسن ما قيل في التهنئة بالعزل

يا أبا اسحق سر في دعة * وامض مكلواً فما منك خلف

ليت شعري أي أرض أجدبت * فأغيثت بك من جهد العجف

نزل النقص من الله بهم * وحرمناك بذنب قد سلف

إنما أنت ربيع باكر * حيثما صرفه الله انصرف

ومن ملح هذا الباب ان بعض الوزراء قلد ابن حجاج عملا فخرج اليه يوم الخميس وتبعه كتاب عزله يوم الاحد فقال فيه

يا من إذا نظر الهلا * ل الى محاسنه سجد

وإذا رأته الشمس كا * دت أن تموت من الحسد

يوم الخميس بعثتني * وصرفتني يوم الاحد

والناس قد غنوا على * لما خرجت من البلد

ما قام عمرو في الولا * ية قائماً حتى قعد

وذكر اللثغ وللشعراء في اللثغ ما يستحسن قال ابن شهيد

مرض الجفون ولثغة في المنطق * سببان جرا عشق من لم يعشق

يأتي فيغيب في الكلام لسانه * فكأنه من خمر عينيه سقي

لا ينعش الالفاظ من عثراتها * ولو أنها كتبت له في مهرق

وأحسن ما في وصفه قول الرمادي

لا الراء تطمع في الوصال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سواء

وإذا خلوت كتبتها في راحتي * فبكيت منتحباً أنا والراء

أخذه أبو القاسم بن العريف فقال

أيها الالثغ الذي شف قلبي * جد بحرف ولو نطقت بسبي

هجرك الراء مثل هجري سواء * فكلانا معذب دون ذنب

ثم قال أيها المتوشح بالولاية
المترشح للرعاية دع
الادلال بدولتك والاغترار
بصولتك فان الدول تريع قلب
والامرة برق خلب وان
أسعد الرعاة من سعدت
به رعيته وأشقاهم في
الدارين من ساءت رعايته
فلا تك ممن يذر الآخرة
ويلغيها ويحب العاجلة
ويبتغيها ويظلم الرعية
ويؤذيها واذا تولى سعى
في الارض ليفسد فيها
فوالله ما يغفل الديان
ولا تهمل يا انسان ولا تلغى
الاساءة ولا الاحسان بل
سيوضع لك الميزان وكما
تدين تدان قال فوجم
الوالي لما سمع وامتقع لونه
وانتقع وجعل يتأفف
من الامرة ويردف الزفرة
بالزفرة ثم عمد الى الشاكي
فأشكاه والى المشكو منه
فأشجاه وألطف الواعظ
وحباه واستدعى منه أن
يغشاه فانقلب عنه المظلوم
منصورا والظالم محصورا
وبرز الواعظ يتهادى بين
رفقته ويتباهى بفوز
صفقته واعتقبته أخطو
متقاصرا وأريه لحاظا باصرا
فلما استشف ما أخفيه
وفطن لتقلب طرفي فيه
قال خير دليلك من أرشد
ثم اقترب مني وأنشد
أنا الذي تعرفه يا حارث
حدث ملوك فكه منافث
طرب ما لا تطرب المثالث
طورا أخو جد وطورا عابث
ما غيرتني بعدك الحوادث

فاذا شئت أن أرى لي مثالا * في غرامي خططت راء بجنبي

(قوله المتوشح) أي المحترم و (المترشح) المتهيئ (للرعاية) أي لحفظ الناس (الاغترار) الانخداع (صولتك) عزك وقهرك يقال صال الرجل على قرنه والفحل على ابله أي قهر وعلا والفحل أيضا عض ورمح بما هو فعل الفحل (قلب) أي متقلب (خلب) خادع لا ماء فيه يريد أن الولاية تنتقل من انسان الى آخر (تلغى) تهمل (العاجلة) الدنيا لان خيرها معجل (تولى) صار واليا (سعى) مشى مسرعا * ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي من أمر أمتي شيأ فحسنت سريرته رزق الهيبة في قلوبهم واذا بسطت يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم واذا أنصف الضعيف من القوي قوى الله سلطانه واذا عدل مد في عمره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة الدين ولاة السوء وأيما وال ولي شيأ من أمور المسلمين فلم ينصح لهم ولم يجتهد كنصيحته وجهده لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن من أخذ من هذه وهذه (الديان) المجازي وهو الله سبحانه وتعالى لانه يجزي العباد على أعمالهم وقال الالبيري

كل امرئ وكما يدين يدان * سبحان من لم يخل منه مكان
يا عامر الدنيا ليسكنها وما * هي بالتي يبقى لها سكان
تفنى وتبقى الارض بعدك مثل ما * يبقى المناخ وترحل الركبان
أأسر في الدنيا بكل زيادة * وزيادتي فيها هي النقصان

(تهمل) تترك مهملا (وجم) سكت غاضبا (امتقع وانتقع) تغير وذهب الدم من وجهه ويقال في معناهما التقع واهتقع (يتأفف) يقول اف اف وذلك فعل النادم المهموم (الزفرة) النفخة من الهم (أشكاه) أنصفه ونزع عنه شكواه وفي الحديث شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم يشكنا أي لم يزل شكوانا أي شكوا اليه ما يصيب أقدامهم من شدة الحر في صلاة الظهر وسألوه تأخيرها الى الابراد فلم يجبهم الى ذلك وأنشد يعقوب * ونشتكي لو أنها تشكينا * والمشكو اليه الوالي الذي اشتكى اليه (أشجاه) آذاه وأبكاه (ألطف) بره وأكرمه (حباه) أعطاه الحباء (يغشاه) يزوره (محصورا) محبوسا (يتهادى) يمشي متثاقلا مشي الوقار (يتباهى) يتعاظم (بفوز صفقته) بظفر قصته مع الوالي وفاز فوزا ظفر بخير دنياه وأخراه وأصل الصفقة في البيع هو ان تضرب بيدك على يد مبايعك (اعتقبته) مشيت خلفه كأنك تطأ بصدور قدميك مواطئ عقبيه (أخطو متقاصرا) أي أمشي مستخفيا متشبها بالقصار (لحاظا باصرا) أي نظرا شديدا (استشف) استقصى (فطن) تنبه وشعر (أرشد) دل يقول اذا كان لك دليلان تخيرهما من هداك الطريق فلما رآه ينظر وتشكك فيه قال خير دليلك من دلك على (اقترب) قرب (حدث ملوك) أي يحدثهم بما يطربون (فكه) طيب الحديث والفكه المزاح الحسن الخلق وفكه فكها وفكاهة طابت نفسه وكثر ضحكه قال الشاعر

فكه الى جنب الخوان اذا غدت * نكباء تقطع ثابت الاطناب

أبو عبيدة رجل فكه يأكل الفاكهة وفاكه عنده فاكهة وقال الشاعر أيضا

فكه العشي اذا تأوب رحله * صيف اشتاء ساح بالمبسر

أي يأكل الفاكهة وقرئ فاكهين وفكهين قال الفرا رحمه الله تعالى معناهما واحد أي معجبين بما آتاهم ربهم كطمع وطامع وفكه وتفكه اذا تعجب ومنه فظلتم تفكهون وقيل معناه تندمون (قوله منافث) أي محادث (المثالث) من أوتار العود (طورا) حينا (عابث) لاعب (الحوادث) ما يحدثه الدهر من خير أو شر (الفتى) قشر (خطب كارث) أمر ثقيل صعب (فرى) قطع (نابي)

﴿ذكر سام وحام ويافث﴾

بل مخلبي بكل صيد ضابث
وكل مسرح فيه ذئبي عائث
حتى كأني للأنام وارث
سامهم وحامهم ويافث
(قال الحرث بن همام)
فقلت له تالله انك لابو زيد
والفدقت الله ولاعمرو بن
عبيد

﴿أخبار عمرو بن عبيد الزاهد﴾

ضرمى (فارث) مفتت للكبد قال الشاعر

هوى من صخرة صلد * ففرث تحتها كبده

وفرثت الكرش أخرجت مافيها من الزبل (ضابث) قابض عليه (المسرح) المواشى تغدو راعية فى المسرح وتروح منه (عائث) مفسد آكل لها (وسام وحام ويافث) أولاد نوح عليه الصلاة والسلام وفيهم نزلت وجعلنا ذريته هم الباقين وبذلك جاءت الاخبار وهم لام واحدة وأصاب حام امرأته فى السفينة فدعا نوح عليه السلام أن يغير الله نطفته فجاءت بالسودان وذكر أهل التوراة أن نوحا عليه السلام شرب وانتشى وتعرى فأبصر حام عورته فاطلع عليه أخواه فأخذا رداء فألقياه على عواتقهما ومشيا على أعقابهما فوارياه فعلم نوح عليه السلام بذلك فقال ملعون كنعان بن حام عبيد يكونون لاخويه ومبارك سام ويكثر الله يافث وفى تفسير النقاش ان نوحا لما أهبط من السفينة نام فبدت عورته فنظر اليها حام فضحك ولم يعير عليه يافث فنظر ذلك سام فزجره وغطى عورة أبيه فلما استيقظ أخبره فدعا نوح ابنه حاما فقال يا بنى غير الله ماء صلبك فلا تلد الا السودان وقال ليافث جعل الله ذريتك عبيدا لاولاد سام وقال لسام جعل الله منك الانبياء والصالحين والملوك فكان سام القيم بعد أبيه فى الارض ونزل وسطها نزل الحرم الى اليمن الى الشأم ومن ولده الانبياء كلهم عربيها وعجميها ومن ولده عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق ويعرب وجرهم وهم العرب العاربة لان العربية لسانهم التى جبلوا عليها ويقولون لبنى اسمعيل العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بها حين سكنوا بين أظهرهم ومن العماليق الجبابرة بالشأم والفراعنة بمصر * سعيد بن المسيب سام ولده العرب وفارس والروم وفى كل خير وأما يافث فمن ولده الصقالبة وبرجان والاشبان والترك والخزر ويأجوج ومأجوج * ابن المسيب وليس فى واحد من هؤلاء خير وأما حام فمن ولده السند والهند وأجناس السودان كلها مثل كوش والزنج والزغاوة والحبشة والزط والقبط بن كنعان بن حام والخلاف كثير (قوله ولاعمرو بن عبيد) هو الزاهد الذى كان يسكن بالبصرة ويجالس الحسن البصرى حتى حفظ عنه شيأ كثيرا من علومه واشتهر فضله بصحبته وكان له سمت واظهار زهد ورآه الحسن يوما فقال هذا سيد شباب أهل البصرة ان لم يحدث ثم أزاله ونهى عنه فقال بالعزل ودعا اليه وترك مذهب أهل السنة واعتزل الحسن البصرى ونسبت اليه المعتزلة فأما قيامه الذى ذكره فهو دخوله على المنصور فى جماعة من أهل العلم فاستشارهم فى أمر فكلهم أشار عليه بمراده الا عمرا فانه لم يجبهم ونصحه فقال يا أمير المؤمنين ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده يا أمير المؤمنين ان هذا الامر لو كان باقيا لاحد قبلك لما وصل اليك ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد قال فبكى المنصور حتى بل ثوبه فقال الربيع يا عمرو غممت أمير المؤمنين فقال عمرو ان هذا يعنى الربيع صحبك عشرين سنة ما نصحك يوما واحدا وما عمل وراء بابك بشئ من كتاب الله تعالى فقال له المنصور فما اذا أصنع هذا خاتمى فى يدك تخذه أنت وأصحابك فاكفونى فقال عمرو ادعنا بعدلك تسمح أنفسنا بعونك ببابك ألف مظلمة اردد منها واحدة حتى نعلم انك صادق ويروى انه قال له المنصور أعنى بأصحابك فقال ارفع علم الحق يتبعك أهله ثم قال له المنصور ما حاجتك يا أبا عثمان فقال له تأمر برفع هذا الطيلسان عنى فرفع وكان أمر المنصور ان يطرح عليه عند دخوله فقال له لا تدع اتياننا قال نعم لا يفضى وايالك بلد الا أتيتك وان بدت لى حاجة اليك سألتك ولكن لا تعطنى حتى أسالك ولا تدعنى حتى آتيك قال اذا لا تأتينا أبدا فلما ولوا للخروج أتبعهم المنصور بصره ثم قال

كلكم يمشى رويد * كلكم حابل صيد * غير عمرو بن عبيد

وكان جده باب من سبى فارس وكان أبوه عبيد بن باب نساجا ثم تحول فصار للحجاج شرطيا بالبصرة وكان فظا غليظا خبيثا وبلغه أن الناس اذا رأوا ابنه قالوا هذا خير الناس ابن شر الناس فقال

صدقوا أنا كا زروا بي كابراهيم عليه السلام وقال اسحق بن الفضل بينما أنا واقف الى جنب عمارة بن حمزة بباب المنصور اذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل ونحى البساط برجله وجلس دونه فقال لي عمارة لا تزال بصرتكم ترمينا بأحمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول أين أبو عثمان عمرو بن عبيد فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد اليه فأتكأه يده ثم قال أجب أمير المؤمنين جعلني الله فداك فمر متوكئا عليه فقلت لعمارة الذي استحمقته قد دعي وتركك فقال كثيرا ما يكون مثل هذا فأطال اللبث ثم خرج الربيع وعمرو متوكئ عليه وهو يقول يا غلام حمار أبي عثمان فما برح حتى أقره على سرجه وضم اليه ثوبه واستودعه الله عز وجل فأقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلا لو فعلتموه بولي عهدكم لكنتم قد قضيتم حقه قال فما غاب والله عنك مما فعله أمير المؤمنين أكثر وأعجب قال فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال ما هو الا أن سمع أمير المؤمنين بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل هو والمهدي اليه وعلى المهدي سواده وسيفه ثم أذن له فلما دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى أتكأه فخذه وتحفى ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامرأة امرأة ثم قال يا أبا عثمان عظني فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر الى قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد يا أبا جعفر فبكى المنصور رحمه الله تعالى بكاء شديدا وكأنه لم يسمع تلك الآية الشريفة الا تلك الساعة فقال زدني فقال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها وان هذا الامر الذي صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك واني أحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال فبكى والله أشد من بكائه الاول حتى رجف جنباه فقال له سليمان بن مالك رفقا يا أمير المؤمنين لقد أتعبته في هذا اليوم فقال له عمرو بمثلك ضاع الامر وانتشر لا أبا لك وماذا خفت على أمير المؤمنين ان بكى من خشية الله تعالى قال فأنت والله الصادق البر قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك فقال لا حاجة لي بها قال والله لتأخذنها قال والله لا آخذها فقال له المهدي يحلف أمير المؤمنين وتحلف فأقبل على المنصور فقال من هذا الفتى فقال هذا ابني محمد وهو ولي عهد المؤمنين فقال والله لقد سميته اسما ما استحقه عمله وألبسته لبوسا ما هو من لبوس الابرار ولقد ملكته أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ثم التفت الى المهدي وقال يا ابن أخي اذا حلف أبوك حلف عمك لان أباك أقدر على الكفارة من عمك ثم قال يا أبا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ما هي قال لا تبعث الي حتى آتيك قال اذا لا نلتقي قال عن حاجتي سألتني ثم استحفظه الله عز وجل وودعه وانصرف فلما ولى أتبعه المنصور بصره وهو يقول

* كلكم يمشي رويد * الابيات وقال اسمعيل بن مسلمة أخو القعنبي رأيت الحسين بن أبي جعفر بعبادان في المنام فقال لي يعقوب ويونس بن أبي عبيد في الجنة فقلت فعمرو بن عبيد فقال في النار ثم رأيته في الليلة الثانية والثالثة كذلك فقلت له في الليلة الثالثة فعمرو بن عبيد فقال في النار كم أقول لك (قوله هش) أي فرح (أم) قصد (الوعيد) التهديد (أغبى الورى) أجهل الناس به قال المنصور والله ما عز ذو باطل ولو طلع في جبينه القمر ولا ذل ذو حق ولو أصفق العالم عليه وفي معنى قوله وابغ رضا الله تعالى البيت ان ابن هبيرة شاور الحسن البصري فقال يا أبا سعيد ما تقول في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان أنفذتها خفت سخط الله وان لم أنفذها خفت على دمي فقال الحسن يا ابن هبيره خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله فان الله مانعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فاعرض كتاب يزيد على كتاب الله سبحانه وتعالى فما وافقه فنفذه وما خالفه فلا تنفذه فقال صدقتني ورب الكعبة وشاور معاويه الاحنف في استخلاف يزيد

فهش هشاشة الكريم اذا أم وقال اسمع يا ابن أم
ثم أنشأ يقول
عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا الله فأغبى الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد

فسكت فقال مالك لا تقول فقال ان صدقناك أسخطناك وان كذبناك أسخطنا الله عزوجل فسخطك
أهون علينا من سخط الله تعالى قال صدقت وكتب أبو الدرداء الى معاوية أما بعد فانه من يلتمس رضا
الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن يلتمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس وكتبت
اليه عائشة رضي الله تعالى عنها أما بعد فانه من يعمل بسخط الله تعالى يصير حامده من الناس ذاماله
والسلام (قوله أخدانه) أصحابه (يسحب اردانه) يجر أذياله (استنشرنا) طلبنا أن ينشر لنا
و (المدرجة) الورقة تكتب فيها الرسالة ويدرج فيها الكتاب وأثناها الى الطي لانها تطوى على
ما فيها من الكتاب فكأنه قيل عما أدرج في الورق من الكتاب وطوى عليه يريد أنه أرسل فيه الرسائل
الى البلاد فلم يعرف له موضع قرّ فيه وثبت (عاره) ذهب به وأتلفه * ويكنون بالجراد عن الناس
فكأنه قال ما يدري أي الناس ذهب به ويقال عارت عينه صارت عوراء وعرتها أنا فقأتها فكأنه
ذهب كما تذهب العين وهذا بضعف والله أعلم بالصواب

﴿شرح المقامة الثانية والعشرين وهي الفراتية﴾

أويت) أي ملت وانضممت (الفترات) جمع فترة وهي الهدنة والسكون فكأنه قال مشيت في بعض
السنين الآمنة والفترة أيضا ضعف الاعضاء والفترة أيضا ما بين نبي ونبي و (سقي الفرات) بلاد
يسقيها الفرات والفرات نهر شق بلاد الروم وبلاد العراق ويقع في البحر الحبشي وجريانه خمسمائة
فرسخ وقال الرشاطي ابتداء الفرات وفوهته من قاليقلا من بلاد ارمينية ثم يسير الى منبج من كور
قنسرين الى سميساط ثم الى ملطية ثم الى كيسوم من أرض الرقة ثم الى الرقة وقرقيسيا والرحبة
وكور الفرات ثم الى الانبار ثم الى الكوفة ويلتقي مع الدجلة ما بين واسط والبصرة ومنها انصبابهما الى
البحر وجريانهما من الشمال الى الجنوب وقال شيخنا ابن جبير هذا النهر كاسمه فرات وهو من أعذب
المياه وأخفها وهو نهر كبير زخار تصعد فيه السفن وتنحدر وأما سقيه في أحواز بغداد فتبين لك قدره
انذكرنا به عاينه في طريقه من الكوفة الى بغداد وانه رحل مع أمير الحاج من الكوفة يوم السبت قال
ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات ورحلنا من ذلك الموضع وبتنا ليلة الاحد بسلخ محرم
بقرية من الحلة ثم جئناها يوم الاحد وهي مدينة عتيقة الموضع مستطيلة متصلة بالفرات من جانبها
الشرقي وهي على شاطئه وبمتد بطولها وأسواق حفيلة جامعة للمرافق قوية العمارة وديارها بين
حدائق النخيل وألفينا بها جسرا معقودا على مراكب كبار متصلة من الشط الى الشط أمر الامير
بعقدها اهتماما بالحاج فعبرناها ونزلنا على الفرات على فرسخ من البلد والطريق من الحلة الى بغداد
أحسن طريق وأجملها في بسائط وعمائر تتصل بها القرى يمينا وشمالا ويشق هذه البسائط أغصان
من الفرات تسقيها فللعين في هذه الطريق مسرح انشراح وللنفس مراد انبساط وانفساح ومن
مدينة الحلة يتسلسل الحاج أرسالا وأفواجا لا يعرج المتأخر على المتقدم فحيثما شاؤا نزلوا ومن جملة
الدواعي لافتراقهم كثرة القناطر المعترضة في طريقهم الى بغداد لا تكاد تمشي ميلا الا وتجد قنطرة
على نهر متفرع عن الفرات فلو زاحم ذلك الجمع تلك القناطر دفعة تراكموا ووقع بعضا على بعض
فرحلنا من الحلة ضحوة يوم الاثنين أول يوم من صفر ونزلنا عصره بقرية تعرف بالقنطرة كثيرة
الخصب كبيرة الساحة متدفقة فيها جداول الماء وارفة الظلال بشجرات الفواكه من أحسن
القرى وأجملها بها قنطرة محدودة تصعد اليها وتنحدر عنها على فرع من فروع الفرات فعرفت
القرية بها ثم رحلنا عنها بسحر الثلاثاء ونزلنا ضحوة بالفراش قرية كثيرة العمارة يشقها الماء
وحولها بسيط أخضر جميل المنظر والقرى من الحلة الى بغداد على صفة الفراش في الحسن
والاتساع ثم رحلنا منها ونزلنا عشي النهار بزريران وهي قرية من أجمل قرى الارض وأحسنها منظرا
وأفسحها ساحة وأوسعها اختطاطا وأكثرها بساتين ورياحين وحدائق من نخيل ولها سوق تقصر عنه

ثم انه ودّع أخدانه
وانطلق يسحب أردانه
فطلبناه من بعد بالرى
واستنشرنا خبره من
مدارج الطي فما فينا
من عرف قراره ولا درى
أي الجراد عاره

﴿المقامة الثانية والعشرون الفراتية﴾

(حكى الحرث بن همام)
قال أويت في بعض الفترات
الى سقي الفرات

(سقي الفرات)

أسواق المدن وحسبك من شرفها ان دجلة تسقى شرقيها والفرات يسقى غربيها وهى كالعروس بينهما ومن شرفها ان بازائها ايوان كسرى وهو بناء عال فى الهواء على مقدار الميل منها وامامها بيسير مدائنه واجتزنا بصرصر على المدائن فعاينا من طولها واتساعها امرا عجيبا ونزلنا قافلين بصرصر وهى أخت دريدان حسنا عمر بجانبها القبلى نهر متفرع من الفرات وهى من القرى التى تملأ النفوس حسنا وجمالا لها أسواق حفيلة وجامع وجسر معقود على مراكب من الشط الى الشط وهى من بغداد على ثلاثة فراسخ ورحلنا منها قبل الظهر وجئنا بغداد قبل العصر على بساتين وبسائط يقصر الوصف عنها فمن أراد أن يعرف قدر سقى الفرات فليقف على هذا الفصل الذى ذكرناه (قوله كتابا أبرع من بنى الفرات) أى أحذق وأزيد فضيلة والفرات رجل من عجل كان له أبناء مشاهير بالكتابة والحذاقة والبراعة وتقلد الوزارة قال فى بعضهم صالح بن موسى رحمه الله

آل الفرات نداهم * على الفرات يزيد
وأنت فضلك فيهم * عليك منه شهود

وقال ابن المعتز فى على بن محمد بن الفرات

أبا حسن ثبت فى الامر وطأتى * وأدركتنى فى المعضلات الهزاهز
وألبستنى درعا على حصينة * فناديت صرف الدهر هل من مبارز

وقال على بن بسام

وقفت شهور الوزير أعدها * فلم تثنه نحوى الحقوق السوالف
فلا هو يرعانى رعاية مثله * ولا أنا أستحيى الوقوف وآنف

﴿ذكر بنى الفرات﴾

فلقيت بها كتابا أبرع من بنى الفرات وأعذب أخلاقا من الماء الفرات فأطفت بهم لتهذيبهم لاذهبهم وكاثرتهم لادبهم لامآدبهم فالست منهم أضراب قعقاع بن شور

وكان موسى بن الفرات عاملا لاحمد بن الخصيب وزير المنتصر بن المتوكل واستوزر المقتدر أبا الحسن على بن محمد بن الفرات ثلاث مرات يعزله ثم يرده وقيل المقتدر وأبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وزيره وتولى بعض دواوين المقتدر أبو طالب بن جعفر بن الفرات والحسن بن أبى الحسين بن الفرات فكان محل آل الفرات الوزارة والكتابة والبراعة والحذاقة وحكى ان بعض الادباء حضر بحضرة الوزير أبى الحسن بن الفرات ان السين تقام مقام الصاد فى كل موضع فقال له الوزير تقرأ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم أو ومن سلح فخجل الرجل وانقطع ومثل هذا ان نادرا ان النضر بن شميل مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال له لا تقل مسح بالسين ولكن بالصاد بمعنى أذهب وهو كلام العرب فقال أبو صالح ان السين تبدل من الصاد كالصراط والسراط وصقر وسقر فقال له النضر فأنت اذا أبو سالح فخجل الرجل (قوله أعذب من الماء الفرات) أى أحلى والماء الفرات العذب الحلو (أطفت) أى ألممت ونزلت (لتهذيبهم) لظرفهم وتخلصهم من عيوب الجفاء (كاثرتهم) صاحبتهم فكثرت عددهم بى (مآدبهم) طعامهم (أضراب) أمثال (القعقاع ابن شور) قال المبرد هو رجل سيد من عبد الله بن دارم وكان اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيبا فى ماله وأعانه على عدوه وشفع له فى حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكرا له حتى شهر بذلك قال الفنجديهى هو القعقاع بن شور بن عمرو بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل الشيبانى وهو من الاجواد والاسخياء يضرب به المثل فى حسن المجالسة والمعاشرة واتيان الجليس بالشئ النفيس قال أبو عبيدة وكان من جلساء معاوية فأهدى الى معاوية هدايا يوم المهرجان فيها جامات ذهب وفضة فدفعها الى جلسائه ودفع الى القعقاع جام ذهب وفى القوم اعرابى الى جنب القعقاع فدفع اليه الجام فأخذه الاعرابى ونهض ينشد

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان أمر بخير * وعند الشر مطراق عبوس

(ذكر ماجاء فى الجليس)

ووصلت بهم الى الكور بعد الحور حتى انهم أشركونى فى المرتع والمربع وأحلونى محل الانملة من الاصبع واتخذونى ابن أنسهم عند الولاية والعزل وخارت سرهم فى الجد والهزل فاتفق أن ندبوا فى بعض الاوقات لاستقراء مزارع الرزداقات فاختاروا من الجوار المنشآت جارية حالكة الشيات تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب

ومما يستحسن فى البر بالجليس قول مجاهد الغنوى

لى من معرنى العباس خل وجليس
شهد المجد عليه * انه العلق النفيس
فاذا جالسته لم * تدرمن منا الجليس

وقال كشاجم

جليس لى أخو ثقة * كأن حديثه خبره
يسرك حسن ظاهره * وتحمد منه مختبره
ويستر عيب صاحبه * ويستر أنه ستره

وقال آخر

جليس لى له أدب * رعاية مثله تجب
لو انتقدت خلائقه * تبهرج عندها الذهب

وقال آخر

لى صديق غلطت بل لى مولى * من لمثلى بأن يكون صديقى
نتلاقى التقاء روح بروح * بضروب التقبيل والتعنيق
ليس فى الارض من يميزنا * عاشقا فى اللقاء من معشوق

أين ما وصف به القعقاع من قول والبة المشهور

قلت لندمانى على خلوة * أدن كذا رأسك من رأسيا
ونم على وجهك لى ساعة * انى امرؤ أنكح جلاسيا

والبة بن الحباب شيخ الحسن بن هانئ أدبه صغيرا فعلق بعلقه وقال الحسن

وجليس كأنت فى وجنتيه * كل شئ تسمو اليه النفوس
قد أصبنا منه فنستغفر الله كثيرا وقد يصاب الجليس

(قوله الكور والحور) أى الزيادة والنقصان وكلام العرب نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة فقلب اللفظ على مراده وهو من كور العمامة وهو استعارة من نقض الامر كنقض العمامة بعد كورها وهو شدها وكان عمامته شدها على رأسه وجمعها وحارها نقضها وأفسدها وأمر الحجاج رجلا على جيش ثم بعثه مرة أخرى تحت لواء أمير آخر فقال هذا الحور بعد الكور فقال له الحجاج وما الحور بعد الكور قال النقصان بعد الزيادة فعلى هذا أكثر أهل اللغة وقيل معناه انعوذ بالله من الخروج عن الجماعة بعد كوننا فى الكور وهو الاجتماع من كار عمامته جمعها فى رأسه وحارها أفسدها ويروى بعد الكون من قولهم حار بعد ما كان أى كان على حالة جميلة فرجع عنها وقيل معناه نعوذ بك من خروجنا عن الجماعة بعد الكون على الاستقامة فحذف للعلم به (فى المرتع والمربع) يعنى المأكل والمنزل والمرتع الاتساع فى الاكل الكثير والشرب والمربع المنزل فى الربيع من ربعت فى الموضع أقمت فيه (الانملة) طرف الاصبع أى عظموه ورفعوه فوق رؤسهم (ابن أنسهم) أى الذى يأنسون به (عند الولاية والعزل) أى زمن العمل والعطل (خارن) كاتم وحابس (ندبوا) أى دعوا (استقراء) أى تتبع (الرزداقات) العمالات والانظار وأراد أنهم خرجوا عمالا على الزرع وكل موضع أو قرية انفصل عن المدينة بعمله فهو رزداق ورستاق ومخلاف وكورة فالرزداق بخراسان وهو فارسى عربى والمخلاف لليمن والكورة لغيرهما من الارضين (الجوارى) السفن (المنشآت) المصنوعات (حالكة الشيات) مسودة اللون والشية فى الفرس لون يخالف لونه كالغرة والتحجيل وغير ذلك فأراد أن موضع البياض فى غير السفينة هو منها أسود فهى كلها سوداء (جامدة) ساكنة

*وركب السلامى دجلة فى زورق ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال

وميدان تجول به خيول * تقود الدارعين ولا تقاد
ركبت به الى اللذات طرفا * له جسم وليس له فؤاد

جرى فحسبت أن الارض وجه * ودجلة ناظر وهو السواد

وقال القاضى التنوخى يصف دجلة فى الظلام والقمر يلع عليها ويتنظم فى سلك أبيات السلامى رحمه الله تعالى

أحسن بدجلة والدجى منصوب * والبدر فى أفق السماء مغرب

فكأنها فيه بساط أزرق * وكأنه فيها طراز مذهب

(وقال منصور بن كيغلغ)

كم ليلة سامرت فيها بدرها * من فوق دجلة قبل أن يتغيبا

والبدر يجنح للافول كانه * قد سل فوق الماء سيفا مذهبا

وتسميته السفينة جارية لجريانها على الماء قال تعالى فى السفن العظام ومن آياته الجوارى فى البحر كالاعلام ولبعضهم

يا من تأهب مزمعا لرواح * متيمما بغداد غير ملاح

فى بطن جارية كفتك بسيرها * رقلان كل شماحة وشناح

فكأنها والماء ينطح صدرها * والخيزرانة فى يد الملاح

جون من العقبان يبتدر الدجى * يهوى بصوت واصطفاق جناح

الشناح الجمل التام الخلق وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاصطول

و تنساب فى الحباب كالحباب
ثم دعونى الى المرافقة
فلبيت بلسان الموافقة

يا حسنه يوما شهدت زفافها * بنت الفضاء الى الخليج الازرق

من كل لابسة الشباب ملاءة * حسب اقتدار الصانع المتأنق

ومجاذف تحكى أراقم ربوة * نزلت لتكرع فى غدير متأق

والماء فى شكل الهواء فلا ترى * فى شكلها الا جوارح تلتقى

(ولابن حريق)

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح صاحب الطوفان

فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل خرت حية بلسان

(ذكر التلطف فى المشى)

(قوله تنساب) أى تمشى بسلاسة (الحباب) طرائق الماء و(الحباب) بالضم الحية وتشبيه المشى السهل بحباب الماء أفشى وأعرف من تشبيهه بمشى الحية وتشبيهه بمشى الحية قد استعمل وهو متمكن فى المعنى وبه وقع التشبيه هنا فى المقامة وقال امرؤ القيس فى تشبيهه بحباب الماء

سموت اليها بعدما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

(وقال ابن الرومى)

مصغت ذلك من قولى الى قمر * يلهو بمكحل طورا ومختضب

جرت تدافع من وشى لها حسن * تدافع الماء فى وشى من الحبب

وقال عمر بن أبى ربيعة فى مشى الحية

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنور

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه * وروح رعيان ونوم سمر

وخفض عنى الصوت أقبلت مشية الـ * حباب وركنى خيفة القوم أزور

ثبت فى الكتب الصحاح ضم الحاء وقول الاعرابى

من المتصديات لغير سوء * تسيل اذا مشت سيل الحباب

يروى بالفتح والضم وابن الاقليلى يأبى الا الضم وقال أبو القاسم بن هانئ فجمع بين التشبيهين

قامت تميس كما تدافع جدول * وانساب ايم فى نقا يتهيل

وأنت ترجى ردفها بقوامها * فتأطر الاعلى وماج الاسفل

وقال

(وقال آخر ورفع الاحتمال)

لما دنا الليل بارواقه * ولاحت الجوزاء والمرزم
أقبلت والوطء خفيف كما * ينساب فى مكمنه الارقم

وما أحسن قول ابن شهيد فى معناه

ولما تمكن من سكره * ونام ونامت عيون العسس
دنوت اليه على رقبة * دنو محب درى ما التمس
أدب اليه دبيب الكرى * وأسمو اليه سمو النفس
أقبل منه بياض الطلا * وأرشف منه اللمى واللعس

فلما توركا على المطية الدهماء وتبطنا الولية الماشية على الماء ألفينا بها شيخا عليه سحق سربال وسبال فعافت الجماعة محضره وعنفت من أحضره وهمت بابرازه من السفينة لولا ما ثاب اليها من السكينة فلما لمح ما استثقال ظله

(قوله المطية الدهماء) هى السفينة السوداء و(توركاها) قعدنا عليها متمكنين و(تبطنا) دخلنا بطنها (الولية) المطية وأوهم بقول الناس فلان ولى يمشى على الماء فلما كانت مطية تحدامها ماشية على الماء سماها ولية (ألفينا) وجدنا (سحق سربال) أى قميص خلق و(السبال) الخمار فيريد أن عليه مئزرا أو خمارا باليا والمئزر كالخمار للمرأة (عافت) كرهت (عنفت) لامت وأغلظت له القول والعنف ضد الرفق (ثاب) رجع *قال الفراء رحمه الله تعالى معنى السكينة الطمأنينة *أبو عبيدة هى فعيلة من السكون وتشبه حلة أبى زيد هنا فى اهانته أولا واكرامه آخرا حالة معبد فى دخول السفينة وقد تقدمت فى الثامنة عشرة (لمح) رأى و(الظل) يوصف بالثقل مبالغة فى ثقل صاحبه يقال للمستثقل ظلك على ثقيل أى أخف ما يمكن أن يوجد منك الظل السريع الانتقال يثقل علينا فيصور شخصك أى منزلته من الثقل وانما يتصور ثقل الظل حقيقة اذا أخذ عليك انسان عين الشمس فى زمن البرد أو شواهها وأنت تنظر ما يدفئ ومما قيل فى ثقيل

أنت ياهذا ثقيل * وثقيل وثقيل
أنت فى المنظر انسا * ن وفى المخبر فيل
لو تعرضت لظل * هد الظل الظليل

وكان الاعمش اذا حضر مجلسه ثقيل ينشد

فما الفيل تحمله ميتا * بأثقل من بعض جلاسيا

(ذكر الثقلاء)

وذكر ثقيلا كان يجلس الى جانبه فقال والله انى لابغض شق الذى يليه منى وكان حماد بن سلمة اذا رأى من يستثقله قرأ ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون *عائشة رضى الله عنها نزلت آية فى الثقلاء فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث *الشعبى من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء وكان أبو هريرة رضى الله عنه اذا رأى ثقيلا قال اللهم اغفر له وأرحنا منه قيل لجالينوس لم صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل قال لان ثقله على القلب دون الجوارح والحمل الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه وقال طبيب للحجاج اياك ومجالسة الثقلاء فانا نجد فى الطب أن مجالستهم حمى الروح وقال حكيم لا تخرن لا تصحبن ثقيلا فان صحبه فانما يعذب روحه وقيل محنة العين النظر الى الثقلاء وكان بعضهم اذا رأى ثقيلا غشى عليه وكان آخر اذا رأى ثقيلا غمض عينيه وكان بعض الظرفاء اذا رأى ثقيلا قال قد جاءكم الجبل فان جلس عندهم قال قد وقع عليكم *وسمع الاعمش كلام ثقيل فقال من هذا الذى يتكلم وقلبى يتألم قال رجل لخالد بن صفوان انى لستثقل فلانا قال أو ما كدت والله أن تصدع قلبى بذكره والله لهو أثقل من شراب الترنجبيل بماء التين فى أيام الحكاك بعقب التخمة وأوان الحجامة *سلم ثقيل على بعض الظرفاء فقال وعليك السلام شهرا *قعد ثقيل عند ظريف فسئل عن ذلك فقال كانت نفسى قد شمخت على فأردت أن أهينها بذلك وقال رجل لغلام هاشمى يا بغيض فشكاه الى أبيه فقال قد علمت انك بغيض فكرهت أن أقوله لك حتى يكون بغضك باسنادك *وسئل

أنسان له ثلاث بنين ثقلاء أي بنيك أثقل فقال ليس بعد الكبير أثقل من الصغير الا الاوسط * كان أبو العتاهية يقول لابنه محمد أنت والله يا محمد ثقيل الظل مظلم الهواء جامد النسيم بارد حامض منتن * وقال سهل بن هرون من ثقل عليك نفسه وغمك سؤاله فأعره أذنا صماء وعينا عمياء وأنشدوا

مشتمل بالبغض لا ينثني * اليه طوعا لحظه الرامق
يظل في مجلسنا قاعدا * أثقل من واش على عاشق

وقال بعضهم

يا من تبرمت الدنيا بطلعته * كما تبرمت الاجفان بالسهد
انى لاذكره حينا فاحسبه * من ثقله جالسا مني على كبدي

ولبعضهم

نظر العين نحوه * علم الله عرض
فاذا ما أردتم * أن تروه فغمضوا
لا تصبكم ملة * والملمات تعرض

وقال بعضهم

شخصك في مقلة النديم * أوحش من محنة النجوم
يارب لا وجهه علينا * أثقل من منة اللئيم
انى لأرجو بما أقاسي * منك خلاصي من الجحيم

وقال بعضهم أيضا

ولي لمتان على هامتي * جلوسهما مثل حد الوتد
ثقيلان لم يعرفا خفة * فهذا الصداع وذاك الرمد

والاشعار في الثقلاء كثيرة وفي كتب الآداب مشهورة فلنقتصر على هذه النبذة (قوله استبراد طله) الطل أضعف المطر وهو الرذاذ وأكثر نزوله ساكنا بغير ريح ولا برد في الغالب يكون معه فكنى هنا بالطل عن كلامه القليل وانه عندهم بارد الحديث وان كل ما جاء منه ثقيل مؤذ وقد جاء في ذلك

ولو مازج النار في حرها * حديثك أطفأ منها اللهب

﴿وقال آخر في شعر الصولي﴾

داري بلا خيش ولكنني * عقدت من خيشي طاقين
دارمني ما اشتد في حرها * أنشدت للصولي بيتين

وكلامه

ويوم كتنور الطهاة سجرته * على انه منه أحر وأوقد
ظللت به عند المبرد جالسا * فما زلت في ألفاظه أتبرد

لقي برد الخيار المغني أبا العباس المبرد في يوم ثلج بالجسر فقال له أنت المبرد وأنا برد الخيار واليوم كما ترى اعبر بنا لا يهلك الناس من الفالج بسببنا وقال كشاجم رحمه الله تعالى

غناء مديح بأرض الحجاز * يطيب وأما بحمص فلا
لبرد الغناء وبرد الهواء * فاني جماخفت أن يقتلا

واستبراد طله تعرض للمنافثة فصمت وحمدل بعد أن عطس فما شمت

﴿ما جاء في البارد﴾

(قوله تعرض) أي تهيأ (المنافثة) الكلام معهم (صمت) سكت * ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موقع حديث الرجل من القوم كموقعه من قلوبهم (حمدل) قال الحمد لله (ما شمت) ما دخل عليه السرور بقولهم يرحمك الله تعالى * ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عطس أو تجشأ فقال الحمد لله على كل حال دفع بها عنه سبعون داء أهونها الجذام وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله والذي يشمته يرحمك الله وليقل هو يهديكم الله ويصلح بالكم ومما يستظرف من حديث العطاس أن صوفيا في بلدنا كان حافظا للشعر فلا يعرض في مجلسه معنى الا وينشد عليه شعرا فاتفق ان عطس رجل بحضرته فشمته الحاضرون فدعا لهم ورأى الصوفي ان شمته قطع انشاده عما لا يشاكله من النظم وان لم يشمته كان تقصيرا في البر فاصبح للطلبة راغبا أن ينظم له هذا المعنى فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن محمد

ياحاطساير حسك الذات * أعلنت بالحمد على عطستك
ادع لنا ربك يغفر لنا * وأخلص النية فى دعوتك
وقل له ياسيدى رغبتى * حضور هذا الجمع فى حضرتك
وأنت يارب الندا والندى * بارك رب الناس فى ليلتك
فان يكن منك لنا دعوة * فأنت محمود على عودتك

وهذا الوزير الشريف انما يصرف شعره فى أوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان وكتب الىّ يستهدينى كتاب العقد

أيامن غدا سلكا بجيد معارفه * ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه
محبك أضحى عاطل الجيد فلتجد * بعقد على لبانه وسوالفه

وتوعك فى بعض الاعياد فعاده من أعيان الطلبة جلة فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا

لله درّ عصابة أمجاد * شرف الندا بقصدهم والنادى
لما أشاروا بالسلام وأربعوا * أنشدتهم وصدقت فى الانشاد
فى العيد عدتم وهو يوم عروبة * يافرحتى بثلاثة الاعياد

(قوله أقرد) أى سكت ذلا ويروى أخرد أى سكت حياء واستتر تقول أخردت وخردت من حرّ الشمس أى استترت وأقرد من لفظ القرد أو القراد وأخرد من لفظ الخريدة (آلت) رجعت (المبغى عليه) أى المظلوم وأراد أن ينظر النصرة على أعدائه من قوله تعالى ثم بغى عليه لينصرنه الله (جلنا) تصرفنا (شجون) ضروب من الكلام ومنه الحديث شجون أى فنون ومشتبك بعضه ببعض وفى الحديث الرحم شجنة من الله معناه القرابة مشتبك بعضها ببعض كاشتباك العروق (اعترض) تصلب وظهر (الانشاء) الكتابة وكتبة الانشاء هم كتبة بين يدى السلطان وهم المترسلون (أنبل) أعظم قدرا و(الحساب) كتبة الزمام (احتد) اشتد و(الحاج) جمع حجة[3] و(اللجاج) ركوب الرجل على الباطل (مطرح) موضع يطرح فيه (المراء) قد تقدم (آثرتم) فضلتم (جلية) بيان (نقدى) تمييزى (قوله حاطب) أى جامع للكلام (حاطب) جامع للحطب يريد أن المنشئ كالخطيب يختار من الكلام النفيس فيسرقه ولا يبالى كاتب الحساب بما كتب ويكون حاطب بمعنى مجمع للمال (أساطير) أحاديث وهى جمع أسطار وأسطار جمع سطر وقيل الاساطير جمع أسطورة واسطارة (دساتير) أزمة (تدرس) تمحى أو تترك حتى تتغير (جهينة الاخبار) أى العارف بها واختلفوا فى المثل قال الاصمعى رحمه الله تعالى جفينة بالجيم والفاء وقال أبو عبيدة رحمه الله تعالى حفينة بحاء غير معجمة وقال ابن الكلبى جهينة بالجيم والهاء وهو الصحيح وأصله أن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خرج يطلب فرصة فاجتمع برجل من جهينة يقال له الاخنس بن كعب فنزلا فى بعض منازلهما وتعاقدا أن لا يلقيا أحدا الا سلباه وكلاهما فاتك يحذر صاحبه فلقيا رجلا فسلباه كل ما معه فقال لهما هل لكما أن تردا علىّ بعض ما أخذتما منى وأدلكما على مغنم فقالا نعم قال هذا رجل لخمى قدم من بعض الملوك بمغنم كثير وهو خلفى فى موضع كذا فردّا عليه بعض ماله وطلبا اللخمى فوجداه نازلا فى ظل شجرة وقدامه طعامه وشرابه فحياه وحياهما وعرض عليهما الطعام فنزلا وأكلا وشربا مع اللخمى ثم ان الاخنس ذهب لبعض شانه فلما رجع به مر بسيف صاحبه مسلولا واللخمى يتشحط فى دمه فسل سيفه وقال ويحك قتلت رجلا قد تحرمنا بطعامه وشرابه فقال اقعد يا اخا جهينة فلهذا وشبهه خرجنا ثم ان الجهنى شغل صاحبه بشئ ثم وثب عليه فقتله وأخذ متاعه ومتاع اللخمى ثم انصرف الى قومه راجعا بماله وكانت لحصين أخت تسمى صخرة فكانت تبكيه فى المواسم وتسأل عنه فلا تجد من يخبرها بخبره فقال الاخنس حين أبصرها

وكم من فارس لاتزدريه * اذا شخصت لرؤيته العيون

فأقرد ينظر فيما آلت حاله اليه وينتظر نصرة المبغى عليه وجلنا نحن فى شجون من جد ومجون الى أن اعترض ذكر الكتابتين وفضلهما وتبيان افضلهما فقال قائل ان كتبة الانشاء أنبل الكتاب ومال مائل الى تفضيل الحساب واحتد الحجاج وامتد اللجاج حتى اذا لم يبق للجدال مطرح ولا للمراء مسرح قال الشيخ لقد اكثرتم ياقوم اللغط وآثرتم الصواب والغلط وان جلية الحكم عندى فارتضوا بنقدى ولا تستفتوا أحدا بعدى اعلموا أن صناعة الانشاء أرفع وصناعة الحساب أنفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب وأساطير البلاغة تنسخ لتدرس ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس والمنشئ جهينة الاخبار

[3]قوله الحجاج جمع حجة كذا بالنسخ والظاهر ان يقول الحجاج المحاجة اه

وحقيبة الاسرار ونجى العظماء (٢٩٤) وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو البشير والنذير والشفيع والسفير به تستخلص الصياصى وتملك النواصى ويقتاد العاصى ويستدنى القاصى وصاحبه برىء من التبعات آمن كيد السعاة مقرظ بين الجماعات غير معرض لنظم الجماعات فلما انتهى فى الفصل الى هذا الفصل لحظ من لمحات القوم أنه ازدرع حبا وبغضا وأرضى بعضا وأحفظ بعضا فعقب كلامه بأن قال الا أن صناعة الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة الانشاء مبنية على التلفيق وقلم الحاسب ضابط وقلم المنشئ خابط وبين اتاوة توظيف المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون لا يدركه قياس ولا يعتوره التباس اذ الاتاوة تملأ الاكياس والتلاوة تفرغ الراس وخراج الاوارج يغنى الناظر واستخراج المدارج يعنى الناظر ثم ان الحسبة حفظة الاموال وحملة الاثقال والنقلة الاثبات والسفرة الثقات وأعلام الانصاف والانتصاف والشهود المقانع فى الاختلاف ومنهم المستوفى الذى هو يد السلطان وقطب الديوان وقسطاس الاعمال والمهيمن على العمال واليه المآب فى السلم والهرج وعليه المدار فى الدخل والخرج

علوت ببياض مفرقه بعضب * يبين لوقعه الهام السكون
يذل له العزيز وكل ليث * من العقبان مسكنه العرين
فأضحت عرسه ولها عليه * هدوّا بعد رقدتها أنين
كصخرة اذ تسائل فى مراح * وفى جرم وعلمهما ظنون
تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين
فمن يك سائلا عنه فعندى * لسائله الحديث المستبين

مراح وجرم قبيلتان (حقيبة) وعاء (نجى) متكلم (الندماء) الجلساء على الخمر يريد أن أصحابه أعيان وأشراف (النذير) المخوف (السفير) الرسول بين القوم (تستخلص) تملك وتحصل (الصياصى) الحصون (النواصى) الرؤس وأصل الناصية شعر مقدم الرأس (القاصى) البعيد (التبعات) المطالبات (السعاة) جمع ساع وهو جابى الصدقة (مقرظ) ممدوح (نظم الجماعات) تحميل الحساب والجماع الأخلاط وضروب من الناس والجماع كل شئ انضم بعضه الى بعض وتجمع أراد أن كاتب الترسيل قد أمن من مكر عمال الزكوات الذين يسرقون مال الرعية والسلطان ولا يعترض لان يؤلف ما افترق من الخراج حتى يصير جماعات (الفصل) أى القضاء والحكم وأراد أنه فصل فى القضاء بين المصنفين من الكتاب (الى هذا الفصل) أى الى هذا الحد والفرق فالاول من فصل الحاكم بين الخصمين فصلا قضى والثانى من فصلت بين الشيئين فصلا وفصولا فرقت يريد أنه فصل بين الكلام المتقدم والكلام المستأنف وأراد أنه ازدرع فى قلوب كتبة الانشاء حبا لمدحه لهم وفى قلوب كتبة الحساب بغضه لما قصر بهم فأخذ يستأنف مدحهم (أحفظ) أغضب (عقب) اتبع * وأراد بالتحقيق أن صنعة الحساب برهانية محققة و (التلفيق) ضم شئ لطيف الى مثله و لفقت الشئ تلفيقا ضممت بعض اجزائه الى بعض (ضابط) محقق والضبط الاخذ بشدة ورجل ضابط لشئ اذا قوى عليه فلم يفلت منه (خابط) مغتر وخبط مشى على غير هداية (الاتاوة) الخراج والجباية الى بيت المال (توظيف) تقسيط ووظف على الناس الغرم قسطه عليهم والوظيفة نصيبك الذى تعرفه (المعاملات) انواع من علم الحساب وأصلها مصدر عاملت الرجل معاملة اذا وافقته على بيع أو كراء أو اجارة أو غير ذلك مما يتعامل به الناس بعضهم مع بعض (تلاوة) قراءة (طوامير السجلات) بطائق الترسيل والطومار الكتاب (بون) بعد (يعتوره) يتداوله ويقصده (التباس) شك (الاكياس) أوعية الدراهم و (الاتاوة) رشوة العمال قال النبى صلى الله عليه وسلم هدايا العمال رشوة (تفرغ الرأس) تهوسه بكثرة الدروس والسهر (الاوارج) أزمة الخراج وقيل صنف من الخراج (الناظر) العامل فيها وأورجها اذا تولى عملها والقيام بها (المدارج) الرسائل سميت بذلك لانها تدرج أى تطوى على ما فيها * واستخراجها تتبع معانيها بجودة النظر ودرس ألفاظها (يعنى) يتعب (الناظر) سواد العين يريد أن كاتب الزمام فى راحة وهو يملى على اكياسه بالدراهم وكاتب الرسالة متعوب قليل المال (النقلة الاثبات) أى هم على يقين وثبات فيما ينقلون (السفرة) الكتبة (الثقات) الامناء (أعلام الانصاف) يريد المشاهير بانصاف السلطان من الناس والناس منه وتقول أنصفت الرجل أعطيته حقه وانتصفت منه أخذت حقك و (المقانع) الذين يقنع بفعلهم أى يرضى و (الاخلاف) جودة الزرع تقول أخلف الزرع اذا طاب ورد على أصحابه أضعاف ما أنفق عليه (المستوفى) رأس المشارب (قطب) أصل وقطب القوم سيدهم الذى يدبر أمرهم ويدورون على رأيه بمنزلة قطب الرحى الذى تدور عليه (الديوان) دار كتاب الخراج وهو فارسى معرب (قسطاس) ميزان يريد أنه ميزان العمل الذى يعتدل به (المهيمن) الشاهد (المآب) الرجوع (السلم والهرج) الصلح والحرب (المدار) المعول أى عليه يعول فى ادارة ما يدخل على السلطان من المال من رعيته وما يخرج عنه من لوازم الاجناد

وغيرهم وفلان كثير الدخل والخرج اذا كثر مايدخل عليه من الفوائد وما يخرج عنه من الانفاق (مناط) تعلق (أودت) هلكت (ظام) خيط (مطلولا) هدرا أى باطلا لاحق فيه (التناصف) أخذ الحق واعطاؤه واستعارله عنقا وجعله مغلولا أى محبوسا بغل (التظالم) ضد التناصف (يراع) أقلام (متقول) مخول ما يقوله (متأول) مدبر يريد أن الملك يلقى للكاتب مقصده فيحسن الكاتب الالفاظ ويرتب الفقر فيزيد فى كتابته ألفاظا على ما حدله بالضرورة فتلك الزيادات ضرب من التقول وهو أن يقول على الرجل مالم يقل وكاتب الحساب لايحتاج الى تقول (مناقش) مباحث (أبو براقش) أى يأتى بانواع مختلفة وأبو براقش طائر فيه ألوان شتى مشتق من البرقشة وهى النقش والرقم يقال برقشت الثوب وأنشد سيبويه وعزاه أبو عمرو بن العلاء لبعض بنى أسد

ان يبخلوا أو يجبنوا * أو يغدروا لا يحفلوا

يغدوا عليك مرجلين * كأنهم لم يفعلوا

كأبى براقش كل حين * لونه يتخيل *

وأبو براقش وأبو قلمون كنية للرجل الكثير التلون القليل الارتباط وأصل أبى قلمون كنية لثياب ابريسم تنسج بمصر والروم تتلون للعيون ألوانا شتى وفى البديعية أنا أبو قلمون فى كل لون أكون (حمة) بالتخفيف سم وشر (يرقى) يصعد فى منزله ويرتفع فى أصابع الكاتب حين يكتب به (يرقى) اشارة للرشوة لانها تسكن شره كما تسكن الرقية الوجع (اعنات) مشقة (ينشى) يكتب (يغشى) يقصد ويدخل عليه هذه المقامة بناها أبو محمد على حكاية حاك الكلام المشهور لانهم حفروه أولا فى السفينة ثم عظموه آخرا بعد الاختبار * ونذكر الحكاية وان طالت لموافقتها المقامة حدث عمرو بن مسعدة أن المعتصم لما رجع من الثغر وصار بناحية الرقة قال لى مازلت تسألنى فى الرجحى حتى وليته الاهواز وقعد فى سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا بدرهم واحد اخرج اليه من ساعتك واحلف أن لا تقيم ببغداد الا يوما واحدا فخلفت له وقلت فى نفسى أبعد الوزارة أصير مستحثا لعامل خراج ولم أجد بدا من طاعته فخرجت الى بغداد ففرش لى زورق وحشى بالملح فلما صرت عند دير هرقل واذا رجل يصيح ياملاح رجل منقطع فقلت للملاح قرب الى الشط فقال هذا شحاذ وان قعد معك آذاك فأمرت الغلمان فأدخلوه فى كوثل الزورق فلما حضر الغداء دعوته فأكل أكل جائع الا أنه نظيف فلما رفع الطعام أردت أن يستعمل معى ما يستعمل العوام مع الخاصة أن يقوم فيغسل يده فى ناحية فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يفعل فقلت يا هذا ما صناعتك فقال حائك فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى ثم قال لى جعلت فداك سألتنى عن صناعتى فأخبرتك فما صناعتك فقلت هذه والله أعظم فكرهت ذكر الوزارة فقلت كاتب فقال الكاتب على خمسة أصناف كاتب رسائل يحتاج أن يعرف الفصل من الوصل والتهانى والتعازى والصدور وجملا من الاعراب وكاتب خراج يحتاج الى أن يعرف الزرع والمساحة والتقسيط والحساب وكاتب جند يحتاج الى أن يعرف شيات الخيل وحلى الناس وكاتب شرطة يحتاج الى أن يعرف الجراح والقصاص والديات وكاتب قاض يحتاج الى أن يعرف الفقه والوثائق وما يتعلق بذلك فأيهم أنت أعزك الله تعالى قلت كاتب رسائل قال فأخبرنى ان كان لك صديق تكتب له فى المحبوب والمكروه فتزوجت أمه كيف تكتب اليه تهنيه أو تعزيه قلت والله لا أدرى وهو بالتعزية أولى قال صدقت فكيف تعزيه قلت والله لا أدرى قال فلست بكاتب رسائل فأيهم أنت قلت كاتب خراج قال فما تقول وقد ولاك السلطان عملا فجاء قوم يتظلمون من بعض عمالك فأردت أن تنصفهم وكنت تحب العدل وتؤثر حسن الاحدوثة وكان لاحدهم براح فأردت مساحته قلت أضرب العطوف فى العمود قال اذن تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدة والعطوف على حدة قال اذن تظلم الناس قلت والله فما أدرى قال فلست بكاتب خراج فأيهم أنت

وبه مناط الضر والنفع وفى
يده رباط الاعطاء والمنع
ولولا قلم الحساب لاودت
ثمرة الاكتساب ولا تصل
التغابن الى يوم الحساب
ولكان نظام المعاملات
محلولا وجرح الظلامات
مطلولا وجيد التناصف
مغلولا وسيف التظالم
مسلولا على أن يراع
الانشاء متقول ويراع
الحساب متأول والمحاسب
مناقش والمنشئ ابو براقش
ولكليهما حمة حين يرقى
الى أن يلقى ويرقى واعنات
فيما ينشى حتى يغشى
ويرشى الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وقليل
ماهم (قال الحرث بن همام)

قلت كاتب جند فقال فما تقول فى رجلين اسم كل واحد منهما أحمد أحدهما مقطوع الشفة العليا
والآخر مقطوع السفلى كيف تكتب عليهما قلت اكتب أحمد الاعلم وأحمد الاعلم قال وكيف ورزق
هذا مائة درهم ورزق الآخر ألف درهم فيقبض هذا دعوة هذا فتظلم صاحب الالف قلت والله ما
أدرى قال فلست بكاتب جند فأيهم أنت قلت كاتب قاض قال فما تقول فى رجل توفى وخلف زوجة
وسرية وللزوجة بنت وللسرية ابن فتنازعتا فيه فقالت كل واحدة منهما هذا ابنى وأنت خليفة
القاضى قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب قاض قال فأيهم أنت قلت كاتب شرطة قال فما تقول فى
رجل وثب على رجل فشجه موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه مأمومة فقلت لا أعلم وقد سألت
ففسر لى ما ذكرت قال أما الرجل الذى تزوجت أمه فتكتب اليه أما بعد فان احكام الله تعالى تجرى
بغير محاب المخلوقين والله يختار للمخلوق فاختار الله لك فى قبضها اليه فان القبر اكرم لها والسلام قال
وأما البراح فتضرب واحدا فى واحد فى مساحة العطوف فتم بابه قال واما المقطوع العليا فتكتب عليه
أحمد الاعلم وعلى المقطوع السفلى أحمد الاشرم واما المرأتان فيوزن لبنهما فأيتهما كان لبنها أخف
فهى صاحبة البنت وفى الموضحة خمس من الابل وفى المأمومة ثمانية وعشرون فان فمازعك الى

قوله أمتع الاسماع

هنا قال ابن مهلى كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فلقيته معزولا فخرجت الى بعض النواحى
أضطرب فى المعاش قال أليس قد ذكرت أنك حائك قال أنا أحوك الكلام ولست بحائك الثياب
فلما بلغنا الاهواز أمرت الحجام فاحفى من شعره وأدخل الحمام فكسوته من ثيابى وكلمت الرجحى فيه
فى الاهواز فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معى فقال لى المعتصم ما كان من خبرك فى طريقك
فاخبرته خبرى ثم خبر الرجل فقال هذا لا يستغنى عنه فلاى شئ يصلح قلت هو والله يا أمير المؤمنين
أعلم الناس بالمساحة والهندسة فولاه البناء فكنت ألقاه فى الموكب النبيل فينزل عن دابته فأمنعه
فيقول يا سبحان الله انما هذه نعمتك وبك أفدتها ومثل ابهامه هنا انه حائك ابهام أبى زيد فى التاسعة
أنه نظام (قوله أمتع الاسماع) أى متع الآذان والذها ومنه يقال فى الكتابة أبقاك الله وأمتع بك
ومعناه أطال الله عمره من الماتع وهو الطويل عند العرب ومنه متع النهار أى علا وقال الانصارى

واها لايام الصبا وزمانه * لو كان أمتع بالمقام قليلا

ونبلاء الكتاب يكتبون بها الى الاتباع والادنياء ولا يكتبون بها الى الاكفاء والاعلون وكتب محمد
ابن عبد الملك الزيات الى عبد الله بن طاهر كتابا فى صدره وأمتع بك فكتب اليه ابن طاهر

أحلت عما عهدت من أدبك * أم نلت ملكا فتهت فى كتبك
أم قد ترى أن فى ملاطفة الاخوان نقصا عليك فى أدبك
ان جفاء كتاب ذى ثقة * يكون فى صدره وأمتع بك
أتعبت كفيك فى مخاطبتى * حسبك مما لقيت من تعبك

فاجابه ابن الزيات

كيف أخون الاخاء يا أملى * وكل شئ أنال من سببك
ان يك جهل أتاك من قبلى * فعد بفضل على من حسبك
أنكرت شيأ واست فاعله * ولن تراه يخط فى كتبك
فاعف فدتك النفوس عن رجل * يعيش حتى الممات فى أدبك

ومن ملح أجوبة ابن الزيات ان الحسن بن وهب مرض فلم يعده ولا تعرف خبره فكتب اليه الحسن

أيها ذا الوزير أيدك الله وأبقاك لى زمانا طويلا
أجميلا تراه يا أكرم النا * س لكيما أراه أيضا جميلا
انى قد أقمت عشرا عليلا * ما ترى مرسلا الى رسولا
ان يكن يوجب التعهد فى الصحـ * ـبة منا على مسك طويلا

فهو أولى يا سيد الناس برا * واقتفاد المنى يكون عليلا

فأجابه ابن الزيات

دفع الله عنك نائبة الدهـ * ـر وحاشاك أن تكون عليلا

أشهد الله ما علمت وماذا * لك من العذر جائزا مقبولا

ولعمرى أن لو علمت فلازمـ * ـتك حولا لكان عندى قليلا

فاجعلن لى الى التعلق بالعذ * ر سبيلا ان لم أجد لى سبيلا

فقديما جاد بالصفح والعفـ * ـو وما سامح الخليل خليلا

وكتب بعض الكتاب الى صديق له يعاتبه على ترك عيادته

يا جافيا ترك السؤال بعبده * نفسى فداؤك من ملول قاطع

اعتل عبدك من تشكى رأسه * ستا وأردفها بيوم سابع

فحبست رسلك عن تعهد علتى * وقطعت من سبب الوصال مطامعى

وعلمت مسلك عادياً فى حقوقى * فرجعت فى عفوى كاحسن راجع

فأجابه الآخر

لا والذى قسم الجمال بفضله * فحباك منه بالضياء اللامع

ما ان علمت بعلة لك سيدى * الا بحظك فى القريض البارع

واذا أتتنى رسالتى فقرأتها * فاقبل فديتك من مقرخاشع

وكان الحسن بن وهب يتعشق غلاما لابى تمام روميا وكان أبو تمام يتعشق غلام الحسن خزريا فرآه أبو تمام يعبث بغلامه فقال والله لئن أعنقت فى الروم لأركضن الى الخزر وما أشبهك الا بداود وأشبه نفسى بخصمه فقال الحسن لو كان هذا منظوما حفظناه والمنثور عارض لا حقيقة له فقال أبو تمام

أبى على لصرف الدهر والغير * وللحوادث و للايام والعبر

أذكرتنى أمر داود وكنت فتى * مصرف القلب فى الاهواء والذكر

أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها * وأنت مضطرب الاحشاء للقمر

ان أنت لم تترك السير الحثيث الى * جآذر الروم أعنقنا الى الخزر

وكان الحسن يكتب لابن الزيات فلما وقف على ما بينهما من أمر الغلامين تقدم الى بعض ولده وكانوا يجلسون عند ابن وهب أن يعلوه ما يدور بينهما وعزم غلام أبى تمام على الحجامة فكتب الى الحسن يعلمه بذلك ويسأله توجيه نبيذ مطبوخ فوجه اليه مائة دن ومائة دينار وخلعة وبخورا وكتب اليه

ليت شعرى يا أملح الناس عندى * هل تداويت بالحجامة بعدى

رفع الله عنك لى كل سوء * باكرا نح وان خنت عهدى

قد كتمت الهوى بمبلغ جهدى * فبدا منه غير ما كنت أبدى

وخلعت العذار فليعلم النا * س بأنى اليك أصبو بودى

وليقولوا اذا أحبوا اذا كنـ * ـت وصولا ولم ترعى بصد

من عذيرى من مقلتيك ومن اشـ * ـراق وجه من تحت حمرة خد

ووضع الرقعة تحت مصلاه وأعلم ابن الزيات خبرها فأرسل فى الخبر وشغله بشئ ووجه من جاءه بها فلما قرأها كتب فيها على لسان أبى تمام

ليت شعرى عن كتب شعرك هذا * أبهزل تقوله أم بجد

فلئن كنت فى المقال محقا * يا ابن وهب لقد تطرفت بعدى

وتشبهت بى وكنت أرى أنى أنا العاشق المتيم وحدى

ان مولاى عبد غيرى ولولا * شؤم جدى لكان مولاى عبدى

ثم قال ضعوا الرقعة مكانها فلما قرأها الحسن قال انا لله افتضحنا عند الوزير وأعلم أبا تمام فتلقياه فقالا

انا جعلناهذين الغلامين سببا لمكاتبتنا بالاشعار فقال لهما ومن يظن بكما غير هذا فكان قوله عليهما أشد * محمد بن اسحق قلت لابي تمام غلامك أطوع للمحسن من غلامه لك قال انى أعطى غلامه قبلا وقالا ويعطى غلامى ثيابا ومالا وقال أبو تمام فى غلامه

ياعمر وقل للقمر الطالع * اتسع الخرق على الراقع
ياطول فكرى فيك من حامل * لرقعة مفكوكة الطابع
ما أنت الا رشأ جؤذر * حل بمغنى أسد جائع

(قوله راق) أى أعجب (راع) أفزع لافراط حسنه (استنبناه) سألناه عن نفسه وهذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا جاء الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو فان ذلك أوصل للمودة (استراب) دخلته الريبة (منسابا) موضعا يدخل فيه (لبسه) تخليطه و(غمة) القلب ما يغطيه من الشك أو الهم فأراد انه لبس عليه فلم يعرفه (ادكرت) أى ذكرت (أمة) حين (الفلك) مدار النجوم (والفلك السيار) أى السفينة السريعة والفلك لفظ يقع للواحد والجمع (أعهده) أعرفه (رواء) قنوة وحسن هيئة (أيد) قوة (استحالة) تغير و(الحول) القوة وأيضا الحيلة ولو خاطبه ابن همام بشعر لكان للشريف الرضى فى جوابه للصابى وقد شكا اليه الهرم والجلوس فى المحفة وامتناعه من التصرف فقال

لئن رام قبضا من بنانك حادث * لقد عاضنا منك انبساط جنان
وان أقعدتك الا انبات فطالما * سرى موقرا من مجدك الملوان
وان هدمت منك الخطوب بجزها * فثم لسان المناقب بان

(قوله لا يفرى فريه) أى لا يقطع قطعه ولا يعمل عمله قال الحوفزات

وما ارتعشت كفى ولا طاش ضربها * اذا طرحوا بالفارس المتهلل
ولكنها اذذاك تفرى فريها * وتقرع رأس الفارس المتقتل

(يبارى عبقريه) يجارى جنيه ولفظ الحريرى كله منتزع من الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كانى على بئر وأرى جميع الناس فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفيه ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر رضى الله عنه فاستحالت بيده غربا فلم أر عبقريا من الرجال يفرى فريه حتى ضرب الناس بأعطانهم يقال رجل عبقرى أى كامل قوى والعبقرى أيضا الحسن من كل شئ (الوجد) المال (رغب عن الالفة) أى تباعد عن الصحبة (ولم يرغب فى التحفة) أى لم يطمع فى العطية أى لم يقبل عطيتهم ولا صحبتهم (محقتم) نقضتم وغيرتم (محق) ثوبى البالى (وكسفتم بالى) تنقصتم حالى وغيرتموها (سربالى) قميصى (السخينة) الساخطة الحارة الدمع (شاب) أى خلط و(محضه) خالصه و(غشه) عيبه وفساده وللزاهد بن عمران فى النصيحة

اسمع أخى نصيحتى * والنصح من أصل الديانه
لا تعرضن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

وقال آخر فيمن لا يقبل النصيحة

اذا ما هديت امرأ مخطئا * أصل السبيل الى قصده
ولم تلقه سامعا قابلا * فخن له المشى فى ضده

(وقوله لا تعجلن) وما بعده من قول الشاعر

لا تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

﴿ولابن عمران أيضا﴾

فما راق وراع استنبناه فاستراب وأبى الانتساب ولو وجد منسابا الانساب فصلت من لبسه على غمة حتى ادكرت بعد أمة فقلت والذى سخر الفلك الدوار والفلك السيار انى لأجد ريح أبى زيد وان كنت أعهده ذا رواء وأيد فتبسم ضاحكا من قولى وقال أنا هو على استحالة حالى وحولى فقلت لاصحابى هذا الذى لا يفرى فريه ولا يبارى عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له الوجد فرغب عن الالفة ولم يرغب فى التحفة وقال أما بعد ان محقتم حقى لاجل محق وكسفتم بالى لاخلاق سربالى فما أراكم الا بالعين السخينة ولا لكم منى الا الصحبة السفينة ثم أنشد اسمع أخى وصية من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه

فهرسبيل القصد فى الناس ولتكن * على حذر منهم ولا تسئ الظنا
ولا تمدحن من لم تجرب ولا تقل * على غير علم ذاك من فاكم أسنى
فما كل من يرضيك ظاهر حاله * لدى الخبر محمود او قد يحمد الادنى

(القضية) الحكم (مبتوته) مقطوعة (تبله) تجربه (تخدشه) عيبه واذايته (تجتلى) تنظر (بطشه) سولته عند الغضب يقول لا تحكم بشئ على أحد حتى تجربه فى الشدة والرخاء وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان فلانا الرجل صدق قال أسافرت معه قال لا قال فهل كانت بينك وبينه خصومة قال لا قال فهل ائتمنته على شئ قال لا قال فأنت الذى لا علم لك به وانما أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه فى المسجد (يبين) يظهر (خلب) كاذب (الشائمين) الناظرين الى البرق (وبله) مطره الكثير (طشه) مطره القليل (يشين) يعيب (واره) استره (كرما) أى تكرما منك عليه (أفشه) حدث به وانشره (الارتقاء) الترفيع (رقه) رفعه (استحط) اتضع (حشه) كنيفه وهو المستراح (التبر) الذهب قبل السبك (يستثار) يستخرج (النبش) البحث عليه (الغباوة) الجهالة (رونق رقشه) حسن زينته (مهذبا) مخلصا (دروس) اخلاق (برته) لبسته (رثه) ضعف (طمرين) ثوبين خلقين (هيب) خيف (مفوق) مزين (لفحشه) لقبح كلامه (يغش عارا) يدخله (أسماله) ثيابه البالية (مراق) سلالم ومدارج (عرشه) سريره ومنزلته (العضب) السيف (قرابه) جفنه * ومما ينتظم فى هذا السلك ان الصادالعدوى دخل على معاوية فى عباءة فاحتقره فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك من فيها ثم تكلم فلا اسمعه بيانا ثم خرج ولم يسأله شيأ فقال معاوية ما رأيت رجلا أحقر أولا ولا أجل آخرا منه وقال بعضهم

انى وان كنت أثوابى ملفقة * ليست بخز ولا من نسج كتان
فان فى المجد همات وفى لغتى * فصاحة ولسانى غير لحان

وقال آخر
هل ينفعنك بعد شينك فى الهوى * توفير مكتسب ولبس ثياب
هيهات ما فخر المهند فى الوغى * بحلى غمد فوقه وقراب

﴿وقال الخبزرزى﴾

لا تنظرن الى أثواب مغترب * نائى المحل بعيد الاهل والدار
وانظر اليه اذا ما قام فى ملا * ينطق لذوى الالباب مصار

وقال المعرى
وان كان فى لبس الفتى شرف له * فما السيف الا غمده والحمائل

﴿وقال أبو هفان﴾

لعمرى لئن بيعت فى دار غربة * ثيابى ان ضاقت على المآكل
فما أنا الا السيف أخلق جفنه * له حلية من نفسه وهو عاطل

﴿وقال لبيد﴾

أصبحت مثل السيف أخلق جفنه * تقادم عهد السيف والسيف قاطع

وقال المعرى
فان تلك أثوابى تمزقن عن بلى * فانى كنصل السيف فى خلق الغمد

كان بالكوفة رجل يعرف بابى ذؤيب وكان مقصد الشعراء فدخل مجلسه محمد بن حازم الباهلى وعليه ثياب رثة وهم يتكلمون فى معانى الشعر فسأله ابن حازم عن بيت الطرماح فرد أبو ذؤيب جوابا محالا وهو فى ذلك كالمزدرى لابن حازم فوثب مغضبا فقيل له ماذا اقصت على نفسك من الشر أتدرى من احتقرت قال لا قيل هو أخبث الناس لسانا وأهجاهم هذا ابن حازم فوثب حافيا حتى لقيه وحلف انه لم يعرفه واستقاله ما قاله وقال

أخطأ على ورد غير جوابى * وزرى على وقال غير صواب

لا تجعلن بقضية مبتوتة
فى مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلى
وصفيه فى حالى رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه
للشائمين ووبله من طشه
فهناك ان ترما يشين فواره
كرما وان ترما يزين فأفشه
ومن استحق الارتقاء فرقه
ومن استحط فحطه فى حشه
واعلم بان التبر فى عرق الثرى
خاف الى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها
من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة ان تعظم جاهلا
لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذبا فى نفسه
لدروس برته ورثة فرشه
ولكم أخى طمرين هيب لفضله
ومفوق البردين عيب لفحشه
واذا الفتى لم يغش عارا لم تكن
أسماله الا مراقى عرشه
ما ان يضر العضب كون قرابه
خلقا ولا البازى حقارة عشه

وسكت من عجب لذاك فزادني * فيما كرهت بظنه المرتاب
وقضى على بظاهر من كسوة * لم يدر ما اشتملت عليه ثيابي
من عفة وتكرم وتجمل * وتجلد لمصيبة وعقاب
لكنه رجعت عليه ندامة * لما يسب وخاف مض عتابي
فأقلته لما أقر بذنبه * ليس الكريم على الكريم بساب

وكان ابن حازم ساقط الهمة يرضيه اليسير على انطباعه فى شعره وقال حماد بن يحيى قال لى ابن حازم يوما ما بقى على شئ من اللذات الا بيع السنانير فقلت له ويحك وأى شئ فى ذلك من اللذة قال يعجبنى أن تجىء العجوز الرعناء تخاصمنى وتقول هذا سنورى سرق فأخاصمها فتشتمنى فأشتمها وأغيظها ثم أنشد

صل خمرة بخمار * وصل خمار الخمر
وخذ نصيبك من ذا * وذا الى حيث تدرى

فقلت الى أين ويحك فقال الى النار يا أحمق (قوله ما عتم) أى ما أبطأ ولا تأخر ويقال عتم القرى اذا تأخر وأعتم حاجته أخرها ومنه صلاة العتمة لتأخر وقتها (استوقف الملاح) أمر خادم السفينة بالوقوف (صعد) ارتقى وارتفع (ساح) ذهب فى الارض (فى ذاته) أى فى نفسه (أغضى جفنه) سد عينه (قذاته) عاره وعيبه الذى أتى به السروجى عند الدخول فى السفينة والقذاة ما يسقط فى العين فيوجعها (تزدرى) تحتقر (لرثاثة برده) لاخلاق ثوبه والله تعالى الموفق

(شرح المقامة الثالثة والعشرين وهى الشعرية)

(قوله نبابى) أى قلق بى ولم يوافقنى (الوطن) المنزل و (مألفه) موضع الاجتماع بمواتاته فيه (شرخ) أول أراد فى أول زمانه وشبابه (خطب) أمر مخوف (خشى) خيف و (غشى) نزل وغطى (أرقت) هرقت وجعل للكرى وهو النوم كأسا مجازا وكنى بهرقها عن زالة النوم عن عينه (نصصت) رفعت وحركت (ركاب السرى) ابل السير (جبت) قطعت (وعورا) ذا رقاصعبة (تدمثها) تسهلها وتلينها (الخطا) هى الاقدام وقوائم الحيوان و (القطا) طائر وقد تقدم و (هدايتها) فيما زعموا أنها تترك فراخها بالصحراء وتذهب عند طلوع الشمس لطلب الماء من مسيرة عشرين ليلة فما دونها فيردنه ضحوة يومهن فيحمل الماء لفراخهن فى نهاتهن ثم يرجعن بعد الزوال الى تلك المسافة فيشربن ويأتين فراخهن فى عشية يومهن فيسقينهن عللا بعد نهل ولا يخطئن مواضع فراخهن فيقال لذلك أهدى من القطا قال الشاعر

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأته تميم يوم زحف لولت

﴿وقال حميد بن ثور﴾

كما اتصلت كدراء تسقى فراخها * بعروة رفقا والمياه شعوب
غدت ومسقاها الذى وردت به * الى الصدر مشدود العصام كتيب
تبادر أطفالا مساكين دونها * فلا لا تخطاه الركاب رحيب
وضعن لها غوثا بأرض تنوفة * فما هى الا نهلة وتؤوب

(قوله حمى الخلافة) هى بغداد (الحرم) موضع الامن (العاصم) المانع (سروت) أزلت (ايجاس الروع) احساس الفزع والخوف و (استشعاره) استفعال من شعرت بالشئ (تسربلت) لبست سربالا (قصرت همى) حبست همتى وارادتى (ملحة) طرفة وشئ عجب (أجتليها) انظرها (الحريم) موضع متسع حول قصر الملك يجتمع فيه أجناده وغيرهم (أروض) أعلم وأسوس (طرفى) فرسى (أجيل) أمشى (متتالون) متتابعون (منثالون) منصبون لكثرة جريهم (الطيلسان) ثوب خز أخضر

ثم ما عتم أن استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كل منا على ما فرط فى ذاته وأغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على أن لا نحتقر شخصا لرثاثة برده وأن لا نزدرى سيفا مخبوا فى غمده

(المقامة الثالثة والعشرون الشعرية)

(حكى الحرث بن همام) قال نبابى مألف الوطن فى شرخ الزمن لخطب خشى وخوف غشى فأرقت كأس الكرى ونصصت ركاب السرى وجبت فى سيرى وعورا لم تدمثها الخطا ولا اهتدت اليها القطا حتى وردت حمى الخلافة والحرم العاصم من المخافة فسروت ايجاس الروع واستشعاره وتسربلت لباس الامن وشعاره وقصرت همى على لذة أجتنيها وملحة أجتليها فبرزت يوما الى الحريم لاروض طرفى وأجيل فى طرقه طرفى فاذا فرسان متتالون ورجال منثالون وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسان

قد لبب فتى جديد الشباب خلق الجلباب فركضت فى اثر النظارة حتى وافينا باب الامارة وهناك صاحب المعونة متربعا فى دسته ومروعا بسمته فقال له الشيخ أعز الله الوالى وجعل كعبه العالى انى كفلت هذا الغلام فطيما وربيته يتيما ثم لم آله تعليما فلما مهر وبهر جرد سيف العدوان ومهر ولم آخله يلتوى على ويتقح حين يرتوى منى ويلتقح فقال له الفتى علام عثرت منى حتى تنشر هذا الخزى عنى فوالله ما سترت وجه برك ولا هتكت حجاب سترك ولا شققت عصا أمرك ولا ألغيت تلاوة شكرك فقال له الشيخ ويلك وأى ريب أخزى من ريبتك وهل عيب أفحش من عيبك وقد ادعيت سحرى واستلحقته وانتحلت شعرى واسترقته واسترقاق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات الافكار كغيرتهم على البنات الابكار فقال الوالى للشيخ وهل حين سرق سلخ أم مسخ أم فسخ

(لبب) جعل فى عنقه ثوبا وقاده به وأخذ بتلابيبه وهى أطواف ثوبه والتلابيب مأخوذة من اللبة وهى وسط الصدر (جديد الشباب) أى فتى السن وقد تقدم الجلباب (ركضت فى أثر النظارة) أى خلف الناظرين لما يفعل به ومن شأن الغوغاء والعامة اذا رأوا محبوسا أو مضروبا أن يتبعوه ويتكاثروا عليه وتطرع عمر رضى الله عنه الى قوم يتبعون رجلا مريبا فقال لا مرحبا بهذه الوجوه التى لا ترى الا عند الشر وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما اجتمعوا قط الا ضروا ولا تفرقوا الا نفعوا قيل له قد علمنا ضر اجتماعهم فما نفع افتراقهم قال يذهب الحجام الى دكانه والحداد الى كيره وكل صانع الى صنعته وقال دعبل

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم * والله يعلم انى لم أقل فندا

انى لأفتح عينى حين أفتحها * على كثير ولكن لا أرى أحدا

ومر على بن الجهم بمبرسم والناس قد تجمعوا حوله وحلقوا به فلما رآهم المبرسم أخذ بعنان فرسه وأنشأ يقول

لا تغفلن بمعشر الهمج الذين تراهم

فبحق من أبلى بهم * نفسى ومن عافاهم

لو قيس مولاهم بهم * كانوا اذا مولاهم

ثم نظر حوله فرأى غلاما جميل الوجه حسن اللبسة فهجم عليه وشق ثيابه وهو يقول

هذا السعيد بهم * قد صار فى أشقاهم

(وافينا) وصلنا و(صاحب المعونة) والى الجنايات وقال الرمحى ولى فلان المعونة أى ولى العون أى ولاه السلطان عونه على حفظ المدينة ولفظها مفعولة وهى بتأويل المصدر بمنزلة قولهم ماله معقول أى عقل ولا مجلود أى جلد (مروعا بسمته) أى مفزعا بهيئته ووقاره (جعل كعبه العالى) أى جعل أسفل شئ منه يعلو أرفع شئ فى غيره (كفلته) ضممته وقمت بمؤنته * أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وهو يشير باصبعيه وخير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشرها بيت فيه يتيم يساء اليه * أبو امامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم لم يمسحه الا لله كانت له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ومن أحسن الى يتيم أو يتيمة كنت أنا واياه فى الجنة كهاتين وفرق بين اصبعيه (فطيما) أى صغيرا كما منع الرضاع (لم آله) أى لم أقصر فى تعليمه (مهر) ظهر وصار ماهرا أى حاذقا (بهر) غلب أمثاله (العدوان) الظلم (يلتوى) ينعطف ليضرى وهو من فعل الحية اذا اتبعها الرجل التوت عليه لتلسعه (يتقح) يسقط حياؤه (يلتقح) يشرب لقحتى واللقحة الناقة ذات اللبن (عثرت) اطلعت (الخزى) العار والشر والخزى الهوان (هتكت) خرقت (حجاب سترك) أى ثوب طاعتك (ولا شققت عصا أمرك) أى ما خالفت حكمك وشق فلان العصا خرج عن الامر مخالفا وشق عصا المسلمين فرق جماعتهم والاصل فى العصا الائتلاف والاجتماع ومنه قولهم للمطمئن ألقى العصا وقيل شق العصا صار منها فى شق وخرج عن الجماعة وفسر قوله تعالى شاقوا الله ورسوله بالمباينة لان من صار فى شق عن شق صاحبه فقد باينه وقيل معنى شق العصا ذهب الى شقها أى كسرها فجىء بانشق الذى هو من صفة العصا وفى ضمنه المجاهرة بالخروج عن الجماعة قال الشماخ

تصدع شعب الحى وانشقت العصا * كذلك اسوى بين الخليط شقوق

(ألغيت) تركت (تلاوة) قراءة و(الريب) الريبة والتهمة (أخزى) أضر وأكثر هوانا (أفحش) أقبح (ادعيته) نسبته لنفسك وأبست لك (سحرى) بديع كلامى (استلحقته) ألحقته بنفسك (انتحلت) ادعيت (أفظع) أمر (البيضاء والصفراء) الفضة والذهب (بنات الافكار) هى الاشعار (سلخ) أخذ المعنى (مسخ) قبح الكلام وغيره (نسخ) نقله بعينه والقائلون بالتناسخ لهم ألفاظ تشبه هذه وهى النسخ والمسخ والرسخ والفسخ فالنسخ عندهم أن يحول الادنى الى الاعلى والمسخ أن يحول الاعلى

من الحيوان الى الادنى والرسخ رد الحيوان جمادا والفسخ أن يتلاشى فلا يكون شيأ وقال شاعرهم

تعوذ بالاله من المسوخ * وسله ان تكون من الفسوخ

لقد خاب الذى أضحى وأمسى * ينقل فى فسوخ أو رسوخ

﴿وقال المعرى﴾

وقال بأحكام التناسخ معشر * غلوا فأجازوا الفسخ فى ذاك والرسخا

وتقسيم الحريرى السرقة فى قوله سلخ ومسخ ونسخ يدخل تحت أحكام السرقات التى عدها أبو محمد الحسين بن على بن وكيع رحمه الله تعالى فى كتابه المترجم المصنف فى الدلالات على سرقات المتنبى فانه جعلها عشرين وجها عشرة أوجه يغفر فى سرقتها ذنب الشاعر للدلالة على فطنته الاول منها استيفاء اللفظ الطويل فى الموجز القصير كقول طرفة

أرى قبر نحام بخيل بماله * كقبر غوى فى البطالة مفسد

اختصره ابن الزبعرى فقال

والعطيات خصاص بينهم * وسواء قبر مثر ومقل

فقد فضل صدر بيته وجاء بيت طرفة فى عجز بيت أقصر منه بمعنى لائح ولفظ واضح الثانى نقل اللفظ

﴿أقسام سرقات الشعراء﴾

الرذل الى الرشيق الجزل كقول العباس بن الاحنف

زعموا لى انها باتت تحم * ابتلى الله بهذا من زعم

اشتكت اكمل ما كانت كما * يشتكى البدر اذا ما قيل تم

فهذا معنى لطيف أخذه ابن المعتز فقال

طوى عارض الحمى سناه فخالا * وألبس ثوبا بالسقام هزالا

كذا البدر محتوم عليه اذا انتهى * الى غاية فى الحسن عاد هلالا

الثالث نقل ماقبح مبناه دون معناه الى ماحسن مبناه ومعناه كقول أبى نواس

بح صوت المال مما * منك يدعو أو يصيح ما لهذا آخذ فو * ق يديه من يصيح

معناه صحيح ولفظه قبيح أخذه مسلم فقال

تظلم المال والاعداء من يده * لا زال للمال والاعداء ظلاما

فجود الصنعة وجمع بين تظلمين كريمين ودعا للممدوح بدوام ظلمه للمال والاعداء وكل ذلك مليح جزل نقل عن ضعيف المبنى الرابع عكس ما يصير بالعكس ثناء بعدما كان هجاء كقول البلاذرى

قد يرفع المرء اللئيم حجابه * ضعة ودون العرف منه حجاب

معكوسه

ملك أغر محجب * معروفه لا يحجب

الخامس استخراج معنى من معنى احتذى عليه وان فارق ما قصد اليه كقول أبى نواس فى الخمر

لا ينزل الليل حيث حلت * فدهر شرابها نهار

احتذاه البحترى وفارق مقصده فجعله فى محبوب فقال

غاب دجاها وأى ليل * يدجو علينا وأنت بدر

السادس توليد كلام من كلام لفظهما مفترق ومعناهما متفق كقول أبى تمام

لأمر عليهم ان تتم صدوره * وليس عليهم أن تتم عواقبه

أخذه من قول الاعرابى أنشده الاصمعى رحمه الله تعالى

فكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ما جنت المنون

فجرد لفظه من لفظ من أخذ منه وهو فى معناه متفق معه وهذا من أدل الاقسام على فطنة الشاعر السابع فى توليد معان مستحسنات فى ألفاظ مختلفات وهذا من أشد باب وأقله وجودا وأعاقل لانه من

(ذكر السرقات المذمومه)

أحق ما استعمل فيه الشاعر فطنته كقول أبي نواس

واسقنيها من كميت * تدع الليل نهارا

ثم قال أيضا لا ينزل الليل حيث حلت * فدهر شرابها نهار

ثم قال أيضا ألمبتغي المصباح قلت له اتئد * حسبي وحسبك ضوءها مصباحا

فكل هذه معان متقاربات وألفاظ متشابهات مولد بعضها من بعض الثامن مساواة الآخذ المأخوذ منه في الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام وان كان الاول أحق به لانه ابتدع والثاني اتبع من ذلك قول العكوك في فرس مطرد يرتج من أقطاره * كالماء جالت فيه ريح فاضطرب

فذكر ارتجاجه ولم يذكر سكونه فأخذه ابن المعتز فقال

فكأنه موج يذوب اذا * أطلقته واذا حبست جمد

فجمع بين الصفتين التاسع مماثلة السارق المسروق بزيادة في المعنى ما هو من تمامه كقول أبي حية

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت * بأحسن موصولين كف ومعصم

أخذه من قول النابغة

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

فلم يرد النابغة على اتقائها باليد وزاد عليه أبو حية بقوله دونه الشمس وخبر عن المتقى بأحسن خبر فاستحقه العاشر رجحان السارق على المسروق منه بزيادة لفظ على لفظ من أخذ عنه كقول حسان

يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

وقال أبو نواس رحمه الله تعالى

الى بيت حان لا تهر كلابهم * علي ولا يخشون طول ثوائي

ولا فرق بين المعنيين والسرقات المحمودة أكثر من أن تحصر ونزيل وجه السرقات المذمومة وهي كالمحمودة عشرة أقسام الاول نقل اللفظ القصير الى الطويل الكثير كقول سالم الخاسر

أقبلن في رأد الضحى بنا * يسترن وجه الشمس بالشمس

أخذه الثاني فقال

واذا الغزالة في السماء تعرضت * وبدا النهار لوقته يترحل

أبدت لعين الشمس عينا مثلها * تلقى السماء بمثل ما تستقبل

المعنى صحيح والكلام مليح غير أنه تطويل وتضييق والبيتان جميعا نصف بيت سالم الثاني نقل الرشيق الجزل الى المستضعف الرذل كقول القائل

كأن ليلى صبير غادية * أو دمية زينت بها البيع

وأخذه أبو العتاهية فقال

كأن عتابة من حسنها * دمية قس فتنت قسها

فقصر لفظه عن الفصاحة ومعناه عن الرجاحة الثالث نقل ما حسن معناه ومبناه الى ما قبح مبناه ومعناه كقول امرئ القيس

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فأتى بما لا يعلم وجوده في البشر من وجود طيب ممن لم يمس طيبا وجاء ببيت في مراده حسن النظام مستوفي التمام أخذه كثير فقال

فما روضة بالحسن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

فطول وحسن وقصر غاية التقصير وأخبر أنها اذا تطيبت كالروضة في طيبها وذلك مما لا يعدم في أقل البشر تنظيفا الرابع عكس ما يصير بالعكس هجاء بعد ان كان ثناء كقول أبي نواس رحمه الله تعالى

فهو بالمال جواد * وهو بالعرض شحيح

عكسه ابن الرومي فقال ماشئت من مال حمى * يأوى الى عرض مباح

الخامس نقل ما حسن أوزانه وقوافيه الى ما قبح وثقل على لسان روايه كقول مسلم رحمه الله تعالى

اما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

أخذه أبو تمام فقال

قال لي الناصحون وهو مقال * ذم من كان جاهلا اطراء

سدقوا في الهجاء رفعة أقوا * م طعام ماليس عندي هجاء

فبين الكلامين فرق بعيد الثامن نقل العذب من القوافي الى المستكره الجافي كقول أبي نواس

فتمشت في مفاصلهم * كتمشي البرء في السقم

فهذا الكلام أتم بهاء من قول مسلم

تجري محبتها في قلب عاشقها * جري المعافاة في أعضاء منتكس

التاسع نقل ما يصير على التفتيش والانتقاد الى تقصير وافساد كقول القائل

ولقد أروح الى التجار مرجلا * مذلا بمالي لينا اجيادي

واعتاله جيد واحد وهذا وان جاز عند بعض العرب فهو عند الآخرين غير جيد ولا سديد العاشر أخذ اللفظ والمعنى وهو أقبح السرقات وأدناها وأوضعها قدرا أكثر الشعراء ذم السرقة والسارق وأول من ذم ذلك طرفة حين قال

ولا أغير على الاشعار أسرقها * عنها غنيت وشر الناس من سرقا

وقال الاعشى فكيف انا وانتحالي القوافي بعد المشيب كفى ذاك عارا

ومن سرقة اللفظ والمعنى ما يحكى عن أبي المعافي أنه لما مدح أبا العباس محمد بن ابراهيم الامام بقوله

اليك بمدحتي يا خير أبا * رسول الله من قلد النساء

سنأبيك لمداثح من رجال * وما كف أصابعها سواء

فأخذه آخر وغيره بان وضع الرجال وضع النساء وغير عجز البيت الآخر فقال

* كما اختلفت الى الغرض النبال * واستعدى عليه أبا المعالي صالح بن اسمعيل وهو على شرطة محمد ابن ابراهيم بالمدينة فقال

ماسارق الشعر فيه وسم صاحبه * الا كسارق بيت دونه غلق

بل سارق البيت أخفى حين يسرقه * والبيت يستره من ظلمة غسق

من جيد الشعر أن يخفى لسارقه * وجيد الشعر قد سارت به الرفق

فقال صالح فاحب أن أفعل به فقال تحلفه عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم أن لا ينشد هذا الشعر الا لي وكان محمد بن زهير يشرب فاذا سكر لا يفيق الا بانشاد الشعر فأمر يوما جبار بن محمد الكاتب أن ينشده فأنشده أبياتا لابي نواس ادعى انه قائلها وهي

صاح مالي وللرسوم القفار * ولنعت المطي والاكوار

شغلتني المدام والقصف عنها * وسماع الغناء والمزمار

ومضى في الشعر وأبو نواس قاعد فوثب وتعلق به قدام محمد بن زهير وأنشأ يقول

قوله الثامن كذا في جميع الاصول التي بايدينا وقد أسقط السادس والسابع اه

أعدني يا محمد بن زهير * يا عذاب اللصوص والذعار
يسرق السارقون ليلا وهذا * يسرق الشعر جهرة بالنهار
صار شعري قطيعة لجبار * أفهذا القلة الاشعار
قل لمخليفر على شعر حما * دانتي القتل أو على بشار

وسرق محمد بن يزيد الاموي شعر الحبيب فقال حبيب

من بنو بحدل من ابن الحباب * من بنو تغلب غداة الكلاب
من طفيل وعامر ومن الحا * رث أو من عتيبة بن شهاب
انما الضيغم الهصور أبو الاشـ * ـبال جبار كل جيش وغاب
من عدت خيله على سرح شعري * وهو للحين راتع في كتاب
غارة أسهنت عيون المعاني * واستباحت محارم الآداب
لو ترى منطقي أسيرا لأصبحـ * ـت أسيرا بعبرة وانتحاب
يا عذاري الاشعار صرتن من بعـ * ـدي سبايا تبعن في الاعراب
طال رهبي اليك يارب يارب ورغبي اليك فاحفظ ثيابي

وعارض أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قصيدة البحتري فاستعار من ألفاظها ومعانيها ما أوجب ان قال البحتري

ما الدهر مستنفد ولا عجبه * تسومنا الخسف كله نوبه
نال الرضا مادح وممتدح * فقل لهذا الامير ما غضبه
أجلى لصوص البلاد يطردهم * وظل لص القريض ينتهبه
اردد علينا الذي استعرت وقل * قولك يعرف لغالب غلبه

واستعدى ابن الرومي العلاء بن عيسى على البحتري فقال

قل للعلاء بن عيسى والذي نصلت * به الدواهي نصول الآل في رجب
أيسرق البحتري الناس شعرهم * جهرا وأنت نكال اللص ذي الريب
وتارة يبرز الارواح منطقه * فالقوم ما بين مقتول ومغتصب
نكلـه ان اناسا قبله ركبوا * بدون ما قد أتاه باسق الخشب
اذا أجاد فأوجب قطع مقوله * فقد دها شعراء الناس بالحرب
وان أساء فأوجب قتله قودا * عن أوات اذا أبقى على السلب
يسيء عفافا أكدت مسائله * أجاد لصا شديد البأس والكلب
حي يغير على الموتى فيسلبهم * حر الكلام بجيش غير ذي لجب

وقال فيه ابن الحاجب

والفتى البحتري يسرق ما قا * ل ابن أوس في المدح والتشبيب
كل بيت له يجود معنا * ه فمعناه لابن أوس حبيب *

ولابن الحاجب ايضا

هل الى محنة تخبر منا * ضلنا في القريض والمفضول
محنة تفضح اللصوص وتقضى * بالذي فيهم قضا التنزيل
سارق المال تقطع الكف منه * واللسان السروق منها بديل
ليسود الذي يحق له السو * دمنا ويرذل المرذول

وبلغ الصاحب بن عباد أن بعضهم سرق شعره فقال أبلغوه عني

سرقت شعري وغيري * يضام فيه ويخدع
فسوف أجزيك ضعفا * بكل رأس وأخدع
فسارق المال يقطع * وسارق الشعر يصفع

فاتخذ السارق لذلك جلا وهرب من الري وبين السري الموصلي والخالديين مستظرفات في هذه السرقات اشتهرت في كتب الآداب فلنلم ببعض ما قال السري فيهما وفيه يقول الثعالبي السري وما أدراك ما السري صاحب الشعر الجامع بين عقود الدر والنافث في عقد السحر ولله دره ما أعذب بحره وأصفى قطره وأعجب أمره وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ويعلق في كعبة الظرف وكتبت منه محاسن وملح وبدائع وطرفا كأنها أطواق الحمام وصدور البزاة البيض وأجنحة الطواويس وسوالف الغزلان ونهود العذارى الحسان وغمزات الحدق الملاح قال يتظلم الى سلامة بن فهد من الخالديين

تحيف شعري يا ابن فهد مصالت * عليه فقد أعدمت منه وقد أثرى
وفي كل يوم للغبيين غارة * تروع ألفاظي المحصلة الغرا
اداعن لي معنى تضاحك لفظه * كما ضاحك النوار في روضه القطرا
غريب كنشر الروض لما تبسمت * مخايله للفكر أودعته سطرا
فوجه من الفتيان يمسح وجهه * وصدر من الاقوام يسكنه الصدرا
تناوله مثر من الجهل معدم * من العلم معذور متى خلع العذرا
لأطفأ تمانك النجوم بأسرها * وأدنيتما تلك المطارف والازرا
فسحكاها الا بشطر قنعتما * وأبقيتما لي في محاسنه الشطرا

قال يخاطب أبا الخطاب وقد سمع ان الخالديين يرجعان الى بغداد

بكرت عليك مغيرة الاعراب * فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
وردا العراق ربيعة بن مكدم * وعتيبة بن الحرث بن شهاب
أفعندنا شك بأنهما هما * في الفتك لا في صحة الانساب
جلبا اليك الشعر من أوطانه * جلب التجار طرائف الاجلاب
شنا على الآداب أقبح غارة * جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلى غارة * وحذار من فتكات ليثي غاب
تركت غرائب منطقي في غربة * مسبية لا تهتدي لاياب
أعزز علي بأن أرى أشلاءها * تدمى بظفر للعدو وناب
حرمي وما ضربت بحد مهند * أسرى وما حملت على الاقتاب
ان عز موجود الكلام عليهما * فانا الذي وقف الكلام ببابي
كم حاولا أمري فطال عليهما * أن يدركا الامثار ترابي

والقصيدة طويلة جمعت منها ما وافق الغرض وسنلم بشيء منها في الثالثة والثلاثين بعون الله تعالى وقال يتظلم منهما الى أبي البركات

يا أكرم الناس الآن تعدآبا * وأت الكرام بآيات وآثار
أشكو اليك حليفي غارة شهرا * سيف العقوق على ديباج أشعاري
ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرم * لمزقاه بأنياب وأظفار
سلا عليه سيوف البغي مصلتة * في جحفل من شنيع الظلم جرار
وأرخصاه فظل العطر بينهما * لديهما يشترى من غير عطار

ان قلدالك بدر فهو من نعمي * أو ختمالك فيا قوتي وأحجاري

كأنه جنة راقت حدائقها * بين الغيسين في نار واعصار

عار من النسب الوضاح منتسب * في الخالديين بين الخزي والعار

وشتان بين قول السري في أبي بكر وأبي عثمان ابني هشام الخالديين وبين قول الثعالبي فيهما حين قال ان هذين لساحران يغربان فيما يجلبان ويبدعان فيما يصنعان وكان ما يجمعهما من أخوة الادب مثل ما ينظمهما من اخوة النسب وهما في الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة ويشتركان في قول الشعر وينفردان ولا يكادان في السفر والحضر يفترقان وكاما في التساوي كما قال أبو تمام

رضيعي لبان شريكي عنان * عتيقي رهان حليفي صفاء

(بل كما قال البحتري)

كالفرقدين اذا تأمل ناظر * لم يعد موضع فرقد عن فرقد

(بل كما قال الصابي)

أرى الشاعرين الخالديين نشرا * قصائد يفني الدهر وهي تخلد

جواهر من أبكار لفظ وعونه * يقصر عنها راجز ومقصد

تنازع قوم فيهما وتناقصوا * ومر جدال بينهم يتردد

فطائفة قالت سعيد مقدم * وطائفة قالت لهم بل محمد

وصاروا الى حكمي فأصلحت بينهم * وما قلت الا بالتي هي أرشد

هما لاجتماع الفضل روح مؤلف * ومعناهما من حيث ألفت مفرد

كفرقدا الظلماء لما تشاكلا * علاء أشكي ذاك أم ذاك أمجد

فزوجهما ما مثله في اتفاقه * وفردهما بين الكواكب أسعد

فقاموا على صلح وقال جميعهم * رضينا وساوى فرقد الارض فرقد

وأفاضل الشأم والعراق بعضهم يفضل السري عليهما وبعضهم يفضلهما فهذا كله فصل في السرقات مستظرف احتوى على فوائد من علم الادب وهي عشرون وجها والعشرون وجها في السرقة جلبتها من كتاب الوكيعي على اختصار (قوله والذي جعل الشعر ديوان العرب) أي كتابا دون فيه أخبارهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الشعر جزل من كلام العرب به يعطى السائل ويكظم الغيظ وبه يؤتى القوم في ناديهم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان من الشعر لحكمة رواه ابن عمر رضي الله عنه * عمر رضي الله عنه قال تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوي تتقى وحكمة للحكماء ويدل على مكارم الاخلاق (قوله ياخاطب الدنيا الدنية) أي التي لا خير فيها (شرك) مصايد (الردى) الهلاك (قرارة) موضع يستقر فيه الماء (الاكدار) ما يتكدر به الماء الصافي (أظل) دنا وقرب (ينتقع) يرتوي (صدى) عطش (جهامه) سحابه الذي لا ماء فيه (الغرار) الخداع (تنقضي) تنقطع وتم أراد أن الدنيا تهلك من فيها فكنى بالاسير عن ذلك وأسير الموت لا يفدى (الجلائل) جمع جليلة وهي الشئ الرفيع * وتقدمت الاخطار (مزده) معجب (غرورها) خداعها (متمردا) متجاوزا الحد في الفساد (المجن) الترس (أولغت) جعلتها تلغ الدم (المدى) جمع مدية السكين (نزت) وثبت عليه (الثار) طلب الدم وأراد أنها ما بسطت الارزاق للانسان فأعجب بها وركب رأسه في الفساد تحولت عليه وسقت سكينها من دمه والعرب تقول قلبت له ظهر المجن أي غيرت له حالي وهو مثل يضرب للمحاربة بعد المسالمة وأصله في الحرب لان الرجل اذا صالح صاحبه جعل بطن مجنه مما يلي صاحبه المصالح فاذا حاربه قلب له ظهره للقتال ومن جواب رسالة المهلب الى الحجاج وزعمت اني ان لم ألقهم في موضع كذا أسرعت الى صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن ثم اذا كانت الواقعة فهذا يبين ما ذكرناه

فقال والذي جعل الشعر ديوان العرب وترجمان الادب ما أحدث سوى أن يترشح لشرحه وأغار على شئ سرحه فقال له أنشد أبياتك برمتها لينضح ما احتازه من جلتها فأنشد

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دار متى ما أضحكت في يومها * أبكت غدا بعدا لها من دار

واذا أظل سحابها لم ينتقع * منه صدى لجهامه الغرار

غاراتها ما تنقضي وأسيرها * لا يفتدى بجلائل الاخطار

كم مزده بغرورها حتى بدا * متمردا متجاوز المقدار

قلبت له ظهر المجن وأولغت * فيه المدى ونزت لاخذ الثار

(اربأ بعمرك) أي ارفع منها نفسك واحتفظ فيها بعمرك وتقول ربأت القوم أي صرت لهم ربيئة وهو الحارس لهم والمربأ الموضع المشرف الذي يقعد فيه الناظر فعنى اربأ بنفسك أي ارتفع بموضع ممتنع واحترس فيه لتنجو (سدى) مهملا (استظهار) استعداد وقد استظهرت بالشئ فظهرت به وأظهرته اذا جعلته خلف ظهرك حماية ووقاية والظهير المعاون و(العلائق) كل ما يعلق القلب بحب الدنيا و(الرفاهة) الخفض والعيش الهنيء (الاسرار) البواطن يريد ان سر الانسان وخاطره اذا قطع علائق الدنيا كان مسترفها خالي السر والبال (ارقب) احرس (سالمت) سالحت (كيدها) مكرها (الغدار) الذي يؤملك فاذا أمنته خانك (وتوثبه) تهيؤه للوثب عليك (خطوبها) أمورها ونوازلها (نغبأ) تأتي على غفلة (ونت) فترت و(السرى) مشي الليل (الاقدار) ما يقدره الله على العبد من خير أو شر فيقول اذا أمنتك الدنيا من مكرها فلا تأمنها فخطوبها تأتي على غفلة بعد أمد طويل وضمن هذا الشعر وصايا في التحذير من الدنيا ونسوق هنا من النظم والنثر ما ينتظم في سلك ما نظم قال النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها ومن أخذها بغير حقها كان كالآكل الذي لا يشبع وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه صف لنا الدنيا فقال ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عذاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وقال ابنه محمد بن الحنفية من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وقيل لبعض الحكماء صف لنا الدنيا فقال أمل بين يديك وأجل مطل عليك وشيطان فتان وأماني جرارة العنان تدعوك فتستجيب وترجوها فتخيب وقيل لآخر صف لنا الدنيا فقال ناقضة للعزيمة مرتجعة للعطية كل من فيها يجري الى ما لا يدري وقال هرون الرشيد لو قيل للدنيا صفي نفسك ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبي نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وقال آخر

يا خاطب الدنيا الى نفسه * تنح عن خطبتها تسلم
ان التي تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

(وقال أبو العرب الصقلي)

ولا يغررك منها حسن برد * له علمان من علم الذهاب
فأوله رجاء من سراب * وآخره رداء من تراب

(وقال أبو العتاهية)

أصبحت الدنيا لنا فتنة * والحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

وله أيضا

هي الدنيا اذا اكتملت * وتم سرورها خذلت
وتفعل في الذين بقوا * كما فيمن مضى فعلت

وقال المتنبي

أبدا تسترد ما تهب الدنـ * ـيا فيا ليت جودها كان بخلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحـ * ـفظ عهدا ولا تتمم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها * وبفك اليدين منها تخلى
شيم الغانيات فيها فلا أد * ري لذا أنث اسمها الناس أم لا

وله أيضا

فذي الدار أخون من مومس * وأخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها * وما يحصلون على طائل

(وقال المعري)

وجدنا أذى الدنيا لذيذا كأنما * جنى النحل أصناف الشقاء الذي نجني

على

فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا
فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها
تلق الهدى ورفاهة الاسرار
وارقب اذا ما سالمت من كيدها
حرب العدا وتوثب الغدار
واعلم بأن خطوبها تفجا ولو
طال المدى ووَنت سرى الاقدار
فقال له الوالي ثم ماذا اصنع
هذا فقال

(ذكر التحذير من الدنيا)

على أم دفر غضبة الله انها * لا جدر أتى أتت قضوت وأن تضنى
كعاب دجاها فرعها ونهارها * محياها وامت له الشمس بالحسن
كان بنيها يولدون ومالها * حليل فتخشى العار ان سميت باين

(وقال ابن عبد ربه)

ألا انما الدنيا غضارة أيكة * اذا اخضر منها جانب جف جانب
هى الدار ما الآمال الا فجائع * عليها ولا اللذات الا مصائب
فلا تكحل عيناك فيها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

(وقال أبو العتاهية)

رضيت بذى الدنيا لكل مكاسر * ملح على الدنيا وكل مفاخر
ألم ترها ترقيه حتى اذا سما * فرت حلقه منها بشفرة جازر

(وقال أبو بكر البلوى)

ان الذى أصبح لا والد * له على الارض ولا والده
قدمات من قبلهما آدم * فأى نفس بعده خالده
ان جئت أرضا أهلها كلهم * عور فغمض عينك الواحده

قال ابن عمران

أف لدنيا قد شغفنا بها * جهلا وعقل للهوى متبع
فتانة تخدع طلابها * فلا تكن ممن بها ينخدع
أضغاث أحلام اذا حصلت * أو كوميض البرق مهما لمع

وقال ابن قاضى ميلة

لدنياك نور ولكنه * ظلام يحار به المبصر
فان عشت فيها على أنها * كما قيل قنطرة تعبر
فلا تعمرن بها منزلا * فان الخراب لما تعمر
ولا تدخرن خلاف التقى * فتفنى ويبقى الذى تدخر

ابن عمران واعلم ان الانسان لا يحب شيأ الا أن يجانسه فى بعض طباعه وان الدنيا جانست الانسان فى بعض طبائعه فأحبها لكله وقال

نراع لذكر الموت فى حال ذكره * وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كنت منه فهو شئ محبب

وقال ابراهيم بن أدهم

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

وهذا مثل قول أعرابى قيل له كيف أنت فى دينك فقال أخرقه بالمعاصى وأرقعه بالاستغفار

وللاعمى الطليطلى

تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا * ان سوف تقتلهم لذاتهم بددا
قل للمحدث عن لقمان أولبد * لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذى همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر فى الثرى أحدا
مالابن آدم لا تفنى مطالبه * يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

تأمل هذه المقاطع فانها تضمنت حكما وآدابا وكل قطعة منها لها تعلق بشعر الحريرى اما باللفظ أو بالمعنى

(قوله أقدم) أى تقدم (لؤمه فى الجزاء) يريد أنه جازاه على مافعل معه من الخير مجازاة لئيم فسرق شعره (السداسية الاجزاء) لان عروضها من الكامل وأجزاؤها متفاعلن ست مرات (الرزء)

اقدم للؤمه فى الجزاء على أبياتى السداسية الاجزاء فحذف منها جزأين ونقص من أوزانها وزنين حتى صار الرزء فيها رزأين فقال له بين ما أخذ ومن أين

فلذ فقال أرعني سمعك واخل للتفهم مني ذرعك حتى تتبين كيف أصلت على وتقصد قدر اجترامه الى ثم أنشد وانفاسه تتصعد
يا خاطب الدنيا الدنيـ
ـة انها شرك الردى
دار متى أضحكت
في يومها أبكت غدا
واذا أظل سحابها
لم ينتقع منه صدى
غاراتها ماتنقضى
وأسيرها لايفتدى
كم مزدهٍ بغرورها
حتى بدا متمردا
قلبت له ظهر المجـ
ـن وأولعت فيه المدى
فاربأ بعمرك ان عمـ
ـر مضيعا فيها سدى
واقطع علائق حبها
وطلابها تلق الهدى
وارقب اذا ما سالمت
من كيدها حرب العدا
واعلم بأن خطوبها
تفجا ولو طال المدى
فالتفت الوالي الى الغلام وقال تبا لك من خريج مارق وتلميذ سارق فقال الفتى برئت من الادب وبنيه ولحقت بمن يناويه ويقوض مبانيه ان كانت أبياته نمت الى علمي قبل ان ألفت نظمي وانما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر قال فكأن الوالي جوز

المصاب (فلذ) قطع (أرعني سمعك) أي اسمع مني (ذرعك) بالك وقلبك (أصلت) جرد سيفه (تتصعد) تتطلع الى فوق (الخريج) الذي خرجه معلمه وفلان خريجك أي الذي خرج بتهذيبك وتعليمك (مارق) خارج عن الطاعة (وتلميذ) طالب متعلم (برئت) زلت وانفصلت (يناويه) يعاديه (يقوض) يهدم (نمت) اتصلت ونميت الحديث أسندته (ألفت نظمي) جمعت شعري (توارد الخواطر) تواطؤ الاذهان أي وقع لذهن الفتى من الكلام ماوقع لذهن الشيخ مثل الحافر الذي يقع على الحافر وهذا الكلام يعزى لابي الطيب المتنبي وسئل عن اتفاقات الخواطر فقال الشعر ميدان والشعراء فرسان فربما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر قال الاصمعي رحمه الله تعالى قلت لابي عمرو بن العلاء أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلق أحدهما صاحبه ولا سمع شعره فقال لي تلك عقول رجال توافقت على ألسنتها ومن مشهور ذلك ماوقع في القصيد تين البائيتين لامرئ القيس وعلقمة وكذلك اتفاقه مع طرفة في قوله

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجلد

وقال امرؤ القيس وتجمل ومن توارد الخواطر قول ربيعة بن مقروم

لو أنها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متبتل

وقال النابغة صرورة متعبد وقال

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولهم من ناموره يتنزل

وقال النابغة لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

ناموره صومعته ومن ذلك ماحكى أبو علي انه خرج جرير والفرزدق مردفين الى هشام بن عبد الملك فنزل جرير يبول فتلفتت الناقة فضربها الفرزدق وقال

الام تلفتين وأنت تحتي * وخير الناس كلهم أمامي
متى تردي الرصافة تستريحي * من التهجير والدبر الدوامي

ثم قال الآن يجيء جرير فأنشده البيتين فيرد علي

تلفت انها تحت ابن قين * الى الكيرين والفأس الكهام
متى تردي الرصافة تخز فيها * كخزيك في المواسم كل عام

قال فجاء جرير والفرزدق يضحك فقال مايضحكك يا أبا فراس فأنشده البيتين فقال جرير تلفت انها البيتين كما قال الفرزدق سواء فقال والله لقد قلت هذين البيتين فقال جرير أما علمت أن شيطاننا واحد ومر رجل بالفرزدق بالمربد فقال من أين أقبلت قال من اليمامة قال فأي شئ أحدث ابن المراغة فأنشده * هاج الهوى لفؤادك المهتاج * فقال الفرزدق * فانظر بتوضح باكر الاحداج * فقال الرجل * هذا هوى شغف الفؤاد مبرح * فقال الفرزدق * ونوى تقاذف غير ذات خلاج * فقال الرجل * ان الغراب بما كرهت لمولع * فقال الفرزدق * بنوى الاحبة دائم التشحاج * فقال الرجل هكذا والله قال أفسمعتها من غيري قال لا ولكن هكذا ينبغي أن يقال فقال أما علمت ان شيطاننا واحد ودخل الفرزدق على امرأة من عقيل فحدثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل فاقبلت عليه تحدثه وتركت الفرزدق فغاظه ذلك وقال للفتى أتصارعني قال ذلك اليك فقام الفرزدق فلم يلبث أن أخذه الفتى مثل الكرة فصرعه وجلس على صدره فضرط الفرزدق فوثب الفتى عنه وقال هذا مقام العائذ بك والله ما أردت ماجرى فقال والله ما بي ذلك ولكن كأني بابن المراغة جرير قد بلغه الخبر فقال

جلست الى ليلى لتحظى بقربها * فخانك دبر لايزال خؤن
فلو كنت ذا حزم شددت وكاءها * كما شد خرقا بالدلاص قيون

فلما بلغ الخبر جرير قال البيتين وأمر سليمان بن عبد الملك الفرزدق أن يضرب رقاب أسرى فاستعفاه

فلم

فلم يفعل وأعطاه سيفا لا يقطع فضرب به عنق رومي فنبا السيف فضحك سليمان ومن حوله فجلس وهو يقول

أيعجب الناس ان أضحكت سيدهم * خليفة الله يستسقى به المطر

لم ينب سيفي عن رعب ولا دهش * عن الاسير ولكن أخر القدر

ثم قال ما ان يعاب فرس اذا كبا ولا يعاب صارم اذا نبا ثم جلس وهو يقول كأني بابن المراغة قد بلغه الخبر فقال

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الامام فأرعشت * يداك وقالوا محدث غير صارم

وانصرف فجاء جرير وأخبر الخبر فقال بسيف أبي رغوان البيتين ثم قال كأني يا أمير المؤمنين بابن القين قد أجابني فقال

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

فأخبر الفرزدق القصة فقال

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع احيانا مناط التمائم

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

وهل ضربة الرومي جاعلة لكم * أبا عن كليب أو أبا مثل دارم

فهذا ان صح من أعجب اتفاق الخواطر وقال الاقيشر

جريت مع الهوى طلق العتيق * وهان علي مأثور الفسوق

وجدت ألذ عارية الليالي * قران النغم بالوتر الخفوق

ومسمعة اذا ماشئت غنت * متى نزل الاحبة بالعقيق

تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرا الصبوح عرا الغبوق

(وقال أبو نواس رحمه الله تعالى)

جريت مع الهوى طلق الجموح * وهان علي مأثور القبيح

وجدت ألذ عارية الليالي * قران النغم بالوتر الفصيح

ومسمعة اذا ماشئت غنت * متى كان الخيام بذي طلوح

تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرا الغبوق عرا الصبوح

ومن ذلك ما نسب السري الخالدي فيما قدمناه من سرقة شعره قال السري

وكأن كأس مدامها * لما اربدت بحبابها

توريد وجنتها اذا * مالاح تحت نقابها

قال أبو بكر الخالدي

فكأن الكأس لما * ضحكت تحت الحباب

وجنة حمراء لاحت * لك من تحت النقاب

وقال السري في وصف جام فيه فالوذج

بأحمر مبيض الزجاج كأنه * رداء عروس مشرب بخلوق

له في الحشا برد الوصال وطيبه * وان كان تلقاه بلون حريق

كأن بياض اللوز في جنباته * كواكب در في سماء عقيق

(وقال أبو بكر الخالدي)

مداما كأن الكف من طيب نشرها * وصفرتها قد خلقت بخلوق

تعاينها نورا علاه تجمد * وتشربها نارا بغير حريق

كأن حباب الماء في جنباتها * كواكب لاحت في سماء عقيق

(وقال السري رحمه الله تعالى)

رأت شيبا بصاحبتي فصدت * وكان جزاؤه منها العبوسا
وقالت ادرأت المشط فيه * سواد الابنوس فكله نفيسا
تلق العاج منه بمشط عاج * ودع للابنوس الابنوسا

(وقال أبو عثمان أيضا)

وقفتني ما بين هجر وبوس * وانثنت بعد ضحكة بعبوس
اذ رأتني مشطت عاجا بعاج * وهي للابنوس بالابنوس

وهذا اما توارد أو تسارق والتسابق أشبه بهم (قوله زعمه) الزعم قول معه اعتقاد (بادرة) سابقة وهي الكلمة الرديئة تبدر من المتكلم (الفائق) الفاضل وفاق الناس فضلهم وعلاهم بقول أو علم (المائق) الاحمق الضعيف التدبير (المناضلة) المراماة (لزهما) ضمهما وشدهما (قرن) حبل يقرن به بين الشيئين (المساجلة) أن يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما من الماء مثل ما يخرج الآخر فايهما نكل فقد غلب وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب

من يساجلني يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب
وأنا الاخضر من يعرفني * أخضر الجلدة من بيت العرب

ومر الفرزدق بالفضل وهو يستقي وينشد البيتين فشمر ثيابه عن نفسه وقال أنا أساجلك فقيل له هذا الفضل بن العباس فرد ثيابه وقال ما يساجله الا من عض ابر أبيه ثم صارت المساجلة يقصد بها قصد المفاخرة وأراد هنا بالمناضلة والمساجلة أن يقول هذا بيتا وهذا بيتا حتى يعلم لمن الغلب وأكثر ما جرت به العادة فيها بانصاف الابيات كما شهر في قصة امرئ القيس والتوأم حين قال امرؤ القيس * أحار ترى بريقا هب وهنا * فقال التوأم * كنار مجوس تستعر استعارا * ثم مضيا على القطعة بالانصاف حتى كملت وهي مشهورة قال أبو العيناء وقف علي غلام يسألني ما أحسبه بلغ الحلم ولا قاربه وخرج غلام لي أسود قد اغتسل وهو يرعد وكان خبيثا فأومأت الى الاسود فقلت كأنه ذنب غضى أزل * فقال الغلام * بات الندى يضربه والطل * فوصلته بدراهم وانصرف واجتاز ابن أبي الخصال من بلده شقورة بأبدة وهو صبي صغير يطلب الادب فأضافه بها القاضي ابن مالك ثم خرج معه الى حديقة معروشة فقطف لهم منها عنقودا أسود فقال القاضي * انظر اليه في العصا * فقال ابن أبي الخصال * كرأس زنجي عصا * فعلموا أنه سيكون له شأن في البيان ومثل ذلك ما حدثني به الشيخ الفقيه أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبي عبد الله ان أبا بكر بن المجبل وأبا بكر بن الملاح الشبليين كانا متواخيين متصافيين وكان لهما ابنان قد برعا في الطلب وحازا قصب السبق في حلبة الادب فتهاجى الابنان بأقذع هجاء فركب ابن المجبل في عسكر من الاعصار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء ابن الملاح ويقول له قطعت ما بيني وما بين صفيي أبي بكر باقذاعك في ابنه فقال له انه انه بدأني والبادي أظلم وانما يجب أن يلحى من بالشر تقدم فعذره أبوه فبينما هما على ذلك اذ أقبل على واد تنق فيه ضفادع فقال أبو بكر لابنه أجز نق ضفادع الوادي * فقال ابنه * بصوت غير معتاد * فقال الشيخ كان نقيق مقولها * فقال ابنه * بنو الملاح في النادي * فلما أحست الضفادع بهما صمتت فقال أبو بكر * وتصمت مثل صمتهم * فقال ابنه * اذا اجتمعوا على زاد * فقال أبو بكر * ولا غوث للمهوف * فقال ابنه * ولا غيث لمرتاد * والاجازة بالابيات بكمالها كثيرة مشهورة وحكى الماوردي ان الناس تذاكروا حفظ السر بمجلس عبد الله بن طاهر فقال عبد الله

ومستودعي سرا تضمنت ستره * فأودعته من مستقر الحشى قبرا

صدق زعمه فندم على بادرة ذمه فظل يفكر فيما يكشف له عن الحقائق ويميز به الفائق من المائق فلم ير الا أخذهما بالمناضلة ولزهما في قرن المساجلة

فقال ابنه عبيد الله وهو صبي

وما السرفي قلبي كثاو بحفرة * لأنى أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكننى أخفيه حتى كأنه * من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

* وحكى الفقيه أبو الحسن ان أباه حدثه أن الاديب أبا الطاهر ابن أبي ركب حضر عنده بسبتة بقرية شنان في نزهة شعبان لاستقبال رمضان فأكل مع من حضر ضروبا من الاطعمة والالوان فقال أبو الطاهر رحمه الله تعالى لابي عبد الله بن زرقون اجز

حدث لشعبان المبارك شبعة * تسهل على الجوع في رمضان

فقال أبو عبد الله رحمه الله تعالى

كاحد الصب المتيم زورة * أطاق لها الهجران طول زمان

(فقال أبو الطاهر)

دعوها بشعبانية فلوانهم * دعوها بشعبانية لكفاني

وحدثني أيضا ان أباه شيخنا الفقيه أبا عبد الله المذكور قعد مع صهره أبي الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر المجاز وهو مضطرب الامواج فقال له أبو الحسن أجز

وملتطم الغوارب موجته * بوارح في مناكبها غيوم

فقال أبو عبد الله تمسح لا نعوم به سفين * ولو حدقت به الزهر النجوم

(قوله اقتضاح العاطل) أى شهرة الفارغ من قول الشعر (تراسلا) تجاريا والتراسل في الغناء والنشيد أن يتجاذب الصوت المغنيات والتراسل في الخيل ان ترسل فرسين في الطلق (تباريا) تجاريا (وتجاولا) تصرفا (والحلبة) يأتى ذكرها في المقامة وأراد تجاريا في الشعر كما يتجارى خيل الحلبة في الميدان (بسرك) قياسك وتجربتك لنا (متوارد) متسابق متتابع و(التجنيس) أن تكون الالفاظ متناسبة والمعاني متباينة (نلحمانها) ننسجانها (وشيه) رقمه (ترصعانها) تزينانها وكل ما نرزته او عقدته فهو مرصع (الف) معشوق يؤلف و يؤنس به (بديع) غريب (ألمى) أسمر واللمى ان تتعتق حمرة الشفة حتى تضرب الى السواد (التثنى) الانعطاف (التيه) الاعجاب والاحتقار بغيره (التجنى) ادعاء الجناية على عاشقه وذلك أن المعشوق يحسب كل ما يفعله عاشقه ذنبا عليه وجناية ليتوصل بذلك الى هجره ثم سمى الصد والاعراض تجنيا (مغرى) مولع (والتناسى) استعمال النسيان أراد أنه بعد عاشقه بالزيارة وغيرها فاذا ذكر بها قال نسيت (والصد) الاعراض (على هذا النسق) أى على هذا التتابع والانضمام (اتسق) انضم واجتمع ونسقت الشئ بالشئ ضممته اليه (أحوى) أسمر الشفة والحوة حمرة تضرب الى السواد يقال شفة حواء حمراء (رق) أى ملكني والرق الملك ورق الرجل رقا صار عبدا (برقة لفظه) بحلاوة كلامه (غادرني الف السهاد) تركني صاحب سهر (بغدره) بقلة وفائه (تصدى) تعرض (اسره) حبسه (بأسره) بجملته و(لزور) الكذب (ازوراره) انقباضه و(الهجر) الفحش (أستعذب) أستطيب (أجدّ عذابي) جدد عذابي (جدّ) زاد واجتهد (بره) اكرامه يريد متى زادني عذابا وهجرا ازددت فيه حبا وبرا (ذمامي) عهدي (مذمة) عيب (أحفظ) أغضب (التباهي) التفاخر (أكبره) أعظمه وأراه كبيرا (أفوه) أنطق (نشره) تحرك رائحته (رشف ثغره) تقبيل أسنانه (ثنيت) عطفت (اعنتي) جمع عنان (اجتلي) أنظر (نور بدره) حسن وجهه يقول لولا حسن تثنيه لتركته وملت الى غيره ثم قال واني على ما يلقاني به من الهجر والجفاء والقاه به من البر والصفاء ليرجع عندى المر من أفعاله حلوا في اتباعي لما يحب ويأمر به وقد أنشدوا في ذلك

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالكا

الاجازة وتجاريا بالجزى هلا عن بينة وتجيا من حى عن بينة فقالا له بلسان واحد وجواب متوارد قد رضينا بسبرك فمرنا بامرك فقال انى مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه لها كالرئيس فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها بوشيه وترصعانها بحليه وضمناها شرح حالى مع الف لى بديع الصفة ألمى الشفة مليح التثنى كثير التيه والتجنى مغرى بتناسى العهد واطالة الصد واخلاف الوعد وأناله كالعبد قال فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا وتجاريا بيتا فبيتا على هذا النسق الى أن كمل نظم الابيات واتسق وهى

وأحوى حوى رقى برقة ثغره وغادرني الف السهاد بغدره

تصدى لقتلى بالصدود وانني في أسره مذ حاز قلبي بأسره

أصدق منه الزور خوف ازوراره

وارضى استماع الهجر خشية هجره

واستعذب التعذيب منه وكلما أجدّ عذابي جدّ بي حب بره

تناسى ذمامى والتناسى مذمة وأحفظ قلبي وهو حافظ سره

وأعجب ما فيه التباهي بعجبه وأكبره عن أن أفوه بكبره

له منى المدح الذي طاب نشره ولى منه طى الود من بعد نشره

ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى

على وغيرى يجتنى رشف ثغره ولولا تثنيه ثنيت أعنتى * بدارا الى من أجتلى نور بدره

وله أيضا

ولقد أراه في الغدير ورشقه من جانبيه
والماء مثل السيف وهـ * ـو فرنده في صفحتيه
صبغت بياض النيل حمـ * ـرة وردة في وجنتيه

ولابن الرقاق

غنيت من أهوى به وهو قاتلي * ورب منى للمرء فيه مناياه
فسافر ماني عن قسي حواجب * تنوب لها دأبا عن الرشق عيناه
أدلنا دماء في هواه وأدمعا * وضن لنا ظلما بلثم ثناياه
فيا رح الشوق المبرح ساميا * لأحوى حوى كل المحاسن مرآه
فنظره والثغر منه وعرفه * وقامته والردف منه وخداه
لشمس الضحى والدر والمسك نفحة * وغصن النقا والدعص والورد أشباه

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

ومهفهف نبت الشقيق بخده * واهتز أملود النقا في برده
ماء الشبيبة والجمال أرق من * صقل الحسام المنتضى وفرنده
يحيي الانام بلمحة من وصله * من بعد ما أوردوا الحمام بصده
ان كنت أهديت الفؤاد له فقل * أي الجوى بجوانحي لم يهده

وقال أيضا

أرق نسيم الصبا عرفه * وراق قضيب النقا عطفه
ومر بنا يتهادى وقد * نضا سيف أجفانه طرفه
ومد لمسمعه راحة * تخلت الاقاح بنا قطفه
اشار لتقبيلها في السلام * فقال فمي ليتني كفه

(ولادريس بن اليماني)

وذي لعس للاقحوان ثناياه * وللورد خداه وللآس صدغاه
وللسوسن الريان صفحة خده * وللظبي عيناه وللمسك رياه
فريد جمال تم لي توأم الهوى * به ولكل العاشقين فراداه

(ولبعض أصحابنا)

كف عني الملام يا من يلوم * ان لوم الشجي في الحب لوم
جل همي بأن أهيم حياتي * صغرت همة امرئ لا يهيم
أبدا أطلب الغرام مجدا * فكأني الى الغرام غريم
ان رعى أرمت رامه قلبي * مقلتاه حبي له لا يريم
صح حبي واعتل جسمي غرامي * آبكي الى هواه سقيم

وكل ما تضمنت هذه الجملة مع قطعة الحريري من التذلل والخضوع الى المحبوب فهو حكم الباب والمجمع عليه عند ذوي الالباب الا قوله وغيري يجتني رشف ثغره فان أكثر أهل هذا الشأن يأبون أن يكون المحبوب بين عاشقين وينسبون محبه الى خساسة الهمة ويعدونها على المحبوب من أكبر التهمة قال امرؤ القيس

اني بحبلك واصل حبلي * وبريش نبلك رائش نبلي
ما لم أجدك على هدى أثر * يقرو مقصك قائف قبلي

يقول أنا أديم مواصلتك ما لم أجد غيري يتبعك طمعا في مواصلتك وقال أبو ذؤيب

تريدين كيما تجمعيني وخالدا * وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

فهذا قد أبي الشركة على التساوي فكيف الاقامة على الجور الذي ذكر الحريري وقد قدمنا في العاشرة

للمولدين

للمولدين فناغيرهذا على أن المحبوب اذا كان حسن الخلق حسن القبول زاد فى أبهة جماله كما أن الجفاء فى المحبوب والخلق الذميم يطمس نور حسنه وينقص من كماله وأنشدوا

أيا حسنا أزرت قبائح فعله * عليه كما أزرى الكسوف على البدر

(وقال عبد الصمد المصرى)

فاوزين الحسن من وجهه * بهجرالصدود ووصل الوصال

لتم ولكن ما ان أرى * جميل المحيا جميل الفعال

(وقال آخر)

صحا عن حبك القلب المشوق * فما يصبو اليك ولا يتوق

جفاؤك كان عنك لنا عزاء * وقد يسلى عن الولد العقوق

فهذه جملة كافية ونرجع الى ذكر أنواع البلاغة فى صناعة الشعر التى سماها المحدثون صنعة البديع والشعراء يتفاضلون فى سياقها والاقتدار عليها وهى فى أشعار العرب موجودة وفى الشعر المولد أكثر وأنا آتى منها بما للناظر فيه كفاية بعون الله سبحانه وتعالى ونبدأ منها بالتجنيس الذى أولع به الحاكم فى المقامة *(التجنيس)* هو اتفاق اللفظ أو أكثره واختلاف الحكم قال أبو بكر حازم بن حازم التجنيس أن تجىء الكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر أو كلام وهو من أضيق أنواع البديع فمنه قوله تعالى وأسلمت مع سليمان وأقم وجهك للدين القيم وفى الحديث عصية عصت الله ورسوله وغفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله والظلم ظلمات يوم القيامة وقال خالد بن صفوان لرجل من بنى عبد الدار هشمتك هاشم وأمتك أمية وخزمتك مخزوم وأنت من عبد دارها ومنتهى عارها تفتح لها الابواب اذا أقبلت وتغلقها اذا أدبرت والتجنيس أنواع فمنه تجنيس اللفظ وهو ما تقدم ومنه تجنيس الخط وهو ما يصح تصحيفه كقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وفى حديث سعد بن أبى وقاص لما أسلمت راغمتنى أمى فهى مرة تلقانى بالبشر ومرة تلقانى بالبسر *البحترى من سعادة جدك وقوفك عند حدك وفى رسالة عاد الى المسامحة والمحاسنة بعد المشاحة والمخاشنة وقال البحترى

ولم يكن المعتز بالله اذ سرى * ليعجز والمعتز بالله طالبه

(وقال البحترى أيضا)

وما الا كريش النسر مهما رأيته * جناحا لشهم عاد ريشا على سهم

*ومنه تجنيس السمع كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومن رسالة لم يكن لامره مضيعا ولا لسره مذيعا *البستى من لم يكن لك نسيبا فلا ترج منه نصيبا ومن لم يكن لك صدره بالحاجات فسيحا فلا تسمع له بها لسانا فصيحا وقال

أبوك كريم غير أنك سابق * مداه فلا ضيم عليك ولا ذيم

فلا تعجبن الناس مما أقوله * وأقضى به فالغيث يقدمه الغيم

(وقال المعرى رحمه الله تعالى)

أعوذ بالله من قوم اذا سمعوا * خيرا أسروه أوشرا أذاعوه

وخالد بن سنان ليس ينقصه * من قدره السكون فى حى أضاعوه

ومنه تجنيس المضارعة فمنه من رسالة أنا به بين احتفاء واحتفال وبين ذكر مطرب وثناء مغر مغرب وقال أبو تمام

يمدون من أيد عواص عواصم * تطول بأسياف صوار صوارم

وقال المعرى *من اتقى الله فهو السالم السارى *وقال ابن عمار

اذا ركبوا فانظره أول طاعن * وان نزلوا فانظره آخر طاعم

وباب التجنيس فاق الناس فيه حبيب والناس له تبع كما انفرد بحسن القطع فى آخر قصائده فلا يكاد الشاعر الماهر يزيد بيتا فى آخر قصائده فى الغالب كما انفرد الحسن بحسن الابتداء فلم ابتدا آت لا يجارى فيها كما انفرد ابن المعتز بجودة التشبيه يكاد على كثرته فى شعره أن لا يسقط له تشبيه واحد كما انفرد المتنبى بلطف التخلص من التغزل الى المدح ومن تجنيس حبيب قوله

عذا الشعر الثغور المتضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب

السلسال العذب والحصب الجارى على الحصباء شبه الريق به ففى هذا البيت من صنع البديع التجنيس والطباق والتتميم والترديد والتبليغ وتأتى هذه الانواع فى هذا الفصل وحبيب أكثر الناس استعمالا لصنع البديع ومن شعره يتعلم وقال أيضا

كم نيل تحت سناها من سنى قمر * وتحت عارضها من عارض شنب

وقال أيضا يا من تدى عينيه تلك الدمى * فيه ويقمر ليلة الاقمار

أخذه البحترى فقال

جافى المضاجع لا ينفك فى طلب * يكاد يقمر من لألائه القمر

وأنشد أبو على الفارسى فى نوادره لابى الغول الطهوى يصف سحابا

وقرى كل قرية كان يقرا * ها قرى لا تجف منه القرى

وفى المقامات من التجنيس كثير وفى هذا الشرح منه ما يستظرف ويستبدع فمما يستحسن منه قول السرى يمدح سيف الدولة

أغرتك الشهاب أم النهار * وراحتك السحاب أم البحار

خلقت منية ومنى فأضحت * تمور بك البسيطة أو تمار

تحلى الدين أو تحمى حماه * فأنت عليه سور أو سوار

سيوفك من شكاة الثغر برء * ولكن للعدا فيها بوار

وكفك الغمام الجود يسرى * وفى احشائه ماء ونار

فمنى من سجيتها المنايا * ويسرى من عطيتها اليسار

ومن الشعر الذى جمع الى التجنيس حسن التقسيم والطباق جواب الصابى أبا أحمد الشيرازى من شعر يشتكى له نقرسا أصابه وأوّله

الى الله أشكو ضنى شفنى * وكم قبله من ضنى قد شفانى

فأجابه الصابى عنانى من الهم ما قد عنانى * فأعطيت صرف الليالى عنانى

ألفت الدموع وعفت الهجوع * فعيناى عينان نضاختان

لسقم ألح على سيد * به قد غفرت ذنوب الزمان

وكيف سطا بهما واستطال * وأرض بساطهما النيران

وهلا تجاوزه قاصدا * الى عصبة عصبت بالهوان

اذا ما سعى لطلاب العلا * فكل أوان هم فى توان

* أتتنى بالامس أبياته * تعلل روحى بروح الجنان

كبرد الشباب وبرد الشراب * وظل الامان ونيل الامانى

وعهد الصبا ونسيم الصبا * وصفو الزمان ورجع القيان

أجبت عن الشعر مسترسلا * بطبع شجاع وقلب جبان

ولولا سكونى الى فضله * قبضت بنانى بقبض اللسان

(وقال أبو الفتح البستى)

اتّ أسيافنا العضاب الدوامى * صيرت ملكنا قرين الدوام

باقتسام الاموال من وقت سام * واقتصام الاموال من وقت حام

(ذكر التشبيه)

(التشبيه) وقد أوردنا فى هذا الكتاب منه كل غريب والتشبيهات على ضروب مختلفة فمنها تشبيه الشئ بالشئ صورة وهيئة ومنها تشبيهه به معنى ومنها تشبيهه به لونا ومنها تشبيهه به صوتا ومنها تشبيهه به حركة وسرعة فالاول كقوله

كأنّ قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

اجمع أهل العلم بالشعر كابى عمرو بن العلاء والاصمعى أن أحسن التشبيه ما يقابل به تشبيهان فى بيت واحد وان أحدا لم يقل ذلك كبيت امرئ القيس كأن قلوب الطير وقال بشار مازلت مذ سمعت قوله كأن قلوب الطير أراود نفسى أن أشبه شيئين بشيئين ولا أستطيع ذلك الى ان قلت

كأنّ مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ويابعد ما بين البيتين على أن بيت بشار غريب ولا أحفظ للبيتين ثالثا الا أن بشارا قد قال أيضا

من كل مشتهر فى كف مشتهر * كأنّ غرته والسيف نجمان

وأما تشبيه المعنى فكتشبيه الشجاع بالاسد والجميل بالقمر وكقوله

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

واللون كقول ابن هرمة

وليل كسربال الغراب ادّرعته * اليك كما اخبث اليمانى أجدل

(ذكر أدوات التشبيه)

والصوت كقول النابغة *له صريف صريف القعو بالمسد *والحركة والسرعة كقول امرئ القيس *كجلمود صخر حطه السيل من عل *وربما امتزجت هذه المعانى بعضها ببعض فاذا اتفق فى الشئ المشبه معنيان أو ثلاثة معان من هذه الاوصاف قوى التشبيه وتأكد الصدق فيه وأصدق التشبيهات ما اذا عكس لم ينتقض بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه ويكون صاحبه مشبها به صورة ومعنى كقول امرئ القيس

نظرت اليها والنجوم كأنّها * مصابيح رهبان تشب لقفال

فتشبيه النجوم بالمصابيح لفرط ضيائها صحيح وتشبيه المصابيح بالنجوم صحيح وربما أشبه الشئ الشئ صورة وخالفه معنى وقد تقدّم ذكر ذلك فى الثانية وربما قاربه ودانا ه وشابهه مجازا لا حقيقة* وأدوات التشبيه كانّ والكاف ومثل وتسقط الكاف مع المصدر فيشبه بالمصدر وقد يشبه بقولهم تخاله وتحسبه فما كان منه صادقا قيل فيه كأنه أو كذا وما قارب الصدق قيل فيه تراه أو تخاله فاذا حققت هذا الفصل انكشفت لك أسرار التشبيه وقد تقدم نوع من التشبيه فى الثانية وسيأتى

(ذكر الاستعارة)

فى الاربعين تشبيهات الغريب العقم فى حكاية الاصمعى *(الاستعارة)* هى من العارية لانّ الشاعر يعير المعنى ألفاظا غير لفظه الموضوع له وهى على ثلاثة أوجه أحدها ما يستعيره الشاعر من الالفاظ على سبيل التمثيل وتتميم المعانى وهذا الضرب يعدّ فى البديع ومحاسن الشعر وهو كثير فى كلامهم وعليه انبنى كتاب المقامات وقلما يوجد بيت يخلو منه وما جاء منه فى القرآن سماه بعضهم مجازا وأباه بعضهم نحو قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة واشتعل الرأس شيبا وقال النبى صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وقال امرؤ القيس *وليل كموج البحر أرخى سدوله * وقال علقمة وهو بديع * والصبح بالكوكب الدرى منحور * وقال زهير فى الحرب ضروس تهز الناس أنيابها عضل *وقال عمرو بن كلثوم

الا أبلغ النعمان عنى رسالة * فمجدك حولى ولومك قارح

وقال الحسن

فى مجلس ضحك السرور به * عن ناجذيه وحلت الخمر

(وقال العباس بن الاحنف)

قد سحب الناس أذيال الحديث بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدرى أنه صدقا

*الثانى ان ينتحل الشاعر قولا لغيره فيدخله فى شعره وهذا هو الاجتلاب الذى نفاه جرير عن نفسه بقوله

ألم تعلم مسرحى القوافى * فلا عيابهن ولا اجتلابا

*الثالث أن يستعير الشاعر ألفاظا كان غنيا عنها او المعنى غير مفتقر اليها ويسمى الحشو والاستعانة ويحسن بقدر ما يحتمل من الفوائد ويقبح اذا فرغ منها

(ذكر الاشارة)

(الاشارة) قال قدامة الاشارة هى اشتمال اللفظ القليل على المعانى الكثيرة باللمحة الدالة ولم يأت أحد منها بمثل قول زهير

وانى لو لقيتك فاجتمعنا * لكان لكل منكرة كفاء

وقال امرؤ القيس على هيكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جرى غير كز ولا وان

فتأمل ما اشتملت عليه لفظة أفانين مما لو عد كان كثيرا وما اقترنت به من جميع أصناف الجودة طوعا عن غير طلب ولا مسئلة ثم نفى عنه الكزازة والونى وهما أكبر عيوب الخيل والاشارة من غرائب الشعر وملحه ولا يأتى بها الا الشاعر المبرز وتسمى اللمحة الدالة وأصلها الاختصار وهى أنواع فمنها الوحى كقول جاهلى فى يزيد بن الصعق

تركت الركاب لاربابها * وألزمت نفسى على ابن الصعق

جعلت يدى وشاحا له * وبعض الفوارس لا يعتنق

(ذكر الايماء)

فقوله جعلت يدى وشاحا له اشارة بديعة دالة على الاعتناق بغير لفظه *(ومنها الايماء)* فمن مليحه قول قيس بن الذريح

أقول اذا نفسى من الوجد أصعدت * لها زفرة تعتادنى هى ماهيا

وقول كثير تجافيت عنى حين لا لى حيلة * وغادرت ما غادرت بين الجوانح

فقوله غادرت ما غادرت ايماء مليح *(ومنها التلويح)* ومن أجوده قول النابغة فى طول الليل

تطاول حتى قلت ليس بمنقض * وليس الذى يرعى النجوم بآيب

فالذى يرعى النجوم هنا الصبح أقامه مقام الراعى يغدو فتذهب الابل والماشية فتلويحه هذا عجيب فى الجودة ومنه قول المجنون

لقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل * بى النقض والابرام حتى علانيا

(ذكر التعريض)

فلوح بالصحة والكتمان ثم السقم والاشتهار تلويحا عجيبا *(ومنها التعريض)* كقول عمرو بن معديكرب

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

أى لو أن قومى صدقوا فى القتال وطعنوا برماحهم أعداءهم لنطقت بمدحهم ولكنهم صرفوها عن أعدائهم منهزمين فكأنها أجرت لسانى أى شقته كما يجر لسان الفصيل فكأنها أسكتتنى فهذا تعريض ينوب عن التصريح وأخذه أبو بكر بن دريد فقال

يا بنى مالك عقلتم لسانى * كيف يجرى المقيد المعقول

لو سلكتم الى الفعال سبيلا * وضحت لى الى المقال سبيل

(ومن التعريض قوله)

بنى عمنا لا تذكروا الشعر بعدما * دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

(ومنه قول حميد بن ثور وقد تقدم)

أرى بصرى قد خاننى بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

(ذكر التفخيم)

(ومنها التفخيم) كقول الغنوى

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته * ولا ورع عند اللقاء هيوب

ونحو هذا الحكاية الاعرابي في نوادر أبي علي حين سئل أله بنون فقال نعم وخالقهم لم تقم عن مثلهم منجبة فاسمهم قال جهم وماجهم غشمشم وماغشمشم عشرب وماعشرب ومن هذا التفخيم ما يجيء على التهويل والتعظيم نحو قوله تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة وهو كثير في كلام العرب ومما جاء في الاشارة على معنى التشبيه قول الاعرابي يصف لبنا ممذوقا

* جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * فاشار الى تشبيه لونه اذا غلب عليه المذق بلون الذئب كما صرح به الآخر حين قال فبشر به مذقا وسقى عياله * سمابا كاقراب الثعالب أورقا

(ذكر المطابقة)

(المطابقة) أبو الفرج علي بن الحسين قلت لابي الحسن علي بن سليمان الاخفش وكان أعلم من شاهدته بالشعر طائفة وهم الاكثرون تزعم أن الطباق ذكر الشئ وضده فيجمعهما اللفظ لا المعنى وطائفة تقول هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد مثل قول زياد الاعجم

ونبئتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام

فكاهل قبيلة وكاهل العضو فقال من ذا الذي يقول هذا قلت قدامة وغيره فقال هذا يا بني هو التجنيس ومن ادعى انه طباق فقد ادعى خلافا على الخليل والاصمعي قلت أفكانا يعرفان هذا فقال سبحان الله وهل غيرهما في علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه قلت فانشدني أحسن طباق للعرب فقال قول عبد الله بن الزبير الاسدي

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

وقال أبو الفرج وأنا أقول ان أحسن بيت قيل فيه

للسود في السود آثار تركن بها * لمعا من البيض تثني أعين البيض

يعني أن الليالي بمرورهن تبيض سواد الشعر قال أبو حاتم سألت الاصمعي عن صنعة الشعر فذكر في بعض قوله المطابقة وقال أصلها وضع الرجل في موضع اليد فقلت أنشدني أحسن ما قالت العرب في ذلك فقال قول زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ما كذب الليث عن أقرانه صدقا

وقيل المطابقة أن يأتي الشاعر بلفظتين مختلفتين في المعنى واللفظ في بيت واحد أو في كلام نحو قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال علي رضي الله عنه من رضي عن نفسه كثر من يتسخط عليه وقال أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه وقال الحسن كثرة النظر الى الباطل تذهب بمعروف الحق وقال الفرزدق لعن الاله بني كليب انهم * لا يغدرون ولا يفون لجار

يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وقال حبيب يرى العلقم المأدوم بالعز أرية * عمانية والارى بالضيم علقما

(ذكر التقسيم)

(ومنها التقسيم) قال أبو الحسن علي بن هرون بن علي بن حماد بن اسحق الموصلي هو أن يستقصي الشاعر تفصيل ما ابتدأ به فيستوفيه فلا يغادر قسما يقتضيه الا أورده والى هذا كان يذهب أهلنا وأحسن ما قيل في ذلك قول زهير

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا * ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

وقول عنترة ان يلحقوا أكرر وان يستلحموا * أشدد وان يرموا بضنك أنزل

* أبو العيناء اجمع علماء الشعر أن أحسن تقسيم أتى به متقدم قول عمر بن أبي ربيعة

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا أنت تصبر

ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا بعدها يسلي ولا أنت مقصر

*المبرد لم أسمع أحسن من تقسيم لقيس بن ذريح وهو

وقد كان فيها للأمانة موضع * وللكف مرتاد وللعين منظر

وقد تقدم فى شرح الثانية بيت المتنبى فى التقسيم وهو بدت قمرا البيت ونسج على منواله الزاهر فقال

سفرت بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

وأطلعن فى الأجياد بالدر أنجما * جعلن لحبات القلوب ضرائرا

وقال الناشى رأيت على أكوارنا كل ماجد * يرى كل ما يفنى من المال مغنما

ندوم أسيافا ونعلو قواضبا * وتنقض عقبانا ونطلع أنجما

وقال السلامى ماضن عنك بموجود ولا بخلا * أعز ما عنده النفس التى بذلا

يحكى المطايا حنينا والهجير جوى * والمزن دمعا وأطلال الديار بلا

والتقسيم فى الشعر كثير *(التسهيم)* قال على بن هرون هذا اللقب من اختراعنا وصفة الشعر المسهم أن يسبق المستمع الى قوافيه قبل أن ينتهى اليها راويه حتى لو سمع الشطر الاول استخرج الآخر قبل أن يسمعه وأحسن ما قيل فى ذلك قول جنوب أخت عمرو ذى الكلب ترثى أخاها

(ذكر التسهيم)

فأقسمت يا عمرو لو نبهاك * اذا نبها منك داء عضالا

اذا نبها ليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء لا تشتكى الكلالا

فكنت النهار به شمسهم * وكنت دجى الليل فيه الهلالا

قال الحاتمى فانظر الى ديباجة هذا الكلام ما أصفاها والى تقسيماته ما أوفاها وانظر الى قوله مفيتا مفيدا ووصفها اياه بالشمس بالنهار والهلال بالليل تجد المطبع الممتنع القريب البعيد *(التتميم)* هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يترك شيأ يتم ويتكامل الاحسان معه فيه الا أتى به وأحسن ما قيل فى ذلك قول طرفة

(ذكر التتميم)

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

فقد تم الاحسان فى المعنى الذى ذهب اليه بقوله غير مفسدها ويتلوه قول خليفة بن إقم العمرى

رجال اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواطع

فالمعنى تم بقوله ويعطوه ولولاه كان ناقصا وقال حبيب

حتى لقد ظن الغواة وباطل * أنى تجسم فى روح السيد

فتم الاحسان فى المعنى الذى أراد بقوله وباطل والسيد الحميرى له فى الشيعية مذهب ردىء والغواة هنا القائلون بالتناسخ يقول لافراط حبهم فى أهل البيت توهم الغواة أن روح السيد تجسم فى وتوهمهم باطل *(الترديد)* هو تعليق الشاعر لفظة فى البيت بمعنى ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر وأكثر ما يستعمله المحدثون وأجمعوا أن أبا حية النميرى سبق الى الاحسان جميع من تقدمه وتأخر عنه فى قوله

(ذكر الترديد)

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا * لبسن البلى مما لبسن اللياليا

اذا ما تقضى للمرء يوم وليلة * تقاضاه شىء لا يمل التقاضيا

ابتدأ بالمصراع الاول فأحسن الابتداء ورد فى المصراع الثانى فأحسن فى الترديد ثم ابتدع فى البيت الثانى ما ليس لأحد مثله *أبو تمام لا أعلم أحدا أحسن صنعة فى الترديد من زهير فى قوله

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

*الحاتمى وأحسن الخليع الباهلى فى الترديد بقوله

لقد ملأت عينى محاسن * ملأن فؤادى لوعة وهموما

﴿التجريد﴾

(التجريد) وهو أن يجرّد الشاعر موصوفا من صفته ويسندها الاجنبي في الظاهر وهو يريد الاول في المعنى مثل قول الاعشى

ياخير من يركب المطي ولا * يشرب كأسا بكف من بخلا

فظاهره أنه لا يشرب كأسا بكف رجل ينسب الى البخل انما يشربها بكف كريم وذلك الكريم هو الممدوح في المعنى يجرده في الظاهر وهو يريد بكف بخيل من نفسه وأبو علي الفارسي اختار لهذه الصنعة اسم التجريد ومنه قول طرفة

جازت البيد الى أرحلنا * آخر الليل بيعفور حذر

يعني بيعفور حذر من نفسها وقال الاخطل

ربيع حيا ما يستقل بحمله * سؤم ولا مستنكس البحر ناضبه

أي ما يستقل بحمله سؤم من نفسه أي ليس بملول وقال النابغة

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم * طفحت عليك بناتق مذكار

ومما يتعلق بنوع من التجريد قول امرئ القيس * على لاحب لا يهتدي بمناره * فظاهره أن المنار الذي يهتدى به الى الطريق لا يهتدى به وهو في المعنى قد جرد الطريق من المنار وانما أراد ليس به منار أصلا فليس ثم اهتداء فنفى المسبب الذي هو الاهتداء وأثبت السبب الذي هو المنار في اللفظ واتكل على قوة دلالة المعنى وان مراده نفي سبب الهداية الذي هو المنار فتنتفي الهداية ومثله قول النابغة يحفه جانبا نيق ويتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

أي ليس بها رمد فتحتاج الى كحل وقال الراجز * ولم يقلب أرضها البيطار * وقال الله عز وجل ولم يكن له ولي من الذل وهو كثير في الكلام *(التتبيع)* هو أن يريد الشاعر معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ تابع له فاذا قال التابع أبان عن المتبوع وأبدع ما في ذلك قول عمر بن أبي ربيعة

﴿التتبيع﴾

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

ذهب الى طول العنق فلم يذكره بلفظ خاص به بل أتى بمعنى دل به على طوله وهو قوله بعيدة مهوى القرط ومثله قول الآخر

تعلق في مثل السواري سيوفنا * وما بينها والكعب مهوى نفانف

فأراد تعلق سيوفنا في أعناق مثل السواري في الطول والاعتدال وما بين العنق والكعب طول كثير فكنى عن طول القامة بغير لفظه الخاص به وأبدع ما في التتبيع قول امرئ القيس * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل * فدل على ترفهها وأن لها من يكفيها المؤنة باللفظ التابع لذلك *(التبليغ)* وسماه قوم الايغال وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما قبل انتهائه الى القافية ثم يبلغ القافية بزيادة مفيدة تزيد معنى البيت براعة * السوري قلت للاصمعي رحمه الله تعالى من أشعر الناس قال من يأتي الى اللفظ الخسيس فيجعله بلفظ حسن أو يقضي كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى مثل قول ذي الرمة

﴿التبليغ﴾

أظن الذي يجدي عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان المفصل

فتم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال المفصل فزاد شيأ * ومن التبليغ قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

فقد أتى على التشبيه قبل القافية وزاد بقوله الذي لم يثقب بلوغا الى الغاية القصوى في الجودة وكذلك قوله اذا ما جرى شأوين وابتل عطفه * تقول هزيز الريح مرت بأثأب

فمرت بأثأب زيادة على التشبيه التام والاثأب شجر يكون للريح في أغصانه حفيف شديد فأفادت الزيادة في التشبيه معنى بديعا وقال زهير

كأن فتات العهن فى كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

وسمى أصحاب البديع هذه الزيادة فى آخر البيت الايغال والتبليغ وفى حشوه المبالغة والتتميم

﴿ذكر التصدير﴾ * (التصدير) * هو أن يبدأ الشاعر بكلمة فى البيت ثم يعيدها فى عجزه أو فى النصف منه ثم يرددها فى النصف الآخر منه فاذا نظم الشعر على هذه الصنعة تسهل استخراج قوافيه قبل أن يطرق اسماع مستمعيه وأحسن ما فيه قول عامر بن الطفيل

وكنت سناما فى فزارة تامكا * وفى كل حى ذروة وسنام

التامك الشديد وقال الآخر

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع

وقال آخر جهول اذا أزرى التحلم بالفتى * حليم اذا لم يزر بالحسب الجهل

﴿الاستثناء﴾ والتصدير والترديد المتقدم يسميه كثير من البلغاء رد الاعجاز الى الصدور * (الاستثناء) * قيل ان أول من بدأ به النابغة وأحسن كل الاحسان فى قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وهذا كقول الجعدى

فتى كملت أخلاقه غير أنه * جواد فما يبقى من المال باقيا

فتى تم فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

ويستحسن قول أبى هفان

فان تسألى عنا فحن حلى العلى * بنى دارم والارض ذات المناكب

ولا عيب فينا غير أن سماحنا * أضر بنا والبأس فى كل جانب

فأفنى الردى أعمارنا غير ظالم * وأفنى الندى أموالنا غير عائب

﴿الالتفات﴾ ويسمى هذا تأكيد المدح بما يشبه الذم * (الالتفات) * اسحق الموصلى قال لى الاصمعى رحمه الله تعالى أتعرف التفات جرير قلت لا فأنشدنى

أتنسى اذ تودعنا سليمى * بعود بشامة سقى البشام

﴿والاعتراض﴾ ألا تراه مقبلا على شعره ثم التفت الى البشام فدعا له * (الاعتراض) * ويسمى الالتفات وهو أن يكون الشاعر آخذا فى معنى فيعدل عنه آخذا فى غيره قبل أن يتم الاول ثم يعود اليه فيتمه فيكون فيما عدل اليه مبالغة فى الاول وزيادة فى حسنه قال ابن المعتز الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة وعن المخاطبة الى الاخبار ومن أحسن ما فى ذلك قول النابغة

ألا زعمت بنو عبس بأنى * ألا كذبت كبير السن فان

وقيل بل قول كثير لو ان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطايا

فقوله ألا كذبت وقوله وأنت منهم اعتراض بين أول الكلام وآخره وفيه زيادة حسنة ويستحسن قول الآخر فانى ان أفتك يفتك منى * فلا تسبق به علق نفيس

فقوله فلا تسبق به اعتراض لطيف فى معناه وموضعه ويسمى هذا أيضا وما تقدم من قول طرفة الحشو المفيد ومنه قول الاخطل

وأقسم المجد حقا لا يحالفهم * حتى يحالف بطن الراحة الشعر

فقوله حقا حشو أفاد معنى حسنا وكذلك قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فقوله خبائنا وأرحلنا لو سقط لكان التشبيه تاما والوزن ناقصا فأورده حشوا وفيه زيادة بارعة رائعة وهى الاخبار عن كثرة الصيد والتمدح بأنه مرزوق فى صيده وما أحسن قول ابن المعتز رحمه الله

تعالى

تعالى وخيل طواها السير حتى كأنها * أنابيب سمر من قنا الخط ذبل

صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد سراع وأرجل

فوقع ظالمين أحسن موقع لانه نفى بذلك عنها هجنة البطء وأخذه من قول اعرابي

وعود قليل الذنب عاودت ضربه * اذا هاج شوقي من معاهدها ذكر

وقلت له ذلفاء ويحك سبيت * لك الضرب فاصبر ان عادتك الصبر

فحسنه ابن المعتز ما شاء. وأما الحشو القبيح فكقول أوس بن حجر

وهم لمقل المال أولاد علة * وان كان محضا في العمومة مخولا

فذكره للمال مع قوله مقل حشو لا فائدة فيه وكذلك قول الهذلي رحمه الله

ذكرت أخي فعاودني * صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس مع الصداع حشو لا فائدة فيه وأهجن منه قول الاعشى

فرميت غفلة قلبه عن شأنه * فأصبت حبة قلبها وطحالها

فتكريره ذكر القلب لا فائدة فيه وهجنه بذكر طحالها ودون هذا قول ديك الجن

فتنفست في البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنا الذهب

كتنفس الريحان مازجه * ماورد جور قاطر السحب

فذكر الماء مع المزج حشو لا فائدة فيه وأخذه من قول أبي نواس

سلبوا قناع الطين عن رمق * حي الحياة مشارف الحتف

فتنفست في البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان في الانف

فلم يذكر أبو نواس الماء مع المزج وذكره ديك الجن فقصر عنه زاد الحسن عليه بذكر الانف حسنا وذكر ديك الجن ماء الورد مع الريحان ولم يذكره الحسن لان ذكاء الريحان أكثر ما يكون اذا أصابه بال لكنه في ذكره ماء الورد زيادة معنى بلا شك الا أنه قد انضاف اليها العيوب المتقدمة ومع هذا فالحسن قد استوفى المعنى في بيت واحد وديك الجن في بيتين وصاحب بيت أبدا عندهم باتفاق أشعر كقول امرئ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

فما احتوى عليه هذا البيت أتى به علقمة في ثلاثة أبيات مشهورة وان كان المعنى أبسط وأجل فالفضل لصاحب البيت والزمان واحد لان من قال علقمة سرقه فقد أخطأ فأما اذا كان السابق مستوفي المعنى في بيت واحد ويسوقه المتأخر في أبيات فالكلام في هذا كقول امرئ القيس

نمس باعراف الجياد أكفنا * اذا نحن قمنا عن شواء مهضب

أخذه عبدة بن الطبيب فقال

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية * وفار للقوم بالغلي المراجيل

وردوا أشقرها ينهسه طابخه * ماغير الغلي منه فهو مأكول

ثمت قمنا الى جرد مسومة * أعرافهن لأيدينا مناديل

وقال عبد الملك يوما لجلسائه وكان يجتنب غير الادباء ما خير المناديل فقال قائل مناديل مصر كأنها غرقئ البيض وقال آخر مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع فقال عبد الملك ما صنعتما شيأ أفضل المناديل ما قال أخو تميم يعني عبدة وأنشد الابيات وهي مع جودتها قصرت عن بيت امرئ القيس وكذلك قول طرفة

نطرد القر بحر صادق * وعليك القيظ ان جاء بقر

وقال الاعشى وتبرد برد رداء العرو * س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

ونسعن ليلة لا يستطيع * نباحا بها الكلب الاهريرا

(الاستطراد) البحترى أنشد أبو تمام لنفسه يهجو عثمان بن ادريس الشامى

وسابح هطل التعداء هتان * على الجراء أمين غير خوان
أظمى الفصوص ولم تظمأ قوائمه * فخل عينيك فى ظمآن ريان
فلو تراه مسيحا والحصى زيم * بين السنابك من مثنى ووحدان
أيقنت ان لم تثبت ان حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ثم قال ماهذا من الشعر قلت لا أدرى فقال هذا هو الاستطراد فقلت فما معنى ذلك فقال يريك وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان فأخذه البحترى فقال فى فرس

يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت * صيدا وينقض انقضاض الاجدل
ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

وكان حمدويه عدو الممدوح فاستطرد به ويقال ان البحترى لما عير بسرقة هذا البيت أزاله من شعره

وقال دعبل فلو أننى أصبحت فى جود مالك * وعزته ما نال ذلك مطلبى
فتى شقيت أمواله بسماحه * كما شقيت قيس بارماح تغلب

فخرج فى استطراده من مدح الى ذم وهو مقلوب استطراد زهير فى قوله

ان البخيل ملوم حيث كان ولكن * ن الجواد على علاته هرم

فخرج من ذم الى مدح وقال جرير

ترى برصا بمجمع اسكتيه * كعنفقة الفرزدق حين شابا

والسابق الى هذا المعنى والناس له تبع السموأل حيث قال

وانا أناس لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

ومما يستحسن قول بشار

خليلى من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن فرعة انه * مخافة أن يرجى نداه حزين
اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلا تلقه الا وأنت كمين

فقف على هذه الجملة من صناعة البديع ففيها كفاية بعون الله سبحانه وتعالى واما قوله (فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا) فاصل ذلك فى الخيل ونذكر من ذلك جملة تليق بهذا الموضع وينتظم المجلى والمصلى فى حكاية الرشيد مع المامون وذلك أن الرشيد أجرى الخيل يوما بالرقة فوقف متأملا حتى طلعت فاذا فى أولها فرسان فى عنان واحد فتأملهما فقال فرسى والله ثم تأمل وقال وفرس ابنى عبد الله فجاء الفرسان أمام الخيل فرسه السابق وفرس المأمون المصلى فسر بذلك الرشيد سرورا عظيما قال الاصمعى فقلت للفضل يا أبا العباس هذا من أيامى فاحتل حتى توصلنى فقال الفضل يا أمير المؤمنين ان الاصمعى قد أعد فى أمر الفرسين شيأ يريد به سرور أمير المؤمنين فقال هات يا اصمعى فقلت يا أمير المؤمنين كنت وابنك اليوم وفرسا كما قالت الخنساء وقد قيل لها كيف تفضلين أخاك على أبيك

فقالت

جارى أباه فأقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر
وهما كأنهما وقد برزا * صقران قد حطا الى وكر
حتى اذا جد الجراء وقد * ساوت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما * قال المجيب هناك لا أدرى
برقت صفيحة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى ان يساويه * لولا جلال السن والكبر

قيل لابي عبيد ليس هذا فى مجموع شعرها فقال العامة أسقط من أن يجودوا عليها بمثل هذا فقولها ملاءة الحضر تعنى بها غبرة الفرسين التى أثاراها بجعلتها كلحفة يرتديانها ويتجاذبانها وسيأتى من أخذ منها هذا المعنى ومن سبق اليه فى الاربعين

(ذكر الحلبة من الخيل)

ومراتب الخيل فى الحلبة السابق منها يسمى المجلى ثم المصلى ثم المسلى ثم التالى ثم المرتاح ثم العاطف ثم الحظى ثم المؤمل ثم اللطيم ثم السكيت قال الاصمعى وأبو عبيدة لم نسمع فى سوابق الخيل اسما لشئ منها ممن يوثق بعلمه الا الثانى واسمه المصلى قال الاصمعى هو من الصلا وهو جانب ذنبه والعاشر واسمه السكيت وما سواهما فانما يسمى الثالث والرابع الى التاسع وكان عند المتقى العباسى فتى راوية للخبر والشعر يأنس به فقال ليلة بالمسامرة عودوا الى ذكر الخيل فقال الفتى يا أمير المؤمنين حدثنى كلاب بن حمزة العقيلى قال كانت العرب ترسل خيلها أراسيل عشرة عشرة والقصب سبعة فلا يدخل الحجرة من الخيل الا ثمانية الاول السابق المجلى لانه جلى عن وجه صاحبه الكرب والثانى المصلى لانه وضع جحفلته على قطاة المجلى وهو صلاه والصلا عجب الذنب والثالث المسلى لانه كان شريكا فى السبق فسلى عن صاحبه بعض همه والرابع التالى لانه تلا المسلى دون غيره والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة لان فى الراحة خمس أصابع فلما كان الخامس على خامسة الاصابع سمى مرتاحا والسادس حظى لانه نال حظا فحظى به وان قل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس نصيبا وهو آخر حظوظ الحلبة وسمى السابع العاطف لدخوله الحجرة لانه قد عطف بشئ وان خس اذ كان قد دخل الحجرة الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سمى اللديغ سليما فسمى مؤملا لقربه من ذوات الحظوظ التاسع اللطيم لانه لو رام الحجرة لطم دونها لانه أعظم جرما من السابع والثامن العاشر السكيت لان صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت خزيا وعيا وكانوا يجعلون فى عنقه حبلا ويحملون عليه قردا يركضه ليعير بذلك صاحبه أبو عبيدة يشدد السكيت ويسمى سكيتا لانه آخر العدد الذى يقف عليه العاد والسكت الوقوف وسميت حلبة لان العرب تحلب اليها خيولها أى تحضرها وأنشد ابن الانبارى أبياتا تجمعها وهى قوله

جاء المجلى والمصلى بعده * ثم المسلى بعده والتالى
والخامس المرتاح ينقص عدوه * والعاطف الصهال كالرئبال
نسقا وقاد حظيها فى صهوة * ذاك المؤمل غير ذى الاشكال
ثم اللطيم يقودها بجميعها * قبل السكيت العاشر الذيال

ونذكر هنا جملة مقاطيع فى أوصاف الخيل يكمل بها الغرض المقصود

(ذكر الخيل)

قال امرؤ القيس

اذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا * تعالوا الى أن يأتنا الصيد نحطب

(وقال عمارة بن عقيل)

وأرى الوحش فى يمينى اذا ما * كان يوما عنانه بشمالى

وقال حبيب

مخلق وجهه على السبق * تخليق عرس لليلة عرس
يقتل عشرا من النعام به * بواحد الشد واحد النفس

وقال أيضا

ان زار ميدانا نسى أهله * أو ناديا قام اليه الجلوس
نرى رزان القوم قد أسمحت * نفوسهم فى حسنه وهى شوس
كانما لاح لهم بارق * فى المحل أو زفت اليهم عروس
سام اذا استعرضته رئته * أعلى وطيب قده ارببس
كانما خامره أورق * أو عارضت هامته الخندريس
عوذه الحاسد بخلابه * ورفرفت خوفا عليه النفوس

وقال البحترى

وأغر فى الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبنى الا أنه * فى الحسن جاء كصورة فى هيكل
ذنب كما سحب الرداء يذب عن * عرف وعرف كالرداء المسبل
تتوهم الجوزاء فى أرساغه * والبدر غرة وجهه المتهلل
وتراه يسطع فى الغبار لهيبه * لونا وشدا كالحريق المشعل
هزج الصهيل كأن فى نغماته * هزات معبد فى الثقيل الاول
ملك العيون فان بدا أعطينه * نظر المحب الى الحبيب المقبل

(وقال عبد الله بن المعتز)

ولقد وطئت العيش يحملنى * طرف كلون الصبح حين وقد
يمشى ويعرض فى العنان كما * صدر المعشق ذو الدلال وصد
جاع أطرافا لصوار فما الاخرى عليه اذا جرى بأشد
بسل المهابد ما انهن ولم * ينتسل منه بالحميم جسد
وكأنه موج يذوب اذا * أطلقته واذا حبست جمد

وقال المتنبى

وعينى الى أذنى أغر كأنه * من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضلة عن جسمه فى اهابه * يجىء على صدر رحيب ويذهب
شققت به الظلماء أدنى عنانه * فيطغى وأرخيه مرارا فيلعب
وأصرع أى الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين يركب
وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت فى عين من لا يجرب
اذا لم تعاين غير حسن شياتها * وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقال ابن نباتة يصف فرسا أغر حجله سيف الدولة عليه

قد جاءنا الطرف الذى أهديته * هاديه يعقد أرضه بسمائه
يختال منه على أغر محجل * ماء الدياجى قطرة من مائه
وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض فى أحشائه
لا تعلق الالحاظ فى أعطافه * الا اذا كفكفت من غلوائه

وقال أيضا

وأدهم يستمد الليل منه * وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشيا * ويطوى خلفه الافلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه * تشبث بالقوائم والمحيا

وقال أبو منصور يخاطب أبا الفضل الميكالى

يا مهدى الطرف الجواد كأنما * قد أنعلوه بالرياح الاربع
لاشئ أسرع منه الا خاطرى * فى شكر ما نلت اللطيف الموقع
ولو اننى أنصفت فى اكرامه * لجلال مهديه الكريم الاروع
أقضمته حب القلوب لقضمه * وجعلت من جلده سواد الادمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيق * برد الشباب لجله والبرقع

(وقال القسطلى)

سامى التليل كأن عقد عذاره * فى رأس غصن البانة المياد
يهدى بمثل الفرقدين وناب عن * رعى السماك بقلبه الوقاد
فكأنما أطأ الاباطح والربا * بعقاب شاهقة وحية واد

وكانه من تحت سوطى خارجا * فى الروع شعلة قادح بزناد

(ولابى تمام الاندلسى)

وأقب تنقدا لعروق اذا جرى * من غيظها حسدا بان لم تلحق
ملك الرياح قوائما تجرى بها * فيكاد يأخذ مغربا من مشرق

(وقال فيه أيضا)

وتحتى ريح تسبق الريح ان جرت * وما خلت أن الريح ذات قوائم
له فى المدى سبق الى كل غاية * كأن لنافيه نفوذ عزائم
وهمة نفس نزهتها عن الونى * فيا عجبا حتى العلا فى البهائم

وكان المتوكل فبطليوس فرس أحضر أغر محجل على كفله ست نقط بيض فبذل كل شاعر فى وصفه جهده فما سبق الغاية الا البجلى بقوله

حمل البدر جواد سابح * تقف الريح لادنى مهله
وكأن الصبح قد خاض به * فبدا تحجيله من بلله
لبس الليل قميصا سابغا * فالثريا نقط فى كفله
كل مطلوب وان طالت به * رجله من أجله فى أجله

والباب لايدخل تحت الحصر فلنكتف بهذا القدر (قوله بهت) أى تحير (المتعادلين) المتماثلين وشبههما بالفرقدين لرفعتهما وتوقدهما وأخذ الحريرى هذا التشبيه من البحترى فى قوله *كالفرقدين اذا تأمل ناظر * وتقدم فى الثانية وبالزندين لما فيهما من النار وفى هذين من الذكاء وجعلهما فى وعاء يريد متى التمسهما الانسان وجد فيما وقعت عليه يده حاجته (وجده) غناه وما عنده من العلم (ثب) ارجع (هيهات) معناها بعد (مقفى) مجتنى (تعلق به ثقتى) يريد لا أثقه بعدما جربته (بلوت كفرانه للصنيع) أى جربت قلة شكره لفعل الجميل معه (منيت) بليت (العقوق) المقاطعة (الشنيع) المشتهر بالقبيح *ونسوق هنا فى كفران الصنيع فصلا يليق بهذا الموضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عباد الله عباد لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم قلنا من أولئك يا رسول الله قال المتبرئ من والديه رغبة عنهما والمتبرئ من ولده ورجل أنعم الله عليه نعمة فكفرها وفى التوراة من صنع معروفا الى أحمق فهى خطيئة تكتب عليه وقال الحجاج لابن الكلبى أخبرنى عن خمسة أشياء أضيعت فى الدنيا قال نعم أصلح الله الامير سراج يوقد فى شمس ومطر جود فى أرض سبخة وامرأة حسناء تزف الى عنين وطعام اجتهد صاحبه فى صنعته فقدمه الى سكران أو شبعان ومعروف تصنعه الى رجل لا يشكرك عليه *عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع الصنيعة الا عند ذى حسب ودين كما لا تنفع الرياضة الا فى نجيب *المدائنى خرج فتيان فى صيد لهم فأثاروا ضبعة فنفرت ومرت فاتبعوها فلجأت الى بيت رجل فخرج اليهم بالسيف مسلولا فقالوا له يا عبد الله لم تمنعنا من صيدنا فقال انها استجارت بى فخلوا بينها وبينه فنظر اليها فاذا هى مهزولة مضرورة فجعل يسقيها اللبن صبوحا ومقيلا وغبوقا حتى سمنت وحسنت حالها فبينما هو ذات يوم متجرد اعدت عليه فشقت بطنه وشربت دمه فقال ابن عم له

ومن يصنع المعروف فى غير أهله * يلاقى الذى لاقى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت بقربه * مع الامن ألبان اللقاح الدرائر
فأشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

وعن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا جعل

وانى على تصريف أمرى وأمره
أرى المترحلوا فى انقيادى لامره
فلما أنشداها الوالى مترا سلين بهت لذكاسهما المتعادلين وقال أشهد بالله أنكما فرقدا سماء وكزندين فى وعاء وأن هذا الحديث لينفق مما آتاه الله ويستغنى بوجده عمن سواه فثب أيها الشيخ من اتهامه وثب الى اكرامه فقال الشيخ هيهات أن راجعه مقفى أو تعلق به ثقتى وقد بلوت كفرانه للصنيع ومنيت منه بالعقوق الشنيع

فاعترضه الفتى وقال
يا هذا ان اللجاج شؤم
والحنق لؤم وتحقيق
الظنة اثم واعنات البرىء
ظلم وهبنى اقترفت جريرة
أو اجترحت كبيرة أما
تذكر ما أنشدتنى لنفسك
فى ابان أنسك
سامح أخاك اذا خلط
منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه
ان زاغ يوما أو قسط
واحفظ صنيعك عنده
شكر الصنيعة أم غمط
وأطعه ان عاصى وهن
ان عز وادن اذا شحط
واقن الوفاء ولو أخا
ل بما اشترطت وما اشترط
واعلم بأنك ان طلب
ت مهذبا رمت الشطط
من ذا الذى ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط
أو ما ترى المحبوب والـ
ـمكروه لزا فى نمط
كالشوك يبدو فى الغصو
ن مع الجنى الملتقط

صنائعه ومعروفه فى أهل الحفاظ واذا أراد بسوء جعلها فى أهل المضا ثم يقال حسان

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت وأنشد عبد الله بن جعفر هذا البيت فقال هذا رجل يريد أن يبخل الناس أمطر المعروف مطرا فان صادفت موضعه فهو الذى قصدت والا فكنت أحق به قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصنعه اليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس أهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فأنت أهله وقد قال الحريرى بعد هذا

واحفظ صنيعك عنده * شكر الصنيعة أم غمط

أى لا تفسد معروفك بالمن شكره من أنعمت عليه أم كفره وغمط ستر وهو ضد شكر (قوله اعترضه) أى واجهه وقابله (شؤم) نحس وطيرة (الحنق) الغضب (الظنة) التهمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لازمات أمتى سوء الظن والحسد والطيرة قيل ما يذهبهن قال اذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فاستغفر واذا تطيرت فامض (اعنات) مشقة (هبنى) احسبنى (اقترفت واجترحت) معناهما اكتسبت (جريرة) جناية (ابان أنسك) أى وقت أنسى بك (تجاف) تباعد (تعنيفه) لومه (زاغ) مال (قسط) جار وقوله وهن ان عز لفظ المثل اذا عز أخوك فهن يروى بضم الهاء وكسرها فالضم من هان يهون قال ابن أحمر

دببت لها الضراء وقلت أبقى * اذا عز ابن عمك أن تهونا

ورواه بالكسر أبو عبيد وثعلب وقال أبو عبيد معناه أن مياسرتك صديقك ليست بضيم يركبك فتدخلك منه حمية انما هو حسن خلق وتفضل منك فاذا عاسرك فياسره فالضيم الذى ذكر هو الهوان بعينه قال ابن درستويه معناه اذا صار أخوك عزيزا قويا عليك فأطعه واخضع له تسلم من ظلمه ورواية الكسر من هان يهين ويكون معنى عز تصعب واشتد لا من العزة ومعناه اذا صعب أخوك فلن له والمثل لهذيل بن هبيرة وسببه أنه أغار على ضبة فغنم وأقبل بالمغانم فقال له أصحابه اقسمها بيننا فقال أخاف أن يدرككم الطلب فأبوا فعندها قال المثل ونزل فقسمها (قوله شحط) أى بعد (واقن الوفاء) أى الزمه وقنيت الحياء بكسر النون أقنيه قنيا ان لزمته (أخل) نقص (بما اشترطت وما اشترط) أى بما جعلتما بينكما من علامة ومنه أشراط الساعة أى علاماتها ومنه الشرط لان لهم علامة يعرفون بها (مهذبا) مخلصا و (الشطط) مجاوزة القدر قال الفضيل بن عياض من طلب أخا بلا عيب بقى بلا أخ وقال الحرث المحاسبى ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة حسن الوجه مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الاخاء مع الامانة وقال النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

(وقال يزيد بن محمد الباهلى)

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء فضلا أن تعد معايبه

(قوله قط) بمعنى الدهر والابد و (الحسنى) الفعل الحسن (فقط) حسب (لزا) ربطا (النمط) ثوب من الصوف المصبوغ والنمط الطريق تقول الزم هذا النمط والنمط النوع من العلم والخير فيريد أن الخير والشر قد نظما فى سلك واحد فاذا أتى يوم يرضى أتى بعده يوم يسخط (الجنى) الطرى مما يجنى فعيل بمعنى مفعول وأصل جنى مجنوى فأعل و (الملتقط) من قولك لقطت هذه الفاكهة واحدة واحدة أى اخترتها وانتخبتها أبو أمامة قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الناس اليوم كشجرة ذات جنى ويوشك الناس أن يعودوا كشجرة ذات شوك ان ناقدتهم ناقدوك وان تركتهم لم يتركوك وان هربت منهم طلبوك قيل فكيف المخرج من ذلك قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وأنشد عمر

ابن الجعد

طب عن الامّة نفسا * وارض بالوحدة أنسا

لست بالواجد حرّا * أوثق اليوم أمسا

ماوجدنا أحدا يشوى على الخبرة فلسا

(قوله نغص) تكدير العيش ونغص الرجل اذا لم يتم له أمره وتكدر عيشه (يشوبها) يخالطها (الشمط) اختلاط الشيب بالسواد و (انتقدت) فتشت و (السقط) من لا خير فيه وللزاهد بن عمران فى معنى أبيات الحريرى رحمه الله تعالى

اذا وغد جفاك فلا تلمه * لانك ان فعلت أثرت جيفه

وان يصل الكريم عليك فاصفح * ستعطفه اصالته الشريفه

ومن يك بين ذلك فأعض عنه * تنل مجدا ومرتبة منيفه

وسلّ الضغن ان آنست ضغنا * ببسط الوجه والحيل اللطيفه

أخذ البيتين الاولين من قول حاتم

وأغفر عوراء الكريم ادّخاره * وأعرض عن شتم اللئيم تكرّما

(قوله ينضنض) أى يحرك لسانه (الصل) الحية (يحملق) ينظر بحملاقه وهو باطن جفنه وذلك نظر الغضبان (المطل) المشرف على فريسته (الشهب) النجوم (روعى) فرارى (توقى) خشيته (الاقتضاح) الشهرة (أمونه) أتكلف لوازمه (أراعى) أحفظ (شؤنه) أموره (يسح) يصب الرزق (الحشو) ماحشى به (بوس) ضرّ (يرتى) ثوبى (عارة) أى عارية (تطور) تقرب منه يريد أن الفأرة ليس لها فيه ما تأكل وأخذ هذا المعنى من قول امرأة وقفت على قيس بن سعد بن عبادة فقالت أشكو اليك قلة الجرذان فقال ما أحسن هذه الكناية املؤا بيتها خبزا ولحما وسمنا وقد أعاد هذا المعنى منظوما فى الثالثة والثلاثين فقال

وأمحلت ربعى حتى خلت * من ربعى الممحل جرذانه

وحكى القنجديهى بسنده الى أبى محمد الحسن بن اسمعيل الضرّاب قال كنت قاعدا أنسخ فى سراج وبين يدى قدح فيه ماء وظرف فيه كعك وزبيب ولوز فجاءت فأرة فأخذت لوزة فمضت ثم عادت فأخذت أخرى فبدّدت الماء الذى فى القدح فعادت الفأرة فكببت القدح عليها واشتغلت بشغلى ساعة فاذا فأرة أخرى قد جاءت فشقشقت وبقيت ساعة على ذلك والفأرة الاخرى تشقشق من داخل القدح فلم تجد حيلة فى خلاصها فمضت أختها فأتت بدينار فوضعته ووقفت ولم أرفع القدح عن الفأرة فمضت وأتت بدينار آخر ووقفت ولم أرفع القدح ففعلت ذلك الى أن أتت بسبعة دنانير ووقفت ساعة ولم أخل عن الفأرة فمضت وأتت بقرطاس فارغ فعلمت أنها لم يبق عندها شئ فخليت عن الفأرة قال القنجديهى رويت هذه الحكاية عن أشخاص وأشياخ ثقات وعلى ذكر الفأرة والجرذان كتب أبو حفص الوراق رقعة الى الصاحب منها وحال عبد مولانا فى الحنطة مختلفة جرذان داره عنها منصرفة فان رأى أن يخلط عبده بمن أخصب عنده فعل ان شاء الله تعالى فوقع فيها أحسنت يا أبا حفص قولا وسنحسن اليك فعلا فبشر جرذان دارك بالخصب وأمنها من الجدب فالحنطة تأتيك فى الاسبوع ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ان شاء الله تعالى (قوله أوى) أشفق (غير) تغير وهو من تغير الحال وهو اسم واحد بمنزلة النطع والغير مذكر وجمعه أغيار هذا قول الكسائى ويجوز أن يكون جمعا واحدته غيرة وهذا قول ابن عمرو ويقال للدية غيرة لانها تغير الفؤاد الى الرضا به (صبا) مال (الاسعاف) قضاء الحاجة (النظارة) الناس الناظرون اليه (متشوفا) متطلعا (وسمه) علامته (يسفر) يكشف (يفرج) يفتح لى فرجة (تقوضت) تفرقت

ولذاذة العمر الطويـ
ل يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بنى الزما
ن وجدت أكثرهم سقط
رضت البلاغة والبرا
عة والشجاعة والخطط
فوجدت أحسن ما يرى
سبر العلوم معا فقط
قال فجعل الشيخ ينضنض
نضنضة الصل ويحملق
حملقة البازى المطل ثم قال
والذى زين السماء بالشهب
وأنزل الماء من السحب
ماروعى عن الاصطلاح
الا لتوقى الافتضاح فان
هذا الفتى اعتاد أن أمونه
وأراعى شؤنه وقد كان
الدهر يسح فلم أكن أشح
فاما الآن فالوقت عبوس
وحشو العيش بوس حتى
ان برتى هذه عارة وبيتى
لا تطور به فارة قال فرق
لمقالهما قلب الوالى
وأوى لهما من غير الليالى
وصبا الى اختصاصهما
بالاسعاف وأمر النظارة
بالانصراف (قال الراوى)
وكنت متشوفا الى مرأى
الشيخ لعلى أعلم علمه اذا
عاينت وسمه ولم يكن الزحام
يسفر عنه ولا يفرج لى
فأدنو منه فلما تقوضت

وأصلها الهدم (أجفل) أسرع المشى (توسمته) تطرته (مغزاه) مذهبه ومقصده (أنقض) أنط وأنصب (استعرف) أعرّفه بنفسى (زجرنى) انتهرنى (ايماض) اشارة بالعين خفية وكثيرا مايصرف الحريرى فى المقامات تنبيه أبى زيد لابن همام على نفسه بخفى الاشارة المغنية عن تصريح العبارة وهو مذهب للعرب ونبلاء أهل الادب وقد قالوا رب كناية تغنى عن ايضاح ورب لحظ يدل على ضمير وفى اشارة اللحظ يقول الشاعر

أشارت بطرف العين خيفة أهلها * اشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن اللحظ قد قال مرحبا * وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

وقال أبو نواس

لهفى على الخبل العروب * النهد القب البطون
الناطقات عن الضمير * رلنا بألسنة الجفون

(وقال المهدى بن المنصور)

ومطلع من نفسه مايسره * عليه من اللحظ الخفى دليل
اذا هو لم يبد الذى فى ضميره * ففى اللحظ والايماء منه رسول

وقال تميم بن المعتز

سبحان من خلق الهدو * دشفاتقا تتبسم
وأعا ها الالحاظ فهى * بلحظها تتكلم

وقال آخر

العين تبدى الذى فى نفس صاحبها * من المحبة أو بغض اذا كانا
والعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقال أعرابى

وليل لم يقصره رقاد * وقصر طوله وصل الحبيب
بمجلس لذة لم نقوفيه * على شكوى ولا عد الذنوب
بخلنا أن نقطعه بلفظ * فترجمت العيون عن القلوب

(وقال الحسن بن بشير)

أما ترى لى ناظرا شاهدا * بالحب والاعين رسل القلوب
ودون الحاجب جفونى هوى * يخبر عما فى ضمير الكئيب
وأنت لاشك به عالم * لان عند اللحظ علم الغيوب

قال الاحوص

ودعتهن ولاشئ يراجعنى * الا البنان والا الاعين السجم
اذا أردن كلامى عنده عرضت * من دونه عبرات فارعوى الكلم
مسندات وقد مالت سوالفها * ومابهن سوى مس الهوى ألم

(وقال مانى الموسوس)

بنان يد تشير الى بنان * تجاوبنا وما تتكلمان
جرى الايماء بينهما رسولا * فاحكم وحيه المتناجيان
فلو أبصرتنا لغضضت طرفا * عن المتحدثين بلا لسان

والباب لايحصى كثرة فلنقتصر على هذه اللمعة (قوله واستوقفنى بايماء كفه) أى أمرنى بالوقوف والايماء الاشارة (مرامك) مرادك (مقامك) ثباتك ووقوفك (أنيسى) صاحبى الذى آنانس به (فتسمح بتأنيسى) أى أولانى منه المؤانسة (رخص) لين وسهل (فاض) صب (خلعتين) كسوتين (والنصاب) عشرون دينارا و(العين) الذهب (استعهدهما) استحلفهما (يتعاشرا) يتصاحبا (اظلال) قرب ودنو (اليوم المخوف) يوم موته (ناديه) مجلسه (مشيدين) رافعين بشكره أصواتهما (أياديه) نعمه (مثواهما) مسكنهما (نجواهما) معنى كلامهما ويروى نجواهما أى سرهما (أجزنا) خلفنا (أفضينا) وصلنا (الفضاء) المتسع من الارض (جلاوزته) شرطه واحدهم جلواز والجلاز عقب

الصفوف وأجفل الوقوف توسمته فاذا هو أبو زيد والفتى فتاه فعرفت حينئذ مغزاه فيما أتاه وكدت أنقض عليه لاستعرف اليه فزجرنى بايماض طرفه واستوقفنى بايماء كفه فلزمت موقفى وأخرت منصرفى فقال الوالى ما مرامك ولاى سبب مقامك فابتدره الشيخ وقال انه أنيسى وصاحب ملبوسى فتسمح عند هذا القول بتأنيسى ورخص فى جلوسى ثم أفاض عليهما خلعتين ووصلهما بنصاب من العين واستعهدهما أن يتعاشرا بالمعروف الى اظلال اليوم المخوف فنهضا من ناديه مشيدين بشكر أياديه وتبعتهما لاعرف مثواهما وأتزود من نجواهما فلما أجزنا حمى الوالى وأفضينا الى الفضاء الخالى أدركنى أحد جلاوزته

ماوى على القوس وجلزت القوس والسوط والسكين عصبتها بالعقب فسموا جلاوزة لانهم يقصبون بالسياط الناس عند الضرب أولان السياط لا تفارق أيديهم والجلز الشد وهم ير بطون الناس ويشدونهم (مهيبا) داعيا (حوزته) موضعه الذى يحميه ويحوزه (استحضرنى) طلب حضورى (يستخبرنى) يسألنى خبره (أجول) أتصرف وأمشى أى عاملنى فى أى غرض من الحديث آخذ معه (غباوة) جهل ورجل غبى غير فطن (تلعابى بلبه) أى لعبى بعقله والتلعاب بنية للمبالغة (يستشرى) ينتشر (طيشه) خفته من الغضب (يسرى) يسير (بطشه) ايقاعه وتناوله بما يكره (الرها) بلد من كورة الجزيرة تجاورها الرقة وحران سميت باسم صاحبها الرها بن البلوى بن مالك بن دعر وهو أول من نزلها وقال اليعقوبى الرها من ديار مصر وهى مدينة رومية ذات عيون كثيرة عجيبة تجرى منها الانهار وبها الكنيسة التى للنصارى وهى احدى عجائب الدنيا الموصوفة وكان بالرها رجل ضعيف الحال متجمل بين الناس فخرج ذات يوم من منزله وعليه جبة له فلقيه سائل فسأله شيأ يدفعه فقال والله ما أملك غير جبتى هذه فقال السائل ألا تحب أن تكون من الذين قال الله تعالى فى حقهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فدفعها اليه (أنى) كيف (سهيل والسها) كوكبان لا يلتقيان لان السها نجم خفى فى بنات نعش وبنات نعش لا تغرب أبدا فى بلاد أرمينية وفى سمتها بلاد الشام والمغرب والاندلس وسهيل لا يرى فى شئ من هذه البلاد الا رؤية لا يعتد بها فى أيام قلائل فلا يلتقى سهيل والسها بوجه وانما أخذ هذا من لفظ عمر بن أبى ربيعة حيث قال

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمان

والثريا هذه بنت على بن عبد الله بن الحرث وكانت موصوفة بالجمال وكان عمر يشبب بها فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فنقلها الى مصر فضرب لها عمر المثل بالكوكبين وأبدل الحريرى لفظ الثريا بالسها وأفاد عدم الالتقاء وسهيل هو كوكب أحمر يخيل اليك لشدة اضطرابه أنه يستدير وقال المعرى فى صفته فأحسن

وسهيل كوجنة الحب فى اللو * ن وقلب المحب فى الخفقان
مستدير كأنه الفارس المعـ * ـلم يبدو معارض الفرسان
يسرع اللمح فى احمرار كما تسـ * ـرع باللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الاعادى * فبكت رحمة له الشعريان
قدماه وراءه وهو فى العجـ * ـز كساع ليست له قدمان

قالوا ولا تقع عين بعير على سهيل الا مات من حينه وقد أشار المعرى الى هذا فى قوله

لا تحسبن ابلى سهيلا طالعا * بالشأم فالمرفى شعلة مقبس

ومتى طلع صرفت الابل كلها وجوهها عن مطلعه وقابلته باعجازها وقال المتنبى

وتنكر قتلهم وأنا سهيل * طلعت بموت أولاد الزناء

وفى معنى تخويف ابن همام للسروجى بعقاب الوالى ما حدث ان أبا الحسن العباس بن حيون دخل عليه فى السجن من أعلمه أن ابراهيم بن الاغلب يريد قتله فلم يجد مفرا فقال لمعلمه بالخبر وأحسن فى قوله

تخوفنى بمخلوق ضعيف * يهاب من المنية ما أهاب
له أجل ولى أجل وكل * سيبلغ حيث بلغه الكتاب

(قوله انجلى) أى زال وانكشف (نشدتك) حلفتك (الدست) الاول هو الثوب والثانى المجلس والثالث هو الاول والرابع هو الخداع والحيلة وقد قدمه فى الحادية عشرة حيث قال متى ما دسته تم (ازورت مقلتاه) اعوجت عيناه وتغير نظرهما (والوجنتان) ما أحاط بالعين من أسفل (أعجزنى)

مهيبا بى الى حوزته فقلت لابى زيد ما أظنه استحضرنى الا ليستخبرنى فماذا أقول وفى أى وادمعه أجول فقال بين له غباوة قلبه وتلعابى بلبه ليعلم أن ريحه لاقت اعصارا وجدوله صادف تيارا فقلت أخاف أن يتقد غضبه فيلفحك لهبه أو يستشرى طيشه فيسرى اليك بطشه فقال انى أرحل الآن الى الرها وأنى يلتقى سهيل والسها فلما حضرت الوالى وقد خلا مجلسه وانجلى تعبسه أخذ يصف أبا زيد وفضله ويذم الدهر له ثم قال نشدتك الله ألست الذى أعاره الدست فقلت لا والذى أحلك فى هذا الدست ما أنا بصاحب ذلك الدست بل أنت الذى تم عليه الدست فازورت مقلتاه واحمرت وجنتاه وقال والله ما أعجزنى قط

فضح مريب ولا تكشيف معيب ولكن ماسمعت بان شيخاً دلس بعدما تطلس وتقلس فبهذا تم له أن لبس أفتدرى أين سكع ذلك اللكع قلت أشفق منك لتعدى طوره فظعن عن بغداذ من فوره فقال لاقرب الله له نوى ولا كلأه أين ثوى فما زاولت أشد من نكره ولا ذقت أمر من مكره ولولا حرمة أدبه لأوغلت فى طلبه الى أن يقع فى يدى فأوقع به وانى لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام فأفتضح بين الانام وتحبط مكانتى عند الامام وأصير ضحكة بين الخاص والعام فعاهدنى على أن لا أفوه بما اعتمد مادمت حالا بهذا البلد (قال الحرث بن همام) فعاهدته معاهدة من لا يتأول ووفيت له كما وفى السموأل

(قصة وفاء السموأل)

غلبنى (فضح مريب) كشف متهم (تطلس) لبس الطيلسان وهو من لباس الخواص وهو كساء منز (لبس) خلط (سكع) ذهب (اللكع) اللئيم العاجز وقال بعض أهل العلم كان يقال خمس خصال من أقبح شئ فمن كن فيه الحدة فى السلطان والكبر فى ذى الحسب والبخل فى الغنى والحرص فى العالم والفسو فى الشيخ وثلاث من أحسن شئ فمن كن فيه تؤدة لغير ذل وجود لغير ثواب ونصب لغير الدنيا (أشفق) خاف (تعدى طوره) تجاوز قدره (ظعن) رحل (فوره) حينه (نوى) بعد وسفر (كلأه) حفظه (ثوى) أقام (زاولت) حاولت (نكره) منكره (مكره) خداعه (أوغلت) أبعدت (أوقع به) أتناوله بالشر والمكروه والضرب وقال أبو حازم فى معنى دعاء الوالى على السروجى

اذا استقلت بك الركاب * فحيث لا أدرت السحاب
زالت سراعاً وزلت تجرى * ببينك الظبى والغراب
بحيث لا يرتجى اياب * وحيث لا يبلغ الكتاب

والذى استعمل الناس فى الدعاء على الغائب أن لا يرجع قول زهير *لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم*

وقال آخر كما سار الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

ومثل هذا رقية المرأة اذا سافر زوجها قالت يافرك القمر وظل الشجر شمال تشمله ودبور تدبره ونكباء تنكبه شبك ولا انتقش وتعس ولا انتعش ثم ترمى اثره بحصاة ونواة وروثة وبعرة وتقول حصاة حص أثره ونواة نأت داره وروثة راث خبره وبعرة بعره ولو أوغل فى طلبه كاد كر فأدركه لانشده السروجى

فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وقال المعرى

اذا ما أخفت المرء من مخافة * وأيقن أن الارض كفة حابل
يرى نفسه فى ظل نفسك قائماً * وبينكما بعد المدى المتطاول

(وقال محمد بن هانئ رحمه الله تعالى)

فلا مهرب فى الارض منك منيعة * ولو قطرت من ريق أرقط ضيغم
ولو أنها نيطت بمخلب طائر * ولو أنها باتت على قرن أعصم

وقال أشجع السلمى فى الرشيد حين بعث لادريس بن عبد الله العلوى من اغتاله بالمغرب

أتظن يا ادريس أنك مفلت * كيد الخلافة أو يقيك حذار
ان السيوف اذا انتضاها عزمه * طالت وتقصر دونه الاعمار
هيهات الا أن تكون ببلدة * لا يهتدى فيها اليك نهار

(ولابى العرب الصقلى)

كأن بلاد الله كفك ان يسر * بها هارب تجمع عليه الاناملا
فأين يفر المرء عنك بجرمه * اذا كان يطوى فى يديك المراحلا

(قوله تشيع) أى تتصل يقال شاع الخبر فى الناس أى اتصل بكل واحد فاستوى علم الناس به ويقال سهم شائع ومشاع اذا كان فى جميع الدار فاتصل كل جزء منه بكل جزء منها واصله فى الناقة يقال أوزعت الناقة ببولها ايزاعاً اذا فرقته فاذا أرسلته متصلاً قيل أشاعت به (تحبط) تسقط وتبطل (مكانتى) منزلتى (ضحكة) يضحك الناس به وتسكين عينها للمفعول وتحريكها للفاعل (أفوه) أنطق (اعتمد) أى قصد من الخداع (حلا) مقيماً (يتأول) يحتال ليمينه فيحملها فى الباطن على غير ما أوقعها فى الظاهر عليه فيريد أنه ثبت له اليمين (السموأل) هو ابن عاديا يضرب به المثل فى الوفاء وقصة وفائه ان امرأ القيس لما ألح المنذر فى طلبه لحق بعمرو بن جابر بن مازن يستجير به فقال له يا ابن حجر انى أراك فى خلل من قومك وأنا أنفس بك أن لا أدلك على رجل لم أر أحسن جواراً منه فدله على السموأل بتيماء

ووصف له حسبه وحصنه فقال ومن لى به فقال أصحبك من يوصلك اليه فأصحبه الربيع بن ضبيع وكان الربيع يأتى السموأل ويمدحه فيصله ويعطيه فشوا حتى قدموا على السموأل فأنشده أشعارا فعرف حقهم وأنزل هندا بنت امرئ القيس فى قبة من أدم وأنزل القوم فى مجلس له براح فكان عنده ماشاء ثم طلب أن يكتب له الحرث بن أبى شمر الغسانى بالشام ليوصله الى قيصر ففعل فاستودعه بنته وأدراعه الخمس وهى الفضفاضة والصافية والمحصنة والخريق وأم الذيول وكن لبنى آكل المرار وهم أجداده يتوارثها ملكا عن ملك فمضى الى قيصر وأقام عنده حتى جهزه بجيوش ثم بعث له بالحلة المسمومة فلما لبسها تقطع لحمه ومات فلما بلغ خبر موته المنذر قصد تيماء حصن السموأل فبعث اليه أن يعطيه أدراع امرئ القيس وماترك عنده من المال فقال له انما أدفع ذلك لابنته ولورثته فحاصره فى الحصن حتى أخذ ابناله صغيرا فقال للسموأل اما أن تعطينى ماترك امرؤ القيس أو أقتل ابنك وأنت تنظر اليه فقال له والله لاوفيت له فى حياته وأغدره بعد وفاته أبدا فشأنك بابنى فافعل به ماشئت فذبحه وهو ينظر اليه ولم يرض بالعذر فلما جاء الموسم ذهب بالدروع فدفعها لابنته وورثته وقال

وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ماخان أقوام وفيت

وقالوا انه كنز عظيم * ولا والله أغدر ماحييت

بنى لى عاديا حصنا حصينا * وبئرا كلما شئت استقيت

فضرب به المثل فى الوفاء وانظر فى الثلاثين ابتداء الحكاية

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله شرح المقامة الرابعة والعشرين)